حياة الحيوان الكبرى

كمال الدين محمد بن موسى الدميري

(٧٤٢ - ٨٠٨ هـ)

ويليه

عجائب المخلوقات

وغرائب الموجودات

للإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني

٦٠٠ - ٦٨٢ م

الجزء الأول

انتشارات ناصر خسرو

طهران - ايران

BOBST LIBRARY
3 1142 01272 0010

29

Provided by the
Library of Congress
PL 480 Program.

IR-AR-86-930147

V.1

DATE DUE

حياة الحيوان الكبرى

الكتاب حيوة الحيوان الكبرى
المؤلّف كمال الدين محمّد بن موسى الدميرى
الناشر منشورات الرضى قم ـ منشورات ناصرخسرو طهران
الجزء الأول ٦٨٠ صفحة ٠ وزيرى
سنة الطبع ١٣٦٤ هـ ـ ش
عدد النسخ ١٠٠٠
الطبعة الثانية
المطبعة مطبعة أمير ـ قم

Damīrī, Muḥammad ibn Mūsá
"
/Ḥayāt al-ḥayawān al-kubrá/

حياة الحيوان الكبرى

لكمال الدين محمد بن موسى الدميري

(٧٤٢ - ٨٠٨ هـ)

ويليه :

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للعلامة زكريا بن محمد بن محمود القزويني

(٦٠٠ - ٦٨٢ هـ)

الجزء الأول

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

QL
41
.D3
1985
v.1
c.1

ترجمة مؤلف حياة الحيوان

ملخصة من البدر الطالع ، بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكانى

هو محمد بن موسى بن عيسى بن على الكمال أبو البقاء الدَّمِيرىّ الأصل، القاهرىّ الشافعى.

ولد فى أوائل سنة ٧٤٢ اثنتين وأربعين وسبع مئة تقريبا ، كما كتب ذلك بخطه ، ونشأ بالقاهرة ، فتكسب بالخياطة ، ثم أقبل على العلم ، فقرأ على التقىّ السبكىّ وأبى الفضل النُّويرىّ ، والجمال الأسنوىّ ، وابن الملقّن ، والبلقينى .

وأخذ الأدب عن القيراطىّ ، والعربية وغيرها عن البهاء بن عقيل ، وسمع من جماعة ، وبرع فى التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصوله ، والعربية ، والأدب ، وغير ذلك .

وتصدّى للإقراء والإفتاء .

وصنف مصنفات جيدة ، منها :

١ ــ شرح سُنن ابن ماجه فى نحو خمس مجلدات، سماه : (الديباجة) مات قبل تبييضه .

٢ ــ وشرح المنهاج فى أربع مجلدات، سماه : (النجم الوهّاج) لخصه من شروح السبكىّ والأسنوىّ وغيرها ، وزاد على ذلك زوائد نفيسة .

٣ ــ ونظم فى الفقه أرجوزة مفيدة .

٤ ــ ومن مصنفاته « حياة الحيوان » الكتاب المشهور ، الكثير الفوائد .

٥ ــ واختصر شرح الصَّفَدِىّ للامية العجم .

ومن نظمه :

بمكارم الأخلاق كن متخلِّقا ليفوح نَدُّ ثنائك العَطِر الشَّذِى

واصدقْ صديقك إن صدقت صداقة وادفع عدوَّكَ بالتى « فاذا الذى »

مات فى ثالث جمادى الأولى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانِ مِئة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان، وفضله على سائر الحيوان بنعمتى المنطق والبيان ، ورجحه بالعقل الذى وزن به قضايا القياس فى أحسن ميزان ، فأقام على وحدانيته البرهان . أحمده حمدا يمدنا بمواد الإحسان ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له الذى لايدرك كنه ذاته بالحدود والوسوم ذوو الأذهان ؛ وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المخصوص بالآيات البينات كل البيان ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما يدومان مادام الملوان ، ويبقيان فى كل زمان وأوان .

وبعد ، فهذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه ، ولا كلفت القريحة تأليفه ، وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس، التى لاتخبأ فيها لعطر بعد عروس، ذكر مالك الحزين والذيخ المنحوس فحصل فى ذلك مايشبه حرب البسوس ، ومزج الصحيح بالسقيم ، ولم يفرق بين نسر وظليم ، وتحككت العقرب بالأفعى ،واستنت الفصال حتى القرعى ،وصيروا الأروى مع النعام ترعى ، وقضوا باجتماع الحوت والضب قطعا ، واتخذ كل أخلاق الضبع طبعا ، ولبس جلد النمر أهل الإمامة وتقلدها الجميع طوق الحمامة :

والقوم إخوان وشتى فى الشيم وقيل فى شأنهم اشتدى زيم

وظن الكبير أنه أصدق من القطا ، وأن الصغير كالفاختة غلطا ، وصار الشيخ الأفيق كذات النحيين، والمعيد ذو التحقيق، كالراجع بخفى حنين، والمفيد كالأشقر تحيرا، والطالب كالحبارى تحسرا ، والمستمع يقول « كل الصيد فى جوف الفرا » والنقيب كصافر يكرر : « أطرق كرا » ، فقلت عند ذلك : فى بيته يؤتى الحكم ،وبإعطاء القوس باريها تتبين الحكم وفى الرهان سابق الخيل يرى ، وعند الصباح يحمد القوم السرى، واستخرت الله تعالى وهو الكريم المنان ، فى وضع كتاب فى هذا الشأن ، وسميته [حياة الحيوان] جعله الله موجبا للفوز فى دار الجنان ، ونفع به على ممر الأزمان ، إنه الرحيم الرحمن ، ورتبته على حروف المعجم ، ليسهل به من الأسماء مااستعجم .

باب الهمزة

﴿ الأسد ﴾ : من السباع معروف ، وجمعه أسود وأسد وآسد وآساد ، والأنثى أسدة . وفى حديث أم زرع « زوجى إن دخل فهد ، وإن خرج أسد » وله أسماء كثيرة قال ابن خالويه : للأسد خمس مئة اسم وصفة ، وزاد عليه على بن قاسم بن جعفر اللغوى مئة وثلاثين اسما ، فمن أشهرها أسامة ، والبهبس ، والنآج ، والجخدب ، والحارث ، وحيدرة ، والدواس ، والرئبال وزفر ، والسبع ، والصعب ، والضرغام ، والضيغم ، والطيثار ، والعنبس ، والغضنفر ، والفرافصة ، والقسورة ، وكهمس ، والليث ، والمتأنس ، والمتهيب ، والهرماس ، والورد وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . ومن كناه : أبو الأبطال ، وأبو حفص ، وأبو الأخياف وأبو الزعفران ، وأبو شبل ، وأبو العباس ، وأبو الحارث . وإنما ابتدأنا به لأنه أشرف الحيوان المتوحش ، إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته ، وقساوته وشهامته ، وجهامته وشراسة خلقه ، ولذلك يضرب به المثل فى القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام والجرأة والصولة ، ومنه قيل لحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه : أسد الله ، ويقال : من نبل الأسد إنه اشتق لحمزة بن عبد المطلب من اسمه وكذلك لأبى قتادة فارس النبى صلى الله عليه وسلم ، ففى صحيح مسلم فى باب إعطاء القاتل سلب المقتول فقال أبو بكر رضى الله عنه : « كلا والله لانعطيه أضيبعا من قريش وندع أسدا من أسد الله تعالى يقاتل عن الله ورسوله » . وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة . وهو أنواع كثيرة . قال أرسطو : رأيت نوعا منها يشبه وجه الإنسان وجسده شديد الحمرة وذنبه شبيه بذنب العقرب ، ولعل هذا هو الذى يقال له : الورد ، ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر . وأما السبع المعروف فإن أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون : إن الأنثى لاتضع إلا جروا واحدا تضعه لحمة ليس فيه حس ولا حركة فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ، ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فيه المرة بعد المرة حتى يتنفس ويتحرك وتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم تأتى أمه فترضعه ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخلقه ، فإذا مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب . قالوا : وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ماليس لغيره من السباع ومن شرف نفسه أنه لايأكل من فريسة غيره فإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها ، وإذا جاع ساءت أخلاقه ، وإذا امتلأ من الطعام ارتاض ، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله :

وأترك حبها من غير بغض ... وذاك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجتنب الأســـود ورود ماء إذا كان الكلاب ولغن فيه

وقد ألغز بعضهم فى القلم فقال :

وأرقش مرهوف الشباة مهفهف يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقا ومغربا وتعنوا له ملاكها وتطيع
حمى الملك مفطوما كما كان تحتمى به الأسد فى الآجام وهو رضيع

وإذا أكل نهس من غير مضغ ، وريقه قليل جدا ، ولذلك يوصف بالبخر ، ويوصف بالشجاعة والجبن . فمن جبنه : أنه يفزع من صوت الديك ، ونقر الطست ، ومن السنور ، ويتحير عند رؤية النار ، وهو شديد البطش ، ولا يألف شيئا من السباع لأنه لا يرى فيها مايكافئه ، ومتى وضع جلده على شيء من جلودها تساقطت شعورها ، ولايدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد ، ولايزال محموما ، ويعمر كثيرا ، وعلامة كبره سقوط أسنانه .

روى ابن سبع السبتى فى شفاء الصدور عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : أنه خرج فى بعض أسفاره ، فبينما هو يسير إذ هو بقوم وقوف فقال : مالهؤلاء القوم ؟ قالوا : أسد على الطريق قد أخافهم ، فنزل عن دابته ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه ونحاه عن الطريق ، ثم قال له : ما كذب عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله «إنما سلطت على ابن آدم لمخافته غير الله ، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله تعالى لم تسلط عليه ، ولو لم يرج إلا الله تبارك وتعالى لما وكله إلى غيره » .

وفى سنن أبى داود من حديث عبد الرحمن بن آدم ، وليس له عنده سواه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض وكأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل ، وأنه يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويفيض المال ، وتقع الأمنة فى الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل ، والنمر مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات ، ولا يضر بعضهم بعضا ؛ ثم يبقى فى الأرض أربعين سنة ، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه» .

وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة ثور بن يزيد قال : بلغنى أن الأسد لايأكل إلا من أتى محرما . وقصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأسد مشهورة ، رواها البزار والطبرانى وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم ، وذكر البخارى فى تاريخه أنه بقى إلى زمن الحجاج روى محمد بن المنكدر عنه أنه قال : ركبت سفينة فى البحر فانكسرت فركبت لوحا فأخرجنى إلى أجمة فيها أسد ، فأقبل إلى فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا تائه ، فجعل يغمزنى بمنكبه حتى أقامنى على الطريق ، ثم همهم ، فظننت أنه السلام . وفى دلائل النبوة للبيهقى عن ابن المنكدر أيضا أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ الجيش

بأرض الروم ، وأسر فى أرض الروم ، فانطلق هاربا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد فقال له : يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أمرى كيت وكيت ، فأقبل الأسد يبصبص حتى قام إلى جنبه ، وكلما سمع صوتا أهوى إليه ، ثم يمشى إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ، فرجع الأسد. واختلف فى اسم سفينة رضى الله عنه فقيل : رومان ، وقيل : مهران . وقيل : طهمان . وقيل : عمير . روى مسلم له حديثا واحدا والترمذى والنسائى وابن ماجه ودعا النبى صلى الله عليه وسلم على عتبة بن لهب فقال « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » فافترسه الأسد بالزرقاء من أرض الشأم ، رواه الحاكم من حديث أبى نوفل بن أبى عقرب عن أبيه ، وقال : صحيح الإسناد . وروى الحافظ أبو نعيم بسنده إلى الأسود بن هبار قال : تجهز أبو لهب وابنه عتبة نحو الشأم فخرجت معهما فنزلنا الشراة قريبا من صومعة راهب ، فقال الراهب : ما أنزلكم ههنا هنا سباع فقال أبو لهب : أنتم عرفتم سنى وحقى ، قلنا : أجل . قال : إن محمدا دعا على ابنى فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة ، ثم افرشوا لابنى عليه وناموا حوله ، ففعلنا ذلك وجمعنا المتاع حتى ارتفع ودرنا حوله وبات عتبة فوق المتاع ، فجاء الأسد فشم وجوهنا ثم وثب ، فإذا هو فوق المتاع فقطع رأسه فقال : سينى يا كلب ، ولم يقدر على غير ذلك . وفى رواية : فوثب الأسد فضربه بيده ضربة واحدة فخدشه ، فقال : قتلنى فمات لساعته ، وطلبنا الأسد فلم نجده ، وإنما سماه النبى صلى الله عليه وسلم كلبا لأنه يشبهه فى رفع رجله عند البول .

(فائدة) روى البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « فر من المجذوم فرارك من الأسد » وفى حديث آخر « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم ، وقال باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه ، وأدخلها معه الصحفة » قال الشافعى رحمه الله فى عيوب الزوجين : إن الجذام والبرص يعدى ، وقال : إن ولد المجذوم قلما يسلم منه . قلت : ومعنى قول الشافعى رضى الله عنه إنه يعدى أى بتأثير الله تعالى لا بنفسه لأن الله تعالى أجرى العادة بابتلاء السليم عند مخالطة المبتلى ، وقد يوافق قدرا وقضاء ، فيظن أنه عدوى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا عدوى ولا طيرة » كما سيأتى ذلك إن شاء الله تعالى . وأما قوله فى الولد : قلما يسلم منه ، فقد قال الصيدلانى : معناه : أن الولد قد ينزعه عرق من الأب فيصير أجذم . وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل قال له : إن امرأتى قد ولدت غلاما أسود « لعل عرقا نزعه » وبهذا الطريق يحصل الجمع بين هذه الأحاديث ، وجاء فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال « لا يورد ذو عاهة على مصح » وأنه صلى الله عليه وسلم أتاه مجذوم ليبايعه ، فلم يمد يده إليه بل قال له : « أمسك يدك فقد بايعتك » وفى مسند الإمام أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تطيلوا النظر إلى المجذوم ، وإذا كلمتموه فليكن بينكم وبينه قدر رمح » وقد ذكر الشيخ صلاح الدين العراقى

فى القواعد أن الأم إذا كان بها جذام أو برص سقط حقها من الحضانة، لأنه يخشى على الولد من لبنها ومخالطتها، واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « لايورد ذوعاهة على مصح » والذى ذكره ظاهر وهو المختار، ويؤيده ما أفتى به ابن تيمية صاحب المحرر من الحنابلة رحمه الله، وصرح به أئمة المالكية : أن المبتلى لو أراد مساكنة الأصحاء فى رباط أوغيره منع إلا بإذنهم، ولو كان ساكنا وابتلى أزعج وأخرج . وأما أصحابنا فصرحوا بأن الأمة إذا كان سيدها مجذوما وجب عليها تمكينه من الاستمتاع، وهذا مع إشكاله قد أورد فى الروضة فى الزوجة المختارة للمقام مع الزوج المجذوم، وقد يفرق بينهما بقوة الملك ، والله أعلم. وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لامرأة «أكلك الأسد فأكلها » وروى الطبرانى ، وأبو منصور الديلمى والحافظ المنذرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أتدرون مايقول الأسد فى زئيره ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنه يقول : اللهم لاتسلطنى على أحد من أهل المعروف » .

(فائدة أخرى) روى ابن السنى فى عمل اليوم والليلة من حديث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أنه قال : إذا كنت بواد تخاف فيه الأسد فقل : أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد. اه . أشار بذلك إلى مارواه البيهقى فى الشعب : أن دانيال عليه السلام طرح فى جب وألقيت عليه السباع ، فجعلت السباع تلحسه وتبصبص إليه، فأتاه ملك فقال يا دانيال، فقال : من أنت؟ فقال : أنا رسول ربك أرسلنى إليك بطعام، فقال دانيال : الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره اه .

وروى ابن أبى الدنيا أن بختنصر ضرى أسدين وألقاهما فى جب وأمر بدانيال فألقى عليهما فمكث ما شاء الله ، ثم إنه اشتهى الطعام والشراب، فأوحى الله تعالى إلى أرمياء وهو بالشأم أن يذهب إلى دانيال بطعام وشراب وهو بأرض العراق، فذهب به إليه حتى وقف على رأس الجب وقال : دانيال دانيال، فقال : من هذا ؟ فقال : أرمياء ، فقال : ماجاء بك ؟ قال : أرسلنى إليك ربك ، فقال دانيال : الحمد لله الذى لاينسى من ذكره، والحمد لله الذى لايخيف من رجاه ، والحمد لله الذى من وثق به لايكله إلى سواه ، والحمد لله الذى يجزى بالإحسان إحسانا ، والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة وغفرانا، والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا ، والحمد لله الذى هو ثقتنا حين يسوء ظننا بأعمالنا ، والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل منا. ثم روى ابن أبى الدنيا من وجه آخر : أن الملك الذى كان دانيال فى سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم ، فقالوا له : إنه يولد فى ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك ، فأمر بقتل كل من يولد فى تلك الليلة ، فلما ولد دانيال ألقته أمه فى أجمة أسد ولبوة فبات الأسد ولبوته يلحسانه، فنجاه الله تعالى بذلك حتى بلغ ما بلغ ، وكان من أمره ما قدره

العزيز العليم . ثم روى بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أنه قال : رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه خاتما نقش فصه أسدان بينهما رجل وهما يلحسان ذلك الرجل فقال أبو بردة : هذا خاتم دانيال أخذه أبو موسى حين وجده ودفنه ، فسأل أبو موسى علماء تلك البلدة عن ذلك فقالوا : إن دانيال نقش صورته وصورة الأسدين وهما يلحسانه في فص خاتمه كما ترى لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك اه . فلما ابتلى دانيال عليه السلام بالسباع أولا وآخرا جعل الله تعالى الاستعاذة به في ذلك تمنع شر السباع التي لا تستطاع .

وفي المجالسة للدينوري عن معاذ بن رفاعة قال : مر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي عليه السلام فسمع صوتا من القبر يقول : سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت ، فمضى فإذا هو بصوت من السماء : أنا الذي تعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت ، من قالهن استغفرت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ، وكان دانيال عليه السلام قد آتاه الله تعالى النبوة والحكمة ، وكان في أيام بختنصر . قال أهل التاريخ : إن بختنصر أسر دانيال مع من أسر من بني إسرائيل وحبسهم ، ثم رأى بختنصر رؤية أفزعته وعجز الناس عن تعبيرها ففسرها دانيال فأعجبه وأكرمه . قالوا : وقبره بنهر السوس ، ووجده أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فأخرجه وكفنه وصلى عليه ، ثم أقبره في نهر السوس وأجرى عليه الماء . وفي المجالسة أيضا قال عبد الجبار بن كليب : كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر فعرض لنا الأسد فقال إبراهيم : قولوا : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واحفظنا بركنك الذي لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله . قال : فولى الأسد عنا هاربا . قال : فأنا أدعو به عند كل أمر مخوف فما رأيت إلا خيرا .

(فائدة) قال بعض العلماء المحققين : ومما جرب لإذهاب الخوف والهم والغم أن يكتب هاتين الآيتين ويحملهما فإن الله تعالى يبارك له في جميع أحواله وينصره على أعدائه ، وهما ينفعان للأمراض الباطنة وكل ألم يحدث في بدن الإنسان ، وكل آية منهما تجمع الحروف المعجمة بأسرها وتكتب في إناء نظيف وتمحى بدهن ورد أو زيت طيب أو شيرج ، ويطلى به الألم كالدمل والطلوع والحرارة والريح والتآليل والنفخ والقروحات بأسرها ، فإنه يزول ويبرأ من يومه في الغالب كما جرب مرارا ، وهما من الأسرار المخزونة ، كذا قاله شيخنا اليافعي رحمه الله الآية الأولى من سورة آل عمران قوله تعالى — ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا — إلى قوله تعالى — عليم بذات الصدور — الآية الثانية من سورة الفتح قوله تعالى — محمد رسول الله — إلى آخر السورة انتهى .

وذكر بعض أهل التاريخ : أن ملكا من الملوك خرج يدور في ملكه فوصل إلى قرية

عظيمة فدخلها منفردا فأخذه العطش، فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز فيه ماء وناولته إياه ، فلما نظرها افتتن بها فراودها عن نفسها، وكانت المرأة عارفة به ، فعلمت أنها لاتقدر على الامتناع منه ، فدخلت وأخرجت له كتابا وقالت انظر فى هذا إلى أن أصلح من أمرى مايجب وأعود ، فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه فإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمرأة وأعطاها الكتاب ومر ذاهبا، وكان زوج المرأة غائبا ، فلما حضر أخبرته الخبر فتحير الزوج فى نفسه وخاف أن يكون وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة ، فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه إلى الملك ، فلما مثل بين يدى الملك قال أقارب المرأة : أعز الله مولانا الملك ، إن هذا الرجل قد استأجر منا أرضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلاهو يزرعها ولاهو يتركها لنؤجرها لمن يزرعها، وقد حصل الضرر للأرض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت . فقال الملك لزوج المرأة : ما يمنعك من زرع أرضك؟ فقال : أعز الله مولانا الملك، إنه قد بلغنى أن الأسد دخل أرضى وقد هبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمى بأن لاطاقة لى بالأسد، ففهم الملك القصة فقال ياهذا إن أرضك أرض طيبة صالحة للزرع فازرعها بارك الله لك فيها فإن الأسد لن يعود إليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه .

وفى تاريخ ابن خلكان : أنه لما دخل المازيار على المعتصم ، وكان قد اشتد غضبه عليه فقيل له : يا أمير المؤمنين لا تعجل فإن عنده أموالا جمة ، فأنشد المعتصم بيت أبى تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

وقد أحسن خالد الكاتب حيث قال :

علم الغيث النـدى حتى إذا ... ماوعاه علم البأس الأسـد

فإذا الغيث مقر بالنـدى ... وإذا الليث مقر بالجلـد

ومن شعره :

ظفـر الحب بقلب دنف ... بك والسقم بجسم ناحل

وبكى العاذل لى من رحمتى ... فبكائى لبـكاء العاذل

وكان خالد شيخا كبيراً تأخذه السوداء أيام الباذنجان وكان الصبيان يتبعونه ويصيحون به ياخالديابارد، فأسند ظهره يوما إلى قصر المعتصم وقال لهم كيف أكون باردا وأنا الذى أقول :

بكى عاذلى من رحمتى فرحمتـه ... وكم مسعـد من مثله ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها ... دموع دموعى لادموع جفونى

وفى روضة العلماء أن نوحا عليه السلام لما غرس الكرمة جاءه إبليس فنفخ فيها فيبست

فاغتم نوح لذلك وجلس متفكرا فى أمرها، فجاءه إبليس وسأله عن تفكره فأخبره فقال له: يانبى الله إن أردت أن تخضر الكرمة فدعنى أذبح عليها سبعة أشياء، فقال: افعل، فذبح أسدا ودبا ونمرا وابن آوى وكلبا وثعلبا وديكا، وصب دماءهم فى أصل الكرمة فاخضرت من ساعتها، وحملت سبعة ألوان من العنب، وكانت قبل ذلك تحمل لونا واحدا، فمن أجل ذلك يصير شارب الخمر شجاعا كالأسد، وقويا كالدب، وغضبان كالنمر ومحدثا كابن آوى، ومقاتلا كالكلب، ومتملقا كالثعلب، ومصوتا كالديك فحرمت الخمر على قوم نوح. ونوح اسمه عبد الجبار، وإنما سمى نوحا لنوحه على ذنوب أمته، وأخوه صابئ بن لامك، وإليه ينسب دين الصابئين فيما ذكروا، والله أعلم.

(تذنيب) كان أبو مسلم الخراسانى واسمه عبد الرحمن بن مسلم بعد فراغه من أمر بنى أمية ينشد كل وقت:

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت ... عنه ملوك بنى مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدى فى دمارهم ... والقوم فى غفلة بالشأم قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

قال ابن خلكان فى ترجمته: وكان أبو العباس السفاح شديد التعظيم لأبى مسلم لما صنعه ودبره؛ فلما مات السفاح وولى أخوه المنصور صدرت من أبى مسلم أشياء أوغرت صدر المنصور عليه وهم بقتله وبقى حائرا بين الاستبداد برأيه فى أمره والاستشارة، فقال يوما لمسلم بن قتيبة: ماترى فى أمر أبى مسلم؟ فقال: ياأمير المؤمنين — لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا — فقال: حسبك يابن قتيبة لقد أودعتها أذنا واعية، ولم يزل المنصور يخدعه حتى أحضره إليه والمنصور بالمدائن فأمر بإدخاله عليه، وكان المنصور قد رتب جماعة لقتله وقال لهم: إذا رأيتمونى قد مسحت بيدى وجهى فاضربوه، فلما أدخل عليه أخذ المنصور يقرّعه بما صدر منه ثم مسح وجهه فبادروه فصاح: استبقنى لأعدائك ياأمير المؤمنين فقال له المنصور: وأى عدو أعدى منك ياعدو الله، فلما قتل هاج أصحابه فأمر المنصور بنثر الدراهم والدنانير عليهم فسكنوا ورمى برأسه إليهم، ثم أدرج فى بساط فدخل على المنصور جعفر بن حنظلة فرأى أبا مسلم فى البساط فقال: ياأمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك، فأنشد المنصور متمثلا:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم أقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم طريح بين يديه، وأنشد:

زعمت أن الدين لايقتضى ... فاستوف بالكيل أبا مجرم
اشرب بكأس كنت تسقى بها ... أمرّ فى الحلق من العلقم

وكان يقال له أبو مجرم أيضا ، وفيه يقول أبو دلامة :

أبا مجرم ماغـير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد
أفى دولة المنصور حاولت غدرة ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوّفتنى القتل فانتحى عليك بما خوفتنى الأسد الورد

ولما قتله المنصور خطب الناس فذكر أن أبا مسلم أحسن أولا وأساء آخرا ثم قال فى آخر خطبته وما أحسن ماقال النابغة الذبيانى للنعمان بن المنذر :

فمن أطاعك فانفعه لطاعتـه كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصـاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

والضمد بفتح الضاد المعجمة والميم : الحقد وكان قتله فى شعبان سنة ست أوسبع وثلاثين ومئة . قال ابن خلكان وغيره : وكان أبو مسلم قد سمع الحديث وروى عنه ، وأنه خطب يوما فقام إليه رجل فقال : ما هذا السواد الذى أراه عليك ؟ فقال أبومسلم : حدثنى أبوالزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء» وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة يا غلام اضرب عنقه ، قلت حديث جابر هذا فى صحيح مسلم . قال ابن الرفعة : وفى الحديث الصحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر وعلى رأسه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه» وهو أيضا فى صحيح مسلم . قال ابن الرفعة ومن ثم كان شعار بنى العباس فى الخطبة السواد اه . قيل : أحصى من قتله أبو مسلم صبرا وفى حروبه فكانوا ست مئة ألف . واختلف فى نسبه فقيل من العرب ، وقيل من العجم ، وقيل من الأكراد . وروى : أنه قيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله : أبومسلم خير أم الحجاج ؟ فقال : لا أقول إن أبا مسلم كان خيرا من أحد ، ولـكن كان الحجاج شرا منه اه . وكان أبو مسلم فصيحاً عالما بالأمور ، ولم يرقط مازحا ، ولم يظهر عليه سرور ولاغضب ولايأتى النساء إلامرة واحدة فى السنة ، وكان يقول : الجماع جنون ويكفى الإنسان أن يجن فى السنة مرة واحدة .

وروى أنه قيل لأبى مسلم : ما كان سبب خروج الدولة عن بنى أمية ؟ قال : لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم ، وأدنوا أعداءهم تألفا لهم ، فلم يصر العدو صديقا بالدنو ، وصار الصديق عدوا بالإبعاد . وكان أبو مسلم ممن دولة بنى أمية ومحى دولة بنى العباس .

وذكر ابن الأثير وغيره أن أبا جعفر المنصور لما حاصر ابن هبيرة قال : إن ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء ، فبلغ ذلك ابن هبيرة فأرسل إليه أنت القائل كذا وكـذا فابرز إلىّ لترى ، فأرسل إليه المنصور ماأجد لى ولك مثلا فى ذلك إلا كأسد لقى خنزيرا فقال له الخنزير بارزنى ، فقال له الأسد : ما أنت لى بكفء ، فإن نالنى منك سوء كان ذلك عارا علىّ ، وإن قتلتك قتلت خنزيرا فلم أحصل على حمد ولا فى قتلى لك فخر ؛ فقال له الخنزير : إن لم تبارزنى

لأعرفن السباع أنك جبنت عنى ، فقال الأسد : احتمال عار كذبك أيسر من تلطخ راحتى بدمك

(الحكم) قال الشافعى وأبو حنيفة وأحمد وداود والجمهور : يحرم أكل الأسد لما روى مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «كل ذى ناب من السباع فأكله حرام» قال أصحابنا : المراد بذى الناب مايتقوّى بنابه ويصطاد . وفى الحاوى للماوردى قال الشافعى : إنه ماقويت أنيابه فعدا بها على الحيوان طالبا غير مطلوب فكان عدوه بأنيابه علة تحريمه . وقال أبو إسحاق المروزى : هو ما كان عيشه بأنيابه فإن ذلك علة تحريمه . وقال أبو حنيفة : هو ما افترس بأنيابه وإن لم يبتدىء بالعدو وإن عاش بغير أنيابه . فهذه ثلاث علل أعمها علة أبى حنيفة ، وأوسطها علة الشافعى ، وأخصها علة المروزى ؛ فعلى العلتين الأوليين يحل الضبع لأنه يتناوم حتى يصطاد ، وتحل السنانير على قول الشافعى لأنها لم تتقو بأنيابها وتكون مطلوبة لضعفها ، لكن قد صحح الأصحاب تحريمها كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة . ويحل ابن آوى على ما علله الشافعى لأنه لا يبتدئ بالعدو ، ويحرم على ماعلله المروزى لأنه يعيش بنابه ، وهذا هو الأصح كما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى . وقال مالك : يكره أكل كل ذى ناب من السباع ولايحرم ، واحتج أصحابنا بقوله تعالى — قل لاأجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه — الآية ، واحتج أصحابنا بالحديث المذكور ، قالوا : والآية ليس فيها إلا الإخبار بأنه لم يجد فى ذلك الوقت محرما إلا المذكورات فى الآية ثم أوحى إليه بتحريم كل ذى ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به قال الشافعى رضى الله عنه : ولأن العرب لم تأكل أسدا ولا ذئبا ولا كلبا ولا نمرا ولا دبا ، ولا كانت تأكل الفأر ولا العقارب ولا الحيات ولا الحدأة ولا الغربان ولا الرخم ولا البغاث ولا الصقور ولا الصوائد من الطير ، ولا الحشرات . وأما بيع الأسد فلايصح لأنه لا ينتفع به ، وحرم الله أكل فريسته .

(الأمثال) إنما كانت العرب أكثر أمثالها مضروبة بالبهائم ، فلا يكادون يذمون ولا يمدحون إلا بذلك لأنهم جعلوا مساكنهم بين السباع والأحناش والحشرات فاستعملوا التمثيل بها ، لذلك روى الإمام أحمد بإسناد حسن والحسن بن عبد الله العسكرى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل . فلذلك ذكر العسكرى فى كتابه [الأمثال] ألف حديث مشتملة على ألف مثل من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، فما يخص الأسد من ذلك أنهم قالوا : أكرم من الأسد ، وأبخر من الأسد ، وأكبر من الأسد ، وأشجع من الأسد ، وأجرأ من الأسد ، وضربوا المثل بالخوف من الأسد . قال مجنون ليلى واسمه عامر بن قيس ، على خلاف فيه :

يقولون لى يوما وقد جئت حيهم ... وفى باطنى نار يشب لهيبها
أما تخشى من أسدنا فأجبتهم ... هوى كل نفس أين حل حبيبها

وضربوا المثل أيضا بأسد الشرى ، وهو طريق بسلمى كثيرة الأسد . قال الفرزدق :

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

قيل : معنى يستبيلها : يأخذ أولادها .

وينسب إلى الفرزدق مكرمة يرجى له بها الجنة، وهى أنه لما حج هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه طاف بالبيت، وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام ، فنصب له كرسى وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشأم ، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، وكان من أجمل الناس وجها ، وأطيبهم أرجا، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشأم لهشام: من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشأم، وكان الفرزدق حاضرا فقال: أنا أعرفه، فقال الشامى من هو يا أبا فراس ؟ فقال الفرزدق :

هـذا ابن خير عباد الله كلهم هـذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رأتـه قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحتـه ركن الحطيم إذا مـا جاء يستلم
فى كـفه خيزران ريحـه عبق من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته فـا يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعتـه طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجـده أنبيـاء الله قـد ختموا
الله شرفـه قدمـا وعظمـه جرى بذاك له فى لوحه القلم
وليس قولك من هـذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يـديه غياث عم نفعهما تستوكفان ولا يعروهما عـدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام إذا افتدحوا حـلو الشمائل يحـلو عنـده نعم
مـا قال لا قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالإحسان فانقشعت عنها الغياهب والإملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهمو منجى ومعتصم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... فى كل بدء ومختوم به الكلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم ... لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فغضب هشام على الفرزدق وأمر بحبسه ، فأنفذ له زين العابدين اثنى عشر ألف درهم فردها وقال : مدحته لله تعالى لا للعطاء، فأرسل إليه زين العابدين وقال له: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده ، والله عز وجل يعلم نيتك ويثيبك عليها ، فشكر الله لك سعيك ، فلما بلغته الرسالة قبلها . والفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه، والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة، وإنما لقب به لأنه أصابه جدرى وبرئ منه فبقى وجهه جهما محمرا منتفخا . وقيل لقب به لغلظه وقصره. قال ابن خلكان ومحمد بن سفيان أحد أجداد الفرزدق هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد فى الجاهلية ، فإنه لا يعرف أحد سمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة كان آباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وباسمه ، وكان كل منهم قد خلف زوجته حاملا ، فنذر كل منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك . وهم : محمد بن سفيان ابن مجاشع جد الفرزدق ، والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح ، أخو عبد المطلب لأمه ، والآخر محمد بن حمران بن ربيعة ؛ وأما أحمد فلم يتسم به أحد قبله صلى الله عليه وسلم .

(فائدة) قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثنا الليث قال : حدثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لما حمل نوح عليه السلام فى السفينة من كل زوجين اثنين قال له أصحابه : وكيف نطمئن أو تطمئن مواشينا ومعنا الأسد؟ فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت فى الأرض، فهو لا يزال محموما؛ ثم شكوا الفأرة فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا وشرابنا ومتاعنا، فأوحى الله تعالى إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها» وهذا مرسل. وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة وهب ابن منبه أنه قال « لما أمر نوح عليه السلام أن يحمل من كل زوجين اثنين قال: يارب كيف أصنع بالأسد والبقر ، وكيف أصنع بالعناق والذئب؟ وكيف أصنع بالحمام والثعلب؟ فأوحى الله تعالى إليه : من ألقى بينهم العداوة؟ فقال : أنت يارب ، قال عز وجل : فإنى أؤلف بينهم فلا يتضررون» .

(الخواص) قال عبد الملك بن زهر صاحب الخواص المجربة : من لطخ بشحم الأسد جميع

بدنه هربت منه السباع ولم ينله منها مكروه، وصوته يأكل التماسيح إذا سمعته، ومرارة الذكر منه تحل المعقود عن النساء إذا سقى منها فى بيضة فى مستهل الشهر . ومن علق عليه قطعة من جلده بشعرها أبرأته من الصرع قبل البلوغ ، فإن كان الصرع قد أصابه بعده لم تنفعه ، وإذا أحرق من شعره فى مكان هربت منه سائر السباع ، ولحمه ينفع من الفالج ، وإذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق مع ثياب لم يصبها السوس ولا الأرضة، وسنه إذا استصحبها إنسان معه أمن من وجع الأسنان، وشحمه إذا طلى به اليدان والرجلان أمنت من مضرة البرد ، وإذا طلى به البدن لم يقربه القمل ، وذنبه إذا استصحبه إنسان لا تؤسر فيه حيلة محتال . وقال هرمس : الجلوس على جلد الأسد يذهب البواسير والنقرس . قال : ومن أخذ من شحم جبهته وذوبه بدهن ورد ومسح به وجهه هابه الملوك وجميع الناس . وقال الطبرى : الاكتحال بمرارة الأسد يحد البصر . قال : ومرارة الأسد إذا سقى منها وزن دانق للبرقان بماء بزر قطونا ونعناع نفع نفعا بينا ، وخصيته إذا ملحت ببورق أحمر ومصطكى وجففت وسحقت وخلطت بسويق وشربت نفعت من جميع الأوجاع التى فى الجوف مثل المغص والقولنج والبواسير والزحير ووجع الأرحام وتشرب بماء حار على الريق ، ودماغ الأسد يداف بزيت عتيق ويدهن به الاختلاج والارتعاش يذهبهما، ومن دهن وجهه وجميع بدنه يشحم الأسد ذهب عنه الكسل والكلف وكل عيب يكون فى الوجه، وزبله إذا جفف وخلط به الدلوك الذى يتدلك به نفع البهق الظاهر وهو نافع لذلك جدا وإن سقى منه أى من زبله إنسان لا يصبر عن الخمر، ولا يعلم به وزن دانق أبغضه حتى لا يشربه ولا يشتهى أن يراه . ومرارته تداف بالعسل ويجعل منها على الخنازير تزول وشحمه إذا دق بالثوم وطلى به إنسان جسده لم تقربه السباع ، والله أعلم .

(التعبير) الأسد فى المنام : سلطان شديد البطش والبأس ظالم غاشم مجاهر متسلط بجراءته لا يأمنه صديق ولا عدو، ويعبر أيضا بعدو مسلط، وربما دل على الموت لأنه يقبض الأرواح وربما دلت رؤيته على عافية المريض؛ فمن رأى أسدا من حيث لا يراه وهرب منه الرائى فإنه ينجو مما يخاف وينال حكما وعلما لقوله تعالى — ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين — فإن كان قد استقبله وهرب منه نال هما من ذى سلطان، ثم ينجو من الهلاك والمرض ، ومن رأى أن أسدا صرعه ولم يقتله فإنه يحم حمى دائمة لأن الأسد لا تفارقه الحمى كما تقدم ، أو يسجن لأن الحمى سجن المؤمن ، وربما دلت مصارعته على المرض . ومن رأى أنه أخذ شيئا من شعره أو عظمه أو لحمه نال مالا من سلطان أو من عدو؛ ومن رأى أنه ركب أسدا وهو يخافه فإنه يقع فى بلية، فإن كان لا يخافه قهر عدوا، فإن ضاجعه وهو لا يخافه أمن من عدوه، ومن رأى أسدا يثب على الناس فإن السلطان يظلم رعيته؛ ومن رأى أنه أكل رأس أسد نال ملكا ؛ ومن رأى أنه يرعى أسدا فإنه يؤاخى ملكا ظالما؛ ومن رأى أنه أخذ

جرو أسد فى حجره فإن امرأته تضع غلاما إن كنت حاملا، وإلافإنه يحمل ولد أمير فى حجره كما عبره ابن سيرين رحمه الله؛ ومن رأى أن أسدا قد زاره فإنه يمرض ؛ ومن رأى أن الأسد قد قتله فإن كان عبدا فإنه يعتق وإلا حصل له خوف من سلطان ، وصوت الأسد يدل على تهدد من سلطان ؛ ومن رأى أن أسدا يتملق له جرى على يديه أمور عجيبه ،وربما دل على قهر عدو ، والله أعلم .

(تتمة) قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه : لو يعلم الناس مافى علم الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد . قال فى الإحياء : فإن قلت : تعلم الجدال والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس فى هذا غلوا وإسرافا . فمن قائل : إنه بدعة وحرام ، وإن العبد إن لقى الله تعالى بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام . ومن قائل : إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو فرض عين ، وإنه من أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى : وممن ذهب إلى التحريم : الشافعى ، ومالك ، والإمام أحمد ، وسفيان ، وأهل الحديث قاطبة :

قال ابن عبد الأعلى : سمعت الشافعى يوم ناظر حفصا القرد ،وكان من متكلمى المعتزلة يقول : لأن يلقى الله تبارك وتعالى العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام . وقال أيضا : قد اطلعت لأهل الكلام على شىء ماظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل مانهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام .

وحكى الكرابيسى : أن الشافعى سئل عن شىء من الكلام، فغضب وقال : يسئل عن هذا حفص القرد وأصحابه أخزاهم الله . ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص القرد فقال له : من أنا ؟ فقال : أنت حفص القرد لاحفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه . وقال أيضا : إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ، ولا دين له . وقال أيضا : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : لايفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا ينظر فى الكلام إلا وفى قلبه مرض ، وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه لتصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة ، وقال له : ويحك ، ألست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة كلام أهل البدعة والتفكر فيه ، فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث ؟ وقال أحمد أيضا : علماء الكلام زنادقة .

وقال مالك : لاتجوز شهادة أهل البدع والأهواء . قال بعض أصحابه فى تأويل ذلك : إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا .

وقال أبو يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق .

وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ، ولا يحصر مانقل عنهم من التشديدات فيه. وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن المحظور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض ، وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم يعهدها الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، فالأمر فى ذلك قريب إذ مامن علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير وتصنيف الفقه من وضع الصور النادرة التى لاتتفق إلا على الندور ، إما إدخارا ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشحيذا للخاطر ، فنحن أيضا نرتب طريق المحاجة لتوقع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لايعجز عنها عند الحاجة إليها على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال . قال : فإن قلت : فما المختار فيه عندك ؟ فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه فى كل حال ، أو بمدحه فى كل حال خطأ ، بل لابد فيه من التفصيل .

فاعلم أولا أن الشىء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة . وأعنى بقولى لذاته أن علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الإسكار والموت . وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار . وإباحة تجرع الخمر لإساغة مايغص به الإنسان من الطعام إذا لم يجد مايسيغه به سوى الخمر . وقد يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت الخيار والبيع وقت النداء ، وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الإضرار ، وهذا ينقسم إلى مايضر قليله وكثيره ، فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره ، وإلى مايضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثرته تضر بالمحرور وكأكل الطين ، وكأن إطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال . فإن تصدى لشىء تقابلت فيه الأحوال فالأولى أن يفصل ، فنرجع إلى علم الكلام ونقول : إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال ، وهو باعتبار مضرته فى وقت الإضرار حرام ، فأما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم ، وذلك مما يحصل فى حالة الإبداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه وتختلف فيه الأشخاص ، فهذا ضرره فى الاعتقاد ، وله ضرر أيضا فى تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيته فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ، ولكن هذا الضرر يحصل بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل . وأما منفعته : فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ماهى عليه وهيهات هيهات ، بل منفعته شىء

واحد وهو حراسة العقيدة على العوام ، وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل إذ العامى ضعيف يستفزه جدل المبتدع ، والناس متعبدون بصحة العقيدة التى أجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة ، وهو من فروض الكفاية كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما ، ومالم تستعد العلماء لنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لايدوم ، ولو ترك بالكلية لاندرس ، وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم يتعلم فينبغى أن يكون التدريس فيه أيضا من فروض الكفايات ، لكن ليس من الصواب تدريسه على العوام كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء ، وضرر الغذاء لايحذر وضرر الدواء محذور . فإن قيل : قد جعل جماعة التوحيد عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بمناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدق فيها بكثرة الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد .

فاعلم أن التوحيد عبارة عن أمر آخر لايفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به ، وهو أن نرى الأمور كلها من الله رؤية تقطع الإلتفات إلى الأسباب والوسائط ، فلا ترى الخير والشر إلا منه تبارك وتعالى ، وهذا مقام شريف . فالتوحيد جوهر نفيس له قشران . أحدهما : أبعد عن اللب من الآخر ، وهو أن تقول بلسانك : لاإله إلا الله ، وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى تصرح به النصارى لكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره . وأما القشر الثانى . فأن لايكون فى القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به ، وهذا توحيد عوام الخلق ، والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة ، فخصص الناس الاسم بهذين القشرين وتركوا لبابهما وأهملوه بالكلية . واللباب هو التوحيد المحض ، وهو أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط ، وأن تعبده عبادة تفرده بها فلا تعبد غيره . وإتباع الهوى يخرج عن هذا التوحيد فكل متبع هواه قد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى — أفرأيت من اتخذ إلهه هواه — وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد فى الأرض عند الله هو الهوى » وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم إنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ، ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم ، فإن من يرى الكل من الله تعالى كيف يسخط على غيره ، فالتوحيد عبارة عن هذا المقام ، وهو من مقامات الصديقين ، فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع ، فالموحد هو الذى لايرى إلا الواحد ، ولا يتوجه وجهه إلا إليه : أى يكون قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص اه .

وقد تكلمت على هذا المقام فى كتابنا [الجوهر الفريد فى علم التوحيد] بكلام يشفى النفس ويزيل اللبس ، وهو كلام طويل مشبع جمعت فيه غالب أقوال الصحابة والعلماء فليراجع ، وهو فى الجزء الثامن من الباب الخامس من كتاب [التوحيد] فليراجع .

واعلم أنه قد تقدم أن تعلم علم النجوم مذموم فنقول : قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا » وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتى بعدى ثلاثا : حيف الأئمة ، والإيمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تعلموا من النجوم ماتهتدوا به فى البحر والبر ثم أمسكوا . وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه . أحدها : أنه مضر بأكثر الخلق ، فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة ، وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ، ويرى الشر والخير محذورا من جهتها ومرجوا منها ، وينمحى ذكر الله تعالى من القلب ، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى . الوجه الثانى : أن أحكام النجوم تخمين محض ، وليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لايقينا ولا ظنا ، فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لامن حيث إنه علم ، وقد كان ذلك علما لإدريس عليه السلام فيما يحكى ، وقد اندرس ذلك العلم وانمحق وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ؛ ولا يحصل المسبب عقبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع عليها ، فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة وإن لم يقدر أخطأ ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك ، وربما يحمى النهار بالشمس ويتبدد الغيم ؛ وربما يكون بخلافه ، فإن مجرد الغيم ليس كافيا فى مجىء المطر ، وبقية الأسباب لاتدرى ، وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ماألفه من العادة فى الرياح ، ولتلك الرياح أسباب خفية لايطلع عليها الملاح فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ ، ولهذه العلة يمنع القوم عن النجوم . الوجه الثالث : أنه لافائدة فيه ، فأقل أحواله أنه خوف فى فضول لايغنى وتضييع للعمر الذى هو أنفس بضائع الإنسان بغير فائدة ، وغايته الخسران ، فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال : « ماهذا ؟ قالوا : رجل علامة . فقال بماذا ؟ قالوا : بالشعر وأنساب العرب ، فقال : علم لاينفع وجهل لايضر » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فإذا الخوض فى النجوم إنما يشبه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة ، فإن ماقدر كائن والاحتراز غير ممكن ، بخلاف

الطب فإن الحاجة إليه ماسة ، وأكثر أدلته مما يطلع عليه ، وبخلاف التعبير وإن كان تخمينا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه ، ولذلك أكثرنا فى كتابنا هذا من النقل من هذين العلمين لضرورة الحاجة إليهما ، ولقلة الخطأ فيهما لإمكان الاطلاع على أكثر أدلتهما ، والله الموفق للصواب .

﴿ الابل ﴾ : بكسر الباء الموحدة وقد تسكن للتخفيف : الجمال ، وهو اسم واحد يقع على الجمع وليس بجمع ولا اسم جمع إنما هو دال على الجنس كذا قاله ابن سيده . وقال الجوهرى : ليس لها واحد من لفظها ، وهى مؤنثة لأن أسماء الجموع التى لاواحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، وإذا صغرتها أدخلت عليها الهاء ، فقلت أبيلة وغنيمة ونحو ذلك ، وربما قالوا للإبل إبل باسكان الباء كما تقدم والجمع آبال والنسبة إبلى بفتح الباء ، روى ابن ماجه عن عروة البارقى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخير معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة » وفى حديث وهب « تأبل آدم على ابنه المقتول كذا وكذا عاما » لم يصب حواء ، أى امتنع من غشيانها أعواما وتوحش عنها ، ويقال للإبل بنات الليل ، ويقال للذكر والأنثى منها بعير إذا أجذع ويجمع على أبعرة وبعران ، والشارف : الناقة المسنة وجمعها شرف ، والعوامل : الإبل ذوات السنامين ، والإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها ، وهو أنها حيوان عظيم الجسم سريع الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ، ويبرك به ، وتأخذ زمامه فأرة فتذهب به إلى حيث شاءت ، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفه ووسائده كأنه فى بيته ويتخذ للبيت سقف ، وهو يمشى بكل هذه ولهذا قال تعالى — أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت — وقد جعلها الله تعالى طوال الأعناق لتثور بالأثقال .

وعن بعض الحكماء أنه حدّث عن الإبل ، وعن بديع خلقها ، وكان قد نشأ بأرض لا إبل فيها ففكر ساعة ثم قال : يوشك أن تكون طوال الأعناق ، وحيث أراد الله تعالى بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى أن ظمأها ليرتفع إلى العشر ، وجعلها ترعى كل شىء نابت فى البرارى والمفاوز مما يرعاه سائر البهائم . وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : لقيت شريحا القاضى ذاهبا فقلت له : أين تريد؟ فقال : أريد الكناسة . فقلت : وما تصنع بالكناسة؟ قال : أنظر إلى الإبل كيف خلقت ، وقال تعالى — وعليها وعلى الفلك تحملون — قرنها بالفلك التى هى السفائن لأنها سفن البر . قال ذو الرمة « سفينة بر تحت خدى زمامها » يريد صيدح التى يخاطبها بقوله :

سمعت « الناس ينتجعون غيثا » فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وصيدح: اسم ناقته، وهذا البيت أنشده سيبويه ورواه برفع الناس على الحكاية: أى سمعت هذه الكلمة، ورواه غيره بالنصب وكل له وجهه؛ وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر الصيدح فى باب الصاد المهملة.

وربما تصبر الإبل عن الماء عشرة أيام، وإنما جعل الله تعالى أعناقها طوالا لتستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل، وفى الحديث «لاتسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم ومهر الكريمة» أى أنها تعطى فى الديات فتحقن بها الدماء، وتمنع من أن يهراق دم القاتل، هذه عبارة الفصيح وفى الحديث «لاتسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى» أى مما يوسع الله تعالى به على الناس، حكاه ابن سيده، والذى نعرفه «لاتسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن جل وعلا» وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «تعاهدوا القرآن، فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها» وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إنما مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها على عقلها أمسكها، وإن أغفلها ذهبت، إذا قام صاحب القرآن بقراءته بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقرأه نسيه» وفيهما عنه أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة» وسيأتى بيان معناه إن شاء الله تعالى فى باب الراء المهملة فى لفظ الراحلة. والإبل أنواع: الأرحبية منسوبة إلى بنى أرحب من همدان. وقال ابن الصلاح إنها من إبل اليمن. والشذقية: إبل منسوبة إلى شذقم، وهو فحل كريم كان للنعمان بن المنذر. والعيدية بكسر العين المهملة: إبل منسوبة إلى بنى العيد، وهم فخذ من بنى مهرة قاله صاحب الكفاية. والمجدية: إبل باليمن منسوبة إلى المجد وهو الشرف. والشدنية: إبل منسوبة إلى فحل أو بلد، قاله فى الكفاية. والمهرية إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان، وهو أبو قبيلة، والجمع المهارى قاله ابن الصلاح، وما قاله الغزالى: من أن المهرية هى الرديئة من الإبل ليس كذلك، ومنها إبل وحشية تسمى إبل الوحش يقولون إنها من بقايا إبل عاد وثمود، ومن لقب الإبل: العيس، وهى الشديدة الصلبة. والشملال: وهى الخفيفة. واليعملة: وهى التى تعمل. والوجناء: وهى الشديدة أيضا، والناجية: وهى السريعة. والعوجاء: وهى الضامرة. والشمردلة: وهى الطويلة. والهجان وهى الإبل الكريمة. والكوماء بضم الكاف: وهى الناقة العظيمة السنام والحرف: وهى الناقة الضامرة. قال كعب بن زهير:

حرف أبوها أخوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شملیل

والقوداء: الطويلة العنق. والشمليل: السريعة، وقوله من مهجنة: أى من إبل كرام هجان، وقوله أبوها أخوها: أى أنها من جنس واحد فى الكرم، وقيل إنها من فحل حمل على أمه فجاءت بهذه الناقة فهو أبوها وأخوها، وكانت الناقة التى هى أم هذه بنت أخرى

من الفحل الأكبر فعمها خالها على هذا ، وهو عندهم من أكرم النتاج ، والقول الأول ذكره أبو على القالى عن أبى سعيد .

ومما يستحسن ويستجاد من كلام كعب رضى الله عنه قوله :

لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل لاتنتهى العين حتى ينتهى الأثر

قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان : ليس لشىء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه إذ يسوء خلقه ويظهر زبده ورغاؤه ، فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج الشقشقة وهى الجلدة الحمراء التى يخرجها من جوفه وينفخ فيها فتظهر من شدقه لايعرف ماهى ، قال الليث : ولا تكون إلا لعربى وفيه نظر . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن الخطب من شقاشق الشيطان شبه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر ولسانه بشقشقته . وروى الحاكم فى حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو جهم فإنى أخاف عليك من شقاشقه » والفحل لاينزو إلا مرة واحدة فى السنة ويطول فيها مكثه وينزل فيها مرارا كثيرة ولذلك يعقبه فتور ووهن ، والأنثى تلقح إذا مضى لها ثلاث سنين ولذلك سميت حقة لأنها استحقت ذلك . قالوا : والجمل أشد الحيوان حقدا . وفى طبعه الصبر والصولة . وذكر صاحب المنطق : أنه لاينزو على أمه . وقد قال : كان رجل فى سالف الدهر ستر ناقة بثوب ثم أرسل ولدها عليها ، فلما عرف ذلك قطع ذكره ، ثم حقد على الرجل حتى قتله . وآخر فعل مثل ذلك فلما عرف أنها أمه قتل نفسه . وكل الحيوان له مرارة إلا الإبل ولذلك كثر صبرها وانقادت ، وكنى الجمل بأبى أيوب ، وإنما يوجد على كبدها شىء يشبه المرارة ، وهى جلدة فيها لعاب يكتحل به ينفع من العشاء العتيق ومن طبعها : أنها تستطيب الشجر الذى له شوك وتهضمه أمعاؤها ، ولا تستطيع فى غالب الأوقات أن تهضم الشعير . ومن عجيب ماذهبت إليه العرب : أنها إذا أصاب إبلها العر كووا السليم ليشفى العليل ، وفى هذا المعنى قال النابغة :

وحملتنى ذنب امرئ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

وأخذ منه غيره فقال :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم فكأننى سبابة المتندم

وأنكر أبو عبيد القاسم بن سلام ذلك . وروى الجماعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال « جاء رجل من بنى فزارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى ولدت غلاما أسود .. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : هل لك من إبل ؟ قال : نعم قال : فما ألوانها ؟

قال : حمر . قال صلى الله عليه وسلم : هل فيها من أورق ؟ قال : إن فيها لورقا . قال : هو ذاك . قال : فأنى أتاها ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : عسى أن يكون نزعه عرق » وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث فى الكلام على لفظ الأسد ، وإنما قال صلى الله عليه وسلم « عسى أن يكون نزعه عرق » ولم يرخص له النبى صلى الله عليه وسلم فى الانتفاء عنه ، والرجل المذكور فى هذا الحديث ضمضم بن قتادة العجلى ، ولم يذكره أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب ، وليس له سوى هذا الحديث ، وهو مسمى فى بعض المسندات ، وذكره عبد الغنى فى الحديث بزيادة حسنة فقال : كانت المرأة من بنى عجل ، فقدم المدينة عجائز من بنى عجل ، فسئلن عن المرأة التى ولدت الغلام الأسود ؟ فقلن : كان فى آبائها رجل أسود . قال : والرجل اسمه ضمضم بن قتادة العجلى . وقال الخطيب أبو بكر : قلن : كان للمرأة جدة سوداء .

(الحكم) يحل أكل الإبل بالنص والإجماع ، قال الله تعالى — أحلت لكم بهيمة الأنعام — وأما تحريم إسرائيل ، وهو يعقوب عليه السلام على نفسه أكل لحوم الإبل وشرب ألبانها فكان ذلك باجتهاد منه على الصحيح . والسبب فى ذلك أنه كان يسكن البدو فاشتكى عرق النسا فلم يجد شيئا يؤلمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمهما . وإسرائيل لفظة عبرانية . وقد اختلف العلماء فى انتقاض الوضوء بأكل لحومها ؛ فذهب الأكثرون إلى أنه لاينتقض الوضوء بأكل لحومها ؛ وذهب الباقون إلى أنه ينتقض الوضوء به ، فممن ذهب إلى الأول الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى . وابن مسعود ، وأبى بن كعب ، وابن عباس وأبو الدرداء ، وأبو طلحة الأنصارى ، وأبو أمامة الباهلى ، وعامر بن ربيعة رضى الله عنهم وجماهير التابعين ، ومالك ، وأبو حنيفة ، والشافعى ، وأصحابهم رحمهم الله . وممن ذهب إلى انتقاض الوضوء به : أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، ويحيى بن يحيى ، وابن المنذر ، وابن خزيمة ، واختاره البيهقى من أصحاب الشافعى وهو قول الشافعى القديم ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر دليله فى باب الجيم فى الجزور . وعن أحمد فى أكل سنامها روايتان ، ولأصحابه فى شرب ألبانها وجهان ، وتكره الصلاة فى أعطانها : وهى الأمكنة التى تأوى إليها بعد الشرب . روى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن البراء بن عازب قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوضوء من لحوم الإبل ، فقال « توضئوا منها » وسئل عن لحوم الغنم فقال : « لاتتوضئوا منها » وسئل عن الصلاة فى مبارك الإبل ، فقال : « لاتصلوا فى مبارك الإبل فإنها مأوى الشياطين » وسئل عن الصلاة فى مرابض الغنم ، فقال : « صلوا فيها فإنها مباركة » وروى النسائى وابن حبان من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الإبل خلقت من الشياطين » .

وأما زكاتها : فالواجب فى كل خمس منها سائمة شاة، وفى عشر شاتان ، وفى خمسة عشر ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، ثم فى خمس وعشرين بنت مخاض ، وفى ست وثلاثين بنت لبون، وفى ست وأربعين حقة، وفى إحدى وستين جذعة، وفى ست وسبعين بنتا لبون، وفى إحدى وتسعين حقتان ، وفى مائة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون، ثم فى كل أربعين بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة وبنت المخاض لها سنة ، وبنت اللبون لها سنتان، والحقة لها ثلاث سنين ، والجذعة لها أربع سنين، والشاة الواجبة لها جذعة ضأن وهى مالها سنة، أو ثنية معز وهى مالها سنتان ، وبقية أحكام الزكاة معروفة .

(تتمة) قال المتولى : إذا أوصى لشخص بإبل جاز أن يعطى ذكر أو أنثى ، فإن أعطى فصيلا أو ابن مخاض لم يلزمه قبوله لأنه لايسمى إبلا .

(الأمثال) روى مسلم والترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الناس كإبل مائة ليس فيها راحلة » يعنى : أن المرضى من الناس قليل ، وسيأتى معناه إن شاء الله تعالى فى باب الراء المهملة فى الراحلة . وقال الأزهرى : معناه : أن الزاهد فى الدنيا الكامل فى الزهد فيها والرغبة فى الآخرة قليل كقلة الراحلة فى الإبل . وقالوا : أشبعهم سبا وراحوا بالإبل . قيل : أول من قاله كعب بن زهير بن أبى سلمى ، يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام . وقالوا : ماهكذا ياسعد تورد الإبل ، يضرب لمن تكلف أمرا لايحسنه . وتمثل بذلك على رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى وغيره . وقالوا : يا إبل عودى إلى مباركك ، يضرب لمن يفر من الشىء الذى لابد له منه .

(الخواص) قال ابن زهير وغيره : إذا وقع بصر الجمل على سهيل مات لوقته . ولحوم الإبل والكباش الحولية الجبلية رديئة كلها ، وإذا أحرق وبر الإبل وذر على الدم السائل قطعه ، وقراده يربط فى كم العاشق فيزول عشقه ، وإذا شرب السكران من بول الجمل أفاق من ساعته ، ولحمه يزيد فى الباه والإنعاظ بعد الجماع ، وبول الإبل ينفع من ورم الكبد ويزيد فى الباه ، ومخ ساق الجمل إذا تحملت به المرأة فى قطنة أو صوفة بعد الطهر ثلاثة أيام وجومعت فإنها تحمل وإن كانت عاقرا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى قريبا فى الكلام على لفظ الإنسان قاعدة ذكرها حذاق الأطباء تعرف بها العاقر من النساء .

(التعبير) قال أهل التعبير : من رأى أنه ملك منها هجمة فى منامه فإنه يدل على أنه يحكم على جماعة ذوى أقدار ويملك مالا طائلا ، وكذلك إذا رأى أنه نال ثلة أو ثاغية أو راغية ، والهجمة : مائة من الإبل ، والثلة : قطيع من الغنم : والثاغية : الشاة . والراغية : الإبل . قالوا : ومن رأى أنه ملك إبلا فى منامه نال عقبى حسنة وسلامة فى دينه ومعتقده لقوله تعالى — أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت — فإن قال : رأيت جمالا فربما دل على الأعمال السيئة لقوله تعالى — ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط — ولقوله تعالى — إنها ترمى بشرر

كالقصر كأنه جمالت صفر – وإن قال : رأيت نعاما وأنا أسرحها فى المنام ، فإنه يدل على تذليل الأمور الصعاب وظهور النعمة عليه لقوله تعالى – والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون – إلى قوله – تسرحون – . ومن رأى أنه يرعى إبلا عرابا : ولى على قوم من الأعراب . ومن رأى إبلا كثيرة فى بلد : فإنها تدل على أمراض وحروب . وقال الجيلى : من رأى أنه يملك إبلا : نال مقدرة وسطوة . وقال أرطاميدوس : من أكل لحم الإبل فى منامه مرض . وقال محمد بن سيرين إمام المعبرين ومن أعلام التابعين : لابأس بأكل لحم الإبل لقوله تعالى – والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون – وستأتى بقيته إن شاء الله تعالى فى باب الجيم فى لفظ الجمل ، والله أعلم .

﴿ الأبابيل ﴾ : واحدته إبالة ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : لاواحد لها ، من لفظها وقيل : واحدها أبول كعجول . وقيل إبيل كسكيت . وقيل إبال كدينار ودنانير . وذكر الفارسى : أنه سمع فى واحده إبالة بالتشديد . وحكى الفراء : إبالة بالتخفيف ، واختلفوا فى قوله تعالى – وأرسل عليهم طيرا أبابيل – فقال سعيد بن جبير : هى طير تعشش بين السماء والأرض وتفرخ ، ولها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب . وعن عكرمة أنها طيور خضر خرجت من البحر لها رءوس كرءوس السباع . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان . وقيل : كانت كالوطاويط . وقال عبادة بن الصامت : أظنها الزرازير . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : هى أشبه شىء بالخطاطيف ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين أنها السنونو الذى يأوى الآن فى المسجد الحرام ، الواحدة سنونة . والأبيل : راهب النصارى ، وكانوا يسمون عيسى ابن مريم عليهما السلام : أبيل الأبيلين .

قال الشاعر :

أما ودماء مائرات تخالها ... على قنة العزى وبالنسر عندما
وما سبح الرهبان فى كل بيعة ... أبيل الأبيلين عيسى ابن مريما
لقد ذاق منا عامر يوم لعلع ... حساما إذا ماهز بالكف صمما

والإبالة بالكسر : الحزمة من الحطب . وفى المثل : ضغث على إبالة : أى بلية على أخرى كانت قبلها ، والله الموفق .

﴿ الأتان ﴾ : بفتح الهمزة وبالتاء المثناة : فوق الحمارة ، ولا تقل : أتانة . ويقال : ثلاث أتن مثل عناق وأعنق . والكثير : أتن وأتن . واستأتن الرجل : أى اشترى أتانا واتخذها لنفسه .

قال محمد بن سلام : حدثنى رجل من قريش قال : خرج خالد بن عبد الله القسرى يوما

يتصيد وهو أمير العراق ، فانفرد عن أصحابه فإذا هو بأعرابي على أتان له هزيل ومعه عجوز فقال له خالد : ممن الرجل ؟ فقال : من أهل المآثر والحسب والمفاخر . قال : فأنت إذن من مضر ، فمن أيها أنت ؟ قال : من الطاعنين على الخيول المعانقين عند النزول . قال : فأنت إذن من عامر ، فمن أيها أنت ؟ قال : من أهل الرفادة والكرم والسيادة . قال : فأنت إذن من جعفر ، فمن أيها أنت ؟ قال : من بدورها وشمومها وليوثها فى خميسها . قال : فأنت إذن من الخواص ، فما أقدمك هذه البلاد ؟ قال : تتابع السنين وقلة رفد الرافدين . قال : فمن أردت بها ؟ قال : أميركم هذا الذى رفعته إمرته وحطته أسرته . قال : فما أردت منه ؟ قال كثرة ماله لاكرم آبائه . قال : ماأراك إلا قد قلت فيه شعرا ، فقال لامرأته : أنشديه ، فقالت : كم تجشمنا مدح اللئيم ، مه اليوم ، إن مدح اللئيم ذل . قال : أنشديه ، فأنشدته :

إليك ابن عبد الله بالجد أرقلت ... بنا البيد عيس كالقسى سواهم
عليهـا كرام من ذؤابة عامر ... أضر بهم جدب السنين العوارم
يردن امرأ يعطى على الحمد ماله ... وهانت عليه فى الثناء الدراهم
فإن تعط مانهوى فهـذا ثناؤنا ... وإن تكن الأخرى فما ثم لائم

فقال له خالد : ياعبد الله ماأعجبك وشعرك ، جئت على أتان هزيل وتزعم أنك جئت على عيس ، وقد ذكرت الرجل فى شعرك بخلاف ماذكرت فى كلامك : فقال : يا ابن أخى ماتجشمنا من مدح اللئيم كان أشد من الكذب فى شعرنا . فقال له خالد : أتعرف خالدا ؟ قال : لا ، قال : فأنا هو خالد . قال : أسألك بالله هو أنت خالد ؟ قال : إى والذى سألتنى به أنا خالد ، وأنا معطيك غير مكافئك ، فقال : ياأم جحش اصرفى وجه أتانك ، فقال لها خالد : لاتفعلى وأقيمى أنت وزوجك ، فقال الرجل : لاوالله لارزأت امرأ درهما بعد أن أسمعته مايكره ، وصرف وجه أتانه ومضى . فقال خالد : بمثل هـذا الفعل نال هذا وآباؤه ماناله .

وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من لبس الصوف ، وحلب الشاة ، وركب الأتن ، فليس فى جوفه من الكبر شىء » وهو كذلك فى الكامل فى ترجمة عبد الرحمن بن عمار بن سعد .

وعن جابر وأبى هريرة رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « براءة من الكبر : لباس الصوف ، ومجالسة فقراء المؤمنين ، وركوب الحمار ، واعتقال العنز ، وأكل أحدكم مع عياله » .

و الاستيعاب وغيره أن زرارة بن عمرو النخعى « قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النصف من رجب سنة تسع فقال : يارسول الله إنى رأيت فى طريق رؤيا هالتنى

قال : وما هى ؟ قال : رأيت أتانا خلفتها فى أهلى قد ولدت جديا أسفع أحوى ، ورأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو ، وهى تقول لظى لظى بصير وأعمى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أخلفت فى أهلك أمة مسرة حملا ؟ قال . نعم ، قال صلى الله عليه وسلم : فإنها قد ولدت غلاما وهو ابنك ، قال : فأنى له أسفع أحوى؟ قال : ادن منى ، فدنا منه ، فقال أبلك برص تكتمه؟ قال : والذى بعثك بالحق نبيا ماعلمه أحد قبلك . قال : فهو ذاك . وأما النار فإنها فتنة تكون بعدى . قال : وما الفتنة يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم : يقتل الناس إمامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس ، وخالف بين أصابعه ، دم المؤمن عند المؤمن أحلى من الماء ، يحسب المسىء أنه محسن ، إن مت أدركت ابنك ، وإن مات ابنك أدركتك . قال : فادع الله لى أن لاتدركنى فدعا له » وقد قال العلماء : إن هذه الفتنة هى الفتنة التى قتل فيها عثمان رضى الله عنه ، والأسفع الأحوى : الأبلق .

(الأمثال) قالوا : كان حمارا فاستأتن . يضرب لمن يهون بعد العز .

(التعبير) الحمارة : امرأة معينة على المعيشة كثيرة الخير ذات ربح متواتر ونسل ، ولفظ الأتان من الإتيان .

﴿ الأخطب ﴾ : كالأحمر يقال إنه الصرد وأنشد :

ولا أتقى من طيرة عن مريرة إذا الأخطب الداعى على الدوح صرصرا

والأخطب : حمار يعلو ظهره خضرة ، وقال الفراء : الخطباء الأتان التى لها خط أسود فى ظهرها ، والذكر أخطب .

﴿ الأخيضر ﴾ : ذباب أخضر على قدر الذباب الأسود قاله ابن سيده .

﴿ الأخيل ﴾ : طائر أخضر فيه على أجنحته لمع تخالف لونه ، وسمى بذلك لخيلان فيه ، وقيل الأخيل : الشقراق ، الآتى فى باب الشين المعجمة ، وهو مشئوم ؛ ولفظه ينصرف فى النكرة إلا إذا سميت به ، ومنهم من لايصرفه فى معرفة ولا نكرة ، ويجعله فى الأصل صفة من التخيل ، ويحتج بقول الشاعر :

ذرينى وعلمى بالأمور وشيمتى فما طائرى فيها عليك بأخيلا

﴿ الأربد ﴾ : ضرب من الحيات يعض فيربد منه الوجه ، ومنه ماحكاه عبدالملك بن عمير قال : رأيت زيادا واقفا على قبر المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وهو يقول :

إن تحت الأحجار حزما وعزما وخصيما ألد ذا معلاق

حية فى الوجار أربد لاينـ ـفع منه السليم نفث الراقى

ثم قال : أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت ، شديد الأخوة لمن آخيت ، والمعلاق بالعين المهملة . قال الجوهرى : يقال رجل ذو معلاق : أى شديد الخصومة ، ثم أنشد

قول الشاعر ، وهو مهلهل :

إن تحت الأحجار حزما وجودا وخصيما ألد ذا معلاق

﴿ الأرخ ﴾ : قال ابن درستويه : هى الأنثى الثنية(١) من البقر التى لم ينز عليها الفحل وجمعها : أروخ وأرواخ . قال : وأنشدنى أعرابى من مزينة فى طريق مكة لنفسه فقال :

أيام عهدى فى مى كان بها أرخ برود بروضة مثقال

وقال الجوهرى : الأرخ وحش البقر ، وقال صاحب المغرب : الأرخ ولد البقرة الوحشية .

﴿ الأرضة ﴾ : بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب ، وهى التى يقال لها السرفة بالسين والراء المهملة والفاء ، وهى دابة الأرض التى ذكرها الله تعالى فى كتابه ، وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة ، ولما كان فعلها فى الأرض أضيفت إليها . قال القزوينى فى الإشكال : إذا أتى على الأرضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ، وهى دابة الأرض التى دلت الجن على موت سليمان عليه السلام والنمل عدوها وهو أصغر منها ، فيأتيها من خلفها فيحملها ويمشى بها إلى جحره ، وإذا أتاها مستقبلا لا يغلبها لأنها تقاومه انتهى . ومن شأنها أنها تبنى لنفسها بيتا حسنا من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوث منخرطا من أسفله إلى أعلاه ، وله فى إحدى جهاته باب مربع ، وبيتها ناووس ، ومنها تعلم الأوائل بناء النواويس على موتاهم .

وفى الصحيحين وغيرهما « أن قريشا لما بلغهم إكرام النجاشى لجعفر وأصحابه كبر ذلك عليهم ، وغضبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكتبوا كتابا على بنى هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم ، وكان الذى كتب الصحيفة بغيض بن عامر ، فشلت يده ، وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة ، وحصروا بنى هاشم فى شعب أبى طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وانحاز إليهم بنو عبد المطلب ، وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغوا الجهد ، وأقاموا على ذلك ثلاث سنين ، ثم أطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على أمر الصحيفة ، وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من ظلم وجور ، وبقى ما كان فيها من ذكر الله تعالى ، فأخبرهم أبو طالب بذلك فارتقوا إلى الصحيفة فوجدها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوهم من الشعب » .

وروى ابن سعد وابن ماجه فى سننه من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى إلى جذع فاتخذ له المنبر ؛ فحن ذلك الجذع إليه حنين العشار حتى مسحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فسكن » فلما هدم المسجد وغير أخذ ذلك

(١) (قوله هى الأنثى الثنية الخ) انظره مع قول القاموس : الأرخ ويكسر الذكر من البقر اهـ ويقال فيه أيضا أزخ بالزاى كما فى القاموس أيضا اهـ .

الجذع أبى بن كعب فكان عنده فى داره حتى بلى وأكلته الأرضة وعاد رفاتا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى للأرضة ذكر فى باب الدال المهملة فى لفظ الدابة ، وفى دود الفاكهة .

(الحكم) يحرم أكلها لاستقذارها ، وإذا استخرجت من الأرض ترابها . قال القاضى حسين : إن استخرجته من مدر جاز التيمم ، ولا يضر اختلاطه بلعابها فإنه طاهر فصار كتراب عجن بخل أو ماء ورد ، وإن استخرجت شيئا من الخشب أو الكتب لم يجز لعدم التراب .

(الأمثال) قالوا : آكل من أرضة ، وأصنع من أرضة .

(التعبير) هى فى الرؤيا تدل على منازعة فى العلم وطلب الجدال .

﴿ الأرقم ﴾ : الحية التى فيها بياض وسواد كأنه رقم أى نقش . روى أصحاب الغريب : أن رجلا كسر منه عظم فجاء إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب منه القود فأبى أن يقيده فقال الرجل : هو إذن كالأرقم إن يقتل ينقم ، وإن يترك يلقم : أى إن تركته أكلك ، وإن قتلته قتلت به . وقال ابن الأثير فى النهاية : كانوا فى الجاهلية يزعمون أن الجن تطلب بثأر الجان ، وهى الحية الدقيقة ، فربما مات قاتلها وربما أصابه خبل ، وهذا مثل لمن يجتمع عليه شران لا يدرى كيف يصنع فيهما يعنى أنه اجتمع عليه كسر العظم وعدم القود . وقيل : الأرقم : الحية التى فيها حمرة وسواد . قال مهذب الملك فى ذلك مشبها :

كانون أذهب برده كانوننا ما بين سادات كرام حذق
بأرقام حمر البطون ظهورها سود تلغلغ باللسان الأزرق

﴿ الأرنب ﴾ : واحدة الأرانب ، وهو حيوان يشبه العناق قصير اليدان طويل الرجلين عكس الزرافة يطأ الأرض على مؤخر قوائمه ، وهو اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى . وقال الجاحظ : فإذا قلت أرنب فليس إلا الأنثى كما أن العقاب لا يكون إلا للأنثى ، فتقول هذه العقاب وهذه الأرنب . وقال المبرد فى الكامل : إن العقاب يقع على الذكر والأنثى ، وإنما يميز باسم الإشارة كالأرنب ، وذكر الأرنب يقال له : الخزز بالخاء المعجمة المضمومة وبعدها زايان ، وجمعه خزان كصرد وصردان ، ويقال للأنثى : عكرشة ، والخرنق ولد الأرنب ، فهو أولا خرنق ثم سخلة ثم أرنب ، وقضيب الذكر من هذا النوع كذكر الثعلب أحد شطريه عظم والآخر عصب ، وربما ركبت الأنثى الذكر عند السفاد لما فيها من الشبق ، وتسافد وهى حبلى ، وتكون عاما ذكرا وعاما أنثى ، فسبحان القادر على كل شىء .

(غريبة) ذكر ابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة : أن صديقا له اصطاد أرنبا له أنثيان وذكر وفرج أنثى ، فلما شقوا بطنه رأوا فيه ما يدل على ذلك . وأعجب من ذلك : أنه كان لنا جار له بنت اسمها صفية بقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة ، ثم طلع لها

ذكر ونبتلها لحية وصارلها فرج رجل وفرج امرأة، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الضبع نظير ذلك. والأرنب تنام مفتوحة العين، فربما جاءها القناص فوجدها كذلك فيظنها مستيقظة؛ ويقال إنها إذا رأت البحر ماتت ولذا لا توجد فى السواحل، وهذا لايصح عندى، وتزعم العرب فى أكاذيبها أن الجن تهرب منها لموضع حيضها. قال الشاعر:

وضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الحرب يوم اللقا

(فائدة) الذى يحيض من الحيوان أربعة: المرأة، والضبع، والخفاش، والأرنب؛ ويقال: إن الكلبة أيضا كذلك. روى أبو داود فى سننه من حديث جابر بن الحويرث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الأرانب «إنها تحيض» وجابر بن الحويرث قال ابن معين لا أعرفه، وذكره ابن حبان فى الثقات، ولا يعرف له إلا هذا الحديث. وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما «أن النبى صلى الله عليه وسلم جىء له بأرنب فلم يأكلها، ولم ينه عنها، وزعم أنها تحيض» وهى تأكل اللحم وغيره، وتجتر وتبعر، وفى باطن أشداقها شعر، وكذلك تحت رجليها.

(الحكم) يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة إلا ما حكى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن أبى ليلى رضى الله عنهم أنهما كرها أكلها. وحجتنا ما روى الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «أنفجنا أرنبا بمر الظهران فسعى القوم عليها فغلبوا فأدركتها فأخذتها، وأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم بوركها وفخذها فقبله» وفى البخارى فى كتاب الهبة «أن النبى صلى الله عليه وسلم قبله وأكل منه» ولفظ أبى داود «كنت غلاما حزورا فصدت أرنبا فشويتها فبعث معى أبو طلحة رضى الله عنه بعجزها إلى النبى صلى الله عليه وسلم» والحزور بالتشديد والتخفيف: المراهق. وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال: «هى حلال» وروى أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم وابن حبان عن محمد ابن صفوان «أنه صاد أرنبين فذبحهما بمروتين، وأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأمره بأكلهما» وهو فى معجم بن قانع عن محمد بن صفوان أو صفوان بن محمد، واحتج ابن أبى ليلى ومن وافقه بما روى الترمذى عن حبان بن جزء عن أخيه خزيمة بن جزء رضى الله عنه قال «قلت يارسول الله ما تقول فى الأرنب؟ قال صلى الله عليه وسلم: لا آكله ولا أحرمه، قال: فقلت: ولم يا رسول الله؟ قال: إنى أحسب أنها تدمى. قال: فقلت يا رسول الله ما تقول فى الضبع؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن يأكل الضبع» قال الترمذى إسناده ليس بالقوى، ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة. وذكر فيه الثعلب، والضب أيضا، وفى بعض الروايات وسألته عن الذئب فقال: لا يأكل الذئب أحد فيه خير، وليس فى شىء من الأحاديث وإن ضعفت ما يدل على تحريم الأرنب، وغاية ما فى هذين الخبرين استقذارها مع جواز أكلها.

(الأمثال) قالت العرب: أقطف من أرنب، وأطعم أخاك من كلية الأرنب؛ وهو كقولهم: «أطعم أخاك من عقنقل الضب» يضربان للمواساة، ومن أمثالهم المشهورة فى ذلك قولهم: فى بيته يؤتى الحكم. وهو مما زعمته العرب على ألسنة البهائم قالوا: إن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب: يا أبا حل. قال سميعا دعوت قالت: أتيناك لنختصم إليك. قال: عادلا حكيما. قالت فاخرج إلينا. قال: فى بيته يؤتى الحكم قالت: إنى وجدت تمرة. قال: حلوة فكليها. قالت: فاختلسها الثعلب. قال: النفسه بغى الخير. قالت: فلطمته. قال: بحقك أخذت. قالت: فلطمنى. قال: حر انتصر لنفسه قالت: فاقض بيننا. قال: قد قضيت، فذهبت أقواله كلها أمثالا.

ومثل هذا أن عدىّ بن أرطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: فاسمع منى. قال: للاستماع جلست. قال: إنى تزوجت امرأة. قال: بالرفاء والبنين. قال: وشرط أهلها أنلا أخرجها من بيتهم. قال: أوف لهم بالشرط. قال: فأنا أريد الخروج. قال: فى حفظ الله. قال: فاقض بيننا. قال: قد فعلت. قال: فعلى من حكمت؟ قال: على ابن أمك. قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالك؛ وشريح هذا هو ابن الحرث بن قيس الكندى استقضاه عمر رضى الله تعالى عنه على الكوفة وأقام قاضيا بها خمسا وسبعين سنة لم يبطل إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء. وذلك أيام فتنة ابن الزبير رضى الله عنهما، فاستعفى الحجاج من القضاء فأعفاه فلم يقض بين اثنين حتى مات رحمة الله عليه. وكان شريح من سادات التابعين وأعلامهم، وكان أعلم الناس بالقضاء وكان أحد السادات الطلس وهم أربعة: عبد الله بن الزبير، وقيس بن سعد بن عبادة، والأحنف ابن قيس الذى يضرب بحلمه المثل؛ ورابعهم شريح هذا والله أعلم؛ والأطلس: الذى لا شعر بوجهه؛ وروى أن شريحا مرض له ولد فجزع عليه جزعا شديدا، فلما مات لم يجزع، فقيل له فى ذلك، فقال: إنما كان جزعى رحمة له وإشفاقا عليه، فلما وقع القضاء رضيت بالتسليم قاله ابن خلكان وغيره.

قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى: كتب زياد بن أمية إلى معاوية: يا أمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالى وفرغت يمينى لطاعتك فولنى الحجاز، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهو بمكة فقال: اللهم اشغل عنا يمين زياد بما شئت فأصابه الطاعون فى يمينه، فأجمع رأى الأطباء على قطعها فاستشار شريحا فيما رآه الأطباء فأشار عليه بعدم القطع وقال له: لك رزق مقسوم، وأجل معلوم، وإنى أكره إن كانت لك مدة أن تعيش فى الدنيا بلا يمين، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى الله مقطوع اليد، فإذا سألك لم قطعتها؟ قلت: فرارا من قضائك وبغضا فى لقائك. قال فمات زياد من يومه، فلام الناس شريحا على منعه

من القطع لبغضهم له فقال : إنه استشارنى ، ولولا أن المستشار مؤتمن لوددت أنه قطع يوما يده ويوما رجله ، وسائر أعضائه يوما يوما اهـ .

وفى هذا المعنى قال أبو الفتح البستى من قصيدة طويلة :

لا تستشر غير ندب حازم فطن قد استوت منه أسرار وإعلان
فللتدابير فرسان إذا ركضوا فيها أبروا كما للحرب فرسان

وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر هذه القصيدة فى باب الثاء المثلثة فى الثعبان .

وفى تاريخ ابن خلكان : فى ترجمة شريح : أنه سئل عن الحجاج أكان مؤمنا ؟ قال : نعم بالطاغوت كافر بالله تعالى ؛ توفى شريح سنة تسع وسبعين ، وقيل : ثمانين من الهجرة ، وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله تعالى .

(الخواص) قال الجاحظ : كانت العرب فى الجاهلية تقول : من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك لأن الجن تهرب منها لمكان حيضها ، وإذا شوى الأرنب البرى وأكل دماغه نفع من الارتعاش العارض من المرض ، وإذا شرب من دماغه وزن حبتين فى أوقيتين من لبن البقر لم يشب شاربه أبدا . ومن أعجب ما فى أنفحته أنك إذا طليت بها داء السرطان رأيت العجب ، وإذا شربت المرأة أنفحة الأرنب الذكر ولدت ذكرا ، وإذا شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى ، وإذا علق زبله على المرأة لم تحمل ما دام عليها .

قال أبقراط : لحم الأرنب حار يابس يغسل البطن ، ويدر البول وأجوده صيد الكلاب وهو ينفع من بهظة السمن لكنه يحدث أرقا ، ويولد السوداء ، والأبازير الرطبة تدفع ضرره ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة ، ودماغه يؤكل مشويا بالفلفل ينفع من الرعشة ، وإنما صار يابسا لرعيه الغياض لأن كل ما يرعى الغياض فهو أيبس مما يرعى فى البيوت اهـ .

وإن سقى إنسان من دماغ الأرنب دانقا مدافا بعد أن يلقى عليه وزن حبتى كافور لم يلقه أحد إلا أحبه ، ولم تنظر إليه امرأة إلا شغفت به وطلبت معاشرته ، ودم الأرنب إذا شربت منه المرأة لم تحبل أبدا ، وإذا طلى به البهق والكلف أزالها ، ودماغه إذا أكلت منه المرأة وتحملت منه وباشرها زوجها فإنها تحبل بإذن الله تعالى ، وإذا مزج به مواضع أسنان الصبى أسرع نباتها ، ودم الأرنب إذا اكتحل به منع من نبات الشعر فى العين قاله القزوينى فى عجائب المخلوقات .

وقال مهرارس : مرارة الأرنب إذا عجنت بسمن وديفت بلبن المرأة واكتحل به أزال البياض من العين ، وأبرأ القروح ، وإذا طلى بدمها البهق الأسود أزاله ، ولحم الأرنب إذا أطعم من يبول فى فراشه نفعه إذا أدامه .

وقال أرسطو : إذا شربت أنفحة الأرنب بالخل نفعت من سم الأفاعى ، وإذا شرب منها قدر باقلاة أذهب حمى الربع المتناهية ، وإذا شرب منها وزن درهم أسقط الأجنة وسهل

الولادة ، وإن خلطت أنفحة الأرنب بخطمى ووضعت على النصل أخرجته ، وتخرج الشوكة من البدن بإذن الله تعالى بسهولة ، وزبل الأرنب إذا بخر به فى الحمام وقع الضراط على من شمه ولم يتمالك أسفله ، وإذا طلى به القوابى والنمش أذهبهما ، وخصية الأرنب تبرىء من السم القاتل إذا طلى موضع اللسعة بها ، وشحمه إذا وضع تحت وسادة امرأة تكلمت فى نومها بفعلها ، وضرس الأرنب إذا علق على من يشتكى ضرسه سكن وجعه .

(التعبير) الأرنب فى المنام : امرأة حسناء لكنها غير آلفة فإن ذبحها فإنها زوجة ليست بباقية ، ومن رأى أنه يأكل لحم أرنب مطبوخا فإنه يأتيه رزق من حيث لايحتسب ، ومن صاد أرنبا أو أهديت إليه أو ابتاعها حصل له رزق أو تزوج إن كان عزبا أو رزق ولدا أو ظفر بغريم .

﴿ الأرنب البحرى ﴾ : قال القزوينى : هو حيوان رأسه كرأس الأرنب ، وبدنه كبدن السمك ، وقال الرئيس ابن سينا : إنه حيوان صغير صدفى ، وهو من ذوات السموم إذا شرب منه قتل .

(الحكم) يحرم أكله لسميته ، ويستثنى هذا من قولهم : ما أكل شبهه فى البر أكل شبهه فى البحر لأنه ليس يشبهه فى الشكل ، وإنما هو موافق له فى الاسم .

﴿ الأروية ﴾ : بضم الهمزة وإسكان الراء وكسر الواو وتشديد الياء : الأنثى من الوعول والجمع أراوى ، وبها سميت المرأة ، وهى أفعولة فى الأصل إلا أنهم قلبوا الواو الثانية ياء وأدغموها فى التى بعدها وكسروا الأولى لتسليم الياء ، وثلاث أراوى على أفاعيل فإذا كثرت فهى الأروى بفتح الهمزة على أفعل بغير قياس وقيل : الأروى غنم الجبل ، وفى الحديث «أنه صلى الله عليه وسلم أهدى له أروى وهو محرم» وفيه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما كان يوم أحد قال : كنت أتوقل كما تتوقل الأروية فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى منفرد من أصحابه ، وهو يوحى إليه — وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل — وفى جامع الترمذى فى الإيمان عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الدين ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى » قوله : ليعقلن : أى ليمتنعن كما تمتنع الأروية من رءوس الجبال . وفى تفسير ابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : طرح يونس بن متى عليه السلام بالعراء فأنبت الله تعالى عليه اليقطينة وهيأله أروية وحشية ترعى فى البرية وتأتيه فتنفشخ عليه فترويه من لبنها كل بكرة وعشية حتى نبت لحمه . وقال ابن عطية : أنعشه الله تعالى فى ظل اليقطينة بأروية تراوحه وتغاديه ، وقيل :

بل كان يتغذى من اليقطينة، ويجد منها ألوان الطعام وأنواع شهواته، وهذا من لطف الله تعالى به ونعمته عليه وإحسانه إليه. وحكى ابن الجوزى عن الحسن فى قوله تعالى — وفديناه بذبح عظيم — أنه ذكر من الأروى أهبط عليه من ثبير، وفى حديث عوف أنه سمع رجلا تكلم فأسقط فقال جمع بين الأروى والنعام، يريد أنه جمع بين كلمتين متناقضتين لأن الأروى تسكن شعف الجبال، والنعام يسكن فى السهولة من الأرض، وفى طبعها الحنو على أولادها فإذا صيد منها شىء تبعته ورضيت أن تكون معه فى الشرك، وفى طبعه البر بأبويه وذلك أنه يخافف إليهما بما يأكلانه فإذا عجزا عن الأكل مضغ لهما وأطعمهما، ويقال: إن فى قرنيه ثقبين يتنفس منهما فمتى سد أهلك سريعا.

(وحكمها) الحل كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى الوعل.

(الأمثال) قالوا: إنما فلان كبارح الأروى. وذلك أن مأواها الجبال فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا فى الدهر مرة يضرب لمن يرى منه الإحسان فى بعض الأحايين وقالوا: تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعام: كما تقدم وقالوا: ما يجمع بين الأروى والنعام، يضرب فى الشيئين المختلفين جدا: أى كيف يتألف الخير والشر؟.

(تنبيه) روى مسلم أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضى الله عنهم خاصمته أروى بنت أويس إلى مروان بن الحكم، وهو والى المدينة فى أرض فى الحيرة وقالت: إنه قد أخذ حقى واقتطع قطعة من أرضى، فقال سعيد رضى الله عنه: كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من اقتطع شبرا من أرض ظلما طوقه يوم القيامة من سبع أرضين» ثم ترك لها الأرض وقال: دعوها وإياها، اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها فى بئرها، فعميت أروى، وجاء سيل فأظهر حدود أرضها، ثم لما أعمى الله تعالى أروى فكانت تلتمس الجدران وتقول: أصابتنى دعوة سعيد بن زيد، فبينما هى تمشى إذ وقعت فى البئر فماتت وروى أنها سألت سعيدا أن يدعو لها فقال: لا أرد على الله شيئا أعطانيه. قال: وكان أهل المدينة إذا دعا بعضهم على بعض يقولون: أعماه الله كما أعمى أروى يريدونها، ثم صار أهل الجهل يقولون: أعماه الله كما أعمى الأروى، يريدون الأروى التى بالجبل يظنونها شديدة العمى، والصواب الأول.

(الخواص) إذا أخذ قرنه وظلفه وخلطا فى دهن، ومسح به الساعى الذى يمشى كثيرا بدنه وساقيه أزال عنه ضرر التعب حتى كأنه لم يمش شيئا.

﴿ الأساريع ﴾: بفتح الهمزة: دود أحمر يكون فى البقل ينسلخ فيصير فراشا. قال ابن مالك قال ابن السكيت: والأصل يسروع بالفتح إلا أنه ليس فى الكلام يفعول. وقال قوم: الأساريع دود حمر الرءوس بيض الأجساد تكون فى الرمل يشبه بها أصابع النساء اهـ. وبعض الناس يقول الأساريع شحمة الأرض، والصواب أنها غيرها كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الشين

المعجمة . قال فى الكفاية : الأساريع دود تكون فى الرمل بيض طوال يشبه بها أصابع النساء ويقال لها : بنات النقا ، وذكر فى أدب الكاتب نحوه ، وقال : الأساريع دود فى الرمل بيض ملس يشبه بها أصابع النساء واحدها أسروع . وذكر ابن مالك فى شرحه لمنتظم الموجز فيما يهمز وما لا يهمز : أن اليسروع والأسروع دود يكون فى البقل ينسلخ فيصير فراشا . قال : وهذا قول ابن السكيت . وقال غيره : الأساريع واليساريع دود حمر الرءوس بيض الأجساد يكون فى الرمل يشبه بها أصابع النساء اهـ . وما ذكره عن ابن السكيت ليس كذلك ، فقد ذكر ابن السكيت فى إصلاح المنطق أنها تكون فى الرمل تنسلخ فتصير فراشة ولعله تصحف عليه الرمل بالبقل .

(الحكم) يحرم أكلها لأنها من الحشرات .

(الخواص) إذا سحق هذا الدود ووضع على العصب المقطوع نفعه من ساعته منفعة عظيمة . وقال الرازى فى الحاوى : إذا غسلت الأساريع وجففت وسحقت ناعما ونقعت فى دهن السمسم وطلى بها الذكر فإنه يغلظ .

(التعبير) اليسروع فى المنام : يعبر برجل لص يسرق قليلا قليلا ، ويتزيا بالورع ، ولا يخفى حاله ونفاقه . قال أهل التعبير : وهو دود أخضر يكون فى المقاثى والكروم .

﴿ الأسفع ﴾ : الصقر ، والصقور كلها سفع ، والسفعة بالضم : سواد مشرب بحمرة وهى فى الوجه سواد فى خدى المرأة ، وفى الصحيح « فقامت امرأة سفعاء الخدين » ويقال للحمامة سفعاء لما فى عنقها من السفعة .

﴿ الأسقنقور ﴾ : قال ابن بختيشوع : إنه التمساح البرى لحمه حار فى الدرجة الثانية ؛ إذا ملح وشرب منه مثقال زاد فى الباه . وهيج الشهوة ، وسخن الكلى الباردة ، ونفع من وجعها . وقال ابن زهر : هى دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته إذا علقت عينه على من يفزع بالليل أبرأته إذا لم يكن من خلط . وقال أرسطاطاليس فى كتاب [الحيوان الكبير] : إن شربه يهيج الباه ، ويزيد فى الإنعاظ فى سائر البلاد إلا بمصر ، وهو أنفس ما يهدى منها لملوك الهند فإنهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه كذلك إلى أرضهم ، فإذا وضعوا مثقالا من ذلك الملح على بيض أو لحم وأكل نفع فى ذلك نفعا بليغا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى التمساح إنه يبيض فى البر فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحا ، وما بقى فى البر صار أسقنقورا وسيأتى إن شاء الله فى باب السين المهملة حكمه ، وحكم السقنقور الهندى ٥

﴿ الأسود السالخ ﴾ : هو نوع من الأفعوان شديد السواد سمى بذلك لأنه يسلخ جلده كل عام ، يقال أسود سالخ ولا يقال للأنثى سالخة ، وأسودان سالخ ، ولا تثنى الصفة فى قول الأصمعى وأبى زيد ، وحكى ابن دريد تثنيتها والأول أعرف ، وأساود سالخة وسوالخ قاله

ابن سيده ؛ روى أبو داود والنسائى والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يأرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر ماخلق فيك وشر مايدب عليك ، أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد» ساكن البلد : الجن وقيل : الوالد وما ولد إبليس والشياطين ، وفى الصحيحين « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأسودين فى الصلاة : الحية والعقرب » وأنشد ابن هشام فى كتاب التيجان :

مابال عينك لاتنام كأنما كحلت أماقيها بسم الأسود
حنقا على سبطين حلا يثربا أولى لهم بعقاب يوم أسود

وللإمام الشافعى رضى الله عنه من أبيات :

والشاعر المنطيق أسود سالخ والشعر منه لعابه ومجاجه
وعداوة الشعراء داء معضل ولقديهون على الكريم علاجه

روى البيهقى فى الشعب عن عبد الحميد بن محمود قال : «كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما فأتاه رجل فقال : أقبلنا حجاجا حتى إذا كنا فى الصفاح توفى صاحب لنا ، فحفرنا له فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله . قال : فحفرنا له قبراً آخر فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله . قال : فحفرنا له ثالثا فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله . قال : فتركناه وأتيناك نسألك ماذا تأمرنا به ؟ قال : ذاك عمله الذى كان يعمله اذهبوا فادفنوه بعضها ، فوالله لو حفرتم له الأرض كلها لوجدتم ذلك . قال : فألقيناه فى قبر منها ، فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته فسألناها عنه فقالت : كان يبيع الطعام فيأخذ قوت أهله كل يوم ، ثم يخلط فيه مثله من قصب الشعير ، ثم يبيعه ، فعذب بذلك» وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط والبيهقى أيضا فى كتاب [الدعوات الكبير] من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الحاجة أبعد ، فذهب يوما فقعد تحت شجرة فنزع خفيه . قال : ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف الآخر فحلق به فى السماء فانسل منه أسود سالخ ، فقال صلى الله عليه وسلم هذه كرامة أكرمنى الله بها ، اللهم إنى أعوذ بك من شر من يمشى على بطنه ، ومن شر من يمشى على رجلين ، ومن شر من يمشى على أربع » وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة فى الغراب حديث نظير هذا ، وهو صحيح الإسناد . وروى أحمد فى كتاب [الزهد] عن سالم بن أبى الجعد قال : كان رجل من قوم صالح عليه السلام قد أذاهم ، فقالوا : يانبى الله ادع الله عليه ، فقال : اذهبوا فقد كفيتموه قال : وكان يخرج كل يوم يحتطب . قال : فخرج يوما ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر . قال : فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما لم يصبه شىء ، فجاءوا إلى صالح عليه السلام

وقالوا : قد جاء بحطبه سالما لم يصبه شيء ، فدعاه صالح وقال : أى شيء صنعت اليوم ؟ قال : خرجت ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر ، فقال صالح : حل حطبك فحله فإذا فيه أسود سالخ مثل الجذع عاض على جزل من الحطب ، فقال : بهذا دفع عنك يعنى بالصدقة ؛ وسيأتى إن شاء الله تعالى نظير هذا فى الذئب فى باب الذال المعجمة . وروى الطبرانى فى معجمه الكبير ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « أن نفرا مروا على عيسى ابن مريم عليه السلام ، فقال عيسى ابن مريم : يموت أحد هؤلاء اليوم إن شاء الله تعالى ، فمضوا ثم رجعوا عليه بالعشى ومعهم حزم الحطب ، فقال : ضعوا ، وقال للذى قال إنه يموت اليوم : حل حطبك ، فحله فإذا فيه حية سوداء ، فقال : ماعملت اليوم ؟ قال : ماعملت شيئا . قال : انظر ماعملت . قال : ماعملت شيئا إلا أنه كان معى فى يدى فلقة من خبز ، فمر بى مسكين فسألنى فأعطيته بعضها ، فقال : بها دفع عنك » .

﴿ الأصرمان ﴾ : الذئب والغراب . قال ابن السكيت : لأنهما انصرما من الناس : أى بانقطعا . والأصرمان : الليل والنهار ، لأن كل واحد منهما ينصرم من الآخر . روى أحمد بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول : حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بن عبد الأشهل : قال عامر بن ثابت بن قيس : فقلت لمحمود بن لبيد كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم أحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بدا له الإسلام فأسلم ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إنه لمن أهل الجنة رضى الله عنه » .

﴿ الأصلة ﴾ : بفتح الهمزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله ، قاله ابن الأنبارى : وقيل : حية خبيثة لها رجل واحدة تقوم عليها ثم تدور ثم تثب والجمع أصل ؛ وأنشد الأصمعى رحمه الله تعالى :

يارب إن كان يزيد قد أكل ... لحم الصديق عللا بعد نهل
فاقدر له أصلة من الأصل ... كيساء كالقرصة أوخف الجمل

وقال الجاحظ : الأعراب تقول : إنها لاتمر بشىء إلا احترق ، وكأنها سميت بذلك لاستهلاكها واستئصالها . وفى الحديث فى صفة الدجال « كأن رأسه أصلة » وقيل : وجه الأصلة كوجه الإنسان ، وهو عظيم جداً ، ويقال : إنها تصير كذلك إذا مر عليها ألف سنة من العمر ؛

(ومن خواصها) أنها تقتل بالنظر إليها ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة ذكر شىء من ذلك .

﴿ الأطلس ﴾ : الذئب الذى فى لونه غبرة إلى السواد ، وكل ما كان على لونه فهو أطلس قال الكميت يمدح محمد بن سليمان الهاشمى :

تلقى الأمان على حياض محمد ثولا محذفة وذئب أطلس
لاذى تخاف ولا لهذا جرأة تهدى الرعية ما استقام الريس

استشهد به الجوهرى على أن الرئيس يقال فيه ريس مثل قيم .

﴿ الأطوم ﴾ : كالأنوق السلحفاة البحرية قاله الجوهرى . وقيل : هى سمكة غليظة الجلد تشبه جلد البعير يتخذ منه الخفاف للجمالين . وقيل : الأطوم القنفذ . وقيل : البقرة قيل : إنما سميت بذلك على التشبيه بالسمكة لغلظ جلدها قاله ابن سيده .

﴿ الأطيش ﴾ : طائر قاله ابن سيده . والطيش : خفة العقل . قال إمامنا الشافعى رحمه الله تعالى : ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه ، وأشهب المذكور هو ابن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكى المصرى ، ولد فى السنة التى ولد فيها الشافعى ، وهى سنة خمسين ومائة ، وتوفى بعد الشافعى بثمانية عشر يوما . قال ابن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعى بالموت فذكر ذلك للشافعى فقال :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيـــل لست فيها بأوحد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

قال : فمات الشافعى فاشترى أشهب من تركته عبداً ، فاشتريته من تركته بعد ثلاثين يوما وفى مصابيح الظلم قال ابن عبد الحكم : لما حملت أم الشافعى به رأت كأن المشترى خرج من فرجها حتى انقض بمصر ، ووقع فى كل بلدة منه شظية ؛ فأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج منها عالم يختص علمه بأهل مصر ثم يتفرق فى سائر البلدان ، واتفق العلماء قاطبة على ثقته وورعه وأمانته وزهده ، وهو أول من تكلم فى أصول الفقه وهو الذى استنبطه ، وكان يؤتى بالرطب فيقول مخاطبا له : ما أطيبك وأحلاك ، والعلم أطيب منك وأحلى ولا يناله . واشترى جارية فلما كان الليل أقبل على الدرس ، والجارية تنتظر اجتماعه معها فلم يلتفت إليها ، فصارت إلى النخاس وقالت : حبستمونى مع مجنون ، فبلغ ذلك الشافعى فقال : المجنون من عرف قدر العلم وضيعه أو توانى فيه حتى فاته . وكان الشافعى جواداً كريما مفضالا لا يبقى على شىء ولا يدخر شيئا وكان شجاعا ، ومناقبه أكثر من أن تحصى ولد بغزة فى سنة خمسين ومائة كما تقدم وقيل : إنها التى توفى فيها أبو حنيفة . وفى تهذيب الأسماء واللغات قيل : توفى سنة إحدى وخمسين . وقيل : فى سنة ثلاث وخمسين . وقال غيره : توفى فى اليوم الذى ولد فيه الشافعى لا فى السنة . وقيل : ولد الشافعى بعسقلان . وقيل : باليمن . قال ابن خلكان : والأصح الأول ، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن ست سنين ، ووصل إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة .

وقيل : سنة إحدى ومائتين ، وأقام بها إلى أن مات سنة أربع ومائتين ، وقبره بقرافة مصر مشهور ، وعاش أربعا وخمسين سنة رحمة الله عليه ورضوانه .

﴿ الأغثر ﴾ : طائر ملتبس الريش طويل العنق ، وهو من طير الماء ، قاله ابن سيده .

﴿ الأفال والأفائل ﴾ : صغار الإبل من بنات المخاض ونحوها ، واحدها أفيل والأنثى أفيلة وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى تبيع .

﴿ الأفعى ﴾ : الأنثى من الحيات ، والذكر أفعوان بضم الهمزة والعين . قال الزبيدى : الأفعى حية رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس وربما كانت ذات قرنين ، وكنية الأفعوان أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة ، وهو الشجاع الأسود يواثب الإنسان وهو شر الحيات ، وشرها أفاعى سجستان . ومن عجيب أمرها ماحكاه ابن شبرمة : أن أفعى منها نهشت غلاما فى رجله فانصدعت جبهته . ويحكى أن شبيب بن شبة دخل على المنصور فقال : ياشبيب أدخلت سجستان فإنه بلغنى أنها كثيرة الحيات ؟ فقال : نعم ياأمير المؤمنين دخلتها . قال : صف لى أفاعيها . فقال ، دقاق الأعناق صغار الأذناب مفلطحة الرؤوس ، رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات . كبارهن حتوف وصغارهن سيوف . وقال القزوينى : هى حية قصيرة الذنب من أخبث الحيات ، إذا فقئت عينها تعود ولا تغمض حدقتها ألبتة ، تختفى فى التراب أربعة أشهر فى البرد . ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شجر الرازيانج فتحك عينها به فيرجع إليها ضوءها . وقال الزمخشرى : يحكى أن الأفعى إذا أتى عليها ألف سنة عميت ، وقد ألهمها الله تعالى أن مسح عينها بورق الرازيانج الرطب يرد إليها بصرها ، فربما كانت فى برية وبينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك بها عينها فترجع باصرة بإذن الله تعالى ، وإذا قطع ذنبها عاد كما كان ، وإذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام ، وإذا ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام ، وهى أعدى عدو الإنسان ، وبقر الوحش يأكلها أكلا ذريعا . وحكى أنها نهشت ناقة فى مشفرها ولها فصيل يرضعها فمات الفصيل فى الحال قبل موت أمه وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون فتشفى . ومن الأفاعى ماتتسافد بأفواهها فإذا وطئ الذكر الأنثى وقع مغشيا عليه ، فتعمد الأنثى إلى موضع مذاكيره فتقطعها نهشا ، فيموت من ساعته . قال الجوهرى : وكشيش الأفعى : صوتها من جلدها لامن فيها ، وقد كشت تكشكش كشيشا . قال الراجز :

كأن صوت لينها المرتض كشيش أفعى أزمعت لعض فهى تحك بعضها ببعض

قال الشيخ أبو الحسن على بن محمد المزين الصغير الصوفى : كنت ببادية تبوك فقدمت إلى بئر أستقى منها فزلقت رجلى فوقعت فى جوف البئر فرأيت فى البئر زاوية واسعة فأصلحت

موضعا وجلست فيه ، فبينما أنا كذلك إذا أنا بخشخشة فتأملت ، فإذا أنا بأفعى سقطت على ودارت بى وأنا ساكن السر لاأضطرب ، ثم لفت على ذنبها وأخرجتنى من البئر وحلت عنى ذنبها ، ثم ذهبت عنى . وعن جعفر الخلدى قال : ودعت أبا الحسن المزين الصغير فقلت له زوّدنى شيئا . فقال لى : إذا ضاع منك شىء أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل : ياجامع الناس ليوم لاريب فيه — إن الله لايخلف الميعاد — اجمع بينى وبين كذا ، فإن الله تعالى يجمع بينك وبين ذلك الشىء أو ذلك الإنسان . قال : فما دعوت بها فى شىء إلا استجيب لى توفى الشيخ أبو الحسن بمكة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .

والحارية نوع منها ، وهى التى قال فيها النابغة الذبيانى :

حارية قد صغرت من الكبر مهروءة الشدقين حولاء النظر

وفى الحديث : أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما مات النبى صلى الله عليه وسلم أصابه حزن شديد ، فما زال يحرى بدنه حتى لحق بالله تعالى : أى يذوب وينقص .

(الأمثال) قالوا : أظلم من أفعى ، وذلك أنها لاتحفر جحرا ، وإنما تأتى إلى جحر قد احتفره غيرها فتدخل فيه ، قال الشاعر :

وأنت كالأفعى التى لاتحتفر ثم تجى مبادرا فتحتجر

فكل بيت قصدت إليه هرب منه أهله وخلوه لها . وقالت العرب : تحككت العقرب بالأفعى إذا تكلم الضعيف مع القوى أو ناظره ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى العقرب أيضا . وقالوا : رماه الله تعالى بأفعى حارية ، وهى التى يموت لديغها من ساعته . وقالوا : من لسعته أفعى من جر الحبل يخاف ، وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى :

المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولأن يعادى عاقلا خير له من أن يكون له صديق أحمق
فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقا إن الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام إذا نطقت فإنما يبدى عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل واد قلبه فيرى ويعرف مايقول فينطق
لاألفينك ثاويا فى غربة إن الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس إلا عاملان فعامل قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس فى طلب المعاش وإنما بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزق الناس حسب عقولهم ألفيت أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم هذا عليه موسع ومضيق

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذى تبع العروس مبهتا ورأيت من تبع الجنازة ينطق
وإذا امرؤ لسعته أفعى مرة تركته حين يجر حبل يفرق
بقى الذين إذا يقولوا يكذبوا ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

ومن محاسن شعره قوله :

مايبلغ الأعداء من جاهل مايبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لايترك أخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله كذى الضنى عاد إلى نكسه
وإن من أدبته فى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذى أبصرت من يبسه

قوله : والشيخ لايترك أخلاقه . البيت والذى يليه هما كانا سبب قتله، وذلك أن المهدى اتهمه بالزندقة، وأمر بإحضاره فلما خاطبه أعجبه كلامه فخلى عنه، فلما ولى رده وقال له ، ألست القائل : والشيخ لايترك أخلاقه؟ البيتين المتقدمين . قال : بلى ياأمير المؤمنين . قال : فأنت لاتترك أخلاقك ، فأمر به فقتل وصلب على الجسر ، وذلك سنة سبع وتسعين ومائة، ومن محاسن شعره أيضا قوله :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع

وهو كقول ابن دريد :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطا

وصالح هذا هو صاحب الفلسفة . قتله المهدى على الزندقة : كان يعظ ويقص بالبصرة وحديثه يسير وليس بثقة ، قيل : إنه رؤى فى المنام فقال : إنى وردت على رب لاتخفى عليه خافية فاستقبلنى برحمته . وقال : قد علمت براءتك مما قذفت به ، وقد أحسن بعض الشعراء فى وصف القنديل حيث قال مشبها :

وقنديل كأن الضوء منه محيا من هويت إذا تجلى
أشار إلى الدجى بلسان أفعى فشمر ذيله فرقا وولى

والأفعوان : هو الشجاع الأسود ، يواثب الإنسان ، وكنيته أبو حيان وأبو يحيى ،لأنه يعيش ألف سنة ، وما أحسن قول بعضهم :

صرمت حبالك بعدوصلك زينب والدهر فيه تغير وتقلب
نشرت ذوائبها التى تزهو بها سودا ورأسك كالثغامة أشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما كانت تحن إلى لقاك وترغب

وكذاك وصل الغانيات فإنه آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه وازهد فعمرك مر منه الأطيب
ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ماقد كان فى زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يامذنب
واذكر مناقشة الحساب فإنه لابد يحصى ماجنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا بهما تعدّ وتحسب
وجميع ما خلفته وجمعته حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لا يدوم نعيمها ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة أولاكها بر نصوح للأنام مجرب
صحب الزمان وأهله مستبصرا ورأى الأمور بما تئوب وتعقب
لا تأمن الدهر الخئون فإنه ما زال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الأيام فى غصاتها مضض يذل له الأعز الأنجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز إن التقىّ هو البهىّ الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا إن المطيع له لديه مقرب
واقنع ففى بعض القناعة راحة واليأس مما فات فهو المطلب
فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة فلقد كسى ثوب المذلة أشعب
وتوقّ من غدر النساء خيانة فجميعهن مكايد لك تنصب
لا تأمن الأنثى حياتك إنها كالأفعوان يراع منه الأنيب
لا تأمن الأنثى زمانك كله يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغرى بلين حديثها وكلامها وإذا سطت فهى الصقيل الأشطب
وابدأ عدوك بالنحية ولتكن منه زمانك خائفا تترقب
واحذره إن لاقيته متبسما فالليث يبدو نابه إذ يغضب
إن العدو وإن تقادم عهده فالحقد باق فى الصدور مغيب
وإذا الصديق لقيته متملقا فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير فى ود امرئ متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف أنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرب

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وإن رموك بجفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... إن القرين إلى المقارن ينسب
إن الغنيّ من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرهب
ويبشّ بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرّب
والفقر شين للرجال فإنه ... حقا يهون به الشريف الأنسب
واخفض جناحك للأقارب كلهم ... بتذلل ر واسمح لهم إن أذنبوا
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا ... إن الكذوب يشين حرا يصحب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة فى كل ناد تخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به ... إن الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء إن لم يطوه ... نشرته ألسنة تزيد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا ... والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز فى الناس يأتى رزقه ... رغدا ويحرم كيس ويخيب
وارع الأمانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب
وإذا أصابك نكبة فاصبر لها ... من ذا رأيت مسلما لا ينكب
وإذا رميت من الزمان بريبة ... أو نالك الأمر الأشق الأصعب
فاضرع لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد وأقرب
كن ما استطعت عن الأنام بمعزل ... إن الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فإنه ... يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا ... واعلم بأن دعاءه لا يحجب
وإذا رأيت الرزق عز ببلدة ... وخشيت فيها أن يضيق المذهب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا ... طولا وعرضا شرقها والمغرب
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتى ... فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

(تتمة) ذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى [الأذكياء] وغيره قال: لما حضرت نزار بن معدّ الوفاة قسم ماله بين بنيه: وهم أربعة: مضر، وربيعة، وإياد، وأنمار قال يا بنى، هذه القبة وهى من أدم حمراء وما أشبهها من المال لمضر، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من المال لربيعة، وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس

فيه، ثم قال لهم : إن أشكل عليكم الأمر فى ذلك واختلفتم فى القسمة فعليكم بالأفعى بن الأفعى الجرهمى، وإنه لما مات نزار توجهوا إلى الأفعى وكان ملك نجران، فبيناهم يسيرون إذا رأى مضر كلأ قد رعى فقال : إن البعير الذى رعى هذا أعور، فقال ربيعة . وهو أزور، وقال إياد : وهو أبتر ، وقال أنمار : وهو شرود ، فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل فسألهم عن البعير ؛ فقال مضر : أهو أعور ؟ قال نعم ، قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال نعم ، قال إياد : أهو أبتر قال نعم ، قال أنمار : أهو شرود ؟ قال نعم ، هذه صفة بعيرى دلونى عليه، فحلفوا له أنهم ما رأوه ، فلزمهم وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته ؟ ثم سار معهم حتى قدموا نجران ونزلوا بالأفعى الجرهمى، فنادى الشيخ صاحب البعير هؤلاء أصابوا بعيرى فإنهم وصفوا لى صفته ، ثم قالوا : لم نره أيها الملك ، فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال مضر : رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور . وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره . وقال إياد : رأيت بعره مجتمعا فعلمت أنه أبتر ، ولو كان ذيالا لمصع به . وقال أنمار : رأيته رعى الملتف نبته ثم جاوزه إلى مكان آخر أرق منه فعلمت أنه شرود، فقال الأفعى للشيخ : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه، ثم سألهم من هم؟ فأخبروه فرحب بهم، ثم قال : أتحتاجون إلى وأنتم كما أرى؟ فدعا لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ، فقال مضر : لم أر كاليوم خمرا أجود لولا أنها على مقبرة . وقال ربيعة : لم أر كاليوم لحما أجود لولا أنه ربى بلبن كلبة . وقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسرى منه لولا أنه ليس بابن أبيه الذى يدعى إليه . وقال أنمار : لم أر كاليوم خبزا أجود لولا أن التى عجنته حائض . وكان الأفعى قد وكل بهم من يستمع كلامهم ، فأعلمه بما سمع منهم فطلب صاحب شرابه وقال له : الخمرة التى جئت بها ما قصتها ؟ قال : هى من كرمة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها . وقال للراعى : اللحم ما أمره ؟ قال : من لحم شاة أرضعناها بلبن كلبة، ولم يكن فى الغنم أسمن منها، فدخل داره وسأل الأمة التى عجنت العجين فأخبرته أنها حائض ، ثم أتى أمه وسأل منها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلا نزل بهم من نفسها فوطئها فأتت به ، فعجب من أمرهم ودس عليهم من سألهم عما قالوا ؟ فقال مضر : إنما علمت أنها من كرمة غرست على قبر لأن الخمر إذا شربت أزالت الهم ، وهذه بخلاف ذلك لأنا لما شربناها دخل علينا الغم . وقال ربيعة : إنما علمت أن اللحم لحم شاة رضعت من لبن كلبة لأن لحم الضأن وسائر اللحوم شحمها فوق اللحم إلا الكلاب فإنها عكس ذلك ، فرأيته موافقا له ، فعلمت أنه لحم شاة رضعت من كلبة فاكتسب اللحم منها هذه الخاصية . وقال إياد : إنما علمت أن الملك ليس بابن أبيه الذى يدعى إليه لأنه صنع لنا طعاما ولم يأكل معنا ، فعرفت ذلك من طباعه لأن أباد

لم يكن كذلك . وقال أنمار : إنما علمت أن الخبز عجنته حائض لأن الخبز إذا فت انتفش فى الطعام وهو بخلاف ذلك : فعلمت أنه عجين حائض .فأخبر الرجل الأفعى بذلك فقال: ما هؤلاء إلا شياطين، ثم أتاهم فقال لهم: قصوا قصتكم، فقصوا عليه ماأوصاهم به أبوهم وما كان من اختلافهم ، فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فصارت له الدنانير والإبل وهى حمر ، فسميت مضر الحمراء ، ثم قال : وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهى دهم ، فسميت ربيعة الفرس ، ثم قال : ومأأشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فهو لإياد ، فصارت له الماشية البلق من الخيل وغيرها وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده على ذلك، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الكاف فى الكلام على الكلب ما نقله السهيلى من أن ربيعة ومضر كانا مؤمنين: وفى [وفيات الأعيان] فى ترجمة ابن التلميذ شيخ النصارى والأطباء : أنه كان بينه وبين أوحد الزمان هبة الله الحكيم المشهور تنافس ، وكان يهوديا فأسلم فى آخر عمره ، وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الأفاعى على جسده بعد أن جوعها فبالغت فى نهشه فبرئ من الجذام وعمى ، فعمل فيه ابن التلميذ شعرا :

لنا صديق يهودى حماقته ... إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة ... كأنه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ متواضعا وأوحد الزمان متكبرا، فعمل فيهما البديع الأسطرلابى شعرا :

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه ... أبو البركات فى طرفى نقيض
فهذا بالتواضع فى الثريا ... وهذا بالتكبر فى الحضيض

وقد ألغز أبو الحسن بن التلميذ فى الميزان وأجاد :

ما واحد مختلف الأسماء ... يعدل فى الأرض وفى السماء
يحكم بالقسط بلا رياء ... أعمى يرى الإرشاد كل راء
أخرس لا من علة وداء ... يغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء ... بالرفع والخفض عن النداء
يفصح إن علق فى الهواء

وقوله مختلف الأسماء : يعنى ميزان الشمس للأسطرلابى وسائر آلات الرصد ، وهو معنى قوله : يعدل فى الأرض وفى السماء . وميزان الكلام النحو ، وميزان الشعر العروض وميزان المعانى المنطق ، وهذه الميزان وغير ذلك ، والأسطرلاب بفتح الهمزة وإسكان السين وضم الطاء ، ومعناه ميزان الشمس لأن أسطر اسم للميزان ولاب اسم للشمس بلسان اليونان وأول من وضعه بطليموس بفتح الباء واللام وإسكان الطاء والياء وضم الميم . وله فى وضعه

قصة عجيبة تركناها لطولها . وكان ابن التلميذ قد جمع أنواعا من العلوم حتى كان يتعجب من أمره كيف حرم الإسلام مع كمال فهمه وغزارة عقله وعلمه ! وهذا سر قوله تعالى — من يضلل الله فلا هادى له — نسأل الله الوفاة على التوحيد آمين ، توفى ابن التلميذ فى صفر سنة ستين وخمسمائة .

(الخواص) دمها يكتحل به يجلو البصر ، وقلبها يجفف ويشد على الإنسان فلا يؤثر فيه السحر ، وإذا علق ضرس الأفعى الأيسر على من يشتكى ضرسه نفعه ، وإن علق على فخذ امرأة لم تحبل ما دام عليها . وقال القزوينى ، وابن زهر ، وابن بختيشوع : إن قلب الأفعى إذا علق على من به حمى الربع أبرأه ، وشحمها ينفع من لسع سائر الهوام دلكا ، وإن نتف الشعر من مكان ماطلى ذلك المكان بشحمها منعه من النبات ، وإذا أمسك إنسان نوشادرا فى فمه حتى يذوب ثم بصق فى فم الحية والأفعى ماتا من وقتهما ، وسلخ الأفعى إذا طبخ بالخل وتمضمض به نفع من وجع الأسنان والأضراس ، وإذا سحق بالتراب واكتحل به نفع من ظلمة البصر ، وشحمها ينفع البواسير وبياض العين طلاء وكحلا ، ومرارتها سم ساعة . وقال أبقراط : من أكل لحم الأفعى أمن من الأمراض الصعبة . حكى عن عمرو بن يحيى العلوى أنه قال : كنا فى طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا قطارا منا فيه ذلك الرجل العليل ، فلما رجعنا إلى الكوفة وجدناه معافى فسألناه عن حاله فقال : إن الأعراب لما انتهوا بى إلى مساكنهم وهى على فراسخ طرحونى فى أواخر بيوتهم ، فكنت أتمنى الموت إلى أن رأيتهم يوما قد أخرجوا أفاعى اصطادوها فقطعوا رؤوسها وأذنابها وشووها ، فقلت فى نفسى : هؤلاء اعتادوا أكلها فلا تضرهم ، فلعلى إن أنا أكلت منها مت واسترحت فاستطعمتهم ، فرمى إلى رجل منهم واحدة فأكلتها فنمت نوما ثقيلا ، ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى أكثر من مائة مرة ، فلما أصبحت وجدت بطنى قد ضمر ، فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم إلى أن وثقت من نفسى بالشفاء ، ثم أخذت الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة.

﴿ الأقهبان ﴾ : الفيل والجاموس . قال رؤبة يصف نفسه بالشدة :

ليث يدق الأسد الهموسا والأقهبين الفيل والجاموسا

﴿ الأملول ﴾ : دويبة تكون فى الرمل تشبه القطاة ، قاله ابن سيده .

﴿ الإنس ﴾ : البشر الواحد إنسى ، وأنسى أيضا بالتحريك والجمع أناسى ، وإن شئت جعلته إنسانا ثم جمعته على أناسى فتكون الياء عوضا عن النون ، قال تعالى — وأناسى كثيرا — وكذلك الأناسية مثل الصيارفة والصياقلة ، ويقال للمرأة أيضا إنسان ولا يقال إنسانة والعامة تقوله . قال الجوهرى : وأنشدوا على ذلك :

إنسانة فتانة بدر الدجى منها خجل

إذا زنت عينى بها فبالدموع تغتسل

﴿ الانسان ﴾ : نوع العالم والجمع الناس . قال الجوهرى : وتقدير إنسان على فعلان وإنما زيد فى تصغيره ياء وقيل أنيسيان كما زيد فى تصغير رجل فقيل رويجل ، وقال قوم : أصله إنسيان على وزن إفعلان فحذفت الياء تخفيفا لكثرة مايجرى على الألسنة ، وإذا صغروها ردوها لأن التصغير لايكبر ، واستدلوا عليه بقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : إنه إنما سمى إنسانا لأنه عهد إليه فنسى ، والأناس لغة فى الناس وهو الأصل فخفف ، قال تعالى — لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم — وهو اعتداله وتسوية أعضائه لأنه خلق كل شىء منكبا على وجهه وخلقه سويا ، وله لسان ذلق ينطق به ، ويد وأصابع يقبض بها ، مزينا بالعقل مؤدبا بالأمر مهذبا بالتمييز ؛ يتناول مأكوله ومشروبه بيده . وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط بإسناد صحيح عن أبى مزينة الدارمى وكانت له صحبة قال « كان الرجلان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر — والعصر إن الإنسان لفى خسر — » .

(فائدة) قال ابن عطية : من الدليل على أن القرآن غير مخلوق أن الله تعالى ذكر القرآن فى كتابه العزيز فى أربعة وخمسين موضعا مافيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار إليه ، وذكر الإنسان على الثلث من ذلك فى ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه ، وقد افترق ذكرهما على هذا فى قوله تعالى : — الرحمن علم القرآن خلق الإنسان — قال القاضى أبو بكر ابن العربى المالكى الإمام العلامة : ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان ، فإن الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما ، وهذه صفات الرب جل وعلا ، وعنها وقع البيان بقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق آدم على صورته » يعنى على صفاته التى قدمنا ذكرها . قلت : وهنا مجال رحب لأصحاب الكلام فى أصول الدين أضربنا عنه إذا ليس هو من غرضنا فى هذا الكتاب . وروى أبو بكر المتقدم ذكره بإسناده : أن موسى ابن عيسى الهاشمى كان يحب زوجته حبا شديدا ، فقال لها يوما : أنت طالق ثلاثا إن لم تكونى أحسن من القمر فاحتجبت عنه وقالت طلقت ، فبات بليلة عظيمة ، فلما أصبح أتى المنصور وأخبره بذلك فاستحضر الفقهاء وسألهم عن ذلك ، فأجاب كل منهم بالطلاق إلا واحدا منهم فقال لاتطلق لقوله تعالى : — لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم — فقال المنصور : الأمر كما ذكرت ، ثم أرسل إلى زوجته بذلك ، وهذا الجواب ينقل عن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه . وعندى فى قوله موسى بن عيسى نظر ، والذى أظنه أنه عيسى بن موسى ، فإنه كان ولى عهد المنصور ثم خلعه من ولاية العهد لولده المهدى ، وقد تقدم أن الشافعى رضى الله عنه ولد فى سنة خمسين ومائة ، والمنصور كانت وفاته على ماذكره ابن خلكان وغيره فى سنة ثمان وخمسين ومائة ؛ فكيف يتصور أن يكون الشافعى المفتى فى هذه الواقعة فليتأمل ذلك . قلت : وقد أذكرتنى هذه الحكاية ماذكره الزمخشرى عند قوله تعالى — ويستفتونك فى النساء —

أن عمران بن حطان الخارجى كان شديد السواد وكانت امرأته من أجمل النساء، فأطالت نظرها فى وجهه يوما وقالت : الحمد لله ، فقال : مالك ؟ فقالت : حمدت الله تعالى على أنى وإياك فى الجنة . قال : كيف ؟ قالت : لأنك رزقت مثلى فشكرت ، ورزقت مثلك فصبرت ، وقد وعد الله عباده الصابرين والشاكرين الجنة . وذكر ابن الجوزى فى [الأذكياء] وغيره أن عمران بن حطان هذا كان أحد الخوارج ، وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم لعنهما الله على قتل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :

ياضربة من تقى ماأراد بها ... إلا ليبلغ من ذى العرش رضواناً
إنى لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى أبا الطيب الطبرى هذه الأبيات ؛ فقال مجيبا له :

إنى لأبرأ مما أنت قائله ... فى ابن ملجم الملعون بهتانا
إنى لأذكره يوما فألعنه ... دينا وألعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله إسرارا وإعلانا
فأنتم من كلاب النار جاءلنا ... نص الشريعة برهانا وتبيانا

أشار أبو الطيب إلى قوله صلى الله عليه وسلم « الخوارج كلاب النار » .

(عجيبة) : رأيت فى ذيل تاريخ بغداد لابن النجار فى ترجمة على بن نصر الفقيه ابن أحمد المالكى والد القاضى عبد الوهاب ، وكان ثقة عدلا قال : زوجت أيام عضد الدولة بن بويه بعض غلمانه الأتراك صبية فى جوارنا ، وكان لها ولوالدتها أنس بدارنا وكانت من الموصوفات بالستر والعفاف ، ومضى على سنتان فحضر إلى الغلام التركى وقال : ياسيدى هذه المرأة التى زوجتنى بها وقد ولدت منى ابنا ، ولا أشكو شيئا من أمرها ولا أنكره ، غير أنها ماأرتنى ولدى منذ ولدته ، وكلما طالبتها به دافعتنى عنه ، وأريد أن تستدعيها وتسألها عن ذلك . قال فاستدعيت والدتها فحضرت وخاطبتها من وراء الستر على ماقاله زوج ابنتها ، فأسرت إلى وقالت ياسيدى صدق فيما حكاه ، وإنما دافعناه عن هذا لأنا قد بلينا ببلية قبيحة وذلك أن زوجته ولدت منه ولدا أبلق ، من رأسه إلى سرته أبيض وبقية بدنه أسود . قال : فسمع التركى قولها أبلق فصاح ابنى ابنى وهكذا كان جدى ببلاد الترك وقد رضيت ، ففرحت المرأة بقوله وانصرفت وأظهرت له الولد . وافتتح ابن بختيشوع ومعناه عبد المسيح كتابه فى الحيوان بالإنسان وقال : إنه أعدل الحيوان مزاجا وأكمله أفعالا وألطفه حسا وأنفذه رأيا ، فهو كالملك المسلط القاهر لسائر الخليقة والآمر لها ، وذلك بما وهبه الله تعالى له من العقل الذى به يتميز على كل الحيوان البهيمى فهو بالحقيقة ملك العالم ، ولذلك سماه قوم من الأقدمين العالم الأصغر .

(فائدة) نقل الشيخ شهاب الدين أحمد البونى رحمه الله فى كتابه المسمى [بسر الأسرار] عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال : من كانت له حاجة فليصم الأربعاء والخميس والجمعة ، فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة وقال : اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الذى ملأت عظمته السموات والأرض ، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو عنت له الوجوه وخشعت له الأبصار ووجلت القلوب من خشيته ، أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأن تعطينى مسئلتى وتقضى حاجتى - وتسميها - برحمتك يا أرحم الراحمين ، وهو سر لطيف مجرب : وقال : من كتب محمد رسول الله أحمد رسول الله خمسا وثلاثين مرة يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة على طهارة كاملة وحملها معه : رزقه الله تعالى القوة على الطاعة ومعونة على البركة ، وكفاه همزات الشياطين ، وإن هو استدام النظر إلى تلك البطاقة كل يوم عند طلوع الشمس وهو يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم كثرت رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم وهو سر لطيف مجرب . وروى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه : أنه رأى رب العزة فى المنام تسعا وتسعين مرة فقال : إن رأيته تمام المائة لأسألنه ، فرآه تمام المائة فسأله وقال : يارب بماذا ينجو العباد يوم القيامة ؟ فقال : من قال كل يوم بكرة وعشيا ثلاث مرات : سبحان الأبدى الأبد ، سبحان الواحد الأحد ، سبحان الفرد الصمد ، سبحان من رفع السماء بغير عمد ، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد ، سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وقال الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه : من قال كل يوم بين صلاة الفجر والصبح أربعين مرة : ياحى ياقيوم ، يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيى قلبى بنور معرفتك يا أرحم الراحمين : أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب .

(فائدة أخرى) فى كتاب [البستان] عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يحفظ الله عليه الإيمان حتى يلقاه يوم القيامة فليصل كل ليلة بعد سنة المغرب قبل أن يتكلم ركعتين ، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل أعوذ برب الفلق مرة ، وقل أعوذ برب الناس مرة ، ويسلم منهما ؛ فإن الله تعالى يحفظ عليه الإيمان حتى يوافى ربه يوم القيامة » قال الراوى : وهذه فائدة عظيمة غنيمة . وذكر النسفى هذا الحديث بسند طويل وزاد فيه - إنا أنزلناه فى ليلة القدر - قبل الإخلاص ، ويسبح خمس عشرة مرة بعد السلام ، ويقول عقب التسبيح : اللهم أنت العالم ما أردت بهاتين الركعتين ، اللهم اجعلهما لى ذخرا يوم لقائك ، اللهم احفظ بهما دينى فى حياتى وعند مماتى وبعد وفاتى . امنه الله سلب الإيمان ، وهذه فائدة عظيمة من أعظم المهمات .

وسئل بعض الحكماء وذوى الفصاحة من العلماء: أى الخصال من الإنسان خير ؟ قال : الدين . قال : فإذا كانت ثنتين ، قال : الدين والمال . قال : فإذا كانت ثلاثا قال : الدين والمال والحياء . قال : فإذا كانت أربعا ، قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق . قال : فإذا كانت خمسا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء ، فمن اجتمع فيه هذه الخصال الخمس فهو تقى نقى لله ولى ومن الشيطان برىّ . وقال : المؤمن شريف ظريف لطيف لالعان ولا نمام ولا مغتاب ولا قتات ولا حسود ولا حقود ولا بخيل ولا مختال ، ولا يطلب من الخيرات أعلاها ومن الأخلاق أسناها ، إن سلك مع أهل الآخرة كان أورعهم ، غضيض الطرف سخى الكف ، لايرد سائلا ولا يبخل بنائل ، متواصل الأحزان ، مترادف الإحسان يزن كلامه ويحرس لسانه ، ويحسن عمله ويكثر فى الحق أمله ، متأسف على مافاته من تضييع أوقاته ، كأنه ناظر إلى ربه مراقب لما خلق له ، لايرد الحق على عدوه ولا يبطل الباطل من صديقه ، كثير المعونة قليل المؤنة ، يعطف على أخيه عند عسرته لما مضى من قديم صحبته ، فهذه صفات المؤمنين الخالصين الموحدين لرب العالمين .

وكان رجل من عباد الله الصالحين الموحدين يصحب إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه فقال له : علمنى اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى . فقال : قل هذه الكلمات صباحا ومساء فإنه مادعا بهن خائف إلا أمن ، ولا سائل إلا أعطاه الله مسألته ، وهى هذه الكلمات : يامن له وجه لايبلى ، ونور لايطفى ، واسم لاينسى ، وباب لايغلق ، وستر لايهتك ، وملك لايفنى : أسألك وأتوسل إليك بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن تقضى حاجتى وتعطينى مسألتى .

وقال بعض العلماء : اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى هو لاإله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله الأحد. اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لاإله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم .

وسئل الإمام النووى رحمه الله تعالى عن اسم الله الأعظم ما هو وفى أىّ سورة هو ؟ فأجاب رضى الله تعالى عنه : فيه أحاديث كثيرة . ففى سنن ابن ماجه وغيره عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « فى ثلاث سور : فى البقرة وآل عمران وطه » .

قال بعض الأئمة المتقدمين : هو الحى القيوم لأنه فى البقرة آية الكرسى ، وفى أول آل عمران ، وفى طه فى قوله تعالى — وعنت الوجوه للحى القيوم — وهذا استنباط حسن والله تعالى أعلم. وقد ثبت فى صحيح مسلم رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى

صلى الله عليه وسلم قال « لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل . قيل : يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول قد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » .

(فائدة فيمن يستجاب دعاؤهم قطعا) المضطر ، والمظلوم مطلقا ولوكان فاجرا أوكافرا أو الوالد على ولده ، والإمام العادل ، والرجل الصالح ، والولد البار بوالديه ، والمسافر حتى يرجع ، والصائم حتى يفطر ، والمسلم للمسلم مالم يدع بظلم أو قطيعة رحم ، أو يقل دعوت فلم أجب .

(ومن الفوائد المجربة) العظيمة البركة الكثيرة الخير لقضاء الحوائج ، وتفريج الهم والغم ، وهى من الأسرار المخزونة المكنونة كما قاله شيخنا اليافعى : أن تقرأ بعد صلاة العشاء على طهارة كاملة فى جلسة واحدة اسمه تعالى لطيف ست عشرة ألف مرة ، وستمائة مرة ، وإحدى وأربعين مرة ، والحذر ثم الحذر من الزيادة والنقص فإنه يبطل السر ، والحيلة فى معرفة ضبط ذلك أن تأخذ سبحة عدتها ١٢٩ فتقرأ الاسم عليها ١٢٩ فيحصل المقصود ، وهذه أقرب الطرق المستقيمة لمعرفتها ، فإن عدة حروفه أربعة وهى ل ط ى ف جملتها ١٢٩ تضربها فى مثلها فتكون جملتها عشر ستة ألفا وستمائة وإحدى وأربعين ، وتسمى حاجتك فإنها تقضى إن شاء الله تعالى لا محالة ، وفى كل مائة وتسع وعشرين مرة تقول — لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير — وهذه للدعاء على الظالم . ومنها لجلب الخير والرزق والبركة تقول عقب كل صلاة مائة ثم تقول — الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز — ومنها لدفع كيد الظلمة — لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير — والدعاء بعد تمام قراءة الاسم المبارك : اللهم وسع على رزقى ، اللهم عطف على خلقك ، اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن ذل السؤال لغيرك برحمتك يا أرحم الراحمين .

قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى : كن متمسكا بهذه الصفات الحميدة تفز بسعادة الدارين : لاتتخذ من الكافرين وليا ، ولا من المؤمنين عدوا ، وارتحل بزادك من التقوى فى الدنيا ، وعد نفسك من الموتى ، واشهد لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة ، وحسبك عمل صالح وإن قل ، وقل : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فمن كان متمسكا بهذه الصفات الحميدة ضمن الله عز وجل له أربعة فى الدنيا : الصدق فى القول ، والإخلاص فى العمل ، والرزق كالمطر ، والوقاية من الشر ، وأربعة فى الآخرة : المغفرة العظمى ، والقربة الزلفى ، ودخول جنة المأوى ، واللحوق بالدرجة العليا ، وإن أردت الصدق فى القول فداوم على قراءة — إنا أنزلناه فى ليلة القدر — وإن أردت الرزق كالمطر فداوم على قراءة — قل أعوذ برب الفلق — وإن أردت السلامة من شر الناس

فداوم على قراءة – قل أعوذ برب الناس – وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة فداوم على قراءة – بسم الله الرحمن الرحيم – الملك الحق المبين، هو نعم المولى ونعم النصير، وقراءة سورة الواقعة، وسورة يس، فإنه يأتيك الرزق كالمطر؛ وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ويرزقك من حيث لا تحتسب، فالزم الاستغفار؛ وإن أردت أن تؤمن مما يروعك ويفزعك فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون؛ وإن أردت أن تعرف أى وقت تفتح فيه أبواب السماء ويستجلب الدعاء فاشهد وقت نداء المنادى فأجبه؛ ففى الحديث «من نزل به كرب أو شدة فليجب المنادى» والمنادى هو المؤذن؛ وإن أردت أن تسلم من أمر يكربك فقل: توكلت على الحى الذى لا يموت أبدا، والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل، وكبره تكبيرا؛ ففى الحديث «ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل فقال: يا محمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت أبدا، وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل، وكبره تكبيرا» وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيبك فقل «اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك، ماض فىّ حكمك، عدل فى قضاؤك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى، فيذهب عنك همك وغمك وحزنك» وإن أردت أن يداويك الله من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم، فقل ما ورد فى الحديث «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإنها دواء مما ذكر» وإن أردت أن تؤجر بما يصيبك من مصيبة فقل «إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم: عندك احتسبت مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى خيرا منها» ومنه «حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله وعلى الله توكلنا» وإن أردت أن يذهب همك ويقضى دينك فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» وإن أردت أن توفق للخشوع فاترك فضول النظر؛ وإن أردت أن توفق للحكمة فاترك فضول الكلام؛ وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة فاترك فضول الطعام، وعليك بالصوم وقيام الليل والتهجد فيه؛ وإن أردت أن توفق للهيبة فاترك المزح والضحك فإنهما يسقطان الهيبة، وإن أردت أن توفق للمحبة فاترك فضول الرغبة فى الدنيا؛ وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك فاترك التجسس عن عيوب الناس، فإن التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان؛ وإن أردت أن توفق للخشية فاترك التوهم فى كيفية ذات الله تعالى تسلم من الشك والنفاق، وإن أردت أن توفق للسلامة

من كل سوء فاترك الظن السيء بكل الناس ، وإن أردت العزلة فاترك الاعتقاد فى الناس وتوكل على الله ؛ وإن أردت أن لا يموت قلبك فقل كل يوم أربعين مرة : ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت ؛ وإن أردت أن ترى النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فأكثر من قراءة — إذا الشمس كورت ؛ وإذا السماء انفطرت ؛ وإذا السماء انشقت — وإن أردت أن ينور وجهك فداوم على قيام الليل ، وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة فلازم الصوم ؛ وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر فاحترز من النجاسات واترك أكل المحرمات وارفض الشهوات ، وإن أردت أن تكون غنيا فلازم القناعة ؛ وإن أردت أن تكون خير الناس فكن نافعا للناس ؛ وإن أردت أن تكون أعبد الناس فكن متمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم « من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ، قال أبو هريرة : قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدى وعد خمسا . قال : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ؛ وإن أردت أن يكمل إيمانك فحسن خلقك ؛ وإن أردت أن يحبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين ، فى الحديث « إذا أحب الله عبدا صير حوائج الناس إليه » وإن أردت أن تكون من المطيعين فأد ما فرض الله عليك ، وإن أردت أن تلقى الله تعالى نقيا من الذنوب فاغتسل من الجنابة ولازم غسل الجمعة تلق الله تعالى يوم القيامة وما عليك ذنب ؛ وإن أردت أن تحشر يوم القيامة فى النور الهادى وتسلم من الظلمات لا تظلم أحدا من خلق الله تعالى ، وإن أردت أن تقل ذنوبك فالزم دوام الاستغفار ، وإن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق طموما كالمطر فلازم الدوام على الطهارة الكاملة ، وإن أردت أن تكون آمنا من سخط الله فلا تغضب على أحد من خلق الله ؛ وإن أردت أن يستجاب دعاؤك فاجتنب الحرام وأكل الربا وأكل السحت ؛ وإن أردت أن لا يفضحك الله على رؤوس الخلائق فاحفظ فرجك ولسانك ؛ وإن أردت أن يستر الله تعالى عليك عيبك فاستر على عيوب الناس فإن الله تعالى ستار ويحب من عباده الستارين ؛ وإن أردت أن تمحى خطاياك فأكثر من الاستغفار والخشوع والخضوع والحسنات فى الخلوات ؛ وإن أردت الحسنات العظام فعليك بحسن الخلق والتواضع والصبر على البلية ، وإن أردت السلامة من السيئات العظام فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع ؛ وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار فعليك بإخفاء الصدقة وصلة الرحم ؛ وإن أردت أن يقضى الله عنك الدين فقل ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم للأعرابى حين سأله ، وقال عليه الصلاة والسلام له : لو كان عليك مثل الجبال دينا أداه الله عنك قل : « اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك

وأغنني بفضلك عمن سواك » وفى الحديث «لو كان على أحدكم جبل من ذهب دينا فدعا بذلك لقضاه الله عنه وهو : اللهم فارج الكرب ، اللهم كاشف الهم ، اللهم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، أسألك أن ترحمنى فارحمنى رحمة تغنينى بها عمن سواك ، وإن أردت أن تنجو إذا وقعت فى هلكة فالزم ما فى الحديث إذا وقعت فى ورطة فقل : « بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » فإن الله تعالى يصرف عنك ما شاء من أنواع البلاء » والورطة : بفتح الواو وإسكان الراء : الهلاك ، وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم فقل ما ورد فى الحديث « اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » ومنه « اللهم اكفناهم بما شئت إنك على كل شىء قدير » وإن أردت أن تأمن إن خفت من سلطان فقل ما ورد فى الحديث « لا إله إلا الله الحليم الكريم ، رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك لا إله إلا أنت » ويستحب أن يقول ما تقدم : اللهم إنا نجعلك فى نحورهم إلى آخره ، وفى الحديث «إذا أتيت سلطانا مهابا تخاف أن يسطو عليك فقل : الله أكبر الله أكبر ، الله أعز من خلقه جميعا ، الله أعز مما أخاف وأحذر ، والحمد لله رب العالمين » وإن أردت ثبات القلب على الدين فقد أسند مرفوعا أنه كان من دعائه صلى الله عليه وسلم «اللهم ثبت قلبى على دينك » وفى رواية « يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » .

(فائدة) مجربة لمن دخل على سلطان يخاف شره فليقرأ — الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون — الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم — وإن أردت كثرة الخير والرزق فداوم على قراءة ألم نشرح وسورة الكافرون ؛ وإن أردت الستر مع الناس فداوم على قول : اللهم استر نى بسترك الجميل الذى سترت به نفسك فلا عين تراك ، وإن أردت عدم الجوع والعطش فداوم على قراءة — لإيلاف قريش إيلافهم — وقد جرب ذلك مرارا وصح ، وإن خفت على تجارتك أو مالك فاكتب سورة الشعراء وعلقها فى موضع تجارتك يكثر فيه البيع والشراء ، ومن كتب سورة القصص وعلقها على من يخاف عليه التلف فإنها أمان له من ذلك ، وهو سر لطيف مجرب .

(فائدة) عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يتول قبض روحه إلا الله تعالى » وعن أبى نعيم قال : سمعت معروفا الكرخى يقول : لما اجتمعت اليهود على قتل عيسى عليه السلام أهبط الله تعالى جبريل عليه السلام مكتوبا فى باطن جناحه « اللهم إنى أعوذ باسمك الأحد الأعز ، وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذى ملأ الأركان كلها أن تكشف

عنى ضر ما أمسيت وأصبحت فيه ، فقال ذلك عيسى فأوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن ارفع عبدى إلىّ » .

(فائدة) مما جرب للصداع فصح ، ما روى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه قال : وجد فى بعض دور بنى أمية درج من فضة وعليه قفل من ذهب مكتوب على ظهره شفاء من كل داء وفى داخله مكتوب هذه الكلمات : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله وبالله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اسكن أيها الوجع ، سكنتك بالذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم ، بسم الله الرحمن الرحيم . باسم الله وبالله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اسكن أيها الوجع ، سكنتك بالذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا . قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه : فما احتجت معه إلى طبيب قط بإذن الله تعالى فإنه هو الشافى .

ومما جرب للصداع أيضا أن يكتب على ورقة بيضاء وتلصق على المحل الذى فيه الصداع ، فإنه يزول بإذن الله تعالى وهو صحيح مجرب د م هـ م ل هـ . ووجد أيضا فى دخائر بنى أمية ترس مربع من ذهب وعليه أزرار من الزمرذ الأخضر مملوء بالمسك والكافور والعنبر الخام ، وكان من جعله على رأسه أزال عنه الصداع ألبتة فى الوقت والساعة ، ففتقوا الترس فوجدوا فى باطن أزراره بطاقة مكتوبا فيها — بسم الله الرحمن الرحيم — ذلك تخفيف من ربكم ورحمة — بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا — بسم الله الرحمن الرحيم وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان — بسم الله الرحمن الرحيم — ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا — بسم الله الرحمن الرحيم — وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم — .

ومما جرب للصداع أيضا أن تكتب هذه الأحرف على لوح خشب أو مكان طاهر وتدق فى الحرف الأول مسمارا وتقرأ — ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا — وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم — وتدق دقا خفيفا ، فان سكن الصداع فبالغ عليه بالدق إلى قرصه ، وإن لم يسكن فانقل المسمار من حرف إلى أن يسكن الصداع فلابد أن يسكن فى حرف منها كما جرب ذلك مرارا ، وهى هذه : ا ح ك ك ح ع ح ا م ح والسواد موضع وضع السمار ويجمعها قولك :

إنى حملت إليك كل كريمة ... حوراء عن حظ المتيم ما حنت
فأوائل الكلمات منها مقصدى ... لصداع رأس يافتى قد جربت

ثم قال : أى (ابن بختيشوع) ومما ذكر من الخواص وشهدت به التجربة ما قاله الحكيم جالينوس : إذا أخذت شعر ابن آدم وأحرقته وخلطته بماء الورد ووضعته المرأة عند رأسها

عند الطلق تسهل عليها الولادة ، وإن طليت البرص والبهق بمنى ابن آدم أبرأه ، وإذا حططته فى البيت اجتمعت عليه البراغيث ، وبصاق ابن آدم سم الحيات فإنك إن بصقت فى فم الحية ثلاث مرات تموت من ساعتها ، وإذا أوقدت سراجا من دهن ابن آدم فى ليلة ذات رياح سكنت الرياح ، وشعر المرأة بطوله إذا طرح فى ماء البحر بحيث لايخرج منه صار حية مائية ، وإذا اكتحل الإنسان بلبن النساء مع سكر طبرزذ ينفع لبياض العين ، والطفل الأزرق العينين إذا رضع من لبن الجارية الحبشية أربعين يوما اسودت عيناه وإذا أخذ بول الصبى وخلط برماد حطب الكرم وحط على القرحة نفعها وإذا علقت المرأة عليها سن الطفل الذى وقع فى أول سنة لاتحبل .

قال جالينوس ، ويحيى بن ماويشة : مرارة ابن آدم سم قاتل ، ومن اكتحل بمرارة ابن آدم نفعته من بياض العين .

وقال ابن ماويشة : سرة الطفل أول ما تقطع إذا علقتها المرأة على يدها وبها ألم سكن ، وإذا أخذ عظم ابن آدم وأحرق وسحق وخلط معه صبر ونفخ فى الأنف الذى فيه الباسور أبرأه باذن الله تعالى ، وإذا أخذت الحيات التى تخرج من بطن ابن آدم وجففت وسحقت ناعما واكتحل بها من فى عينه بياض ذهب ، وإذا أخذ رجيع ابن آدم يابسا وسحق ونخل وعجن بالخل وعسل النحل وطلى به على الأكلة برئت باذن الله تعالى ، وكذلك إذا طليت به الخوانيق التى فى الحلق برئت ، وشعر ابن آدم إذا علق على من يشتكى الشقيقة سكنت ، وإذا بل الشعر بالخل ووضع على عضة الكلب برئت ، ودم ابن آدم إذا أخذ وعجن بدقيق الحلبة وبماء السذاب وطلى به كل قرحة تكون فى البدن برئت لوقتها البتة لاسيما التى تكون فى الساقين والقروح الرطبة التى يسيل منها الدم والقيح ، وإذا أخذ دم الحيض من جارية بكر أو ثيب وخلط معه خمر عتيق واكتحل به من فى عينيه بياض أبرأه ، وخرقة الحيض إذا علقت على مؤخر السفينة لا يدخلها ريح ولازوبعة ، وإذا أصاب المرأة وجع السرة تأخذ خرقة الحيض فتحرقها حتى تصير رمادا ثم تأخذ من ذلك الرماد جزءا ومن الكزبرة جزءا ويدق الجميع بماء فاتر ويطلى به ما حول السرة تبرأ باذن الله تعالى ، وكذلك إذا أصابها عند النفاس فانه يسكن بإذن الله تعالى ، ورجيع الطفل عند الولادة يجفف ويسحق ويكتحل به من فى عينه بياض فإنه يذهب باذن الله تعالى ، وإذا أخذت قلفة الصبيان وهى طهارتهم وجففت وسحقت وخلط معها شئ من المسك وماء الورد وسقى من ذلك صاحب البرص والجذام وقف عنه باذن الله تعالى ، وإذا أحرقت وسحقت وسقيت لمن غلب عليه البرص ذهب عنه باذن الله تعالى ، ويؤخذ من رجيع ابن آدم مقدار حمصة ويسحق ويذاب بماء فاتر ويسقى لصاحب القولنج يبرأ بإذن الله تعالى ، وإذا سحق وديف بالخل كان أبلغ ،

وإذا أخذ رجيع ابن آدم أول ما يخرج وهو حار ويخلط بخمر عتيق ويسقى للدابة المريضة تبرأ باذن الله تعالى ، وإذا غسلت وسخ رجلى ابن آدم ويديه بالماء وأسقيته لمن شئت فإنه يحبك محبة شديدة ولا يكاد يطيق فراقك ، وهو سر عجيب مجرب ؛ ومثله إذا أردت أن يحبك إنسان حبا شديدا فاغسل جيب قميصك واسقه ماءه وهو لا يعلم فانه يحبك حبا شديدا ، وإن أردت أن تجمع الحمام فى البرج فخذ رأس ابن آدم وهو ميت قد مضى عليه من السنين مدة وادفنه فى ذلك البرج فان الحمام يعمره ويجتمع إليه من كل مكان حتى يضيق به ، وإذا أصاب إنسانا اللوقة والفالج يسعط بلبن جارية سوداء أو حبشية مع شئ من دهن الزئبق فانه يبرأ باذن الله تعالى ، ومقدار السعوط منه وزن قيراط للرجل الكامل وللطفل والصبى وزن حبة ، ويخلط معه فى بعض الأوقات أزروت أبيض ويقطر فى العين المحمرة تبرأ . وإذا أخذ الكاشم ودق ناعما وديف ببول صبى لم يبلغ الحلم وسقى للدابة الممغولة برئت باذن الله تعالى . وإذا أردت أن لا يقرب المرأة أحد غيرك فخذ ما تستخرجه من شعرها من تسريح أو غيره واحرقه حتى يصير رمادا ثم اجعل منه على رأس إحليلك عند الجماع معها . فلا أحد يجامعها بعد ذلك مثلك ولا تقبل أحدا غيرك ، وهو سر عجيب مجرب ، ويؤخذ من منى الرجل جزء ومن الزئبق جزء ويخلط الجميع ويسعط منه صاحب اللوقة ثلاثة أيام متوالية يبرأ باذن الله تعالى ، وإذا أخذ رجيع إنسان وأحرق وسحق ناعما وخلط معه ملح أندرانى وشئ من حزنبل وخلط الجميع ونفخ فى عين الدابة التى فيها البياض برئت . وإذا أخذ بول صبى قبل أن يبلغ الحلم وجعل فى وعاء وترك على النار حتى حمى وغمست صوفة فى ذلك البول وطلى به على العين التى بها ورم أو حمرة برئت ، وإذا أخذ منى ابن آدم وهو حار وطلى به البرص غير لونه بقدرة الله تعالى ، وإذا أخذ شئ من أبوال وجعل فى قدر نحاس وطبخ حتى انعقد ، ثم جفف وخلط معه ملح الطعام وسحق وعجن بماء الزعفران وجعل فى بودقة وأوقد عليه حتى يدور كما تدور الفضة فاجعله سبيكة وحكه على المسن بالماء والمسك ، وكحل به العين التى غلب عليها البياض تبرأ باذن الله تعالى البتة ، وهو سر لطيف مجرب ، وكان الحكماء المتقدمون يسمونه الجوهر النفيس . ويؤخذ لبن جارية سوداء فيذاب فيه شئ من الزعفران وشئ من لعاب السفرجل ويقطر فى العين التى بها الوجع والضربان والنقطة فانها تبرأ بإذن الله تعالى ، وإذا أردت أن تكون نهود الجارية قائمة لاتنكسر فخذ دم حيض الجارية من أول حيضها واطل به رؤوس النهدين فانهما لاينكسران ولا يزالان قائمين وهذا سر عجيب مجرب . وإذا أخذ دم الحيض وهو حار طرى ولطخ به فى العين يزول ما بها من الحمرة والنقطة والورم ، وإن أردت أن تسمن المرأة فخذ شحم إوزة أنثى يدق ويخلط معه يورق وكمون كرمانى ودقيق الحلبة يمزج الجميع ويجعل مثل البنادق ويبلع ذلك لدجاجة

سوداء سبعة أيام متوالية ثم تذبح وتصلى فكل من أكل من تلك الدجاجة أو من مرقتها يسمن حتى يكاد يغلب عليه الشحم من ذكر كان أو أنثى ، وإن أردت أبلغ من ذلك فخذ مرارة آدمى وخذ ما تيسر من القمح وضع تلك المرارة عليه مع قليل من الماء واصبر على القمح حتى ينتفخ وبلعه لدجاجة سوداء وافعل ماتقدم ذكره فمن أكل من تلك الدجاجة رأى العجب العجاب من السمن والشحم حتى لايستطيع القيام ذكرا كان أو أنثى وهو سر لطيف مجرب ، وإذا أردت أن تقطع لبن المرأة فخذ حلبة واسحقها واعجنها بالماء واطل بها ثدى المرأة ينقطع اللبن البتة بإذن الله تعالى ، وإذا أردت أن يدر اللبن فخذ حنظلة ودقها واعجنها بالزيت وخذ صوفة زرقاء ولفها على عود واغمسها فى الزيت والحنظلة واطل بها رأس الثدى يدر اللبن بقدرة الله تعالى وكلاهما صحيح مجرب ، ومتى صور صورة صبى حسن الوجه ونصب قبالة المرأة بحيث تراه وقت الجماع خرج الولد يشبه تلك الصورة فى أكثر الأعضاء ألبتة .

قال : وضرس الميت إذا علق على من به وجع الضرس سكن وجعه ، وإذا أخذ ضرس إنسان وعظم جناح الهدهد الأيمن وجعلا تحت رأس النائم لم يزل كذلك حتى يؤخذا من تحت رأسه ، وبصاق الإنسان ينفع من لدغ الهوام والقوباء والثآليل إذا طلى عليها قبل أن يأكل الإنسان شيئا ، ولبن النساء إذا شرب مع عسل فتت الحصا من المثانة ، وبول الإنسان إذا وضع على عضة الكلب نفعها نفعا بينا . وقال قوم : إن المكلوب إذا شرب من دم إنسان شريف برئ من ساعته ، وأنشدوا على ذلك قول الشاعر :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تبرى من الكلب

وقلامة ظفر الإنسان إذا أحرقت وسقيت لإنسان آخر أحبه ذلك الإنسان حبا شديدا . وشرب بول الإنسان ينفع من لسع جميع ذوات السموم ، وإن طلى به بعد أن يغلى رجل صاحب النقرس سكن الوجع والضربان وينفع من جميع القروح الحادثة فى أصابع القدم والقروح التى فيها دود خصوصا البول العتيق ، وينفع من عضة الإنسان والقرد وجميع الحيوان السمى ، وإذا بال رجل على الجرح حين يجرح قطع الدم لساعته وأبرأه وهو صحيح مجرب ، وعرق الإنسان إذا أخذ منه وعجن بغبار الرحا ووضع على الثدى الوارم نفعه وينفع من جمود اللبن فى الضرع والثدى ويعقده بعد الولادة ، ومنى الإنسان إذا أخذ وهو يابس ومعه سذاب مدقوق وذر على الأكلة أبرأها ألبتة ، وإن عجن بعسل وطلى به الحلق من خارج نفع الخناق ، وإذا أخذ نحو صبى حين يولد وجفف وسحق وكحل به بياض العين نفع وينفع من الغشاوة نفعا جيدا . وإذا أخذ من نجو إنسان قدر حمصة وديف بخل خمر وسقى لصاحب القولنج وعسر البول نفعهما . وهو إذا كان حارا نفع النرس الحمر ، وينفع من عضة الإنسان من ساعته .

ولعاب الصائم إذا قطر فى الأذن أخرج الدود منها ، وإن خلط مع الزراوند ووضع على البواسير أبرأها ، وسرة الصبى عند ماتقطع إذا أخذ منها شىء ووضع تحت فص خاتم فإنه ينفع لا بسه من القولنج .

وقال ابن زهر : سن الصبى الذكر أول ولد من المرأة إن جعل تحت فص خاتم ذهب أو فضة بحيث يكون فصه منه لم يصب من لبسه من الرجال القولنج البتة ، وإن بخرت المرأة بشعر إنسان نفعها من جميع أوجاع الرحم . وإذا طلت المرأة بدنها بدم النفاس من أول ولدها منعها الحبل ما عاشت ، وإن جعل سن الصبى أول ما يسقط قبل أن يصل إلى الأرض تحت فص خاتم وعلق على امرأة منعها الحبل . وعرق النساء يطلى به الجرب يبرأ . وبول الصبى الذى لم يبلغ عشرين سنة إذا شربه صاحب البرص برئ ، وبول الإنسان مع رماد الكرم يوضع على موضع نزف الدم يقف . ورماد العيشوم ورماد الشونيز مع الزيت العتيق ينبت اللحية ، ودم الحيض إذا طلى به عضة الكلب تبرأ وكذلك البهق والبرص .

وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات : إذا رعف الإنسان فليكتب اسمه بدمه على خرقة وتجعل نصب عينيه فانه ينقطع رعافه . ونطفة الإنسان إذا طلى بها البهق والبرص والقوباء أبرأتها ، وإذا خلط بها زهر الغبيراء وجفف وأسقاه إنسان لامرأة عشقته . ودم البكارة حين افتضاضها إذا طلى به الثدى لايكبر .

(قاعدة) قال الأطباء : إذا أردت أن تعلم هل المرأة عقيم أم لا فمرها أن تتحمل بثومة فى قطنة وتمكث سبع ساعات ، فإن فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالأدوية فإنها تحمل بإذن الله تعالى وإلا فلا . قال الرازى : وهى مجربة لذلك والله أعلم .

(التعبير) الإنسان فى المنام كل شخص يعرف فهو ذاك بعينه ذكرا كان أو أنثى أو سميه أو نظيره ، والشاب المجهول عدوّ والشيخ جد وسعادة وربما عبر بالصديق ، فمن رأى شيخا ضعيفا أو صغير الصورة فذاك نقص فى جد الإنسان وسعده ، والكهل إذا لم ينق البياض أقوى لجد الإنسان وسعده ، والصبى همّ إذا كان طفلا يحمل لقوله تعالى — فأتت به قومها تحمله — والبالغ قوة وبشارة لقوله تعالى - يابشرى هذا غلام — والصبى الحسن الصورة إذا دخل مدينة محاصرة أو كان بها طاعون أو قحط فرج عنهم ، وكذلك إذا نزل من السماء أو خرج من الأرض فهو بشارة لكل ذى هم .

ويعبر أيضا بملك من الملائكة مثال ذلك أن يرى المريض أو يرى له كأن صبيا أمرد أخذه أو ضرب عنقه فإنه ملك الموت ، والشاب الأشقر عدو شحيح ، والشاب التركى لا أمان له ، والشاب الضعيف عدو ضعيف ، والشاب الأسمر عدو غنى ، والشاب الأبيض عدوّ دين ، والمرأة فى المنام دنيا والمجهولة أقوى من المعروفة . وحسنها أحسن شىء وقبحها أقبح شىء ،

والزانية زيادة فى الخير والصلاح لقول النبى صلى الله عليه وسلم « عرضت على الدنيا ليلة أسرى بى فى صورة امرأة حاسرة الذراعين ، فقال لها : طلقتك ثلاثا » أراد بها الدنيا ، والمرأة السوداء تعبر بليلة مظلمة ، والبيضاء بالنهار ، فمن رأى امرأة سوداء غابت وظهرت له امرأة بيضاء فإن ذلك دليل الصباح وزوال الظلام ، والمرأة التى تكون للسلطان أو هى سلطانة فإنها تعبر بملك ظالم معجب أو تكون بمنزلة العروس لأهله ومال حرام لغير ذلك ، والشابة إذا رأتها المرأة فهى عدو لها إذا كانت مجهولة والعجوز المجهولة لها جد . وتعبر المرأة بالسنة فإن كانت سمينة فهى خصب وإن كانت هزيلة فهى جدب ، وإنما شبهت المرأة بالسنة لأنها كالأرض قال الله تعالى - نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم - ولأنها ذات نتاج وكذلك الأرض ، والمرأة المتنقبة عسر لمن رآها والمكشوفة الوجه دنيا ليس فيها تعب ، والنساء زينة الدنيا فمن أقبلن عليه أقبلت عليه الدنيا ومن أدبرن عنه أدبرت عنه الدنيا ، والإنسان القبيح الصورة أمر مكروه ، والأسود سوء ، والخصى المجهول يعبر بملك من الملائكة لانتزاع الشهوة منه ، فمن رأى أنه خصى أو كأنه خصى ناله ذل وخضوع . وقالت النصارى : من رأى نفسه خصيا نال منزلة فى العبادة وعفة الفرج . ومن رأى بيده رأس إنسان فإنه ينال ألف دينار أو ألف درهم أو مائة درهم ، والرءوس المقطعة فى المنام رؤساء الناس ، فمن أخذ شيئا من لحمها أو شعرها نال مالا من قوم رؤساء ، ومن رأى رأسه كبيرا حسنا نال رياسة ، ومن قطع رأسه وكان مملوكا عتق أو مهموما فرج الله همه أو مريضا شفى فإن كان ممن يخدم فارق خدمه ، ومن رأى رأسه يرضخ بحجر فإنه قد نام عن صلاة العشاء ، ومن رأى رأسه رأس كلب أو فرس أو جمل أو حمار أو بغل أو غير ذلك من البهائم التى تنالها مشقة التعب والعمل نال تعبا لأن هذه الحيوانات خلقت للكلف والتعب ، وإن رأى رأسه رأس طير كثر سفره ، ومن رأى رأسه بيده وكان له رأس آخر فإن ذلك يدل على تدبير الأمور الرديئة وإصلاحها ، وأكل الرأس من الحيوانات مالم يكن يرجوه ، وطول حياة إذا كان غير نىء ، والرأس يعبر بالرئيس والسيد والأب ويعبر أيضا برأس المال ، فما رؤى فيه من زيادة أو نقص أو وجع فهو عائد إلى ما ذكرناه ، ومن رأى رأسه تحول رأس أسد فإنه ينال ملكا إن كان من أهله أو رياسة أو ولاية أو وجاهة ، ومن رأى أنه يأكل لحم إنسان فإنه يغتابه ، ومن أكل لحم نفسه فإنه يغتاب ، وقيل أكل اللحم النىء خسارة فى المال ، واللحوم فى الرؤيا أموال إذا كانت مطبوخة ناضجة ، وإذا أكلت المرأة لحم امرأة فإنها تساحقها ، وإن أكلت لحم نفسها فإنها تزنى ، وأكل لحم البقر الهزيل مرض وانسب كل لحم إلى حيوانه ؛ فلحم الحية مال من عدو ، فإن كان نيئا فهو غيبة ، ولحم السبع مال من سلطان ، وكذلك لحوم السباع الضوارى ، وجوارح الطير ولحم الخنزير مال حرام ، والله تعالى أعلم .

﴿ إنسان الماء ﴾ : يشبه الإنسان إلا أنه له ذنبا. وقال القزوينى : وقد جاء شخص بواحد منها فى زماننا مقدرة كما ذكرنا . وقيل : إن فى بحر الشأم فى بعض الأوقاف من شكله شكل إنسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر ، فإذا رآه الناس استبشروا بالخصب . وحكى أن بعض الملوك حمل إليه إنسان ماء فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه ، فقال للولد : ما يقول أبوك . قال : يقول أذناب الحيوان كلها فى أسفلها فما بال هؤلاء أذنابهم فى وجوههم؟ وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الباء الموحدة فى بنات الماء قريب من هذا .

(الحكم) سئل الليث ابن سعد رضى الله عنه عن أكله ؟ فقال : لا يؤكل على شىء من الحالات ، والله تعالى أعلم .

﴿ الأنقد ﴾ : بالنون الساكنة وفتح القاف وبالدال المهملة القنفذ .

(الأمثال) يقال بات فلان بليل أنقد لأنه لا ينام الليل كله ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف فى القنفذ . قال الميدانى : أنقد معرفة لا تدخله الألف واللام يضرب لمن سهر ليله أجمع . قال : وقيل الأنقد الذى يشتكى سنه من النقد ، وهو فساد فى الأضراس يحركها وصاحبه لا ينام .

(فائدة) ومما جرب لوجع الضرس أن يكتب ويحمل قوله تعالى— وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم — محوصه سمه ولها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم جهكر طكفوم طسم طس طسم حم حم حم حم حم حم حم حم اسكن أيها الوجع بالذى سكن له ما فى الليل والنهار وهو السميع العليم اليقس تقس قسا مسقس إن البهر بهرهرا وراب .

ويكتب لوجع الضرس أيضا على جدار هذه الأحرف وهى ج ب رص لاوع م لا وتأمر الموجوع أن يضع أصبعه على الضرس الضارب ، ويكون ذلك فى حال ضربانه ، وتضع مسمارا على أول حرف من الحروف المتقدمة ، وتدق عليه دقا خفيفا وأنت تقرأ — ولو شاء لجعله ساكنا وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم —فى حالتى الدق والكتابة ، فإذا علق رأس المسمار يسيرا سله هل سكن الوجع ؟ فإن قال نعم فبلغ المسمار بالدق إلى قرصه ، وإن قال لا فانقل المسمار إلى الحرف الثانى ، وافعل ماتقدم ذكره ولا تزال تنقله حرفا حرفا إلى آخر الحروف ، فى أى حرف سكن الوجع فبلغ المسمار فيه بالدق إلى قرصه فإنه لابد أن يسكن فى حرف منها كما جرب مرارا ، ومادام المسمار مدقوقا دام الوجع ساكنا فإذا قلع المسمار عاد الوجع ، والنقط الحمر فى الحروف موضع وضع المسمار ، وهو سر عجيب مجرب صحيح وقد نظم ذلك بعض الفضلاء فى أبيات وهى :

وللضرس فاكتب فى الجدار مفرقا بما جمعه حبر صلا وعملا
ومره على الموجوع يجعل أصبعا وضع أنت مسمارا على الحرف أولا
ودق خفيفا ثم سله ترى به سكونا نعم إن قال بلغه موصلا
وإن قال لا فانقله ثانى حروفه وفى كل حرف مثل ما قلت فافعلا
وفى سورة الفرقان تقرأ ساكنا كذا آية الأنعام فاتل مرتلا
وتترك ذا المسمار فى الحيط مثبتا مدى الدهر فالأسقام تذهب والبلا
فخذها أخى كنزا لديك مجربا ذخيرة أهل الفضل من خيرة الملا

وقد أحسن الأمير أسامة بن منقذ حيث قال ملغزا فى ضرسه وقد قلعه :

وصاحب لا أملّ الدهر صحبته يسعى لنفعى ويسعى سعى مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت عينى عليه افترقنا فرقة الأبد

وله أيضا فى الصبر :

اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجا يأتى به الله بعد الريب والياس
إن اصطبار ابنة العنقود إذ حبست فى ظلمة القار أداها إلى الكاس

وله أيضا فيه :

من يرزق الصبر نال بغيته ولاحظته السعود فى الفلك
إن اصطبار الزجاج حين بدا للسبك أدناه من فم الملك

﴿ الأُنكليس ﴾ : بفتح الهمزة واللام وكسرها معا سمك شبيه بالحيات ردىء الغذاء وهو الذى يسمى الجرىء الآتى فى باب الجيم إن شاء الله تعالى ، ويسمى المار ما هى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصاد فى لفظ الصيد ، فإن البخارى ذكر فى صحيحه ، وفى حديث على رضى الله تعالى عنه أنه بعث عمارا إلى السوق فقال : لا تأكلوا الأنكليس من السمك ، وإنما كرهه لما تقدّم لا لأنه حرام ، وفيه لغتان الأنكليس والأنقليس بفتح الهمزة واللام ومنهم من يكسرها . قال الزمخشرى : وقيل إنه الشلق . وقال ابن سيده : هو على هيئة السمك صغير له رجلان عند ذنبه كرجلى الضفدع ولا يد له ، يكون فى أنهار البصرة وليس لفظه عربيا .

﴿ الأُنن ﴾ : بضم الهمزة وبالنونين طائر يضرب إلى السواد ، وله طوق كطوق الدبسى أحمر الرجلين والمنقار مثل الحمامة إلا أنه أسود ، وصوته أنين أوه أوه حكاه فى المحكم .

﴿ الأُنيس ﴾ : وتسميه الرماة الأنيسة طائر خادّ البصر يشبه صوته صوت الجمل ، ومأواه قرب الأنهار والأماكن الكثيرة المياه الملتفة الأشجار ، وله لون حسن ، وتدبير فى معاشه ؛ قال أرسطو : إنه يتولد من الشرقراق والغراب وذلك بين فى لونه ، وهو طائر يحب الأنس ويقبل الأدب والتربية ، وفى صفيره وقرقرته أعاجيب ، وذلك أنه ربما أفصح بالأصوات

كالقمرى ، وربما أبهم كحمحمة الفرس ، وغذاؤه الفاكهة واللحم وغير ذلك ، ويألف الغياض.
(الحكم) يحل أكله لأنه من الطيبات ، وينبغى أن يخرج فيه وجه بالحرمة لأكله اللحم ، ولسبب تولده من الغراب والشرقراق .

﴿ الأنوق ﴾ : على فعول الرخمة أو طائر أسود له شىء كالعرف أو أصلع الرأس أصفر المنقار . قيل : إن فى أخلافها أربع خصال : تحضن بيضها ، وتحمى فرخها ، وتألف ولدها ولا تمكن من نفسها غير زوجها .

وفى المثل : أعز من بيض الأنوق ، وأبعد من بيض الأنوق ، فلا يكاد يظفر به لأن أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة ، وهى تحمق مع ذلك . قال الشاعر :

وذات اسمين والألوان شتى وتحمق وهى كيسة الحويل

وقال غيره :

وكنت إذا استودعت سرا كتمته كبيض أنوق لاينال لها وكر

وقال رجل لمعاوية : زوجنى هندا يعنى أمه فقال : إنها قعدت عن الولد فلا حاجة لها إلى الزواج . قال : فولنى ناحية كذا ، فأنشد معاوية رضى الله عنه :

طلب الأبلق العقوق فلما أعجزته أراد بيض الأنوق

ومعناه : أنه طلب مالا يكون فلما لم يجده طلب ما يطمع فى الوصول إليه ، وهو مع ذلك بعيد ، كذا قاله جماعة ممن تكلم على الأمثال ، وهو غلط لأن أم معاوية ماتت فى المحرم سنة أربع عشرة فى اليوم الذى مات فيه أبو قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما ، والصواب الذى فى نهاية ابن الأثير وغيرها : أن رجلا قال لمعاوية رضى الله تعالى عنه : افرض لى قال نعم . قال : ولولدى . قال : لا . قال : ولعشيرتى . قال : لا . ثم تمثل معاوية رضى الله تعالى عنه بقول الشاعر : طلب الأبلق العقوق إلى آخره . والعقوق : الحامل من النوق ، والأبلق من صفات الذكور ، والذكر لايحمل فكأنه قال : طلب الذكر الحامل ، وبيض الأنوق مثل يضرب للذى يطلب المحال الممتنع . وقال السهيلى فى أوائل الروض : الأنوق الأنثى من الرخم . يقال فى المثل : أراد بيض الأنوق . إذا طلب ما لا يوجد لأنها تبيض حيث لايدرك بيضها فى شواهق الجبال ، وهذا قول المبرد فى الكامل ولم يوافق عليه ؛ فقد قال الخليل : الأنوق الذكر من الرخم ، وهذا أشبه بالمعنى لأن الذكر لا يبيض ، فمن أراد بيض الأنوق فقد أراد المحال كمن أراد الأبلق العقوق . وقال القالى فى الأمالى : الأنوق يقع على الذكر والأنثى من الرخم ، وحكم الأنوق يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الراء فى الرخمة .

(تتمة) السهيلى اسمه عبدالرحمن بن محمد السهيلى الخثعمى الإمام المشهور ، قال أبو الخطاب ابن دحية : أنشدنى السهيلى أبياتا ، وقال ماسأل الله تعالى بها أحد حاجة إلا قضاها . وفى رواية إلا أعطاه الله إياها ، ، وكذلك من استعمل إنشادها ، وهى :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع أنت المعدّ لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها يامن إليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن امنن فإن الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة فلئن رددت فأىّ باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا فالفضل أجزل والمواهب أوسع

وكان السهيلى مكفوف البصر توفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى ، والله الموفق للصواب .

﴿ إوز ﴾ : بكسر الهمزة وفتح الواو ، والبط واحدته إوزة ، وجمعوه بالواو والنون، فقالوا : أوزون : وقد أجاد فى وصفها أبو نواس حيث قال :

كأنما يصفرن من ملاعق صرصرة الأقلام فى المهارق

وأبو نواس شاعر ماهر وهو من شعراء الدولة العباسية، وله أخبار عجيبة ونكت غريبة وخمريات أبدع فيها، واسمه الحسن بن هانئ بن عبد الأول. قال ابن خلكان فى ترجمة أبى نواس: قال المأمون : لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبى نواس :

ألا كل حى هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوّ فى ثياب صديق

قال : ومن أحسن ما أتى به من المعانى وأغربها ، ويدل على حسن ظنه بالله تعالى قوله ::

تكثر ما استطعت من الخطايا فإنك بالغ ربا غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفوا وتلقى سيدا ملكا كبيرا
تعضّ ندامة كفيك مما تركت مخافة النار الشرورا

قال محمد بن نافع : رأيت أبا نواس فى المنام بعد موته، فقلت : يا أبا نواس، فقال : لات حين كنية ، فقلت : الحسن بن هانئ ؟ قال : نعم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بأبيات قلتها فى علتى قبل موتى هى تحت الوسادة. قال : فأتيت أهله، فقلت هل قال أخى شعرا قبل موته ؟ قالوا : لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندرى ما هو. قال : فدخلت ورفعت وسادته فإذا أنا برقعة مكتوب فيها :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم

مالى إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إنى مسلم

قال : وسئل أبو نواس عن نسبه فقال : أغنانى أدبى عن نسبى . وتوفى سنة أربع وتسعين ومائة .

والإوز يحب السباحة ، وفرخه يخرج من البيضة فيسبح فى الحال ، وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها طرفة عين ، وتخرج أفراخها فى أواخر الشهر .

روى الإمام أحمد فى [المناقب] عن الحسين بن كثير عن أبيه ، وكان قد أدرك عليا رضى الله تعالى عنه قال : خرج على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إلى صلاة الفجر فإذا إوز يصحن فى وجهه فطردوهن ، فقال : دعوهن فإنهن نوائح فضربه ابن ملجم ، فقلت : يا أمير المؤمنين خلّ بيننا وبين مراد فلا تقوم لهم ثاغية ولا راغية أبدا ، فقال : لا ، ولكن احبسوا الرجل فإن أنا مت فاقتلوه ، وإن أعش فالجروح قصاص انتهى .

وسبب ذلك على ما ذكره ابن خلكان وغيره أنه اجتمع قوم من الخوارج فتذاكروا أصحاب النهروان وترحموا عليهم وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فتحالف عبدالرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمى على أن يأتى كل واحد منهم واحدا من على ومعاوية وعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم ، فقال ابن ملجم وهو أشقى الآخرين : أنا أكفيكم على بن أبى طالب . وقال البرك : وأنا أكفيكم معاوية . وقال بكر : وأنا أكفيكم عمرو ابن العاص ، ثم سموا سيوفهم وتواعدوا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، فدخل ابن ملجم الكوفة فرأى امرأة حسناء يقال لها قطام ، كان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قد قتل أباها وأخاها يوم النهروان ، فخطبها فقالت لا أتزوجك حتى أشترط . قال : وما شرطك ؟ قالت : ثلاثة آلاف ، وعبد ، ووصيفة ، وقتل علىّ . فقال لها : وكيف لى بقتل على ؟ فقالت : تروم ذلك غيلة ، فإن سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك ، وإن أصبت خرجت إلى الجنة ونعيم لا يزول فأنعم لها . وقال : ماجئت إلا لقتله ، ثم أقبل ابن ملجم حتى جلس مقابل السدة التى يخرج منها على رضى الله تعالى عنه إلى الصلاة ، فلما خرج لصلاة الفجر ضربه ابن ملجم على صلعته ، فقال رضى الله تعالى عنه : فزت ورب الكعبة شأنكم بالرجل فخذوه . فحمل ابن ملجم على الناس بسيفه فأفرجوا له ، وتلقاه المغيرة بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وجلس على صدره . قالوا : وأقام على رضى الله عنه يومين ومات ، وقتل الحسن بن على عبد الرحمن ابن ملجم فاجتمع الناس وأحرقوا جثته . وأما البرك فإنه ضرب معاوية رضى الله عنه فأصاب أوراكه ، وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك ، فلما أخذ قال : الأمان والبشارة فقد قتل على فى هذه الليلة ، فاستبقاه حتى جاءه الخبر بذلك ، فقطع

معاوية يده ورجله وأطلقه فرحل إلى البصرة ، وأقام بها حتى بلغ زياد ابن أبيه أنه ولد له ، فقال : أيولد له وأمير المؤمنين لايولد له فقلته ! قالوا : وأمر معاوية رضى الله عنه باتخاذ المقصورة من ذلك الوقت . وأما ابن بكر فإنه رصد عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه ، فاشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة ، فصلى بالناس رجل من بنى سهم يقال له خارجة ، فضربه ابن بكر فقتله ، فأخذ ابن بكر ، فلما أدخل على عمرو رضى الله تعالى عنه ورآهم يخاطبونه بالإمارة قال : أو ما قتلت عمرا ؟ قيل له : وإنما قتلت خارجة . قال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فقتله عمرو رضى الله تعالى عنه . وقيل : إن عليا رضى الله عنه كان إذا رأى ابن ملجم يتمثل ببيت عمرو بن معد يكرب بن قيس بن مكشوح المرادى ، وهو قوله :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

فقيل لعلى رضى الله تعالى عنه : كأنك عرفته وعرفت مايريد أفلا تقتله ؟ قال : كيف أقتل قاتلى ؟ ولما انتهى إلى عائشة رضى الله تعالى عنها قتل على رضى الله تعالى عنه قالت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وعلى رضى الله تعالى عنه أول إمام خفى قبره . قيل : إن عليا رضى الله عنه أوصى أن يخفى قبره لعلمه أن الأمر يصير إلى بنى أمية فلم يأمن أن يمثلوا بقبره ، وقد اختلف فى قبره فقيل : فى زاية الجامع بالكوفة ، وقيل : فى قصر الإمارة بها ، وقيل : بالبقيع وهو بعيد ، وقيل : إنه بالنجف فى المشهد الذى يزار اليوم ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ما ذكره ابن خلكان فى ذلك فى باب الفاء فى لفظ الفهد ، والله الموفق .

(فائدة أجنبية) ولما كان الحديث ذا شجون ، وإفادة العلم تحقق للطالبين مايرجون ، وتجدد لهم ما ينسى الخليع أيام المجون ، أحببت أن أذكر ههنا فائدة غريبة ذكرها المؤرخون : وهو أن كل سادس قائم بأمر الأمة مخلوع ، وها أنا أذكر ما ذكروه وأزيد عليه قدرا يسيرا من سيرة كل واحد منهم وأيامه وسبب موته ومدة خلافته وعمره ، لتكمل بذلك الفائدة وتحصل الجدوى والعائدة .

قال المؤرخون : إن أول قائم بأمر الأمة النبى صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى على فترة من الرسل رحمة للعالمين ، فبلغ الرسالة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ونصح الأمة ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ، فهو أفضل الخلق وأشرف الرسل ، نبى الرحمة وإمام المتقين ، وحامل لواء الحمد ، وصاحب الشفاعة ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه ، فهو خير الأنبياء وأمته خير الأمم ، وأصحابه أفضل الناس بعد الأنبياء ، وملته أشرف الملل ، له المعجزات الباهرة ، والخلق العظيم ، والعقل الكامل الجسيم ، والنسب الأشرف ، والجمال المطلق ، والكرم الأوفر ، والشجاعة التامة ، والحلم الزائد ، والعلم

النافع ، والعمل الأرفع ، والخوف الأكمل ، والتقوى الباهرة ؛ فهو أفصح الخلق وأكملهم فى كل صفات الكمال ، وأبعد الخلق عن الدناءات والنقائص ، وفيه قال الشاعر :

لم يخلق الرحمن مثل محمد أبدا وعلمى أنه لايخلق

قالت عائشة رضى الله عنها « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان فى بيته فى مهنة أهله : أى فى خدمتهم ، وكان يفلى ثوبه ويرقعه ، ويخصف نعله ، ويخدم نفسه ، ويعلف ناضحه ، ويقم البيت : أى يكنسه ، ويعقل البعير ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق » وكان عليه الصلاة والسلام متواصل الأحزان ، دائم الفكر ليست له راحة ، وقد قال على رضى الله تعالى عنه « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته ؟ فقال : المعرفة رأس مالى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلقى ، وقرة عينى فى الصلاة » وأما حلمه وجوده ، وشجاعته ، وحياؤه ، وحسن عشرته ، وشفقته ، ورأفته ، ورحمته ، وبره ، وعدله ، ووقاره ، وصبره ، وهيبته ، وثقته ، وبقية خصاله الحميدة التى لاتكاد تحصر فكثيرة جدا ، فقد صنف العلماء رضى الله تعالى عنهم فى سيرته وأيامه ومبعثه وغزواته وأخلاقه ومعجزاته ومحاسنه وشمائله كتبا جمة ، ولو أردنا ذكر قدر يسير منها لجاء فى مجلدات كثيرة ، ولسنا بصدد ذلك فى هذا الكتاب . قالوا : وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم بعد أن أكمل الله تعالى لنا ديننا وأتم علينا نعمته فى وسط يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، وله صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة ، وتولى غسله على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، ودفن صلى الله عليه وسلم فى حجرته التى بناها لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

(خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه)

ثم قام بالأمر بعده صلى الله عليه وسلم خليفته على الصلاة أيام مرضه ، وابن عمه الأعلى ونسيبه ، وصهره ، ومؤنسه فى الغار ، ووزيره ، وصديقه الأكبر ، وخير الخلق بعده أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه . بويع له بالخلافة فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسقيفة بنى ساعدة ، ولذلك قصة تركناها لطولها واشتهارها ، فقام بالأمر أتم قيام ، وفتح فى دولته اليسيرة اليمامة وأطراف العراق وبعض مدن الشام . وكان رضى الله عنه كبير الشأن ، زاهدا ، خاشعا ، إماما ، حليما ، وقورا ، شجاعا ، صابرا ، رءوفا ، عديم النظير فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم . ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت الزكاة ، فلما استخلف الصديق جمع الصحابة رضى الله تعالى عنهم وشاورهم

فى القتال فاختلفوا عليه ، وقال له عمر رضى الله تعالى عنه : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى دمه وماله إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » فقال الصديق رضى الله عنه : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضى الله عنه : فو الله ماهو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق . وفى رواية : قال عمر رضى الله عنه : فقلت تألف الناس وارفق بهم ، فقال لى : أجبار فى الجاهلية وخوار فى الإسلام ياعمر ؟ إنه قد انقطع الوحى وتم الدين ، أينقص وأنا حى ؟ ثم خرج لقتالهم .

وذكر جماعة من المؤرخين وغيرهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد وجه أسامة ابن زيد رضى الله عنهما فى سبعمائة بطل إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب ، فاجتمعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا للصديق رضى الله عنه : رد هؤلاء : أى أسامة ومن معه ، فقال : والله الذى لاإله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مارددت جيشا جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حللت عقد لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية : لو علمت أن السباع تجر برجلى إن لم أرده مارددته ، وأمر أسامة رضى الله عنه أن يمضى لوجهه وقال له : إن رأيت أن تأذن لعمر رضى الله عنه بالمقام عندى أستأنس به وأستعين برأيه ، فقال له أسامة رضى الله عنه : قد فعلت ، وسار أسامة رضى الله تعالى عنه فجعل لا يمر بقبيلة تريد الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هذا الجيش من عندهم ، فلقوا الروم فقاتلوهم وهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : خرج أبى يوم الردة شاهرا سيفه راكبا راحلته فجاء على رضى الله تعالى عنه حتى أخذ بزمام راحلته وقال : أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : شم سيفك لاتفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لايكون للإسلام بعدك نظام أبدا . ومعنى شم : أغمد .

وقال ابن قتيبة : ارتدت العرب إلا القليل منهم ، فجاهدهم الصديق حتى استقاموا ، وفتح اليمامة ، وقتل مسيلمة الكذاب بها والأسود العنسى الكذاب بصنعاء ، وبعث الجيوش إلى الشام والعراق .

وقال أبو رجاء العطاردى : دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول : أنا فداؤك والله لولا أنت لهلكنا . فقلت : من المقبل والمقبل ؟ فقالوا : عمر يقبل رأس أبى بكر رضى الله تعالى عنهما من أجل قتال أهل الردة .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأب النفاق ، ونزل بأبى مالو نزل على الجبال الراسيات لهاضها .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : والله الذى لاإله إلا هو لو لم يستخلف أبو بكر رضى الله تعالى عنه ماعبد الله تعالى . ثم قال الثانية : ثم قال الثالثة .

قالوا : وكان من اللين والتواضع على جانب عظيم ، ولما مرض ترك التطبب تسليما لأمر الله تعالى فعاده الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقالوا : ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك ؟ فقال نظر إلىّ : قالوا : وما قال لك ؟ قال : قال لى إنى فعال لما أريد .

توفى رضى الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وله رضى الله عنه ثلاث وستون سنة ، وكان سبب موته كمدا لحقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال يذيبه ، والكمد : الحزن المكتوم ، ودفن فى حجرة عائشة أم المؤمنين مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت خلافته رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام .

(خلافة عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه)

ثم قام بالأمر بعده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . بويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بوصية من أبى بكر رضى الله تعالى عنهما فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته ، وصبره على العيش الخشن ، وخبز الشعير ، والثوب الخام المرقع ، والقناعة باليسير ، وفتح الفتوحات الكبار ، والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، وهو من المهاجرين الأولين ، صلى إلى القبلتين ، وشهد بدرا وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما أسلم رضى الله تعالى عنه أعز الله به الإسلام ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض وبشره بالجنة ، ومناقبه رضى الله عنه كثيرة جدا ، وحسبك أنه كان وزير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعاش حميدا وتوفى فقيرا سعيدا شهيدا ، فما يبغضه إلا زنديق أو حمار مفرط الجهل ، وهو أول من عس فى عمله رضى الله تعالى عنه : أى كان يمشى ليلا لحفظ الدين والناس ، وهابه الناس هيبة عظيمة حتى تركوا الجلوس بالأفنية ، فلما بلغه رضى الله تعالى عنه هيبة الناس له جمعهم ، ثم قام على المنبر حيث كان أبو بكر رضى الله عنه يضع قدميه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : بلغنى أن الناس قد هابوا شدتى وخافوا غلظتى وقالوا : قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر رضى الله تعالى عنه والينا دونه ، فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه ؟ ولعمرى من قال ذلك فقد صدق ، كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عبده وخادمه حتى قبضه الله عز وجل وهو عنى راض ، والحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك . ثم ولى أمر الناس أبو بكر رضى الله تعالى عنه فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدتى بلينه فأكون

سيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى ، فما زلت معه كذلك حتى قبضه الله تعالى وهو عنى راض ، والحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك . ثم إنى وليت أموركم إعلموا أن تلك الشدة قد تضاعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين ، وأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، ولست أدع أحدا يظلم وأحدا يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن بالحق ، ولكم على أيها الناس أن لا أخبأ عنكم شيئا من خراجكم ، وإذا وقع عندى أن لا يخرج إلا بحقه ، ولكم على أن لا ألقيكم فى المهالك ، وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

قال سعيد بن المسيب : وفى الله عمر وزاد فى الشدة فى مواضعها واللين فى مواضعه ، وكان رضى الله تعالى عنه أبا العيال حتى كان يمشى إلى المغيبات : أى التى غاب عنهن أزواجهن ، ويقول : ألكن حاجة حتى أشترى لكن فإنى أكره أن تخدعن فى البيع والشراء ، فيرسلن بجواريهن معه فيدخل فى السوق ووراءه من جوارى النساء وغلمانهن مالا يحصى فيشترى لهن حوائجهن ، ومن كانت ليس عندها شىء اشترى لها من عنده رضى الله تعالى عنه .

وروى أن طلحة رضى الله عنه خرج فى ليلة مظلمة فرأى عمر رضى الله عنه قد دخل بيتا ثم خرج ، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها طلحة : مابال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت : إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى تعنى القذر ، ولما رجع رضى الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فر بعجوز فى خبائها فقصدها فقالت : يا هذا ما فعل عمر ؟ قال : قد أقبل من الشام سالما ، فقالت : لاجزاه الله عنى خيرا ، قال : ولم ؟ قالت : لأنه والله ما نالنى من عطائه منذ ولى أمر المؤمنين دينار ولا درهم ، فقال : وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع ؟ فقالت سبحان الله ، والله ما ظننت أن أحدا يلى على الناس وما يدرى ما بين مشرقها ومغربها . فبكى عمر رضى الله عنه وقال : واعمراه كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر . ثم قال لها : ياأمة الله بكم تبيعينى ظلامتك من عمر فإنى أرحمه من النار ؟ فقالت : لا تهزأ بنا يرحمك الله ، فقال لست بهزاء ، فلم يزل بها حتى اشترى منها ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن أبى طالب وابن مسعود فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت : واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه ، فقال لها عمر رضى الله تعالى عنه : لا بأس عليك رحمك الله . ثم طلب رقعة يكتب فيها فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا : فما تدعى عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى فعمر منه

برئ ، شهد على ذلك على بن أبى طالب وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما ، ثم دفع الكتاب إلى ولده وقال : إذا أنامت فاجعله فى كفنى ألقى به ربى . وأخباره رضى الله تعالى عنه فى مثل هذا كثيرة جدا .

وذكر الفضائلى : أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وهو بالقادسية بأن يوجه نضلة الأنصارى رضى الله عنه إلى حلوان العراق ليغير على ضواحيها فبعث سعد نضلة فى ثلثمائة فارس فساروا حتى أتوا حلوان العراق فأغاروا على ضواحيها فأصابوا غنيمة وسبيا ، فأقبلوا بذلك حتى أرهقهم العصر وكادت الشمس تغرب فألجأ نضلة السبى والغنيمة إلى سفح جبل ، ثم قام فأذن فقال : الله أكبر الله أكبر ، فأجابه مجيب من الجبل : كبرت كبيرا يانضلة ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : كلمة الإخلاص يانضلة ، ثم قال : أشهد أن محمدا رسول الله ، فقال : هو الذى بشرنا به عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى رأس أمته تقوم الساعة ، ثم قال : حى على الصلاة ، فقال : طوبى لمن سعى إليها وواظب عليها ، ثم قال حى على الفلاح ، فقال : قد أفلح من أجاب داعى الله ، ثم قال : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، قال : أخلصت الإخلاص كله يانضلة حرم الله بها جسدك على النار ، فلما فرغ من أذانه قام فقال : من أنت يرحمك الله أملك أنت أم من الجن أم طائف من عباد الله ؟ قد أسمعتنا صوتك فأرنا شخصك فإن الوفد وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووفد عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فانفاق الجبل عن هامة كالرحا أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رزين بن برثملا وصى العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام ، أسكننى فى هذا الجبل ودعا لى بطول البقاء إلى حين نزوله من السماء ، فأقرئوا عمر منى السلام وقولوا له : يا عمر سدد وقارب فقد دنا الأمر ، وأخبروه بهذه الخصال التى أخبركم بها : يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب : إذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، وانتسبوا إلى غير مناسبهم ، وانتموا إلى غير مواليهم ، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم ، وترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به ، وترك النهى عن المنكر فلم ينه عنه ، وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنيا ، وكان المطر قيظا ، والولد غيظا وطولوا المنارات ، وفضضوا المصاحف ، وزخرفوا المساجد ، وأظهروا الرشا ، وشيدوا البناء واتبعوا الهوى ، وباعوا الدين بالدنيا ، وقطعت الأرحام ، ومنعت الأحكام ، وأكلوا الربا ، وحاز الغنى عزا والفقير ذلا ، وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه فسلم عليه وركبت الفروج السروج ، ثم غاب عنهم فلم يروه . فكتب نضلة إلى سعد بذلك ، فكتب سعد بذلك إلى عمر رضى الله تعالى عنهم أجمعين . فكتب إليه عمر رضى الله تعالى عنه : سر أنت بنفسك ومن معك من المهاجرين

والأنصار حتى تنزلوا بهذا الجبل ، فإن لقيته فأقرئه منى السلام، فخرج سعد رضى الله تعالى عنه فى أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى نزلوا بذلك الجبل، ومكث سعد رضى الله تعالى عنه أربعين يوما ينادى بالصلاة فلايجد جوابا ولا يسمع خطابا، فكتب بذلك إلى عمر رضى الله تعالى عنه .

وعمر رضى الله تعالى عنه أول من أرخ التاريخ وذلك فى سنة ست عشرة، وفيها كان فتح بيت المقدس صلحا ، وفيها نزل سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه الكوفة ومصرها، وهو أول من دوّن الدواوين، ومصر الأمصار، وحقق كلمته فى إعلاء كلمة الله تعالى ففتح الله تعالى على يديه مواضع عديدة : ففتح رضى الله تعالى عنه دمشق، ثم الروم، ثم القادسية ثم انتهى الفتح إلى حمص، وحلوان، والرقة، والرها، وحران، ورأس العين، وخابور، ونصيبين، وعسقلان وطرابلس، وما يليها من الساحل ، وبيت المقدس ، وبيسان ، واليرموك، والأهواز ، وقيسارية، ومصر وتستر ، ونهاوند ، والرى وما يليها ، وأصبهان ، وبلاد فارس ، وإصطخر ، وهمذان ، والنوبة ، والبرلس والبربر ، وغير ذلك ، وكانت درته أهيب من سيف الحجاج ، وهابه ملوك فارس والروم وغيرهم ، ومع ذلك كله بقى على حاله كما كان قبل الولاية فى لباسه وزيه وأفعاله وتواضعه ، يسير منفردا فى حضره وسفره من غير حرس ولا حجاب ، لم تغيره الإمرة ولم يستطل على مسلم بلسانه ، ولا حابى أحدا فى الحق ، وكان لا يطمع الشريف فى حيفه ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، ولا يخاف فى الله لومة لائم، ونزل نفسه رضى الله تعالى عنه من مال الله تعالى منزلة رجل من المسلمين، وجعل فرضه كفرض رجل من المهاجرين، وكان يقول : أنا فى مالكم كولى مال اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف أراد بذلك أنه يأكل ما تقوم به بنيته ولا يتعداه .

وقال مجاهد : تذاكر الناس فى مجلس ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فأخذوا فى فضل أبى بكر ثم فى فضل عمر رضى الله تعالى عنهما ، فلما سمع ابن عباس ذكر عمر رضى الله تعالى عنه بكى بكاء شديدا حتى أغمى عليه، ثم قال : رحم الله عمر قرأ القرآن وعمل بما فيه ، فأقام حدود الله كما أمر ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، لقد رأيت عمر رضى الله تعالى عنه وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه : وستأتى الإشارة إلى ذلك فى باب الدال المهملة فى لفظ الديك .

وقتل رضى الله تعالى عنه فى سنة ثلاث وعشرين، قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة واسمه فيروز، وكان المغيرة رضى الله تعالى عنه يستغله كل يوم أربعة دراهم لأنه كان يصنع الأرحاء، فلقى عمر يوما فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علىّ غلتى فكلمه لى ليخفف عنى ، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه : اتق الله وأحسن إلى مولاك، فغضب أبو لؤلؤة وقال : ياعجبا قد وسع الناس عدله غيرى ، وأضمر على قتله واصطنع له خنجرا له رأسان وسمه وتحين به

عمر رضى الله تعالى عنه فجاء عمر إلى صلاة الغداة : قال عمرو بن ميمون : إنى لقائم فى الصلاة وما بينى وبين عمر إلا ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول : قتلنى الكلب حين طعنه ، أو طار العلج بسكين كانت ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات سبعة وقيل تسعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا ، فلما علم أنه مأخوذ نحر نفسه ، فقال عمر رضى الله تعالى عنه : قاتله الله لقد أمرت به معروفا ، ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام ، وكان أبو لؤلؤة مجوسيا ويقال كان نصرانيا . توفى فى ذى الحجة لأربع عشرة ليلة مضت منه فى السنة المذكورة بعد طعنه بيوم وليلة عن ثلاث وستين سنة ، ودفن مع صاحبه فى الحجرة النبوية . ولما توفى عمر رضى الله تعالى عنه أظلمت الأرض فجعل الصبى يقول : يا أماه أقامت القيامة ؟ فتقول لا يابنى ، ولكن قتل عمر رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى طرف من هذا ، وذكر الشورى فى لفظ الديك أيضا قال ابن إسحاق : وكانت خلافته رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال . وقال غيره : وثلاثة عشر يوما ، والله أعلم .

(خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه)

ثم قام بعده بالأمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، اشتور أهل الحل والعقد بعد دفن عمر بثلاثة أيام واتفقوا على مبايعته ، وهو ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم الأعلى بويع له بالخلافة فى أول يوم من سنة أربع وعشرين . قال أهل التاريخ : إنه لم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عثمان ، ويكنى أبا عمرو وأبا عبد الله والأول أشهر ، وينسب إلى أمية ابن عبد شمس ، فيقال الأموى ، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف ، ويدعى بذى النورين . قيل لأنه تزوج بابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهما ، ولم يعلم أحد تزوج بابنتى نبى غيره رضى الله تعالى عنه . وقيل لأنه إذا دخل الجنة برقت له برقتين . وقيل لأنه كان يختم القرآن فى الوتر والقرآن نور وقيام الليل نور . وقيل غير ذلك ، وهو رضى الله تعالى عنه من السابقين الأولين وصلى إلى القبلتين وهاجر الهجرتين ، وهو أول من هاجر إلى الحبشة فارا بدينه ومعه زوجته رقية رضى الله تعالى عنهما وعد من البدريين ، ومن أهل بيعة الرضوان ولم يحضرهما . وكان سبب غيبته عن بدر أن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحته وهى مريضة ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجلوس عندها لتمرضها ، وقال له « لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه » . وأما غيبته عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز منه ببطن مكة لبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيده اليمنى « هذه يد عثمان » وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ، وبشره بالجنة ، ودعا له بالخصوصية غير مرة فأثرى

وكثر ماله ، وكانت له شفقة ورأفة فلما ولى زاد تواضعه وشفقته ورأفته برعيته ، وكان يطعم الناس طعام الإمارة ، ويأكل الخل والزيت ، وجهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا بأحلاسها وأقتابها ، وأتم الألف بخمسين فرسا . وقال قتادة : حمل عثمان رضى الله عنه على ألف ألف بعير وسبعين فرسا . وقال الزهرى : حمل على تسعمائة وأربعين بعيرا وستين فرسا . وعن حذيفة بن اليمان قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان رضى الله تعالى عنه فى تجهيز جيش العسرة ، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه ، فجعل صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ، وهو يقول : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة » وفى رواية « ما يضر عثمان ما فعل بعد اليوم » واشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألفا وسبلها ، وله رضى الله تعالى عنه من الخيرات وأفعال البر ما يطول ذكره .

قال ابن قتيبة : وافتتح فى أيامه الإسكندرية ، وسابور ، وأفريقية ، وقبرس ، وسواحل الروم ، وإصطخر الأخرى ، وفارس الأولى ، وخوزستان ، وفارس الأخرى ، وطبرستان ، وكرمان وسجستان والأساورة ، وأفريقية من حصون قبرس ، وساحل الأردن ، ومرو ؛ ولما عمرت المدينة وصارت وافرة الأنام وقبة الإسلام وكثرت فيها الخيرات والأموال وجبى إليها الخراج من الممالك ، وبطرت الرعية من كثرة الأموال والخيل والنعم ، وفتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا وأخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان رضى الله تعالى عنه لأنه كان له أموال عظيمة ، وكان له ألف مملوك ولكونه يعطى المال لأقاربه ويوليهم الولايات الجليلة ، فتكلموا فيه إلى أن قالوا : هذا لا يصلح للخلافة ، وهموا بعزله وثاروا لمحاصرته وجرت أمور يطول ذكرها فحاصروه فى داره أياما وكانوا أهل جفاء ورءوس شر فوثب عليه ثلاثة فذبحوه فى بيته والمصحف بين يديه وهو شيخ كبير ، وكان ذلك أول وهن وبلاء على هذه الأمة بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قتلوه قاتلهم الله يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة الحرام سنة خمس وثلاثين .

ومناقبه رضى الله عنه كثيرة جدا : شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال « ألا أستحيى ممن تستحيى منه الملائكة » وأخبر صلى الله عليه وسلم بأنه شهيد وأنه يبتلى ، وتفرقت الكلمة بعد قتله رضى الله تعالى عنه ، وماج الناس واقتتلوا للأخذ بثأره حتى قتل من المسلمين تسعون ألفا .

وقال ابن خلكان وغيره : لما بويع لعثمان رضى الله تعالى عنه نفى أبا ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه إلى الربذة لأنه كان يزهد الناس فى الدنيا ورد الحكم بن أبى العاص ، وكان قد نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الربذة ولم يرده أبو بكر ولا عمر فرده عثمان رضى الله تعالى عنهم . قيل إنما رده بإذن من النبى صلى الله عليه وسلم قاله غير واحد ، وولى مصر عبد الله

ابن أبي سرح وأعطى أقاربه الأموال فكان ذلك مما نقم عليه الناس، فلما كانت سنة خمس وثلاثين قدم المدينة مالك الأشتر النخعي في مائتي رجل من أهل الكوفة ومائة وخمسين من أهل البصرة وستمائة من أهل مصر كلهم مجمعون على خلع عثمان رضى الله تعالى عنه من الخلافة ، فلما اجتمعوا في المدينة سير إليهم عثمان رضى الله تعالى عنه المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردوهما أقبح رد ولم يسمعوا كلامهما، فبعث إليهم عليا رضى الله تعالى عنه فردهم إلى ذلك وضمن لهم مايعدهم به عثمان رضى الله تعالى عنه، وكتبوا على عثمان كتابا بإزاحة عللهم ، والسير فيهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا عليه عهدا بذلك وأشهدوا على علي رضى الله تعالى عنه أنه ضمن ذلك ، واقترح المصريون على عثمان رضى الله تعالى عنه عزل عبد الله بن أبي سرح وتولية محمد بن أبي بكر فأجابهم إلى ذلك وولاه ، وافترق الجمع كل إلى بلده ، فلما وصل المصريون إلى أيلة وجدوا رجلا على بجيب لعثمان رضى الله تعالى عنه، ومعه كتاب مختوم بخاتم عثمان مصطنع إلى عبدالله بن أبي سرح ، وفيه : إذا قدم محمد بن أبي بكر ومعه فلان وفلان فاقطع أيديهم وأرجلهم أو ارفعهم على جذوع النخل ، فرجع المصريون ورجع البصريون والكوفيون لما بلغهم ذلك وأخبروه الخبر ، فحلف عثمان رضى الله تعالى عنه أنه مافعل ذلك ولا أمر به .فقالوا : هذا أشد عليك يؤخذ خاتمك ونجيب من إبلك وأنت لا تعلم ما أنت إلا مغلوب على أمرك ، ثم سألوه أن يعتزل فأبى فأجمعوا على حصاره فحاصروه في داره ، وكان من أكبر المؤلبين عليه محمد بن أبي بكر ، وكان الحصار في سلخ شوال واشتد الحصار ومنع أن يصل إليه الماء .

قال أبو أمامة الباهلي رضى الله تعالى عنه : كنا مع عثمان وهو محصور في الدار فقال : وبم يقتلوني ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل كفر بعد إسلام أوزنى بعد إحصان أو قتل نفسا بغير حق فيقتل بها» فوالله ماأحببت بديني بدلا منذ هداني الله تعالى، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام ، ولا قتلت نفسا بغير حق فبم يقتلوني؟ رواه الإمام أحمد .

وعن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه أنه قال : لما اشتد الحصار بعثمان رضى الله تعالى عنه يوم الدار ، رأيت عليا رضى الله تعالى عنه خارجا من منزله معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا بسيفه وأمامه ابنه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر من المهاجرين والأنصار رضى الله تعالى عنهم فحملوا على الناس وفرقوهم ، ثم دخلوا على عثمان رضى الله تعالى عنه ، فقال له علي رضى الله تعالى عنه : السلام عليك يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر ، وإني والله لا أرى القوم

إلا قاتليك ، فرنا فلنقاتل فقال عثمان : أنشد الله رجلا رأى لله عز وجل عليه حقا وأقر أن لى عليه حقا أن يريق بسببى ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فى ، فأعاد على عليه القول فأجابه بمثل ما أجابه . قال : فرأيت عليا رضى الله تعالى عنه خارجا من الباب وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنا قد بذلنا المجهود ، ثم دخل المسجد فاقتحموا على عثمان رضى الله تعالى عنه الدار والمصحف بين يديه ، فأخذ محمد بن أبى بكر بلحيته ، فقال له عثمان رضى الله تعالى عنه أرسل لحيتى يا ابن أخى فوالله لو رأى أبوك مقامك هذا لساءه فأرسل لحيته وولى ، فضربه بتار بن عياض وسودان ابن حمران بسيفيهما فنضح الدم على قوله تعالى — فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم — وجلس عمرو ابن الحمق على صدره وضربه حتى مات ووطئ عمير بن ضابئ على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه .

وروى الإمام أحمد عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه قال «ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة وعظمها وقربها ، ثم مر رجل مقنع فى ملحفة فقال : هذا يومئذ على الحق ، فإذا هو عثمان رضى الله تعالى عنه» وروى الترمذى معناه فقال «هذا يومئذ على الهدى» وقال إنه حديث حسن صحيح .

وكان لأمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه شيئان ليسا لأبى بكر ولا لعمر رضى الله تعالى عنهما : صبره على نفسه حتى قتل مظلوما ، وجمعه الناس على المصحف . قاله ابن مهدى وغيره . وقال المدائنى : قتل رضى الله تعالى عنه يوم الأربعاء بعد العصر ، ودفن يوم السبت قبل الظهر . وقيل : يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . وقال المهدوى قتل فى وسط أيام التشريق وأقام ثلاثة أيام لم يدفن ولم يصل عليه . وقيل : صلى عليه رضى الله تعالى عنه جبير بن مطعم ودفن رضى الله تعالى عنه ليلا . واختلف فى مدة الحصار ؛ فقيل أكثر من عشرين يوما وقيل تسعة وأربعون يوما قاله الواقدى . وقال الزبير بن بكار وغيره ثمانون يوما ، وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما ، وقتل رضى الله عنه وهو ابن ثمانين سنة قاله ابن إسحاق . وقال غيره : كانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ، وقتل رضى الله تعالى عنه وعمره ثمان وثمانون سنة . وقيل : كانت خلافته اثنتى عشرة سنة وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وقيل : ابن ثلاث وثمانين سنة ، وقيل تسعين . وقيل غير ذلك والله أعلم

(خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه)

ثم قام بعده بالأمر أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان رضى الله تعالى عنه كما سيأتى إن شاء الله تعالى . وهو رضى الله تعالى عنه يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد المطلب الجد الأدنى ، وينسب إلى هاشم ؛ فيقال القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبويه ، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عليا ، ويكنى أبا الحسن ، وأبا تراب ، كناه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحب الناس إليه ،

أسلم رضى الله تعالى عنه وهو ابن سبع . وقيل : ابن تسع . وقيل : ابن عشر . وقيل : خمس عشرة . وقيل غير ذلك : وشهد رضى الله تعالى عنه المشاهد كلها إلا تبوك فإنه صلى الله عليه وسلم خلفه فى أهله .

وكان رضى الله تعالى عنه غزير العلم ، ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بعده ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ثم لحق به ، ويقال : إنه رضى الله تعالى عنه أول من أسلم وأول من صلى ، وزوجه صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها ، وبعث معها خميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ، وشهد له بالجنة صلى الله عليه وسلم . ومناقبه رضى الله تعالى عنه كثيرة جدا ، ويكفى منها قوله صلى الله عليه وسلم « أنا مدينة العلم وعلى بابها » .

(فائدة لطيفة) قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : سادات الأنبياء خمسة : نوح ، وإبراهيم الخليل ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

(ذكر أسماء من ولد من الأنبياء مختونا) عن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه أنه قال : هم ثلاثة عشر : آدم ، وشيث ، وإدريس ، ونوح ، وسام ، ولوط ، ويوسف ، وموسى وشعيب ، وسليمان ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين . وقال محمد بن حبيب الهاشمى : هم أربعة عشر : آدم ، وشيث ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، ويوسف ، وموسى ، وسليمان ، وزكريا ، وعيسى ، وحنظلة بن صفوان نبى أصحاب الرس ، ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .

(ذكر أسماء من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وعلى ، وأبى بن كعب — وهو أول من كتب له — وزيد بن ثابت الأنصارى ، ومعاوية ابن أبى سفيان ، وحنظلة بن الربيع الأسدى ، وخالد بن العاص ، وكان المداوم له على الكتابة زيد ومعاوية .

(ذكر من جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو يزيد الأنصارى ، وأبو الدرداء ، وزيد بن ثابت ، وعثمان بن عفان ، وتميم الدارى ، وعبادة بن الصامت ، وأبو أيوب الأنصارى .

(ذكر من كان يضرب الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم) على ، والزبير ، ومحمد ابن مسلمة ، والمقداد ؛ وعاصم بن أبى الأفلح .

(ذكر من كان يحرسه صلى الله عليه وسلم) سعد بن أبى وقاص ، وسعد بن معاذ ، وعباد ابن بشر ، وأبو أيوب الأنصارى ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى ، فلما نزل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ترك الحراسة .

(ذكر من كان يفتى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه) أبو بكر ، وعمر وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ ابن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة ، وزيد بن ثابت ، وسلمان ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعرى.

(ذكر من انتهت إليهم الفتوى من التابعين بالمدينة) سعيد بن المسيب ، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث ، وقاسم ، وعبيد الله ، وعروة ، وسليمان ، وخارجة .

(ذكر من تكلم فى المهد) وهم أربعة : صاحب جريج ببراءته من الزنا ، وشاهد يوسف ببراءته من زليخا ، وابن الماشطة التى لبنت فرعون حذرها من الكفر ، وعيسى ابن مريم ببراءة أمه عليهما السلام . وتكلم بعد الموت أربعة : يحيى بن زكريا حين ذبح ، وحبيب النجار حين قال (ياليت قومى يعلمون) وجعفر الطيار حيث قال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله) الخ . والحسين بن على رضى الله تعالى عنهما حيث قال (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

(ذكر من حملته أمه أكثر من مدة الحمل) سفيان بن حيان ولد لأربع سنين خلون فى بطن أمه ، ومحمد بن عبد الله بن حسن الضحاك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهرا خلون فى بطن أمه ، ويحيى بن على بن جابر البغوى كذلك ، وسلمان الضحاك ولد ابن سنتين خلتا فى بطن أمه .

(ذكر النماردة) وهم ستة : فالأول نمرود بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو أحد ملوك الأرض الذين ملكوا الدنيا بأجمعها وقد كان فى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام الثانى : نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو صاحب النسور وقصته مشهورة . الثالث : نمرود بن ماش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام . الرابع : نمرود ابن سنجار بن نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام . الخامس : نمرود بن ساروع بن أرغو بن مالخ . السادس : نمرود بن كنعان بن المصاص بن نقطا .

(ذكر الفراعنة) وهم ثلاثة : فأولهم سنان الأشعل بن علوان بن العميد بن عمليق وهو فرعون إبراهيم عليه السلام . الثانى : الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام . الثالث الوليد مصعب : وهو فرعون موسى عليه السلام .

(ذكر أصحاب المذاهب المتبعة ووفاتهم من كتاب [علوم الحديث] للنووى رحمه الله) سفيان الثورى مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ومولده سنة سبع وعشرين . مالك بن أنس مات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة وولد سنة تسعين . وأبو حنيفة النعمان بن ثابت مات ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة . وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى مات

بمصر آخر رجب سنة أربع ومائتين وولد سنة خمسين ومائة . وأبو عبد الله أحمد بن حنبل مات ببغداد فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائة رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

(ذكر أصحاب الأحاديث المعتمدة) أبو عبد الله البخارى. ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ومات ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين . ومسلم مات بنيسابور لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين . وأبو داود. مات بالبصرة فى شوال سنة خمس وسبعين ومائتين . وأبو عيسى الترمذى مات بترمذ لثلاث عشرة مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين . وأبو عبد الرحمن النسائى مات سنة ثلاث وثلثمائة . وأبو الحسن الوارقطنى مات ببغداد فى ذى القعد سنة خمس وثمانين وثلثمائة ، وولد فى سنة ست وثلثمائة رحمة الله عليهم أجمعين .

(قال أهل التاريخ) ولما قتل عثمان رضى الله تعالى عنه أتى الناس عليا وضربوا عليه الباب ودخلوا فقالوا : إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام، ولا نعلم أحدا أحق بها منك ، فردهم عن ذلك فأبوا فقال : إن أبيتم إلا بيعتى فإن بيعتى لاتكون سرا فأتوا المسجد فحضر طلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص والأعيان، وأول من بايعه طلحة ، ثم بايعه الناس ، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار ، وتخلف عن بيعته نفر فلم يكرههم ، وقال قوم: قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل ، وتخلف عن بيعته أيضا معاوية ومن معه بالشأم إلى أن كان منهم ما كان فى صفين ، ثم خرج عليه الخوارج فكفروه وكل من معه وأجمعوا على قتاله قاتلهم الله ، وشقوا العصا : يعنى عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف، وسفكوا الدماء ، وقطعوا السبيل ، فخرج إليهم بمن معه ورام رجوعهم فأبوا إلا القتال فقاتلهم بالنهروان فقتلهم واستأصل جمهورهم ولم ينج منهم إلا القليل ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد قال حين طعن : إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم يعنى عليا ، وكان كما قال سلك بهم والله الطريق المستقيم ، وكان له رضى الله عنه شفقة على رعيته متواضعا ورعا ذا قوة فى الدين ، وكان قوته رضى الله تعالى عنه من دقيق الشعير يأخذ منه قبضة فيضعها فى القدح ثم يصب عليها ماء فيشربه ، وكان قد تفرق عليه الخوارج واعتقد بعض الناس فيه الإلهية فأحرقهم بالنار .

وسأل رجل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أكان على رضى الله تعالى عنه يباشر القتال بنفسه يوم صفين؟ فقال : والله مارأيت رجلا أطرح لنفسه فى متلفة مثل على رضى الله تعالى عنه ، ولقد كنت أراه يخرج حاسرا عن رأسه بيده السيف إلى الرجل الدارع فيقتله. قال فى [درة الغواص] ومما يؤثر من شجاعة على رضى الله تعالى عنه : أنه كان إذا اعتلى قدّ ، وإذا اعترض قطّ ، فالقدّ : قطع الشىء طولا ، والقط : قطعه عرضا ، وقد تقدم ذكر قتله رضى الله

تعالى عنه ومن قتله ، وكان طعن ابن ملجم له فى ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، وثب عليه فضربه بخنجر على دماغه فمات بعد يومين ، وأخذوا ابن ملجم فعذبوه وقطعوه إربا إربا بعد موت علىّ ، وكان أفضل من بقى من الصحابة رضى الله تعالى عنه .

ومناقبه كثيرة جدا جمعها الحافظ أبوعبد الله الذهبى فى مجلد. وذكر غير واحد أنه رضى الله تعالى عنه لما ضربه ابن ملجم قاتله الله أوصى الحسن والحسين وصية طويلة وفى آخرها : يا بنى عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن بى غير قاتلى اضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا به ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إياكم والمثلة » ولما مات على رضى الله تعالى عنه قتل الحسن رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن ابن ملجم فقطع يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمى فى النار كل ذلك ولم يتأوه ولم يجزع ، فلما أرادوا قطع لسانه تأوه وجزع فسئل عن ذلك؟ فقال : والله ما أتأوه فزعا ولا جزعا من الموت وإنما أتأوه لأن تمر علىّ ساعة من ساعات الدنيا لا أذكر الله تعالى فيها ، فقطعوا لسانه فمات بعد ذلك.

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله تعالى عنه « ياعلى أتدرى من أشقى الأولين ؟ قال : الله ورسوله أعلم. قال : عاقر ناقة صالح. ثم قال : أتدرى من أشقى الآخرين ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : الذى يضربك على هذه فيبل منها هذه وأخذ بلحيته » وكان على رضى الله تعالى عنه يقول : والله لوددت لو انبعث أشقاها فضربه ابن ملجم الخارجى قاتله الله كما تقدم. وكانت وفاته رضى الله تعالى عنه فى سنة سبع. وقيل : ثمان وخمسين . وقيل ثلاث . وقيل : ثمان وستين ، وقال ابن جرير الطبرى : مات على رضى الله تعالى عنه وعمره خمس وستون سنة : وقال غيره : ثلاث وستون سنة ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ويوما واحدا ، وكانت مدة إقامته رضى الله تعالى عنه بالمدينة أربعة أشهر ، ثم سار إلى العراق وقتل بالكوفة كما تقدم ، وللناس خلاف فى مدة عمره وفى قدر خلافته رضى الله تعالى عنه ، والله أعلم .

(خلافة أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله تعالى عنه)

وهو السادس فخلع كما سيأتى . قالوا : ثم قام بالأمر بعده أمير المؤمنين الحسن بن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وكنيته : أبو محمد ، ولقبه : الزكى ، وأمه فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما . بويع له بالخلافة بعد وفاة والده ثم سار إلى المدائن واستقر بها ، فبينما هو بالمدائن إذ نادى مناد إن قيسا قد قتل فانفروا ، وكان الحسن رضى الله تعالى عنه قد جعله على مقدمة الجيش وهو قيس بن سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنهما ، فلما خرج الحسن رضى الله تعالى عنه عدا عليه الجراح الأسدى قاتله الله وهو يسير معه فوجأه بالخنجر فى فخذه

ليقتله، فقال الحسن رضى الله تعالى عنه: قتلتم أبى بالأمس ووثبتم علىّ اليوم تريدون قتلى زهدا فى العادلين ورغبة فى القاسطين ، والله لتعلمن نبأه بعد حين ، ثم كتب إلى معاوية رضى الله تعالى عنهما بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطا. فأجابه معاوية رضى الله تعالى عنه إلى ما التمسه منه وصبر له ما اشترط عليه ، فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له لخمس بقين من شهر ربيع الأول، وذلك لأنه رأى المصلحة فى جمع الكلمة وترك القتال، وظهرت المعجزة فى قوله صلى الله عليه وسلم «إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به» وفى رواية «ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ويقال : إنه أخذ منه يعنى من معاوية ألف ألف درهم ، وقالت فرقة: إنه صالحه بأذرح فى جمادى الأولى وأخذ منه مائة ألف دينار، ويقال : أربعمائة ألف درهم، ويقال : إنه شرط عليه أن يمكنه من بيت المال يأخذ منه حاجته، وأن يكون ولى العهد من بعده، ففرح معاوية بذلك وأجاب فخلع الحسن رضى الله تعالى عنه نفسه، وسلم الأمر إلى معاوية وصالحه ودخل هو وإياه الكوفة، فسمى عام الجماعة لاجتماع الأمة بعد الفرقة على خليفة واحد.

قال الشعبى : شهدت خطبة الحسن رضى الله تعالى عنه حين صالح معاوية وخلع نفسه من الخلافة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور ، وإن هذا الأمر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه إن كان له فهو أحق منى به، وإن كان لى فقد تركته له إرادة لإصلاح الأمة وحقن دماء المسلمين، وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ثم رجع إلى المدينه وأقام بها فعوتب على ذلك فقال رضى الله تعالى عنه : اخترت ثلاثا على ثلاث : الجماعة على الفرقة ، وحقن الدماء على سفكها ، والعار على النار .

وفى الحديث الصحيح عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول «إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

ويروى عن الحسن رضى الله تعالى عنه أنه قال: إنى لأستحيى من ربى عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فمشى عشرين مرة على رجليه من المدينة إلى مكة ، وإن النجائب لتقاد معه، وخرج رضى الله تعالى عنه من ماله مرتين ، وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرات حتى إنه يعطى نعلا ويمسك أخرى .

قال ابن خلكان : لما مرض الحسن رضى الله تعالى عنه كتب مروان بن الحكم إلى معاوية بذلك فكتب إليه معاوية أن أقبل المطى إلىّ بخبر الحسن، فلما بلغ معاوية موته سمع تكبيرة من الخضراء فكبر أهل الشام لذلك التكبيرة ، فقالت فاختة بنت قريظة لمعاوية : أقر الله عينك ما الذى كبرت لأجله ؟ فقال : مات الحسن . فقالت : أعلى موت ابن فاطمة تكبر؟ فقال : والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبى .

ودخل عليه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال له : يا ابن عباس هل تدرى ماحدث فى أهل بيتك؟ فقال : لا أدرى ماحدث إلا أنى أراك مستبشرا وقد بلغنى تكبيرك ، فقال : مات الحسن. فقال ابن عباس : يرحم الله أبا محمد ثلاثا ، والله يا معاوية لاتسد حفرته حفرتك ، ولا يزيد عمره فى عمرك ، و لئن كنا قد أصبنا بالحسن ، فلقد أصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين ، فجبر الله تلك الصدعة ، وسكن تلك العبرة ، وكان الله الخلف علينا من بعده ، وكان الحسن رضى الله تعالى عنه قد سمّ ، سمته امرأته مقدمة بنت الأشعث ، فمكث شهرين يرفع من تحته فى اليوم كذا وكذا مرة طست من دم . وكان رضى الله تعالى عنه يقول : سقيت السم مرارا ماأصابنى فيهاما أصابنى فى هذه المرة. وكان قد أوصى لأخيه الحسين رضى الله تعالى عنهما وقال : إذا أنا مت فادفنى مع جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، وإن منعوك فادفنى ببقيع الغرقد ، فلما مات رضى الله تعالى عنه لبس الحسين وموالية السلاح وخرجوا ليدفنوه مع جده فخرج مروان بن الحكم فى موالى بنى أمية وهو يومئذ عامل على المدينة فمنع الحسين رضى الله تعالى عنه من ذلك ، وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وقيل : سنة خمسين وصلى عليه سعيد بن العاص ، ودفن مع أمه فاطمة رضى الله تعالى عنهما . وقيل : دفن بالبقيع فى قبر فى قبة العباس ، ودفن فى هذا القبر أيضا على زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن ابنه جعفر بن محمد الصادق ، فهم أربعة فى قبر واحد فأكرم به قبرا ، وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام . وقيل : ستة أشهر إلا أياما ، وهى تكملة ماذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدة الخلافة ، ثم يكون ملكا عضوضا ، ثم يكون جبروتا وفسادا فى الأرض ، وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومات الحسن رضى الله تعالى عنه وعمره سبع وأربعون سنة .

(خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه)

قالوا : ولما خلع الحسن رضى الله تعالى عنه نفسه من الخلافة تم الأمر لمعاوية رضى الله تعالى عنه واستقام له الملك وصفت له الخلافة ، وكان قد بويع له بالخلافة يوم التحكيم بايعه أهل الشام واختلف عليه أهل العراق إلى أن صالحه الحسن رضى الله تعالى عنه فأجمع الناس على بيعته ، ومولده رضى الله تعالى عنه بالخيف من منى ، أسلم قبل أبيه أبى سفيان ، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب له وكان فى عسكر أخيه يزيد بن أبى سفيان ، وكان عاملا لعمر رضى الله تعالى عنه استعمله على إمرة دمشق فلما احتضر استخلف أخاه عليها فأقره عمر رضى الله تعالى عنه على ذلك فى سنة عشرين ، فلم يزل متوليا على الشام عشرين سنة ، وذلك بقية خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ، وخلافة عثمان رضى الله تعالى عنه ، وفى خلافة على رضى الله تعالى عنه متغلبا عليها إلى أن سلم إليه الحسن رضى الله تعالى عنه الخلافة فاجتمع له

الأمر ، وبعث نوابه إلى البلاد ، وذلك فى سنة إحدى وأربعين ، فسمى عام الجماعة لأن الأمة اجتمعت فيه بعدالفرقة على إمام واحد، وكانت امرأة استشارت النبى صلى الله عليه وسلم فى أن تتزوج به فقال : إنه صعلوك لا مال له ، ثم بعد هذا القول بإحدى عشرة سنة صار نائب دمشق، ثم بعد الأربعين صار ملك الدنيا ، وكان مليح الشكل عظيم الهيبة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة والعدة الكاملة ويركب الخيل المسوّمة ، وكان كثير البذل والعطاء محسنا إلى رعيته كبير الشأن يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف بن قصى وينسب إلى أمية بن عبد شمس فيقال الأموى ، وخرج عليه مرة بن نوفل الأشجعى الحورى وورد الكوفة وهو أول الخوارج فكتب معاوية إلى أهل الكوفة: ألا لا ذمة لكم عندى حتى تكفونى أمره فقاتلوه وقتلوه، وهو أول من اتخذ المقاصير وأقام الحرس والحجاب وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحربة ، وأول من تنعم فى مأكله ومشربه وملبسه وكان رضى الله عنه حليما وله فى الحلم أخبار كثيرة، ولما حضرته الوفاة جمع أهله فقال : ألستم أهلى؟ قالوا: بلى فداك الله بنا، فقال : وعليكم حزنى ولكم كدى وكسبى ، قالوا : بلى فداك الله بنا قال : فهذه نفسى قد خرجت من قدمى فردوها علىّ إن استطعتم، فبكوا وقالوا : والله مالنا إلى هذا من سبيل ، فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فمن تغره الدنيا بعدى ؟ وذكر غير واحد أنه لما ثقل فى الضعف وتحدث الناس أنه الموت قال لأهله: احشوا عينى إثمدا واسبغوا رأسى دهنا ، ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن ، ثم مهدوا له مجلسا وأسندوه وأذنوا للناس فدخلوا وسلموا عليه قياما ، فلما خرجوا من عنده أنشد قائلا :

وتجلدى للشامتين أريهمُ أنى لريب الدهر لاأتضعضع

فسمعه رجل من العلويين فأجابه :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

ثم إنه أوصى أن تدق قلامة أظفار رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعل فى منافذ وجهه وأن يكفن بثوب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى بدمشق فى نصف رجب ، وقيل : فى مستهل رجب سنة ستين، وصلى عليه الضحاك الفهرى لغيبة ابنه يزيد ببيت المقدس. واختلف فى عمره فقيل : ثمانون ، وقيل : خمس وسبعون سنة ، وقيل : خمس وثمانون سنة وقيل : ثمان وثمانون ، وقيل : تسعون ،وكانت خلافته منذ خلص له الأمر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وكان أميرا وخليفة أربعين سنة ، منها أربع سنين فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ، والله أعلم .

(خلافة يزيد بن معاوية)

ثم قام بالأمر بعده ابنه يزيد بويع له بالخلافة يوم مات أبوه، وذلك أن أباه كان قد جعله

ولى العهد من بعده ، وكان بحمص فقدم منها وبادر إلى قبر أبيه ، ثم دخل دمشق إلى الخضراء وكانت دار السلطنة فخطب الناس بها وبايعوه بالخلافة وكتب إلى الأقاليم بذلك فبايعوه ولم يبايعه الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ولا عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه ، واختفيا من عامله الوليد بن عقبة بن أبى سفيان ، وأقاما مصرين على الامتناع إلى أن قتل الحسين رضى الله تعالى عنه بكربلاء ، وكان الذى باشر قتله الشمر بن ذى الجوشن ، وقيل : سنان ابن أنس النخعى ، وقيل . إن الشمر ضربه على وجهه وأدركه سنان فطعنه فألقاه عن فرسه ونزل خولى بن يزيد الأصبحى ليحز رأسه فارتعدت يداه فنزل أخوه شبل بن يزيد فاحتز رأسه ودفعه إلى أخيه خولى ، وكان أمير الجيش عبيد الله بن زياد بن أبيه من قبل يزيد بن معاوية قالوا : ثم إن عبيد الله بن زياد جهز على بن الحسين ومن كان مع الحسين من حرمه بعد أن اعتمدوا ماعتمدوه من سبى الحريم وقتل الذرارى مما تقشعر من ذكره الأبدان وترتعد منه الفرائص إلى البغيض يزيد بن معاوية وهو يومئذ بدمشق مع الشمر بن ذى الجوشن فى جماعة من أصحابه ، فساروا إلى أن وصلوا إلى دير فى الطريق فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا مكتوبا على بعض جدرانه :

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

فسألوا الراهب عن السطر ومن كتبه ؟ فقال : إنه مكتوب هنا من قبل أن يبعث نبيكم بخمسمائة عام ، وقيل : إن الجدار انشق فظهر منه كف مكتوب فيه بالدم هذا السطر ، ثم ساروا حتى قدموا دمشق ودخلوا على يزيد بن معاوية ومعهم رأس الحسين رضى الله تعالى عنه فرمى به بين يدى يزيد ، ثم تكلم شمر بن ذى الجوشن فقال : ياأمير المؤمنين ورد علينا هذا يعنى الحسين فى ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته ، فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال ، فغدونا عليهم عند شروق الشمس وأحطنا بهم من كل جانب ، فلما أخذت السيوف مأخذها جعلوا يلوذون لوذان الحمام من الصقور ، فما كان إلا مقدار جزر جذور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مزملة وخدودهم معفرة تسفى عليهم الرياح زوارهم العقبان ووفود نم الرخم . فلما سمع يزيد ذلك دمعت عيناه وقال : ويحكم قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال : يرحم الله أبا عبد الله ، ثم تمثل بقول الشاعر :

يفلقن هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم أمر بالذرية فأدخلوا دار نسائه ، وكان يزيد إذا حضر غداؤه دعا على بن الحسين وأخاه عمر بن الحسين فأكلا معه ، ثم وجه الذرية صحبة على بن الحسين إلى المدينة ووجه معه رجلا فى ثلاثين فارسا يسير أمامهم حتى انتهوا إلى المدينة ، وكان بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبين اليوم الذى قتل فيـــه الحسين رضى الله تعالى عنه خمسون عاما ، وقيل : إن الحسين رضى الله عنه لما وصل إلى كربلاء سأل عن اسم المكان فقيل له كربلاء ، فقال : ذات كرب وبلاء ، لقد مر أبى بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه فوقف وسأل عنه فأخبروه باسمه فقال : هاهنا محط رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم ، فسئل عن ذلك فقال : نفر من آل محمد ينزلون هاهنا ثم أمر بأثقاله فحطت فى ذلك المكان . وكان قتله رضى الله تعالى عنه يوم عاشوراء فى سنة ستين ذكره أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه فى الأخبار الطوال ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الكاف فى لفظ الكلب ماذكره ابن عبد البر فى [بهجة المجالس وأنس المجالس] أنه قيل لجعفر الصادق : كم تتأخر الرؤيا؟ فقال : خمسين سنة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم رأى كأن كلبا أبقع ولغ فى دمه فأوله بأن رجلا يقتل الحسين ابن بنته ، فكان الشمر بن ذى الجوشن الكلب قاتل الحسين رضى الله تعالى عنه وكان أبرص فتأخرت الرؤيا بعده صلى الله عليه وسلم خمسين سنة. وفى هذه السنة : أى سنة ستين دعا ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما إلى نفسه بالخلافة بمكة ، وعاب يزيد بشرب الخمر واللعب بالكلاب والتهاون بالدين ، وأظهر ثلبه وتنقصه فبايعه أهل تهامة والحجاز ، فلما بلغ يزيد ذلك ندب له الحصين ابن نمير السكونى وروح بن زنباع الجذامى وضم إلى كل واحد جيشا واستعمل على الجميع مسلم ابن عقبة المرى وجعله أمير الأمراء ، ولما ودعهم قال : يامسلم لاتردن أهل الشام عن شىء يريدونه بعدوهم ، واجعل طريقك على المدينة فإن حاربوك فحاربهم فإن ظفرت بهم فأبحها ثلاثا ، فسار مسلم بن عقبة حتى نزل الحرة وخرج أهل المدينة فعسكروا بها وأمير هم عبدالله ابن حنظلة الراهب وهو غسيل الملائكة ؛ فدعاهم مسلم ثلاثا فلم يجيبوه فقاتلهم فغلب أهل الشام وقتلوا أمير المدينة عبد الله بن حنظلة وسبعمائة من المهاجرين والأنصار ، ودخل مسلم المدينة وأباحها ثلاثة أيام ، وقد جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أباح حرمى فقد حل عليه غضبى » ثم شخص بالجيش إلى مكة ، وكتب إلى يزيد بما صنع بالمدينة ، فلما بلغ مسلم هرشى اعتل ومات فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير السكونى ، فسار حتى وافى مكة فتحصن منه ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما فى المسجد الحرام بجميع من كان معه . فنصب الحصين المنجنيق على أبى قبيس ورمى به الكعبة المعظمة ، فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر إلى الحصين بموت يزيد بن معاوية فأرسل إلى ابن الزبير يسأله الموادعة فأجابه إلى ذلك وفتح الأبواب واختلط العسكران يطوفان بالبيت ، فبينما الحصين يطوف ليلة بعد العشاء إذا استقبلة ابن الزبير فأخذ الحصين بيده وقال له سرا : هل لك فى الخروج معى إلى الشام فأدعو الناس إلى بيعتك ، فإن أمرهم قد مرج ، ولا أرى أحدا أحق بها اليوم منك ، ولست أعصى هناك فاجتذب ابن الزبير يده من يده وقال وهو يجهر بقوله : دون أن أقتل بكل واحد من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام ، فقال الحصين : لقد كذب الذى يزعم أنك من دهاة العرب

أكلمك سرا فتكلمني علانية ، وأدعوك إلى الخلافة وتدعوني للحرب ، ثم انصرف بمن معه إلى الشام ، وتوفي يزيد بن معاوية في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وله تسع وثلاثون سنة ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر ، وقد وقع للغزالي والكيا الهراسي فيه كلام ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفهد .

(خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان)

ثم قام بالأمر بعده ابنه معاوية وكان خيرا من أبيه فيه دين وعقل ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه فأقام فيها أربعين يوما ، وقيل : أقام فيها خمسة أشهر وأياما وخلع نفسه . وذكر غير واحد أن معاوية بن يزيد لما خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلا ، ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ مايكون من الحمد والثناء ، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن مايذكر به ، ثم قال : أيها الناس ماأنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم ، وإني لأعلم أنكم تكرهونني أيضا لأنا بلينا بكم وبليتم بنا إلا أن جدي معاوية رضي الله تعالى عنه قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم فضله وسابقته أعظم المهاجرين قدرا وأشجعهم قلبا وأكثرهم علما وأولهم إيمانا وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأخوه ، زوجه صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وجعله لها بعلا باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له ، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة وأفضل هذه الأمة ، تربية الرسول وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية ، فركب جدي منه ماتعلمون وركبتم معه مالا تجهلون حتى انتظمت لجدي الأمور ، فلما جاءه القدر المحتوم واخترمته أيدي المنون بقي مرتهنا بعمله فريدا في قبره ، ووجد ماقدمت يداه ورأى ماارتكبه واعتداه ، ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه ، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فركب هواه واستحسن خطاه وأقدم على ماأقدم من جراءته على الله وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت مدته وانقطع أثره وضاجع عمله ، وصار حليف حفرته رهين خطيئته ، وبقيت أوزاره وتبعاته وحصل على ماقدم وندم حيث لاينفعه الندم ، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه ، فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب بإساءته وجوزي بعمله وذلك ظني ، ثم اختنقته العبرة فبكى طويلا وعلا نحيبه ثم قال : وصرت أنا ثالث القوم والساخط على أكثر من الراضي ، وماكنت لأتحمل آثامكم ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألقاه بتبعاتكم ، فشأنكم أمركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه ، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام ، فقال له مروان ابن الحكم وكان تحت المنبر : أسنة عمرية يا أبا ليلى ؟ فقال : اغد عني أعن ديني تخدعني ؟

فوالله ماذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها، ائتنى برجال مثل رجال عمر رضى الله تعالى عنه على أنه ما كان من حين جعلها شورى وصرفها عمن لايشك فى عدالته ظلوما، والله لئن كانت الخلافة مغنما لقدنال أبى منها مغرما ومأثما، ولئن كانت سوءا فحسبه منها ما أصابه، ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكى فقالت له أمه : ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك ، فقال : وددت والله ذلك ، ثم قال : ويلى إن لم يرحمنى ربى، ثم إن بنى أمية قالوا لمؤدبه عمر المقصوص أنت علمته هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة ،وزينت له حب على وأولاده، وحملته على ماوسمنابه من الظلم وحسنت له البدع حتى نطق بمانطق وقال ماقال، فقال : والله مافعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب على فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حيا حتى مات ، وتوفى معاوية بن يزيد رحمه الله بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة وقيل : بسبعين ليلة ، وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة ، وقيل : إحدى وعشرين سنة وقيل : ثمانى عشرة ولم يعقب.

(خلافة مروان بن الحكم)

ثم قام بالأمر بعده مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، بويع له بالخلافة بالجابية ، ثم دخل الشام فأذعن أهلها له بالطاعة ، ثم دخل مصر بعد حروب كثيرة فبايعه أهلها ، وكان يقال له ابن الطريد لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد طرد أباه إلى الطائف فرده عثمان رضى الله تعالى عنه حين ولى كما تقدم قريبا. وتوفى مروان فى سنة خمس وستين وثبت عليه زوجته لكونه شتمها ، فوضعت على وجهه مخدة كبيرة وهو نائم وقعدت هى وجواريها فوقها حتى مات ، وكان قد لحق النبى صلى الله عليه وسلم وهو صبى وولى نيابة المدينة مرات وهو قاتل طلحة أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم ، وكان كاتب السر لعثمان رضى الله تعالى عنه وبسببه جرى عليه ماجرى ، وكانت خلافته عشرة أشهر وكان عمره ثلاثا وثمانين سنة . روى الحاكم فى كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال «كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدعوله، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال : هوالوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون» ثم قال صحيح الإسناد . ثم روى أيضا عن عمرو بن مرة الجهنى وكانت له صحبة «أن الحكم بن أبى العاص استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال : ائذنوا له ، عليه وعلى من يخرج من صلبه لعنة الله إلا المؤمن منهم وقليل ماهم، يترفهون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا ومالهم فى الآخرة من خلاق» وسيأتى هذا إن شاء الله تعالى فى باب الواو فى لفظ الوزغ .

(خلافة عبد الملك بن مروان)

ثم قام بالأمر بعده ابنه عبد الملك. بويع له بالخلافة يوم موت أبيه مروان. وهو أول من سمى بعبد الملك فى الإسلام ، وأول من ضرب الدراهم والدنانير بسكة الإسلام ، وكان على الدنانير نقش بالرومية وعلى الدراهم نقش بالفارسية . قلت : ولهذا سبب ،وهو أنى رأيت فى كتاب [المحاسن والمساوى] للإمام إبراهيم بن محمد البيهقى ما نصه : قال الكسائى: دخلت على الرشيد ذات يوم وهو فى إيوانه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقا وأمر بتفريقه على خدمه الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله ،وكان كثيرا مايحدثنى فقال : هل علمت أول من سن هذه الكتابة فى الذهب والفضة؟ قلت : ياسيدى هو عبد الملك بن مروان. قال : فما كان السبب فى ذلك؟ قلت : لا علم لى غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة ، فقال سأخبرك : كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أبا وابنا وروحا ، فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضى على ما كان عليه إلى أن ملك عبد الملك بن مروان فتنبه له وكان فطنا ، فبينما هو ذات يوم إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال : ما أغلظ هذا فى أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس وهى تحمل فى الأوانى والثياب ، وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله ، والبلد يخرج منه هذه القراطيس تدور فى الآفاق والبلاد وقد طرزت بسطر مثبت عليها ، فأمر بالكتابة إلى عبد العزيز ابن مروان وكان عامله بمصر بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك ، وأن يأمر صناع القراطيس أن يطرزوها بصورة التوحيد « شهد الله أنه لا إله إلا هو » وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب إلى عمال الآفاق جميعا بإبطال أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ،ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهى شىء منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل .

فلما ثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم منها انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم ، وترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه واستشاط غيظا ، فكتب إلى عبد الملك إن عمل القراطيس بمصر وسائر مايطرز هناك للروم ،ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته ، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت ، وإن كنت قد أصبت فقد أخطئوا فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت ، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك ،وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه فى جميع ما كان يطرز من أصناف الأعلاق حاجة أشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية ، وكانت عظيمة القدر ، فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه أنه لاجواب له ورد الهدية ، فانصرف بها إلى صاحبه فلما وافاه أضعف الهدية ورد

الرسول إلى عبد الملك وقال : إنى ظننتك استقللت الهدية فلم تقبلها ، ولم تجبنى عن كتابى ، فأضعفت الهدية وإنى أرغب إليك إلى مثل ما رغبت فيه من رد الطراز إلى ما كان عليه أولا ، فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية ، فكتب إليه ملك الروم كتابا يقتضى أجوبة كتبه ويقول : إنك قد استخففت بجوابى وهديتى ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أولا أمرن بنقش الدنانير والدراهم فإنك تعلم أنه لا ينقش شىء منها إلا ما ينقش فى بلادى ، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت فى الإسلام فينقش عليها شتم نبيك ، فإذا قرأته ارفض جبينك عرقا ، فأحب أن تقبل هديتى وترد الطراز إلى ما كان عليه ويكون فعل ذلك هدية تودنى بها ونبقى على الحال الأولى بينى وبينك ، فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه الأمر وغلظ وضاقت به الأرض وقال : أحسبنى أشأم مولود ولد فى الإسلام لأنى جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب إذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم ، فجمع أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأيا يعمل به ، فقال له روح بن زنباع : إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه ، فقال : ويحك من ؟ فقال : عليك بالباقر من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت ولكنه أرتج على الرأى فيه ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن أشخص إلى محمد بن على بن الحسين مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه ، وبثلثمائة ألف درهم لنفقته ، وأرح عليه فى جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه ، وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن على ، فلما وافاه أخبره الخبر ، فقال له محمد رحمه الله تعالى : لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشىء من جهتين : إحداهما أن الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخرى وجود الحيلة فيه . قال وما هى ؟ قال : تدعو فى هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير ، وتجعل النقش عليها صورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما فى وجه الدرهم والدينار والآخر فى الوجه الثانى ، وتجعل فى مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذى يضرب فيه والسنة التى تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير ، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهما عددا من الأصناف الثلاثة التى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل ، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل ، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل ، فتكون أوزانها جميعاً أحداً وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل ، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة ، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم فى ذلك الوقت إنما هى الكسروية التى يقال لها اليوم البغلية ، لأن رأس البغل ضربها لعمر رضى الله تعالى عنه بسكة كسروية فى الإسلام

مكتوب عليها صورة الملك ، وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية نوش خور : أى كل هنيئا وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالا ، والدراهم التى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل ، والعشرة وزن خمسة مثاقيل هى السمرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك ، وأمره محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه أن يكتب السكك فى جميع بلدان الإسلام ، وأن يتقدم إلى الناس فى التعامل بها ، وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرها ، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكك الإسلامية ، ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم إليه بذلك يقول : إن الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله ، وقد تقدمت إلى عمالى فى أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطروز الرومية ، فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب ، فقال : إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأنى كنت قادرا عليه والمال وغيره برسوم الروم فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لايتعامل به أهل الإسلام ، وامتنع من الذى قال ، وثبت ما أشار به محمد ابن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه إلى اليوم ، ثم رمى يعنى الرشيد بالدرهم إلى بعض الخدم .

وتمكن عبد الله بن الزبير فبايعه أهل الحرمين واليمن والعراق واستناب على العراق وما يليه أخاه مصعب بن الزبير ، وتفرقت الكلمة فبقى فى الوقت خليفتان أكبرهما ابن الزبير رضى الله تعالى عنه ثم لم يزل عبد الملك إلى أن ظفر به وقتله بعد حروب عظيمة ، وذلك أنه سار من دمشق إلى العراق فبرز إليه نائبها مصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك قد كاتب جيشه بأمور فخذلوه وتسللوا عنه ، فسار مصعب فى نفر يسير والتحم بينهما القتال فظهرت من مصعب شجاعة عظيمة ولم يزل كذلك حتى قتل فاستولى عبد الملك حينئذ على العراق وخراسان واستناب عليها أخاه بشر بن مروان وكر راجعا إلى دمشق ، ثم جهز الحجاج بن يوسف الثقفى فى جيش لحرب ابن الزبير فحاصروه وضايقوه ، ونصبوا المنجنيق على جبل أبى قبيس فكان يضرب بشجاعته المثل ، كان رضى الله تعالى عنه يحمل عليهم وحده فيهزمهم ويخرجهم من أبواب المسجد ، واستمر يقاتلهم أربعة أشهر ، ففى آخرها حمل عليهم فسقطت على رأسه شرافة من شراريف المسجد فخر منها فبادروا إليه واحتزوا رأسه رضى الله عنه ، فأمر اللعين الحجاج أخزاه الله وقبحه بصلب جسده .

وكان عبد الملك قبل الخلافة متعبدا ناسكا عالما فقيها واسع العلم وكان طويل العنق رقيق الوجه مشدود الأسنان بالذهب حازما لايكل أمره إلى سواه شديد البخل يلقب برشح الحجر لبخله ، ويلقب أيضا بأبى الذباب لبخره ، محبا للفخر مقداما على سفك الدماء ، وكذلك كان عماله الحجاج بالعراق ، والمهلب بن أبى صفرة بخراسان ، وهشام بن إسماعيل ، وعبد الله ابنه بمصر ، وموسى بن نصير بالمغرب ، ومحمد بن يوسف أخو الحجاج باليمن ، ومحمد ابن مروان بالجزيرة ، وكل من هؤلاء ظلوم غشوم جبار قاله ابن خلكان .

ومن غريب ما سمع فيما حكاه ابن خلكان : أن على بن عبد الله بن عباس ومحمداً ابنه دخلا على عبد الملك بن مروان وعنده قائف ، فأجلسهما ثم قال للقائف : أتعرف هذا ؟قال لا، ولكن أعرف من أمره أن هذا الفتى الذى معه ابنه ، وأنه يخرج من عقبه فراعنة يملكون الأرض لا يناوئهم مناوئ إلا قتلوه، فتغير لون عبد الملك ثم قال: زعم راهب إيليا وكان قد رآه عنده أنه يخرج من صلبه ثلاثة عشر ملكا ، ووصفهم بصفاتهم . وذكر أبو حنيفة فى [الأخبار الطوال] : أن عبد الملك بن مروان أوصى ابنه الوليد لما ثقل فى مرضه فقال : ياوليد لاألفينك إذا وضعتنى فى حفرتى تعصر عينيك كالأمة الوطاء بل ائزر وشمر والبس جلد النمر وادع الناس إلى البيعة فمن قال برأسه كذا أى لا فقل بالسيف كذا أى اضرب عنقه اه .

وكان عبد الملك يلقب بحمامة المسجد لقبه به ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، وجاءته الخلافة وهو يقرأ فى المصحف فطبقه وقال : سلام عليك هذا فراق بينى وبينك ، وقيل : إنه قيل لابن عمر رضى الله تعالى عنه : أرأيت لو تفانى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن نسأل بعدهم ؟ فقال : سلوا هذا الفتى : يعنى عبد الملك . توفى عبد الملك بن مران فى شوال سنة ست وثمانين وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : ستون ، وخلف سبعة عشر ولدا ولى الخلافة منهم أربعة ، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوما منها ثمان سنين مزاحما لابن الزبير ، ثم انفرد بمملكة الدنيا إلى أن مات رحمة الله عليه .

(خلافة عبد الله بن الزبير وهو السادس فخلع وقتل كما سيأتى)

قد تقدم أن معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان خلع نفسه من الخلافة . فكيف يكون ابن الزبير رضى الله عنهما سادسا ؟ وسبق قبل ذلك أن الحسن رضى الله عنه خلع من الخلافة أيضا ، فعلى هذا الحال لا يستقيم أن يكون ابن الزبير رضى الله عنهما سادسا ، وبويع له : يعنى ابن الزبير رضى الله عنهما بالخلافة بمكة لسبع بقين من رجب سنة أربع وستين فى أيام يزيد بن معاوية كما تقدم ، وبايعه أهل العراق وأهل مصر وبعض أهل الشام إلى أن بايعوا لمروان بعد حروب واستمر له العراق إلى سنة إحدى وسبعين ، وهى التى قتل فيها عبد الملك ابن مروان أخاه مصعب بن الزبير وهدم قصر الإمارة بالكوفة .

(وسبب هدمه) أنه جلس ووضع رأس مصعب بين يديه ، فقال له عبد الملك بن عمير يا أمير المؤمنين جلست أنا وعبيد الله بن زياد فى هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه ، ثم جلست أنا والمختار بن أبى عبيد فإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ، ثم جلست أنا ومصعب هذا فإذا رأس المختار بين يديه ، ثم جلست مع أمير المؤمنين فإذا رأس مصعب بين يديه ، وإنى أعيذ أمير المؤمنين بالله من شر هذا المجلس فارتعد عبد الملك وقام من فوره وأمر بهدم القصر وكان مصعب شجاعا جوادا حسن الوجه كالقمر ليلة البدر رحمه الله تعالى ، ولما قتل مصعب

انهزم أصحابه فاستدعى بهم عبد الملك بن مروان فبايعوه وسار إلى الكوفة ودخلها، واستقر له الأمر بالعراق والشام ومصر، ثم جهز الحجاج فى سنة ثلاث وسبعين إلى عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما فحصره بمكة ورمى البيت بالمنجنيق، ثم ظفر به فقتله واحتز الحجاج رأسه وصلبه منكسا، ثم أنزله ودفنه فى مقابر اليهود. وقيل: إن الحجاج قال: لا أنزله حتى تتشفع فيه أمه أسماء فتم على تلك الحال مدة فمرت به أمه يوما فقالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجل، فبلغ الحجاج ذلك فأمر بانزاله وأن يعطى لأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم فأخذته ودفنته، وسيأتى ذكر قتله أيضا فى باب الشين المعجمة فى لفظ الشاة، وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه بالحجاز والعراق تسع سنين واثنين وعشرين يوما قتل رضى الله تعالى عنه وله من العمر ثلاث وسبعون سنة. وقيل: اثنتان وسبعون سنة.

(خلافة الوليد بن عبد الملك)

ثم قام بالأمر بعد عبد الملك بن مروان ابنه الوليد فإنه كان ولى عهده، وكان دميما سائل الأنف يختال فى مشيته قليل العلم، وكان يختم القرآن فى ثلاث ليال، قال إبراهيم بن أبى عبلة كان يختم فى رمضان سبع عشرة مرة، وكان يعطينى أكياس الدراهم أقسمها فى الصالحين. وعن الوليد قال: لولا أن الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه ماظننت أن أحدا يفعله. بويع له بالخلافة يوم توفى والده، ولم يدخل المنزل حتى صعد المنبر فقال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون، والله المستعان على مصيبتنا بأمير المؤمنين، والحمد لله على ماأنعم به علينا من الخلافة قوموا فبايعوا.

قال الحافظ ابن عساكر: كان الوليد عند أهل الشأم من أفضل خلفائهم: بنى المساجد بدمشق، وأعطى الناس وفرض للمجذومين. وقال: لاتسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادما، وكل أعمى قائدا، وكان يبر حملة القرآن ويقضى عنهم ديونهم، وبنى الجامع الأموى وهدم كنيسة مريوحنا وزادها فيه، وذلك فى ذى القعدة سنة ست وثمانين. وذكر أنه كان فى الجامع وهو يبنى اثنا عشر ألف مرخم، وتوفى الوليد ولم يتم بناؤه فأتمه سليمان أخوه فكان جملة ماأنفق على بنائه أربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل، ومازالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فجعلها فى بيت المال، واتخذ عوضها صفرا وحديدا، وبنى قبة الصخرة ببيت المقدس، وبنى المسجد النبوى ووسعه حتى دخلت الحجرة النبوية فيه، وله آثار حسنة كثيرة جدا، ومع ذلك فقد روى أن عمر بن عبد العزيز قال: لما أحدث الوليد ارتكض فى أكفانه وغلت يداه إلى عنقه نسأل الله العافية والسلامة، وفتحت فى أيام خلافته الفتوحات العظام مثل السند والهند والأندلس وغير ذلك من الأماكن المشتهرة، وكان يركب المركوب الحسن الجيد،

ويتقى الركوب والسفر والحرب فى هذه الأيام الآتى ذكرها ، وينهى عن ذلك ؛ وهى فائدة جليلة عظيمة القدر .

روى علقمة بن صفوان عن أحمد بن يحيى مرفوعا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توقوا اثنى عشر يوما فى السنة فإنها تذهب بالأموال وتهتك الأستار ، فقلنا : ماهى يارسول الله ؟ قال ثانى عشر المحرم ، وعاشر صفر ، ورابع ربيع الأول ، وثامن عشر ربيع الثانى ، وثامن عشر جمادى الأولى ، وثانى عشر جمادى الثانية ، وثانى عشر رجب ، وسادس عشرى شعبان ، ورابع عشرى رمضان ، وثانى شوال ، وثامن عشر ذى القعدة ، وثامن ذى الحجة » اه .

وقوله إن الوليد بنى قبة الصخرة فيه نظر ، وإنما بنى قبة الصخرة عبد الملك بن مروان فى أيام فتنة ابن الزبير لما منع عبد الملك أهل الشأم من الحج خوفا من أن يأخذ منهم ابن الزبير البيعة له فكان الناس يقفون يوم عرفة بقبة الصخرة إلى أن قتل ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما كما سيأتى إن شاء الله تعالى عن ابن خلكان وغيره ، ولعلها تشعثت فهدمها الوليد وبناها والله تعالى أعلم . وتوفى الوليد بن عبد الملك فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعة بدير مروان عن ست وأربعين سنة . وقيل ثمان وأربعين . وقيل : خمسين سنة ، وترك أربعة عشر ولدا ، وحمل على أعناق الرجال ، ودفن فى مقابر باب الصغير ، وتولى دفنه عمر بن عبد العزيز ، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر . وقيل : عشر سنين ، والله أعلم .

(خلافة سليمان بن عبد الملك)

ثم قام بالأمر بعده أخوه سليمان ، وذلك لأن أباهما عقد لهما جميعا بالأمر من بعده ، بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الوليد وكان سليمان بالرملة فلما جاءته الخلافة عزم على الإقامة بها ثم توجه إلى دمشق وكمل عمارة الجامع الأموى كما تقدم ، وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك فى سنة سبع وتسعين إلى غزو الروم فانتهى إلى القسطنطينية فنازلها ، وستأتى الإشارة إلى شىء من ذلك فى باب الجيم فى لفظ الجراد .

ومما يحكى من محاسنه رحمه الله تعالى : أن رجلا دخل عليه فقال : ياأمير المؤمنين أنشدك الله والأذان ، فقال له سليمان : أما أنشدك الله فقد عرفناه فما الأذان؟ قال : قوله تعالى — فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين — فقال له سليمان : ماظلامتك؟ قال : ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عاملك فلان ، فنزل سليمان رحمه الله عن سريره ورفع البساط ووضع خده بالأرض وقال : والله لارفعت خدى من الأرض حتى يكتب له برد ضيعته ، فكتب الكتاب وهو واضع خده رحمه الله لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله فى نعمه خشى على نفسه من لعنة الله

تعالى وطرده . قيل : إنه أطلق من سجن الحجاج ثلثمائة ألف مابين رجل وامرأة ، وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه وزيرا ومشيرا ، وأنه أراد أن يستكتب يزيد بن أبي مسلم وزير الحجاج فقال له عمر بن عبدالعزيز : سألتك بالله ياأمير المؤمنين لاتحى ذكر الحجاج باستكتابك يزيد ، فقال له : ياعمر إنى لم أجد عنده خيانة فى درهم ولا دينار ، فقال له : ياأمير المؤمنين إن إبليس أعف منه فى الدرهم والدينار وقد أغوى الخلق كلهم جميعا ، فأضرب سليمان عما عزم عليه .

وفى كامل المبرد وغيره : أن يزيد هذا دخل على سليمان بن عبد الملك ، وكان يزيد دميما قبيحا ؛ فقال له سليمان : قبح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك فى أمانته ؛ فقال : ياأمير المؤمنين لاتقل هذا . قال ولم ؟ قال : لأنك رأيتنى والأمر عنى مدبر ، ولو رأيتنى والأمر على مقبل لأستحسنت ما استقبحت منى ولاستعظمت ما استصغرت منى ، فقال له سليمان : ويحك أوقد استقر الحجاج فى قعر جهنم بعد أم لا؟ فقال : ياأمير المؤمنين لاتقل ذلك فى الحجاج . قال ولم ؟ قال : لأن الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة ، وإنه يأتى يوم القيامة عن يمين أبيك ويسار أخيك فحيثما كانا كان . وكان سليمان رحمه الله فصيحا بليغا أديبا مؤثرا للعدل محبا للغزو ومحسنا لعلم العربية ، ويرجع إلى دين وخير واتباع القرآن وإظهار شعائر الإسلام مترفعا عن سفك الدماء ، وكان شرها نكاحا .

قال ابن خلكان فى ترجمته : إنه كان يأكل فى كل يوم نحو مائة رطل شامى ، وكان به عرج ، ولما ولى رد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، وكان من قبله من خلفاء بنى أمية يؤخرونها إلى آخر وقتها ، ولذلك قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى إن سليمان افتتح خلافته بخير واختتمها بخير ، افتتحها بإقامة الصلاة لميقاتها الأول ؛ وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه .

وذكر المفضل وغيره : أن سليمان بن عبد الملك خرج من الحمام فى يوم جمعة فلبس حلة خضراء ، واعتم بعمامة خضراء ، وجلس على فراش أخضر ، وبسط ماحوله بالخضرة ؛ ثم نظر فى المرآة وكان جميلا فأعجبه جماله فشمر عن ذراعيه وقال . كان فينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه صديقا ، وكان عمر رضى الله تعالى عنه فاروقا ، وكان عثمان رضى الله تعالى عنه حييا ، وكان على رضى الله تعالى عنه شجاعا ، وكان معاوية رضى الله تعالى عنه حليما ، وكان يزيد صبورا ، وكان عبد الملك سائسا ، وكان الوليد جبارا ، وأنا الملك الشاب ، ثم خرج لصلاة الجمعة فوجد حظية له فى صحن الدار فأنشدته هذه الأبيات :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لابقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير أنك فانى

فلما فرغ من الصلاة ودخل داره قال لتلك الحظية : ماقلت لى فى صحن الدار وأنا خارج قالت ماقلت لك شيئا ولا رأيتك ، وأنى لى بالخروج إلى صحن الدار فقال — إنا لله وإنا إليه راجعون — نعيت إلى نفسى فما دارت عليه جمعة أخرى حتى مات . وقيل إنه صعد المنبر وخطب وإن صوته ليسمع من أقصى المسجد فأخذته الحمى فما زال صوته يخفى حتى لم يسمعه من تحته ثم دخل داره يسحب رجليه بين رجلين فما دارت عليه جمعة أخرى حتى توفى . وقال ابن خلكان إنه حم ومات من ليلته . وقيل إنه مات بذات الجنب ، وتوفى فى صفر فى عاشره سنة ثمان وتسعين . وقيل : سنة تسع وتسعين بمرج دابق من أرض قنسرين ، وله تسع وثلاثون سنة وقيل خمس وأربعون سنة ، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر رحمة الله تعالى عليه .

(خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه)

ثم قام بالأمر بعده الخليفة الراشد والإمام العالم أبو حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ، بويع له بالخلافة يوم مات سليمان بن عبد الملك بعهد له منه بذلك ؛ وكان يقال له أشج بنى أمية وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ، فعمر رضى الله تعالى عنه جده من قبل أمه ، وهو تابعى جليل ، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد رضى الله عنهما وروى عنه جماعة . ومولده رضى الله تعالى عنه بمصر سنة إحدى وستين . قال الإمام أحمد : ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز . وفى طبقات ابن سعد عن عمر بن قيس أنه قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافه سمع صوت لايدرى قائله :

من الآن قد طابت وقرّ قرارها على عمر المهدى قام عمودها

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا وهو أول من اتخذ دار الضيافة من الخلفاء ، وأول من فرض لأبناء السبيل وأزال ما كانت بنو أمية تذكر به عليا على المنابر ، وجعل مكان ذلك قوله تعالى — إن الله يأمر بالعدل والإحسان — الآية ، وقال فيه كثير عزة :

وليت ولم تسبب عليا ولم تخف مريبا ولم تقبل مقالة مجرم
وصدّقت القول الفعال مع الذى أتيت فأمسى راضيا كل مسلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها مناد ينادى من فصيح وأعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمتنى بأخذ دينارى وأخذك درهمى
فاربح بها من صفقة لمبايع وأكرم بها من بيعة ثم أكرم

وكتب إلى عماله : أن لا يقيدوا مسجوناً بقيد فإنه يمنع من الصلاة . وكتب إلى عامله

بالبصره عدى بن أرطاة: عليك بأربع ليال من السنة، فإن الله تبارك وتعالى يفرغ فيها الرحمة إفراغا: وهى أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلتا العيدين؛ وكتب إلى عماله: إذا دعتكم قدرتكم على الناس إلى ظلمهم فاذكروا قدرة الله تعالى عليكم، ونفاد ماتأتون إليه وبقاء ما يأتى إليكم من العذاب بسببهم. وذكر غير واحد عن محمد المروزى قال: أخبرت أن عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه لما دفن سليمان بن عبدالملك وخرج من قبره سمع للأرض هدة أو رجة فقال: ما هذه؟ فقيل: هذه مركب الخلافة قربت إليك يا أمير المؤمنين لتركبها، فقال: مالى ولها؟ نحوها عنى وقربوا إلىّ دابتى فقربت إليه فركبها، فجاء صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة جريا على عادة الخلفاء قبله فقال له: تنح عنى مالى ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين، ثم سار مختلطا بين الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس إنى ابتليت بهذا الأمر من غير رأى منى فيه ولا طلبة ولا مشورة من المسلمين، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم غيرى، فصاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضيناك أميرنا باليمن والبركة، فلما سكتوا حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال: أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله تعالى خلف من كل شىء وليس من تقوى الله خلف، واعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته، وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا له الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هاذم اللذات، وإنى والله لا أعطى أحداً باطلا ولا أمنع أحدا حقا. يا أيها الناس: من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعونى ما أطعت الله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم. ثم نزل ودخل دار الخلافة فأمر بالستور فهتكت وبالبسط فرفعت وأمر ببيع ذلك وإدخال أثمانه فى بيت مال المسلمين، ثم ذهب يتبوأ مقيلا فأتاه ابنه عبد الملك فقال ما تريد أن تصنع يا أبت؟ قال: أى بنى أقيل. قال: تقيل ولا ترد المظالم. قال: أى بنى إنى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم، فقال يا أمير المؤمنين من أين لك أن تعيش إلى الظهر؟ فقال: ادن منى يا بنى، فدنا منه فقبله بين عينيه وقال: الحمد لله الذى أخرج من ظهرى من يعينى على دينى فخرج ولم يقل، وأمر مناديه أن ينادى ألا كل من كانت له مظلمة فليرفعها، فتقدم إليه ذمى من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك بكتاب الله. قال: وما ذاك؟ قال إن العباس بن الوليد اغتصبنى أرضى، والعباس جالس فقال عمر: ما تقول يا عباس؟ قال: إن أمير المؤمنين الوليد أقطعنى إياها وهذا كتابه، فقال عمر: ما تقول يا ذمى؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك بكتاب الله تعالى، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد اردد إليه أرضه يا عباس فردها إليه، ثم جعل لا يدع

شيئا مما كان فى يد أهل بيته من المظالم إلا رده مظلمة مظلمة ، فلما بلغ الخوارج سيرته ومارد من المظالم اجتمعوا وقالوا : ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل ، ولما بلغ عمر بن الوليد رد الضيعة على الذمى كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشينا لمن بعدهم من أولادهم ، وقطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً ولن تترك على هذا الحال والسلام ؛ فلما قرأ كتابه كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، أما بعد : فقد بلغنى كتابك أما أول شأنك يا ابن الوليد فأمك بنانة أمة السكون كانت تطوف فى سوق حمص وتدخل فى حوانيتها ثم الله أعلم بها ، ثم اشتراها ذبيان من بيت مال المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المولود ، ثم نشأت فكنت جبارا عنيداً تزعم أنى من الظالمين إذ حرمتك وأهل بيتك مال الله الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل ، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده فويل لأبيك ما أكثر خصماءه يوم القيامة وكيف ينجو أبوك من خصمائه وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج يسفك الدم ويأخذ المال الحرام ، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة أعرابيا جافيا على مصر وأذن له فى المعازف واللهو والشرب ، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من جعل لغالية البربرية فى خمس العرب نصيبا ، فرويدا يا ابن بنانة فلو التقت حلقتا البطان ورد الفىء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخذتم فى الباطل ، ومن وراء ذلك ما أرجو أن أكون رأيته من بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فإن لكل فيك حقا ، والسلام على من اتبع الهدى ولا ينال سلام الله القوم الظالمين .

وروى أنه وقع فى زمانه غلاء عظيم ، فقدم عليه وفد من العرب فاختاروا رجلا منهم لخطابه فتقدم إليه وقال : يا أمير المؤمنين إنا وفدنا إليك من ضرورة عظيمة وراحتنا فى بيت المال ، وماله لا يخلو من أن يكون لله أو لعباده أو لك ، فإن كان لله فالله غنى عنه ، وإن كان لعباده فأتهم إياه ، وإن كان لك فتصدق به علينا إن الله يجزى المتصدقين ، فتغرغرت عينا عمر رضى الله تعالى عنه بالدموع وقال : وهو كما ذكرت ، وأمر بحوائجهم فقضيت فهم الأعرابى بالانصراف فقال عمر : أيها الرجل كما أوصلت حوائج عباد الله إلىّ ، فأصل حاجتى وارفع فاقتى إلى الله ، فقال الأعرابى : إلهى اصنع بعمر بن عبد العزيز كصنيعه فى عبادك ، فما استتم كلامه حتى ارتفع غيم عظيم وأمطرت السماء مطرا كثيراً ، فجاء فى المطر بردة كبيرة فوقعت على جرة فانكسرت فخرج منها كاغد مكتوب فيه : هذه براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار .

قال رجاء بن حيوة: كان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه من أعظم الناس وأكيس الناس وأجلهم فى مشيته ولبسه ، فلما استخلف قوّمت ثيابه وعمامته وقميصه وقباؤه وخفاه ورداؤه ، فإذا هن يعدلن اثنى عشر درهما .

وذكر ابن عساكر وغيره أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان قد شدد على أقاربه وانتزع كثيراً مما فى أيديهم فتبرموا به وسموه ؛ ويروى أنه دعا بخادمه الذى سمه فقال : ويحك ما حملك على أن سقيتنى السم ؟ قال : ألف دينار أعطيتها . قال : هاتها ، فجاء بها فأمر بطرحها فى بيت مال المسلمين ، وقال لخادمه : اخرج بحيث لا يراك أحد .

وعن فاطمة بنت عبد الملك زوج عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أنها قالت : والله ما اغتسل عمر من حلم ولا من جنابة منذ ولى هذا الأمر ، وكان نهاره فى أشغال الناس ورد المظالم وليله فى عبادة ربه تعالى .

قال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فإذا عليه قميص وسخ ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : يافاطمة اغسلى قميص أمير المؤمنين ، فقالت : نفعل إن شاء الله تعالى ، ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت : يافاطمة ألم آمرك أن تغسلى قميص أمير المؤمنين فإن الناس يعودونه ، فقالت والله ماله قميص غيره ، وكان عمر رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى كما غر باللذات فى النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غبه كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

واعلم أن مناقب عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه كثيرة جدا ، فمن أراد معرفة ذلك فعليه بسيرة العمرين والحلية وغيرهما . وكان مرضه رضى الله تعالى عنه بدير سمعان من أرض حمص ، ولما احتضر قال : اجلسونى ، فأجلسوه فقال : إلهى أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله ؛ وتوفى رضى الله تعالى عنه لخمس وقيل لست مضين وقيل لعشر بقين من رجب الفرد سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وقيل وهو ابن أربعين سنة . وكان رضى الله تعالى عنه أبيض مليحا جميلا مهابا نحيف الجسم حسن اللحية بجبهته شجة من حافر فرس ضربه وهو صغير ، وكان إليه المنتهى فى العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل جدد الله تعالى به للأمة دينها ، وسار فيها بسيرة جده لأمه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وكانت دولته فى طول مدة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وقبره رضى الله تعالى عنه بدير سمعان ظاهر يزار .

قال الشافعى رضى الله تعالى عنه : الخلفاء الراشدون خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وعلى ، وعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

وذكر الحافظ ابن عساكر : أنه لما وضع فى قبره بدير سمعان هبت ريح شديدة فسقطت منها صحيفة مكتوبة بأحسن خط : بسم الله الرحمن الرحيم، براءة من الله العزيز الجبار لعمر ابن عبد العزيز من النار . فأخذوها ووضعوها فى أكفانه. وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه سنتين وخمسة أشهر .

(خلافة يزيد بن عبد الملك)

ثم قام بالأمر بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان، بويع له بالخلافة يوم مات ابن عمه عمر ابن عبد العزيز بعهد له من أخيه سليمان فى ذلك ، ولما ولى قال : خذوا بسيرة عمر بن عبد العزيز فساروا بسيرته أربعين يوما فدخل عليه أربعون رجلا من مشايخ دمشق وحلفوا له إنه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب فى الآخرة وخدعوه بذلك فانخدع لهم ، وكان طائفة من جهال الشاميين يعتقدون ذلك ، وكان أبيض جسيما مليح الوجه .

وقال بعض المؤرخين : إن يزيد هذا هو المعروف بالفاسق وهو غلط ، وإنما الفاسق ولده الوليد كما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى .

وذكر الحافظ ابن عساكر رحمه الله وغيره : أن يزيد بن عبد الملك كان قد اشترى فى أيام أخيه سليمان جارية من عثمان بن سهل بن حنيف بأربعة آلاف دينار ، وكان اسمها حبابة بتشديد الباء الموحدة وأحبها حبا شديدا ، فبلغ أخاه سليمان ذلك فقال : هممت أن أحجر على يزيد ، فبلغ ذلك يزيد فباعها خوفا من أخيه سليمان، فلما أفضت الخلافة إليه قالت له زوجته ياأمير المؤمنين هل بقى فى نفسك من الدنيا شىء ؟ قال : نعم ، قالت: وماهو ؟ قال : حبابة فاشترتها له وهو لايعلم وزينتها وأجلستها من وراء ستر لها ثم قالت : ياأمير المؤمنين هل بقى فى نفسك من الدنيا شىء ؟ قال أو ماأعلمتك أنها حبابة، فرفعت الستر وقالت : هاأنت وحبابة ، وتركته وإياها فحظيت عنده وغلبت على عقله ولم ينتفع به فى الخلافة . وإنه قال يوما إن بعض الناس يقولون : إنه لن يصفو لأحد من الملوك يوم كامل من الدهر ، وإنى أريد أن أكذبهم فى ذلك ، ثم أقبل على لذاته واختلى مع حبابة ، وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل مايكره، فبينما هو على تلك الحالة فى صفو عيشه وزيادة فرحه وسروره إذ تناولت حبابة حبة رمان وهى تضحك فغصت بها فماتت ، فاختل عقل يزيد وتكدر عيشه وذهب سروره ووجد عليها وجدا شديدا ، وتركها أياما لم يدفنها بل يقبلها ويترشفها حتى أنتنت وجافت فأمر بدفنها ثم نبشها من قبرها ؛ ولم يعش بعدها إلا خمسة عشر يوما ، وكان مرضه بالسل ، وقال فيها :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى ... فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارنى فهو قائل ... من أجلك هذا هالك اليوم أوغد

وسيأتى إن شاء الله تعالى قريب من هذا فى باب الدال المهملة فى الدابة عن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام . وتوفى يزيد بن عبد الملك بأربل من أرض البلقاء، وقيل : بالجولان وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق ، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير ، وذلك لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وله تسع وعشرون ، وقيل ثمان وثلاثون سنة وشهر ؛ وكانت خلافته أربع سنين وشهرا .

(خلافة هشام بن عبد الملك)

ثم قام بالأمر بعده أخوه هشام بن عبدالملك بن مروان، بويع له بالخلافة يوم مات أخوه يزيد بعهد منه إليه ، ولما أتته الخلافة كان بالرصافة فسجد وسجد أصحابه لما بشر بها وسار إلى دمشق . قال مصعب الزبيرى : زعموا أن عبد الملك بن مروان رأى فى منامه أنه بال فى المحراب أربع مرات ، فدس من سأل سعيد بن المسيب وكان يعبر الرؤيا فقال : يملك من صلبه أربعة ، فكان آخرهم هشاما انتهى . وكان هشام حازما عاقلا صاحب سياسة حسنة أبيض جميلا سمينا أصون يخضب بالسواد ، وكان ذا رأى ودهاء وفيه حلم وقلة شر ، وقام بالخلافة أتم قيام، وكان يجمع الأموال ويوصف بالبخل والحرص . يقال : إنه جمع من الأموال مالا ماجمعه خليفة قبله ، فلما مات احتاط الوليد بن يزيد على تركته ، فما غسل وكفن إلا بالقرض والعارية ، وتوفى بالرصافة فى شهر ربيع الآخر ، ودفن بدمشق سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . وقيل : أربع وخمسين سنة . وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر . وقيل : عشرين عاما .

(خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو السادس فخلع كما سيأتى)

ثم قام بالأمر بعده ابن أخيه الوليد بن يزيد الفاسق كان أبوه حين احتضر عهد بالأمر إلى هشام أخيه بأن يكون العهد من بعده لولده الوليد بن يزيد، فلما مات هشام بويع له بالخلافة يوم موت عمه هشام وهو إذ ذاك بالبرية فارا من عمه هشام لأنه كان بينه وبين عمه منافسة لأجل استخفافه بالدين وشربه الخمر واشتهاره بالفسق، فهم هشام بقتله ففر منه وصار لايقيم بأرض خوفا من هشام ، فلما كانت الليلة التى قدم عليه البريد فى صبيحتها بالخلافة قلق تلك الليلة قلقا شديدا ، فقال لبعض أصحابه : ويحك إنه قد أخذنى الليلة قلق فاركب بنا حتى ننبسط فسارا مقدار ميلين وهما يتحدثان فى أمر هشام وما يتعلق به من كتبه إليه بالتهديد والوعيد ، ثم نظرا فرأيا من بعد رهجا وصوتا ثم انكشف ذلك عن برد يطلبونه ، فقال لصاحبه : ويحك إن هذه رسل هشام اللهم أعطنا خيرهم ، فلما قرب البرد منهما وأثبتوا الوليد معرفة ترجلوا وجاءوا فسلموا عليه بالخلافة فبهت وقال : ويحكم أمات هشام ؟ قالوا : نعم ، ثم أعطوه الكتب فقرأها ، وسار من فوره إلى دمشق فأقام فى الخلافة سنة واحدة ، ثم أجمع أهل دمشق على خلعه وقتله لاشتهاره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقة .

قال الحافظ ابن عساكر وغيره : انهمك الوليد فى شربه الخمر ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره ، وأقبل على القصف واللهو والتلذذ مع الندماء والمغنين ، وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشى بالدف ، وكان قد انتهك محارم الله تعالى حتى قيل له الفاسق ، وكان أكمل بنى أمية أدبا وفصاحة وظرفا ، وأعرفهم بالنحو واللغة والحديث ، وكان جوادا مفضالا ومع ذلك لم يكن فى بنى أمية أكثر إدمانا للشراب والسماع ولا أشد مجونا وتهتكا واستخفافا بأمر الأمة من الوليد بن يزيد . يقال : إنه واقع جارية له وهو سكران ، وجاءه المؤذنون يؤذنونه بالصلاة ، فحلف أن لايصلى بالناس إلا هى ، فلبست ثيابه وتنكرت وصلت بالمسلمين وهى جنب سكرى . ويقال : إنه اصطنع بركة من خمر ، وكان إذا طرب ألقى نفسه فيها وشرب منها حتى يبين النقص فى أطرافها .

وحكى الماوردى فى كتاب [أدب الدين والدنيا] عنه أنه تفاءل يوما فى المصحف ، فخرج له قوله تعالى — واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد — فمزق المصحف وأنشأ يقول :

أتوعد كل جبار عنيـــد فها أنا ذا جبار عنيد

إذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث إلا أياما يسيرة حتى قتل شر قتلة ، وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور بلده اه . وسيأتى هذا أيضا إن شاء الله تعالى فى باب الطاء المهملة فى الكلام على الطيرة فى لفظ الطير ، وأخباره فى مثل هذا كثيرة مشهورة فى كتب التواريخ فلا نطيل بذكرها ، وقد جاء فى الحديث « ليكونن فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر من فرعون » فتأوله العلماء : الوليد بن يزيد هذا . ولما خلعه أهل دمشق بايعوا ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقال : من أحضر رأس الوليد فله مائة ألف درهم ، وكان الوليد بالبحرة فحصره أصحاب يزيد فهم أصحاب الوليد بالقتال فنهاهم عن ذلك ؛ فانفلوا من حوله ثم دخلوا عليه فى قصره ، فقال : يوم كيوم عثمان . فقيل له : ولا سواء ، فقطع رأسه وطيف به فى دمشق ونصب على قصره ثم على أعلى سور دمشق . ولما قتل الوليد اضطربت البلاد واستنصر على بنى أمية أعداؤهم ولم تقم لهم قائمة بعده . وقتل فى جمادى الأولى سنة ست وعشرين ومائة ، وكانت خلافته سنة واحدة وقيل سنة وشهران . وكان من أجمل الناس وأحسنهم وأقواهم وأجودهم شعرا ، وكان فاسقا مشتهرا منهمكا متهتكا فقاموا عليه لفسقه وارتكابه القبائح فخرج عليه تمدينا ابن عمه يزيد بن عبد الملك بن الوليد الملقب بالناقص ، وتغلب على دمشق ، وكان الوليد بناحية تدمر فى الصيد فجهز يزيد عسكرا فحاربه إلى أن أحاطوا به بحصن البحرة من أرض تدمر ، ثم تسوروا عليه وذبحوه وأتوا برأسه على رمح ثم نصبوه على دمشق .

(خلافة يزيد بن الوليد بن عبدالملك بن مروان)

ثم قام بالأمر بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه الوليد بن يزيد وهو أول خليفة كانت أمه أمة ، وكان بنو أمية يتحرزون ذلك تعظيما للخلافة ولما سقط إليهم أن ملكهم يزول على يد خليفة أمه أمة ، وكانوا يتخوفون من ذلك إلى أن ولى الخلافة الوليد بن يزيد فعلموا أن ملكهم قد انقضى وكان يزيد يسمى الناقص ، وإنما سمى بذلك لأنه نقص أعطيات الناس وردهم إلى ما كانوا عليه أيام هشام . وقيل : لنقصان كان فى أصابع رجليه ، وأول من سماه بهذا مروان بن محمد . وأقام يزيد فى الخلافة والأمور مضطربة عليه . وكان مظهرا للنسك وقراءة القرآن وأخلاق عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ، وكان ذا دين وورع إلا أنه لم يمتع وبغتته المنية توفى فى ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وهو ابن أربعين سنة . وقيل ست وأربعين . وقال الشافعى رحمه الله تعالى : ولى يزيد بن الوليد فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه ، وكانت خلافته خمسة أشهر ونصفا . وقيل ستة أشهر ، والله أعلم .

(خلافة إبراهيم بن الوليد)

ولما مات يزيد بويع أخوه إبراهيم بن الوليد بعهد من أخيه يزيد بن الوليد ولم يثبت له أمر . فكان جمعة يسلم عليه بالخلافة وجمعة بالإمارة وجمعة لا يسلم عليه لا بالخلافة ولا بالإمارة ، وما زالت الأمور مضطربة عليه إلى أن قتله مروان بن محمد وصلبه ، وكانت ولايته شهرين وعشرة أيام ، وفى هذا نظر لأن مروان بن محمد بن مروان الحمار لما سمع بمبايعته وكان نائبا على أذربيجان وتلك النواحى وصاحب الفتوحات سار لحينه ودعا إلى نفسه وقدم الشام ، فجهز له إبراهيم بن الوليد أخويه بشرا ومسرورا فالتقوا وانتصر عليهم مروان فزحف حتى نزل مرج عذراء ، فبرز إليه سليمان بن هشام بن عبد الملك فانكسر ، فبرز إليه الخليفة إبراهيم بن الوليد وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وخامروا عليه بعد أن أنفق عليهم الخزائن فاختفى أمرهم ، فبايع الناس مروان واستوثق له الأمر ، فظهر إبراهيم ودخل عليه ونزل له عن الخلافة .

(خلافة مروان بن محمد)

ولما قتل إبراهيم بن الوليد بويع لمروان بن محمد المنبوز بالحمار بالخلافة . وفى أيامه ظهر أبو مسلم الخراسانى صاحب الدعوة ، وظهر السفاح بالكوفة ، وبويع له بالخلافة ، وجهز عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان بالزاب زاب الموصل واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم مروان وقتل من عسكره وغرق مالا يحصى ، وتبعه عبد الله إلى أن وصل إلى نهر الأردن فلقى جماعة من بنى أمية وكانوا نيفا

وثمانين رجلا فقتلهم عن آخرهم ، ثم أمر عبدالله بسحبهم فسحبوا وبسط عليهم بساطا وجلس هو وأصحابه فوقهم واستدعى بالطعام فأكلوا وهم يسمعون أنينهم من تحتهم فقال عبد الله : يوم كيوم الحسين ولا سواء ، ثم جهز السفاح عمه صالح بن على على طريق السماوة فلحق بأخيه عبد الله ، وقد نازل دمشق ففتحها عنوة وأباحها ثلاثة أيام ونقض عبد الله سورها حجرا حجرا وهرب مروان إلى مصر فتبعه صالح وقتل مروان بأبى صير قرية من قرى الصعيد كما سيأتى فى باب الهاء فى لفظ الهر ، وكان قد عزم على الدخول إلى الحبشة فبيتوه فقال حين قتل : انقرضت دولتنا . كان بطلا شديدا شجاعا مهابا ذا هيئة أبيض ربعة أشهل ضخما كث اللحية وكان حازما سائسا ، وتمزقت بموته دولة بنى أمية ، وكان قتل مروان الجعدى فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن ست وخمسين سنة ، وكانت خلافته خمس سنين . قيل : وشهرين وعشرة أيام ، وهو آخر خلفاء بنى أمية ، وهم أربعة عشر خليفة أو لهم معاوية بن أبى سفيان ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وآخرهم مروان الجعدى المنبوز بالحمار ، وكانت مدة خلافتهم نيفا وثمانين سنة وهى ألف شهر ، ولما انقضت دولتهم علم ماقال الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما لما قيل له تركت الخلافة لمعاوية ، فقال « ليلة القدر خير من ألف شهر » وبدولة مروان اختل النظام فى أن كل سادس يخلع لأن العدة لم تكمل لأن الوليد بن يزيد المخلوع لم يل بعده من بنى أمية سوى ثلاثة : يزيد بن الوليد ابن عبد الملك ثم أخوه إبراهيم ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وبه انقرضت دولة بنى أمية ، وجاءت الدولة العباسية ثبتها الله إلى قيام الساعة .

الدولة العباسية

(خلافة أبى العباس السفاح)

قال المؤرخون : ولما أتى الله تعالى بالدولة العباسية كان أولهم السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى ، بويع له بالخلافة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الأول ، واستوزر أبا سلمة حفصا الخلال وهو أول من لقب بالوزير ، واستمر اللقب من بعده إلى زمن الصاحب بن عباد ، وإنما سمى بالصاحب لأنه صحب ابن العميد ، واستمر على هذا الوزراء بعده إلى زمننا . قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى وغيره : إن السفاح خطب يوما فسقطت العصا من يده فتطير بذلك ، فقام شخص من أصحابه ومسح العصا وناوله إياها وأنشد :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر فسرى عنه .

وذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه نظر يوما فى المرآة وكان من أجمل الناس وجها فقال : اللهم إنى لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك ، ولكنى أقول : اللهم عمرنى طويلا فى طاعتك متمتعا بالعافية . قال : فما استتم كلامه حتى سمع غلاما يقول لغلام آخر : الأجل بينى وبينك شهران وخمسة أيام ، فتطير من كلامه وقال : حسبى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله عليه توكلت وبه استعنت . فما مضت الأيام المذكورة حتى أخذته الحمى فمرض ومات بعد شهرين وخمسة أيام بالجدرى بالأنبار بمدينته التى بناها وسماها الهاشمية ، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ونصف سنة ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، وكان أبيض مليحا جميلا حسن اللحية والهيئة .

(خلافة أبى جعفر المنصور)

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، بويع له بالخلافة يوم وفاة أخيه بعهد منه ، وكان السفاح قد ولاه أمر الحج ، فأتته الخلافة بمكان يعرف بالصافية فقال صفا أمرنا إن شاء الله تعالى فبايعه الناس وحج بهم ، فلما رجع ودخل الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة ، وأنه حج ثانيا فلما قرب من مكة رأى على جدار سطرين مكتوبين وهما :

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لابد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم من ريب المنية دافع

فلما قرأهما تيقن انقضاء أجله فمات بعد ثلاثة أيام ، وكان قد رأى فى نومه قبل موته قائلا يقول :

كأنى بهذا القصر قد باد أهله وعرّى منه أهله ومنازله
وصار رئيس القوم من بعد بهجة إلى جدث تبنى عليه جنادله

وكانت وفاته فى سنة ثمان وخمسين ومائة ببئر ميمونة على أميال من مكة وهو محرم بالحج وهو ابن ثلاث وستين سنة . وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ، وأمه بربرية ، وكان طويلا أسمر نحيفا خفيف اللحية رحب الجبهة كأن عينيه لسانان ناطقان ، صارما مهيبا ذا جبروت وسطوة وحزم ورأى وشجاعة وكمال عقل ودهاء وعلم وفقه وخبرة بالأمور تقبله النفوس وتهابه الرجال ، وكان يخلط أبهة الملك بزى النسك وكان بخيلا بالمال إلا عند النوائب .

(خلافة محمد المهدى)

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو عبدالله محمد المهدى ، بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المنصور بعهد منه وهو يومئذ ببغداد ، ثم بويع له بها لإحدى عشرة من ذى الحجة البيعة العامة ، وتوفى بقرية من قرى ما سبذان ، ساق خلف صيد فدخل خربة فدق باب الخربة من قوة سوق

الفرس فتلف لوقته . وقيل : بل سمته جاريته . قيل : إنها جعلت السم فى طعام لضرتها فدخل ومد يده فأكل فما جسرت أن تقول له هو مسموم ؛ وكانت وفاته لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة ، ولم يوجد له نعش يحمل عليه فحمل على باب ودفن تحت شجرة جوز وله اثنتان وأربعون سنة ونصف . وقيل : ثلاث وأربعون سنة ، وكانت خلافته عشر سنين وشهرا ، وكان جوادا ممدوحا محببا إلى رعيته حسن الخلق والخلق . يقال : إن أباه خلف فى الخزائن مائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم ففرقه ، ويقال : إنه أجاز شاعرا بمائة ألف درهم .

(خلافة موسى الهادى)

ثم قام بالأمر بعده ابنه موسى الهادى ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وكان مقيما بجرجان يحارب أهل طبرستان بويع له بما سبذان ثم أخذله أخوه الرشيد البيعة ببغداد وبعث إليه يعزيه فى والده ويهنيه بالخلافة ، فقدم بغداد على خيل البريد فتلقاه الناس وبايعوه ثم عزم على خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد فعاجله القضاء وحال بينه وبين مراده ، وكانت وفاة الهادى ببغداد رابع عشر شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وله أربعة وعشرون سنة . وقيل : نحو من خمس وعشرين سنة بقرحة أصابته ، وكانت خلافته سنة واحدة وخمسة وأربعين يوما . وقيل : سنة وشهرين ، وكان طويلا مليحا جسيما ذا ظلم وجبروت سامحه الله تعالى .

(خلافة هارون الرشيد)

ثم قام بالأمر بعده أخوه هارون الرشيد بن محمد المهدى وكان أبوهما قد أخذ لهما ولاية العهد معا . بويع له بالخلافة فى الليلة التى توفى فيها أخوه ، وولد له فى تلك الليلة المأمون ، وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها فى بنى العباس مات فيها خليفة وولد فيها خليفة ، وولى فيها خليفة ؛ ولما بويع الرشيد قلد يحيى بن برمك وزارته ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى لفظ العقاب إيقاع الرشيد بالبرامكة ، وقتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، وتخليد يحيى وولده الفضل فى السجن إلى أن ماتا ، وسبب ذلك مبينا إن شاء الله .

ومن غريب ما اتفق لهارون الرشيد أن أخاه موسى الهادى لما ولى الخلافة سأل عن خاتم عظيم القدر كان لأبيه المهدى ، فبلغه أن الرشيد أخذه فطلبه منه فامتنع من إعطائه فألح عليه فيه فحنق عليه الرشيد ومر على جسر بغداد فرماه فى الدجلة ، فلما مات الهادى وولى الرشيد الخلافة أتى ذلك المكان بعينه ومعه خاتم رصاص فرماه فى ذلك المكان وأمر الغطاسين أن يلتمسوه ففعلوا فاستخرجوا الخاتم الأول فعد ذلك من سعادة الرشيد وإبقاء ملكه .

ونظير هذا ماحكاه ابن الأثير فى حوادث سنة ستين وخمسمائة قال : لما فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة بانياس وأخذها من الفرنج ملأها ذخائر وعدة ورجالا ثم عاد إلى دمشق وفى يده خاتم بفص ياقوت قيمته ألف ومائة دينار فسقط من يده فى شجر

بانياس ، وهى كثيرة الأشجار ملتفة الأغصان فلما بعد عن المكان الذى ضاع فيه الخاتم علم به فأعاد بعض أصحابه فى طلبه ودلهم على مكانه وقال أظنه هناك سقط ، فرجعوا إليه فوجدوه انتهى .

وكان الرشيد مع عظم ملكه يعتريه خوف الله تعالى فمن ذلك ما ذكره الإمام العلامة محمد بن ظفر وغيره : أن خارجيا خرج عليه فقتل أبطاله وانتهب أمواله مرارا ، ثم إنه جهز إليه مرة جيشا كثيفا فقاتلوه فغلبوه بعد جهد وأمسكوه وأتوا به الرشيد فجلس مجلسا عاما وأمر بإدخاله عليه ، فلما مثل بين يديه قال له : ياهذا ما تريد أن أصنع بك ؟ قال : ماتريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه ، فعفا عنه وأمر بإطلاقه ، فلما خرج قال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين : رجل قتل أبطالك ، وانتهب أموالك تطلقه بكلمة واحدة ، تأمل هذا الأمر فإنه مما يجرئ عليك أهل الشر ، فقال الرشيد : ردوه ، فعلم الرجل أنه قدتكلم فى أمره فقال : يا أمير المؤمنين لا تطعهم ، فلو أطاع الله فيك الناس ما ولاك طرفة عين . قال : صدقت ، ثم أمر له بصلة وصرفه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ما اتفق له مع الفضيل بن عياض وسفيان الثورى فى باب الباء الموحدة والفاء ، وتوفى الرشيد فى سنة ثلاث وتسعين ومائة بطوس ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، وهو ابن سبع وأربعين سنة .وقيل : خمس وأربعين وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا . وقيل : ثلاثا وعشرين فقط ، وولد بالرى ، وكان جوادا ممدوحا غازيا مجاهدا شجاعا مهيبا مليحا أبيض طويلا عبل الجسم قد وخطه الشيب . يقال : إنه منذ استخلف كان يصلى كل يوم وليلة مائة ركعة ، ويتصدق من خالص ماله بألف درهم وكان له معرفة جيدة بالعلوم .

(خلافة محمد الأمين وهو السادس ، فخلع وقتل كما سيأتى)

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد الأمين ، بويع له بالخلافة يوم توفى والده بطوس ، واستناب أخاه المأمون على ممالك خراسان وهو إذ ذاك ببغداد ، فورد بها عليه خاتم الخلافة والبردة والقضيب ثم بويع له بها البيعة العامة وفى سائر الآفاق ، وكان الرشيد قد جدد البيعة بطوس بولاية العهد لابنه المأمون بعد الأمين ، وأشهد على نفسه أن جميع مامعه من مال وسلاح وغير ذلك للمأمون ، وأوصى أن يكون ما معه من الجيوش مضمومين إليه بخراسان ، فلما مات الرشيد نادى الفضل بن الربيع فى عسكر الرشيد بالرحيل إلى بغداد وخالف وصية الرشيد فعظم ذلك على المأمون ، وكتب إلى الفضل يذكره العهود التى أخذها عليه الرشيد ، ويحذره البغى ويسأله الوفاء ، فلم يلتفت الفضل إليه فكان هذا الأمر سبب ابتداء الوحشة بين الأمين والمأمون .

وذكر أبو حنيفة فى [الأخبار الطوال] وغيره عن الكسائى أنه قال : إن الرشيد ولانى

تأديب الأمين والمأمون فكنت أشدد عليهما فى الأدب وآخذهما به أخذ شديدا وخاصة الأمين فأتتنى ذات يوم خالصة جارية زبيدة وقالت : ياكسائى ، إن السيدة تقرأ عليك السلام وتقول لك : حاجتى إليك أن ترفق بابنى محمد فإنه قرة عينى وثمرة فؤادى وأنا أرق عليه رقة شديدة ، فقلت لخالصة : إن محمدا مرشح للخلافة بعد أبيه ولا يجوز التقصير فى أمره ، فقالت خالصة : إن لرقة هذه السيدة سببا أنا أخبرك إياه : إنها فى الليلة التى ولدته فيها رأت فى منامها كأن أربع نسوة أقبلن إليه فاكتنفنه عن يمينه وشماله وأمامه ووراثه ، فقالت التى بين يديه : ملك قليل العمر ، عظيم الكبر ، ضيق الصدر ، واهى الأمر ، كبير الوزر ، شديد الغدر . وقالت التى من وراثه : ملك قصاف ، مبذر متلاف ، قليل الإنصاف ، كثير الإسراف . وقالت التى عن يمينه : ملك عظيم الطخم ، قليل الحلم ، كثير الإثم ، قطوع للرحم . وقالت التى عن يساره : ملك غدار ، كثير العثار ، سريع الدمار . ثم بكت خالصة وقالت ياكسائى وهل ينفع الحذر من القدر ؟ ثم إن المأمون خلع الأمين من الخلافة وجهز لقتاله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين ، فسارا إليه وحاصراه ببغداد بعد حروب كثيرة ، وتراموا بالمجانيق وجرت بينهم وقائع متعددة ، وعظم الأمر واشتد البلاء حتى خرب بسبب ذلك منازل المدينة ، ووثب العيارون على أموال الناس فانتهبوها ، وأقام الحصار مدة سنة ، فتضايق الأمر على الأمين وفارقه أكثر أصحابه . وكتب طاهر إلى وجوه أهل بغداد سرا يعدهم إن أعانوه ويتوعدهم إن لم يدخلوا فى طاعته ، فأجابوه وصرحوا بخلع الأمين وتفرق عنه أكثر من معه فالتجأ إلى مدينة أبى جعفر ، فحاصره طاهر بها ومنعه من كل شىء حتى كاد هو وأصحابه يموتون جوعا وعطشا ، فلما عاين الأمين ذلك كاتب هرثمة بن أعين وطلب منه أن يؤمنه حتى يأتيه فأجابه إلى ذلك ، فبلغ ذلك طاهرا فشق عليه كراهية أن يظهر الفتح لهرثمة دونه ، فلما كان يوم الخميس لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة خرج الأمين إلى هرثمة فلقيه هرثمة فى حراقة فركب الأمين معه وكان طاهر قد أكمن للأمين فلما صار الأمين فى الحراقة خرج عليه كمين طاهر ورموا الحراقة بالحجارة فغرق من فيها ، فشق الأمين ثيابه وسبح إلى بستان فأدركوه وأخذوه وحملوه على برذون وأتوا به طاهرا ، فبعث إليه جماعة وأمرهم بقتله فهجموا عليه وبأيديهم السيوف فركبوا عليه وذبحوه من قفاه ، وأخذوا رأسه وأتوا به طاهرا فأمر بنصبه ، فلما رآه الناس سكنت الفتنة ثم جهزه طاهر إلى المأمون وصحبته خاتم الخلافة وبردة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضيبه ، فلما وضع الرأس بين يديه خر ساجدا شكرا لله تعالى على ما رزقه من الظفر ، وأمر للرسول بألف ألف درهم .

وذكر عن الأصمعى أنه قال : دخلت على الرشيد وكنت قد غبت عنه بالبصرة حولا ، فسلمت عليه بالخلافة فأومأ إلىّ بالجلوس قريبا منه ، فجلست قليلا ثم نهضت فأومأ إلىّ أن

أجلس فجلست حتى خف الناس . ثم قال لى : يا أصمعى ألا تحب أن ترى محمدا وعبدالله ابنى ؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، إنى لأحب ذلك وما أردت القصد إلا إليهما لأسلم عليهما فقال : يكفى ذلك ، ثم قال : على بمحمد وعبدالله ، فانطلق الرسول إليهما وقال : أجيبا أمير المؤمنين. فأقبلا كأنهما قمرا أفق قد قاربا خطاهما ورميا ببصرهما الأرض حتى وقفا على أبيهما فسلما عليه بالخلافة فأومأ إليهما بالجلوس ، فجلس محمد عن يمينه وعبدالله عن يساره ، ثم أمرنى بمطارحتهما الأدب ، فكنت لا ألقى عليهما شيئا من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا فقال : كيف ترى أدبهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين مارأيت مثلهما فى ذكائهما وجودة فهمهما وذهنهما ، فأطال الله تعالى بقاءهما ورزق الأمة من رأفتهما ومعطفتهما فضمهما إلى صدره ، وسبقته عبرته فبكى حتى تحدرت دموعه على لحيته ، ثم أذن لهما فى القيام ، فنهضا حتى إذا خرجا قال لى : يا أصمعى كيف بهما إذا ظهر تعاديهما وبدأ تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويود كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى ؟ قلت : يا أمير المؤمنين هذا شىء قضى به المنجمون عند مولدهما أو شىء أثرته العلماء فى أمرهما . قال : لا بل شىء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء فى أمرهما ، وكان المأمون يقول فى خلافته : كان الرشيد سمع جميع ماجرى بيننا من موسى بن جعفر ولذلك قال ما قال .

وذكر صاحب عيون التواريخ وغيره : أن المأمون مر يوما على زبيدة أم الأمين ، فرآها تحرك شفتيها بشىء لايفهمه : فقال لها : يا أماه أتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه ؟ فقالت : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : فما الذى قلته ؟ قالت : يعفينى أمير المؤمنين ، فألح عليها وقال : لابد أن تقوليه . قالت : قلت قبح الله الملاحة . قال : وكيف ذلك ؟ قالت لأنى لعبت يوما مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا فغلبنى ، فأمرنى أن أتجرد من أثوابى وأطوف القصر عريانة ، فاستعفيته فلم يعفنى فتجردت من أثوابى وطفت القصر عريانة ، وأنا حقنة عليه ، ثم عاودنا اللعب فغلبته ، فأمرته أن يذهب إلى المطبخ ويطأ أقبح جارية وأشوهها خلقة فيه ، فاستعفانى من ذلك فلم أعفه ، فبذل إلى خراج مصر والعراق فأبيت وقلت : والله لتفعلن ذلك ، فأبى فألححت عليه وأخذت بيده وجئت به للمطبخ ، فلم أر جارية أقبح ولا أقذر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل ، فأمرته أن يطأها فوطئها فعلقت منه بك ، فكنت سببا لقتل ولدى وسلبه ملكه ، فولى المأمون وهو يقول : لعن الله الملاحة. أى التى ألح عليها حتى أخبرته بهذا الخبر .

وقتل الأمين وهو ابن ثمان وعشرين سنة . وقيل : سبع وعشرين ، وكان طويلا أبيض بديع الحسن ، وكانت خلافته أربع سنين وثمانى شهور . وقيل : ثلاثة أعوام وأياما لأنه خلع فى رجب سنة ست ، ومن حسب له إلى موته فخلافته خمس سنين خلا أشهرا ، وكان مبذرا للأموال

لعابا لايصلح للخلافة ، وكان مشتغلا باللهو والقصف والإقبال على اللذات فقال فيه بعضهم من أبيات :

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس فى الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

(خلافة عبد الله المأمون)

ثم قام بالأمر بعده أخوه عبد الله المأمون. بويع له بالخلافة البيعة العامة صبيحة الليلة التى قتل فيها الأمين بإجماع من الأمة على ذلك خلا ماكان من أمير الأندلس فإنه كان والأمراء قبله وبعده لم يتقيدوا بطاعة العباسيين لبعد الديار . قال فى [الأخبار الطوال] : كان المأمون شهما بعيد الهمة أبى النفس ، وكان نجم بنى العباس فى العلم والحكمة ، وكان قد أخذ من العلوم بقسط وضرب فيها بسهم وهو الذى استخرج كتاب أقليدس وأمر بترجمته وتفصيله وعقد المجالس فى خلافته للمناظرة فى الأديان والمقالات ، وكان أستاذه فيها أبا الهذيل محمد ابن الهذيل البصرى المعتزلى الذى يقال له العلاف ، وستأتى الإشارة إليه فى باب الباء الموحدة فى لفظ البرذون ، وفى أيامه ظهر القول بخلق القرآن . وقال غيره : إن القول بخلق القرآن ظهر فى أيام الرشيد، وكان الناس فيه بين أخذ وترك إلى زمن المأمون فحمل الناس على القول بخلق القرآن ، وكل من لم يقل بخلق القرآن عاقبه أشد عقوبة وكان الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه إمام أهل السنة من الممتنعين من القول بخلق القرآن فحمل إلى المأمون مقيداً فمات المأمون قبل وصوله إليه، وسيأتى ذكر محنته فى خلافة المعتصم . وقالوا : دخل المأمون بلاد الجزيرة والشام وأقام بها مدة طويلة ، ثم غزا الروم وفتح فتوحات كثيرة وأبلى بلاء حسنا ، وتوفى بنهر بردى لاثنتى عشر ليلة بقيت من رجب ، وقيل: لثمان مضين منه سنة ثمان عشرة ومائتين وهو ابن تسع وأربعين سنة ، وقيل : تسع وثلاثين والأول أصح . وقيل: ثمان وأربعين ، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر ودفن بطرسوس.

قال ابن خلكان : كان المأمون عظيم العفو جوادا بالمال عارفا بالنجوم والنحو وغيرهما من أنواع العلوم خصوصا علم النجوم، وكان يقول : لو يعلم الناس ما أجد فى العفو من اللذة لتقربوا إلى بالذنوب . وقال غيره : إنه لم يكن فى بنى العباس أعلم من المأمون ، وكان يشتغل بعلم النجوم كثيرا ، وفى ذلك يقول الشاعر :

هل علوم النجوم أغنت عن المأ مون شيئا أو ملكه المأنوس
خلفوه بساحتى طرسوس مثلما خلفوا أباه بطوس

وكان أبيض مليح الوجه ، مربوعا طويل اللحية ، دينا عارفا بالعلم ، فيه دهاء وسياسة

(خلافة أبى إسحاق إبراهيم المعتصم)

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو إسحاق إبراهيم المعتصم بن هارون الرشيد ، بويع له بالخلافة يوم موت أخيه بعهد منه فأمر بهدم ما بنوا من طوانة ، وغزا عمورية وأناخ عليها وحاصرها حصاراً شديداً ، ولم يكن فى بنى العباس مثله فى القوة والشجاعة والإقدام .قيل: إنه أصبح ذات يوم برد عظيم وثلج ، فلم يقدر أحد على إخراج يده ولا إمساك قوسه فأوتر المعتصم فى ذلك اليوم أربعة آلاف قوس ، ولم يزل يحاصرها حتى فتحها عنوة واحتوى على ما فيها من الأموال وغيرها وأخذ أهلها أسرى ، ولما ولى طلب الإمام أحمد وكان فى سجن المأمون كما تقدم وامتحنه بخلق القرآن كما سنذكره إن شاء الله تعالى . وتلخيص ما كان من أمره : أن هارون الرشيد لم يقل بخلق القرآن مدة خلافته ،ولهذا السبب كان الفضيل بن عياض يتمنى طول عمر الرشيد لأنه والله أعلم كان قد كشف له بأن فتنة تحدث بعد موت الرشيد ، ولم تحدث فى أيام خلافته فتنة ولكن كان الأمر فى زمن ولايته بين أخذ وترك كما قدمنا قريبا إلى أن ولى ابنه المأمون فقال بخلق القرآن ، وبقى يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى دعواه الناس إلى ذلك إلى أن قوى عزمه فى السنة التى مات فيها فحمل الناس على القول بخلق القرآن وكل من لم يقل بخلقه عاقبه أشد عقوبة ، وأنه طلب الإمام أحمد بن حنبل وجماعة فحمل إليه الإمام أحمد ، فلما كان ببعض الطريق توفى المأمون وعهد إلى أخيه المعتصم بالخلافة وأوصاه بأن يحمل الناس على القول بخلق القرآن ، واستمر الإمام أحمد محبوساً إلى أن بويع المعتصم ، فأحضر الإمام أحمد إلى بغداد وعقد له مجلسا للمناظرة وفيه عبد الرحمن بن إسحاق والقاضى أحمد بن أبى دؤاد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام ، ولم يزل معهم فى جدال إلى اليوم الرابع ، فأمر بضربه بالسياط ولم يزل عن الصراط إلى أن أغمى عليه ونخسه عجيف بالسيف ورمى عليه بارية وديس عليه ثم حمل وصار إلى منزله . وكانت مدة مكثه فى السجن ثمانية وعشرين شهرا ، ولم يزل بعد ذلك يحضر الجمعة والجماعات ويفتى ويحدث إلى أن مات المعتصم ، وولى الواثق فأظهر ما أظهره المأمون والمعتصم من المحنة ، وقال للإمام أحمد : لا تجمعن إليك أحدا ولا تساكنى فى بلد أنا فيه ، فأقام الإمام أحمد مختفيا لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق . وولى المتوكل فرفع المحنة وأمر بإحضار الإمام أحمد وإكرامه وإعزازه وأطلق له مالا كثيراً فلم يقبله وفرقه على الفقراء والمساكين ، وأجرى المتوكل على أهله وولده فى كل شهر أربعة آلاف درهم ، فلم يرض الإمام أحمد بذلك رحمه الله تعالى .

وذكر العراقى فى [مجمع الأخبار] وغيره : أنه نوظر فى الأيام الثلاثة ، وأن المعتصم كان يخلو به ويقول له : ويحك يا أحمد أنا والله شفيق ، وإنى لأشفق عليك مثل شفقتى على ابنى هارون : يعنى الواثق فأجبنى ، فوالله لئن أجبتنى لأطلقن غلك بيدى ولأطأن عتبتك

ولأركبن إليك بجندى ، فيقول : يا أمير المؤمنين أعطونى شيئا من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أطال به المجلس ضجر وقام ورد أحمد فى الموضع الذى كان فيه ، وتتردد إليه رسل المعتصم يقولون : يا أحمد أمير المؤمنين يقول لك ما تقول فى القرآن ؟ فيرد عليهم كما رد أولا ، فلما كان فى اليوم الثالث طلب للمناظرة فأدخل على المعتصم وعنده محمد بن عبد الملك الزيات والقاضى أحمد بن أبى دؤاد ، فقال المعتصم : كلموه وناظروه ، فلم يزالوا معه فى جدال إلى أن قالوا : يا أمير المؤمنين اقتله ودمه فى أعناقنا ، فرفع المعتصم يده ولطم بها وجه الإمام أحمد فخر مغشيا عليه فتمعرت وجوه قواد خراسان وكان عم أحمد فيهم ، فخاف الخليفة منهم على نفسه فدعا بماء ورش على وجهه ، فلما أفاق من غشيته رفع رأسه إلى عمه وقال : يا عم لعل هذا الماء الذى رش على وجهه غصب عليه صاحبه ، فقال المعتصم : ويحكم أما ترون ما يتهجم به على هذا ، وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رفعت الصوت عنه حتى يقول القرآن مخلوق ، ثم التفت إلى أحمد وأعاد عليه القول فرد أحمد كالأول ، فلم يزل كذلك حتى ضجر وطال المجلس فعند ذلك قال : عليك لعنة الله لقد كنت طمعت فيك قبل هذا خذوه اخلعوه اسحبوه ، فأخذ وسحب ثم خلع ثم قال المعتصم : السياط . قال الإمام أحمد : وكان عندى شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم قد صررتها فى كم قميصى ، فجاء بعض القوم إلى قميصى ليحرقه فقال له المعتصم : لا تحرقوه وانزعوه عنه ، وإنما درىء عن القميص الحرق ببركة شعر النبى صلى الله عليه وسلم ، وشدوا يديه فتخلعت ولم يزل أحمد يتوجع منها حتى مات ، ثم قال المعتصم للجلادين : تقدموا ، ونظر إلى السياط فقال : ائتوا بغيرها ، ثم قال لأحدهم : أذمه وأوجع قطع الله يدك ، فتقدم وضربه سوطين ثم تنحى ، ثم قال الآخر أذمه وشد قطع الله يدك ، فتقدم وضربه سوطين ثم تنحى ، ولم يزل يدعو رجلا رجلا فيضربه كل واحد سوطين ويتنحى ، ثم قام المعتصم وجاءهم وهم محدقون به وقال : يا أحمد تقتل نفسك أجبنى حتى أطلق غلك بيدى ، وجعل بعضهم يقول له : يا أحمد إمامك على رأسك قائم فأجبه ، وعجيف ينخسه بسيفه ويقول : أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم ، وبعضهم يقول ياأمير المؤمنين اجعل دمه فى عنقى ، فرجع المعتصم إلى الكرسى ثم قال للجلاد : أذمه قطع الله يدك ، ثم جاء المعتصم إليه ثانيا وقال : يا أحمد أجبنى ، فقال كالأول فرجع المعتصم وجلس على الكرسى ثم قال للجلاد : شد عليه قطع الله يدك . قال أحمد : فذهب عقلى فما عقلت إلا وأنا فى حجرة مطلق عنى ، وكل ذلك وهو صائم لم يفطر رضى الله تعالى عنه ، وضرب ثمانية عشر سوطا فلما كان فى أثناء الضرب انحلت وزرته فهمهم بشفتيه فخرجت يدان فربطتاها ، فسئل عن ذلك بعد إطلاقه فقال : قلت : اللهم إن كنت على الحق فلا تفضحنى ، ثم وجه المعتصم رجلا ينظر الضرب والجراحات ويعالجه فنظر إليه وقال : والله لقد رأيت من ضرب ألف

سوط فما رأيت أشد ضربا من هذا ، ثم عالجه وبقى أثر الضرب بينا فى ظهره إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه ، وقال صالح : سمعت أبى يقول : والله لقد أعطيت المجهود من نفسى ، ولوددت أنى أنجو من هذا الأمر كفافا لا على ولا لى .

وحكى أن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه لما كان بمصر رأى فى المنام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول له « بشر أحمد بن حنبل بالجنة على بلوى تصيبه ، فإنه يدعى إلى القول بخلق القرآن فلا يجيب إلى ذلك بل يقول هو منزل غير مخلوق » فلما أصبح الشافعى رضى الله تعالى عنه كتب صورة ما رآه فى منامه وأرسله مع الربيع إلى بغداد إلى أحمد ، فلما وصل إلى بغداد قصد منزل أحمد واستأذن عليه فأذن له فلما دخل عليه قال له : هذا كتاب أخيك الشافعى ، فقال له : هل تعلم ما فيه ؟ قال : لا : ففتحه وقرأه وبكى وقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، ثم أخبره بما فيه فقال : الجائزة ، وكان عليه قميصان أحدهما على جسده والآخر فوقه فنزع الذى على جسده ودفعه إليه فأخذه ورجع إلى الشافعى ، فقال له الشافعى : ما أجازك ؟ قال : أعطانى القميص الذى على جسده ، فقال : أما أنا فلا أفجعك فيه ولكن اغسله واثننى بمائه ، فغسله وأتاه بالماء فأفاضه على سائر جسده .

وقال إبراهيم الحربى ، جعل الإمام أحمد بن حنبل جميع من ضربه أو حضره أو ساعد عليه فى حل إلا ابن أبى دؤاد ، وقال : لولا أنه ذو بدعة لأحللته ، ولو تاب من بدعته لأحللته .

وقال أحمد بن سنان : بلغنا أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم فى حل يوم فتح بابل أو فتح عمورية وقال : هو فى حل من ضربى .

قال عبد الله بن الورد : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له : يارسول الله ما شأن أحمد بن حنبل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « سيأتيك موسى بن عمران فاسأله » فإذا أنا بموسى بن عمران صلى الله عليه وسلم فقلت : ياكليم الله ما شأن أحمد بن حنبل ؟ فقال : أحمد بن حنبل بلى فى السراء والضراء فوجد صابرا صادقا فألحق بالصديقين .

والحكمة فى إحالة النبى صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام أمور :

منها : بيان فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الأمم حتى أن موسى عليه السلام يبين ذلك ويقرره .

ومنها : بيان فضل الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ؛ وما جعل له من الثواب العظيم فى المحنة لما جرى عليه حتى أنه شهد بعظيم فضله وعلو منزلته نبى كريم .

ومنها : أن محنة الإمام أحمد فى كون القرآن مخلوقا وهو كلام الله تعالى وموسى بن عمران عليه السلام كليم الله تعالى كلمه الله تكليما ، وهو يعلم أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق فناسب الإحالة ليعرف الناس ذلك ليزداد يقينهم بأنه منزل غير مخلوق .

وذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه ولد فى سنة أربع وستين ومائة ، وتوفى فى سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وحزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفا ، وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى :

وقال الإمام النووى فى [تهذيب الأسماء واللغات] : إن المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الإمام أحمد فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ألف ، ووقع المأتم فى أربعة أصناف فى المسلمين واليهود والنصارى والمجوس انتهى .

قال محمد بن خزيمة : لما بلغنى موت الإمام أحمد بن حنبل اغتممت غما شديداً فرأيته من ليلتى فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت : يا أبا عبد الله ما هذه المشية ؟ فقال : مشية الخدام فى دار السلام ، فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال : يا أحمد هذا بقولك فى القرآن كلامى غير مخلوق ، ثم قال تبارك وتعالى : يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان التى كنت تدعو بهن فى دار الدنيا قال : فقلت : يارب كل شىء أسألك بقدرتك على كل شىء لا تسألنى عن شىء واغفر لى كل شىء ، فقال جل وعلا : يا أحمد هـذه الجنة قم فادخلها ، فدخلتها فإذا أنا بسفيان الثورى له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقول : الحمد لله الذى صدقنا وعده ، أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ، قال : قلت : ما فعل الله بعبد الوهاب الوراق ؟ قال : تركته فى بحر من نور فى زورق من نور يزور به الملك الغفور ، فقلت : فما فعل ببشر بن الحارث ؟ فقال لى : بخ بخ ومن مثل بشر ، تركته بين يدى الله جل جلاله ، وبين يديه مائدة من الطعام ، والجليل جل جلاله مقبل عليه وهو يقول : كل يامن لم يأكل ، واشرب يامن لم يشرب وأنعم يامن لم ينعم .

وفى سنة سبع وعشرين ومائتين احتجم المعتصم (بسر من رأى) فحم ومات ، وذلك لاثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول وهو ابن ثمان أو سبع وأربعين سنة ؛ وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية شهور وثمانية أيام ، وهو الثامن من خلفاء بنى العباس ، وخلف من الذهب ثمانية آلاف دينار ، ومن الدراهم ثمانية عشر ألف درهم ، ومن الخيل ثمانية آلاف فرس ، ومثلها من الجمال والبغال ، ومن المماليك ثمانية آلاف مملوك وثمانية آلاف جارية ، وكان يقال له الثمانى لأجل ذلك ، وكان أميا وذلك أنه كان له مملوك صغير يذهب معه إلى الكتاب فمات ، فقال له الرشيد ، مات مملوكك يا إبراهيم ، فقال : استراح من الكتاب يا أمير المؤمنين ، فقال : أو بلغ الكتاب منك إلى هذا الحد اتركوا ولدى لا تعلموه فكان أميا لذلك ، وكان أبيض أصهب اللحية مربوعا ، وكان شجاعا مهيبا قوى البدن إلى الغاية فتح الفتوحات الكبار مثل عمورية من أقصى بلاد الروم ، ودانت له الأمم ، وكان فيه ظلم وعنف وبذلك أرهب الأعداء سامحه الله تعالى .

(خلافة هارون الواثق بالله)

ثم قام بالأمر بعده ابنه هارون الواثق بالله بويع له بالخلافة (بسرّ من رأى) يوم موت أبيه ونفذت البيعة إلى بغداد واستقر له الأمر ببغداد وغيرها . ولما ولى قتل أحمد بن نصر الخزاعى على القول بخلق القرآن ، ونصب رأسه إلى الشرق فدار إلى القبلة ، فأجلس رجلا معه رمح أو قصبة فكان كلما دار الرأس إلى القبلة أداره إلى الشرق .

وروى أنه رؤى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى ورحمنى إلا أنى كنت مهموما منذ ثلاث . قيل : ولم ؟ قال : لأن النبى صلى الله عليه وسلم مر علىّ مرتين فأعرض بوجهه الكريم عنى فغمنى ذلك ، فلما مر على صلى الله عليه وسلم الثالثة قلت له : يا رسول الله ألست على الحق وهم على الباطل ؟ قال « بلى » قلت : فما بالك تعرض عنى بوجهك الكريم ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « حياء منك إذ قتلك رجل من أهل بيتى » .

وقد رأيت حكاية تدل على أن الواثق رجع عن هذا الاعتقاد والامتحان ، وذلك فيما ذكره الخطيب البغدادى فى تاريخه فى ترجمته قال : سمعت طاهر بن خلف يقول : سمعت محمد بن الواثق الذى يقال له المهتدى بالله يقول : كان أبى إذا أراد أن يقتل رجلا أحضر ذلك المجلس ، فبينما نحن ذات يوم عنده إذ أتى بشيخ مصفود مقيد فقال أبى : ائذنوا لأبى عبد الله : يعنى ابن أبى دؤاد وأصحابه ، وأدخل الشيخ فى مصلاه فقال : السلام عليك ياأمير المؤمنين ، فقال له : لاسلم الله عليك ، فقال : يا أمير المؤمنين بئسما أدبك به مؤدبك قال الله تعالى —وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها— والله ما حيينى بها ولا بأحسن منها فقال ابن أبى دؤاد : يا أمير المؤمنين الرجل متكلم ، فقال : كلمه ، فقال : ياشيخ ماتقول فى القرآن ؟ قال : أنصفنى فى السؤال ، فقال له : سل ، فقال الشيخ : ما تقول أنت فى القرآن ؟ قال : مخلوق ، فقال الشيخ : هذا شىء علمه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم والخلفاء الراشدون أم شىء لم يعلموه ؟ فقال ، شىء لم يعلموه ، فقال : سبحان الله شىء لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء الراشدون تعلمه أنت ! فخجل وقال : أقلنى ، فقال : قد فعلت ، والمسئلة بحالها قال : نعم . قال : فما تقول فى القرآن ؟ قال : مخلوق . قال : هذا شىء علمه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه ؟ قال : علموه ولم يدعوا الناس إليه ، فقال : أفلا وسعك ما وسعهم ؟ قال : ثم قام أبى فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول : هذا شىء لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء الراشدون تعلمه أنت سبحان الله ! شىء علمه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء الراشدون

ولم يدعوا الناس إليه أفلا وسعك ما وسعهم ؟ ثم دعا عمارا الحاجب فأمره أن يرفع القيود عنه ويعطيه أربعمائة دينار ويأذن له فى الرجوع ، وسقط من عينه ابن أبى دؤاد ولم يمتحن بعد ذلك أحدا رحمة الله تعالى عليه كذا وقع فى هذه الرواية أن المهتدى بالله بن الواثق اسمه محمد ، وبذلك سماه الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى كتاب [دول الإسلام] وذكر المؤلف بعد فى ترجمته أن اسمه جعفر ، وقد جاء فى رواية غير هذه ما يدل على أن اسمه أحمد ، وفيها زيادة ونقص ومغايرة فى بعض الألفاظ والمعنى ، وذلك فيما ذكره الحافظ أبو نعيم فى حليته قال قال الحافظ أبو بكر الآجرى : بلغنى عن المهتدى رحمه الله تعالى أنه قال : ما قطع أبى يعنى الواثق إلا شيخ جيء به من المصيصة فمكث فى السجن مدة ، ثم إن أبى ذكره يوما فقال : على بالشيخ ، فأتى به مقيدا ، فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه السلام ، فقال له الشيخ : يا أمير المؤمنين ما استعملت معى أدب الله عز وجل ، ولا أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى — وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها — وأمر النبى صلى الله عليه وسلم برد السلام ، فقال له أبى : وعليك السلام ، ثم قال لابن أبى دؤاد : سله ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا محبوس مقيد أصلى فى الحبس وأتيمم للصلاة فمر لى بحل القيد وبالوضوء ، فأمر بحله وأمر بماء فتوضأ وصلى ثم قال لابن أبى دؤاد : سله ، فقال الشيخ المسئلة لى فمره أن يجيبنى ، فقال : سل ، فأقبل الشيخ على ابن أبى دؤاد فقال : أخبرنى عن هذا الأمر الذى تدعو الناس إليه أشىء دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا قال : فشىء دعا إليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بعده ؟ قال : لا ، قال : فشىء دعا إليه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بعدهما ؟ قال : لا ، قال : فشىء دعا إليه عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بعدهم ؟ قال : لا . قال : فشىء دعا إليه على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بعدهم ؟ قال : لا ، قال الشيخ : فشىء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على رضى الله تعالى عنهم تدعو أنت الناس إليه ليس يخلو أن تقول علموه أو جهلوه ، فإن قلت علموه وسكتوا عنه وسعنى وإياك من السكوت ما وسع القوم ، وإن قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع ابن لكع يجهل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضى الله تعالى عنهم شيئا وتعلمه أنت وأصحابك؟ قال المهتدى : فرأيت أبى وثب قائما ودخل الحجرة وجعل ثوبه فى فيه وهو يضحك ، ثم جعل يقول : صدق ليس يخلو من أن يقول علموه أو جهلوه فإن قلنا علموه وسكتوا عنه وسعنا من السكوت ما وسع القوم ، وإن قلنا جهلوه وعلمته أنت فيالكع ابن لكع يجهل النبى صلى الله عليه وسلم شيئا وأصحابه وتعلمه أنت وأصحابك ؟ ثم قال : يا أحمد ، فقلت : لبيك ، قال : لست أعنيك إنما أعنى ابن أبى دؤاد فوثب إليه فقال : أعط هذا الشيخ نفقة وأخرجه عن بلدنا ، فدل هذا على أن المهتدى كان اسمه أحمد لقوله لست أعنيك لأنه ربما

قال قائل إنما كان استجابة المهتدى لأبيه على طريق الأدب ، فقوله إنما أعنى ابن أبى دؤاد يبطل ذلك لأن اسمه أحمد وستأتى إن شاء الله تعالى فى ترجمة المهتدى هـذه الحكاية بطريقة أخرى بسياق غير هذا ، وهذا الذى قاله الشيخ إلزام صحيح وبحث لازم للمعتزلة .

وكان الواثق مؤثرا لكثرة الجماع ، فقال لطبيبه : اصنع لى دواء للباه ، فقال له الطبيب : يا أمير المؤمنين لا تهدم بدنك بالجماع واتق الله فى نفسك . فقال : لابد من ذلك ، فأمره الطبيب أن يأخذ لحم سبع فيغلى عليه سبع غليات بخل خمر ويتناول منه إذا شرب وزن ثلاثة دراهم ولا يجاوز هذا القدر ، فأمر بذبح سبع فذبح وطبخ له من لحمه وصار يتنقل منه على شرابه فلم يكن إلا قليلا حتى استسقى ، فأجمع رأى الأطباء على أن لا دواء له إلا أن ينزل بطنه ، ثم يترك فى تنور قد سجر بحطب زيتون حتى يصير جمرا ثم يجلس فيه ، ففعل ذلك ومنع الماء ثلاث ساعات ، فجعل يستغيث ويطلب الماء فلم يسقوه ، فصار فى جسده نفاطات مثل البطيخ ، ثم أخرجوه فجعل يقول : ردونى فى التنور وإلا مت فردوه فسكن صياحه ، ثم انفجرت تلك النفاطات وقطر منها ماء ، فأخرج من التنور وقد اسود جسده ومات بعد ساعة ، ولما احتضر جعل يقول :

الموت فيه جميع الناس تشترك لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل فى مقابرهم وليس يغنى عن الملاك ماملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت وألصق خده بالأرض وجعل يقول : يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، ولما مات سجى بثوب ، واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل ، فجاء جرذون من البستان فاستل عينيه وذهب بهما ، ولم يعلموا به حتى غسلوه وهذا من أغرب ماسمع .

وحكى أن ذلك له سبب وهو أن الواثق قال : كنت أمرض الواثق إذ لحقته غشية فما شككت أنه قد مات ، فقال بعضنا لبعض : تقدموا ، فما جسر أحد منا ، فتقدمت أنا فلما أردت أن أضع إصبعى على أنفه فتح عينيه فكدت أن أموت فزعا ، وتأخرت إلى خلفى فتعلقت قبيعة السيف بالعتبة وعثرت فاندق السيف فكاد أن يدخل فى لحمى ، فخرجت وطلبت سيفا غيره ثم رجعت فوقفت عنده فوجدته مات بلا شك ، فشددت لحييه وغمضته وسجيته وأخذ الفراشون تلك الفرش الثمينة ليردوها إلى الخزانة وترك وحده فى البيت ، فقال لى أحمد بن أبى دؤاد القاضى ، إنا نشتغل بعقد البيعة فاحفظه حتى يدفن ، فرجعت وجلست عند الباب فسمعت بعد ساعة حركة أفزعتنى ، فدخلت فإذا بجرذون قد جاء فاستل عينيه فأكلهما فقلت : لا إله إلا الله هذه العين التى فتحها من ساعة فعثرت واندق سيفى هيبة لها ، وتوفى الواثق (بسر من رأى) فى رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر ، وكان أبيض مليحا يعلوه اصفرار ،

حسن اللحية فى عينيه نكتة عالما أديبا جيد الشعر شجاعا مهابا حازما ، فيه جبروت كأبيه سامحهما الله تعالى .

(خلافة جعفر المتوكل)

ثم قام بالأمر بعده أخوه جعفر المتوكل ، بويع له بالخلافة (بسر من رأى) يوم موت أخيه الواثق بعهد منه فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، فرفع المحنة بخلق القرآن ، وأظهر السنة ، وأمر بنشر الآثار النبوية . وذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه قال : ركبت إلى دار الواثق فى مرضه الذى مات فيه لأعوده فجلست فى الدهليز أنتظر الإذن فبينما أنا جالس إذ سمعت النياحة عليه ، وإذا إيداخ ومحمد بن عبدالملك الزيات يأتمران فى أمرى ، فقال محمد : نقتله فى التنور . وقال إيداخ : بل ندعه فى الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه أثر القتل فبينما هما على ذلك إذ جاء أحمد بن أبى داؤد القاضى فدخل وحدثهما كلاما لا أعقله لما داخلنى من الخوف ، وشغل القلب بإعمال الحيلة فى الهرب ، فبينما أنا كذلك وإذا بالغلمان يتعادون ويقولون انهض يامولانا ، فلم أشك أنى داخل لأبايع ولد الواثق ثم ينفذ فى ماقدر ، فلما دخلت بايعونى فسألت عن الحال فأعلمت أن ابن أبى دؤاد كان سبب ذلك ، ثم إن المتوكل قتل إيداخ بالماء البارد وابن الزيات فى التنور . قال : وهذا من أغرب الاتفاق وعجيب الظفر . ومن العجب أيضا أن محمد بن عبد الملك الزيات هو الذى صنع التنور ليعذب فيه الناس فعذبه الله فيه ، وكان التنور من حديد داخله مسامير غير مثنية ، وكان يسجر بحطب الزيتون حتى يصير كالجمر ثم يدخل الإنسان فيه نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة .

ولما ولى المتوكل أحيى السنة وأمات البدعة وكتب للآفاق برفع المحنة وإظهار السنة ، وتكلم فى مجلسه بالسنة وأعز أهلها وأخمد المعتزلة وكانوا فى قوة ونماء إلى أيام المتوكل فخمدوا ، ولم يكن فى هذه الملة الإسلامية أهل بدعة شرا منهم نعوذ بالله من شر مقالتهم ونسأل الله السلامة من الزيغ والردى ، وكان المتوكل يبغض عليا رضى الله تعالى عنه ويتنقصه ، فذكر عليا رضى الله عنه يوما وغض منه فتمعر وجه ابنه المنتصر لذلك فشتمه المتوكل وأنشد مواجها له :

غضب الفتى لابن عمه رأس الفتى فى حر أمه

فحقد عليه وأغراه ذلك على قتله لما كان يغلو فى بغض على رضى الله تعالى عنه ويكثر الوقيعة فيه والاستخفاف به ، فبينما المتوكل فى قصره يشرب مع ندمائه وقد سكر إذ دخل يغاء الصغير وأمر الندماء بالانصراف فانصرفوا ولم يبق عنده إلا الفتح بن خاقان ، فإذا الغلمان الذين عينهم المنتصر لقتل المتوكل قد دخلوا وبأيديهم السيوف مصلتة فهجموا عليه فقال الفتح ابن خاقان : ويلكم أمير المؤمنين ثم رمى نفسه عليه فتتلوهما جميعا ، ثم خرجوا إلى المنتصر

فسلموا عليه بالخلافة ، وكان قتل الموكل فى شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وعمره أربعون سنة ، وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر . وقيل: خمس عشرة سنة ،وكان أسمر رقيقا مليح العينين خفيف اللحية ليس بالطويل فيه قصف وانهماك على اللهو والمكارم لكنه أحيى السنة وأمات بدعة القول بخلق القرآن ، وله كرم زائد ، وكان قد عزم على خلع ولده المنتصر من ولاية العهد وتقويم ابنه المعتز عليه لفرط محبته لأمه وأخذ يؤذيه ويتهدده إن لم يخلع نفسه، واتفق مصادرته لوصيف وبغا فعملوا على قتله فدخل عليه خمسة نصف الليل وهو فى مجلس لهوه ففتكوا به وضربوه بسيوفهم وقتلوا معه وزيره الفتح بن خاقان كما تقدم .

(خلافة محمد المنتصر بالله)

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد المنتصر بالله ، بويع له بالخلافة فى الليلة التى قتل فيها أبوه وبويع له من الغد البيعة العامة فلم تطل دولته ولم يتمتع بالملك . روى أنه بسط بين يديه بساط فرأى عليه شيئا مكتوبا فلم يعلم ماهو فأمر بإحضار من قرأه ، فإذا كتابته بقلم اليونان وإذا عليه مكتوب : عمل هذا البساط للملك قباذ بن كسرى قاتل أبيه وفرش قدامه فلم يلبث غير ستة أشهر ومات ، فتطير المنتصر واغتم لذلك وأمر برفع البساط ومات فى آخر الستة أشهر ، وكانت خلافته ستة أشهر وأياما وعمره ست وعشرون سنة، وأمه رومية ،وكان مربوعا سمينا أعين أقنى الأنف مليحا مهابا كامل العقل يحب الخير . قيل : إن أمراء الترك خافوه ، فلما حم دسوا إلى الطبيب بكيس فيه ألف دينار ففصده بريشة مسمومة . وقيل : بل سم فى طعامه فقال لأمه : ذهبت عنى الدنيا والآخرة عاجلت أبى فعوجلت .

(خلافة أحمد المستعين بالله وهو السادس فخلع وقتل)

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أحمد المستعين بالله بن محمد المعتصم ، بويع له بالخلافة ليلة الإثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر وعمره إذ ذاك ثمان وعشرون سنة، وكان كثير الجماع مغرما بحب النساء ،وكانت له ابنة عم بديعة الحسن والجمال فطلبها من أبيها فامتنع ، فأحضر الأصمعى والرقاشى وأبا نواس وقال : كل من أنشد لى بطبق مرادى فى ابنة عمى أعطيته الجائزة العظمى فأنشد أبو نواس :

ماروض ريحانكم الزاهر وما شذا نشركم العاطر
وحق وجدى والهوى قاهر مذ غبتمو لم يبق لى ناظر
والقلب لإسال ولا صابر
قالت ألا لا تلجن دارنا وكابد الأشواق من أجلنا
واصبر على مر الجفا والضنا ولا تمرن على بيتنا
إن أبانا رجل غائر

فقلت إنى طالب غرة يحظى بها القلب ولو مرة
قالت بعيد ذاك مت حسرة قلت سأقضى غرتى جهرة
منك وسيفى صارم باتر

قالت فإن البحر من بيننا فابرح ولا تأت إلى حينا
واشرب بكأس الموت من هجرنا قلت ولو كان كثير العنا
يكفيك أنى سابح ماهر

قالت فإن القصر عالى البنا قلت ولو كان عظيم السنا
أو كان بالجو بلغت المنى قالت منيع فى الورى قصرنا
قلت وإنى فوقه طائر

قالت فعندى لبوة والد فقلت إنى أسد شارد
غشمشم مقتنص صائد قالت لها شبل بها لابد
قلت وإنى ليثها الكاسر

قالت فعندى إخوة سبعة جمعا إذا ما التقوا عصبة
قلت ولى يوم اللقا وثبة قالت لهم يوم الوغى سطوة
قلت وإنى قاتل قاهر

قالت فإن الله من فوقنا يعلم ما نبديه من شوقنا
نمضى إلى الحق غدا كلنا ونخشى النقمة من ربنا
قلت وربى ساتر غافر

قالت فكم أعييتنا حجة تجى بها كاملة بهجة
فيالها بين الورى خجلة إن كنت ما تمهلنا ساعة
فائت إذا ما هجع الساهر

واسقط علينا كسقوط الندى إياك أن تظهر حرف الندا
يستيقظ الواشى ويأتى الردى وكن كضيف الطيف مستر صدا
ساعة لا ناه ولا آمر

حاججتها عشرا وصافحتها على دنان الخمر صافيتها
رامت مواثيقا فوافيتها ملتحفا سيفى ولاقيتها
آخر ليلى والدجى عاكر

يا ليلة قضيتها خلوة مرتشفا من ريقها قهوة
تسكر من قد يبتغي سكرة ظننتها من طيبها لحظة
ياليت لا كان لها آخر

فلما أنشد ذلك أبونواس بحضرة الخليفة أعجبه ذلك وأمر له بالجائزة العظمى ووفى بما عهد ثم إن المستعين أشهد على نفسه أنه قد خلعها من الخلافة وأنه أحل الناس من بيعته بشروط ، وخطب للمعتز بن المتوكل فنقل المستعين إلى قصر الحسن بن وهب فاعتقل به تسعة أشهر ووكل به من يحفظه ، ثم أحدر به إلى واسط ودس عليه المعتز سعيدا الحاجب فقتله صبرا فى أول شهر رمضان سنة اثنين وخمسين ومائتين ، وجيء برأسه إلى المعتز وهو يلعب بالشطرنج فقيل له: هذا رأس المخلوع ، فقال : دعوه هناك حتى أفرغ من اللعب ، فلما فرغ أحضره ونظره ثم أمر بدفنه ، وكانت خلافته سنتين وتسعة أشهر وعمره إحدى وثلاثون سنة ، وكان مربوعا مليح الوجه به أثر جدرى ، وكان ألثغ يجعل السين ثاء ، وكان كريما مبذرا للأموال رحمه الله تعالى .

(خلافة أبى عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل)

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه محمد المعتز بن المتوكل ، بويع له بالخلافة لما خلع المستعين نفسه فى أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، ثم دبر عليه صالح بن وصيف حاجبه فجاء إليه ومعه جماعة وبعثوا إليه أن اخرج فاعتذر أنه تناول دواء ، فأمر صالح أن يدخل إليه بعضهم فدخلوا وجروا برجليه إلى باب الحجرة فأقيم فى الشمس الحارة فصار يرفع قدما ويضع أخرى وهم يلطمونه ويقولون له اخلعها وهو يتقى بيديه ويأبى ثم أجابهم وخلع نفسه ، فتسلمه صالح بن وصيف ومنعه من الطعام والشراب ثلاثة أيام ، ثم أنزله إلى سرداب مجصص وأطبقه عليه حتى مات ، ثم أخرجه وأشهد عليه أنه لا أثر به . وقيل : إنه بعد خلعه بخمسة أيام أدخله الحمام ومنعه الماء حتى عاين التلف ، ثم أنوه بماء مالح فشربه فسقط ميتا ، وذلك فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة ، وخلافته أربع سنين وستة أشهر وكان بديع الحسن رحمه الله تعالى .

(خلافة جعفر المهتدى بالله بن هارون)

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه جعفر بن هارون الواثق بن المعتصم ، ورأيت فى غير هذا الموضع أن المهتدى اسمه محمد ويلقب بأبى إسحاق ، بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتز بالله ولما ولى أخرج الملاهى وحرم سماع الغناء والشراب وأمر بنفى المغنيات وطرد الكلاب والسباع ، وألزم نفسه الإشراف على الدواوين والجلوس للناس وإزالة المظالم وتغيير المنكرات وقال : إنى أستحيي من الله أن لا يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية ، فتبرم به بابك التركى وكان ظلوما غشوما فأمر المهتدى بقتله ولما قتل هاجت الأتراك ووقع

الحرب بينهم وبين المغاربة فقتل من الفريقين أربعة آلاف : وخرج المهتدى والمصحف فى عنقه وهو يدعو الناس إلى نصرته والمغاربة معه وبعض العامة ، فحمل عليهم طيبغا أخو بابك فهزمهم ، ومضى المهتدى منهزما والسيف فى يده وقد جرح جرحين حتى دخل دار محمد ابن يزداد ، فتجمعت الأتراك وهجموا عليه وأخذوه أسيرا ، وحمله أحمد بن خاقان على دابة وأردف خلفه سائسا بيده خنجر ، فأدخل إلى دار أحمد بن خاقان وجعلوا يصفعونه ويقولون اخلعها فأبى عليهم ، فسلم إلى رجل فوطىء مذاكيره حتى قتله ، وذلك فى رجب سنة ست وخمسين ومائتين وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وكانت خلافته أحد عشر شهرا رحمة الله تعالى عليه . وقيل : سنة وكان أسمر مليح الصورة دينا ورعا عابدا عادلا حازما شجاعا خليقا للإمارة لكنه لم يجد ناصرا . يقال : إنه كان يسرد الصوم وربما كان فطوره فى بعض الليالى على خبز وخل وزيت ، وكان قد سد باب اللهو والطرب والغناء ، وحسم الأمراء عن الظلم وكان يجلس لحساب الدواوين بنفسه

ومما يحكى من محاسنه ما ذكره الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى فى كتابه قال : إن أبا الفضل صالح بن على بن يعقوب بن المنصور الهاشمى ، وكان من وجوه بنى هاشم وأهل الخلافة والسبق منهم . قال : حضرت المهتدى بالله أمير المؤمنين وقد جلس ينظر فى أمور الناس فى دار العامة ، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها فيؤمر بالتوقيع فيها وإنشاء الكتب لأصحابها فتختم وتدفع إلى أصحابها بين يديه فسرنى ذلك ، وجعلت أنظر إليه ففطن لى ونظر إلى فغضضت عنه حتى كان ذلك منى ومنه مرارا إذا نظر إلى غضضت وإذا اشتغل عنى نظرت فقال : يا صالح ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين وقمت قائما فقال : أفى نفسك منى شىء تحب أن تقوله ؟ فقلت له : نعم يا سيدى ، فقال لى : عد إلى موضعك ، فعدت وعاد فى النظر حتى قام وقال للحاجب : لا يبرح صالح ، فانصرف الناس ، ثم أذن لى وقد أهمتنى نفسى فقمت فدخلت ودعوت له فقال لى : اجلس ، فجلست فقال : يا صالح تقول ما دار فى نفسك أو أقول أنا ما دار فى نفسى إنه دار فى نفسى ما دار فى نفسك فقلت يا أمير المؤمنين ما تعزم عليه وتأمر به أطال الله بقاءك ، فقال : كأنى بك وقد استحسنت ما رأيت منا فقلت : أى خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول القرآن مخلوق ، فورد على قلبى أمر عظيم وأهمتنى نفسى ثم قلت : يا نفس هل تموتين إلا مرة وهل تموتين قبل أجلك وهل يجوز الكذب فى جد أو هزل ؟ فقلت : والله يا أمير المؤمنين ما دار فى نفسى إلا ما قلت ، ثم أطرق مليا وقال : ويحك اسمع منى ما أقول فوالله لتسمعن الحق ، فسرى عنى فقلت : يا سيدى من أولى بقول الحق منك وأنت أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين من الأولين والآخرين ، فقال لى : ما زلت أقول القرآن مخلوق صدراً من خلافة

الواثق حتى أقدم علينا أحمد بن أبى دؤاد شيخا من أهل الشام من أهل أدنة ، فأدخل الشيخ على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة ، فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له ، فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه ، فسلم الشيخ بأحسن السلام ودعا بأبلغ الدعاء وأوجز ، فقال له الواثق : اجلس : ثم قال له : يا شيخ ناظر ابن أبى داؤد على ما يناظرك عليه ، قال الشيخ : يا أمير المؤمنين إن ابن أبى دؤاديقل ويصغر ويضعف عن المناظرة ، فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبا ، فقال أبو عبد الله بن أبى دؤاد : يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت ؟ فقال الشيخ : هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك واثذن لى فى مناظرته ، فقال الواثق : مادعوتك إلا للمناظرة ، فقال الشيخ : يا أحمد بن أبى دؤاد إلام دعوت الناس ودعوتنى إليه ؟ فقال : إلى أن تقول القرآن مخلوق لأن كل شىء من دون الله مخلوق ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين إنى رأيت أن تحفظ على وعليه ما نقول .

قال : أفعل ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرنى عن مقالتك هذه أواجبة داخلة فى عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت ؟قال : نعم . قال الشيخ : يا أحمد أخبرنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله عز وجل هل ستر شيئا مما أمره الله به فى دينه ؟ قال : لا . قال الشيخ : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى مقالتك هذه ، فسكت ابن أبى دؤاد ، فقال الشيخ له : تكلم ، فسكت فالتفت الشيخ إلى الواثق وقال : يا أمير المؤمنين واحدة ، فقال الواثق : واحدة ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرنى عن آخر ما أنزل الله من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال —اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا—فقال الشيخ : أكان الله تبارك وتعالى الصادق فى إكمال دينه أم أنت الصادق فى نقصانه فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه ؟ فسكت ابن أبى دؤاد ، فقال الشيخ : أجب يا أحمد ، فلم يجب ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين اثنتان ، فقال الواثق : اثنتان ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرنى عن مقالتك هذه أعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم جهلها ؟ فقال ابن أبى دؤاد : علمها ، فقال الشيخ : أدعا الناس إليها ؟ فسكت ابن أبى دؤاد ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ثلاث ، فقال الواثق : ثلاث ، فقال الشيخ : يا أحمد فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت فلم يطالب أمته بها ؟ قال : نعم ، فقال الشيخ : واتسع لأبى بكر رضى الله تعالى عنه وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم؟ قال ابن أبى دؤاد : نعم ، فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق فقال : يا أمير المؤمنين قد قدمت القول أن أحمد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة ، يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم ، فلا وسع الله على

من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك ، فقال الواثق : نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله عليه الصلاة والسلام ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم فلا وسع الله علينا ، اقطعوا قيد الشيخ ، فلما قطعوا قيده ضرب الشيخ بيده إلى القيد ليأخذه فجذبه الحداد إليه ، فقال الواثق : دع الشيخ ليأخذه ، فأخذه الشيخ فوضعه فى كمه فقيل للشيخ : لم جاذبت عليه ؟ فقال الشيخ : لأنى نويت أن أتقدم إلى من أوصى إليه إذا أنامت أن يجعله بينى وبين كفنى حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة وأقول : يارب سل عبدك هذا لم قيدنى وروع أهلى وولدى وإخوانى بلا حق أوجب ذلك على؟ وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكيت ، ثم سأله الواثق أن يجعله فى حل وسعة مما ناله منه فقال الشيخ : والله يا أمير المؤمنين قد جعلتك فى حل وسعة من أول يوم إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كنت رجلا من أهله ، فقال الواثق : لى إليك حاجة ، فقال الشيخ : إن كانت ممكنة فعلت ، فقال الواثق : تقيم قبلنا فتنتفع بك فتياننا ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين إن ردك إياى إلى الموضع الذى أخرجنى منه هذا الظالم أنفع لك من مقامى عندك ، وأخبرك لم ذلك ؟ أصير إلى أهلى وولدى فأكف دعاءهم عليك فقد خلفتهم على ذلك ، فقال له الواثق : أفتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك ؟ فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين لا تحل لى أنا عنها غنى وذو ثروة ، فقال له : أتسأل حاجة ؟ قال : أو تقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قال : تخلى سبيلى إلى السفر الساعة وتأذن لى ، قال : قد أذنت لك ، فسلم عليه الشيخ وخرج. قال صالح : فقال المهتدى بالله : فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم ، وأظن أن الواثق بالله كان رجع عنها من ذلك الوقت ، ولى فيها طرق أخرى وفيها بعض المغايرة لهذه ، وقد سبق ترجمة الواثق مايدل على رجوعه . والله تعالى أعلم .

(خلافة أبى القاسم أحمد المعتمد على الله ابن المتوكل)

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أحمد المعتمد على الله ابن المتوكل على الله ابن المعتصم بالله ، بويع له بالخلافة يوم قتل ابن عمه المهتدى بالله (بسر من رأى) وكان له اسم الخلافة ولأخيه الموفق ابن المتوكل تدبير الملك ، ولما مات الموفق قام بتدبير الملك بعده ابنه أحمد المعتضد ابن الموفق ، وغلب على عمه المعتمد كما كان أبوه غالبا عليه ، فكان المعتمد يطلب الشىء الحقير فلا ينال ؛ ولم يكن له سوى الاسم فقال فى ذلك :

أليس من العجائب أن مثلى يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شىء فى يديه

قيل : إنه شرب يوما على الشط شرابا كثيراً فتغشى ومات . وقيل : إنه غم ومات وهو نائم فى بساط . وقيل : إنه سم فى لحم ، وذلك فى شوال سنة تسع وسبعين ومائتين وله

خمسون سنة ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة ، وتوفى ببغداد ، وكان أسمر ربعة رقيقا مدور الوجه مليح العينين صغير اللحية ، أسرع إليه الشيب ، منهمكا على اللهو واللذات ، يسكر ويعض يده .

(خلافة أبى العباس أحمد المعتضد بالله ابن الموفق)

بويع له بالخلافة يوم مات عمه المعتمد فاستقل بالأمر ، وكان شجاعا عادلا ذا هيبة عظيمة مع سطوة وجبروت وحزم ورأى وذكاء مفرط فى أحكامه ، وسيأتى ذكر شىء من ذلك ، وكان كثير الجماع فاعتراه فساد مزاج ، وكان ذلك سبب وفاته ، وكان محبا للعدل مؤثراً له وله فيه حكايات نادرة توفى سنة تسعين ومائتين لسبع بقين من شهر ربيع الآخر ، وهو ابن ست وأربعين سنة ، وقيل : أربعين سنة ، وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ؛ وقيل : عشر سنين وكان أسمر مهيبا معتدل الشكل .

(خلافة أبى محمد على المكتفى بالله ابن المعتضد)

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد المكتفى بالله ابن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم ؛ بويع له بالخلافة يوم توفى أبوه المعتضد ، وتوفى ببغداد سنة ثلاث وتسعين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، وقيل : ثلاثين ، وخلافته سنتان وثمانية أشهر هكذا ذكروا وفاته وعمره وخلافته ، والذى رأيته فى كتب الذهبى أنه كانت وفاته فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين عن إحدى وثلاثين سنة وكانت خلافته ست سنين ونصفا ، وكان وسيما جميلا بديع الحسن درى اللون معتدل الطول أسود الشعر ، وكان حسن العقيدة كارها لسفك الدماء ، ووطأ له أبوه المعتضد الأمور ، وكان المكتفى مائلا إلى حب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بارا بأولاده .

يحكى أن يحيى بن على الشاعر أنشده بالرقة قصيدة يذكر فيها فضل أولاد العباس على أولاد على ، فقطع المكتفى عليه إنشاده وقال : يا يحيى كأنهم ليسوا بنى عم ما أحب أن يخاطب أهلنا بشىء من ذلك وإن كانوا خلفاء ، ولم يسمع القصيدة ولا أجازه عليها ، رحمة الله عليه .

(خلافة أبى الفضل جعفر المقتدر بالله وهو السادس فخلع مرتين كما سيأتى)

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو الفضل جعفر المقتدر بن المعتضد ، بويع له بالخلافة ببغداد يوم وفاة أخيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وأربعين يوما ولم يل الخلافة بعده . قيل : ولا قبله أصغر منه وضعف دست الخلافة فى أيامه .

وذكر صاحب النشوان وغيره عن صافى مولى المعتضد أنه قال : مشيت يوما بين يدى

المعتضد وهو يريد دار الحرم، فلما بلغ باب دار المقتدر وقف وتسمع وتطلع من خلل فى الستر فإذا هو بالمقتدر وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها ، وهو جالس وحوله قدر عشر وصائف من أترابه فى قدر سنه ، وبين يديه طبق فضة وفيه عنقود عنب فى وقت فيه العنب عزيز جداً ، والصبى يأكل عنبة واحدة ثم يطعم الجماعة عنبة عنبة على الدور حتى إذا بلغ الدور إليه أكل واحدة مثل ما أكلوا حتى فنى العنقود ، والمعتضد يتمزق غيظا ، ثم رجع ولم يدخل الدار فرأيته مهموما فقلت : يا مولاى ما سبب ما فعلته ؟ فقال : يا صافى والله لولا العار والنار لقتلت هذا الغلام اليوم : يعنى المقتدر ، فإن فى قتله صلاحا للأمة ، فقلت : يامولاى ما شأنه وأى شىء عمل ؟ أعيذك بالله يا مولاى من هذا ، فقال : ويحك أنا أبصر بما أقوله أنا رجل قد سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد ولا بد من موتى ، وأنا أعلم أن الناس بعدى لا يختارون أحداً على ولدى ، وإنهم سيجلسون ابنى عليا : يعنى المكتفى ، وما أظن عمره يطول للعلة التى به : يعنى الخنازير التى كانت فى حلقه ، فيتلف عن قريب ، ولا يرى الناس إخراجها عن ولدى ، ولا يجدون بعده أمثل من جعفر ؛ يعنى المقتدر ؛ وهو صبى وله من الطبع والسخاء هذا الذى قد رأيته من أنه أطعم الوصائف مثل ما أكل ، وساوى بينه وبينهم فى شىء عزيز فى العالم ، والشح على مثله فى طباع الصبيان غالب ، فتحتوى عليه النساء لقرب عهده بهن فيقسم ما جمعته من الأموال كما قسم العنب ، ويبدد ارتفاع الدنيا فتضيع الثغور وتعظم الأمور وتخرج الخوارج وتحدث الأسباب التى يكون فيها زوال الملك عن بنى العباس رأسا . فقلت : يا مولاى يبقيك الله حتى ينشأ فى حياة منك ، ويصير كهلا فى أيامك ، ويتأدب بآدابك ، ويتخلق بأخلاقك ، ولا يكون هذا الذى ظننت ، فقال : ويحك احفظ عنى ما أقول لك فإنه كما قلت : قال : ومكث يومه مغموما مهموما ، وضرب الدهر ضرباته ومات المعتضد ، وولى المكتفى فلم يطل عمره ومات ، وولى المقتدر فكانت الصورة كما قال مولاى المعتضد بعينها ، فكنت كلما ذكرت قوله أعجب منه ، فوالله لقد وقفت يوما على رأس المقتدر وهو فى مجلس لهوه فدعا بالأموال فأخرجت إليه ، ووضعت البدر بين يديه ، فجعل يفرقها على الجوارى والنساء ويلعب بها ويمحقها ويهبها ، فذكرت قول مولاى المعتضد ، ثم إن الجند وثبوا على العباس وزيره فقتلوه ، وأحضروا عبد الله ابن المعتز وبايعوه وخلعوا المقتدر .

(خلافة عبد الله بن المعتز المرتضى بالله)

بويع له بالخلافة بعد خلع المقتدر بعد أن شرط عليهم أن لا يكون فى ذلك حرب ولا سفك دم ، فلما بويع له كتب إلى المقتدر يأمره بلزوم دار ابن طاهر بوالدته وجواريه ، وأمر الحسن بن حمدان وابن عمرويه صاحب الشرطة أن يصيرا إلى دار المقتدر فمضيا فخرج

إليهما الغلمان ورموهما بالحجارة، وجرى بينهم حرب شديد آخره أن أصحاب المقتدر ظهروا عليهما فانهزما وانهزم المرتضى بالله وتفرق أصحابه واستتر عند ابن الجصاص ولم يتم له أمر غير يوم وليلة ، ولذلك لم يعد المؤرخون خلافته فى هذه المدة ، ثم عاد المقتدر إلى ما كان عليه ، ثم ظفر بالمرتضى بالله فقتله خنقا وأظهر أنه مات حتف أنفه ، وأخرج وهو ميت من دار الخلافة فدفنوه فى خرابة بإزاء داره ، وكان عمره خمسين سنة .

قال ابن خلكان فى ترجمته : كان شاعرا ماهرا فصيحا مجيدا مخالطا للعلماء والأدباء ، وهو صاحب التشبيهات التى أبدع فيها ولم يتقدمه من شق غباره ، وكان قد اتفق معه جماعة وخلعوا المقتدر وبايعوه ولقبوه بالمرتضى بالله فأقام يوما وليلة ، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم فاستخفى ابن المعتز ثم أخذ ليلا فلما أدخل على المعتز أمر به فطرح على الثلج عريانا وحشى سراويله ثلجا فلم يزل كذلك والمقتدر يشرب إلى أن مات وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين رحمه الله، وليس هو بمعدود فى الخلفاء لأنه لم يثبت له أمر ، واستمر للمقتدر الأمر إلى أن بلغ مؤنسا الخادم أن المقتدر قد عزم على اغتياله ، وكان مؤنس مقدم جيش المقتدر فبلغ المقتدر ما نقل إلى مؤنس فحلف على بطلان ذلك وأسرها مؤنس فى نفسه ، ثم جرى بين العامة وبين بعض مماليكه حرب فظن أن ذلك بأمر المقتدر ، فوافى مؤنس دار الخلافة فى اثنى عشر ألف فارس، فدخل إلى المقتدر وقبض عليه وعلى والدته السيدة وحملهما إلى قصره ، ونهب الجند دار الخلافة ، وخلع المقتدر نفسه من الخلافة وكتب بذلك إلى الآفاق ، فلما كان ثانى يوم خلعه شغب الجند وقتلوا صاحب الشرطة وهرب ابن مقلة الوزير وهرب الحجاب، وجاء المقتدر فجلس وأحضر أخاه القاهر وأجلسه بين يديه وقبل ما بين عينيه وقال : يا أخى لا ذنب لك، فجعل القاهر يقول : الله الله فى نفسى يا أمير المؤمنين ، فقال المقتدر : والله وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجرى عليك منى سوء أبدا ، وعاد ابن مقلة الوزير وكتب إلى الآفاق بخلافة المقتدر ، ثم جرى بين المقتدر وبين مؤنس الخادم حرب فاقتحم المقتدر نهر السكران فأحاط به جماعة من البربر فقتله رجل منهم وأخذوا رأسه وسلبه وثيابه ومضوا إلى مؤنس الخادم ، فمر بالمقتدر رجل من الأكراد فستر عورته بحشيش ودفنه وأخفى أثره ، وكان قتله يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة ست عشرة وثلثمائة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وشهر ، وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا خلع فيها مرتين ثم قتل كما تقدم .

وحكى الذهبى : أن خلافته كانت خمسا وعشرين سنة ، وأنه عاش ثمانيا وثلاثين سنة ، وأنه كان مسرفا مبذرا للمال ناقص الرأى أعطى جارية له الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاثة مثاقيل وما كانت تقوم، وقيل : إنه محق من الذهب ثمانين ألف ألف دينار فى أيامه، وأنه خلف من الأولاد عدة منهم : الراضى بالله ، والمقتفى بالله ، وإسحاق ، والمطيع لله .

(خلافة محمد القاهر بالله)

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو منصور محمد بن المعتضد بالله ، بويع له بالخلافة ببغداد لليلتين بقيتا من شوال ، ولما ولى قبض على ابن أخيه المكتفى وأمر به فأقيم فى بيت وسد عليه بالآجر والجص حتى مات غما ، وقبض على السيدة أم المقتدر وطالبها بمال لم تقدر عليه فتهددها وضربها بيده وعذبها بأنواع العذاب ، وعلقها منكسة حتى كان يجرى بولها على وجهها وهى تقول له : ألست أمك فى كتاب الله وخلصتك من ابنى فى المرة الأولى وأنت تعاقبنى بهذه العقوبة ولم يبق عندى مال . ثم إنها ماتت عقب ذلك . ثم إن الجند شغبوا عليه وجاءوا إلى داره وهجموا عليه من سائر الأبواب فهرب إلى سطح حمام واستتر فيه ، فأتوا إليه وقبضوا عليه وحبسوه وخلعوه من الخلافة وسملوا عينيه ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

قال ابن البطريق فى تاريخه : كان القاهر قد ارتكب أموراً قبيحة لم يسمع بمثلها فى الإسلام وذكر منها طرفا طويلا . حكى أن رجلا قال : صليت فى جامع المنصور ببغداد فإذا أنا بإنسان عليه جبة عنابية وقد ذهب وجهها وبقى بعض قطن بطانتها وهو يقول أيها الناس تصدقوا على بالأمس كنت أمير المؤمنين وأنا اليوم من فقراء المسلمين ، فسألت عنه فقيل لى : إنه القاهر بالله ، وفى هذه الحكاية أعظم عبرة ، نعوذ بالله من سخطه وزوال نعمه ، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وسبعة أيام ، وكان أهوج طائشا سفاكا للدماء يدمن السكر ، وكان له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل إنسانا ، ولولا وجود الحاجب سلامة لأهلك الناس .

(خلافة أبى العباس أحمد الراضى بالله بن المقتدر)

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو العباس أحمد الراضى بالله بن المقتدر بن المعتضد ، بويع له بالخلافة يوم خلع عمه القاهر واستوزر أبا على بن مقلة وأطلق كل من كان فى حبس القاهر ، ثم استدعى بالأمير محمد بن رائق ، وكان بواسط متغلبا عليها لأن الضرورة ألجأته إلى ذلك لاضطراب الأمور عليه ولضعف من يلى الوزارة عن القيام بها ، فقدم ابن رائق بغداد فجعله الراضى أمير الأمراء وفوض إليه تدبير المملكة وخلع عليه وأعطاه اللواء ، ومن ذلك اليوم بطل أمر الوزارة ببغداد ولم يبق إلا اسمها والحكم للأمراء والملوك المتغلبين ، وكان قدومه لخمس بقين من ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، ثم دخلت سنة خمس ، والدنيا فى أيدى المتغلبين وهم ملوك الأرض ، وكل من حصل فى يده بلد ملكه ومانع عنه ، فالبصرة وواسط والأهواز فى يد عبد الله البريدى وأخويه ، وفارس فى يد عماد الدولة بن بويه ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر فى يد بنى حمدان ، ومصر والشام فى يد الإخشيد بن طغج ، والمغرب وإفريقيا فى يد المهدى ، والأندلس فى يد بنى أمية ، وخراسان وما والاها فى يد

نصر بن أحمد السامانى ، واليمامة وهجر والبحرين فى يد أبى طاهر القرمطى ؛ وطبرستان وجرجان فى يد الديلم ، ولم يبق فى يد الراضى وابن رائق سوى بغداد وماوالاها ، فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وضعف ملكها وعم الخراب لذلك ؛ وتوفى الراضى ليلة السبت خامس عشر وبيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعلة الاستسقاء والتنحنح ، وكان أكبر أسباب علته من كثرة الجماع ، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر ، وخلافته ست سنين وعشرة أشهر ، وكان سمحا جوادا واسع الصدر أديبا شاعرا حسن البيان ، وقيل إن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة ، وخلافته ست سنين وعشرة أيام ، وكان قصيرا أسمر نحيفا وله شعر جيد مدون ؛ وخطب بالناس فى سامرا فأبلغ وأجاد ، ومرض أياما ثم قاء دما كثيراً ومات .

(خلافة إبراهيم المتقى بالله)

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو العباس إبراهيم المتقى بالله بن المقتدر بن المعتضد ، بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الراضى فصلى ركعتين وصعد على السرير ، وكان ذا دين وورع ولهذا لقبوه المتقى بالله ، فكان تدبير المملكة إلى الأمير حكم التركى وليس للمتقى إلا الاسم ، ثم إن نوروز استولى على بغداد وخلع المتقى بالله وسلمه لابن عمه المستكفى بالله ، فأخرجه إلى جزيرة بقرب السندية وأكحله بعد أن أشهد على نفسه بالخلع ، وذلك يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهرا ، وقيل : كانت أربع سنين ، وتوفى سنة سبع وسبعين وثلثمائة ، وكان مولده فى سنة سبع وتسعين ومائتين فأبوه أكبر منه بخمس عشرة سنة ، وكان كثير الصوم والتهجد يدمن التلاوة فى المصحف ولا يشرب مسكرا ، وعاش بعد خلعه أربعا وعشرين سنة .

(خلافة عبدالله المستكفى بالله بن المكتفى)

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أبو العباس عبد الله بن المستكفى بالله بن المكتفى بن المعتضد بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقى بالله ، ولما ولى الخلافة خلع على نوروز وفوض إليه بتدبير المملكة وفى أيامه قدم معز الدولة بن بويه بغداد ، فخلع عليه وفوض إليه ماوراء بابه وضرب السكة باسمه ، وأمر أن يخطب له على المنابر ، ولقبه بمعز الدولة ، ولقب أخاه أبا الحسن عليا بعماد الدولة ، وهو أكبر بنى بويه ، وله خبر عجيب سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحية ، ولقب أخاهما أبا الفتح بركن الدولة وهو أوسطهم ، وله خبر عجيب أيضا يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الدال المهملة فى لفظ الدابة ، وكان قدوم معز الدولة فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وفيها كان خلع المستكفى بالله ، وسبب ذلك أن معز الدولة بلغه أن المستكفى قد دبر على هلاكه فدخل على المستكفى وقبل الأرض ، ثم قبل يديه فطرح له كرسى فجلس

عليه ، ثم تقدم لديه رجلان من الديلم ومد أيديهما إلى المستكفى فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها إليهما فجذباه من على السرير وجعلا عمامته فى عنقه ، ثم سحب إلى معز الدولة واعتقل ثم خلع وسملت عيناه وانتهت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شىء ، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخر سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وتوفى معز الدولة فى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وهو ابن ست وأربعين سنة ، وكانت خلافته سنة وأربعة شهور .

(خلافة أبى الفضل المطيع لله بن المقتدر وهو السادس فخلع)

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أبو الفضل المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد ، بويع له بالخلافة وله يومئذ أربع وثلاثون سنة يوم خلع ابن عمه المستكفى بالله وتدبير المملكة إلى معز الدولة ابن بويه ، وفى أيامه توفى معز الدولة ببغداد فى سنة ست وخمسين وثلثمائة وكانت مدة ملكه بالعراق إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا ، وكان ملكا شجاعا مقداما قوى القلب إلا أنه كان فى أخلاقه شراسة فما زالت التجارب تخشنه والسعادة تخدمه وترفعه إلى أن بلغ الغاية التى لم يبلغها قبله أحد فى الإسلام إلا الخلفاء ، ولما توفى قام ولده عز الدولة بختيار بتدبير المملكة وقلده المطيع لله موضع والده وخلع عليه واستقل بالأمور ، وفى أيامه أيضا توفى كافور الإخشيدى صاحب مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ، وفيها قدم جوهر القائد غلام المعز لدين الله صاحب القيروان مصر فأقام الدعوة بها للمعز لدين الله وبايعه بها الناس على ذلك وانقطعت الخطبة بمصر عن بنى العباس ، وشرع جوهر القائد فى بناء القاهرة لإسكان الجند بها ، ثم دخل المعز لدين الله مصر لثمان مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر ؛ ولما تغلب سبكتكين التركى على بغداد وكان أكبر حجاب معز الدولة ولم تزل منزلته ترتفع عند معز الدولة حتى عظم أمره ونفذت كلمته خاف المطيع لله منه على نفسه وانضاف إلى ذلك أنه لازمه مرض ، فخلع نفسه من الخلافة طائعا وسلمها لولده عبد الكريم ، وقيل : أبى بكر ، وقيل : إنها كنيته وسماه الطائع لله ، وذلك لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، ثم توفى بدير العاقول سنة أربع وستين وثلثمائة ؛ وكان بين خلعه وموته شهران ، وكان عمره ثلاثا وستين سنة ، وكان وطىء الجانب كثير الصدقات غير أنه كان مغلوبا على أمره وليس له من الخلافة إلا الاسم ، وكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة شهور رحمة الله تعالى عليه .

(خلافة أبى بكر عبد الكريم الطائع لله)

ثم قام بالأمر بعده ولده عبد الكريم أبو بكر الطائع لله ، بويع له بالخلافة يوم خلع أبوه نفسه من الخلافة وعمره سبع وأربعون سنة ، ولم يل الخلافة من بنى العباس من هو

أكبر منه سنا . قال صاحب رأس مال النديم : إنه لم يتقلد الخلافة من أبوه حي سوى الطائع لله والصديق رضى الله تعالى عنه ، وكلاهما اسمه أبو بكر وهو السادس فخلع كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، وذلك إذا لم يعد ابن المعتز وإن عد فالمطيع هو السادس وقد خلع نفسه لما حصل له من الفالج . ولما ولى أعنى الطائع خلع سبكتكين التركى وولاه ما وراء بابه ، وفى أيام الطائع استولى الملك عضد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه على بغداد وملكها ، فخلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية وتوجه وطوقه وسوره وعقد له لواءين وولاه ما وراء بابه وتسلم عضد الدولة الوزير أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة فقتله وصلبه ، فرثاه أبو الحسن بن الأنبارى بمرثية لم يسمع فى مصلوب مثلها فلنأت بها وهى هذه :

علوّ فى الحياة وفى الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك إذ أقاموا ... وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا ... وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء ... كمدهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا ... عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك فى النفوس تبيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات
وتوقد حولك النيران قدما ... كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد ... علاها فى السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأسّ ... تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا ... تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجيرنا من صرف دهر ... فعاد مطالبا لك بالترات
وصير دهرك الإحسان فيه ... إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعدا فلما ... مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك فى فؤادى ... حقيق بالدموع الجاريات
ولو أنى قدرت على قيام ... بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافى ... ونحت بها خلاف النائحات
ولكنى أصبر عنك نفسى ... مخافة أن أعد من الجناة
ومالك تربة فأقول تسقى ... لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى ... برحمات غواد رائحات

وتوفى الملك عضد الدولة بن بويه فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة وهو ابن تسع وأربعين سنة وأحد عشر شهرا ، وكان له ملك العراق وكرمان وعمان وخوزستان والموصل وديار بكر وحران ومنبج ، وكانت مدة ملكه ببغداد خمس سنين ، وكان ملكا فاضلا جليلا عظيما مهابا صارما كريما شجاعا بطلا ذكيا ، وله فى الذكاء أخبار عجيبة ونكت غريبة ليس هذا موضع ذكرها ، وهو أول من تسمى بملك فى الإسلام ، ولما احتضر جعل يقول « ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه » ويرددها حتى مات ، ولما مات كتم موته ودفن بدار المملكة ببغداد ثم ظهر موته وأخرج من قبره وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فدفن به ، وكان عضد الدولة قد بنى المشهد قبل موته كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفهد .

ومما يحكى أن عضد الدولة خرج يوما إلى بستان له متنزها فقال : ما أطيب يومنا هذا لو ساعدنا فيه الغيث ، فجاء المطر فى الوقت فقال :

ليس شرب الراح إلا فى المطر ... وغناء من جوار فى السحر
ناعمات سالبات للنهى ... ناغمات فى تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ... ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر
سهل الله له بغيته ... فى ملوك الأرض مادار القمر
وأراه الخير فى أولاده ... ليساس الملك منهم بالغرر

فلم يفلح بعد هذه الأبيات وعوجل بقوله غلاب القدر . ولما مات عضد الدولة قام بتدبير المملكة بعده ولده بهاء الدولة فخلع عليه الطائع لله وقلده ما كان بيد أبيه ، ثم إن بهاء الدولة أمسك الطائع لله واعتقله ونهب دار الخلافة ، ثم أشهد على الطائع بخلع نفسه من الخلافة وذلك فى شهر شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وأقام مخلوعا معتقلا إلى أن توفى ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وعمره ثمان وسبعون سنة ، وكان مربوعا أشقر كبير الأنف شديد القوة فى خلقه حدة كريما شجاعا بطلا جوادا سمحا إلا أن يده كانت قصيرة مع ملوك بنى بويه رحمة الله تعالى عليه .

(خلافة أبى العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق)

ثم قام بالأمر بعده أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد ، بويع له بالخلافة ليلة خلع الطائع لله وعمره يومئذ أربع وأربعون سنة ، وكان كثير البر والصدقات مريدا للفقراء مؤثرا للتبرك بهم لكنه كان مقهورا على أمره ، وتوفى فى ذى القعدة ويقال فى ليلة الأضحى ، ويقال : ليلة الحادى عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو ابن ست وثمانين سنة ،

وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وشهورا . قيل : هى ثلاثة ، وقيل : إنه كان ابن سبع وثمانين سنة ، وكان أبيض طويل اللحية كبيرها يخضبها لشيبه ، وكان دائم التهجد كثير الصدقات ، من الديانة على عفة اشتهرت عليه له مصنف فى السنة وذم المعتزلة والروافض ، وكان يقرأ القرآن فى كل جمعة مرة ويحضره الناس.

(خلافة أبى جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر بالله)

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر ، بويع له بالخلافة يوم موت والده ، وفى أيامه كان ابتداء دولة السلاطين السلوقية وانقراض دولة بنى بويه ، وكانت مدة ملكهم مائة سنة وسبعا وعشرين سنة وذلك فى سنة ثلاثين وأربعمائة ذكر ذلك ابن البطريق فى تاريخه فى حوادث سنة ست وأربعين ، وكان القائم بأمر الله أبيض اللون مليح الوجه مشربا بحمرة ورعا زاهدا عابدا مريدا لقضاء حوائج المسلمين موقرا لأهل العلم معتقدا فى الفقراء والصالحين حسن الطوية ولم يقم أحد فى الخلافة قدر إقامته ، وكان كثير الصدقة ، له فضل وعلم من خيار الخلفاء لاسيما بعد عوده للخلافة فى نوبة البساسيرى فإنه صار يكثر الصيام والتهجد ، وما كان ينام إلا على سجادة وما تجرد من ثيابه لنوم قط ، وتوفى القائم بأمر الله فى سنة سبع وستين وأربعمائة لعشر ليال مضت من شعبان ، وكانت خلافته أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر. وقيل : تسعة أشهر ، وقيل : خمسا وأربعين سنة ، وأمه أرمينية ، رحمه الله تعالى .

(خلافة أبى القاسم المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله)

ثم قام بالأمر بعده ولد ولده أبو القاسم عبد الله المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله بويع له بالخلافة يوم وفاة جده القائم بأمر الله فى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وذلك أن جده كان لما مرض افتصد فانفجر فصاده وخرج منه دم عظيم فخارت قوته وعجز فطلب ابن ابنه وعهد إليه بالأمر ولقبه المقتدى بأمر الله بمحضر من الأئمة والعلماء ، وكان ولد بعد موت أبيه ذخيرة الدين بستة أشهر وعمرت بغداد فى أيامه وخطب له بالحجاز واليمن والشام .

(حكى) أن المقتدى قدم إليه يوما طعام فتناول منه وغسل يديه وهو على أكمل حال وأحسن هيئة فى نفسه وجسمه وبين يديه قهرمانته شمس ، فقال لها : ما هذه الأشخاص الذين دخلوا بغير إذن فالتفتت فلم تر أحدا ، ثم نظرت إليه فرأته قد تغير وجهه واسترخت يداه وانحلت قواه وسقط إلى الأرض ، فظنت أنه قد غشى عليه فإذا هو قد مات فأمسكت نفسها عن البكاء واستدعت الخادم فاستدعى الوزير أبا منصور فبكيا ، وأحضرا أبا العباس أحمد المستظهر بن المقتدى ، وكان قد عهد إليه أبوه فعزياه وهنآه ، وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة ، وكانت خلافته

تسع عشرة سنة وأشهرا . قيل : هى ثلاثة ، وقيل : إن عمره كان تسعا وثلاثين سنة ، وكان موته فى المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، ويقال إن جاريته سمته ، وقد كان السلطان صمم على إخراجه من بغداد إلى البصرة ، وكانت حرمته وافرة بخلاف من كان قبله من الخلفاء رحمه الله تعالى .

(خلافة المستظهر بالله أبى العباس أحمد)

ثم قام بالأمر بعده ابنه المستظهر بالله أبو العباس أحمد ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه ، وكان مولده فى سنة سبعين وأربعمائة . وكان المستظهر كريم الأخلاق سخى النفس محبا للعلماء حافظا للقرآن منكرا للظلم ، وكان لين الجانب محبا للخير جيد الأدب والفضيلة قوى الكتابة مسارعا فى أعمال البر ، توفى لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وخمسمائة وله إحدى وأربعون سنة ، وقيل : اثنتان وأربعون أو ثلاث بعلة التراقى وهى الخوانيق ، وخلف أولادا عدة ، وتوفيت جدته أرجوان بعده بيسير فى خلافة ابنه المسترشد وهى سرية محمد الذخيرة ، وكانت خلافته أربعا ، وقيل : خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر رحمه الله تعالى .

(خلافة أبى منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر)

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله ، بويع له بالخلافة يوم موت والده بعهد من أبيه وسنه يومئذ سبع وعشرون سنة . وروى أنه ورد إليه رسل فجلس لهم فى جماعة من أهل بيته فلما أحضروهم بين يديه هجم عليه الفداوية بالسكاكين فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه . يقال : إن مسعودا أخا السلطان محمود جهز عليه الفداوية وذلك فى سابع عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور ، وقيل : سبعة أو ستة أشهر ، وعاش أربعا وأربعين سنة ، وقيل : خمسا وأربعين ، ولم يل الخلافة بعد المعتضد بالله أشهم منه ، وكان بطلا شجاعا مقداما شديد الهيبة ذا رأى وفطنة وهمة عالية ضبط الأمور وأحيا مجد بنى العباس وجاهد غير مرة .

(خلافة أبى منصور جعفر الراشد بالله وهو السادس فخلع كما سيأتى)

(هذا إذا لم يعد ابن المعتز ، وإلا فالسادس المسترشد ، وقد هجم عليه قاعدته : أى الباطنة ، أرسلهم إليه السلطان سنجر الملقب ذو القرنين فقتلوه) ثم قام بالأمر بعده : يعنى المسترشد ابنه أبو منصور جعفر الراشد بالله بن المسترشد بن المستظهر ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه فمكث ما شاء الله ، ثم وقع بينه وبين السلطان مسعود فاستخدم الراشد أجنادا كثيرة وتهيأ للقائه . فكاتب السلطان مسعود أتابك زنكى واستماله وكذلك فعل بأرتقش فأشارا على الراشد بالتوقف ، وأقبل السلطان مسعود بجيوشه فدخل بغداد فى ذى القعدة ، وقيل :

فى ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة، فنهب دور الجند ومنع من نهب البلد ، واستمال الرعية ، وأحضر القضاة والشهود فقدحوا فى الراشد بأنه صدرت منه سيرة قبيحة من سفك الدماء المحرمة وارتكاب المكروهات وفعل مالا يجوز فعله ،وشهدوا عليه بذلك فحكم قاضى قضاة الممالك وهو ابن الكرخى والعلم عند الله تعالى بخلعه ، فخلعوه لأربع عشرة من ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة ، وكان الراشد قد هرب هو وأتابك زنكى إلى الموصل فطلبه السلطان مسعود فهرب إلى فارس ، ثم دخل أصبهان فحاصرها وتمرض هناك ، فوثب عليه جماعة من الفداوية فقتلوه وله إحدى وعشرون سنة ، وقيل : ثلاثون سنة، وكانت خلافته إلى أن خلع منها سنة إلا أياما ، وكان قتله فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وهو صائم فى اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ، وقيل : إنه كان قد سقى أيضا ودفن فى جامع حى ، وخلف بضعا وعشرين ولدا ذكرا ، وخطب له بولاية العهد أكثر أيام أبيه ، وكان شابا أبيض مليحا تام الشكل شديد البطش شجاع النفس حسن السيرة شاعرا فصيحا جوادا كريما لم تطل دولته رحمه الله تعالى .

(خلافة أبى عبد الله محمد المقتفى لأمر الله)

ثم قام بالأمر بعده عمه أبو عبد الله محمد بن المستظهر بن المقتدى ، بويع له بالخلافة يوم خلع ابن أخيه ولقب بالمقتفى لأمر الله ، وسبب لقبه بهذا أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قبل خلافته بستة أشهر ، وقيل: بسنة، وهو يقول إنه سيصل إليك هذا الأمر فاقتف بى ، وكان آدم اللون بوجهه أثر جدرى مليح الشيبة عظيم الهيبة سيدا عالما فاضلا دينا حليما شجاعا فصيحا مهيبا خليقا للإمارة كامل السؤدد عظيم المملكة بيده أزمة الأمور ، كان لايجرى فى خلافته أمر وإن صغر إلا بتوقيعه ، وكانت أمه حبشية، كتب فى أيام خلافته ثلاث ربعات، وكانت وفاته بالخوانيق فى شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهو ابن ست وستين سنة ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة ، وقيل : خمسا وعشرين سنة ، وقد جدد باب الكعبة ، وعمل لنفسه من العقيق تابوتا دفن فيه، وقد رأيت فيما نقلته من خط صاحبنا الحافظ صلاح الدين خليل بن محمد الأقفهسى فيما نقله من خط الصدر عبد الكريم العلامة ابن العلامة علاء الدين القونوى : أن القائم بالأمر بعد المقتفى المستظهر كذا ذكر ولا أعلم من هذا المستظهر فليحرر ذلك ، وقد ذكر الخلفاء كما هنا الذهبى على هذا الترتيب .

(خلافة أبى المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفى)

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفى، وكان أبوه ولاه العهد فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه بيوم ، وقيل : بل يوم مات أبوه .

قال ابن خلكان فى ترجمته: وهنا نكتة لطيفة : وهى أن المستنجد رأى فى منامه فى حياة والده المقتفى: أن ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه أربع خاءات؛ فطلب معبرا وقص عليه مارآه فقال له : تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فكان كذلك . وتوفى فى سنة ست وسبعين وخمسمائة فى ثامن شهر ربيع الثانى وحبس فى حمام وهو ابن ثمان وأربعين سنة ؛ وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة، وكان موصوفا بالعدل والديانة وأبطل المكوس وقام كل القيام على المفسدين ، وله شعر وسط ، وأمه طاوس الكوفية أدركت دولته .

(خلافة المستضىء بنور الله ابن المستنجد)

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو الحسن على المستضىء بنور الله ابن المستنجد، بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه وخطب له بالديار المصرية واليمن وكانت الدولة العباسية منقطعة منهما من زمن المطيع ، وكان جوادا كريما مؤثرا للخير كثير الصدقات معظما للعلم وأهله، وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة ، وعاش تسعا وثلاثين سنة ، وكان سمحا جوادا محبا للسنة ، أمنت البلاد فى زمنه ، وأبطل مظالم كثيرة ، واحتجب عن أكثر الناس ولم يكن يركب إلا مع مماليكه ، ولم يكن يدخل عليه غير الأمير قيماز .

(خلافة أبى العباس أحمد الناصر لدين الله)

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء ، بويع له بالخلافة فى بغداد يوم وفاة أبيه فى أول ذى القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وعمره ثلاث وعشرون سنة ، فبسط العدل ، وأمر بإراقة الخمور ، وكسر الملاهى ، وإزالة المكوس والضرائب ، فعمرت البلاد وكثرت الأرزاق وقصد الناس بغداد وتبركوا به، وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهو ابن خمسين سنة وذلك فى سلخ شهر رمضان وحمل على أعناق الرجال إلى البدرية ودفن بها رحمة الله تعالى عليه ، وكانت خلافته سبعا وعشرين سنة ؛ وكان أبيض تركى الوجه أقنى الأنف مليحا خفيف العارضين أشقر اللحية رقيق المحاسن فيه شهامة وإقدام وله عقل، وكان فيه دهاء وفطنة وتيقظ ونهضة بأعباء الخلافة ، وكان فى أكثر الليل يشق الدروب والأسواق ، وكان الناس يتهيبون لقاءه ، وكان مستقلا بالأمور فى العراق متمكنا من الخلافة يتولى الأمور بنفسه، وما زال فى عز وجلالة واستظهار وسعادة أظهر القسى والبندق والحمام فى أيامه ، وهو أطول بنى العباس خلافة ، وكان له عيون على كل سلطان يأتونه بالأخبار . ويحكى أن بعض الكبار كان يعتقد فيه أن له كشفا واطلاعا على المغيبات ، وفى آخر أيامه أصابه الفالج بقى معه سنتين وذهب عنه ، وكان فيه عسف للرعية .

(خلافة الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله)

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله ، بويع له بالخلافة يوم

موت أبيه فعمل عزاءه ثلاثة أيام ، وأحسن إلى الناس ، وأبطل المكوس ، وأزال المظالم ، وأرسل الخلع إلى أولاد الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، ثم إن حاجبه قرايغدى بلغه أنه يريد قتله ، فهجم عليه وأمسكه وأشهد عليه بالخلع وقتله ، فعمل له العزاء فى البلاد كلها لأجل إحسانه إليهم ، وكان ذلك فى سنة أربعين وستمائة وهو ابن ثلاثين سنة ، وكانت خلافته ثمانى عشرة سنة هكذا لقيت هذه الترجمة فى النسخة التى نقلت منها ، وفيها تخليط لأنها تحتوى على بعض ترجمة الظاهر بأمر الله ، وبعض ترجمة المستنصر بالله ، وأظن أن ذلك من الناسخ (وهذه) ترجمة كل واحد منهما على حدته والله الموفق .

فالظاهر بأمر الله هو : أبو النصر محمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء بنور الله حسن بن أبى الحسن المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله أبى عبد الله محمد العباسى ، كان أبوه قد خطب له بولاية العهد فلما توفى تسلم الخلافة وبايعه الكبار فى يوم موته ، وكان مولده فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، ووفاته فى ثالث عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة وله اثنتان أو ثلاث وخمسون سنة ، وكانت خلافته تسعة أشهر ، وقيل : ونصفا ، وكان جميل الصورة أبيض مشربا بحمرة حلو الشمائل شديد القوى فيه دين وعقل ووقار وخير وعدل حتى بالغ فيه ابن الأثير فقال : لقد أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين . قيل له : ألا تتفسح وتتنزه ؟ فقال : لقد يبس الزرع ، فقيل له : يبارك الله فى عمرك ، فقال : من فتح دكانه بعد العصر إيش يكسب ؟ ثم قال : إنه أحسن إلى الرعية ، وبذل الأموال ، وأزال المظالم ، وأبطل المكوس ، وكان يقول : الجمع شغل التجار أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال ، اتركونى أفعل الخير فيكم مابقيت أعيش وقد فرق ليلة العيد مائة ألف دينار على العلماء والصالحين .

والمستنصر بالله هو : أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسى أمه تركية ، ولد فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه بايعه إخوته وكان أكبرهم وبنو عمه وهو إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة ، مات فى بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الثانية سنة أربعين وستمائة ، وكان مليح الشكل كأبيه ، وكان أشقر ضخما قصيرا وخطه الشيب فخضب بالحناء ثم ترك .

قال ابن الساعى : حضرت بيعته فلما رفعت الستار شاهدته وقد كمل الله صورته ومعناه ، كان أبيض مشربا بحمرة أزج الحاجبين أدعج العينين سهل الخدين أقنى الأنف رحب الصدر عليه ثوب أبيض وقباء أبيض وطرحة قصب بيضاء فجلس إلى الظهر ، وبلغنى أن عدة الخلع التى خلعها بلغت ثلاثة آلاف خلعة وخمسمائة خلعة وسبعين خلعة ، وكانت خلافته وافرة الحشمة ، وفيه عدل ودين وقمع للمتمردين ، ونهضة بأعباء الخلافة ، ووقف المدارس

والمساجد ، وبذل الأموال ، ودانت له الملوك ، وكان جده الناصر يحبه ويسميه القاضى لعقله ومحبته للحق ، وأنشأ المدرسة التى لا نظير لها فى الدنيا واستخدم عسكرا عظيما إلى الغاية حتى إن جريدة جيشه بلغت نحو مائة ألف فارس استعدادا لحرب التتار ، وقد خطب له بالأندلس وبعض بلاد المغرب ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة فالله يتغمده برحمته ومغفرته فلم يخلع هو ولا أبوه ؛ بهذا انقضت القاعدة إلا أن التتار كان أمرهم قد عظم فى أيامها فأخذوا جملة مستكثرة من بلاد الإسلام ، وفقد جلال الدين خوارزم شاه فى أيام المستنصر فى وقعة كانت بينه وبين التتار ، وهذا أعظم وأطم من الخلع ، ثم لم ينتظم لبنى العباس فى العراق أمر بحيث أن من ولى بعد هؤلاء لم يكملوا العدة المشروطة ، فإن الذى جاء بعدهم واحد وهو المستعصم بالله ابن المستنصر وهو الذى قتله التتار ، وانقرضت الدولة العباسية من العراق سنة ست وخمسين وستمائة ، فإن المستعصم قتل فى الثامن والعشرين من المحرم كما ستراه فى ترجمته إن شاء الله تعالى .

(خلافة المستعصم بالله)

ثم قام بالأمر بعده المستعصم بالله وهو : أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبى جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسى آخر الخلفاء العراقيين ، وكانت دولتهم خمسمائة سنة وأربعا وعشرين سنة ، وكان مولد أبى أحمد فى خلافة جد أبيه . قال المؤلف رحمه الله تعالى : بويع له بالخلافة يوم قتل الظاهر البيعة العامة ، وذلك فى جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة ، فظهر بهذه العبارة أن المؤلف جعل الترجمة السابقة للظاهر ولم يجعل للمستنصر ترجمة ، وأن الناسخ نقل ذلك كما وجده فالاعتماد على ما ذكرته من ترجمتهما ، وهو السادس فخلع وقتل فى أيامه هولاكو لما أخذ بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة ، وكان ذلك بمواطأة وزيره ابن العلقمى وسوء تدبير المستعصم واشتغاله بلعب الحمام وبما لا يليق به ، وكان قد خرج إلى هولاكو ومعه الفقهاء والصوفية فقتلوا عن آخرهم ، وأخذ المستعصم فخلع ووضع فى جوالق وضرب بالمرازب ، وقيل : بمداق الجص إلى أن مات ، ولم ينتظم لبنى العباس بعده أمر وذلك فى الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة ، وكان السبب فى قتله أن الطاغية هولاكو بن قبلاى خان بن جنكيزخان المغلى لما كان فى أوائل سنة ست وخمسين وستمائة قصد بغداد بجيش عرمرم ، فخرج إليه الدويدار بالعسكر فالتقوا بطلائع هولاكو وعليهم تايجو فانكسروا لقلتهم ، ثم أقبل تايجو فنزل غربى بغداد ونزل هولاكو على شرقيها فأشار الوزير على الخليفة أن يخرج إلى هولاكو فى تقرير الصلح ، فخرج الكلب وتوثق لنفسه ثم رجع فقال : إن هولاكو رغب فى أن يزوج ابنته بابنك ، وأن تكون الطاعة له كالملوك السلجوقية ويرحل عنك ، فخرج الخليفة فى أكابر الوقت وأعيان دولته ليحضروا

العقد فضربوا رقاب الجميع وقتل الخليفة ، وكان حليما كريما سليم الباطن قليل الرأى حسن الديانة مبغضا للبدعة ، وبالجملة ختم له بخير فإن الكافر هولاكو أمر به وبولده أبى بكر فرفسا حتى ماتا ، وذلك فى حدود آخر المحرم ، وكان الأمر أشغل من أن يوجد مؤرخ لموته أو لمواراة جسده فلا حوْل ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وبقى الوقت بلا خليفة ثلاث سنين فلما كان فى شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة بايع المصريون بمصر المستنصر بالله .

(خلافة المستنصر بالله أحمد ابن الخليفة الظاهر بالله)

هو أحمد ابن الخليفة الظاهر بالله بن محمد بن الناصر العباسى الأسود ، كانت أمه حبشية ، وكان بطلا شجاعا قدم مصر فعرفوه وهو عم المستعصم المقتول ، نهض بإقامة دولته ومبايعته السلطان الملك الظاهر ففوض أمر الأمة إليه ، ثم خرجا إلى الشام ، ثم إن الخليفة فارقه من ثم ، وسار بعسكر نحو ألف لتملك بغداد فكان القتال بينه وبين التتار فى آخر السنة فعدم فى الموقعة ، وكان فى خدمته الحاكم أبو العباس أحمد فانهزم إلى الشام .

(خلافة الحاكم بأمر الله)

فلما كان فى ثامن المحرم سنة إحدى وستين وستمائة عقد مجلس عظيم لعقد البيعة للخليفة فأحضروا أبا العباس أحمد بن الأمير أبى على بن أبى بكر بن المسترشد بالله بن المستظهر بالله العباسى فأثبت نسبه فعند ذلك مد السلطان الملك الظاهر يده وبايعه بالخلافة ، ثم بايعه القضاة والأمراء ولقب بالحاكم بأمر الله ، فلما كان من الغد خطب خطبة أولها : الحمد لله الذى أقام لبنى العباس ركنا وظهراً ، ثم كتب بدعوته وإمامته إلى الأقطار ، وبقى فى الخلافة أربعين سنة وأشهرا ، وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ، ودفن عند السيدة نفيسة رحمة الله تعالى عليهما .

(خلافة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله)

عهد إليه بالأمر أبوه الحاكم بأمر الله ، وقرئ تقليده بعد عزائه بوالده ، وخطب له على المنابر فى جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ، واستمر فى الخلافة تسعا وثلاثين سنة ، ومات بقوص فى شعبان سنة أربعين وستمائة وهو ابن بضع وخمسين سنة ، رحمة الله تعالى عليه .

(خلافة الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفى بالله)

كانت خلافته فى المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، بويع للحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله العباسى ، وكان ولى عهد أبيه هكذا ذكره الحسينى فى ذيله على العبر . وذكر الذهبى فى آخر ذيله عليه فى سنة أربعين وسبعمائة أن المستكفى لما مات بويع لأخيه إبراهيم بغير عهد ، واستمر الحاكم فى الخلافة إلى أن أتاه حمامه وهو بالقاهرة فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .

(خلافة المعتضد بالله)

بويع له بالخلافة بعهد من أخيه الحاكم بأمر الله ولقب بالمعتضد بالله وهو : أبو الفتح ابن أبي بكر ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي على ابن المسترشد بالله العباسي ، فكانت خلافته نحوا من عشرين سنة ، ومات فى رابع جماد الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالقاهرة .

(خلافة المتوكل على الله)

بويع له بالخلافة بعدوفاة والده بعهد منه فى سابع جمادى الثانية سنة ثلاث وستين وسبعمائة وكان مولده فى سنة نيف وأربعين وسبعمائة أو قريب منها ، وهو : أبو عبد الله محمد . وقيل حمزة المتوكل على الله بن المعتضد بالله العباسى ، فاستقر فى الخلافة إلى أن مات فى شعبان سنة ثمان وثمانمائة غير أنه تخلل فيها أعوام خلع فيها ، وبويع لقريبه زكريا بن إبراهيم فى ثالث عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، ثم أعيد بعد شهر واستمر إلى شهر رجب سنة خمس وثمانين فخلع وحبس ، وبويع لعمر بن المعتضد ولقب بالواثق ، ثم مات فبويع لأخيه زكريا ولقب بالمستعصم ، واستمر المتوكل محبوسا إلى صفر سنة إحدى وتسعين فأفرج عنه ، ثم ضيق عليه ومنع الناس من الدخول إليه ، فلما كان فى سابع عشر شهر ربيع الأول أفرج عنه ، فلما كان اليوم الأول من جمادى الأولى بويع ونزل إلى داره وفى خدمته الأمراء والقضاة ، وكان يوما مشهودا ، واستمر إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه .

(خلافة المستعين بالله)

هو : أبو الفضل العباس بن المتوكل على الله أبي عبدالله محمد بن المعتضد أبي بكر بن سليمان ابن أحمد العباسى . عهد إليه أبوه بالخلافة ، وكان قد عهد قبله لولده الآخر المعتمد على الله أحمد ثم خلع وولى هذا ، واستمر أحمد مخلوعا إلى أن مات ، فلما مات المتوكل بويع ابنه العباس فى شهر رجب سنة ثمان وثمانمائة واستمر فى الخلافة إلى أن حوصر الملك الناصر فرج بن برقوق بدمشق ، وقيل : بويع له بالسلطنة مضافة إلى الخلافة فى يوم السبت خامس عشر المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة اجتمع أهل الحل والعقد والقضاة والأمراء ومن حضر فسألوه فى ذلك فامتنع واشتد امتناعه وصممم ، ثم إنه أجابهم إلى ذلك بعد أن توثق منهم بالأيمان ولم يغير لقبه وضربت سكة الذهب والفضة باسمه وتصرف بالولاية والعزل ، وفى الحقيقة إنما كانت إليه العلامة والخطبة ، فلما توجه العسكر إلى مصر كانت الأمراء كلهم فى خدمته على هيئة السلطنة ولكن الحل والعقد للأمير شيخ ، فلما كان اليوم الثامن من شهر ربيع الثانى دخل مصر فشقها والأمراء بين يديه ، وكان يوما مشهودا فاستمر إلى القلعة فنزلها ونزل شيخ فى الإصطبل بباب السلسلة ، فلما كان فى اليوم التالى لذلك اليوم دخل شيخ والأمراء إلى القصر وجلس الخليفة

على تخت المملكة وخلع على شيخ خلعة عظيمة بطراز لم يعهد مثله وفوض إليه أمر المملكه ولقبه بنظام الملك، فكان يدعى لهما على المنابر فى الحرمين وغيرهما ،وصار الأمراء إذا فرغوا من الخدمة فى القصر نزلوا إلى خدمة شيخ فى الإصطبل فأعيدت الخدمة عنده ووقع الإبرام والنقض ، ثم يتوجه دويداره إلى الخليفة فيعلم على المناشير والتواقيع ،واستمر الأمرعلى ذلك مدة ، وكان شيخ يظن أن الخليفة يتوجه إلى بيته ويستغنى من السلطنة ، فلما لم يفعل أعرض عنه ولم يبق عنده إلا من يخدمه من حاشيته ، فلما كان فى يوم الاثنين مستهل شعبان أحضر شيخ أهل الحل والعقد والقضاة والأمراء والمباشرين فبايعوه بالسلطنة ولقبوه بالملك المؤيد أبى النصر ، ثم إنه صعد القصر وجلس على تخت المملكة فقبل الأمراء الأرض بين يديه وصافحه القضاة وأهل الوظائف، وأرسل إلى الخليفة يسأله أن يشهد عليه بتفويض السلطنة له على عادة من تقدمه فأجابه بشرط أن يذهب إلى بيته فلم يوافقه على ذلك أياما ، ثم إنه نقله من القصر وأنزله فى دار من دور القلعة ومعه أهله ووكل به من يمنع الناس من الدخول إليه فلما كان فى ذى القعدة قطع الدعاء للخليفة على المنابر ، وكان قبل أن يلى السلطنة يدعى له مع السلطان ، واستمر فى الخلافة إلى أن خلع فى سنة ست عشرة ، فلما خرج المؤيد إلى نيروز أرسله إلى الإسكندرية فعقل بها ولم يزل بها إلى أن استقر ططر فى المملكة، فأرسل فى إطلاقه وأذن له فى المجىء إلى القاهرة فاختار الإقامة فى الإسكندرية لأنها لاقت بحاله واستطابها وحصل له بها مال جزيل من التجارة، فاستمر إلى أن مات فيها شهيدا بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

فصـــــل

فيما يجب على من يصحب الخلفاء الراشدين وأمراء المؤمنين والملوك والسلاطين

قال الشعبى : قال لى عبد الله بن عباس : قال لى العباس : يابنى إنى أرى هذا الرجل يعنى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقدمك على كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنى أوصيك بكلمات أربع : لاتفشين لهم سرا، ولا تحدثهم كذبا، ولا تطرين عندهم نصيحة، ولا تغتابن لديهم أحداً . قال الشعبى : فقلت لابن عباس : كل واحدة منهن خير من ألف . قال : إى والله ومن عشرة آلاف . قال بعض الحكماء : إذا زادك السلطان إكراما فزدد إعظاما ، وإذا جعلك ولدا فاجعله سيداً ، وإذا جعلك أخا فاجعله والدا ، ولا تديمن النظر إليه ، ولا تكثر من الدعاء له ، ولا تتغير منه إذا سخط ، ولا تغترّ به إذا رضى ، ولا تلح فى مسئلته ، وقد قيل فى المعنى :

قرب الملوك يا أخا البدر السنى حظ جزيل بين شـــدق ضيغم

قال الفضل بن الربيع : من كلم الملوك فى حاجة فى غير وقتها جهل مقامه وضاع كلامه. وما أشبه ذلك إلا بأوقات الصلاة التى لاتقبل إلا فى وقتها .

قال خالد بن صفوان: من صحب السلطان بالنصيحة والأمانة كان أكبر عدو له ممن صحبه بالفسق والخيانة ، لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد ، فعدو السلطان يبغضه لنصيحته وصديقه ينافسه فى مرتبته .

قال أفلاطون الحكيم : إذا خدمت ملكا فلا تطعه فى معصية ربك فإن إحسانه إليك أفضل من إحسانه إليك وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه به .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » رواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود وأنس بلفظ « من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ، ومن أصبح يشكو مصيبته فإنما يشكو ربه ، ومن دخل لغنى فتضعضع له ذهب ثلث دينه » وأخرج الديلمى من حديث أبى ذر « لعن الله فقيرا يتواضع لغنى من أجل ماله : من فعل ذلك فقد ذهب ثلثا دينه » وقد قال صلى الله عليه وسلم « من ترك شيئا لله عوّضه الله خيرا منه» وروى أحمد عن بعض الصحابة مرفوعا « إنك لاتدع شيئا اتقاء الله إلا أعطاك الله خيرا منه » .

وقال أفلاطون الحكيم : من لم يعتبر بالتجارب أوقعه الله فى المهالك . وقال : كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الأيام عظة . وقال: الملك كالنهر الأعظم تستمدمنه الأنهار الصغار ، فإن كان عذبا عذبت وإن كان مالحا ملحت . وسئل عن الرجل العاقل فقال : من اجتمعت فيه خصال الأدب ولا يقهره الغضب ، لأن العقل أصله التثبت فى الأمور وثمرته السلامة . وقال : السلطان كالسوق ماراج فيه حمل إليه وصاحب الملك كراكب الأسد تهابه الناس وهو لمركوبه أهيب . وقال : من عرف مايطلب هان عليه مايبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ومن طال أمله ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قيد نفسه ، ومن أصاح فاسده أرغم حاسده ، ومن قاسى الأمور فهم المستور ، ومن أحب المكارم اجتنب المحارم ، ومن حسنت به الظنون رمقته الرجال بالعيون . وقال : الأدب ينوب عن الحسب ، والعفو يفسد اللئيم بقدر مايصلح الكريم ، من شاور ذوى الألباب دل على الصواب ، من أمل إنسانا هابه ، ومن قصر عن شىء عابه ، ومن بالغ فى الخصومة أثم ، ومن قصر عنها ظلم ، ولا يستطيع أن يتقى الله من خاصم ، من فرّط فى الأمانة ضدها عمل ، من عرض نفسه لما قصر عنه فعله فقد نقص فى عين غيره ، ومن جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد بلغ المراد ، ظلم الأيامى واليتامى مفتاح الفقر ، لايصلح للصدر إلا من كان واسع الصدر ، ماتاه إلا وضيع ولا فاخر إلا لقيط ، ولا تعصب إلا بخيل ولا أنصف إلا كريم . الحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين ، الكريم يلين إذا استعطف واللئيم يقسو إذا لوطف . أقرب الناس إلى الله أكثرهم عفوا عند القدرة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه ، من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ

من رضى بالقضاء صبر على البلاء ، من عمر دنياه ضيع ماله ، ومن عمر آخرته بلغ آماله ، القناعة عز المعسر والصدقة كنز الموسر ، من سره فساده ساء معاده ، الشقى من جمع لغيره وبخل على نفسه ، الخير أجل بضاعة والإحسان أفضل صناعة ، من استغنى عن الناس أمن من عوارض الإفلاس ، من رفع حاجة إلى الله استظهر فى أمره ، ومن رفعها إلى الناس وضع من قدره ، من أبدى سر أخيه أبدى الله أسرار مساويه ، اعص الجاهل تسلم وأطع العاقل تغنم ، ازدياد الأدب عند الأحمق كازدياد الماء العذب فى أصول الحنظل لا يزيدها إلا مرارة . مكتوب فى الإنجيل : كما تدين تدان ، بالكيل الذى تكيل تكال .

وكان بعض الخلفاء يتلطف فى إدخال السرور على إخوانه فيضع عندهم الصرة فيها ألف درهم ، ويقول لبعضهم امسكها حتى أعود إليك ، ثم يرسل إليه بعض غلمانه فيقول له أنت فى حل من ذلك .

وقال بعض الحكماء : أحزم الناس من وقى نفسه بماله ووقى دينه بنفسه ، وأجود الناس من عاش الناس فى فضله ، وأفضل اللذات التفضل على الإخوان . وقال : المعروف ذخيرة الأدب والبر غنيمة . الحازم والخير عطر الأخيار ، من بذل ماله استعبد أمثاله ، ومن أذل فلسه أعز نفسه ، وإن صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكأ . وقال : إمام عادل خير من مطر وابل ، وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم ، وقال : فضل الملوك فى الإعطاء وشرفهم فى العفو وعزهم فى العدل والعدل هو نظام العالم .

وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » فبدأ بالعدل ، وقال عليه الصلاة والسلام « عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة » وقال عليه الصلاة والسلام « عدل ساعة فى الحكومة خير من عبادة ستين سنة » وقال صلى الله عليه وسلم « السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر ، وإن جار كان عليه الإثم وعلى الرعية الصبر » .

(خلافة المعتضد بالله أبى الفتح داود)

بويع له بالخلافة فى سابع عشر ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة عوضا عن أخيه المستعين بالله لما خلعه الملك السلطان المؤيد ، فاستدعاه وأجلسه بينه وبين القاضى الشافعى صالح البلقينى وقرره فى الخلافة ، فاستمر فيها إلى أن مات يوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، وقد قارب السبعين بعد مرض طويل رحمة الله تعالى عليه .

(خلافة المستكفى بالله)

هو سليمان أبو الربيع بن المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن سليمان بن أحمد العباسى . بويع له بالخلافة يوم موت أخيه شقيقه المعتضد بالله بعهد منه فى العشر الأول من شهر ربيع الأول من سنة خمس وأربعين وثمانمائة .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى شرح لامية العجم . قلت : وكذلك العبيديون الذين تسموا بالفاطميين خلفاء مصر ، فأول من ملك منهم بالمغرب المهدى ، ثم القائم ، ثم ابنه المنصور ، ثم المعز وهو أول من ملك مصر منهم كما تقدم ، ثم العزيز ، ثم كان السادس الحاكم فقتلته أخته ، وسيأتى له ذكر إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحمار ، ثم قال : وإنها لما قتلته ولت ابنه الظاهر ، ثم كان المستنصر ، ثم المستعلى ، ثم الآمر ، ثم الحافظ ، ثم كان السادس الظافر فخلع وقتل ، ثم ولى ابنه الفائز ، ثم العاضد وهو آخرهم . قال : قال وكذلك بنو أيوب فى ملك مصر ، فأولهم صلاح الدين الملك الناصر ، ثم ابنه العزيز ، ثم أخوه الأفضل ابن صلاح الدين ، ثم العادل الكبير أخو صلاح الدين ، ثم الكامل ولده ، ثم كان السادس العادل الصغير فقبض عليه أرباب دولته وخلعوه ، وولوا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ثم ولده المعظم توران شاه وهو آخرهم . قال : وكذلك دولة الأتراك فأولهم المعز عز الدين أيبك الصالحى ، ثم ابنه المنصور ، ثم المظفر قطز ، ثم الظاهر بيبرس ، ثم ابنه السعيد محمد ثم كان السادس العادل سلامش بن الظاهر بيبرس فخلع ، ثم ملك الناس السلطان المنصور قلاوون الألفى انتهى .

وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى دولة العبيديين وغيرهم من ملوك مصر على الإجمال مختصرا وها أنا أذكرهم مفصلا مبينا . وذلك أن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله القداح ، كان يعالج العيون ويقدحها ، ابن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قدم إلى سلمية قبل وفاته وكان له بها ودائع وأموال من ودائع جده عبد الله القداح ، فاتفق أنه جرى بحضرته ذكر النساء فوصفوا له امرأة يهودى حداد مات عنها زوجها وهى فى غاية الحسن والجمال ، وله منها ولد يماثلها فى الجمال ، فتزوجها وأحبها وحسن موضعها منه ، وأحب ولدها فعلمه فتعلم العلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة ، وكان الحسين يدعى أنه الوصى وصاحب الأمر والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه ويراسلونه ، ولم يكن له ولد فعهد إلى ابن اليهودى الحداد وهو عبيد الله المهدى أول من ملك من العبيديين ونسبتهم إليه ، وعرفه أسرار الدعوة من قول وفعل وأمر الدعاة ، وأعطاه الأموال والعلامات ، وأمر أصحابه بطاعته وخدمته ، وقال : إنه الإمام والوصى ، وزوجه بابنة عمه فوضع حينئذ المهدى لنفسه نسبا ، وهو : عبيد الله بن الحسين بن على بن محمد بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وبعض الناس يقول : إنه من ولد القداح .

فلما توفى الحسين وقام بعده المهدى انتشرت دعوته وأرسل إليه داعيه بالمغرب يخبره بما فتح الله عليه من البلاد وأنهم ينتظرونه ، فشاع خبره عند الناس أيام المكتفى فطلب فهرب

هو وولده أبو القاسم نزار الملقب بالقائم وهو يومئذ غلام ومعهما خاصتهما وموالیهما يريدان المغرب، فلما وصلا إلى إفريقية أحضر الأموال منها واستصحبها معه فوصل إلى رقادة فى العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ، ونزل فى قصر من قصورها، وأمر أن يدعى له فى الخطبة يوم الجمعة فى جميع تلك البلاد ، ويلقب بأمير المؤمنين المهدى ، وجلس للدعاء فى يوم الجمعة فأحضر الناس بالعنف ودعاهم إلى مذهبه فمن أجاب أحسن إليه ومن أبى حبسه، فابتداء دولتهم سنة سبع وتسعين ومائتين ، فأولهم المهدى عبيد الله ، ثم ابنه القائم نزار، ثم ابنه المنصور إسماعيل ، ثم ابنه المعز معد وهو أول من ملك مصر من العبيديين وكان ذلك فى سابع عشر شعبان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة، ودعى له فيها يوم الجمعة لعشرين من شعبان على المنابر، وانقطعت خطبة بنى العباس من الديار المصرية من يومئذ، وكان الخليفة العباسى إذ ذاك المطيع لله الفضل بن جعفر .

وفى يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة دخل المعز مصر بعد مضى ساعة من اليوم المذكور وكل هذا جاء بطريق الاستطراد فإن المقصود خلافه، ثم العزيز ابن المعز ، ثم ابنه الحاكم أبو العباس أحمد وهو السادس من العبيديين فقتل لأنه خرج عشية يوم الاثنين سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وطاف على عادته فى البلد ، ثم توجه إلى شرقى حلوان ومعه ركابيان فردهما، وانتظره الناس إلى ثالث ذى القعدة، ثم خرجوا فى طلبه فبلغوا ذيل القصر وأمعنوا فى الطلب فشاهدوا حماره على ذروة الجبل مضروب اليدين بالسيف ، فتتبعوا الأثر فانتهوا إلى بركة هناك، ونزل شخص فيها فوجد سبع حبات مزررة وفيها أثر السكاكين فلم يشكوا حينئذ فى قتله، ثم ابنه الظاهر أبو الحسن على، ثم ابنه المستنصر ثم ابنه المستعلى ، ثم ابنه الآمر ، ثم الحافظ عبد المجيد بن أبى القاسم محمد بن المستنصر ، ثم ابنه الظافر وهو السادس فقتل ولم يل الخلافة بعده منهم إلا اثنان ابنه الفائز، ثم العاضد عبد الله ابن يوسف بن الحافظ ، وانقرضت دولة العبيديين فى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وذلك فى أيام المستضىء بنور الله أبى محمد الحسن بن المستنجد العباسى .

وخلفهم بمصر السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم ابنه الملك العزيز عثمان ، ثم أخوه الأفضل ، ثم الملك العادل الكبير أبو بكر بن أيوب ، ثم ابنه الملك الكامل محمد ، ثم ابنه الملك العادل الصغير وهو السادس فخلع ، ثم الملك الصالح أيوب بن الكامل، ثم ابنه المعظم توران شاه، ثم أخوه الأشرف يوسف وهو ابن شجرة الدر، ثم المعز أيبك ، ثم ابنه المنصور على ، ثم المظفر قطز وهو السادس فقتل ، ثم الظاهر بيبرس ثم ابنه السعيد محمد بن بركة خان ثم أخوه العادل سلامش ، ثم المنصور قلاوون ، ثم ابنه الأشرف خليل، ثم القاهر بيدر وهو السادس أقام نصف يوم وقتل ، ثم الناصر بن المنصور

فخلع مرة بالعادل كتبغا وخلع نفسه مرة أخرى فتسلطن مملوك أبيه المظفر بيبرس، ثم العادل كتبغا ، ثم المنصور لاجين ، ثم المظفر بيبرس ، ثم أخوه الأشرف كجك فخلع ثم قتل وهو السادس ، ثم أخوهم الناصر أحمد ، ثم أخوهم الصالح إسمعيل ، ثم أخوهم الكامل شعبان ، ثم أخوهم المظفر حاجى ، ثم أخوهم الملك الناصر حسن ، ثم أخوهم الملك الصالح صالح وهو السادس فخلع وسجن وأعيد الملك لمن كان قبله وهو الملك الناصر حسن ، ثم المنصور على ابن الصالح ، ثم الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر ، ثم المنصور على بن الأشرف شعبان ابن حسين بن الناصر ، ثم أخوه الصالح حاجى بن الأشرف ، ثم الظاهر برقوق ، ثم أعيد حاجى ولقب بالمنصور ، ثم أعيد برقوق ، ثم ولده الناصر فرج ، ثم أخوه العزيز ، ثم أعيد فرج فخلع وقتل ، ثم الخليفة المستعين بالله العباسى ثم الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، ثم ابنه الملك المظفر أحمد فخلع ، ثم الملك الظاهر ططر ، ثم ولده الملك الصالح محمد فخلع ، ثم الملك الأشرف برسباى ، ثم ابنه الملك العزيز يوسف فخلع ثم الملك الظاهر جقمق ، ثم ولده الملك المنصور عثمان فخلع ، ثم الملك الأشرف أينال ، ثم ولده الملك المؤيد أحمد فخلع ، ثم الملك الظاهر خشقدم ، ثم الملك الظاهر بلباى فخلع ، ثم الملك الظاهر تمربغا فخلع ، ثم الملك الظاهر خاير بك فخلع من ليلته ، ثم الملك الأشرف قايتباى ، ثم ولده الملك الناصر محمد فقتل ، ثم الملك الظاهر قانصوه خال الملك الناصر محمد فخلع ، ثم الملك الأشرف جانبلاط فخلع وقتل ، ثم الملك العادل طومان باى فخلع وقتل ، ثم الملك الأشرف قانصوه الغورى ، ثم السلطان سليم بن محمد بن بايزيد بن عثمان ، ثم ولده السلطان سليمان ، ثم ولده السلطان سليم ، ثم ولده السلطان مراد نصره الله نصرا عزيزا وفتح له فتحا مبينا بمحمد وآله والحمد لله وحده ، وقد أطلنا الكلام فى ذلك ولكن لايخلو من فائدة أو فوائد .

ولنرجع إلى ما قصدناه من الكتاب والله تعالى الموفق للصواب فنقول : وهو أى الإوز يحب السباحة فى الماء وفرخه يخرج من البيض فيسبح فى الحال ، وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لايفارقها طرفة عين وتخرج فراخها فى أواخر الشهر ، وفى [المجالسة] للدينورى و [الأذكياء] لأبى الفرج بن الجوزى ، عن محمد بن كعب القرظى قال : جاء رجل إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال : يا نبى الله إن لى جيرانا يسرقون إوزى فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم ، فقال فى خطبته : وأحدكم يسرق إوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ، فمسح رجل رأسه بيده ، فقال سليمان : خذوه فإنه صاحبكم .

(وحكمه) حل الأكل بالإجماع .

(الخواص) لحم الإوز والبط كثير الحرارة والرطوبة ، وبقراط الحكيم يقول : إنه أرطب الطير الحضرى ، وأجودها المخاليف ، وهو يخصب الأبدان لكنه يملؤها فضولا . ودفع

ضررها نفخ البورق فى حلوقها قبل الذبح ، وهو يولد خلطا بلغميا ، ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة ، ويختار أن يطلى لحمها قبل الشى بالزيت لتذهب زهومته ، وفى طبخه أن يكثر من الأبازير الحارة ليزول غلظه وزهومته لأنه كثير الفضول غير موافق للمعدة لعسر انهضامه ، وهو لتكثيره الفضول يسرع إلى توليد الحميات .

قال القزوينى : إذا شويت خصية الإوز وأكلها الرجل وجامع زوجته من وقته فإنها تعلق بإذن الله تعالى ، وفى جوفه حصاة تمنع من الاستطلاق إذا شربها المبطون نفعته ، ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب إذا طليا به ، وأكل لسانه ينفع من تقطير البول إذا ديم عليه ، وغذاؤه جيد إلا أنه بطىء الهضم ، وأما بيضه فمعتدل الحرارة لكنه غليظ وأنفعه النيميرشت لكنه يضر بأصحاب القولنج والرياح والدوار ، وأكله بالصعتر والملح يدفع ضرره ، وهو يولد دما منتنا ، ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة ، وهو وبيض النعام غليظان بطيئا الانهضام فمن أحب أكلهما فليقنع بصفرتهما ، ويجب أن يعلم أن الصفرة من كل بيض ألطف من البياض والبياض أرطب من الصفرة ، وأغذى البيض وألطفه ذو الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لا ديك لها ، وهذا النوع لا يتولد منه حيوان ، ولا مما يباض فى نقصان القمر على الأكثر لأن البيض من الاستهلال إلى الإبدار يمتلئ ويرطب فيصلح للكون وبالضد من الإبدار إلى المحاق ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر بيض الحجل والدجاج فى أماكنهما .

﴿ الألفة ﴾ : السعلاة . وقيل : الذئبة ، وسيأتيان إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة والدال المعجمة .

﴿ الإلق ﴾ : بالكسر الذئب والأنثى إلقة وجمعها إلق ، وربما قالوا للقردة الإلقة ، ولا يقال للذكر إلق ولكن قرد ورباح .

﴿ الأودع ﴾ : اليربوع قاله الجوهرى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الياء آخر الحروف .

﴿ الأورق ﴾ : من الإبل الذى لونه بياض إلى سواد قاله الجوهرى ، وهو أطيب الإبل لحما ، وليس بمحمود عندهم فى عمله وسيره .

﴿ الأوس ﴾ : الذئب ، وبه سمى الرجل ، وأويس اسم للذئب جاء مصغرا مثل الكميت واللجين قال الهذلى :

يا ليت شعرى عنك والأمر أمم ... ما فعل اليوم أويس بالغنم

وقال الكميت : كما خامرت فى حضنها أم عامر ... لذى الحبل حتى عال أوس عيالها

لأن الضبع إذا صيدت ولها ولد من الدئب لم يزل الذئب يطعم ولدها إلى أن يكبر قاله الجوهرى . قال : وقوله لذى الحبل : أى للصائد الذى يعلق الحبل فى عرقوبها، وسيأتى هذا إن شاء الله تعالى فى العسبار ، أيضا .

روى الحافظ أبو نعيم بسنده إلى حمزة بن أسد الحارثى قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار إلى بقيع الغرقد فإذا ذئب مفترش ذراعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أويس فافرضوا له فلم يفعلوا» انتهى، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الذال المعجمة فى لفظ الذئب قصة وافد الذئاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبهذا سمى أويس بن عامر القرنى ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وسكن الكوفة وهو من أكبر تابعيها . روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى، يأتى عليكم فى أمداد أهل اليمن لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فلما قدم على عمر رضى الله تعالى عنه سأله أن يستغفر له فاستغفر له » الحديث بطوله . وقتل أويس يوم صفين مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه. وروى أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه فى الزهد عن حسن البصرى أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر » قال الحسن : هو أويس القرنى ، وهو منسوب إلى قرن بفتح الراء قبيلة من مراد ، وللجوهرى رحمه الله تعالى فى ذلك غلط مشهور . وخرج ابن السماك عن يحيى بن جعفر قال : حدثنا شبابة بن سوار قال : حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عبيد الرحبى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى مثل أحد الحيين ربيعة ومضر. قيل يا رسول الله وما ربيعة من مضر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أقول ما أقول » قال : فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه. وذكر القاضى عياض فى [الشفاء] عن كعب : أن لكل رجل من الصحابة شفاعة . وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يكون فى أمتى رجل يقال له صلة بن أشيم يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا » .

﴿ إيلس ﴾ : قال القزوينى : إنه نوع من السمك عظيم جدا ، وحيوانات البحر كلها تصاد سواه . ومن خواصه أنه إذا شوى وأكل منه شخصان معا بينهما عداوة وخصومة تبدلت ألفة .

﴿ الأيم والأين ﴾ : الحية ، وقال الأزرقى فى تاريخ مكة : الأيم : الحية الذكر ، ثم

روى بإسناده عن طلق بن حبيب قال: كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما فى الحجر ، إذ قلص الظل وقامت المجالس ، وإذا نحن ببريق أيم طالع من باب بنى شيبة ، فاشرأبت له أعين الناس فطاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين وراء المقام ، فقمنا إليه وقلنا له : أيها المعتمر قد قضى الله نسكك ، وإن بأرضنا عبيدا وسفهاء ، وإنا نخشى عليك منهم ، فمر ذاهبا نحو السماء فلم نره ، وفى الحديث أنه أمر بقتل الأيم. قال ابن السكيت أصله أيم فخفف مثل لين ولين وهين وهين والجمع أيوم ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الكعيب ما ذكره الأزرقى عقب هذا مما يشبهه.

﴿ الأيل ﴾ : بتشديد الياء المكسورة ذكر الأوعال والإيل لغة فيه ، ويقال : هو الذى يسمى بالفارسية كوزن ، وأكثر أحواله شبيه ببقر الوحش ، وهو إذا خاف من الصياد يرمى نفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك ، وعدد سنى عمره عدد العقد التى فى قرنه ، وإذا لسعته الحية أكل السرطان ويصادق السمك ، فهو يمشى إلى الساحل ليرى السمك والسمك يقرب من البر ليراه ، والصيادون يعرفون هذا فيلبسون جلده ليقصدهم السمك فيصيدوا منه ، وهو مولع بأكل الحيات يطلبها حيث وجدها ، وربما لسعته فتسيل دموعه إلى نقرتين تحت محاجر عينيه يدخل الأصبع فيهما ، فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع فيتخذ درياقا لسم الحيات ، وهو البادزهر الحيوانى وأجوده الأصفر ، وأماكنه بلاد الهند والسند وفارس . وإذا وضع على لسع الحيات والعقارب نفعها ، وإن أمسكه شارب السم فى فيه نفعه ، وله فى دفع السموم خاصية عجيبة ، وهذا الحيوان لا تنبت له قرون إلا بعد مضى سنتين من عمره فإذا نبت قرناه نبتا مستقيمين كالوتدين ، وفى الثالثة يتشعبان ولا يزال التشعب فى زيادة إلى تمام ست سنين ، فحينئذ يكونان كالشجرتين فى رأسه ، ثم بعد ذلك يلقى قرنيه فى كل سنة مرة ثم ينبتان ، فإذا نبتا تعرّض بهما للشمس ليصلبا .

وقال أرسطو : إن هذا النوع يصاد بالصفير والغناء ، ولا ينام ما دام يسمع ذلك ، فالصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه ، فإذا رأره قد استرخت أذناه أخذوه ، وذكره من عصب لا لحم ولا عظم ، وقرنه مصمت لا تجويف فيه ، وهو فى نفسه جبان دائم الرعب وهو يأكل الحيات أكلا ذريعا ، وإذا أكل الحية بدأ بأكل ذنبها إلى رأسها ، وهو يلقى قرونه فى كل سنة ، وذلك إلهام من الله تعالى لما للناس فيها من المنفعة ، لأن الناس يطردون بقرنه كل دابة سوء ، وييسر عسر الولادة ، وينفع الحوامل ، ويخرج الدود من البطن إذا أحرق منه جزء ولعق بالعسل قاله فى النعوت ، ويسمن هذا الحيوان سمنا كثيرا ، فإذا اتفق له ذلك هرب خوفا من أن يصاد .

[تتمة] قال الزجاجى : سئل ابن دريد عن معنى قول الشاعر :

هجرتك لا قلى منى ولكن رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحائمات الورد لما رأت أن المنية فى الورود
تغيظ نفوسها ظمأ وتخشى حماما فهى تنظر من بعيد
تصد بوجه ذى البغضاء عنه وترمقه بألحاظ الودود

فقال : الحائم الذى يدور حول الماء ولا يصل إليه ، ومعنى الشعر : أن الأيايل تأكل الأفاعى فى الصيف فتحمى وتلتهب لحرارتها فتطلب الماء ، فإذا رأته امتنعت من شربه وحامت عليه تتنسمه لأنها لو شربته فى تلك الحالة فصادف الماء السم الذى فى أجوافها هلكت فلا تزال تمتنع من شرب الماء حتى يطول بها الزمان فيذهب ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها فيقول هذا الشاعر : أنا فى تركى وصالك مع شدة حاجتى إليه بمثابة الحائمات التى تدع شرب الماء مع شدة حاجتها إليه إبقاء على حياتها . والزجاجى هو عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجى إمام النحو ، صحب أبا إسحاق الزجاج فعرف به ونسب إليه ، وصنف كتاب [الجمل] وطوله بكثرة الأمثلة ، ولم يشتغل به أحد إلا انتفع به لأنه صنفه بمكة المشرفة ، وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعا وسأل الله تعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه . ومن كلامه : ما حرم الله شيئا إلا وأحل بإزائه خيرا منه حرم الميتة وأباح المذكى ، وحرم الخمر وأباح النبيذ ، وحرم السفاح وأباح النكاح ، وحرم الربا وأباح البيع توفى سنة سبع أو تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وقيل : بطبرية ، وما أحسن قول أبى منصور موهوب الجواليقى اللغوى :

وردالورى سلسال جودك فارتووا ووقفت حول الورد حائم
حيران أطاب غفلة من وارد والورد لا يزداد غير تزاحم

وكان الجواليقى إماما فى فنون الأدب وله تصانيف مفيدة : وكان إماما للخليفة المقتفى يصلى به الصلوات الخمس ، ولما دخل عليه أول دخلة قال : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له الطبيب هبة الله بن صاعد بن التلميذ النصرانى : ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين ياشيخ ، فلم يلتفت إليه الجواليقى ، وقال للمقتفى : يا أمير المؤمنين سلامى هو ما جاءت به السنة النبوية ، وروى له خبرا فى صورة السلام ، ثم قال : يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانيا أو يهوديا لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المعتبر لما لزمته كفارة الحنث ، لأن الله تعالى ختم على قلوبهم ولن يفك ختمه إلا الإيمان ، فقال : صدقت وأحسنت . قال : فكأنما ألقم ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة أدبه ، ووجدت البيتين المتقدمين لابن الخشاب من أبيات : توفى الجواليقى فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد

(الحكم) يحل أكله لأنه مستطاب كالوعل ، ولم يذكره الرافعى فى باب الأطعمة وإنما ذكره فى باب الربا ، فقال : وفى لحم الظباء مع الإبل تردد للشيخ أبى محمد، واستقر جوابه على أنهما كالضأن مع المعز : أى فلا يباع أحدهما بالآخر إلا مثلا بمثل انتهى . وحكى المتولى فى ذلك وجهين من غير ترجيح .

(الخواص) إذا بخر بقرنه طرد الهوام وكل ذى سم، وإذا أحرق قرنه وسحق واستيك به قطع الصفرة والحفر من الأسنان وشد أصولها ، ومن علق عليه شىء من أجزائه لم ينم مادام عليه ، وإذا جفف قضيبه وسقى هيج الباه ، وإذا شرب دمه فتت الحصاة التى فى المثانة، والله تعالى أعلم .

﴿ابن آوى﴾ : جمعه بنات آوى، وكذلك ابن عرس وابن المخاض وابن اللبون تقول : بنات عرس ، وبنات مخاض ، وبنات لبون ، وبنات آوى ، ولا ينصرف ، قال الشاعر :

إن ابن آوى لشديد المقتنص وهو إذا ما صيد ريح فى قفص

وكنيته : أبو أيوب وأبو ذؤيب وأبو كعب وأبو وائل ، وسمى ابن آوى لأنه يأوى إلى عواء أبناء جنسه، ولا يعوى إلا ليلا وذلك إذا استوحش وبقى وحده ، وصياحه يشبه صياح الصبيان ، وهو طويل المخالب والأظفار ، يعدو على غيره ويأكل مما يصيد من الطيور وغيرها وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب لأنه إذا مر تحتها وهى على الشجرة أو الجدار تساقطت ، وإن كانت عددا كثيرا .

(الحكم) الأصح تحريم أكله لأنه يعدو بنابه، ولو قيل : إن نابه ضعيف فيكون كالضبع والثعلب لكان مذهبا . وملخص ما فيه عندنا وجهان : الأصح فى المحرر والمنهاج والشرح والحاوى الصغير التحريم ، والثانى : وهو اختيار الشيخ أبى حامد الحل . وسئل الإمام أحمد عنه فقال : كل ما نهش بأنيابه فهو من السباع ، وبحظره قال أبو حنيفة وصاحباه .

(الخواص) إذا ترك لسانه فى بيت وقعت الخصومة بين أهله ، ولحمه ينفع من الجنون والصرع العارض فى أواخر الشهر ، وإذا علقت عينه اليمنى على من يخاف العين أمن ولم تضره عين عائن ، وقلبه إذا علق على شخص أمن من سائر السباع بإذن الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

باب الباء الموحدة

﴿البابوس﴾ : الصغير من أولاد الناس وغيرهم . قال ابن أحمر :

حنت قلوصى إلى بابوسها طربا وما حنينك بل ما أنت والذكر

﴿البازى﴾ : أفصح لغاته بازى مخففة الياء والثانية باز والثالثة بازى بتشديد الياء حكاها ابن سيده وهو مذكر لا اختلاف فيه ، ويقال فى التثنية بازيان وفى الجمع بزاة كقاضيان وقضاة

ويقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور ، ولفظه مشتق من البزوان وهو الوثب ، وكنيته : أبو الأشعث وأبو البهلول وأبو لاحق ، وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا. قال القزوينى فى [عجائب المخلوقات] قالوا : إنه لا يكون إلا أنثى ، وذكرها من نوع آخر كالحدإ والشواهين ، ولهذا اختلف أشكالها ، روينا عن عبدا لله بن المبارك أنه كان يتجرويقول : لولا خمسة ما اتجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن عليلة : أى ليصلهم ، فقدم سنة فقيل له قد ولى ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشىء فأتى إليه ابن علية فلم يرفع رأسه إليه ، ثم كتب إليه ابن المبارك يقول :

يا جاعل العلم له بازيا يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما كنت دواء للمجانين
أين زواياتك فى سردها لترك أبواب السلاطين
أين رواياتك فيما مضى عن ابن عوف وابن سيرين
إن قلت أكرهت فذا باطل زلّ حمار العلم فى الطين

فلما وقف إسماعيل بن علية على الأبيات ذهب إلى الرشيد ، ولم يزل به إلى أن استعفاه من القضاء فأعفاه. وعبد الله بن المبارك إمام جليل زاهد عابد جمع بين العلم والعمل .

ذكر ابن خلكان فى ترجمته قال : عطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمد الله عز وجل ، فقال له ابن المبارك : أى شىء يقول العاطس إذا عطس ؟ قال : الحمد لله فقال ابن المبارك : يرحمك الله ، فعجب الحاضرون من حسن أدبه ؛ وقال أيضا : قدم هارون الرشيد الرقة فانخفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة فأشرفت أم ولد الرشيد من قصر الخشب ، فلما رأت الناس قالت : من هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان يقال له عبد الله بن المبارك ، فقالت : هذا والله الملك ، لا ملك هارون الذى لايجمع الناس إلا بشرط وأعوان . وذكر غيره أن عبد الله بن المبارك استعار قلما من الشام فعرض له سفر فسافر إلى أنطاكية وكان قد نسى القلم معه فتذكره هناك فرجع من أنطاكية إلى الشام ماشيا حتى رد القلم إلى صاحبه وعاد : وروى أن عند ذكره تنزل الرحمة توفى رحمه الله تعالى سنة إحدى وثمانين ومائة رحمة الله تعالى عليه .

ومن أخبار الرشيد أنه خرج يوما إلى الصيد فأرسل بازيا أشهب فلم يزل يحلق حتى غاب فى الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة ، فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك ، فقال مقاتل : يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه دواب بيض تفرخ فيه شبيا على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات

ريش ، فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه ، وهو خمسة أصناف : البازى والزرق والباشق والبيدق والصقر . والبازى أحرها مزاجا لأنه قليل الصبر على العطش ومأواه مساقط الشجر العادية الملتفة والظل الظليل ، وهو خفيف الجناح سريع الطيران ، وإناثه أجرأ على عظام الطير من ذكوره ، وهذا الصنف تصيبه الأمراض وانحطاط اللحم والهزال ، وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما كما قال الناشئ :

لو استضاء المرء فى إدلاجه بعينه كفته عن سراجه

ودونه الأزرق الأحمر العينين ، والأصفر دونهما ، ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانخراط إلى ذنبه ، وأن تكون فخذاه طويلتين مسرولتين بريش وذراعاه غليظتين قصيرتين ، وفرخ البازى يسمى غطريفا ويضرب بالبازى المثل فى نهاية الشرف كما قال الشاعر :

إذا ما اعتز ذو علم بعلم فعلم الفقه أولى باعتزاز
وكم طيب يفوح ولا كمسك وكم طير يطير . ولا كباز

قال الشيخ الزاهد أبو العباس القسطلانى : سمعت الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم الأصبهانى أمام مقام إبراهيم بمكة يقول : سمعت الشيخ أحمد خادم الشيخ حماد يقول : دخل الشيخ عبد القادر على الشيخ حماد الدباس يزوره فنظر إليه الشيخ ، وكان قد رأى أنه اصطاد بازيا فأثرت نظرة الشيخ فيه ، فخرج من عنده وتجرد عن أسبابه وكان من أكابر أصحابه انتهى ولهذا كان الشيخ عبد القادر يقول :

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها طربا وفى العلياء باز أشهب

قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى طبقاته : كان ابن شريح يقال له الباز الأشهب ، وقال الوعيظى فى أول قصيدته :

ليس المقام بدار الذل من شيمى ولا معاشرة الأنذال من همى
ولا مجاورة الأوباش تجمل بى كذلك الباز لا يأوى مع الرخم

وأما الباشق بفتح الشين وكسرها فأعجمى معرّب وكنيته أبو الآخذ ، وهو أيضا حار المزاج يغلب عليه القلق والزعارة ، يأنس وقتا ويستوحش وقتا ، وهو قوى النفس ، فإذا أنس منه الصغير بلغ صاحبه من صيده المراد ، وهو خفيف المحمل ظريف الشمائل يليق بالملوك أن تخدمه لأنه يصيد أفخر ما يصيده البازى وهو الدراج والحمام والورشان ، وهو كثير الشبق ، وإذا قوى عليه صيده لا يتركه إلا أن يتلف أحدهما . وأحمد صفاته أن يكون صغيرا فى المنظر ثقيلا فى الميزان طويل الساقين قصير الفخذين .

وأما البيدق فلا يصيد إلا العصافير ، وهو قليل الغناء قريب فى الطبع من العقصى . قال

أبو الفتح كشاجم فى المعنى :

حسبى من البزاة والبيادق ... بيدق يصيد صيد الباشق
مؤدب مدرب الخلائق ... أصيد من معشوقة لعاشق
يسبق فى السرعة كل سابق ... ليس له فى صيده من عائق
ربيته وكنت غير واثق ... أن الفرازين من البيادق

وأما العقصى فهو أصغر الجوارح نفسا وأضعفها حيلة وأشدها ذعرا وأيبسها مزاجا ، يصيد العصفور فى بعض الأحايين وربما هرب منه ، وهو يشبه الباشق فى الشكل إلا أنه أصغر منه .

(الحكم) يحرم أكله بجميع أنواعه لنهيه صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطيور ، رواه مسلم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما وبهذا قال أكثر أهل العلم. وقال مالك والليث والأوزاعى ويحيى بن سعيد: لايحرم من الطير شىء، واحتجوا بعموم الآيات المبيحة ، ولم يثبت عند مالك حديث النهى عن أكل كل ذى ناب من السباع فكان على الإباحة. قال الأبهرى: ليس فى ذى المخلب عن النبى صلى الله عليه وسلم نهى صحيح . وقال غيره: لم يثبت حديث النهى عن أكل كل ذى مخلب من الطير لأن ميمون بن مهران رواه عن ابن عباس، وسقط بينهما سعيد بن جبير فصار هذا علة تحطه عن رتبة الصحيح . وقال إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه : يكره للمحرم استصحاب البازى وكل صائد من كلب وغيره لأنه ينفر الصيد ، وربما انفلت فقتل صيدا ، فإن حمله فأرسله على صيد فلم يقتله ولم يؤذه فلا جزاء عليه لكن يأثم ، كما لو رماه بسهم فأخطأه فإنه يأثم بالرمى لقصده الحرام ، ولا ضمان لعدم الإتلاف. قال: وما فيه مضرة ومنفعة لايستحب قتله لما فيه من المنفعة، ولايكره لعدوانه على الناس كالبازى والفهد والصقر والعقاب ونحوها ويصح بيع البازى وإجارته بلا خلاف لأنه طاهر منتفع به. روى الترمذى عن عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازى، فقال ما أمسك عليك فكل» .

(الأمثال) قالت العرب :

• وهل ينهض البازى بغير جناح •

يضرب فى الحث على التعاون والوفاق . قال الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازى بغير جناح

ومن ملح أمثال أبى أيوب سليمان بن أبى مجالد : قال خالد بن يزيد الأرقط : بينما أبو أيوب

فى أمره ونهيه إذ طلبه المنصور فاصفر وارتعد فلما خرج من عنده تراجع لونه، وكان ذلك دأبه كلما طلبه ، فقيل له : إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه فضرب لذلك مثلا فقال : زعموا أن بازيا وديكا تناظرا ، فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك ، فقال : وكيف؟ قال : لأنك تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وصحت ، وإن علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت وتركتها وصرت إلى غيرها وأنا أؤخذ من الجبال وقد كبرت سنى فأطعم الشىء القليل وأونس يوما أو يومين ثم أطلق على الصيد فأطير وحدى فآخذه وأجىء به إلى صاحبى ، فقال له الديك : ذهبت عنك الحجة ما لو رأيت بازين فى سفود ما عدت إليهم أبدا ، وأنا كل يوم ووقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا وأقيم معهم فأنا أوفى منك لو كنت مثلك ، وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرف لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه إياكم ، ثم إنه قتله فى سنة أربع وخمسين ومائة بعد أن عذبه وأخذ أمواله ، وكان قد تمكن من المنصور غاية التمكن لإحسان فعله مع المنصور قبل خلافته ، ثم أبغضه وهم أن يوقع به وتطاول ذلك، وكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالما.

قيل : إنه كان معه شىء من الدهن قد عمل فيه سحرا ، فكان يدهن حاجبيه إذا دخل على المنصور، فصار مثلا فى العامة يقولون : دهن أبى أيوب . قال فى [الجواهر الزواهر]: وكان المنصور يوده كثيرا ويتبسم إليه، وأنشد على ذلك لناصح الدين سعيد بن الدهان سيبويه عصره فى النحو قوله :

لاتجعل الهزل دأبا فهو منقصة ... والجد تغلوبه بين الورى القيم
ولا يغرنك من ملك تبسمه ... ماسحت السحب إلا حين تبتسم

ومن محاسن شعره قوله :

بادر إلى العيش والأيام رافدة ... ولاتكن لصروف الدهر تنتظر
فالعمر كالكأس يبدو فى أوائله ... صفو وآخره فى قعره كدر

وله أيضا ، ويقال إنه لابن طباطبا الطالبى :

تأمل نحولى والهلال إذا بدا ... لليلته فى أفقه أينا أضنى
على أنه يزداد فى كل ليلة ... نموا وجسمى بالضنى دائما يفنى

وله أيضا :

والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابى أجدرا
لأعدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا

وكانت وفاته سنة تسع وستين وخمسمائة . قال الغزنوى : الترائب جمع تريبة وهو

موضع القلادة من الصدر ، وزاد الكواشى ، وقيل : الصدر ، وقيل : النحر ، وقيل : أطراف الرجل .

(الخواص) مرارته من اكتحل بها أمن من نزول الماء فى عينيه ، وإن شربت امرأة من زرق البازى مدافا بماء أعان على الحبل وإن كانت عاقرا .

وأما الباشق : فدماغه ينفع من الخفقان العارض من السوداء ، إذا سقى منه وزن درهم بماء ورد ، ومرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالا .

(التعبير) البازى فى المنام يدل على سلطان لمن هو من أهل الإمارة ، فإن ذهب من يديه وبقى منه ساقه ذهب ملكه وبقى ذكره ، وإن بقى فى يده شىء من الريش بقى فى يده شىء من المال وذبح البازى ظفر بلص ، وذبح البزاة يدل على موت الملوك الذين يأخذون الأموال جهارا ولحوم البزاة أموال السلاطين ، والبزاة للرجل السوقى رياسة وشرس ، والباشق فى المنام لص وقيل : ولد ذكر .

﴿ البازل ﴾ : البعير الذى فطرنا به : أى انشق ذكرا كان أو أنثى ، وذلك فى السنة الثامنة والجمع بزل وبوازل . روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم استقرض بكرا فرد بازلا وقال خيركم أحسنكم قضاء » وروى الخطابى عن ابن خزيمة قال : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول . سئل ابن عيينة عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استجمر فليوتر » فسكت ابن عيينة فقيل أترضى بما قاله مالك؟ قال وما قال مالك؟ قال : قال استجمار الاستطابة بالأحجار قال فقال ابن عيينة إنما مثلى ومثل مالك كما قال الأول :

وابن اللبـــون إذا مالزّ فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

﴿ الباقعة ﴾ : الداهية يقال رجل باقعة إذا كان ذا دهاء . ونقل الهروى عن ابن عمر : أنه طائر حذر إذا شرب الماء يطير يمنة ويسرة ، وفى حديث القبائل أن عليا قال لأبى بكر رضى الله تعالى عنه : لقد عثرت من الأعراب على باقعة ، وفى حديث آخر ففاتحته فإذا هو باقعة .

﴿ بالام ﴾ : روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة قال : فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن فيك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى . قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى

بدت نواجذه ثم قال : ألا أخبرك بإدامهم ؟ قال : بلى . قال : بالام ونون، قال: وماهما؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفا » هكذا عند البخارى سبعون بتقديم السين وفى صحيح مسلم فى كتاب [الظهار] من حديث ثوبان قال « كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يامحمد فدفعته دفعة كاد يصدع منها فقال :لم تدفعنى ؟ فقلت : لم لاتقول يارسول الله ؟ فقال اليهودى: إنا ندعوه باسمه الذى سماه به أهله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى محمدا الذى سمانى به أهلى ، فقال اليهودى : جئت أسألك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شىء إن حدثتك فقال : أسمع بأذنى ، فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه ، وقال : سل ؟ فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم فى ظلمة دون الجسر ، فقال : فمن أول الناس إجازة يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فقراء المهاجرين . قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد النون . قال فما غداؤهم على أثرها؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها، قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا . قال : صدقت ، وجئت أسألك عن شىء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان . قال : أينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذنى . قال :سل . قال : أسألك عن الولد ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة كان ذكرا بإذن الله تعالى، وإذا علا منى المرأة منى الرجل كان أنثى بإذن الله تعالى . قال : صدقت إنك لنبى ثم انصرف ، فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشىء منه حتى أتانى الله عز وجل به » وفى صحيح البخارى من حديث أنس قريب من هذا ، وأن اليهودى هو عبد الله بن سلام رضى الله عنه هكذا جاء الحديث مفسرا .

أما النون : فهو الحوت، وبه سمى يونس عليه السلام ذا النون .

وأما بالام : فقد تكلفوا له شرحا غير مرضى ولعل اللفظة عبرانية كذا قال فى النهاية . وقال الخطابى : لعل اليهودى أراد التعمية فقطع الهجاء وقدم أحد الحرفين على الآخر، وهى لام ألف وياء يريد لأى بوزن لعى وهو الثور الوحشى ، فصحف الراوى الياء بالباء . قال وهذا أقرب مايقع لى فيه اه : والصحيح أنها لفظة عبرانية .

وأما زيادة كبد الحوت فهى القطعة المنفردة المتعلقة بها وهى أطيبها ، وهؤلاء السبعون ألفا يحتمل أنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، ويحتمل أنه عبر بالسبعين ألفا عن العدد الكثير من غير إرادة حصر ، ورواه النسائى فى عشرة النساء أيضا .

﴿ البال ﴾ : سمكة تكون فى البحر الأعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا يقال لها العنبر وليست بعربية . قال الجواليقى : كأنها عربت . وقال فى الصحاح : البال الحوت العظيم من حيتان البحر ليس بعربى . وقال القزوينى : البال سمكة طولها خمسمائة ذراع أو أكثر تظهر فى بعض الأوقات طرف جناحها كالشراع العظيم ، وأهل المراكب يخافون منها أعظم خوف ، فإذا أحسوا بها ضربوا بالطبول لتنفر عنهم ، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تلصق بأذنها فلا خلاص للبال منها فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض برأسها حتى تموت وتطفوا على الماء كالجبل العظيم ، ولها أناس من الزنج يرصدونها ، فإذا وجدوها طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها إلى الساحل وشقوا بطنها واستخرجوا العنبر منها ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة ذكر هذا الحيوان ، ومايتعلق بالعنبر من الأحكام .

﴿ الببر ﴾ : بباءين موحدتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة : ضرب من السباع يعادى الأسد من العدو لامن العدوان ويقال له البريد ، ويقال له الفرانق بضم الفاء وكسر النون ، وهو هندى معرب شبيه بابن آوى ، ويقال إنه متولد من الزبرقان واللبوة . من طبعه أن الأنثى منه تلقح من الريح ولهذا كان عدوه كالريح ، ولا يقدر أحد على صيده وإنما تسرق جراؤه فتجعل فى مثل القوارير من زجاج ويركض بها على الخيول السابقة ، فإذا أدركهم أبوها ألقوا إليه قارورة منها فيشتغل بالنظر إليها ، والحيلة فى إخراج ولده منها فيفوته بقيتها فيربى حينئذ ، ويألف الصبيان ويأنس بالإنس وهو يألف شجرة الكافور كثيرا ، فإذا كان عندها لم يستطع أحد أن يأخذ منها شيئا لكنه يفارقها فى زمن معلوم ، فإذا علم أهل تلك النواحى بذلك أتوا إلى الشجرة وأخذوا منها الكافور .

(الحكم) يحرم أكله لأنه يتقوى بنابه .

(الخواص) من أصابه سرسام أو برسام يطلى رأسه بمرارة الببر مضروبة بالماء ينفعه نفعا بينا . وإذا تحملتها المرأة لا تحمل أبدا وإذا كانت حاملا أسقطت . وكعبه يشد على الزند فلايتعب حامله أبدا ولو سار كل يوم عشرين فرسخا ، وجلده يجلس عليه من به حب القرع يزول عنه . وذكر فى [ربيع الأبرار] : أن الببر على صورة الأسد الكبير ، وهو أبيض يلمع بصفرة وخطوط سود . وقال أرسطو : الببر سبع مهيب يكون بأرض الحبشة خاصة لابغيرها .

﴿ البيغاء ﴾ : بثلاث ياآت موحدات أولاهن وثالثتهن مفتوحتان والثانية ساكنة وبالغين المعجمة ، وهى هذا الطائر الأخضر المسمى بالدرة بدال مهملة مضمومة قاله فى العباب ، وضبطها ابن السمعانى فى الأنساب بباءين بفتح الأولى وبإسكان الثانية ، وقال : لقب بها

أبو الفرج الشاعر لفصاحته . وقال القضاعى : للثغة كانت فى لسانه ، وهى فى قدر الحمام يتخذها الناس للانتفاع بصوتها كما يتخذون الطاوس للانتفاع بصورته ولونه ، ومن الببغاء نوع أبيض . وقد أهدى لمعز الدولة بن بويه درة بيضاء اللون سوداء المنقار والرجلين على رأسها ذؤابة فستقية ، وجميع أنواعها معدوم سوى الأخضر فهو الموجود الآن ، وهو حيوان دمث الخلق ثاقب الفهم له قوة على حكاية الأصوات وقبول التلقين ، يتخذه الملوك والأكابر لينم بما يسمع من الأخبار ، ويتناول مأكوله برجله كما يتناول الإنسان الشىء بيده ، والناس يحتالون فى تعليمه بطرق عدة . قال أرسطاطا ليس : إذا أردت تعليم الببغاء الكلام فخذ مرآة واجعلها أمامها فترى صورتها : أى صورة نفسها ، ثم تكلم من ظاهر المرآة وتعاودها فإنها تعيد الكلام . وقال ابن الفقيه : رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال ، ورأيت فيها صنفا من الببغاء أحمر وأبيض وأصفر يعيد الكلام بأى لغة كانت . قال أبو إسحاق الصابى فى وصفها :

أنعتها صبيحة مليحة ناطقة باللغة الفصيحة
عدّت من الأطيار واللسان يوهمنى بأنها إنسان
تنهى إلى صاحبها الأخبارا وتشف الأسرار والأستارا
بكماء إلا أنها سميعه تعيد ما تسمعه طبيعه
زارتك من بلادها البعيده واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوز والأرز والضيف فى إتيانه يعز
تراه فى منقارها الخلوق كلؤلؤ يلفظ بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين فى النور والظلمة بصاصين
تميس فى حلتها الخضراء مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الأقفاص ليس لها من حبسها خلاص
تحبسها ومالها من ذنب وإنما ذاك لفرط الحب
تلك التى قلبى بها مشغوف كنيت عنها واسمها معروف
يشرك فيها شاعر الزمان الكاتب المعروف بالبيان
ذلك عبد الواحد بن نصر تقيه نفسى حادثات الدهر

فأجابه أبو الفرج بقوله :

من منصفى من محكم الكتاب شمس العلوم قمر الآداب
أمسى لأصناف العلوم محرزا وسام أن يلحق لما برزا
وهل يجارى السابق المقصر أوهل يبارى المدرك المغرر

إلى أن قال فى وصفها :

ذات شغا تحسبه يا قوتا لا ترتضى غير الأرز قوتا
كأنما الحبة فى منقارها حبابة تطفو على عقارها

وقال القاضى ابن خلكان فى ترجمة الفضل بن الربيع : إن أحمد بن يوسف الكاتب كتب إلى بعض إخوانه وقد ماتت له ببغاء ، وله أخ كثير التخلف يسمى عبد الحميد :

أنت تبقى ونحن طرا فداكا أحسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جل خطب دهر أتاكا بمقادير أتلفت ببغاكا
عجبا للمنون كيف أتتها وتخطت عبد الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أجمل للمو ت من الببغاء وأولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعا فقدنا هذه ورؤية ذاكا

قال الزمخشرى : إن الببغاء تقول : ويل لمن كانت الدنيا همه .

(الحكم) يحرم أكلها على الأصح فى الرافعى ونقله فى البحر عن الصيمرى وأقره وعلل ذلك بخبث لحمها ، وقيل حلال لأنها تأكل من الطيبات ، وليست من ذوات السموم ولا من ذوات المخلب ولا أمر بقتلها ولا نهى عنه ، وقطع المتولى بجواز استئجارها للأنس بصوتها وحكى البغوى فى ذلك وجهين ، وكذا كل ما يستأنس بصوته كالعندليب وغيره .

(الخواص) من أكل لسان الببغاء صار فصيحا جريئا فى الكلام ، ومرارتها تثقل اللسان أكلا ، ودمها يجفف ويسحق وينثر بين الصديقين تظهر بينهما العداوة ، وذرقها يخلط بماء الحصرم ينفع من الظلمة والرمد اكتحالا .

(التعبير) الببغاء فى المنام : رجل نحس كذاب ، وقيل رجل فيلسوف وفرخه ولد فيلسوف وقيل هى جارية أو غلام يتيم .

﴿ البيح ﴾ : من طير الماء ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر الجنس أجمع فى باب الطاء المهملة .

﴿ البجع ﴾ : الحوصل ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء ، وقد أحسن الشاعر حيث قال فيه ملغزا :

ما طائر فى قلبه يلوح للناس عجب
منقاره فى بطنه والعين منه فى الذنب

قال التميمى فى منافع القرآن : من كتب على جلد حوصلة البجع بماء ورد أو بماء مطر قوله تعالى — وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون — ثم جعل ذلك على صدر النائم من رجل وامرأة فإنه يخبر بكل ما عمل .

﴿ البحزج ﴾ : بالباء الموحدة والزاى والجيم ولد البقرة الوحشية .

﴿ البخاق ﴾ : كغراب الذئب الذكر .

﴿ البخت ﴾ : من الإبل معرب ، وبعضهم يقول : هو عربى الواحد الذكر بختى والأنثى بختية وجمعه بخاتى ، غير مصروف لأنه بزنة جمع الجمع ، وذلك أن تخفف الياء فتقول البخاتى وكذا كل ما أشبهها مما واحده مشدد يجوز فى جمعه التشديد والتخفيف ، كالعوارى والسوارى والعلالى والأوانى والأثافى والكراسى والمهارى وشبهها ، وممن ذكر هذه القاعدة ابن السكيت فى إصلاحه والجوهرى فى صحاحه . قال ابن السكيت : والأثفية بثاء مثلثة مفرد الأثافى ، وهى الأعمدة الثلاثة تتخذ لوضع القدر عليها حال الطبخ ، ومن كلام العرب : رماه الله بثالثة الأثافى : يعنى الجبل ، لأن الإنسان إذا لم يجد إلا اثنتين جعل الثالثة الجبل فعبروا بثالثة الأثافى عن الجبل ، والبخاتى جمال طوال الأعناق .

روى أبو داود والترمذى والنسائى وأحمد من حديث جنادة بن أبى أمية قال : كنا مع بسر بن أرطاة فى البحر فأتى بسارق قد سرق بختية فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تقطع الأيدى فى السفر » ولولا ذلك لقطعته ، وفى صحيح مسلم من حديث زهير عن جرير بن سهل عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى صفة النساء اللاتى يأتين فى آخر الزمان « رءوسهن كأسنمة البخت لا يجدن ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » وفى المستدرك من حديث عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « سيكون فى آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب مساجدهم ، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات » وفى الكامل فى ترجمة فضل بن مختار البصرى عن عبيد الله بن موهب عن عصمة ابن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة طيرا أمثال البخاتى قال رضى الله تعالى عنه : إنها لناعمة يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر » .

﴿ البدنة ﴾ : جمعها بدن بضم الدال وإسكانها وبالإسكان جاء القرآن ، وممن ذكر الضم الجوهرى رحمه الله وهو ما أشعر من ناقة أو بقرة سميت بذلك لأنها تبدن أى تسمن ، وقال النووى : هى البعير ذكرا كان أو أنثى ، وشرطها أن تكون فى سن الأضحية عند الفقهاء وعند اللغويين أو أكثرهم تطلق على الإبل والبقر ، وقال الأزهرى : تكون فى الإبل والبقر والغنم سميت بذلك لعظم أبدانها ويشهد لاختصاصها بالإبل ما روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما

قرّب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة » وفى مسند الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه « فى الساعة الرابعة بطة ، وفى الخامسة دجاجة ، وفى السادسة بيضة » ووصف الكبش بالقرن لأنه أكمل وأحسن صورة ، وجمع البدنة بدن قال تعالى — والبدن جعلناها لكم من شعائر الله — أى من أعلام دين الله — لكم فيها خير — قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هى نفع فى الدنيا وأجر فى الآخرة .

حج صفوان بن سليم وليس معه إلا سبعة دنانير فاشترى بها بدنة ، فقيل له فى ذلك فقال : إنى سمعت الله تعالى يقول — والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير — وأول من أهدى البدن إلى البيت الحرام إلياس بن مضر ، وهو أول من وضع مقام إبراهيم عليه السلام للناس بعد غرق البيت وانهدامه زمن نوح عليه السلام فكان إلياس أول من ظفر به فوضعه فى زاوية البيت ولم تزل العرب تعظم إلياس بن مضر إلى أن مات ، ولما مات أسفت عليه زوجته خندف أسفا شديدا وحرمت الرجال والطيب ، ونذرت أن لا تقيم ببلدة مات فيها ولا يأويها بيت فلم تزل سائحة حتى هلكت حزنا ، وكانت وفاته يوم الخميس فنذرت أن تبكيه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس .

قال السهيلى : ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا » وذكر أن إلياس كان يسمع من صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وسلم بالحج .

وروى مسلم عن موسى بن سلمة الهذلى قال « انطلقت أنا وسنان بن سلمة معتمرين . قال : وانطلق سنان ومعه بدنة يسوقها فأرجفت عليه بالطريق ، فغمنى شأنها إذ هى أبدعت : أى كلت ، فأتينا إلى ابن عباس نسأله فقال : على الخبير سقطت ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بست عشرة بدنة مع رجل وأمره فيها فقال : يارسول الله وما أصنع بما أبدع على منها ؟ قال صلى الله عليه وسلم : انحرها ثم أصبغ نعلها فى دمها ثم اجعله على صفحتها ، ولا تأكل منها أنت ولا أحد من رفقتك » وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء الكلام على الهدى .

وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال له : اركبها . فقال : يا رسول الله إنها بدنة ، قال : اركبها . قال : إنها بدنة . قال : اركبها ، ويلك فى الثانية أو فى الثالثة » وفى رواية « ويلك اركبها ويلك اركبها » .

وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : إذا أردت أن تنحر البدنة فأقمها ثم قل : الله أكبر اللهم منك وإليك ، ثم سم وانحرها وكذلك فى الأضحية .

وفى الصحيحين عن زياد بن جبير قال « رأيت ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها فقال : ابعثها قائمة مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن قرط أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر ، وقرّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس بدنات أو ست ينحرهن فطفقن يزدلفن إليه أيتهن يبدأ بها » .

وفى ركوب البدنة مذاهب للعلماء : فذهب الشافعى إلى أنه يركبها إذا احتاج ولا يركبها من غير حاجة وإنما يركبها بالمعروف من غير إضرار بها ، وبهذا قال ابن المبارك وابن المنذر وجماعة . وقال مالك وأحمد : له ركوبها من غير حاجة ، وبه قال عروة بن الزبير وإسحق بن راهويه . وقال أبو حنيفة : لا يركبها إلا أن لا يجد منه بدا . وحكى القاضى عن بعض العلماء : أنه يجب ركوبها لظاهر الأمر . ودليل الجمهور أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى ولم يركب هديه ولم يأمر الناس بركوب الهدايا ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم « ويلك » هذه الكلمة أصلها لمن وقع فى هلكة ، فقال له ذلك لأنه كان محتاجا قد وقع فى جهد وتعب ، وقيل هذه الكلمة تجرى على اللسان وتستعمل من غير قصد إلى ما وضعت له أولا وهى كقولهم : لا أم له ، لا أب له ، تربت يداه ، قاتله الله ، عقرى ، حلقى ، وما أشبه ذلك .

﴿ البذج ﴾ : بالذال المعجمة من أولاد الضأن ، بمنزلة العتود من أولاد المعز ، وجمعه بذجان ، قال الشاعر :

قد هلكت جارتنا من الهمج وإن تجع تأكل عتودا أو بذج

قال الجوهرى : ومراده بالهمج سوء التدبير فى المعاش ، وفى الحديث « لا يخرج رجل من النار كأنه بذج ترعد أوصاله » وروى ابن المبارك ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن وقتادة ، عن أنس رضى الله تعالى عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يجاء برجل يوم القيامة كأنه بذج من الذل ، فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول له : أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : رب جمعته ونميته وتركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به فيقول الله تعالى : أرنى ما قدمت ، فإذا هو عبد لم يقدم خيراً فيمضى به إلى النار » خرجه ابن العربى المالكى فى سراج المريدين ، وقال : حديث صحيح من مراسيل الحسن . قال الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب : رواه الترمذى عن إسماعيل بن مسلم المكى ، وهو رواه عن الحسن . والبذج بباء موحدة مفتوحة وذال معجمة ساكنة ثم جيم : من أولاد الضأن ، شبه به هذا لما يأتى به من الذل والحقارة انتهى . وفى مسند أبى يعلى الموصلى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج من الذل فيقول الله تعالى : أنا خير قسيم يا ابن آدم انظر إلى عملك الذى عملت لى

فأنا أجزيك به ، وانظر إلى عملك الذى عملت لغيرى فإن جزاءك على الذى عملت له » ورواه الحافظ أبونعيم فى ترجمة الربيع بن صبيح مرفوعا ، والبذج كلمة فارسية تكلمت بها العرب ، وعن بعض الأعراب : أنه وجد متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم أمتنى ميتة أبى خارجة ، فقيل له : وكيف مات أبو خارجة ؟ قال : أكل بذجاً ، وشرب مشعلا ، ونام شامساً ، فلقى الله تعالى شبعان ريان دفآن . المشعل : إناء ينبذ فيه .

(الأمثال) قالوا : فلان أذل من بذج لأنه أضعف ما يكون من الحملان .

﴿ البراق ﴾ : الدابة التى ركبها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء . وركبها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مشتقة من البرق الذى يلمع فى الغيم ، كما روى فى حديث المرور على الصراط « فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفرس الجواد » وفى الصحيح « أنه دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه » ويؤخذ من هذا أنه أخذ من الأرض إلى السماء فى خطوة ، وإلى السموات السبع فى سبع خطوات . وبه يرد على من استبعد من المتكلمين إحضار عرش بلقيس فى لحظة واحدة . وقال : إنه أعدم ثم أوجد . وعلله بأن المسافة البعيدة لا يمكن قطعها فى هذه اللحظة ، وهذا أوضح دليل فى الرد عليه .

قال السهيلى : ومما يسأل عنه شماس البراق حين ركبه ، فقال له جبريل عليه السلام : أما تستحيى يا براق فما ركبك عبد قبل محمد أكرم على الله منه .

قال ابن بطال : إنما كان ذلك لبعد عهده بالأنبياء وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

ونقل النووى عن الزبيدى فى [مختصر العين] وعن صاحب التحرير : أنها دابة كان الأنبياء عليهم السلام يركبونها ، ثم قال : وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح .

وقال صاحب المقتفى : والحكمة فى كونه على هيئة بغل ولم يكن على هيئة فرس ، التنبيه على أن الركوب كان فى سلم وأمن لا فى حرب وخوف ، أو لإظهار الآية فى الإسراع العجيب فى دابة لا يوصف شكلها بالإسراع ، فإن قيل : ركب صلى الله عليه وسلم البغلة فى الحرب ، فالجواب أن ذلك كان لتحقيق نبوته وشجاعته صلى الله عليه وسلم . قال : وكان البراق أبيض وكانت بغلته شهباء وهى التى أكثرها بياض إشارة إلى تخصيصه بأشرف الألوان .

قال : واختلف الناس هل ركب جبريل عليه السلام معه صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل نعم ، كان رديفه صلى الله عليه وسلم . قال : والظاهر عندى أنه لم يركب معه لأنه صلى الله عليه وسلم هو المخصوص بشرف الإسراء ، لكن روى أن إبراهيم عليه السلام كان يزور ولده إسماعيل

على البراق ، وأنه ركبه هو وإسماعيل وهاجر حين أتى بهما البيت الحرام. وفى أواخر المستدرك عن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق فركبت خلف جبريل » إلى أن قال : تفرد به أبو حمزة ميمون الأعور ، وقد اختلفوا فيه .

وفيه فى ذكر مناقب فاطمة الزهراء رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تبعث الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة على النواب ليوافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر ، ويبعث صالح على ناقته ، وأبعث على البراق خطوها عند أقصى طرفها ، وتبعث فاطمة أمامى » وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهانى فى كتاب [الحجة إلى بيان المحجة] : إن قيل لم عرج البراق به صلى الله عليه وسلم إلى السماء ولم ينزل عند منصرفه عليه ؟ فالجواب : أنه عرج به عليه إظهاراً لكرامته ولم ينزل عليه إظهاراً لقدرة الله تعالى ، وقيل دل بالصعود على النزول به عليه كقوله تعالى — سرابيل تقيكم الحر — يعنى والبرد وكقوله — بيده الخير — أى والشر. وقال حذيفة : مازايل ظهر البراق حتى رجع . ثم إن البراق يوم القيامة يركبه النبى صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء يدل لذلك ما رواه الحاكم قريباً ، وما رواه أبو الربيع بن سبع السبتى فى [شفاء الصدور] عن سويدبن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « حوضى أشرب منه يوم القيامة أنا ومن استسقانى من الأنبياء عليهم السلام ، ويبعث الله تعالى لصالح ناقته يحلبها ويشرب هو والذين آمنوا معه ، ثم يركبها حتى يوافى بها الموقف ولها رغاء ، فقال له رجل : يارسول الله وأنت يومئذ على العضباء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : تلك تحشر عليها ابنتى فاطمة ، وأنا أحشر على البراق أخص به دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » ٥

واختلف الناس فى تاريخ الإسراء ؛ فقال ابن الأثير : الصحيح عندى أنه كان ليلة الاثنين لسبع وعشرين من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة ، وبهذا جزم شيخ الإسلام محيى الدين النووى فى شرح مسلم ؛ وجزم فى فتاويه فى كتاب الصلاة بأنه كان فى شهر ربيع الآخر . وفى سير الروضة أنه كان فى رجب ، وإنما كان ليلا لتظهر الخصوصية بين جليس الملك نهاراً وجليسه ليلا .

قال أهل التاريخ : ولد النبى صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وأقام فى بنى سعد خمس سنين ثم توفيت أمه بالأبواء وهو ابن ست سنين ، وكفله جده عبد المطلب ثم توفى وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وخرج معه إلى الشام وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم فى تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها فى تلك السنة ، وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وبعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وتوفى أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما ، وتوفيت خديجة رضى الله تعالى عنها بعد أبى طالب بثلاثة أيام ، ثم خرج صلى الله عليه وسا

إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة رضى الله عنه بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة رضى الله تعالى عنها فأقام به شهرا ثم رجع إلى مكة فى جوار المطعم بن عدى ، فلما أتت له خمسون سنة قدم عليه جن نصيبين فأسلموا . فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسرى به صلى الله عليه وسلم ، وهاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وهى السنة الثالثة عشر من بعثته صلى الله عليه وسلم ، وقيل هاجر فى الرابعة عشر من بعثته صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر الصديق ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط ، وهذه السنة عليها مبنى التاريخ الإسلامى وهى سنة أحد ، وفيها آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصحابة رضى الله عنهم واتخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه أخا ، وفيها أتمت صلاة الحضر وقصرت صلاة السفر ، وفيها تزوج على فاطمة رضى الله تعالى عنهما ، وفى سنة اثنين كانت غزوة ودان وهو اسم مكان ، وغزوة بواط وهى من ناحية رضوى ، وغزوة العشيرة وغزوة بدر الأولى وكانت فى جمادى الآخرة ، وغزوة بدر الكبرى ، وهى التى قتل فيها صناديد قريش وأعز الله تعالى بها الدين ، وكانت يوم الجمعة ثالث عشر رمضان ، وغزوة بنى سليم وكانت فى ذى الحجة خرج صلى الله عليه وسلم يريد أبا سفيان فلم يلقه ، وفى سنة ثلاث كانت غزوة بنى غطفان وغزوة نجران وغزوة قينقاع وغزوة أحد وغزوة حمراء الأسد ، وفى سنة أربع كانت غزوة بنى النضير وغزوة ذات الرقاع ، وفى سنة خمس كانت غزوة دومة الجندل وغزوة الخندق وغزوة بنى قريظة ، وفى سنة ست كانت غزوة بنى لحيان وغزوة بنى المصطلق ، وفى سنة سبع اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم المنبر وغزا غزوة خيبر وفيها كانت قصة فدك وهى مشهورة ، وكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، وفى سنة ثمان كانت غزوة مؤتة وفتح مكة المشرفة وغزوة حنين وغزوة الطائف وقسمة أموال هوازن ، وفى سنة تسع كانت غزوة تبوك ، وفى سنة عشر كانت حجة الوداع ونحر فيها بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة وأعتق ثلاثا وستين رقبة هى عدد سنى عمره ، وفى سنة إحدى عشرة كانت وفاته صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء الوجع فى مستهل شهر ربيع الأول وتوفى فى الثانى عشر منه ، وعاش صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة وكانت مدة مقامه فى المدينة عشر سنين ، وقد تقدم ذكر ذلك فى باب الهمزة فى الكلام على الإوز .

وكان أولاده صلى الله عليه وسلم كلهم من خديجة رضى الله تعالى عنها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية ، وهم الطيب والطاهر والقاسم وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وإبراهيم سلام الله ورضوانه عليهم أجمعين . فأما الذكور فماتوا كلهم أطفالا ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم فى حياة خديجة غيرها ، فلما ماتت تزوج سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها ، وعائشة رضى الله تعالى عنها ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها ، وماتت رضى الله عنها

فى أيام معاوية رضى الله تعالى عنه سنة ثمان وخمسين عن سبع وستين سنة ، وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما سنة ثلاث ، وتوفيت فى أيام عثمان رضى الله تعالى عنه ، وتزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة ، وتوفيت فى حياته صلى الله عليه وسلم ، ولم يمت عنده من نسائه غيرها وغير خديجة رضى الله تعالى عنهما ، وتزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضى الله تعالى عنها سنة أربع وأمها عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفيت سنة تسع وخمسين فى أيام معاوية أيضاً رضى الله تعالى عنه ، وقيل توفيت سنة إحدى وستين فى يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين رضى الله تعالى عنه ، وتزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فى سنة خمس ، وتوفيت فى سنة عشرين فى أيام عمر رضى الله تعالى عنهما ، وهى أول أزواجه صلى الله عليه وسلم لحوقا به ، وتزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبى سفيان ، وتوفيت سنة أربع وأربعين فى أيام أخيها معاوية رضى الله عنهما ، وتزوج جويرية بنت الحارث المصطلقية ، توفيت سنة ست وخمسين فى أيام معاوية ، وتزوج ميمونة بنت الحارث فى سنة سبع ، وتوفيت سنة أربعين ، ومات عليه الصلاة والسلام عن تسع .

﴿ البرذون ﴾ : بكسر الباء وبالذال المعجمة والجمع براذين والأنثى برذونة ، وكنيته أبو الأخطل ، كنى به لخطل أذنيه وهو استرخاؤهما بخلاف أذن الفرس العربى ، وهو الذى أبواه أعجميان والأعجمى من الناس الذى لايفصح الكلام عجميا كان أو عربيا ؛ ألا ترى أنهم قالوا : زياد الأعجم لعجمة كانت فى لسانه وهو عربى ، قال صلى الله عليه وسلم « صلاة النهار عجماء » لإخفاء القراءة فيها لكن قال النووى : إنه حديث باطل ويطلق العجمى والأعجمى على من ليس من أهل الكلام ، قال صلى الله عليه وسلم « العجماء جرحها جبار » وهى الدابة المنفلتة ، وإلا فالإجماع على تضمين السائق والقائد ، وقال صاحب منطق الطير : إن البرذون يقول كل يوم : اللهم إنى أسألك قوت يوم بيوم . وروى الحاكم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : « كأنى بالترك وقد أتتكم على براذين مجدعة الآذان حتى تربطها بشط الفرات » . وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه مر بمروان وهو يبنى فى داره بالمدينة . قال : فجلست إليه والعمال يعملون ، فقلت : ابنوا مشيدا وأملوا بعيدا وموتوا قريبا ، فقال مروان : إن أبا هريرة يحدث العمال ، فماذا تقول لهم يا أبا هريرة ؟ قال : قلت : ابنوا مشيدا وأملوا بعيدا وموتوا قريبا ، يا معشر قريش ثلاث مرات اذكروا كيف كنتم أمس وكيف أصبحتم اليوم تخدمون ؟ أرقاؤكم فارس والروم كلوا خبز السميد واللحم السمين لايأكل بعضكم بعضا ، ولا تكادموا تكادم البرازين ، وكونوا اليوم صغارا تكونوا

غداكباراً ، والله لايرتفع رجل منكم فى الدنيا درجة إلا وضعه الله يوم القيامة درجة ».
وأنشد السراج الوراق فى مناهج الفكر فى أوصاف الخيل المذمومة :

لصاحب الأحباس برذونة بعيدة العهد عن القرط
إذا رأت خيلا على مربط تقول سبحانك يا معطى
تمشى إلى خلف إذا ما مشت كأنما تكتب بالقبطى

قال الجاحظ : سألت بعض الأعراب أى الدواب آكل ؟ قال برذونة رغوث .

وفى أواخر الجزء الخامس من الغيلانيات وفى المستدرك فى كتاب اللباس عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على برذون وعليه عمامة وقد أرخى طرفها بين كتفيه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال : هل رأيته ؟ قلت : نعم ، قال : ذاك جبريل أمرنى أن أمضى إلى بنى قريظة » .

وقال فى الكامل فى حوادث سنة خمس عشرة : لما افتتح عمر رضى الله عنه بيت المقدس وقدم إلى الشام أربع مرات : الأولى على فرس ، والثانية على بعير ، والثالثة رجع لأجل الطاعون ، والرابعة على حمار ، وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية فركب فرسه فرأى به عرجا فنزل عنه ، وأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به : أى يزهو فى مشيته ، فنزل عنه وصرف عنه وجهه وقال : لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ، ثم ركب ناقته ولم يركب برذونا بعده ولا قبله أبداً ، وكان عمر رضى الله تعالى عنه لما أراد الخروج إلى الشام استخلف على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له على : أنت تخرج بنفسك إلى هذا العدو الكلب ؟ فقال عمر رضى الله تعالى عنه : أبادر بالجهاد قبل موت العباس رضى الله تعالى عنه ، إنكم إذا فقدتم العباس رضى الله تعالى عنه انتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل ، فمات العباس رضى الله تعالى عنه لست سنين من خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه ، وانتقض بالناس الشر كما قال عمر رضى الله عنه .

وفى [وفيات الأعيان] فى ترجمة أبى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصرى شيخ البصريين فى الاعتزال قال : خرجت من البصرة على برذون أريد المأمون ببغداد ، فسرت إلى دير هرقل فإذا رجل مشدود فى حائط الدير ، فسلمت عليه فرد على السلام وحملق إلى وقال : أمعتزلى أنت ؟ قلت : نعم ، قال : وإمامى أنت ؟ قلت : نعم ، قال : أنت إذن أبو الهذيل العلاف ، قلت : أنا ذاك ، قال : فهل للنوم لذة ؟ قلت : نعم ، قال : ومتى يجدها صاحبها ؟ فقلت لقلبى : إن قلت مع النوم أخطأت فإنه ذاهب العقل ، وإن قلت قبل النوم أخطأت أيضاً لأنك أحلت على عدم ، وإن قلت بعد النوم غلطت لأنه شىء قد انقضى . قال : فتحير فهمى وجال فى الخاطر وهمى وقلت له : قل أنت حتى أسمع منك ؛ وأنقل

عنك فقال : بشرط أن تسأل امرأة صاحب هذا الدير أن لاتضربنى يومى هذا ، فسألتها فأجابت ، فقال : اعلم أن النعاس داء يحل بالبدن ودواؤه النوم ، فاستحسنت ذلك منه وهممت بالانصراف فقال : يا أبا الهذيل قف واسمع مسئلة عظمى . قال : ما تقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هو فى السماء والأرض ؟ قلت : نعم ، قال : أتحب أن يكون الخلاف فى أمته أم الوفاق ؟ قلت : بل الوفاق والاتفاق ، فقال : قال تعالى — وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين — فما باله صلى الله عليه وسلم حين مرض مرض موته ماقال هذا خليفتكم من بعدى . وقد نص صلى الله عليه وسلم على الوصية وحث عليها وحرّض ؟ قال أبو الهذيل : فلم أحر جوابا ، وسألته الجواب فنكرت حاله ففتلت عنان برذونى وانصرفت عنه ، فوصلت إلى المأمون ، فاستخبرنى عن طريقى فأخبرته بما جرى ، فأمر بإحضاره على حالته التى هو عليها فأحضر ، فقال له المأمون : أعد السؤال الذى سألت عنه أبا الهذيل فأعاده ، وكان فى المجلس جماعة من العلماء الأفاضل ، فما منهم من أجاب ، فقال له المأمون : ما الجواب ؟ فقال : سبحان الله أكون سائلا ومجيبا فى حالة واحدة ؟ فقال المأمون : وما عليك أن تفيدنا ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، اعلم أن الله عز وجل حكم فى سالف أزله وقضى وقدر فى سابق علمه ، وأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك على حكمه ، فلم يكن له أن يتعداه ولا أن يتخطاه ، فترك الأمر على ما قدره الله تعالى وقضاه إذ لاراد لأمره ولا معقب لحكمه ، فاستحسن المأمون ذلك ، وعرض له شغل فقام داخلا إلى داره ، فقال له المجنون : يا ابن اللخناء أخذت منفوعنا وفررت منا ، فعاد المأمون وقال : ما تشتهى ؟ فقال : ألف دينار . قال : وما تصنع بها ؟ قال : آكل بها كسبا وتمراً ، فأمر له بها وحمله إلى أهله وهو على حاله ، وتوفى أبو الهذيل العلاف سنة سبع وعشرين ومائتين .

وذكروا أن السنة فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنعه المعرفة بالأشياء ، وقد نفى الله ذلك عن نفسه بقوله تعالى — لا تأخذه سنة ولا نوم — لأنه آفة وهو سبحانه وتعالى منزه عن الآفات ، ولأنه تغير ولا يجوز عليه تبارك وتعالى .

وذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب [الأذكياء] عن خالد بن صفوان التيمى أنه دخل على أبى العباس السفاح وليس عنده أحد فقال : يا أمير المؤمنين إنى والله ما زلت منذ قلدك الله الخلافة أطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف فى الخلوة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فليفعل ، فأمر الحاجب بذلك فقال : يا أمير المؤمنين إنى فكرت فى أمرك وأجلت الفكر فيك فلم أر أحداً له قدرة واتساع على الاستمتاع بالنساء مثلك ، ولا أضيق فيهن عيشا منك ، إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرت عليها ؛ فإن مرضت مرضت ، وإن غابت غبت ، وإن عركت عركت ، وحرمت نفسك

يا أمير المؤمنين التلذذ باستطراق الجوارى ومعرفة اختلاف أحوالهن ، والتلذذ بما يشتهى منهن ، فإن منهن الطويلة التى تشتهى لجسمها ، والبيضاء التى تحب لرؤيتها ، والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر ، وبنات سائر الملوك ، وما يشتهى من نضارتهن ونظافتهن ، وتخلل خالد بلسانه فأطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوّقه إليهن ، فلما فرغ من كلامه قال له السفاح : ويحك ملأت مسامعى بما شغل خاطرى والله ما سلك مسامعى كلام أحسن من هذا فأعد على كلامك فقد وقع منى موقعا ، فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه ثم قال له : انصرف، فانصرف وبقى أبو العباس مفكراً فدخلت عليه أم سلمة زوجته، وكان قد حلف لها أن لا يتخذ عليها زوجة ولا سرية ووفى لها بذلك ، فلما رأته على تلك الحالة قالت له : إنى لأنكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شىء تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له ؟ قال : لا ، فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد ، فقالت : وما قلت لابن الفاعلة ؟ فقال لها : أينصحنى وتشتميه، فخرجت إلى مواليها وأمرتهم بضرب خالد. قال خالد: فخرجت من الدار مسروراً بما ألقيت إلى أمير المؤمنين ولم أشك فى الصلة، فبينما أنا واقف إذ أقبلوا يسألون عنى فحققت أنه أمر لى بالجائزة ، فقلت لهم : ها أناذا فاستبق إلى أحدهم بخشبة فغمزت برذونى ، فلحقنى وضرب كفل البرذون فركضت ، ففتهم واستخفيت فى منزلى أياما ، ووقع فى قلبى أنى أتيت من أم سلمة، فبينما أنا ذات يوم جالس فى المجلس فلم أشعر إلا بقوم قد هجموا علىّ وقالوا أجب أمير المؤمنين ، فسبق إلى قلبى أنه الموت فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لم أر دم شيخ أضيع من دمى ، فركبت إلى دار أمير المؤمنين فأصبته جالساً ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق، وسمعت حسا من خلف الستر ، فأجلسنى ثم قال: ويحك يا خالد، وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب إنما اشتقت اسم الضرتين من الضرر، وأن أحداً لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلا كان فى ضر وتنغيص ، فقال السفاح : لم يكن هذا كلامك أولا ، قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس ويشبن الرءوس ، فقال السفاح : برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت سمعت هذا منك أو مر فى حديثك ، قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجموع لصاحبهن يشينه ويهرمنه . قال : والله ما سمعت هذا منك أولا ، قلت : بلى والله ، قال : أتكذبنى ؟ قلت : أفتقتلنى نعم والله يا أمير المؤمنين إن أبكار الإماء رجال إلا أنهن ليس لهن خصى. قال خالد : فسمعت ضحكا من خلف الستر ، ثم قلت : والله وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش وأنت تطمح بعينيك إلى النساء والجوارى ، فقيل لى من وراء الستر : صدقت والله يا عماه بهذا حدثته ،

ولكنه غير حديثك ونطق بما فى خاطره عن لسانك ، فقال له السفاح : قاتلك الله ، قال خالد : فانسللت وخرجت ، فبعثت إلى أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب.

(الحكم) هو كعموم الخيل .

(الخواص) إذا شربت امرأة دم برذون لم تحمل أبداً ، وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت لخاصية فيه ، وإذا جفف وذر منه فى الأنف حبس الرعاف ، وإذا ذر على الجراحات حبس الدم .

(التعبير) البرذون فى المنام خصومة ، وقيل غلام ، ويعبر أيضا برجل أعجمى ، والبراذين رجال أعاجم ، ويعبر أيضا بامرأة ، فمن سرق برذونه طلق زوجته ، وضياعه فجور المرأة والله أعلم .

﴿ البرغش ﴾ : بفتح الباء والغين المعجمة نوع من البعوض ، وأنشد الحافظ زكى الدين عبد العظيم لشيخه الحافظ أبى الحسن المقدسى شيخ والد الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ، ووفاته فى مستهل شعبان سنة إحدى وعشرين وستمائة بالقاهرة :

ثلاث يا آت بلينا بهـا البق والبرغوث والبرغش
ثلاثة أوحش ما فى الورى يا ليت شعرى أيها أوحش

﴿ البرغن ﴾ : بفتح الباء والغين المعجمة وضمهما : ولد البقرة الوحشية .

﴿ البرغوث ﴾ : بالثاء المثلثة واحد البراغيث ، وضم بائه أشهر من كسرها ؛ وقولهم : أكلونى البراغيث لغة طيء وهى لغة ثابتة خرجوا عليها قوله تعالى — وأسروا النجوى الذين ظلموا — على أحد المذاهب ، وقوله عز وجل — خشعا أبصارهم — ومثله «يتعاقبون فيكم ملائكة» وقوله فى صحيح مسلم وغيره « حتى احمرتا عيناه » أشباهه كثيرة معروفة .

وقال سيبويه : لغة أكلونى البراغيث ليست فى القرآن . قال : والضمير فى — وأسروا النجوى — فاعل والذين بدل منه ، وكنية البرغوث : أبو طاهر وأبو عدى وأبو الوثاب ، ويقال له طامر بن طامر ، وهو من الحيوان الذى له الوثب الشديد ، ومن لطف الله تعالى به أنه يثب إلى ورائه ليرى من يصيده لأنه لو وثب إلى أمامه لكان ذلك أسرع إلى حمامه .

وحكى الجاحظ عن يحيى البرمكى : أن البرغوث من الخلق الذى يعرض له الطيران كما يعرض للنمل ، وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ بعد أن يتولد ، وهو ينشأ أولا من التراب لاسيما فى الأماكن المظلمة ، وسلطانه فى أواخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع ، وهو أحدب نزاء ، ويقال إنه على صورة الفيل له أنياب يعض بها ، وخرطوم يمص به .

(وحكمه) تحريم الأكل واستحباب قتله للحلال والمحرم ، ولا يسب لما روى الإمام

أحمد والبزار والبخارى فى الأدب والطبرانى فى الدعوات عن أنس رضى الله تعالى عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال : لا تسبه فإنه أيقظ نبيا لصلاة الفجر » وفى معجم الطبرانى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال « ذكرت البراغيث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنها توقظ للصلاة » أى لصلاة الفجر . وفيه عن على رضى الله تعالى عنه قال « نزلنا منزلا فآذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتسبوها فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله تعالى » ويعفى عن قليل دمها فى الثوب والبدن لعموم البلوى به وعسر الاحتراز .

وقال أبو عمر بن عبد البر : أجمع العلماء على التجاوز والعفو عن دم البراغيث ما لم يتفاحش .

قال أصحابنا : ولا خلاف فى العفو عن قليله إلا إذا حصل بفعله كما إذا قتله فى ثوبه أو بدنه ففى العفو عنه وجهان أصحهما العفو أيضا ، وكذلك كل ما ليس له نفس سائلة كالبق والبعوض وشبههما .

وسئل شيخ الإسلام عز الدين عبد السلام عن ثوب فيه دم البراغيث هل يجوز للإنسان أن يلبسه رطبا ثم يصلى فيه ؟ وإذا عرق فيه هل يصلى فيه ؟ وهل يتنجس بذلك بدنه أو يعفى عنه ؟ وهل يندب له غسله قبل وقته المعتاد ؟ فأجاب نعم ينجس الثوب والبدن بذلك ولا يؤمر بغسله إلا فى الأوقات المعتادة ، وغسله فى غير ذلك ورع خارج عما كان السلف عليه ، وكانوا أحرص على حفظ أديانهم من غيرهم ، وأما الكثير من دم البراغيث فالأصح عند المحققين كما قاله النووى العفو عنه مطلقا سواء انتشر بعرق أم لا .

(فائدة مجربة صحيحة للبراغيث) وهو أن تأخذ قصبة فارسية وتلطخها بلبن حمارة وشحم تيس وتغرسها فى وسط الدار ، ثم تقول ٢٥ مرة : أقسمت عليكم أيها البراغيث أنكم جند من جنود الله من عهد عاد وثمود ، وأقسمت عليكم بخالق الوجود الفرد الصمد المعبود أن تجتمعوا إلى العود ولكم على المواثيق والعهود أن لا أقتل منكم والدا ولا مولود فإنها تجتمع فإذا اجتمعت إلى العود فخذها وارمها إلى مكان آخر ولا تقتل منها أحدا يبطل السر ، ثم تكنس البيت وتقول عليه ٤٠ مرة — ومالنا أن لانتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون — فإن فعل ذلك لم يدخل البيت برغوث أبدا ، وهو سر لطيف مجرب .

(فائدة) سئل مالك رحمة الله عليه عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق مليا ثم قال : ألها نفس سائلة ؟ قالوا : نعم . قال : ملك الموت يقبض أرواحها ، ثم قرأ قوله تعالى — الله يتوفى الأنفس حين موتها — الآية . ويدل له ما يأتى فى البعوض .

(الأمثال) قالوا : أطمر من برغوث ، وأطير من برغوث .

(وخاصيته) اللسع والأذى : قال بعض الأعراب يصف البراغيث وقد سكن مصر :

تطاول فى الفسطاط ليلى ولم يكن بأرض الفضا ليل علىّ يطول
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة وليس لبرغوث علىّ سبيل

وقد أجاد مجد الدين أبو الميمون الكنانى حيث قال ملغزا فى البراغيث :

ومعشر يستحل الناس قتلهم كما استحلوا دم الحجاج فى الحرم
وإذا سفكت دما منهم فاسفكت يداى من دمه المسفوك غير دمى

وقال أبو الحسن بن سكرة الهاشمى فى مليح يعرف بابن برغوث :

بليت ولا أقول بمن لأنى متى ما قلت من هو يعشقوه
حبيب قد نفى عنى رقادى فإن أغمضت أيقظنى أبوه

ومن محاسن شعره :

كأن خالا لاح فى خـــده للعين فى سلسلة من عذار
أسود يستخدم فى جنـــة قيده مولاه خوف الفرار

وله أيضاً :

وما عشقى له وحشا لأنى كرهت الحسن واخترت القبيحا
ولكن غرت أن أهوى مليحا وكل الناس يهوون المليحا

وله أيضاً :

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فإنك إن لم تغفر الذنب فى الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وقيل : إن هذين البيتين للعباس بن الأحنف ، توفى ابن سكرة سنة خمس وثمانين وثلثمائة.

(فائدة) روى ابن أبى الدنيا فى كتاب [التوكل] أن عامل أفريقيـــة كتب إلى عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه يشكو إليه الهوام والعقارب . فكتب إليه : وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول — ومالنا أن لا نتوكل على الله — الآية ، قال زرعة بن عبد الله أحد رواته : وينفع من البراغيث ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء آية أخرى نظير هذه ذكرها فى [فردوس الحكمة] وفى كتاب [الدعوات] للمستغفرى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه وشرح [المقامات] للمسعودى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا آذاك البرغوث فخذ قدحا من ماء واقرأ عليه سبع مرات — ومالنا أن لانتوكل على الله — الآية ، ثم تقول : إن كنتم مؤمنين فكفوا شركم وأذاكم عنا ، ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمنا من شرها » وقال حسين بن إسحق : والحيلة فى طرد البراغيث أن

يؤخذ شيء من الكبريت والرواند فيدخن بهما فى البيت فإنهن يهربن أو يمتن ، أو يحفر فى البيت حفيرة ويلقى فيها ورق الدفلى فإنهن يأوين إليها كلهن فيقعن فيها . وقال الرازى : يرش البيت بطبيخ الشونيز فإنه يقتل براغيثه . وقال غيره : إذا نقع السداب فى ماء ورش فى بيت ماتت براغيثه ، وإذا بخر البيت بمشاق الكتان القديم وقشور النارنج لا تعود البراغيث إليه أبدا ، وإذا دخل البرغوث فى أذن الإنسان اليمنى فليمسك بيده اليمنى خصية نفسه اليسرى ، وإذا دخل فى أذنه اليسرى فليمسك بيده اليسرى خصية نفسه اليمنى ، فإنه يخرج سريعا .

(التعبير) البراغيث فى المنام : أعداء ضعاف طعانون ، وتعبر أيضا بأوباش الناس ، وقال جاماسب : من قرصه برغوث نال مالا .

﴿ البرا ﴾ : بضم الباء طائر يسمى السمويل ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة .

﴿ البرقانة ﴾ : الجرادة المتلونة ، وجمعها برقان قاله ابن سيده .

﴿ البرقش ﴾ : بكسر الباء الموحدة ثم راء مهملة فقاف فشين معجمة طائر صغير مثل العصفور ، ويسميه أهل الحجاز الشرشور . وأما أبو براقش فسيأتى فى آخر الباب إن شاء الله تعالى ، وبراقش اسم كلبة ضرب بها المثل فقالوا : على أهلها دلت براقش ، لأنها سمعت وقع حوافر الدواب فنبحت ، فاستدلوا بنباحها على القبيلة فاستباحوهم .

﴿ البركة ﴾ : بالضم طائر من طيور الماء ، والجمع برك . قال زهير يصف قطاة فرت من صقر إلى ماء جار على وجه الأرض :

حتى استغاثت بماء لا رشاء له بين الأباطح فى حافاته البرك

قال ابن سيده : البركة من طير الماء ، والجمع برك وأبراك وبركان ، وعندى أن أبراكا وبركانا جمع الجمع ، والبركة أيضا الضفدع ، وقد فسر به بعضهم قول زهير : فى حافاته البرك انتهى كلامه . قال : والبرك جماعة الإبل البارکة الواحد بارك والأنثى باركة قاله فى [العباب] .

﴿ البشر ﴾ : الإنسان الواحد ، والجمع والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء وقد يثنى ، وفى التنزيل — أنؤمن لبشرين مثلنا — والجمع أبشر .

﴿ البط ﴾ : طائر الماء الواحدة بطة وليست الهاء للتأنيث وإنما هى للواحد من الجنس ، يقال هذه بطة للذكر والأنثى جميعا مثل حمامة ودجاجة وليس بعربى محض ، والبط عند العرب صغاره وكباره إوز .

(وحكمه وخواصه) كالإوز، وفى مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن رويس قال: دخلت على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى يوم نحر فقرب إلينا خزيرة، فقلنا: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط : يعنون الإوز ، فإن الله تعالى قد أكثر الخير ، فقال: يا ابن رويس ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لخليفة من مال الله تعالى إلا قصعتان قصعة يأكلها وقصعة يضعها بين أيدى الناس »وفى [كامل] ابن عدى فى ترجمة على ابن زيد بن جدعان : قال سفيان بن عيينة : سمعت على بن زيد بن جدعان سنة سبع وستين يقول : مثل النساء إذا اجتمعن بمنزلة البط إذا صاحت واحدة صحن جميعا .

(فرع) قال الماوردى : البط الذى لا يطير من الإوز لا جزاء فيه إذا قتله المحرم لأنه ليس بصيد ، وقال غيره :الطيور المائية التى تغوص فى الماء وتخرج منه محرمة على المحرم ومثلوه بالبط ، أما الذى لايعيش إلا فى الماء كالسمك فلا يحرم صيده ولا جزاء فيه،والجراد من صيد البر يجب الجزاء بقتله على الصحيح .

ومن الأمثال السائرة بين العامة : أو للبط تهددين بالشط . قلت : وقد أذكرنى هذا ما حكاه القاضى أحمد بن خلكان رحمه الله فى ترجمة السلطان نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله ، وكان بينه وبين أبى الحسن سنان بن سليمان بن محمد الملقب براشد الدين صاحب القلاع الإسماعيلية مكاتبات ، فكتب السلطان إليه كتابا يهدده فيه، فكتب سنان جوابه أبياتا ورسالة وهما :

يا للرجال لأمر هال مفظعه ما مر قط على سمعى توقعه
ياذا الذى بقراع السيف هددنا لا قام قائم جنبى حين تصرعه
قام الحمام إلى البازى يهدده واستيقظت لأسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى بأصبعه يكفيه ما قد تلاقى منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما تهددنا به من قوله وعمله ، فبالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل ، وبعوضة تعدّ فى التماثيل ، ولقد قالها قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وماكان لهم ناصرون، أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون—وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون — وأما ما صدرت به من قولك من قطع رأسى وقلعك لقلاعى من الجبال الرواسى فتلك أمانى كاذبة وخيالات غير صائبة ، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لاتضمحل بالأمراض ، كم بين قوىّ وضعيف ودنى وشريف ، وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « ما أوذى نبى ما أوذيت » وقد علمتم ما جرى على عشيرته وأهل بيته وشيعته ، والحال ماحال والأمر مازال ،ولله الحمد فى الآخرة والأولى إذ نحن مظلومون لا ظالمون ومغصوبون

لا غاصبون — وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا — وقد علمتم ظاهر حالنا وكيف قتال رجالنا ومايتمنونه من الفوت ويتقربون به إلى حياض الموت قل — فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين — وفى أمثال العامة السائرة: أو للبط تهددين بالشط ، فهى للبلايا جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا ، فلأظهرن عليك منك ولأفنينهم فيك عنك ، ولا تكونن كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه، وإذا وقفت على كتابنا فكن لأمرنا بالمرصاد ومن حالك على اقتصاد، واقرأ أول النحل وآخر صاد ، ثم ختمها بهذين البيتين :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت بيوتك فيه واستقر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها قدما وفينا جديدها

ويشبه هذا ما حكاه أيضا فى ترجمة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب وكان بينه وبين الأدفونش صاحب طليطلة مكاتبات قال : بعث الأدفونش رسولا إلى الأمير يعقوب يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض الحصون وكتب إليه رسالة من إنشاء وزيره ابن النجار وهى : باسمك اللهم فاطر السموات والأرض ، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح .

(أما بعد) فإنه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب أنك أمير الملة الحنيفية كما أنى أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل والتكاسل ، وإهمالهم أمر الرعية وإخلادهم إلى الراحة والأمنية ، وأنا أسوسهم بحكم القهر وجلاء الديار ، وأسبى الذرارى وأمثل بالرجال ، وأذيقهم عذاب الهون وشديد النكال ، ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم إذا أمكنتك يد القدرة ، وساعدك من عساكرك وجنودك ذو رأى وخبرة ، أنتم تزعمون أن الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا رحمة منه ومنا ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لانستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ، وقد حدثنا عنك أنك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك سنة بعد أخرى ، وتقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فلا أدرى أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بوعد ربك ، ثم قيل لى إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلا ، ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه سبيلا ، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك ، وأعتذر عنك ولك ، على أن تفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان ، وترسل إلى جملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والطرائد والمسطحات ، وإلا جزت بجملتى إليك فأقاتلك فى أعز الأماكن لديك ، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك ، وهدية عظيمة مثلت بين يديك ، وإن كانت لى كانت لى اليد العليا عليك ، واستحققت إمارة الملتين والحكم على البرين والله يوفق للسعادة ويسهل الإرادة لا رب غيره ولا خير إلا خيره .

فمزق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه : ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ، الجواب ما ترى لا ماتسمع ، واستشهد ببيت المتنبي :

ولا كتب إلا المشرفية عنده ولا رسله إلا الخميس العرموم

ثم أمر بكتب الاستنفار ، واستدعى الجيوش من الأمصار ، وضربت السرادقات من يومه بظاهر البلد ، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبته ، فعبر فيه إلى الأندلس ودخل بلاد الفرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم ، وكان الأمير يعقوب متمسكا بالشرع يأمر بالمعروف ويقيم الحدود حتى فى أهل بيته كما يقيمها فى الناس أجمعين ، وأمر برفض فروع الفقه وأن الفقهاء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية ولا يقلدون أحداً ، وأن تكون أحكامهم بما يؤدى إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس ، وقد وصل إلينا من المغرب جماعة على تلك الطريقة منهم أبو عمرو وأبو الخطاب ابنا دحية ، ومحيى الدين بن عربى الصوفى صاحب [الفصوص] و [الفتوحات المكية] وعنقاء مغرب وغيرهم ، وتوفى الأمير يعقوب فى سنة تسع أو عشر وستمائة رحمة الله تعالى عليه .

ولنعد إلى ذكر السلطان محمود . قال ابن الأثير : بلغ من عدل نور الدين الشهيد أنه أول من بنى دارا لكشف الظلامات وسماها دار العدل ، وسببه أنه لما أقام بدمشق بأمرائه وفيهم أسد الدين شيركوه تعدى كل منهم على من جاوره ، فكثرت الشكاوى إلى القاضى كمال الدين السهرووردى فأنصف بعضهم من بعض ، ولم يقدر على الإنصاف من شيركوه لأنه كان أكبر الأمراء ، فبلغ ذلك نور الدين الشهيد فأمر ببناء دار العدل ، فلما سمع شيركوه قال لنوابه : ما بنى نور الدين هذه الدار إلا بسببى وإلا فمن يمتنع على القاضى كمال الدين ؛ والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحد منكم لأصلبنه ، فامضوا إلى كل من كان بينكم وبينه شىء فافصلوا الحال معه وارضوه ولو أتى على جميع ما بيدى . قال : فظلم رجل بعد موت نور الدين الشهيد فشق ثوبه واستغاث يا نور الدين ، فاتصل خبره بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فأزال ظلامته ، فبكى الرجل أشد من الأول ، فسئل عن ذلك فقال : أبكى على سلطان عدل فينا بعد موته ، وتوفى نور الدين الشهيد فى شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق بعلة الخوانيق ، وكان الأطباء قد أشاروا عليه بالفصد فامتنع وكان مهيبا فاروجع ، ودفن بالقلعة ثم نقل إلى تربته بمدرسته التى أنشأها عند باب سوق الخواصين ، والدعاء عند قبره مستجاب وقد جرب ، وكان رحمه الله ملكا عادلا عابدا ورعا متمسكا بالشريعة مائلا إلى أهل الخير مجاهداً كثير الصدقات ، بنى المدارس بجميع بلاد الشام والمارستان بدمشق ودار الحديث بها ، وبنى بمدينة الموصل الجامع النورى ، وبحماة الجامع الذى على نهر العاصى وبنى الرباطات للصوفية ، والفنادق فى المنازل ؛ وأثر فى الإسلام آثاراً حسنة لم يسبق إليها ، وانتزع من أيدى

الكفار نيفا وخمسين مدينة ، ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى ، وتوفى السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بها .

قال ابن خلكان : ولما مات كتب القاضى الفاضل ساعة موته بطاقة إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب مضمونها : — لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة — إن زلزلة الساعة شىء عظيم — كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف فى الساعة المذكورة ، وقد زلزل المسلمون زلزالا شديداً ، وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر ، وقد ودعت أباك مخدومى وداعا لاتلاقى بعده وقبلت عنى وعنك خده ؛ وأسلمته إلى الله عز وجل مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضيا عن الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وبالباب من الأجناد المجندة والأسلحة والأعمدة مالا يرد البلاء ولا يملك دفع القضاء ، وتدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا عليك لمحزونون يا يوسف ، وأما الوصايا فلا يحتاج إليها والآراء فقد شغلتنى المصائب عنها ، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع الاتفاق فاعدمتم إلا شخصه الكريم ، وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة وهونها موته وهو البلاء العظيم والسلام ؛ وكان رحمه الله مع سعة ملكه كثير التواضع قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة يميل لأهل الفضل ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها فى مجلسه ، وكان كثيرا ما ينشد قول محمد بن الحسين الحميرى :

وزارنى طيف من أهوى على حذر ... من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا ... وكاد يهتف ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيـل لى ... نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وكان رحمه الله كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين وهما :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... وللمشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من دين أخيب

وعمر رحمه الله ستا وخمسين سنة وشهورا .

﴿ البطس ﴾ : أنواع من السمك لها مرارات يكتب بها الكتب ، فإذا جففت قرئت فى الظلام كما تقرأ بالنهار فى ضوء الشمس ؛ ذكر ذلك صاحب [المعطار] .

﴿ البعوض ﴾ : دويبة . قال الجوهرى : إنه البق الواحدة بعوضة وهو وهم والحق أنه صنفان . وهو يشبه القراد لكن أرجله خفيفة ورطوبته ظاهرة ، ويسمى بالعراق والشأم الجرجس . قال الجوهرى : وهو لغة فى القرقس وهو البعوض الصغار ، والبعوض على خلقة الفيل إلا أنه أكثر أعضاء من الفيل ، فإن للفيل أربع أرجل وخرطوماً وذنباً ، وله مع هذه

الأعضاء رجلان زائدتان وأربعة أجنحة ، وخرطوم الفيل مصمت وخرطومه مجوف نافذ للجوف، فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم، ولذلك اشتد عضها وقويت على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز :

مثل الثفاة دائما طنينها ركب فى خرطومها سكينها

ومما ألهمه الله تعالى أنه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان لايزال يتوخى بخرطومه المسام التى يخرج منها العرق لأنها أرق بشرة من جلد الإنسان ، فإذا وجدها وضع خرطومه فيها ، وفيه من الشره أن يمص الدم إلى أن ينشق ويموت أو إلى أن يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكه ، ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيبقى طريحا فى الصحراء فتجتمع السباع حوله والطير التى تأكل الجيف فمن أكل منها شيئا مات لوقته ، وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذب بالبعوض فيأخذ من يريد قتله فيخرجه مجردا إلى بعض الآجام التى بالبطائح ، ويتركه فيها مكتوفا فيقتل فى أسرع وقت وأقرب زمان ، وما أحسن قول أبى الفتح البستى فى هذا المعنى :

لا تستخفن الفتى بعداوة أبدا وإن كان العدو ضئيلا
إن القذى يؤذى العيون قليله ولربما جرح البعوض الفيلا

وما ألطف ما قال بعضهم :

لاتحقرن صغيرا فى عداوته إن البعوضة تدمى مقلة الأسد

ونحوه قول أبى نصر السعدى :

ولا تحقرن عدوا رماك وإن كان فى ساعديه قصر
فإن الحسام يحز الرقاب ويعجز عما تنال الإبر

وله أيضا ، وقيل إنه لجمال الدين بن مطروح :

يا من لبست عليه أثواب الضنا صفرا موشحة بحمر الأدمع
أدرك بقية مهجة لو لم تذب أسفا عليك رميتها عن أضلعى

ومن محاسن شعره أيضاً قوله :

لما وقفنا للوداع وصارما كنا نظن من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤا ونثرت من ورق البهار عقيقا

ونحوه قول إبراهيم بن على القيروانى صاحب [زهر الآداب] وغيره وكان كلفا بالمعذرين :

ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تستعد خلوقا
نظموا البنفسج بالشقيق ونضدوا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً شربة ماء » وكذلك رواه الحاكم وصححه . وقال الشاعر فى ذلك :

إذا كان شىء لايساوى جميعه جناح بعوض عند من كنت عبده

وأشغل جزء منه كلك ما الذى يكون على ذا الحال قدرك عنده

ومعنى هوان الدنيا على الله تعالى : أنه سبحانه لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقا موصلة إلى ماهو المقصود بنفسه ، وأنه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء وإنما جعلها دار محنة وبلاء ، وأنه ملكها فى الغالب الجهلة والكفرة وحماها الأنبياء والأولياء والأبدال ، وحسبك بها هوانا على الله أنه سبحانه وتعالى صغرها وحقرها وأبغضها وأبغض أهلها ومحبيها ، ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود منها والتأهب للارتحال عنها ، ويكفى فى ذلك مارواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه أو عالم أو متعلم » وهو حديث حسن غريب ، ولا يفهم من هذا إباحة لعن الدنيا وسبها مطلقا ، لما روى أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر ، إن العبد إذا قال لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه » خرجه الشريف أبو القاسم زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشمى ، وهذا يقتضى المنع من سب الدنيا ولعنها ، ووجه الجمع بينهما أن المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعدا عن ذكر الله وشاغلا عنه كما قال بعض السلف : كل مايشغلك عن ذكر الله من مال وولد فهو مشئوم عليك ، وهو الذى نبه عليه الله تعالى بقوله — اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد — وأما ماكان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل إنسان ، فمثل هذا لايسب بل يرغب فيه ويحب وإليه الإشارة بالاستثناء حيث قال « إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم » وهو المصرح به فى قوله « نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر » وبهذا يرتفع التعارض بين الحديثين : وفى الإحياء للغزالى فى الباب السادس من أبواب العلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد لينشر له من الثناء مابين المشرق والمغرب ولا يزن عند الله جناح بعوضة » وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليأتى الرجل السمين العظيم يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا إن شئتم فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا » رواه البخارى فى التفسير ومثله فى التوبة . قال العلماء : معنى هذا الحديث أنهم لاثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين القيامة ومن لاحسنة له فهو النار . وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله

تعالى عنه يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن عندالله شيئا . وقيل المراد المجاز والإستعارة كأنه قال : لاقدر لهم عندنا يوم القيامة، وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما فى ذلك من تكلف المطاعم الزائدة على قدر الكفاية ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين » .

قال وهب بن منبه : لما أرسل الله تعالى البعوض على النمروذ اجتمع منه فى عسكره مالا يحصى عددا، فلما عاين النمروذ ذلك انفرد عن جيشه ودخل بيته وأغلق الأبواب وأرخى الستور ونام على قفاه مفكرا ، فدخلت بعوضة فى أنفه وصعدت إلى دماغه فعذب بها أربعين يوما حتى إنه كان يضرب برأسه الأرض ، وكان أعز الناس عنده من يضرب رأسه ، ثم سقطت منه كالفرخ وهى تقول : كذلك يسلط الله رسله على من يشاء من عباده ، ثم هلك حينئذ . وقال محمد بن عباس الخوارزمى الطبرخزى فى الوزير أبى القاسم المزنى لما قبض عليه :

لاتعجبوا من صيد صعو بازيا إن الأسود تصاد بالخرفان
قد غرّقت أملاك حمير فأرة وبعوضة قتلت بنى كنعان

وروى جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه قال : « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عليه السلام عند رأس رجل من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبى فإنه مؤمن . قال : إنى بكل مؤمن رفيق ، وما من أهل بيت إلا أتصفحهم فى كل يوم خمس مرات ، ولو أنى أردت قبض روح بعوضة ماقدرت حتى يكون من الله تعالى الأمر بقبضها » قال جعفر بن محمد : بلغنى أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة انتهى .

ومن هذا وما تقدم عن مالك فى البراغيث يعلم أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذى روح ، والبعوضة على صغر جرمها قد أودع الله تعالى فى مقدم دماغها قوة الحفظ وفى وسطه قوة الفكر وفى مؤخره قوة الذكر ، وخلق لها حاسة البصر وحاسة اللمس وحاسة الشم ، وخلق لها منفذا للغذاذ ومخرجا للفضلة ، وخلق لها جوفا وأمعاء وعظاما ؛ فسبحان من قدر فهدى ولم يخلق شيئا من المخلوقات سدى ، وأنشد الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة :

يا من يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها والمخ فى تلك العظام النحل
أمنن علىّ بتوبة أمحو بها ما كان منى فى الزمان الأول

ونقل ابن خلكان عن بعض الفضلاء أن الزمخشرى أوصى أن تكتب هذه الأبيات على قبره ، ويروى عوض : أمنن على بتوبة ، كما قال بعضهم :

اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه فى الزمان الأول

وفى تاريخ ابن خلكان وغيره : أن الزمخشرى كان يعتقد الاعتزال ويتظاهر به ، وكان إذا استأذن على صاحب له بالدخول يقول : أبو القاسم المعتزلى بالباب ، وأول ماصنف من الكتب [الكشاف] فكتب فى أول خطبته : الحمد لله الذى خلق القرآن فقيل له : إن تركته على هذه الهيئة هجره الناس فغيروه . قال : الحمد لله الذى جعل القرآن ، وجعل عندهم بمعنى خلق ، ويوجد فى كثير من النسخ : الحمد لله الذى أنزل القرآن ، وهو من إصلاح الناس الا من إصلاح المصنف فافهم .

توفى الزمخشرى ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقد تكلم فى [الإحياء] فى باب المحبة على خلق البعوضة وصفتها وما أودعه الله تعالى فيها من الأسرار .

(فائدة) رأيت فى كتاب [الدعاء] للشيخ الإمام العلامة أبى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى ، ويعرف بابن أبى رندة بالراء المهملة المفتوحة وتسكين النون ، وهو إمام ورع أديب متقلل وفاته بالإسكندرية سنة اثنتين وخمسمائة عن مطرف بن عبد الله بن أبى مصعب المدنى أنه قال : دخلت على المنصور فوجدته مغموما حزينا قد امتنع عن الكلام لفقد بعض أحبته ، فقال لى : يا مطرف طرقنى من الهم مالا يكشفه إلا الله الذى بلانى به ، فهل من دعاء أدعو به عسى أن يكشفه الله عنى ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين حدثنى محمد بن ثابت عن عمر بن ثابت البصرى قال : دخلت فى أذن رجل من أهل البصرة بعوضة حتى وصلت إلى صماخه فأنصبته وأسهرته ليله ونهاره ، فقال له رجل من أصحاب الحسن البصرى : ياهذا ادع بدعاء العلاء بن الحضرمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى دعا به فى المفازة وفى البحر فخلصه الله تعالى ، فقال له الرجل : وما هو رحمك الله ؟ فقال : قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : بعث العلاء بن الحضرمى فى جيش كنت فيهم إلى البحرين ، فسلكنا مفازة فعطشنا عطشا شديدا حتى خفنا الهلاك ، فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال : يا حليم يا علىم يا على يا عظيم أسقنا ، فجاءت سحابة كأنها جناح طائر فقعقعت علينا وأمطرتنا حتى ملأنا الآنية وسقينا الركاب ، ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ماخيض قبل ذلك اليوم ولاخيض بعده فلم نجد سفنا ، فصلى العلاء ركعتين ثم قال : يا حليم يا علىم يا على يا عظيم أجزنا ، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال : بسم الله جوزوا . قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : فمشينا على الماء فوالله ماابتل لنا قدم ولا خف ولاحافر وكان الجيش أربعة آلاف . قال : فدعا الرجل بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه لها طنين حتى صكت الحائط وبرأ الرجل . قال : فاستقبل المنصور القبلة ودعا بهذا الدعاء ساعة ، ثم أقبل بوجهه إلى وقال : يامطرف قدكشف الله عنى ما كنت أجده من الهم ، ودعا بالطعام فأجلسنى فأكلت معه .

ويقرب من هذا ما حكاه ابن خلكان فى ترجمة موسى الكاظم بن جعفر الصادق : أن هرون الرشيد حبسه فى بغداد ثم دعا صاحب شرطته ذات يوم فقال له : رأيت فى منامى حبشيا أتانى ومعه حربة وقال : إن لم تخل عن موسى بن جعفر وإلا نحرتك بهذه الحربة ، فذهب فخل عنه وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له : إن أحببت المقام عندنا فلك عندى ما تحب وإن أحببت المضى إلى المدينة فامض . قال صاحب الشرطة ، ففعلت ذلك ، وقلت له : لقد رأيت من أمرك عجبا ، فقال : أنا أخبرك بينما أنا نائم إذ أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى حبست مظلوما ، فقل هذه الكلمات فإنك لاتبيت هذه الليلة فى السجن قل : « ياسامع كل صوت ، ويا سابق كل فوت ، ويا كاسى العظام لحماً ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك العظام وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليما ذا أناة لا يقدر على أناته ، ياذا المعروف الذى لا ينقطع معروفه أبداً ولا نحصى له عدداً فرج عنى ، فكان ما ترى » وتوفى موسى الكاظم فى رجب سنة ثلاث ، وقيل سنة سبع وثمانين ومائة ببغداد مسموما ، وقيل إنه توفى فى الحبس ، وكان الشافعى يقول : قبر موسى الكاظم الترياق المجرب .

وقد أذكرتنى هذه الحكاية ما حكاه الخطيب أبو بكر فى تاريخه وابن خلكان أيضاً فى ترجمة يعقوب بن داود : أن المهدى حبسه فى بئر وبنى عليها قبة فمكث فيها خمس عشرة سنة ، وكان يدلى له فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء ويؤذن بأوقات الصلاة . قال : فلما كان فى رأس ثلاث عشرة سنة أتانى آت فى منامى فقال :

حنا على يوسف رب فأخرجه من قعر جب وبيت حوله عمم

قال : فحمدت الله تعالى وقلت أتانى الفرج فمكثت حولا لا أرى شيئا ، فلى رأس الحول أتانى ذلك الآتى فأنشدنى :

عسى فرج يأتى به الله إنه له كل يوم فى خليقته أمر

قال : ثم أقمت حولا آخر لا أرى شيئاً ، ثم أتانى ذلك الآتى فى رأس الحول فأنشدنى :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان ويأتى أهله النائى الغريب

قال : فلما أصبحت نوديت فظننت أنى أؤذن بالصلاة فأدلى لى حبل فربطت نفسى به ونشلت من البئر فانطلق بى ، فأدخلت على الرشيد فقيل لى : سلم على أمير المؤمنين فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدى ، فقال لى : لست به ، فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادى ، فقال لى : لست به ، فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : الرشيد ، فقلت : الرشيد ! فقال : يا يعقوب ما شفع فياك إلى أحد غير أنى حمات

الليلة صبية لى على عنقى ، فذكرت حملك إياى على عنقك ، فرثيت لك وأخرجتك ، وكان يعقوب يحمل الرشيد على عنقه وهو صغير يلاعبه ، ثم أمر له بجائزة وصرفه .

(الحكم) يحرم أكلها لاستقذارها .

(فائدة) روى البخارى فى [الأدب] والترمذى فى [مناقب الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما] من حديث عبد الرحمن بن أبى نعيم قال : « كنت عند ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فسأله رجل عن دم البعوض فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق ، فقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : انظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول : هما ريحانتاى من الدنيا » قال : ولم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن والحسين رضى الله عنهما ، وروى ابن حبان والترمذى عن على رضى الله تعالى عنه قال : كان الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر والرأس ، والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك .

(فائدة أخرى) روى فى [الروض الزاهر] عن الشعبى قال : لما بلغ الحجاج أن يحيى ابن يعمر يقول : إن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحيى بن يعمر بخراسان ، فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم والى خراسان : أن ابعث إلى يحيى بن يعمر ، فبعث به إليه ؛ قال الشعبى : وكنت عند الحجاج حين أتى به إليه ، فقال له الحجاج : بلغنى أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أجل يا حجاج . قال الشعبى : فعجبت من جراءته بقوله يا حجاج ، فقال له الحجاج : والله إن لم تخرج منها وتأتنى بها مبينة واضحة ، من كتاب الله تعالى لألقين الأكثر منك شعرا ، ولا تأتنى بهذه الآية — ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم — قال : فإن خرجت من ذلك وأتيتك بها واضحة مبينة من كتاب الله تعالى فهو أمانى ؟ قال : نعم ، فقال : قال الله تعالى — ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس — ثم قال يحيى بن يعمر : فمن كان أبا عيسى وقد ألحقه الله بذرية إبراهيم ، وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه ، فقال له الحجاج : ما أراك إلا قد خرجت وأتيت بها مبينة واضحة ، والله لقد قرأتها وما علمت بها قط ، وهذا من الاستنباطات البديعة ، ثم قال له الحجاج : أخبرنى عنى هل ألحن ؟ فسكت ، فقال : أقسمت عليك ، فقال : أما إذا أقسمت على أيها الأمير فإنك ترفع ما يخفض وتخفض ما يرفع ، فقال : ذاك والله اللحن السيىء . ثم كتب إلى قتيبة بن مسلم : إذا جاءك كتابى

هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام ، وقيل إن الحجاج قال ليحيى : أسمعتنى ألحن ؟ قال : فى حرف واحد قال : فى أى ؟ قال : فى القرآن . قال : ذلك أشنع ما هو ؟ قال : تقول – قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم – إلى قوله – أحب إليكم – فتقرأها بالرفع ، فقال له الحجاج : لاجرم لا تسمع لى لحنا وألحقه بخراسان . قال الشعبى : كأن الحجاج لما طال عليه الكلام نسى ما ابتدأ به ، وذكره ابن خلكان فى ترجمة يحيى بن يعمر وفيه بعض مخالفة . قلت : فى كلام يحيى تصريح بأن الضمير فى – ومن ذريته – يعود على إبراهيم ، والذى فى الكواشى والبغوى وغيرهما أن الضمير يعود إلى نوح ، لأن الله تعالى ذكر من جملتهم يونس ولوطا فقال – وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين – ويونس ولوط من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم لكن استدلاله صحيح على القول الثانى أيضا .

قال ابن خلكان : كان يحيى بن يعمر تابعيا عالما بالقرآن والنحو ، وكان شيعيا من الشيعة الأولى يتشيع تشيعا حسنا ، يقول بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لأحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم . قال ابن خلكان : خطب أمير بالبصرة فقال : اتقوا الله فإنه من يتق الله فلا هوارة عليه ، فلم يدروا ما قال الأمير ، فسألوا أبا سعيد يحيى بن يعمر العدوانى فقال : الهوارة : الضياع . كأنه قال : من اتقى الله فلا ضياع عليه . والهوارات : المهالك ، واحدها هورة ، وحدث الأصمعى بهذا الحديث فقال : إن الغريب لواسع لم أسمع بهذا قط ، وتوفى يحيى بن يعمر سنة تسع وعشرين ومائة ، ويعمر بفتح الياء والميم بينهما عين مهملة ساكنة ، وقيل بضم الميم والأول أصح انتهى .

(تتمة) قال نصر الله بن يحيى وكان من الثقاة وأهل السنة : رأيت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى المنام ، فقلت له : يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسين ما تم ؟ فقال لى : أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : أسمعها منه ، ثم انتبهت فبادرت إلى حيص بيص فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله لم تخرج من فمه ولا خطه إلى أحد وما نظمها إلا فى ليلته ، ثم أنشدنى قوله :

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الأسارى وطالما ... عدونا على الأسرى فنعفو ونصفح
وحسبكمو هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذى فيه ينضح

واسم الحيص بيص سعد بن محمد أبو الفوارس التميمى شاعر مشهور ويعرف بابن الصيفى ولقب بالحيص بيص لأنه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال : ما للناس

فى حيص بيص ؟ فبقى عليه هذا اللقب ، ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط ، وتفقه على مذهب الإمام الشافعى ، وغلب عليه الأدب ، ونظم الشعر وكان مجيدا فيه ، وكان إذا سئل عن عمره يقول : أنا أعيش فى الدنيا مجازفة ، لأنه كان لا يحفظ مولده ، وتوفى سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، ومن محاسن شعره :

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدا ... اقصر عناك فإن الرزق مقسوم
الرزق يسعى إلى من ليس يطلبه ... وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وله أيضا :

ياطالب الطب من داء أصيب به ... إن الطبيب الذى أبلاك بالداء
هو الطبيب الذى يجرى لعافية ... لا من يذيب لك الترياق فى الماء

وله أيضا :

إله عما استأثر الله به ... أيها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله لا يدفعه ... حول محتال إذا الأمر سبق

وله أيضا :

أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت ... على العباد من الرحمن أرزاق
لاينفع البخل مع دنيا مولية ... ولا يضر مع الإقبال إنفاق

(الأمثال) قالوا : أعز من مخ البعوض . وقالوا : كلفتنى مخ البعوض ، يضرب لمن يكلف الأمور الشاقة ، وأضعف من بعوضة .

(فائدة) قوله تعالى : — إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها — قال الحسن وغيره : سبب نزولها أن الكفار أنكروا ضرب الأمثال فى غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت ، وقيل : لما ضرب الله تعالى المثلين فى أول السورة للمنافقين : يعنى قوله تعالى — مثلهم كمثل الذى استوقد نارا — وقوله تعالى — أو كصيب من السماء — قالوا : الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال فأنزل الله تعالى هذه الآية . قال الكسائى وأبو عبيدة وغيرهما المعنى فما فوقها فى الصغر . وقال قتادة وابن جريج وغيرهما : المعنى فى الكبر . قال ابن عطية والكل محتمل ، والله أعلم .

﴿ البعير ﴾ : سمى بعيرا لأنه يبعر يقال بعر البعير يبعر بفتح العين فيهما بعرا بإسكان العين كذبح يذبح ذبحا قاله ابن السكيت ، وهو اسم يقع على الذكر والأنثى ، وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس . فالجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة والقعود بمنزلة الفتى ، والقلوص بمنزلة الجارية ، وحكى عن بعض العرب صرعتنى بعيرى : أى ناقتى ، وشربت من لبن بعيرى ، وإنما يقال لها بعير إذا أجذع والجمع أبعرة وأباعر وبعران .

قال مجاهد فى قوله تعالى – ولمن جاء به حمل بعير – أراد بالبعير الحمار لأن بعض العرب يقول للحمار بعير وهذا شاذ ولو أوصى ببعير تناول الناقة على الأصح ، وهو كالخلاف فى تناول الشاة الذكر وإن كان عكسه فى الصورة . والوجه الثانى عدم التناول وهو المحكى عن النص والمعروف فى كلام الناس خلاف كلام العرب تنزيلا للبعير منزلة الجمل .

قال الرافعى : وربما أفهمك كلامهم توسطا بين تنزيل النص على ما إذا عم العرف باستعمال البعير بمعنى الجمل ، والعمل بما تقتضيه اللغة إذا لم يعم .

لاجرم قال الشيخ الإمام السبكى : إن تصحيح خلاف النص فى مثل هذه المسائل بعيد ، لأن الشافعى رضى الله عنه أعرف باللغة فلا يخرج عنها إلا لعرف مطرد ، فإن صح عرف بخلاف قوله اتبع وإلا فالأولى اتباع قوله .

(فرع) لو وقع بعيران فى بئر أحدهما فوق الآخر فطعن الأعلى ومات الأسفل بثقله حرم الأسفل لأن الطعنة لم تصبه ، فإن أصابتهما حلا جميعا ، فإذا شك هل مات بالثقل أم بالطعنة النافذة وقد علم أنها أصابته قبل مفارقة الروح حل . وإن شك هل أصابته قبل مفارقة الروح أم بعدها ؟ قال البغوى : فى الفتاوى يحتمل وجهين بناء على أن العبد الغائب المنقطع خبره هل يجزئ إعتاقه عن الكفارة أم لا ؟ ومن ذلك مالو رمى غير مقدور عليه فصار مقدورا عليه ثم أصاب غير مذبحه لم يحل ، ولو رمى مقدورا عليه فصار غير مقدور عليه فأصاب غير مذبحه لم يحل فإن أصاب مذبحه حل ، وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى جارية أو غلاما أو دابة فليأخذ بناصيتها وليقل : اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه ، وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه ؛ وإذا اشترى بعيرا فليأخذه بذروة سنامه وليدع بالبركة وليقل مثل ذلك »

(فائدة) قال ابن الأثير : خرج خلاد بن رافع وأخوه رضى الله تعالى عنهما إلى بدر على بعير أعجف ، فلما انتهيا إلى قرب الروحاء برك البعير . قال : فقلنا : اللهم لك علينا إن انتهينا إلى بدر أن ننحره ، فرآنا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ما بالكما ؟ فأخبرناه ، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم بزق فى وضوئه ، ثم أمرهما ففتحا فم البعير فصب فى جوفه ثم على رأسه ، ثم على عنقه ثم على غاربه ، ثم على سنامه ، ثم على عجزه ، ثم على ذنبه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : اللهم احمل رفاعة وخلادا ، فقمنا نرحل فأدركنا أول الركب ، فلما انتهينا إلى بدر برك ، فنحرناه وتصدقنا بلحمه » .

(فائدة أخرى) روى أبو القاسم الطبرانى فى كتاب [الدعوات] عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : « غزونا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا فى مجمع طرق المدينة ، فبصرنا بأعرابى أخذ بخطام بعير حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حوله فقال : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فرد النبى صلى الله عليه وسلم

عليه السلام وقال : وكيف أصبحت ؟ فجاء رجل كأنه حرسى فقال : يا رسول الله هذا الأعرابى سرق بعيرى هـذا ، فرغا البعير وحن ساعة فأنصت له النبى صلى الله عليه وسلم يسمع رغاءه وحنينه ، فلما هدأ البعير أقبل النبى صلى الله عليه وسلم على الحرسى وقال : انصرف عنه فإن البعير يشهد عليك أنك كاذب ، فانصرف الحرسى ، وأقبل النبى صلى الله عليه وسلم على الأعرابى وقال : أى شىء قلت حين جئتنى ؟ فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله قلت : اللهم صل على محمد حتى لاتبقى صلاة ، اللهم وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة ، اللهم وسلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا تبقى رحمة ، فقال صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى أبداها لى والبعير ينطق بقدرته ، وإن الملائكة قد سدوا أفق السماء » وفيه أيضا عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : « جاءوا برجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقطع ، فولى الرجل وهو يقول : اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلواتك شىء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شىء ، وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شىء ، فتكلم البعير وقال : يا محمد إنه برىء من سرقتى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من يأتينى بالرجل فابتدر إليه سبعون من أهل بدر فجاءوا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا هذا ما قلت آنفا ؟ فأخبره بما قال ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لأجل ذلك رأيت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بينى وبينك ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر » اه . وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الناقة حديث رواه الحاكم فى هذا المعنى ، وروى ابن ماجه عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه قال « كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل علينا بعير يعدو حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها البعير اسكن . فإن تك صادقا فلك صدقك وإن تك كاذبا فعليك كذبك ، مع أن الله قد أمن عائذنا وليس بخائب لائذنا ، فقلنا : يا رسول الله ما يقول هذا البعير ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : هذا بعير قد هم أهله بنحره وأكل لحمه فهرب منهم واستغاث بنبيكم . فبينما نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون ، فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها ، فقالوا : يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما إنه يشكو إلى ويبث الشكاية ، فقالوا : يارسول مايقول ؟ قال : يقول إنه ربى فى أمنكم أحوالا وكنتم تحملون عليه فى الصيف إلى موضع الكلأ ، فإذا كان الشتاء حملتم عليه إلى موضع الدفء فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله تعالى منه إبلا سائمة ، فلما أدركته هذه السنة الخصبة هممتم بنحره وأكل لحمه ، فقالوا : يا رسول الله قد والله كان ذلك . فقال عليه الصلاة والسلام : ما هذا

جزاء المملوك الصالح من مواليه ، فقالوا : يا رسول الله فانا لا نبيعه ولا ننحره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كذبتم فقد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم ، فإن الله تعالى قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين ، فاشتراه عليه الصلاة والسلام منهم بمائة درهم وقال : أيها البعير انطلق فأنت حر لوجه الله . قال فرغا البعير على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : آمين ، ثم رغا الثانية ، فقال : آمين ، ثم رغا الثالثة ، فقال : آمين ثم رغا الرابعة ، فبكى عليه الصلاة والسلام ، فقلنا : يا رسول الله مايقول هذا البعير ؟ قال صلى الله عليه وسلم : قال : جزاك الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيرا فقلت : آمين ، ثم قال : سكن الله رعب أمتك إلى يوم القيامة كما سكنت رعبى ، فقلت : آمين ، ثم قال . حقن الله دماء أمتك من أعدائها كما حقنت دمى ، فقلت : آمين ، ثم قال لاجعل الله بأسها بينها ، فبكيت ، فإن هذه الخصال سألتها ربى فأعطانيها ومنعنى هذه ، وأخبرنى جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أن فناء أمتى بالسيف جرى القلم بما هو كائن »

(تتمة) قال الطرطوشى فى [سراج الملوك] وابن بلبان والمقدسى فى [شرح الأسماء الحسنى] وغيرهم عن الفضل بن الربيع قال : حج الرشيد فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ سمعت قرع الباب فقلت : من هذا ؟ قيل أجب أمير المؤمنين ، فخرجت مسرعا فرجدت الرشيد فقلت ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك ؟ فقال : ويحك ! قد حاك فى نفسى أمر لايخرجه إلا عالم ، فانظر لى رجلا أسأله عنه فقلت : ياأمير المؤمنين ههنا سفيان بن عيينة . قال : فامض بنا إليه فأتيناه فقرعنا عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ فقلت أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعا وقال : ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك ؟ قال : جد لما جئنا له فحادثه ساعة ثم قال له : أعليك دين ؟ قال نعم . قال : ياعباس اقض دينه ، ثم انصرفنا فقال : ماأغنى عنى صاحبك هذا شيئا ، فانظر لى رجلا أسأله . قلت : هاهنا عبد الرزاق بن همام واعظ العراق ، فقال : امض بنا إليه نسأله ، فأتيناه فقرعنا عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعا وقال ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك ؟ قال : جد لما جئنا له فحادثه ساعة ثم قال أعليك دين قال نعم . قال : ياعباس اقض دينه ، ثم انصرفنا فقال : ماأغنى عنى صاحبك شيئا فانظر لى رجلا أسأله قال : فقلت : ههنا الفضيل بن عياض قال امض بنا إليه ، فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من كتاب الله عز وجل ويرددها ، فقرعت الباب فقال من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين فقال : مالى ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما تجب عليك طاعته ؟ فقال : أو ليس قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليس لمؤمن أن يذل نفسه ؟ » وفتح الباب ثم ارتقى إلى أعلى الغرفة مسرعا فأطفأ السراج والتجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد إليه فقال : أواه ما ألينها من يد إن نجت غدا من عذاب الله

فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام تقى من قلب تقى ، فقال : جد لما جئنا له . قال : وفيم جئت ؟ حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك شقصا من ذنب مافعلوا ، ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك . ثم قال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله بن عمر ومحمد ابن كعب القرظى ورجاء بن حيوة ، وقال لهم : إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على ، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك فيها على الموت . وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة غدا من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم لك أخا وأصغرهم لك ولدا ، فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك ، وقال له رجاء بن حيوة . إن أردت النجاة غدا من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ماتحب لنفسك ، واكره لهم ماتكره لنفسك ، ثم متى شئت مت ، وإنى لأقول لك هذا وإنى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام ، فهل معك يرحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا؟ قال : فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا حتى غشى عليه ، فقلت : ارفق بأمير المؤمنين ، فقال يا ابن الربيع : قتلته أنت وأصحابك وأرفق أنا به ؟ ثم أفاق فقال : زدنى ، فقال يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه السهر ، فكتب إليه عمر يقول : ياأخى اذكر سهر أهل النار فى النار وخلود الآباد فيها فإن ذلك يطرد بك إلى ربك نائما ويقظان ، وإياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك والسلام ، فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه ، فقال له عمر : ماأقدمك ؟ قال ، خلعت قلبى بكتابك ، لاوليت لك ولاية أبدا حتى ألقى الله سبحانه وتعالى ، فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدنى يرحمك الله ، فقال ياأمير المؤمنين إن جدك العباس رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم جاءه فقال : يارسول الله أمرنى على إمارة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ياعباس ياعم النبى نفس تحييها خير من إمارة لاتحصيها ، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لاتكون أميرا فافعل » فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال : زدنى يرحمك الله ، فقال : ياحسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل يوم القيامة عن هذا الخلق ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح أو تمسى وفى قلبك غش لرعيتك ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة » فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال : أعليك دين ؟ قال نعم دين لربى يحاسبنى عليه فالويل لى إن سألنى ، والويل لى إن لم يلهمنى حجتى ، فقال هارون إنما أعنى دين العباد ، فقال : إن ربى لم يأمرنى بهذا ، وإنما أمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره ، فقال تعالى — وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ماأريد منهم من رزق وما أريد

أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين — فقال له الرشيد : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقويها على عبادة ربك؛ فقال فضيل : سبحان الله ! أنا أدلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا سلمك الله ، ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده ، فقال لى الرشيد إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا ، فإن هذا سيد المؤمنين اليوم

ويروى أن امرأة من نسائه دخلت عليه فقالت : ياهذا قد ترى مانحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال لانفرجنا به ، فقال : إن مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه ، موتوا ياأهلى جوعا ولا تنحروا فضيلا ، فلما سمع الرشيد ذلك قال : ادخل بنا فعسى أن يقبل المال . قال : فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج فجلس على السطح فوق التراب ، فجاء هرون الرشيد فجلس إلى جنبه فكلمه فلم يرد عليه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : ياهذا قد آذيت الشيخ منذ أتيته فانصرف يرحمك الله راشدا فانصرفنا .

وقال القاضى ابن خلكان فى ترجمة الفضيل رحمه الله : فبلغ ذلك سفيان الثورى فجاء إليه وقال له : ياأبا على قد أخطأت فى ردك البدرة ألا أخذتها وصرفتها فى وجوه البر ؟ فأخذ بلحيته وقال : ياأبا محمد أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط . لو طابت لأولئك لطابت لى اه . ولعل المذكور إنما كان سفيان بن عيينة لاسفيان الثورى والله أعلم .

وقال الرشيد لفضيل بن عياض : يرحمك الله ماأزهدك ؟ فقال : أنت أزهد منى لأنى أزهد فى الدنيا وأنت تزهد فى الآخرة ، والدنيا فانية والآخرة باقية . وقيل : إن الفضيل كانت له ابنة صغيرة فوجع كفها فسألها يوما وقال : يابنية ماحال كفك ؟ فقالت : يا أبت بخير ، والله لئن كان الله تعالى ابتلى منى قليلا فلقد عافى منى كثيرا ابتلى كفى وعافى سائر بدنى فله الحمد على ذلك ، فقال : يابنية أرينى كفك فأريته فقبله ، فقالت : ياأبت أنا شدك لله هل تحبنى ؟ قال : اللهم نعم ، فقالت سوأة لك من الله ، والله ماظننت أنك تحب مع الله سواه ، فصاح الفضيل وقال : ياسيدى صبية صغيرة تعاتبنى فى حق لغيرك ، وعزتك وجلالك لاأحببت معك سواك . وشكا رجل إلى الفضيل بن عياض حاله ، فقال له : ياأخى هل من مدبر غير الله تعالى ؟ فقال : لا ، قال فارض به مدبرا . وقال : إنى لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى . وقال : إذا أحب الله تعالى عبدا أكثر غمه وإذا أبغضه وسع عليه دنياه . وقال النووى فى أذكاره : قال السيد الجليل فضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما وسئل الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه عن المحبة ؟ فقال : هى أن تؤثر الله عز وجل على ماسواه . وقال رضى الله تعالى عنه : لو كان لى دعوة مستجابة لم أجعلها إلا للإمام ، لأن الله

تعالى إذا أصلح الإمام أمن البلاد والعباد . وقال رضى الله تعالى عنه : لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره . وقال رضى الله تعالى عنه : ربما قال الرجل لا إله إلا الله أو سبحان الله فأخشى عليه النار ، فقيل له كيف ذلك ؟ قال يغتاب بين يديه أحد فيعجبه ذلك فيقول لا إله إلا الله أو سبحان الله وليس هذا موضعهما ، وإنما هو موضع أن ينصح له فى نفسه ويقول اتق الله . وبلغه رضى الله تعالى عنه أن ابنه عليا قال : وددت أن أكون بمكان أرى فيه الناس ولا يرونى . فقال . ويح علىّ لو أتمها فقال بمكان لا أرى فيه الناس ولا يرونى . وكان رضى الله تعالى عنه قد جاور بمكة وأقام بها . وتوفى فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائة ، وفى تاريخ ابن خلكان : أن سفيان الثورى بلغه مقدم الأوزاعى ، فخرج إلى ملتقاه فلقيه بذى طوى ، فحل سفيان خطام بعيره من القطار ووضعه على رقبته ، فكان إذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ .

(والأوزاعى) اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمر ، والأوزاعى إمام أهل الشام قيل : إنه أجاب فى سبعين ألف مسألة ، وكان يسكن بيروت ، ويحمد بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة . وقال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات : بضم الياء المثناة تحت وكسر الميم ، والأوزاعى من تابعى التابعى . قال الأوزاعى رحمه الله تعالى : رأيت رب العزة فى المنام ، فقال لى : ياعبد الرحمن أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . قلت : بفضلك يارب ، ثم قلت : يارب أمتنى على الإسلام . فقال عز وجل : وعلى السنة أيضا . وتوفى رحمه الله فى شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة ، وكان سبب موته أنه دخل حمام بيروت ، وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق الباب عليه وذهب ، ثم جاء وفتح الباب فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة . وقيل : إن امرأته فعلت ذلك به ولم تكن عامدة لذلك . والأوزاع : قرية بدمشق ولم يكن أبو عمرو منهم وإنما نزل فيهم فنسب إليهم ، وهو من سبى اليمن . وقال النووى : إنه ولد ببعلبك سنة ثمان وثمانين ، وهو مدفون فى قبلة مسجد قرية حنتوس ، وهى على باب بيروت ، وأهل القرية لا يعرفونه بل يقولون : هاهنا قبر رجل صالح ينزل عليه النور ولا يعرفه إلا الخواص من الناس ، رحمة الله عليه .

(الحكم) البعير تقدم حكمه فى الإبل ، ويستحب عند ركوب الإبل أن يذكر اسم الله تعالى عليها ، لما روى أحمد والطبرانى عن أبى لاس الخزاعى قال : حملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبل من الصدقة ضعاف للحج ، فقلنا : يارسول الله ما نرى أن تحملنا هذه ، فقال : ما من بعير إلا وفى ذروته شيطان ، فإذا ركبتموها فاذكروا اسم الله عليها كما أمركم الله ،

ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله عز وجل » وقد أشار البخارى فى صحيحه فى أبواب الزكاة إلى بعض هذا الحديث ولم يذكره بتمامه .

(الأمثال) قالوا : أخف حلما من بعير . وقالوا : هما كركبتى بعير إشارة إلى الاستواء كما قالوا هما كفرسى رهان . والمثل لهرم بن قطبة الفزارى ، وقد أطال فيه الميدانى وغيره . وقالوا : كالحادى وليس له بعير . يضرب للمتشبع بما لم يعط ، وأحسن من هذا وأوجز قوله صلى الله عليه وسلم « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور » وقال بعض المعمرين :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إذ نفر
والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى الرياح والمطر
من بعد ماقوة أصيب بها أصبحت شيخا أعالج الكبر

(تذنيب) قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى [فى الأذكياء] وغيره : روى أن الحسن ابن هانئ الشهير بأبى نواس قال : استقبلتنى امرأة فى هودج على بعير ولم تكن تعرفنى فأسفرت عن وجهها فإذا هو فى غاية الحسن والجمال ، فقالت : مااسمك ؟ فقلت : وجهك . فقالت : الحسن إذن . ومما يشبه هذا الذكاء مانقل أن المأمون غضب على عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه فى الإيقاع به ، وكان قد حضر ذلك المجلس صديق له ، فكتب له كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى ، فلما قضه ووجد ذلك تعجب ، وبقى يطيل النظر إليه ولا يفهم معناه ، وكانت له جارية واقفة على رأسه فقالت له : يا سيدى إنى أفهم معنى هذا . فقال : وما هو ؟ فقالت : إنه أراد قوله تعالى — يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك — وكان قد عزم على الحضور إلى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون فى عدم الحضور ، فكان ذلك سبب سلامته . وأحسن من هذا ما ذكره ابن خلكان فقال : إن بعض الملوك غضب على بعض عماله فأمر وزيره أن يكتب إليه كتابا يشخصه به ، وكان للوزير بالعامل عناية ، فكتب إليه كتابا وكتب فى آخره : إن شاء الله تعالى . وجعل فى صدر النون شدة فعجب العامل ، كيف وقعت هذه الحركة من الوزير إذ من عادة الكتاب أن لا يشكلوا كتبهم ؟ ففكر فى ذلك فظهر له أنه أراد — إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك — فكشط الشدة وجعل مكانها ألفا وختم الكتاب وأعاده للوزير ، فلما وقف عليه الوزير سر بذلك ، وفهم أنه أراد — إنا لن ندخلها أبدا مادموا فيها — والله تعالى أعلم .

﴿ البغاث ﴾ : بفتح الباء الموحدة وكسرها وضمها ثلاث لغات وبالغين المعجمة طائر أغبر دون الرخمة بطىء الطيران ، وهو من شرار الطير ومما لا يصيد منها . وقال يونس : من جعل البغاث واحدا فجمعه بغثان مثل غزال وغزلان ، ومن قال للذكر والأنثى بغاثة فالجمع بغاث مثل نعامة ونعام ، وبغاث الطير شرارها ومالا يصيد منها . قال الشيخ أبو إسحاق

فى [المهذب] فى باب الحجر : لا يسافر الوالى بمال المحجور عليه، لما روى أن المسافر وماله لعلى . قلت : أى هلاك ، ومنه قول العباس بن مرداس السلمى :

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور

وقوله مقلات بكسر الميم ، والمقلات من النساء : التى لا يعيش لها ولد . ومن النوق من تلد ولدا واحداً ولا تلد بعده ، وقيل : المقلات التى تعمل وكرها فى المهالك . والنزور بفتح النون : القليلة الأولاد ، والنزر : القليل .

(الحكم) تحريم الأكل لخبثه .

(الأمثال) قالت العرب : البغاث بأرضنا يستنسر : أى من جاورنا عزّ بنا . وقيل معناه : إن الضعيف يستضعفنا ويظهر قوته علينا .

﴿ البغل ﴾ : معروف وكنيتـــه أبو الأشحج وأبو الحرون وأبو الصقر وأبو قضاعة وأبو قموص وأبو كعب وأبو مختار وأبو ملعون . ويقال له : ابن ناهق ، وهو مركب من الفرس والحمار ، ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل ، وكذلك شحيجه : أى صوته ، مولد من صهيل الفرس ونهيق الحمار ، وهو عقيم لا يولد له ، لكن فى تاريخ ابن البطريق فى حوادث سنة أربع وأربعين وأربعمائة أن بغلة بنابلس ولدت فى بطن حجرة سوداء وبغلا أبيض . قال : وهذا أعجب ما سمع اهـ . وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتباينة ، والعناصر المتباعدة . وإذا كان الذكر حمارا يكون شديد الشبه بالفرس وإذا كان الذكر فرساً يكون شديد الشبه بالحمار . ومن العجب أن كل عضو فرضته منه يكون بين الفرس والحمار ، وكذلك أخلاقه ليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار ، ويقال : إن أول من أنتجها قارون ، وله صبر الحمار وقوة الفرس ، ويوصف برداءة الأخلاق والتلون لأجل التركيب ، وينشد فى ذلك قوله :

خلق جديد كل يو م مثل أخلاق البغال

لكنه مع ذلك يوصف بالهدايا فى كل طريق يسلكه مرة واحدة ، وهو مع ذلك مركب الملوك فى أسفارها ، وقعيدة الصعاليك فى قضاء أوطارها مع احتماله للأثقال وصبره على طول الإيغال ، وفى ذلك يقال :

مركب قاض وإمام عدل وعالم وســـيد كهل

يصلح للرحل وغير الرحل

وفى [الكامل] لأبى العباس المبرد . قال العباس بن الفرج : نظر إلى عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وهو على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له : أتركب هذه وأنت على أكرم باحرة بمصر ؟ فقال : إنه لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ، ولا لامرأتى ما أحسنت

عشرتى ، ولا لصديقى ماحفظ سرى . إن الملل من كواذب الأخلاق . وفيه أيضا أن رجلا من أهل الشأم قال : دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه ، فمال قلبى إليه فسألت عنه ، فقيل لى : هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم. فأتيته وقد امتلأ قلبى له بغضا ، فقلت له : أنت ابن أبى طالب ، فقال لى : بل أنا ابن ابن ابنه ؟ فقلت : بك وبأبيك أسب عليا ، فلما انقضى كلامى قال : أحسبك غريبا ؟ قلت : أجل . قال : فهل بنا إلى الدار ، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال واسيناك أو إلى حاجة عاوناك على قضائها ، فانصرفت من عنده وما على وجه الأرض أحب إلىّ منه اه . قلت : وكان على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما يلقب بزين العابدين ، وأمه سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يسمى عليا أيضا قتل مع أبيه بكربلاء ، روى الحديث عن أبيه وعن عمه الحسن وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة ، وأبى هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين رضى الله عنهم . قال ابن خلكان : كانت أمه سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس . وذكر الزمخشرى فى ربيع الأبرار : أن يزدجرد كان له ثلاث بنات سبين فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فحصلت واحدة منهن لعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما فأولدها سالما ، والأخرى لمحمد بن أبى بكر رضى الله تعالى عنهما فأولدها قاسما ، والأخرى للحسين بن على رضى الله تعالى عنهما فأولدها عليا زين العابدين رضى الله تعالى عنهم فكلهم بنوخالة ، وكان زين العابدين مع أبيه بكربلاء فاستبقى لصغر سنه لأنهم قتلوا كل من أنبت كما يفعل بالكفار قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ولعنه ، وكان قدم عبيدالله بن زياد بقتله ثم صرفه الله تعالى عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا فحماه الله منه . ثم إن يزيد بن معاوية صار يكرمه ويعظمه ويجلسه معه ولا يأكل إلا وهو معه ثم بعثه إلى المدينة فكان بها محترما معظما. قال ابن عساكر : ومسجده بدمشق معروف ، وهو الذى يقال له مشهد على بجامع دمشق ، قال الزهرى : ما رأيت قرشيا أفضل منه . وقال محمد بن سعد : كان زين العابدين ثقة مأمونا كثير الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عالما ، ولم يكن فى أهل البيت مثله . وقال الأصمعى : لم يكن للحسين رضى الله عنه عقب إلا من ابنه زين العابدين ، ولم يكن لزين العابدين نسل إلا من ابنة عمه الحسن رضى الله تعالى عنه ، فجميع الحسينيين من نسله ، وكان إذا توضأ يصفر لونه فإذا قام إلى الصلاة أرعد من الفرق : أى الخوف ، فقيل له فى ذلك. فقال : أتدرون بين يدى من أقوم ؟ ولمن أناجى ؟ ويروى أنه احترق البيت الذى هو فيه وهو قائم يصلى ، فلما انصرف قيل له : ما بالك لم تنصرف حين وقعت النار؟ فقال : إنى اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى ، ويروى أنه لما حج وأراد أن يلبى أرعد واصفر وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق سئل عن ذلك .

فقال : إنى لأخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقول لى : لالبيك ولاسعديك ، فشجعوه وقالوا : لابد من التلبية ، فلما لبى غشى عليه حتى سقط عن راحلته ، وكان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة ، وكان كثير الصدقات ، وكان أكثر صدقته بالليل ، وكان يقول : صدقة الليل تطفئ غضب الرب ، وكان كثير البكاء فقيل له فى ذلك، فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ولم يتحقق موته ، فكيف لا أبكى وقد رأيت بضعة عشر رجلا يذبحون من أهلى فى غداة واحدة ، وكان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنى أتصدق اليوم أو أهب عرضى اليوم لمن يغتابنى .

ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه ، فقال له على بن الحسين : إن من وراء ولدك خلالا ثلاثة ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاعة رسول الله ، ورحمة الله : واختلف أهل التاريخ فى السنة التى توفى فيها زين العابدين . والمشهور عند الجمهور أنه توفى سنة أربع وتسعين فى أولها .وقال ابن الفلاس : وفيها مات سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وقال بعضهم : توفى فى سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين ، وأغرب المدائنى فى قوله إنه توفى فى سنة مائة ، وقيل توفى فى سنة تسع وتسعين ، وكان عمره ثمانيا وخمسين سنة ، ودفن فى قبر عمه الحسن رضى الله عنهما ، وعن آبائهم الكرام ، وعن أصحاب رسول الله أجمعين .

وفى [وفيات الأعيان] فى ترجمة جلال الدولة ملك شاه : أن المقتدى بأمر الله جهز الشيخ أبا إسحق الشيرازى الفيروزابادى صاحب التنبيه والمهذب وغيرهما إلى نيسابور سفيرا له فى خطبة ابنة الملك جلال الدولة ، فنجز الشغل وناظر إمام الحرمين هناك ، فلما أراد الانصراف من نيسابور خرج إمام الحرمين إلى وداعه وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحق بغلته ،وظهر له فى خراسان منزلة عظيمة ، وكانوا يأخذون التراب الذى وطئته بغلته فيتبركون به ،وكان رحمه الله إماما عالما عاملا ورعا زاهدا عابدا ، توفى فى سنة ست وسبعين وأربعمائة، وتوفى إمام الحرمين فى سنة ثمان وسبعين وأربع مئة ، وغلقت الأسواق يوم موته وكسر منبره بالجامع ، وكانت تلامذته قريبا من أربعمائة نفر فكسروا محابرهم وأقلامهم وأقاموا على ذلك عاما كاملا .

وفى [تاريخ بغداد ووفيات الأعيان] أن أبا حنيفة كان له جار إسكافى يعمل نهاره ، فإذا رجع إلى منزله ليلا تعشى ثم شرب ، فإذا دب الشراب فيه أنشد يغنى ويقول :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وأبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل له أخذه العسس منذ

ليال ، فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى دار الأمير فاستأذن عليه ، فقال : ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ، ففعل به ذلك ، فوسع له الأمير من مجلسه ، وقال له : حاجتك ؟ فشفع فى جاره . فقال الأمير : أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة إلى يومنا هذا فأطلقوهم أيضا فذهبوا ، فركب أبو حنيفة بغلته وخرج والإسكافى معه يمشى وراءه ، فقال له أبو حنيفة : يا فتى هل أضعناك ؟ فقال : بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ، ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل . واسم أبى حنيفة : النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه ، وكان عالما عاملا . قال الشافعى : قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال : نعم ، رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ؛ وكان الشافعى يقول : الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه ، وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر ، وعلى محمد بن إسحاق فى المغازى ، وعلى الكسائى فى النحو ، وعلى مقاتل بن سليمان فى التفسير .

وكان أبو حنيفة إماما فى القياس ، وداوم على صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة . وكان عامة ليله يقرأ القرآن فى ركعة واحدة ، وكان يبكى فى الليل حتى يرحمه جيرانه ، وختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة ، ولم يفطر منذ ثلاثين سنة ، ولم يكن يعاب بشىء سوى قلة العربية .

حكى أن أبا عمرو بن العلاء سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود ؟ قال : لا ، على قاعدة مذهبه خلافا للشافعى ، فقال له أبو عمرو : ولو قتله بحجر المنجنيق ؟ فقال : ولو قتله بأبى قبيس : يعنى الجبل المطل على مكة . وقد اعتذر عن أبى حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يعرف الأسماء الستة بالألف فى الأحوال الثلاثة ، وأنشدوا عن ذلك :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

وهى لغة الكوفيين وأبو حنيفة من أهل الكوفة ، وتوفى أبو حنيفة فى السجن ببغداد سنة خمسين ومائة ، وقيل غير ذلك ، وقيل لم يمت فى السجن ، وقيل مات فى اليوم الذى ولد فيه الشافعى ، وقيل فى العام لا فى اليوم كما تقدم . وقال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات : توفى فى سنة إحدى ، وقيل ثلاث وخمسين ومائة والله أعلم .

قلت : البيت المذكور فى حكاية الإسكافى المتقدمة للعرجى عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنهم ، وقد استشهد به النضر بن شميل على المأمون .

قال ابن خلكان : دخل النضر بن شميل على المأمون ليلة فتفاوضا الحديث ، فروى المأمون عن هشيم بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز » بفتح السين ،

فقال النضر : يا أمير المؤمنين صدق هشيم ، حدثنا فلان عن فلان إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها فهو سداد من عوز » بكسر السين . قال : وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال : كيف قلت سداد ؟ قال : قلت : لأن السداد هاهنا لحن ، فقال المأمون : أتلحننى ؟ قلت : إنما لحن هشيم فتبع أمير المؤمنين لفظه . فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل ، والسداد بالكسر البلغة ، وكل ماسددت به شيئا فهو سداد فقال المأمون : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال : قلت : نعم ، هذا العرجى يقول :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذ المأمون القرطاس وكتب فيه ، ثم قال لخادمه : أبلغ معه إلى الفضل بن سهل . فلما قرأ الفضل الرقعة قال : يا نضر قد أمر لك أمير المؤمنين بخمسين ألف درهم ، فما كان السبب فأخبرته ، فأمر لى بثلاثين ألف درهم أخرى ، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد استفيد منى ، وتوفى النضر بن شميل فى سنة أربع ومائتين بمرو رحمه الله تعالى .

وفى تاريخ بغداد عن أبى يوسف صاحب أبى حنيفة واسمه يعقوب أنه قال : أويت ذات ليلة إلى فراشى وإذا بالباب يدق دقا عنيفا ، فخرجت فإذا هرثمة بن أعين فقال : أجب أمير المؤمنين ، فركبت بغلتى ومضيت خائفا إلى أن وصلت دار أمير المؤمنين ، فإذا أنا بمسرور فسألته من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : عيسى بن جعفر ، فدخلت فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر ، فسلمت عليه وجلست ، فقال الرشيد : أظن أننا روّعناك ، فقلت : إى والله ومن خلقى كذلك ، فسكت ساعة ثم قال : أتدرى يايعقوب لم دعوتك ؟ قلت : لا ، قال : دعوتك لأشهدك على هذا أن عنده جارية وقد سألته أن يهبها لى فأبى ، ووالله لئن لم يفعل لأقتلنه . قال : فالتفت إلىّ عيسى وقلت له : مابلغ من قدر الجارية حتى أنك تمنعها من أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة من أجلها ، ثم هى ذاهبة من يدك على كل حال ، فقال : عجلت علىّ بالتوبيخ من قبل أن تعرف ما عندى . قلت : وما هو ؟ قال : إن علىّ يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملكه لاأبيع هذه الجارية ولا أهبها ، فالتفت إلىّ الرشيد وقال : هل لك فى هذه من مخرج ؟ قلت : نعم . قال : وما هو ، قلت : يهبك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يهبها ولم يبعها ، قال عيسى : أو يجوز ذلك ؟ قلت نعم ، قال فاشهد أنى وهبته نصفها وبعته نصفها الباقى بمائة ألف دينار ، فقال الرشيد : قد قبلت الهبة واشتريت النصف بمائة ألف دينار ، ثم قال : علىّ بالجارية والمال ، فأتى بالجارية والمال ، فقال : خذها ياأمير المؤمنين بارك الله لك فيها ، فقال الرشيد : يايعقوب بقيت واحدة ، فقلت : وما هى ؟ قال : إنها مملوكة ولابد أن تستبرأ ، ووالله لئن لم أبت معها ليلتى هذه أظن أن نفسى تخرج ، فقلت : ياأمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فإن الحرة لا تستبرأ . قال فإنى قد أعتقتها فمن يزوجنيها ؟ قلت له :

أنا فدعا بمسرور وحسين ، فخطبت وحمدت الله تعالى وزوجته بها على عشرين ألف دينار ، ثم قال : علىّ بالمال ، فجيء به فدفعه إليها ثم قال لى يايعقوب انصرف ، وقال لمسرور : احمل إلى يعقوب مائتى ألف درهم وعشرين تختا من الثياب ، فحمل ذلك إلىّ ، اهـ .

وكان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازى وأيام العرب ، فمضى يوما ليسمع المغازى وأخل بمجلس أبى حنيفة أياما ، فلما أتاه قال له : يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ فقال له أبو يوسف : إنك إمام ، وإن لم تمسك عن هذا سألتك عن رؤوس الناس أيما كان أول وقعة بدر أو أحد فإنك لا تدرى ذلك ، وهى أهون مسائل التاريخ فأمسك عنه . قيل : كان يجلس إلى أبى يوسف رجل فيطيل الصمت ولا يتكلم ، فقال له أبو يوسف يوما : ألا تتكلم فقال : بلى ، متى يفطر الصائم ؟ قال : إذا غابت الشمس . قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل كيف يصنع ؟ فضحك أبو يوسف وقال له : أصبت فى صمتك وأخطأت أنا فى استدعائى نطقك وأنشد :

عجبت لإزراء الغبى بنفسه ... وصمت الذى قد كان بالقول أعلما
وفى الصمت ستر للغبى وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

وروى أن رجلا كان يجلس إلى بعض العلماء ولا يتكلم ، فقيل له يوما ألا تتكلم ؟ قال : نعم ، أخبرنى لأى شىء يستحب صيام الأيام البيض من كل شهر ؟ فقال : لا أدرى ، فقال الرجل : لكنى أدرى . قال وما هو ؟ قال : لأن القمر لا ينكسف إلا فيهن ، فأحب الله تعالى أن لا يحدث فى السماء آية إلا حدث فى الأرض مثلها ، وهذا أحسن ما قيل فيه : وذكر ابن خلكان : أن رجلا كان يجالس الشعبى ويطيل الصمت ، فقال له الشعبى يوما : ألا تتكلم فقال : أصمت فأسلم وأسمع فأعلم ، إن حظ المرء فى أذنه له وفى لسانه لغيره . وتكلم شاب يوما عند الشعبى بكلام ، فقال الشعبى : ماسمعنا بهذا . فقال الشاب : أكل العلم سمعت ؟ قال لا ، قال : فشطره ؟ قال : نعم . قال : فاجعل هذا فى الشطر الذى لم تسمعه ، فأفحم الشعبى . وأبو يوسف هو أول من دعى بقاضى القضاة ، وأول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التى هم عليها إلى هذا الزمان ، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا لا يتميز أحد عن أحد بلباسه .

وحكى أن عبد الرحمن بن مسهر كان قاضيا على بليدة بين بغداد وواسط يقال لها المبارك ، فبلغه خروج الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضى فى الحراقة ، فقال عبد الرحمن لأهل المبارك : أثنوا علىّ عندهما فأبوا عليه فلبس ثيابه وتلقاهما وقال : نعم القاضى قاضينا ، ثم مضى إلى موضع آخر وأعاد عليهما هذا القول ، فالتفت الرشيد إلى أبى يوسف وقال : يايعقوب قاض فى موضع لا يثنى عليه إلا رجل واحد بئس القاضى ، فقال أبو يوسف : والعجب يا أمير المؤمنين أنه هو القاضى وهو يثنى على نفسه ! فضحك الرشيد وقال : هذا أظرف الناس ، هذا لا يعزل أبدا ..

توفى أبو يوسف فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وقيل غير ذلك ، وأنشد أبو السعادات المبارك بن الأثير لصاحب الموصل وقد زلت به بغلته :

إن زلت البغلة من تحته فإن فى زلتها عـذرا
حملها من علمه شاهقا ومن ندى راحته بحرا

وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن البغال كانت تتناسل ، وكانت من أسرع الدواب فى نقل الحطب لنار إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، فدعا عليها فقطع الله نسلها .

(فائدة غريبة) روى عن إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة قال : كان عندنا طحان رافضى له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر ، فرمحه أحدهما فقتله ، فأخبر جدى أبو حنيفة بذلك فقال : انظروا الذى رمحه فإنه الذى سماه عمر ، فنظروا فوجدوه كذلك . وفى كامل ابن عدى فى ترجمة خالد بن يزيد العمرى المكى عن سفيان بن أنان عن أنس رضى الله تعالى عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب بغلة فحادت به فحبسها ، وأمر رجلا أن يقرأ عليها — قل أعوذ برب الفلق — فسكنت » ، وسيأتى إن شاء الله تعالى هذا فى الدابة ، وفيه عنه أيضا أنه روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من ولد له ثلاثة ولم يسم أحدهم محمدا فهو من الجفاء ، وإذا سميتموه محمداً فلا تسبوه ولا تعيبوه ولا تضربوه ، وشرفوه وكرموه وعظموه وبروا قسمه » .

(فائدة) روى أبو داود والنسائى عن عبد الله بن زرير الغافقى المصرى عن على رضى الله عنه قال « أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها فقالوا : لو حملنا الحمير على الخيل لكان لنا مثل هذه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون » قال ابن حبان : معناه الذين لا يعلمون النهى عنه . وقال الخطابى : يشبه أن يكون المعنى فى ذلك والله أعلم أن الحمير إذا حمات على الخيل تعطلت منافع الخيل وقل عددها وانقطع نماؤها والخيل يحتاج إليها للركوب والعدو والركض والطلب ، وعليها نجاهد العدو وبها تحرز الغنائم ولحمها مأكول ، وسهم للفرس كما يسهم للرجل ، وليس للبغل شىء من هذه الفضائل ، فأحب النبى صلى الله عليه وسلم أن ينمو عدد الخيل ويكثر نسلها لما فيها من النفع والصلاح ، فاذا كانت الفحول خيلا والأمهات حميرا فيحتمل أن لا يكون داخلا فى النهى ، إلا أن يتأول متأول أن المراد بالحديث صيانة الخيـــل عن مزاوجة الحمير ، وكراهة اختلاط مائها بمائها لئلا يكون منها الحيوان المركب من نوعين مختلفين ، فإن أكثر الحيوانات المركبة من نوعين من الحيوان أخبث طبعا من أصولها التى تتولد منها وأشد شراسة كالسمع والعسبار ونحوهما . ثم إن البغل حيوان عقيم ليس له نسل ولا نماء ولا يذكى ولا يزكى

ثم قال : ولا أرى لهذا الرأى طائلا فان الله تعالى قال — والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة — فذكر البغال وامتن علينا بها كامتنانه بالخيل والحمير وأفرد ذكرها بالاسم الخاص الموضوع لها ، ونبه على ما فيها من الأرب والمنفعة ، والمكروه من الأشياء مذموم لايستحق المدح ولا يقع الامتنان به ، وقد استعمل صلى الله عليه وسلم البغل واقتناه وركبه حضرا وسفرا ، ولو كان مكروها لم يقتنه ولم يستعمله انتهى .

وروى مسلم عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال « بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت أن تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال صلى الله عليه وسلم : من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل أنا ، فقال : متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا على الإشراك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ، ثم أقبل النبى صلى الله عليه وسلم علينا بوجهه الكريم فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، فقالوا نعوذ بالله من عذاب القبر فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار ، فقالوا : نعوذ بالله من عذاب النار فقال : تعوذوا بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن ، فقالوا : نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن ، فقال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، فقالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال »

(فائدة أخرى) كانت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الدلدل التى يركبها فى الأسفار أنثى كما أجاب به ابن الصلاح وغيره ، وعاشت بعده حتى كبرت وزالت أضراسها ، فكان يجش لها الشعير إلى أن ماتت بالبقيع فى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه ، وكانت شهباء . ونقل الحافظ قطب الدين فى شرح السيرة عن شرح الجامع الكبير أنه لو حلف لا يركب بغلا فركب ذكراً أو أنثى يحنث لأنه اسم جنس وكذلك البغلة ، والهاء فيها للإفراد وهاء الإفراد تقع على الذكر والأنثى كالجرادة والتمرة ، وكذا لو حلف لا يركب بغلة فركب ذكرا أو أنثى حنث أيضا ، ثم قال : وأجمع أهل الحديث على أن بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ذكرا لا أنثى ، ثم عد للنبى صلى الله عليه وسلم خمس بغال. وقال السهيلى: ومما ذكر فى غزوة حنين «أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ وهو على بغلته حفنة من البطحاء ، فرمى بها فى وجوه الكفار وقال : شاهت الوجوه فانهزموا وكانت البغلة ضربت ببطنها الأرض حتى أخذ الحفنة ثم قامت » . قال : وتلك البغلة هى التى تسمى البيضاء ، وهى التى أهداها له فروة بن نعامة . وفى معجم الطبرانى الأوسط من حديث أنس رضى الله تعالى عنه قال : لما انهزم المسلمون يوم حنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء التى يقال لها الدلدل ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « دلدل أسدى فألصقت بطنها بالأرض حتى أخذ النبى صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب فرمى بها وجوههم وقال : حم لاينصرون »

قال : فانهزم القوم وما رميناهم بسهم ولاطعناهم برمح ولاضربناهم بسيف. وفيه من حديث شيبة بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين لعمه العباس « ناولني من البطحاء فأفقه الله تعالى البغلة كلامه فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحصباء فنفخ في وجوههم وقال : شاهت الوجوه حم لاينصرون».

(تتمة) روى الطبراني وأبو نعيم من طرق صحيحة عن خزيمة بن أوس قال « هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك فأسلمت فسمعته يقول : هذه الحيرة قد رفعت إلي وإنكم ستفتحونها . وهذه الشيماء بنت نفيل الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود فقلت : يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدناها على هذه الصفة فهي لي . قال عليه الصلاة والسلام : هي لك » فأقبلنا مع خالد بن الوليد نريد الحيرة ، فلما دخلناها كان أول من تلقانا الشيماء بنت نفيل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود ، فتعلقت بها وقلت : هذه وهبها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب مني خالد عليها البينة فأتيته بها فسلمها لي ، ونزل إلينا أخوها عبد المسيح فقال لي : أتبيعنيها ؟ فقلت : نعم ، فقال : احتكم ما شئت ، فقلت : والله لا أنقصها عن ألف درهم ، فدفع لي ألف درهم ، فقيل لي : لو قلت مائة ألف درهم لدفعها إليك ، فقلت : لا أحسب مالا أكثر من ألف درهم . قال الطبراني : وبلغني أن الشاهدين كانا محمد بن مسلمة وعبدالله ابن عمر رضي الله تعالى عنه .

(الحكم) يحرم أكل المتولد منها بين الحمار الأهلي والفرس ، لما روى جابر قال « ذبحنا يوم حنين البغال والحمير والخيل ، فنهانا رسول الله عن الحمير والبغال ، ولم ينهنا عن الخيل» ولأنه متولد بين ما يحل وما يحرم فغلب جانب التحريم ، فإن تولد بين حمار وحشي وفرس حل ؛ وأما الحديث الذي رواه البزار باسناد صحيح عن أبي واقد « أن قوما مات لهم بغل ولم يكن لهم شيء غيره ، فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرخص لهم فيه» فهذا محمول على أنهم كانوا مضطرين يحل لهم أكل الميتة .

(فرع) وإذا أوصى لزيد ببغلة لا تتناول الذكر على الأصح كما لا تتناول البقرة الثور والثاني تتناوله ، والهاء للوحدة كتمرة وزبيبة .

(الأمثال) قيل للبغل من أبوك ؟ قال : الفرس خالي . يضرب للمخلط في أمره . وقالوا : أعقر من بغل وأعقم من بغلة ، وقالوا : أعيب من بغلة أبي دلامة واسمه زند بن الجون كوفي أسود كان مولى لبني أسد ، وكان صاحب نوادر . فمنها : أنه مرض له ولد فاستدعى طبيبا ليداويه وشرط له جعلا معلوما ، فلما برئ ولده قال : والله ما عندنا شيء نعطيك إياه . ولكن ادع على فلان اليهودي بمقدار الجعل ، وكان ذا مال كثير ، وأنا وولدي نشهد لك

بذلك ، فمضى الطبيب إلى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وحمل إليه اليهودى وادعى عليه بذلك المبلغ فأنكر ، فقيل : ألك بينة ؟ قال نعم . قال أحضرها ، فدخل أبو دلامة وهو ينشد والقاضى يسمع شعره :

إن الناس غطونى تغطيت عنهم وإن بحثوا عنى ففيهم مباحث
وإن نبشوا بئرى نبشت بئارهم ليعلم قوم كيف تلك النبائث

فلما شهدا عند القاضى قال لهما : شهادتكما مقبولة وكلامكما مسموع ، ثم غرم المبلغ من عنده وجمع بين المصلحتين . ومنها : أنه خاصم رجلا إلى عافية بن يزيد القاضى فقال :

لقد خاصمتنى غواة الرجال وخاصمتهم سنة وافيه
فما أدحض الله لى حجة وما خيب الله لى قافيه
فمن كنت من جوره خائفا فلست أخافك يا عافيه

فقال له عافية : لأشكونك لأمير المؤمنين . قال : ولم ؟ قال : لأنك هجوتنى . قال أبو دلامة : إن شكوتنى ليعزلنك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لا تعرف الهجاء من المدح . ومنها ماقاله الإمام أبو الفرج بن الجوزى : روى أن أبا دلامة دخل على المهدى فأنشده قصيدة فقال له : سلنى حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين هب لى كلبا ، فغضب المهدى وقال : أقول لك سلنى حاجتك فتقول هب لى كلبا ! فقال : يا أمير المؤمنين الحاجة لى أم لك ؟ قال : بل لك . قال : فإنى أسألك أن تهب لى كلب صيد فأمر له بكلب ، فقال : ياأمير المؤمنين هبنى خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلى ؟ فأمر له بدابة ، فقال : يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها ؟ فأمر له بغلام . فقال : يا أمير المؤمنين هبنى صدت صيدا فأتيت به المنزل فمن يطبخه لى ؟ فأمر له بجارية ، فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء أين يبيتون ؟ فأمر له بدار ، فقال : يا أمير المؤمنين قد صار فى عنقى جماعة من العيال فمن أين لى ما يقوت هؤلاء ؟ قال : فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامرا وألف جريب غامرا ، فقال : أما العامر فقد عرفته فما الغامر ؟ قال : الخراب الذى لا شىء فيه ، فقال : أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب غامرة بالبدو ، ولكنى أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريبا واحدا عامرا ؟ قال : من أين ؟ قال : من بيت المال ، فقال المهدى : حولوا المال وأعطوه جريبا ، فقال : ياأمير المؤمنين إذا حولوا منه المال صار غامرا ، فضحك المهدى منه وأرضاه .

قلت : وقد أذكرتنى هذه الحكاية ما ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى [الأذكياء] بسنده عن محمد بن إسحق السراج قال : أنبأنا داود بن رشيد قال : قلت للهيثم بن عدى بأى شىء استحق سعيد بن عبد الرحمن أن ولاه المهدى القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة ؟ قال : إن خبره لظريف فإن أحببت شرحته لك . قلت : قد والله أحببت ذلك . قال : اعلم أنه وافى

الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدى ، فقال : استأذن لى على أمير المؤمنين ، فقال له الربيع : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قال : أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة ، وقد أحببت أن تذكرنى له ، فقال له الربيع : يا هذا إن القوم لايصدقون ما يرونه لأنفسهم فكيف ما يراه لهم غيرهم ؟ فاحتل بحيلة غير هذه تكون أدر عليك من هذه ، فقال : إن لم تخبره بمكانى وإلا سألت من يوصلنى إليه وأخبره أنى سألتك الإذن عليه فلم تفعل . فدخل الربيع على المهدى وقال له : يا أمير المؤمنين إنكم قد أطمعتم الناس فى أنفسكم وقد احتالوا لكم بكل ضرب ، فقال له المهدى : هكذا صنع الملوك فماذا ؟ قال : رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين رؤيا صالحة ، وقد أحب أن يقصها على أمير المؤمنين ، فقال له المهدى : ويحك يا ربيع ! إنى والله قد أرى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى ، فكيف إذا ادعاها لى من لعله افتعلها ؟ قال : قد قلت له والله مثل هذا فلم يقبل . قال : فهات الرجل ، فأدخل عليه سعيد بن عبد الرحمن وكان له رواء وجمال وثروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق ، فقال له المهدى : هات بارك الله عليك ما رأيت ؟ قال : يا أمير المؤمنين رأيت كأن آتيا أتانى فى منامى ، فقال لى : أخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة ، وآية ذلك أن يرى فى ليلته هذه فى منامه كأنه يقلب ياقوتا فيعده فيجده ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له ، فقال له المهدى : ماأحسن ما رأيت ، ونحن نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به ، فإن كان الأمر كما ذكرته أعطيناك كما تريد ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك فلم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت ، فقال له سعيد : ياأمير المؤمنين فماذا أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلى وعيالى وأخبرتهم أنى كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفر اليدين ؟ فقال له المهدى : فكيف نصنع ؟ فقال : تعجل لى يا أمير المؤمنين ما أحب وأحلف لك بالطلاق أنى صادق فى رؤياى فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر أن يؤخذ منه كفيل ، فمد عينيه فرأى خادما واقفا على رأس المهدى حسن الوجه والزى ، فقال : هذا يكفلنى : فقال له المهدى : أتتكفل به ؟ فاحمر وجهه وخجل وقال : نعم أتكفل ، وانصرف سعيد بالمال ، فلما كان فى تلك الليلة رأى المهدى ما ذكره له سعيد حرفا بحرف ، وأصبح سعيد فوافى الباب قائما واستأذن فأذن له ، فلما وقعت عين المهدى عليه قال له : أين مصداق ما قلت ؟ فقال له سعيد : أو ما رأى أمير المؤمنين شيئا فتلجلج فى جوابه ، فقال له سعيد امرأته طالق إن لم تكن رأيت شيئا ، فقال له المهدى : ويحك ! ما أجرأك على الحلف بالطلاق ! قال : لأنى أحلف على صدق . فقال له المهدى : قد والله رأيت ذلك بينا ، فقال سعيد : الله أكبر ، أنجز لى يا أمير المؤمنين ما وعدتنى ، فقال له : حبا وكرامة ، ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار ، وعشرة تخوت ثياب ، وثلاثة مراكب من أنفس دوابه . وقال غيره : ثلاث بغال شهب

فأخذ ذلك وانصرف ، فلحقه الخادم الذى كان تكفل به وقال له : سألتك بالله الذى لا إله إلا هو هل كان لتلك الرؤيا التى ذكرت حقيقة ؟ فقال له سعيد : لا والله ، فقال له : وكيف ذلك وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له ؟ فقال : هذه من المخاريق الكبار التى لا يأبه لها أمثالكم ، وذلك أنى لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله ، وحدّث به نفسه واشرأب به قلبه واشتغل به فكره ، فساعة ما نام خيل له ما كان فى قلبه مما شغل به فكره فرآه فى منامه ، فقال له الخادم : فقد حلفت بالطلاق ، قال : طلقت واحدة وأبقيت معى على اثنتين فأزيد فى المهر عشرة دراهم وأحصل على عشرة آلاف درهم ، وثلاثة آلاف دينار ، وعشرة تخوت من أصناف الثياب وثلاثة مراكب ، فبهت الخادم فى وجهه وتعجب من أمره ، فقال له سعيد : قد والله صدقتك وجعلت صدقى لك مكافأتك على كفالتك لى فاستر ذلك علىّ ففعل ، ثم إن المهدى طلبه لمنادمته فجعل ينادمه وحظى عنده وقلده القضاء على عسكره ، فلم يزل كذلك حتى مات المهدى ، ثم قال ابن الجوزى : هكذا رويت لنا هذه الحكاية ، وإنى لمرتاب من صحتها ، وما أبعد هذا أن يحكى عن قاض من القضاة .

قلت : وقد سئل الإمام أحمد عن سعيد بن عبد الرحمن هذا فقال : ليس به بأس . وقال يحيى بن معين : هو ثقة ، وإنما اتهم بهذا الهيثم بن عدى ، فقد قال يحيى بن معين : الهيثم ليس بثقة كان يكذب . وقال عدى بن المدينى : لا أرضاه فى شىء . وقال أبو داود العجلى : الهيثم كذاب ، وقال إبراهيم بن يعقوب الجرجانى : الهيثم ساقط قد كشف قناعه . وقال أبو زرعة : ليس بشىء .

وفى كتاب [الفرج بعد الشدة] عن رجل من الجند قال : خرجت من بعض بلدان الشام أريد قرية من قراها ، فلما صرت فى بعض الطريق وقد سرت عدة فراسخ لحقنى التعب ، وكان معى بغلة عليها خرجى وقماشى ، وكان قد قرب المساء ، فإذا بدير عظيم وفيه راهب فى صومعة ، فنزل إلىّ واستقبلنى وسألنى المبيت عنده وأن يضيفنى ففعلت ، فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيره فأخذ بغلتى وطرح لها شعيرا وعزل رحلى فى بيت وجاءنى بماء حار ، وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط ، وأوقد بين يدىّ نارا عظيمة وجاء بطعام طيب فأكلت ، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم فسألته عن طريق المستراح فدلنى عليه ، وكنا فى غرفة فنزلت ومشيت ، فلما صرت على باب المستراح إذا بارية عظيمة ، فلما صارت رجلاى عليها سقطت فإذا أنا بالصحراء ، وإذا البارية كانت مطروحة على غير سقف ، وكان الثلج يسقط سقوطا عظيما فصحت بالراهب فلم يكلمنى فقمت وقد تجرح بدنى إلا أنى سالم ، فجئت فاستظللت بطاق باب الدير من الثلج ، فإذا حجارة قد أتتنى لو تمكنت من دماغى لطحنته ، فخرجت أعدو وأصيح فشتمنى ، فعلمت أنى أتيت من جانبه ، وأنه طمع فى رجلى

فلما خرجت من ظل الدير وقع الثلج علىّ وبل ثيابى، فنظرت فإذا أنا تالف من البرد والثلج. فولد لى الفكر أن أخذت حجرا قريبا من ثلاثين رطلا فوضعته على عاتقى وجعلت أعدو به فى الصحراء شوطا طويلا حتى يأخذنى التعب ، فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر وجلست أستريح ، فإذا سكنت وأخذنى البرد تناولت الحجر وعدوت فلم أزل على تلك الحالة إلى الصبح ، فلما كان قبل طلوع الشمس وأنا خلف الدير إذ سمعت حس باب الدير وقد فتح وإذا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الذى سقطت منه فلم يرنى فقال : ياقوم مافعل وأنا أسمعه ثم مشى فخالفته إلى باب الدير ودخلت الدير وهو دائر يطلبنى حول الدير ، ووقفت خلف الباب وكان فى وسطى خنجر لم يشعر به الراهب فطاف حول الدير ، فلما لم يقف لى على علم ولا خبر ولا عرف لى أثرا عاد ودخل الدير وأغلق الباب عليه ، فجئت عليه ووجأته بالخنجر فصرعته وذبحته ، وأغلقت باب الدير وصعدت إلى الغرفة واصطليت بنار كانت موقودة هناك وطرحت علىّ من رحلى ثيابا كثيرة وأخذت كساء الراهب فنمت فيه فما أفقت إلا قرب العصر ، فلما انتبهت طفت الدير حتى وقفت على طعام فأكلت منه وسكنت نفسى ، ووقعت بمفاتيح بيوت الدير فوقفت أفتح بيتا بيتا فإذا أموال عظيمة من عين وورق وأمتعة وثياب وآلات ورحال قوم وأخراجهم وحمولاتهم ، وإذا الراهب كان من عاداته ذلك مع كل من يجتاز به وحيدا ويتمكن منه . قال : فتحيرت فى نفسى ولم أدر كيف أعمل فى نقل المال ، فلبست من ثياب الراهب شيئا وأقمت فى صومعته أياما أتراءى لمن يجتاز بى من بعيد لئلا يشكوا أنى أنا هو فإذا قربوا منى لم أبرز إليهم وجهى إلى أن خفى أثرى فنزعت ثياب الراهب وأخذت جوالقين كانا فى الدير من تلك الأمتعة وجعلتهما على ظهر البغلة ، وذهبت إلى قرية قريبة من الدير ، فاكتريت بها منزلا ولم أزل أنقل إليه على البغلة حتى أخذت الصامت كله مما خف حمله وكثرت قيمته ولم أدع فيه إلا الأمتعة الثقيلة ، فاكتريت عدة دواب ورجال وجئت بهم دفعة واحدة ، وحملت كل ما قدرت عليه وسرت فى قافلة عظيمة هائلة حتى قدمت على بلدى وقد حصلت على مال عظيم . وقد ذكر هذه الحكاية الحافظ بن شاكر فى تاريخه عن أبى محمد البطال وفيها بعض مخالفة .

(الخواص) إذا جفف قلب البغل ونحت وسقى من نحاتته امرأة لم تحبل أبدا ، وكذلك وسخ أذنه إذا تحملت به المرأة لم تحبل أبدا ، وإن علقته فى جلد بغل عليها لم تحبل أبدا مادام عليها ، ورماد حافره إذا سحق وعجن بدهن الآس وجعل على رأس الأقرع أو الموضع الذى لاينبت فيه شعر نبت الشعر ، وإذا دفن حافر البغلة السوداء أو دمها تحت عتبة باب لم يقربه فأر ، وإذا بخر البيت بحافر بغلة ذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام . ونقل ابن زهر عن سقراطيس : أن من كان عاشقا وأحب أن يزول عشقه فليتمرغ فى مراغة بغل ذكر إن كان عشقه من ذكر

وإن كان عشقه من أنثى فنى مراغة بغل أنثى ، وزبله إذا شمه المزكوم وتفل عليه ورماه على الطريق فمن تخطاه انتقل الزكام إليه وبرئ التافل عليه . وقال هرمس : إذا أخذ وسخ أذن البغل فى بندقة من فضة وعلق على الحبالى منعهن الولادة مادام عليهن ، وإذا سقى منه إنسان فى نبيذ سكر من وقته ، وإن شربت امرأة من بول بغل مقدار ثلاثين درهما لم تحبل أبدا ، وإن سقيت المرأة الحامل من دماغ بغل شيئا جاء ولدها مجنونا . وقال ابن بختيشوع : عرق البغلة إذا تحملت به امرأة فى قطنة لم تحبل أبدا .

(التعبير) البغل فى المنام يدل على السفر براكبه ، وعلى طول العمر ، ويعبر أيضا بولد زنا لاأصل له ، فمن ركب بغلا ولم يكن من المسافرين فإنه يقهر رجلا شديدا ، والبغلة مرتبة . وقيل : امرأة عاقر فالسوداء ذات مال والبيضاء ذات حسب ، وقيل : البغلة أيضا سفر ، فمن نزل عن بغلته نزول مفارقة نزل عن مرتبته أو فارق زوجته التى هى مركبه أو يطول سفره ، والله أعلم .

﴿ البغيبغ ﴾ : تيس الظباء السمين ، وسيأتى إن شاء الله تعالى مافيه فى الظبى فى حرف الظاء .

﴿ البقر الأهلى ﴾ : اسم جنس يقع على الذكر والأنثى وإنما دخلته الهاء للوحدة والجمع بقرات ، قال الله تعالى — سبع بقرات سمان — قال المبرد فى [الكامل] : إذا أردت التمييز قلت هذا بقرة للذكر وهذه بقرة للأنثى كما تقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للأنثى ، والبقير والبقران والباقر جماعة البقر مع رعاتها والبيقور الجماعة . قال الشاعر :

أجاعـــل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطـر

وأهل اليمن يسمون البقرة باقورة كتب النبى صلى الله عليه وسلم إليهم كتاب الصدقة « فى كل ثلاثين باقورة بقرة » واشتق هـذا الاسم من بقر إذا شق لأنها تشق الأرض بالحراثة ، ومنه قيل لمحمد بن على زين العابدين بن الحسين الباقر لأنه بقر العلم : أى شقه ودخل فيه مدخلا بليغا ، وفى الحديث « أنه عليه الصلاة والسلام ذكر فتنة كوجوه البقر » أى يشبه بعضها بعضا ذهبوا إلى قوله تعالى — إن البقر تشابه علينا — وفيه أيضا « رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس » وروى الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن طالت بك حياة يوشك أن ترى قوما يغدون فى سخط الله ويروحون فى لعنته فى أيديهم مثل أذناب البقر » وفيه أيضا « بينما رجل يسوق بقرة إذ تكلمت فقالوا : سبحان الله بقرة تتكلم ! قال : آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر » وفى سنن أبى داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » قال الترمذى

حديث حسن: وهو الذى يتشدق فى الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفا، وفى سنن أبى داود من حديث عطاء الخراسانى عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » وفى نهاية الغريب فى باب السين المهملة فى الحديث « مادخلت السكة دار قوم إلا ذلوا » والسكة هى التى يحرث بها الأرض: أى إن المسلمين إذا أقبلوا على الزراعة شغلوا عن الغزو فيأخذهم السلطان بالمطالبات والجبايات، وقريب من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم « العز فى نواصى الخيل والذل فى أذناب البقر » .

والبقر حيوان شديد القوة كثير المنفعة خلقه الله ذلولا ولم يخلق له سلاحا شديدا كما للسباع لأنه فى رعاية الإنسان، فالإنسان يدفع عنه ضرر عدوه فلو كان له سلاح لصعب على الإنسان ضبطه ، والبقر الأجم يعلم أن سلاحه فى رأسه فيستعمله فى محل القرن كما يرى فى العجاجيل قبل نبات قرونها تنطح برءوسها نفعل ذلك طبعا، وهى أجناس فمنها: الجواميس وهى أكثرها ألبانا وأعظمها أجساما . قال الجاحظ : الجواميس ضأن البقر ، وهذا يقتضى أنها أطيب وأفضل من العراب حتى أنها تكون مقدمة عليها فى الأضحية كما يقدم الضأن فيها على المعز وقال الزمخشرى فى [ربيع الأبرار] أشراف السباع ثلاثة : الأسد والنمر والببر . وأشراف البهائم ثلاثة : الفيل والكركدن والجاموس . ومنها العراب وهى جرد ملس الألوان ، ومنها نوع آخر يقال له الدربانة بدال مهملة ثم راء ثم باء موحدة ثم نون وهى التى تنقل عليها الأحمال وربما كانت لها أسنمة ، والبقر ينزو ذكورها على إناثها إذا تم لها سنة من عمرها فى الغالب ، وهى كثيرة المنى وكل الحيوان إناثه أرق صوتا من ذكوره إلا البقر فإن الأنثى أفخم وأجهر وهى تقلق إذا ضربها الذكر وتلتوى تحته لاسيما إذا أخطأ المجرى لصلابة ذكره ، وهى إذا اشتاقت للذكر نفرت وأتعبت الرعاة ، وبأرض مصر بقر يقال لها بقر الخيس طوال الرقاب قرونها كالأهلة وهى كثيرة اللبن . وقال المسعودى : رأيت بالرى بقرا تبرك كما تبرك الإبل وتثور بحملها كما تثور ، وليس لجنس البقر ثنايا عليا فهى تقطع الحشيش بالسفلى .

(فائدة) فى آخر كتاب [المجالسة] لأحمد بن مروان المالكى الدينورى بإسناده إلى عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : مر عيسى عليه السلام ببقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت : ياكلمة الله ادع الله أن يخلصنى ، فقال : ياخالق النفس من النفس ، ويامخرج النفس من النفس خلصها فألقت مافى بطنها . قال : فإذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها هذا . وأسند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : إذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها (بسم الله الرحمن الرحيم لاإله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله

رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) .

قلت : وهـذا بعض حديث رواه الطبرانى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا طلبت حاجة وأحببت أن تنجح فقل : لاإله إلا الله وحده لاشريك له العلى العظيم ، لاإله إلا الله وحده لاشريك له الحليم الكريم ، لاإله إلا الله وحده لاشريك له رب السموات والأرض ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ، اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار ، اللهم لاتدع لنا ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها برحمتك ياأرحم الراحمين » .

ومما جرب لعسر الولادة أن يكتب ويسقى للمطلقة وهو (بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله رب العالمين إلى آخرها ، بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد إلى آخرها ، بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق إلى آخرها ، بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس إلى آخرها ، بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت مافيها وتخلت ، اللهم ياملخلص النفس من النفس ، وياملخرج النفس من النفس ياعليم ياقدير خلص فلانة مما فى بطنها من ولدها خلاصا فى عافية إنك أرحم الراحمين) .

(فائدة أخرى) روى صاحب [الترغيب والترهيب] والبيهقى فى [الشعب] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن ملكا من الملوك خرج من بلده يسير فى مملكته وهو مستخف من الناس ، فنزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك الليلة البقرة فحلبت مقدار ثلاثين بقرة فعجب الملك من ذلك وحدّث نفسه بأخذها ، فلما كان من الغد غدت البقرة إلى مرعاها ثم راحت فحلبت نصف ذلك ، فدعا الملك صاحبها وقال له : أخبرنى عن بقرتك هذه لم نقص حلابها ألم يكن مرعاها اليوم مرعاها بالأمس ؟ قال : بلى ، ولكن أرى الملك أضمر لبعض رعيته سوءا فنقص لبنها ، فإن الملك إذا ظلم أوهم بظلم ذهبت البركة . قال : فعاهد الملك ربه أن لايأخذها ولا يظلم أحدا . قال : فغدت فرعت ثم راحت فحلبت حلابها فى اليوم الأول فاعتبر الملك بذلك وعدل وقال : إن الملك إذا ظلم أوهم بظلم ذهبت البركة لاجرم لأعدلن ولأكونن على أفضل الحالات ، وذكرها ابن الجوزى فى كتاب [مواعظ الملوك والسلاطين] على غير هـذا الوجه فقال : خرج كسرى فى بعض الأيام للصيد فانقطع عن أصحابه وأظلته سحابة فأمطرت مطرا شديدا حال بينه وبين جنده ، فمضى لايدرى أين يذهب فانتهى إلى كوخ فيه عجوز فنزل عندها : وأدخلت العجوز فرسه ، فأقبلت ابنتها ببقرة قد رعتها فاحتلبتها

فرأى كسرى لبنها كثيرا فقال : ينبغى أن نجعل على كل بقرة خراجا فهذا حلاب كثير ، ثم قامت البنت فى آخر الليل لتحلبها فوجدتها لا لبن فيها ، فنادت ياأماه قد أضمر الملك لرعيته سوءا . قالت أمها : وكيف ذلك ؟ قالت إن البقرة ماتبز بقطرة من لبن . فقالت لها أمها : اسكتى فإن عليك ليلا ، فأضمر كسرى فى نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم ، فلما كان آخر الليل قالت لها أمها : قومى احلبى فقامت فوجدت البقرة حافلا . فقالت : ياأماه قدوالله ذهب مافى نفس الملك من السوء ، فلما ارتفع النهار جاء أصحاب كسرى ، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه فأحسن إليهما وقال : كيف علمتما ذلك ؟ فقالت العجوز : أنا بهذا المكان منذ كذا وكذا ماعمل فينا بعدل إلا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا ، وما عمل فينا بجور إلا ضاق عيشنا وانقطعت مواد النفع عنا .

وذكر الإمام الطرطوشى فى [سراج الملوك] أنه كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمرا ، ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك ، فغصبها السلطان فلم تحمل فى ذلك العام ولا تمرة واحدة . قال الطرطوشى : وقال لى شيخ من أشياخ الصعيد : أعرف هذه النخلة فى الغربية تجنى عشرة أرادب ستين ويبة ، وكان صاحبها يبيع فى سنى الغلاء كل ويبة بدينار .

وذكر ابن خلكان فى ترجمة جلال الدولة ملك شاه السلجوقى : أن واعظا دخل عليه فكان من جملة ماوعظه به . أن بعض الأكاسرة اجتاز منفردا عن عسكره على باب بستان فتقدم إلى الباب وطلب ماء يشربه ، فخرجت له صبية بإناء فيه ماء قصب السكر والثلج ، فشربه فاستطابه فقال لها : هذا كيف يعمل ؟ فقالت إن القصب يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا فيخرج منه هذا الماء ، فقال : ارجعى واعصرى شيئا آخر ، وكانت الصبية غير عارفة به فلما ولت قال فى نفسه الصواب أن أعوضهم غير هذا المكان وأصطفيه لنفسى ، فما كان بأسرع من خروجها باكية وقالت : إن نية سلطاننا قد تغيرت . قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قالت : كنت آخذ من هذا ماأريد بغير تعب ، والآن قد اجتهدت فى عصره فلم أستطع ، فرجع عن تلك النية ثم قال لها : ارجعى الآن فإنك تبلغين الغرض ، وعقد فى نفسه أن لايفعل مانواه ، فذهبت ثم جاءت ومعها ماشاءت من ماء القصب وهى مستبشرة . قال : وكان ملك شاه من أحسن الملوك سيرة حتى لقب بالملك العادل ، وكان قد أبطل المكوس والخفارات فى جميع البلاد فكثر الأمن فى زمانه ، وكان قد ملك مالم يملكه أحد من ملوك الإسلام ، وكان لهجا بالصيد . قيل : إنه ضبط مااصطاده بيده فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار ، وقال إنى خائف من الله تعالى من إزهاق الأرواح لغير مأكلة ، وكان كلما اصطاد صيدا يتصدق بدينار . وقيل : إنه خرج مرة من الكوفة فاصطاد فى طريقه وحشا

كثيرا فبنى هناك منارة من حوافر حمر الوحش وقرون الظباء التى صادها فى تلك الطريق . قال يعنى (ابن خلكان) : والمنارة باقية إلى الآن تعرف بمنارة القرون، وكانت وفاته ببغداد سادس عشر شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة . ومن عجيب الاتفاق أن المقتدى بالله كان قد بايع لولده المستظهر بولاية العهد من بعده ، فلما دخل ملك شاه بغداد المرة الثالثة ألزم المقتدى أن يعزل ولده المستظهر، ويجعل ولده جعفرا الذى رزقه من ابنته ولى العهد، ويخرج المقتدى إلى البصرة ، فشق ذلك على المقتدى وبالغ فى استنزال ملك شاه عن هذا الرأى فلم يفعل فسأله المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله ، فجعل المقتدى يصوم ويطوى ، وإذا أفطر جلس على الرماد للإفطار وهو يدعو على السلطان ملك شاه ، فمرض ملك شاه ومات فى تلك الأيام ولم تشهد له جنازة ولا صلى عليه أحد فى الصورة الظاهرة ، وحمل فى تابوته إلى أصبهان ودفن بها .

وأما البقرة التى أمر الله تعالى بنى إسرائيل بذبحها فقصتها مشهورة وستأتى الإشارة إلى شىء منها فى باب العين فى لفظ العجل إن شاء الله تعالى ، فسبحان من فاوت بين الخلق .

قيل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : اذبح ولدك ، فتله للجبين . وقيل لبنى إسرائيل : اذبحوا بقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون . وخرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه من جميع ماله ، وبخل ثعلبة بن حاطب بالزكاة ، وجاد حاتم فى حضره وأسفاره ، وبخل الحباحب بضوء ناره ، وكذلك فاوت بين الفهوم فسبحان من أنطق متكلم وباقل أعجز من أخرس ، وفاوت بين الأماكن فزرود تشكو العطش ، والبطائح تشكو الغرق .

(غريبة) كانت العرب إذا أرادت الاستسقاء فى السنة الأزمة جعلت النيران فى أذناب البقر وأطلقوها فتمطر السماء لأن الله تعالى يرحمها بسبب ذلك ؛ قال الشاعر فى ذلك :

أجاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى يذكر ذلك :

سنة أزمة تخيل للنا س ترى للعضاه فيها صريرا
لا على كوكب ينوء ولا ريح جنوب ولا ترى طخرورا
ويسوقون باقر السهل للطو د مهازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران فى هلب الأذ ناب منها لكى تهيج البحورا
سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا

وحكى فى [الإحياء] أن شخصا كانت له بقرة يحلبها ويخلط فى لبنها الماء ويبيعه ، فجاء سيل فغرق البقرة ، فقال له بعض أولاده : إن تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة . وروى الخلال فى المجلس التاسع من مجالسه عن جابر

ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما « أن بقرة انفلتت على خمر فشربت منه فذبحوها ، ثم اتوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال : كلوها أو لابأس بها » .

(الحكم) يحل أكلها وشرب ألبانها إجماعا ، وفى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « سمن البقر وألبانها شفاء ولحمها داء » ورواه ابن عدى فى ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بمعناه ، وفى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر » وروى الطبرانى عن زهير قال : حدثتنى امرأة من أهلى عن مليكة بنت عمرو الزيدية من ولد زيد ابن عبدالله بن سعد قالت : اشتكيت وجعا فى حلقى فأتيتها : تعنى مليكة بنت عمرو ، فوصفت لى سمن بقر وقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألبانها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء » والمرأة التابعية لم تسم ، وبقية رجاله ثقات . وفى المستدرك من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بألبان البقر وأسمانها وإياكم ولحومها ، فإن ألبانها وأسمانها دواء ولحومها داء » ثم قال : صحيح الإسناد وروى الحاكم أيضا وابن حبان عن ابن مسعود أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء جهله من جهله وعلمه من علمه ، وفى ألبان البقر شفاء من كل داء ، فعليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل الشجر » أى تأكل وفى رواية « ترتم » وهى بمعناها . ورواه ابن ماجه عن أبى موسى خلا ذكر ألبان البقر ، ورواه بتمامه البزار وفيه محمد بن جابر بن سيار ، وهو صدوق عند الأكثرين وضعيف عند غيرهم ، وبقية رجاله ثقات ، ورواه الحاكم أيضا فى تاريخ نيسابور من حديث عبد الله بن المبارك عن أبى حنيفة عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب عن عبد الله بن مسعود ، وفى كتاب ابن السنى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : لم يستشف الناس بشىء أفضل من السمن ، وإذا أوصى ببقرة لم يتناول الثور على الأصح لأن لفظها موضوع للأنثى والثانى يتناوله والهاء للوحدة .

قال الرافعى : وقياس تكميل البقر بالجواميس فى الزكاة دخولها هنا . وفى العمدة والكفاية لا تدخل إلا إذا قال من بقرى وليس له إلا الجواميس ، ولو لم يكن إلا بقرات وحش فوجهان كما ذكرنا فى الظباء والإبل ، وأما زكاتها ففى كل ثلاثين منها سائمة تبيع ابن سنة ، وفى كل أربعين مسنة لها سنتان لما روى مالك عن طاوس أن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أخذها كذلك ، وأتى بما دون ذلك فلم يأخذ منها شيئا ، وسمى تبيعا لأنه يتبع أمه فى المسرح . وقيل لأن قرنه يتبع أذنه ولو أخرج تبيعة أجزأته بل هى أولى للأنوثة ، وسميت مسنة لتكامل سنها فلو أخرج عن أربعين تبيعين أجزأه على الصحيح ، وقال البغوى : لا ، لأن العدد لا يقوم مقام السن .

(فائدة) فى الحلية فى ترجمة عكرمة قال : كانت القضاة فى بنى إسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولى غيره مكانه ، ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا ثم بعث الله لهم ملكا يمتحنهم ، فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء وخلفها عجلة ، فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما ، فجاءا إلى القاضى الأول فدفع إليه الملك درة كانت معه وقال له : احكم بأن العجلة لى . قال : بماذا أحكم ؟ قال : أرسل الفرس والبقرة والعجلة فإن تبعت الفرس فهى لى ، فأرسلها فتبعت الفرس فحكم له بها ، وأتيا القاضى الثانى فحكم كذلك وأخذ درة ، وأما القاضى الثالث فدفع له الملك درة وقال : احكم بيننا . قال : إنى حائض . قال الملك ، سبحان الله أيحيض الذكر ؟ قال : سبحان الله أتلد الفرس بقرة ؟ وحكم بها لصاحبها . قلت : هؤلاء كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « قاضيان فى النار وقاض فى الجنة » .

(الأمثال) قالوا : تركت زيدا بملاحس البقر أولادها : أى بحيث تلحس البقر أولادها يعنون المكان القفر ، وقالوا : الكلاب على البقر ، وسيأتى معناه فى باب الكاف إن شاء الله تعالى .

(الخواص) شحم البقر إذا بخر به البيت مع زرنيخ أحمر طرد منه العقارب والحيات وسائر الهوام ، وإذا طلى به إناء اجتمعت إليه البراغيث ، وقرنه إذا سحق وجعل فى طعام صاحب حمى الربع زالت عنه ، وإذا شرب زاد فى الإنعاظ ، ودمه يحبسه الدم السائل ، وإذا طلى بمرارتها مع ماء الكراث البواسير نفعها وسكنها وأزال وجعها ، وإذا طلى به الآثار السود من البدن قلعها وأزالها ، وإذا خلطت مع العسل واكتحل بها أزالت الظلمة وإذا طلى بها مع النطرون والعسل وشحم الحنظل المقعد نفعه . وقال أرسطو : مرارة البقرة السوداء إذا اكتحل بها أحدت البصر . وقال كيماس : إذا فقئت عين البقرة أو قلعت وكتب بمائها على كاغد لم تبن بالنهار وتقرأ بالليل ، وشعورها إذا أحرقت وشربت نفعت من وجع الأسنان ، وإذا شربت بالسكنجبين أزالت الطحال ، وإن شربت بالعسل أخرجت حب القرح من البطن . وقال يونس : إذا طليت التواكيل بخثى البقر تناثرت وبرئت من وقتها ، وإذا طليت به الأورام الصلبة لينها ، وإن بخر به قرية النمل قبل ظهورها لم تظهر ، وإن وضع على النقرس نفع صاحبه ، وإن بخر به الحامل سهل الولادة وأخرج الجنين حيا وميتا والمشيمة ، وإن أحرق فى بيت طرد هوامه ، وإن سحق المحرق منه ونفخ فى الأنف حبس الرعاف ، وإن طلى به على البدن مرارا وترك حتى يجف أخرج السهم والشوكة منه ، وإن طلى به مع الكبريت على خرقة كتان وبسطت على جميع البطن نشف الماء الأصفر . وقال هرمس : إذا طليت منخر البقرة بدهن ورد دهشت وشردت .

(التعبير) البقر فى المنام يعبر بالسنين كما عبرها يوسف الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فالسمان خصب والضعاف جدب هذا إذا كانت بيضا أو سـودا ، وإذا كانت صفرا أو حمرا وهى تنطح الشجر بقرونها فتقلعها أو الأبنية فتسقطها ، فإنها فتن تحل بذلك المكان الذى دخلته لقوله عليه الصلاة والسلام « إن الفتن تكون فى آخر الزمان كصياصى البقر وكعيون البقر » والبقرة الصفراء سنة فيها سرور ، والغبرة فى البقر شدة فى أول السنة ، والبلقة فى أعجازها شدة فى آخر السنة ، والنصف من البقرة مصيبة فى أخت أو بنت ، وكذلك كل سهم ينسب إلى من يرثه كالربع والثمن . ومن حلب بقرة غيره فإنه يخون رجلا فى امرأته ، ومهما رأى الإنسان ببقرته فذلك عائد إلى زوجته أو بنته ، وحليب البقرة مال حلال جزيل ، وأصواتها تدل على ناس معروفين بالأدب ، وخدشها مرض ، ومن وثب عليه بقرة أو ثور ولم يفلته فإنه يموت فى تلك السنة ، والبقر فى المنام للفلاحين خير ، وأنسب البقر فى ألوانها إلى ما تنسب إليه الخيل ، ويأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فى باب الخاء المعجمة ومن رأى بقرة دخلت داره ونطحته فإنه يرى خسرانا فى ماله . وقالت النصارى : من أكل لحم بقرة فى نومه تقدم إلى حاكم ، والشحم مال لمن حواه خالص لا يغادره منه شىء وهو بلا تعب . وأما شواء البقر فهو أمن للخائف ، ومن كانت له زوجة وهى حامل بشر بولد ذكر ، والشواء بشارة فى معيشته فإن كان غير ناضج فهو هم من قبل امرأة . وقيل : لحم البقر رزق وخصب لمن أكله مطبوخا أو مشويا ، ومن الرؤيا المعبرة قول عائشة رضى الله تعالى عنها : رأيت كأنى على تل وحولى بقر ينحر ، فقصصتها على مسروق فقال : إن صدقت رؤياك فإنه يكون حولك ملحمة قتال ، فكان كذلك يوم الجمل ، ومن رأى بقـرة تمص لبن عجلها فإن امرأته تقود على ابنتها ، ومن رأى عبد يحلب بقرة مولاه فإنه يتزوج امرأة المولى ، والله تعالى أعلم .

﴿ البقر الوحشى ﴾ : هذا النوع أربعة أصناف : المها ، والأيل ، واليحمور ، والثيتل ، وكلها تشرب الماء فى الصيف إذا وجدته ، وإذا عدمته صبرت عنه وقنعت باستنشاق الريح ، وفى هذا الوصف يشاركها الذئب والثعلب وابن آوى والحمر الوحشية والغزلان والأرانب : فأما الأيل فتقدم ذكره ، واليحمور سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الياء آخر الحروف ، والكلام الآن فى المها . فمن طبعه : الشبق والشهوة ، فلذلك إذا حملت الأنثى هربت من الذكر خوفا من عبثه بها وهى حامل ، ولفرط شهوته يركب الذكر ذكرا آخر ، وإذا ركب واحد منها شم الباقى منه رائحة الماء فيثبن عليه . وقرون البقر الوحشى مصمتة بخلاف قرون سائر الحيوانات فإنها مجوفة كما تقدم ، والبقر الوحشى أشبه شىء بالمعز الأهلية ، وقرونها صلاب جدا تمنع بها عن نفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التى تطيف بها .

(فائدة) لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكا عليها وكان نصرانيا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد « إنك تجده يصيد بقر الوحش » فلما وصل إليه كان فى ليلة مقمرة فأذن الله تعالى للبقر الوحشية أن تأتيه من كل جانب تحك قصره بقرونها ، فأشرف عليها وقال : ما رأيت أكثر منها الليلة ، ولقد كنت أكمن لها اليومين والثلاثة ولا أجدها ، ولكن قدر الله وما شاء فعله ، ثم أمر بفرسه فأسرج وركب هو وأخوه حسان وعليه قباء من الديباج المخوص بالذهب ، فلما نزل وافته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته أسيرا وأرسلوه بقبائه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعجب منه بعض أصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لمناديل سعد فى الجنة خير من هذا » ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم عرض عليه الإسلام فأبى فأقره بالجزية فى أرضه فى شهر رجب سنة تسع من الهجرة ، وأشار إلى هذه البقرات الوحشية بجير بن بجرة الطائى بقوله :

تبارك سائق البقرات إنى رأيت الله يهدى كل هادى
فمن يك حائدا عن ذى تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

وسيأتى مزيد كلام فى المها فى باب الميم إن شاء الله تعالى .

(الحكم) يحل أكلها بجميع أنواعها بالإجماع لأنها من الطيبات .

(الأمثال) قالت العرب : تتابعى بقر : زعموا أن بشر بن الحرث الأسدى خرج فى سنة جهد فيها قومه فمروا ببقر فنفرت منهم ، فقام على رأس جبل فرماها بقوسه فجعلت تلقى نفسها وهو يقول : تتابعى بقر حتى تكسرت ، ثم رجع إلى قومه فدعاهم لأكلها يضرب عند تتابع الأمر وسرعته .

(الخواص) مخه يطعم لصاحب الفالج ينفعه نفعا شديدا ، ومن استصحب معه شعبة من قرونه نفرت منه السباع ، وإذا دخن بقرنه أو جلده أو ظلفه فى بيت نفرت منه الحيات ، ورماده يذر على السن المتأكلة المتألمة يسكن وجعها ، وشعره يبخر به البيت يهرب منه الفأر والخنافس ، وقرنه يحرق ويجعل فى طعام صاحب حمى الربع تزول عنه ، ويشرب فى شىء من الأشربة يزيد فى الباه ويقوى العصب ويزيد فى الإنعاظ ، وينفخ فى أنف الراعف يقطع دمه ، ويحرق قرناه حتى يصير رمادا ويداف فى الخل ويطلى به موضع البرص مستقبلا به الشمس فإنه يزول ، ويسف منه مقدار مثقال فإنه لا يخاصم أحدا إلا غلبه .

﴿ بقر الماء ﴾ : قال القزوينى : زعموا أن بقرا يطلع من الماء يرعى الزرع وروثها العنبر والله أعلم بصحة ذلك ، فإن الناس ذكروا أن العنبر نبت بقعر البحر ، فإن صح ما قالوه فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب ، والله أعلم .

﴿ بقرة بنى إسرائيل ﴾ : هى التى يقال لها أم قيس وأم عويف ، وهى دابة صغيرة لها قرنان تكون فى الرمل ، فإذا أردت أن تخرجها فاطرح فى موضعها قلة فتخرج فتأخذها ، فإذا صارت فى يدك فشق ظهرها وأدخل فيه ميلا واكحل به من بعينيه بياض ثلاث مرات فإنه يذهب ، وإذا دلك بهذه الدابة موضع القرع نبت فيه الشعر .

﴿ البق ﴾ : قال الجوهرى البقة البعوضة والجمع البق ، وأنشد فى باب العين والياء واللام لزفر بن الحارث الكلابى :

ألا إنما قيس بن عيلان بقة إذا وجدت ريح العصير تغنت

والبق المعروف هو الفسافس الآتى فى باب الفاء إن شاء الله تعالى . يقال إنه يتولد من النفس الحار ، ولشدة رغبته فى الإنسان لا يتمالك إذا شم رائحته إلا رمى نفسه عليه ، وهو كثير بمصر وما شاكلها من البلاد .

(وحكمه) تحريم الأكل لاستقذاره كالبعوض ، وهو من الحيوان الذى لا نفس له سائلة أصلا كما قاله الرافعى رحمه الله فى الدم ، والدم الذى فيه يمتصه من بنى آدم كما يمتصه القمل والبرغوث ، ووقع فى كلام الرافعى والنووى وغيرهما تمثيل مالا نفس له سائلة بالبعوض والبق . قال الشيخ : وفى ذكر البق المعروف فى بلادنا فيما لا نفس له سائلة نظر ، وقد رأيت بعض الناس يذكر أنه فى كثير من البلاد اسم للبعوض فلعل من أطلقه أراد به البعوض .

(الخواص) قال القزوينى فى [عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات] إذا بخر البيت بالقلقند والشونيز لم يدخله البق بالكلية ، وكذلك إذا بخر بنشارة الصنوبر طرده أيضا ؛ وقال حنين بن إسحاق : إذا بخر البيت بحب الحلب هرب منه البق أجمع ، وكذلك إذا بخر بالعلق أو العاج أو بجلد جاموس أو بأغصان شجر السرو . وقال غيره : إذا نقع ورق الحرمل فى خل ونضح به البيت هرب منه ، وإذا وضع الحرمل عند رأس الإنسان أو رجليه لم يقرب منه البق ، وإذا نقع السداب فى خل ونضح به البيت هرب منه ، وإذا أخذ كندر وكبريت ودقا وديفا بما يطلى بذلك قضيب قنب ووضعه إنسان عند رأسه حيث ينام لم يقربه بق البتة ؛ وقال ابن جميع [فى الإرشاد] دخان الكمون والآس اليابس والترمس يطرد البق والبعوض ومما جرب فوجد نافعا لطرد البق : أن يكتب على أربع ورقات ويلصق فى الحيطان الأربع ما صورته ١١١٢١٢ .

(تذنيب) قد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم البق فى حديث رواه الطبرانى بإسناد جيد على أبى هريرة رضى الله عنه قال « سمعت أذناى هاتان وأبصرت عيناى هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بكفيه جميعا حسنا أو حسينا وقدماه على قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : حزقة حزقة ترق عين بقة ، فيرق الغلام فيضع قدميه على صدر

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : افتح فاك ، ثم قبله ثم قال : اللهم من أحبه فإني أحبه » ورواه البزار ببعض هذا اللفظ . والحزقة الضعيف المتقارب الخطو ذكر ذلك له على سبيل المداعبة والتأنيس ، وترق معناه : اصعد وعين بقة كناية عن صغر العين مرفوع على أنه خبر مبتدإ محذوف . وفى كامل ابن عدى وتاريخ ابن النجار فى ترجمة محمد بن على بن الحسين بن محمد عن الأصبغ بن نباتة الحنظلى قال : سمعت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول فى خطبته : ابن آدم وما ابن آدم ؟ تؤلمه بقة وتنتنه عرقة ، وتقتله شرقة . والأصبغ بن نباته الحنظلى المذكور يروى عن على رضى الله تعالى عنه أشياء لم يتابعه عليها أحد فاستحق من أجلها الترك ، روى له ابن ماجه حديثا واحدا « نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم بحجامة الأخدعين والكاهل » .

(الحكم) يحرم أكل البق لاستقذاره كالبعوض .

(الأمثال) قالوا : أضعف من بقة .

(التعبير) البق فى المنام أعداء ضعاف طعانون وهم جند لاوفاء لهم ولا جلد ، ويدل أيضا على الهم والحزن ، لأن البق يمنع النوم والهم والحزن يمنعان النوم والله أعلم .

﴿ البكر ﴾ : الفتى من الإبل والأنثى بكرة والجمع بكار مثل فرخ وفراخ ، وقد يجمع فى القلة على أبكر . قال أبو عبيدة : البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس والبكرة بمنزلة الفتاة والقلوص بمنزلة الجارية ، والبعير بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة . روى مسلم عن أبى رافع « أن النبى صلى الله عليه وسلم استلف من رجل بكرا ، فلما جاءت إبل الصدقة أمرنى أن أقضى الرجل بكرا فقلت : لم أجد فى الإبل إلا جملا خيارا رباعيا ، فقال صلى الله عليه وسلم أعطه فإن خياركم أحسنكم قضاء » وفى رواية بازلا بدل رباعيا . وروى الحاكم عن العرباض ابن سارية رضى الله عنه قال « بعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا فجئت أتقاضاه فقلت : يا رسول الله اقضنى ثمن بكرى . قال : نعم ، ثم قضانى فأحسن قضائى ، ثم جاءه أعرابى فقال : يا رسول الله اقضنى بكرى فقضاه بعيرا مسنا ، فقال : يا رسول الله هذا أفضل من بكرى ، فقال صلى الله عليه وسلم : هو لك إن خير القوم خيرهم قضاء » ثم قال صحيح الإسناد وروى الحافظ أبو يعلى إسناده إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى وادى عسفان قال : يا أبا بكر أى واد هذا ؟ قال : وادى عسفان . قال صلى الله عليه وسلم : لقد مر بهذا الوادى نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمرا خطمهم الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق » وروى مسلم عن سيرين بن معبد الجهنى رضى الله تعالى عنه « أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة قال : فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المتعة ، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة

من بنى عامر كأنها بكرة عيطاء : أى شابة طويلة العنق فى اعتدال ، فعرضنا عليها أنفسنا فقالت : ما تعطينى ؟ فقلت : ردائى . وقال صاحبى : ردائى ، وكان رداء صاحبى أجود من ردائى ، وكنت أشب منه فكانت إذا نظرت إلى رداء صاحبى أعجبها ، وإذا نظرت إلىّ أعجبتها ، ثم قالت : أنت ورداءك تكفينى ، فمكثت معها ثلاثا . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كان عنده شىء من هذه النساء التى يتمتع بهن فليخل سبيلها » وفى رواية فلم أخرج عنها حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو داود والنسائى والترمذى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أن أعرابيا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة فعوضه منها ست بكرات فتسخطها ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن فلانا أهدى إلىّ ناقة فعوضته منها ست بكرات فظل ساخطا ، لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشى أو أنصارى أو ثقفى أو دوسى » وفى حديث على رضى الله تعالى عنه : صدقنى سن بكره . وهو مثل تضربه العرب للصادق فى خبره ، ويقوله الإنسان على نفسه وإن كان ضارا له . وأصله أن رجلا ساوم رجلا فى بكر يشتريه ، فسأل صاحبه عن سنه فأخبره بالحق فقال المشترى : صدقنى سن بكره .

وفى مسند الشافعى عن مولى لعثمان قال : بينما أنا مع عثمان رضى الله تعالى عنه فى يوم صائف إذ رأى رجلا يسوق بكرين وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح ؟ فدنا الرجل فقال ، انظر ، فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقلت : هذا أمير المؤمنين ، فقام عثمان رضى الله تعالى عنه فأخرج رأسه من الباب فآذاه نفح السموم ، فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال : ما أخرجك فى هذه الساعة ؟ قال : بكران من إبل الصدقة تخلفا ، وقد مضى بإبل الصدقة ، فأردت أن ألحقهما بالحمى خشية أن يضيعا فيسألنى الله عنهما ، فقال عثمان : هلم إلى الماء والظل ، فقال : عد إلى ظلك ، فقال : عندنا من يكفيك ، فقال : عد إلى ظلك ثم مضى ، فقال عثمان من أحب أن ينظر إلى القوى الأمين فلينظر إلى هذا .

(الأمثال) فى الحديث « جاءت هوازن على بكرة أبيها » وقالوا : جاءوا على بكرة أبيهم يصفونهم بالقلة : أى جاءوا بحيث تحملهم بكرة أبيهم . قلت : وأصله أن قوما قتلوا وحملوا على بكرة أبيهم فقيل فيهم ذلك ، ثم صار مثلا لقوم جاءوا مجتمعين . وقال أبو عبيدة : معناه جاءوا جميعا لم يتخلف منهم أحد ، وليس هناك بكرة فى الحقيقة . وقال بعضهم : البكرة هاهنا هى التى يسق عليها : أى جاءوا بعضهم فى أثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد . وقال قوم : أراد بالبكرة الطريقة ، أراد أنهم جاءوا على طريقة أبيهم : أى يقتفون أثره ، وقيل

وهو ذم وصف بالقلة والذلة : أى يكفيهم للركوب بكرة واحدة ، وذكر الأب احتقار تصغير لهم . (وحكمه وخواصه وتعبيره كالإبل) .

﴿ البلبل ﴾ : من أنواع العصافير ، ويقال له : الكعيت والجميل مصغران ، وهو النغر وسيأتى فى بابه ، وقد أحسن من ألغز فيه بقوله :

وما طائر نصفه كله له فى ذرا الدوح سير وليث
رأينا ثلاثة أرباعه إذا صحفوها غدت وهى ثلث

وقد أجاد على بن المظفر أبو الفضل الآمدى قاضى واسط حيث قال :

واها له ذكر الحمى فتأوّها ودعا به داعى الصبا فتولها
هاجت بلابله البلابل فانثنت أشجانه تثنى عن الحلم النهى
فشكا جوى وبكى أسى وتنبه ال وجد القديم ولم يزل متنبها
لا تكرهوه على السلو فطالما حمل الغرام فكيف يسلو مكرها
لا عتب ياسعدى عليك فسامحى وصلى فقد بلغ السقام المنتهى

وما أحسن قول يوسف بن لؤلؤ حيث يقول :

باكر إلى الروضة تستجلها فثغرها فى الصبح بسام
والنرجس الغض اعتراه الحيا فغض طرفا فيه أسقام
وبلبل الدوح فصيح على الأيكة والشحرور تمتام
ونسمة الصبح على ضعفها لها بنا مر وإلمام
فعاطنى الصهباء مشمولة عذراء فالواشون نوّام
واكتم أحاديث الهوى بيننا فى خلال الروض نمام

ومن محاسن شعره أيضا قوله :

سقى الله أرضا نور وجهك شمسها وحيا بلادا أنت فى أفقها بدر
وروّى بقاعا جود كفك غيثها ففى كل قطر من نداك بها قطر

وله أيضا :

تسلسل دمعى وهو لا شك مطلق وصح حقيقا حين قالوا تكسرا
وفى قلب مائى للقلوب مسرة وقالوا سيجرى بالهنا وكذا جرى.

وله أيضا :

بعينى رأيت الماء ألقى بنفسه على رأسه من شاهق فتكسرا
وقام على أثر التكسر جاريا ألا فاعجبوا ممن تكسر قد جرى.

وله أيضا :

أنفقت كنز مدائحى فى ثغره وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبله فأبى وراح تغزلى فى البارد

والعرب تقول : البلبل يعندل : أى يصوت . وروى الحافظ أبو نعيم وصاحب [الترغيب والترهيب] من حديث مالك بن دينار : أن سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم مر على بلبل فوق شجرة يصفر ويحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ، وهو بالمد أى على الدنيا الدروس وذهاب الأثر ، وقيل العفاء التراب ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين فى لفظ العقعق عن الزمخشرى أنه ذكر فى تفسير قوله تعالى — وكأين من دابة لا تحمل رزقها — عن بعضهم : أن البلبل يحتكر القوت . حكى البويطى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه : أنه كان فى مجلس مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه وهو غلام ، فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه فقال إنى حلفت بالطلاق الثلاث أن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح، فقال له مالك : قد حنثت فمضى الرجل ، فالتفت الشافعى رضى الله تعالى عنه إلى بعض أصحاب مالك، فقال : إن هذه الفتيا خطأ فأخبر مالك بذلك ، وكان مالك رضى الله تعالى عنه مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يرده ، وربما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس فى مجلسه ، فقالوا لمالك : إن هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ ، فقال له مالك : من أين قلت هذا ؟ فقال له الشافعى : أليس أنت الذى رويت لنا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة فاطمة بنت قيس رضى الله تعالى عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم إن أباجهم ومعاوية خطبانى فقال صلى الله عليه وسلم « أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له » فهل كانت عصا أبى جهم دائما على عاتقه؟ أو إنما أراد من ذلك الأغلب. فعرف مالك محل الشافعى ومقداره . قال الشافعى : فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودعته، فقال لى مالك حين فارقته : ياغلام اتق الله تعالى ولا تطفئ هذا النور الذى أعطاكه الله بالمعاصى : يعنى بالنور العلم ، وهو قوله تعالى — ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور — هكذا جاء فى هذه الرواية البلبل، وجاء فى رواية أخرى القمرى، وسيأتى إن شاء الله تعالى .

(التعبير) هو فى الرؤيا رجل موسر ، وقيل امرأة موسرة ، وقيل ولد قارئ لكتاب الله لا يلحق .

﴿ البلح ﴾ : بضم الباء وفتح اللام . قال ابن سيده : إنه طائر أغبر اللون أعظم من النسر محترق الريش لا تقع ريشة منه وسط ريش طائر آخر إلا أحرقته ، وقيل هو النسر القديم الهرم ، والجمع بلحان .

﴿ البلشون ﴾ : هو مالك الحزين ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم .

﴿ البلصوص ﴾ : بضم الباء واللام المشددة طائر ، وجمعه البلنصى على غير قياس ، وقال سيبويه : النون زائدة لأنك تقول للواحد الباصوصى ، والعامة تسميه أبو لصيص . قال البطليوسى فى الشرح : وقد اختلف اللغويون فى هذين الاسمين أيهما الواحد وأيهما الجمع ؟ فقال قوم : البلصوصى هو الواحد والبلنصى هو الجمع ، وعكس ذلك آخرون ، وقال قوم : البلصوص الذكر والبلنصى الأنثى ذكره ابن ولاد ، وأنشد :

• والبلصوص يتبع البلنصى •

قال : وقياس جمع البلصوص بلاصيص ، ولم أدر ما حكم هذا الطائر؟

﴿ بنات الماء ﴾ : قال ابن أبى الأشعث : هى سمك ببحر الروم شبيهة بالنساء ذوات شعر سبط ألوانهن إلى السمرة ذوات فروج عظام وثدى وكلام لا يكاد يفهم ويضحكن ويقهقهن ، وربما وقعن فى أيدى بعض أهل المراكب فينكحونهن ثم يعيدونهن إلى البحر . وحكى عن الروياني صاحب البحر : أنه كان إذا أتاه صياد بسمكة على هيئة المرأة حلفه أنه لم يطأها . وذكر القزوينى : أنه صيد لبعض الملوك رجل إذا تكلم لا يفهم ما يقول ، فزوجه بامرأة فرزق منها ولدا فصار يتكلم بلغة أبيه ولغة أمه ، وقد تقدم هذا فى باب الهمزة فى إنسان الماء .

﴿ بنات وردان ﴾ : يأتى ذكرها فى آخر باب الواو إن شاء الله تعالى .

﴿ البهار ﴾ : بضم الباء حوت أبيض طيب من حيتان البحر . قال الجوهرى : والبهار بالضم شىء يوزن به وهو ثلثمائة رطل . وقال عمرو بن العاص : إن ابن الصعبة : يعنى طلحة ابن عبيد الله ، ترك مائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير ذهب فجعله وعاء . قال أبو عبيد القاسم ابن سلام : والبهار فى كلامهم ثلثمائة رطل وأحسبها غير عربية وأراها قبطية .

﴿ البهثة ﴾ : بالضم البقرة الوحشية ، وقد تقدم ذكرها .

﴿ البهرمان ﴾ : ضرب من العصفور ، قاله ابن سيده .

﴿ البهمة ﴾ : بفتح الباء الصغير من أولاد الغنم والبقر والوحش وغيرها ، الذكر والأنثى فيه سواء ، والجمع بهم وبهم وبهام وبهامات . قال الأزهرى فى شرح ألفاظ المختصر : أما أسنان الغنم فساعة تضعها أمها من الضأن والمعز ذكرا كان أو أنثى سخلة وجمعها سخال ثم هى بهمة ، فإذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها فما كان من أولاد المعز فهو جفار واحدها جفر ، فإذا رعى وقوى فهو عريض وعتود وجمعهما عرضان وعتدان وهو فى كل ذلك

جدى ، والأنثى عناق ما لم يأت عليها الحول وجمعها عنق ، والذكر تيس إذا أتى عليه الحول والأنثى عنز ، ثم تجذع فى السنة الثانية ، فالذكر جذع والأنثى جذعة ، فعلم منه أن ما نقله النووى رحمه الله عنه فى عناق فيه نوع خلل ، والله أعلم .

وروى الشافعى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأصحاب السنن الأربعة من حديث لقيط ابن صبرة ، واللفظ لأبى داود قال « كنت وافد بنى المنتفق أو فى وفد بنى المنتفق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدمنا عليه لم نجده فى منزله فصادفنا عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فأمرت لنا بحريرة أو قال بعصيدة ، فصنعت لنا وأتينا بقناع والقناع طبق فيه تمر ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل أصبتم شيئا ؟ أو آمر لكم بشىء ؟ قلنا نعم يارسول الله . قال : فبينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دفع الراعى غنمه إلى المراح ومعه سخلة تبعر ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما ولدت يا غلام ؟ قال : بهمة . قال : فاذبح لنا مكانها شاة ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : لا تحسبن أنا من أجلك ذبحناها لنا غنم مائة ما نريد أن تزيد ، فإذا ولدت لنا بهمة ذبحنا مكانها شاة . قلت : يارسول الله إن لى امرأة وإن فى لسانها شيئا : يعنى البذاءة . قال : فطلقها إذن . قلت : يا رسول الله إن لها صحبة ، وإن لى منها ولدا . قال : فعظها فإن يك فيها خير فستفعل ، ولا تضرب ظعينتك ضربك لأمتك . قال : قلت يا رسول الله أخبرنى عن الوضوء ؟ قال : أسبغ الوضوء وخلل الأصابع وبالغ فى الاستنشاق إلا أن تكون صائما » . وفى سنن أبى داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى إلى جدار اتخذه قبلة ونحن خلفه ، فجاءت بهمة تمر بين يديه ، فمازال صلى الله عليه وسلم يدرؤها حتى لصق بطنه بالجدار ، فمرت من ورائه » وسيأتى فى الجدى نحو ذلك . وفى صحيح مسلم وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه من حديث يزيد بن الأصم عن ميمونة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا سجد جافى بين يديه حتى لو أن بهمة أرادت أن تمر بين يديه مرت » .

﴿ البهيمة ﴾ كل ذات أربع من دواب البر والبحر قاله ابن سيده والجمع بهائم : قال صلى الله عليه وسلم « إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش » سميت بهيمة لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها ، ومنه باب مبهم : أى مغلق ، وليل بهيم . قال الله تعالى — أحلت لكم بهيمة الأنعام — فأضاف الجنس إلى ما هو أخص منه ، وذلك أن الأنعام هى الثمانية الأزواج ، وما أضيف إليها من سائر الحيوان يقال له أنعام مجموعة معها ، وكان المفترس كالأسد وكل ذى ناب خارج عن حد الأنعام . فبهيمة الأنعام هى الراعى من ذوات الأربع وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : بهيمة الأنعام الأجنة التى تخرج عند الذبح من بطون الأمهات ، فهى تؤكل من غير ذكاة . ونقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

أيضا ، وفيه بعد لأن الله تعالى قال — إلا ما يتلى عليكم — وليس فى الأجنة ما يستثنى وحل بهيمة الأنعام من حكم الله تعالى ، إذ لولا الليل ما عرف قدر النهار ، ولولا المرض لم يتنعم الأصحاء بالصحة ، ولولا النار ما عرف أهل الجنة قدر النعمة ، كما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل ، وكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران فداء لأهل الإيمان بأهل الكفر هو عين العدل ، ومالم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ، فلولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنسان . روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : أنه دخل دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها ، فقال أنس « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم » وهو أن يمسك من ذوات الروح شىء حى ثم يرمى بشىء حتى يموت . وفى الصحيحين وغيرهما : « أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن فاعل ذلك » ولأنه تعذيب للحيوان ، وإتلاف لنفسه ، وتضييع لماليته ، وتفويت لذكاته إن كان يذكى . وفى الحديث « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن المجثمة » وهى كل حيوان ينصب ويرمى ليقتل ، إلا أنها تكثر فى الطير والأرانب ونحو ذلك مما يجثم فى الأرض : أى يلزمها ويلتصق بها . وجثم الطائر جثوما وهو بمنزلة البروك للإبل . وروى أبو داود والترمذى عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التحريش بين البهائم » وفى [شفاء الصدور] لابن سبع عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أجل البهائم وحشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب والبقر ، وما سوى ذلك فى التسبيح ، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله عز وجل أرواحها » .

(فائدة) قال ابن دحية فى [كتاب الآيات البينات] اختلف الناس فى حشر البهائم وفى جريان القصاص بينها ، فقال الشيخ أبو الحسن الأشعرى : لايجرى القصاص بين البهائم لأنها غير مكلفة . وما ورد فى ذلك من الأخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم « يقتص للجماء من القرناء ويسئل العود لم خدش العود » فعلى سبيل المثل والإخبار عن شدة التقصى فى الحساب ، وأنه لابد من أن يقتص للمظلوم من الظالم . وقال الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايينى : يجرى القصاص بينها ، ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر فى دار الدنيا . قال ابن دحية : وهذا جار على مقتضى العقل والنقل ، لأن البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل للعلف ، وينزجر الكلب إذا انزجر وإذا أشلى استشلى ، والطير والوحش تفر من الجوارح استدفاعا لشرها . فإن قيل القصاص انتقام والبهائم ليست بمكلفة ؛ فالجواب : إنها غير مكلفة إلا أن الله يفعل فى ملكه ماأراد كما سلط عليها فى الدنيا التسخير لبنى آدم والذبح لما يؤكل منها فلا اعتراض

عليه سبحانه وتعالى ، وأيضا فإن البهائم إنما يقتص منها لبعضها من بعض إلا أنها لاتطالب بارتكاب نهى ولا بمخالفة أمر ، لأن هذا مما خص الله به العقلاء ، ولما كثر التنازع رجعنا لما أمرنا به ربنا بقوله — فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول — ووجدنا القرآن العظيم يدل على الإعادة فى الجملة . قال الله تعالى — وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم — إلى قوله — ثم إلى ربهم يحشرون — وقال تعالى — وإذا الوحوش حشرت — والحشر فى اللغة الجمع . وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «يحشر الناس على ثلاثة طرائق : راغبين وراهبين ، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا » فهذا يدل على حشر الإبل مع الناس . وروى الإمام أحمد بسند صحيح إلى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء ، حتى للذرة من الذرة » فإذا كانت البهائم والذر يقتص منها فكيف يغفل من هو مكلف مأمور ؟ نسأل الله السلامة من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لتؤدين الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » وفيه أيضا وفى غيره « مامن صاحب إبل لايؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ، ثم يؤتى بها أوفر ماكانت لايفقد منها فصيل واحد تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها » الحديث بطوله ، وفى صحيح البخارى « ليأتين أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها ثغاء فيقول : يامحمد ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد بلغت » وصح عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال « مامن دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة فرقا من قيام الساعة إلا الجن والإنس » وإصاختها بإلهام الله إياها فى ذلك اليوم محمول على ماجبلها الله تعالى عليه من توقيها لما يضرها وانقيادها إلى ماينفعها جبلة لاعقلا وإحساسا حيوانيا لإدراكا فهميا ، وإذا جبل الله النملة على حمل قوتها وادخاره لزمن الشتاء فجبلة البهيمة على الإصاخة محاذرة يوم القيامة أولى ، ومن استقر أحوال الحيوانات رأى حكمة الله فيها لما سبيها العقل جعل لها حسا تفرق به بين الضار لها والنافع ، وجبلها على أشياء وألهمها إياها لاتوجد فى الإنسان إلا بعد التعلم وتدقيق النظر . فمنها : النحلة المحكمة لتسديس مخزن قوتها حتى يتعجب منه أهل الهندسة . والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتناسب دوائرها وكذلك السرفة فى إحكام بيتها مربعا من عيدان . وقد ظهرت من البهائم الصنائع العجيبة والأفاعيل الغريبة ولم يسلبها رب العالمين سوى العبارة عن ذلك والنطق به ، ولو شاء أنطقها كما أنطق النملة فى عهد سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . والبهم من الخيل الذى لاشية فيه الذكر والأنثى فيه

سواء والبهم من النعاج السود التى لابياض فيها . وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث « يحشر الناس يوم القيامة بهما » فمعناه : أنه ليس بهم شىء مما كان فى الدنيا نحو : البرص والعرج والعمى والعور وغير ذلك ، وإنما هى أجساد مصححة لخلود الأبد فى الجنة أو النار ، وقيل : بل عراة ليس عليهم من متاع الدنيا شىء ، وهذا يخالف الأول من حيث المعنى ، ومن شعر مسعر بن كدام أحد الأعلام :

نهارك يامغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
وتتعب فيما سوف تكره غبه كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

(فرع) اختلف أصحابنا فى نقض الوضوء بمس فرج البهيمة على وجهين : أحدهما ينقض لعموم النقض بمس الفرج ، والأصح أنه لاينقض إذ لاحرمة لها ولا تعبد عليها . وأما دبرها فلا ينقض قطعا . قال الدارمى : ولا فرق فى الخلاف بين البهائم والطير .

(الأمثال) قالوا : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة ، يضرب فى مدح القدرة على الكلام .

﴿ البوم والبومة ﴾ : بضم الباء طائر يقع على الذكر والأنثى حتى تقول صدى أو فياد فيختص الذكر ، وكنية الأنثى أم الخراب وأم الصبيان ، ويقال لها أيضا غراب الليل . قال الجاحظ : وأنواعها الهامة والصدى والضوع والخفاش وغراب الليل والبومة ، وهذه الأسماء كلها مشتركة : أى تقع على كل طائر من طير الليل يخرج من بيته ليلا . قال : وبعض هذه الطيور يصيد الفأر وسام أبرص والعصافير وصغار الحشرات ، وبعضها يصيد البعوض ، ومن طبعها أن تدخل على كل طائر فى وكره وتخرجه منه وتأكل فراخه وبيضه ، وهى قوية السلطان بالليل لايحتملها شىء من الطير ولا تنام بالليل ، فإذا رآها الطير بالنهار قتلنها ونتفن ريشها للعداوة التى بينهن وبينها ، ومن أجل ذلك صار الصيادون يجعلونها تحت شباكهم ليقع لهم الطير . ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لاتظهر بالنهار خوفا من أن تصاب بالعين لحسنها وجمالها ، ولما تصور فى نفسها أنها أحسن الحيوان لم تظهر إلا بالليل . وتزعم العرب فى أكاذيبها أن الإنسان إذا مات أو قتل تتصور نفسه فى صورة طائر تصرخ على قبره مستوحشة لجسدها والطائر ذكر البوم وهو الصدى ، وفى ذلك يقول توبة الحميرى أحد عشاق العرب :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

فيقال : إنها مرت بقبره فأنشدت ذلك فارتفع شىء من القبر كالطائر نفرت منه ناقتها فسقطت ميتة ودفنت إلى جانبه . والبوم أصناف وكلها تحب الخلوة بأنفسها والتفرد ، وفى أصل طبعها عداوة الغربان .

وفى تاريخ ابن النجار : أن كسرى قال لعامل له صد لى شر الطير ، واشوه بشر الوقود وأطعمه شر الناس ، فصاد بومة ، وشواها بحطب الدفلى ، وأطعمها ساعيا .

وفى [سراج الملوك] للإمام أبى بكر الطرطوشى فى الباب السابع والأربعين : أن عبد الملك ابن مروان أرق ليلة فاستدعى سميرا له يحدثه ، فكان فيما حدثه به أن قال : ياأمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة ، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها ، فقالت بومة البصرة : لاأفعل إلا أن تجعلى لى صداقها مائة ضيعة خراب ، فقالت بومة الموصل : لاأقدر على ذلك الآن ، ولكن إن دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك . قال : فاستيقظ لها عبد الملك وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة .

ورأيت فى بعض المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر : أن المأمون أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره . فقال المأمون لبعض خدمه اذهب إلى ذلك الرجل وانظر مايكتب واثتنى به ، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعا وقبض عليه ، وتأمل ما كتبه فإذا هو :

ياقصر جمع فيك الشـــوم واللوم ... متى يعشش فى أركانك البـــوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحى ... أكون أول من ينعيك مرغوم

ثم إن الخادم قال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له الرجل : سألتك بالله لاتذهب بى إليه فقال الخادم : لابد من ذلك ، ثم ذهب به ، فلما مثل بين يدى المأمون أعلمه الخادم بما كتب فقال له المأمون : ويلك ماحملك على هذا ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إنه لن يخفى عليك ماحواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفراش والأوانى والأمتعة والجوارى والخدم ، وغير ذلك مما يقصر عنه وصفى ويعجز عنه فهمى ، وإنى ياأمير المؤمنين قد مررت الآن عليه وأنا فى غاية من الجوع والفاقة ، فوقفت مفكراً فى أمرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لى فيه ، فلو كان خرابا ومررت به لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه وأتقوت بثمنه ، أو ماعلم أمير المؤمنين ماقال الشاعر ؟ قال : وما قال الشاعر ؟ قال :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ ... نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه ... يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون : أعطه يا غلام ألف دينار ، ثم قال له : هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا بأهله ، وأنشدوا فى معنى ذلك :

إذا كنت فى أمر فكن فيه محسنا ... فعما قليل أنت ماض وتاركه

فكم دحت الأيام أرباب دولة قد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

(الحكم) يحرم أكل جميع أنواعها . قال الرافعى : ذكر أبو عاصم العبادى أن البوم حرام كالرخم وكذلك الضوع . وعن الشافعى رحمه الله قول : إنه حلال ، وهذا يقتضى أن الضوع غير البوم لكن فى الصحاح أن الضوع طائر من طائر الليل من جنس الهام . وقال المفضل أنه ذكر البوم ، فعلى هذا إذا كان فى الضوع قول لازم إجراؤه فى البوم ، لأن الأنثى والذكر من الجنس الواحد لا يختلفان فى الحل والحرمة اه . وقال [فى الروضة] : الأشهر أن الضوع من جنس الهام فنحكم بتحريمه .

(فائدة) روى ابن السنى عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان » وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يفعله ، واختلف فى أم الصبيان فقيل البومة كما تقدم ، وقيل التابعة من الجن .

(الخواص) إذا ذبح البوم بقيت إحدى عينية مفتوحة والأخرى مضمومة ، فالمفتوحة إذا جعلت تحت فص خاتم من لبسه سهر ما دام عليه ، والأخرى بالعكس قال الطبرى : فإذا اشتبه عليك المنومة من المسهرة فاجعلهما فى الماء فالتى ترتفع على الماء هى المسهرة ، والتى ترسب هى المنومة . وقال هرمس : إذا أخذ قلب بومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة فى حال نومها تكلمت بكل ما فعلته فى يومها ، والاكتحال بمرارتها ينفع من ظلمة البصر ، وقلب البومة الكبيرة إذا قلع وشد فى جلد ذئب وعلق على العضد أمن حامل ذلك من اللصوص وسائر الهوام ولم يخف أحدا من الناس ، وإن اكتحل بمذاب شحمها فأى مكان دخله بالليل رآه مضيئا ، وهى تبيض بيضتين إحداهما تخلق والأخرى لا تخلق ، فإن أردت معرفة التى تخلق من التى لا تخلق فأدخل فيها ريشة فالتى تخلق تبين لك تخلقها الريشة .

(التعبير) البوم فى المنام لص مكار ، وقيل ملك مهيب تشق مرائر الرعية هيبته ، ويدل على البطالة وذهاب الخوف لأنه من طيور الليل ، والله أعلم .

﴿ البوه ﴾ : بضم الباء وتشديد الواو طائر يشبه البوم إلا أنه أصغر منه ، والأنثى بوهة ويشبه بها الرجل الأحمق : قال امرؤ القيس :

أيا هند لا تنكحى بوهة عليه عقيقته أحسبا

الأحسب من الناس الذى فى شعره شقرة ، وصفه باللؤم والشح يقول : كأنه لم تحلق عقيقته فى صغره حتى شاخ ، وقيل إنه الرجل الضعيف الطائش ، والبوهة ما أطارته الريح والبوه ذكر البوم ، وقيل البوه الكبير من البوم : قال رؤبة يذكره كبره :

كالبوه تحت الظلمة المرشوش

وقيل البوه طائر يشبه البوم ، وقيل الأحسب الذى ابيض جلده من داء ففسدت شعرته فصار أحمر وأبيض ، ويكون ذلك فى الناس والإبل ، وقيل الأحسب الأبرص .

(وحكمه وخواصه وتعبيره) كالبوم فى جميع ما تقدم .

﴿ بوقير ﴾ : قال القزوينى : إنه طائر أبيض تجىء منه طائفة كل سنة فى وقت معلوم إلى جبل يقال له جبل الطير بصعيد مصر بقرب أنصنا بلدة مارية أم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم فتتعلق على هذا الجبل ، وفيه كوة يأتى كل واحد منها ويدخل رأسه فيها ثم يخرجه ويلقى نفسه فى النيل ثم يخرج ويذهب من حيث جاء ، ولم تزل هكذا حتى يدخل واحد منها رأسه فيها فيقبض عليه شىء من تلك الكوة فيضطرب ويبقى معلقا حتى يتلف ثم يسقط بعد مدة فإذا تعلق ذلك الطائر انصرف الباقون فى الحال ، فلا يرى شىء من ذلك الطير فى ذلك الجبل إلى مثل ذلك الزمان من العام المقبل . قال أبو بكر الصولى : سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا قبضت تلك الكوة على طائرين ، وإن كان متوسطا قبضت على طائر واحد وإن كان مجدبا لم تقبض على شىء .

﴿ البينيب ﴾ : على وزن فيعيل سمك بحرى معروف عند أهل البحر .

﴿ البياح ﴾ : بكسر الباء مخففا ضرب من السمك ، وربما فتح وشدد قاله الجوهرى .

﴿ أبو براقش ﴾ : طائر كالعصفور يتلون ألوانا . قال الشاعر :

كأبى البراقش كل يو م لونه يتخيل

ضرب به المثل فى التنقل والتحول ، وقال القزوينى : إنه طائر حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار فى حجم اللقلق يتلون فى كل ساعة يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . قال : ولم يحضرنى شىء من خواصه .

﴿ أبو برا ﴾ : طائر يسمى السموءل ، وسيأتى فى باب السين المهملة إن شاء الله تعالى .

﴿ أبو بربص ﴾ : بفتح الباء هو الوزغ الذى يسمى سام أبرص ، وسيأتى الكلام عليه فى باب السين والواو فى لفظ الوزغ وسام أبرص إن شاء الله تعالى .

باب التاء المثناة

﴿ التالب ﴾ : الوعل والأنثى تالبة حكاه ابن سيده ، وسيأتى الكلام عليه فى باب الواو فى لفظ الوعل إن شاء الله تعالى .

﴿ التبيع ﴾ : ولد البقرة أول سنة ، وبقرة تبيع معها ولدها ، والأنثى تبيعة ، والجمع تباع وتبائع مثل أفيل وأفال وأفائل ، وقد تقدم فى باب الهمزة .

روى الإمام مالك فى الموطأ وأبو داود والترمذى والنسائى وآخرون عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل أربعين بقرة بقرة ، ومن كل ثلاثين مسنة تبيعا أو تبيعة » قال الترمذى حديث حسن .

وروى مرسلا وهو أصح ، والمسنة ما استكملت سنتين ودخلت فى الثالثة ، والتبيع هو الذى يتبع أمه وإن كان له دون سنة . قال الرافعى : وحكى جماعة : أن التبيع الذى له ستة أشهر والمسنة التى لها سنة ، وهذا غلط ليس معدودا من المذهب .

﴿ التبشر ﴾ : فى [أدب الكاتب] لابن قتيبة أنه بفتح التاء المثناة من فوق وبالياء الموحدة ثم بالشين المعجمة ، وقيل بضم التاء وفتح الباء الموحدة وتشديد الشين المعجمة طائر يقال له الصفارية والتاء فيه زائدة ، وسيأتى الكلام عليه فى باب الصاد المهملة إن شاء الله تعالى .

﴿ التثفل ﴾ : بضم التاء أوله وسكون الثاء المثلثة كقنفذ ، ولد الثعلب ، والتاء فيه زائدة .

﴿ التدرج ﴾ : كحبرج طائر كالدراج يغرد فى البساتين بأصوات طيبة يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال ، ويهزل عند كدورته وهبوب الجنوب ، يتخذ داره فى التراب اللين ويضع البيض فيها لئلا يتعرض للآفات . وقال ابن زهر : هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس .

(وحكمه) الحل لعدم استخباثه وإن كان نوعا من الدراج ، وسيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى .

(الخواص) لحمه من أفضل لحوم الطير يزيد فى الفهم والباه ، وإذا أخذت مرارته وسعط بها من به خبل أو وسواس نفعه ، وإن شـــوى لحمه وأطعم منه وهو حار ثلاثة أيام أبرأه .

﴿ التخس ﴾ : كصرد الدلفين ، وسيأتى فى باب الدال المهملة إن شاء الله تعالى .

﴿ التفلق ﴾ : كزبرج طائر من طير الماء ، قاله فى العباب .

﴿ التفه ﴾ : ويسمى عناق الأرض ، والغنجل نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد ، وصيده فى غاية الجودة والملاحة ، وربما واثب الإنسان فيعقره ، ولا يطعم غير اللحوم ، وربما صاد الكركى وما قاربه من الطير فيفعل به فعلا حسنا ، وقد وصفه الناشئ فى أبيات منها :

حلو الشمائل فى أجفانه وطف صافى الأديم هضيم الكشح ممسود
فيه من البدر أشباه توافقه منها له سفح فى وجهه سود
كوجه ذا وجه هذا فى تدوره كأنه منه فى الأجفان معدود
له من الليث ناباه ومخلبه ومن غرير الظباء النحر والجيد
إذا رأى الصيد أخفى شخصه أدبا وقلبه باقتناص الطير مزءود

(الحكم) يحرم أكله لعموم النهى عن أكل كل ذى ناب ومخلب من السباع . وقال بعض أصحابنا : إنه السنور البرى وإنه قريب من الثعلب ، وإنه على شكل السنور الأهلى ، وفى حكمه وجهان : أصحهما التحريم لأنه يأكل الفأر .

(الأمثال) قالت العرب : أغنى من التفه عن الرفه ، والرفه التبن والأصل فيهما رفهة وتفهة . قال حمزة : وجمعهما تفات ورفات . قال الشاعر :

غنينا عن حديثكم قديما كما غنى التفات عن الرفات

ويقال أيضا : استغنت التفه عن الرفه . وذلك أن التفه سبع لايقتات الرفه أصلا ، وإنما يغتذى باللحم فهو يستغنى عن التبن ، والمعروف فى التفه والرفه تخفيف الفاء . وقال الأستاذ : أبو بكر هما مشددتان ، وقد أوردهما الجوهرى فى باب الهاء فقال : التفه والرفه ، وفى الجامع مثله إلا أنه قال : ويخففان . وأما الأزهرى فإنه أورد الرفة فى باب الرفت بمعنى الكسر . وقال ثعلب عن ابن الأعرابى : الرفت التبن . وفى المثل : أغنى من التفه عن الرفت . قال الأزهرى : والتفه تكتب بالهاء والرفت بالتاء . قال الميدانى : وهذا من أصح الأقوال لأن التبن مرفوت : أى مكسور .

﴿ النم ﴾ : طائر نحو الإوز فى منقاره طول ، عنقه أطول من عنق الإوز .

(وحكمه) الحل لأنه من الطيبات .

﴿ التمساح ﴾ : اسم مشترك بين الحيوان المعروف والرجل الكذاب . قال القزوينى : وهذا الحيوان على صورة الضب ، وهو من أعجب حيوان الماء له فم واسع وستون نابا فى فكه الأعلى وأربعون فى فكه الأسفل وبين كل نابين سن صغيرة مربعة ويدخل بعضها فى بعض عند الانطباق ، وله لسان طويل وظهر كظهر السلحفاة لايعمل الحديد فيه وله أربع أرجل وذنب طويل ، وهذا الحيوان لا يكون إلا فى نيل مصر خاصة ، وزعم قوم أنه فى بحر السند أيضا ، وهو شديد البطش فى الماء ، ولا يقتل إلا من إبطيه ، ويعظم حتى يكون طوله عشرة أذرع فى عرض ذراعين وأكثر ، ويفترس الفرس ، وإذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيلقى الأنثى على ظهرها ويستبطنها ، فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس

ظهرها، وهو إذا تركها على تلك الحال لم تزل كذلك حتى تقلب وتبيض فى البر ، فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحا ، وما بقى صار سقنقورا .

ومن عجائب أمره أنه ليس له مخرج فإذا امتلأ جوفه بالطعام خرج إلى البر وفتح فاه فيجىء طائر يقال له القطقط فيلقط ذلك من فيه ، وهو طائر أرقط صغير يأتى لطلب المطعم فيكون فى ذلك غذاء له وراحة للتمساح ، ولهذا الطائر فى رأسه شوكة فإذا أغلق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه ، وسيأتى ذكر هذا الطائر إن شاء الله تعالى . وزعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان : أن للتمساح ستين سنا ، وستين عرقا ، ويسفد ستين مرة ، وتبيض الأنثى ستين بيضة ، ويعيش ستين سنة . وقال أبو حامد الأندلسى : إن له ثمانين نابا ، أربعون نابا فى الفك الأعلى ، وأربعون فى الفك الأسفل ، وهو أبدا يحرك فكه الأعلى وفكه الأسفل عظمه متصل بصدره ، وليس له دبر وله فرج ينسل منه ، وهو شر من كل سبع فى الماء . ومن شأنه أنه يغيب فى باطن الماء أربعة أشهر مدة الشتاء كله ولا يظهر . والكلب البحرى عدوه فاذا نام فتح فاه فيطرح كلب الماء نفسه فى الطين ويتجفف ، ثم يأتيه مفاجأة فيدخل فاه ويأكل أمعاءه ويخرج من مراق بطنه بعد أن يقتله ، وكذلك يفعل معه ابن عرس أيضا .

(وحكمه) تحريم الأكل للعدو بنابه كذا علله جماعة من الأصحاب . وقال الشيخ محب الدين الطبرى فى شرح التنبيه . القرش حلال ، ثم قال : فإن قلت : أليس هو مما يتقوى بنابه فهو كالتمساح والصحيح تحريم التمساح . قلت لا نسلم أن ما يتقوى بنابه من حيوان البحر حرام ، وإنما حرم التمساح كما قال الرافعى فى الشرح للخبث والضر ، نعم كلام التنبيه يقتضى أن تحريمه لكونه مما يتقوى بنابه ، ولا ينبغى تعليل تحريمه بذلك ، فإن فى البحر حيوانا كثيراً يفترس بنابه كالقرش وغيره وهو حلال ، ولا ريب فى أن البحرى مخالف للبرى اهـ . وهو الظاهر ، والله أعلم .

(الأمثال) قالوا : أظلم من تمساح ، وكافأه مكافأة التمساح .

(الخواص) عينه تشد على صاحب الرمد يسكن وجعه فى الحال اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى ، وإذا عجن شحمه بشمع وجعل فتيلة وأسرج فى نهر لم تصح ضفادعه ، وإذا قطر شحمه فى الأذن الوجعة شفاها ، وإذا أدمن تقطيره فى الأذن نفع الصمم ، ومرارته يكتحل بها للبياض الذى فى العين فيذهب ، وإذا علق شىء من أسنانه التى فى الجانب الأيمن على الرجل زاد جماعه . وقال القزوينى فى [عجائب المخلوقات] : أول سن من الجانب الأيسر يشد على صاحب القشعريرة يذهبها ، وكبده يبخر به صاحب الصرع يزول صرعه ، وقطعة من جلده تشد على جبهة الكبش يغلب الكباش ، وزبله الذى يوجد فى بطنه يزيل البياض

الحادث والقديم اكتحالا ، ورائحته كرائحة المسك ، وتقول القبط : إنه المسك إلا أن فيه سهوكة

(التعبير) التمساح فى المنام عدو مسلط ، وهو نظير الأسد ، وقيل : التمساح لص مكابر ذو مكر وغدر وخديعة .

﴿ التميلة ﴾ : دويبة بالحجاز على قدر الهرة والجمع تملان ، قاله ابن سيده .

﴿ التنوط ﴾ : فى الكفاية لابن الرفعة إنه بضم التاء وكسر الواو ، ويجوز فتح التاء المشددة وفتح النون وضم الواو المشددة ، وقال غيره ، وهو طائر يجوز فى واوه الضم والفتح قال الأصمعى : إنما سمى بذلك لأنه يدلى خيطا من شجرة يفرخ فيها الواحدة تنوطة . ومن شأن هذا الطائر أنه إذا أقبل عليه الليل يتنقل فى زوايا بيته ويدور فيها ، ولا يأخذه قرار إلى الصبح خوفا على نفسه ، وهذا الطائر هو الصغار ، وسيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى .

(وحكمه) الحل لأنه من نوع العصافير .

(الخواص) قال القزوينى فى [عجائب المخلوقات] : يذبح التنوط بسكين ويسقى دمه لمن يعربد فى سكره فلا يعود إلى ذلك أبدا ، ومرارته تطبخ بالسكر وتسقى لصبى فيحسن خلقه ، وعظمه يعلق على الصبى وقت زيادة القمر فيبقى محبوبا إلى الناس ولو كان كزيه اللقاء .

﴿ التنين ﴾ : ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها ، وكنيته أبو مرداس وهو أيضا نوع من السمك . وقال القزوينى فى [عجائب المخلوقات] : إنه شر من الكوسج فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح ، وهو طويل كالنخلة السحوق ، أحمر العينين مثل الدم ، واسع الفم والجوف ، براق العينين ، يبتلع كثيرا من الحيوان ، يخافه حيوان البر والبحر ، إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته ، وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى ، فإذا كثر فسادها احتملها ملك وألقاها فى البحر ، فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر ، فيعظم بدنها ، فيبعث الله إليها ملكا يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج .

روى عن بعضهم : أنه رأى تنينا طوله نحوا من فرسخين ، ولونه مثل لون النمر مفلسا مثل فلوس السمك ، بجناحين عظيمين على هيئة جناحى السمك ، ورأسه كرأس الإنسان لكنه كالتل العظيم وأذناه طويلتان وعيناه مدورتان كبيرتان جدا .

روى عن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ على الأرض مانبتت خضرا » ورواه الترمذى عنه مطولا . قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مصلاه ، فرأى ناسا كأنهم يكثرون فقال : أما إنكم لو أكثرتم

ذكر هازم اللذات لشغلكم عما أرى، أكثروا ذكره هازم اللذات ، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول : أنا بيت الغربة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الدود والهوام ، فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا، أما إن كنت لمن أحب من يمشى على ظهرى إلىّ ، فمذ وليتك اليوم وصرت إلىّ فسترى صنيعى بك . قال : فيتسع له قبره مد بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة ، وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر يقول له القبر : لا مرحبا ولا أهلا، أما إن كنت لمن أبغض من يمشى على ظهرى إلىّ فمنذ وليتك اليوم وصرت إلىّ فسترى صنيعى بك فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأصابع يديه هكذا وشبكها ، ثم يقيض له تسعون تنينا أو تسعة وتسعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا ، فتنهشه وتخدشه حتى يبعث إلى الحساب . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .

وروى الأئمة أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قال لشعيب عليه الصلاة والسلام : أيما الأجلين ؟ الآية ، أمره لما جن الليل أن يدخل بيتا عينه له ، ويأخذ منه عصا من العصى التى فيه ، فدخل موسى البيت وأخذ العصا التى أخرجها آدم معه من الجنة ، وكانت من آس الجنة . فتوارثها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى صارت إلى شعيب عليه السلام ، فأمره أن يلقيها فى البيت ويدخل ويأخذ عصا أخرى ، فدخل وأخرجها كذلك سبع مرات ، فعلم شعيب أن لموسى شأنا . فلما أصبح قال له : سق الأغنام إلى مفرق الطريق ثم خذ عن يمينك وليس بها عشب كثير ، ولا تأخذ عن يسارك فإنها وإن كان بها عشب كثير ففيها تنين كبير يقتل المواشى ، فساق موسى الأغنام إلى مفرق الطريق فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ردها فسرحها فى الكلإ ثم نام ، فخرج التنين فحاربته العصا حتى قتلته ، فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا ، فعاد إلى شعيب فأخبره الخبر فسر بذلك وقال : كل ما ولدت هذه المواشى ذا لونين فى هذه السنة فهو لك ، فقدر الله تعالى أن ولدت كلها فى تلك السنة ذا لونين ، فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة ، فأقام عنده ثمانيا وعشرين سنة إلى أن تمت له أربعون سنة ، ثم خرج عنه بأهله .

(وأما حكمه) فعلى ما قال القزوينى : أكله حرام لكونه من جنس الحيات ، وعلى أنه سمك يؤذى بنابه فالظاهر التحريم أيضا كالتمساح .

(الخواص) زعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ، ودمه إذا طلى به على الذكر وجامع امرأته حصل لها لذة عظيمة .

(التعبير) التنين فى المنام ملك ، فإن كان له رأسان أو ثلاث فهو أشد لشره ، والمريض

إذا رأى تنينا دل على موته . ومن الرؤيا المعبرة أن امرأة رأت فى منامها كأنها وضعت تنينا فولدت ولدا زمنا ، وذلك لأن التنين يجر نفسه إذا مشى ، وكذلك الزمن يجر نفسه .

﴿ التورم ﴾ : القطقاط . قال ابن بختيشوع : هو على شكل الحمامة ، ويقال له : طير التمساح . قال : وفى جناحه شوكتان هما سلاحه ، إذا أطبق عليه التمساح فمه نخسه فيفتح فاه فيخرج كما تقدم . قال : ومن خواصه إذا أخذتا يعنى الشوكتين أو إحداهما ، وصيرتا فى موضع قد بال فيه إنسان مرض ذلك الإنسان ، ولم يزل مريضا حتى تنزع الشوكة من ذلك المكان الذى بال فيه ، وإذا علق قلبه على من به وجع المعدة أبرأه الله تعالى .

﴿ التولب ﴾ : الجحش . قالوا : أطوع من تولب . قال سيبويه : هو مصروف لأنه فوعل ، ويقال للأتان أم تولب ، وسيأتى حكمه فى باب الحاء المهملة إن شاء الله تعالى .

﴿ التيس ﴾ : الذكر من المعز والوعول والجمع تيوس وأتياس . قال الهذلى :

من فوقه أنسر سود وأغربة وتحته أعنز كلف وأتياس

والتياس الذى يمسكه ، ويقال فى فلان تيسية ، وناس يقولون تيوسية . قال الجوهرى : ولا أعرف صحتها . ويقال للذكر من الظباء أيضا تيس ، ويقال نب التيس ينب نبيبا إذا صاح وهاج ، وقد مثل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فيما روى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه قال « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل قصير أشعث ذى عضلات عليه إزار قد زنى فرده مرتين ثم أمر به فرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلما نفرنا غازين فى سبيل الله تخلف أحدكم ينب نبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة ، إن الله لا يمكننى من أحد منهم إلا جعلته نكالا أو نكلته » وفى كامل ابن عدى فى ترجمة إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى سعد ابن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه بقطيع من غنم يقسمها بين أصحابه فبقى منها تيس فضحى به » وفيه ترجمة أبى صالح كاتب الليث بن سعد واسمه عبد الله بن صالح عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ هو المحلل » ثم قال « لعن الله المحلل والمحلل له » والحديث المذكور رواه الدارقطنى وابن ماجه عن كاتب الليث بن سعد عن مشرح بن هاعان المصرى عن عقبة بن عامر بإسناد حسن ، وكذلك رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد . قيل : إنما لعنه النبى صلى الله عليه وسلم مع حصول التحليل لأن التماس ذلك هتك للمروءة ، والملتمس ذلك هو المحلل له ، وإعارة التيس للوطء لغرض الغير أيضا رذيلة ، ولذلك شبهه بالتيس المستعار ، وإنما يكون كالتيس المستعار إذا سبق التماس من المطلق ، والعرب تعير بإعارة التيس . قال الشاعر :

• وشر منيحة تيس معار •

وفى آخر [شفاء الصدور] لابن سبع السبتى عن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم قال : كنت مع أبى بعد ما كف بصره وهو بمكة ، فمررنا على قوم من أهل الشام فى صفة زمزم فسبوا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فقال لسعيد بن جبير وهو يقوده : ردنى إليهم ، فرده فقال : أيكم الساب لله ولرسوله ؟ فقالوا : سبحان ما فينا أحد سب الله ورسوله ، فقال : أيكم الساب لعلى ؟ قالوا : أما هذا فقد كان ، فقال ابن عباس : إنى أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سب عليا فقد سبنى ، ومن سبنى فقد سب الله ، ومن سب الله كبه الله تعالى على منخريه فى النار » ثم ولى عنهم فقال : يا بنى ما رأيتهم صنعوا ؟ فقلت يا أبت :

نظروا إليك بأعين محمرة نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال : زدنى يا بنى ، فقلت :

شزر العيون منكسى أذقانهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر اه

وفى [تهذيب الكمال] فى ترجمة عبد العزيز بن منيب القرشى ، وكان طويل اللحية : أن على بن حجر السعدى نظر إليه وقال :

ليس بطول اللحى تستوجبون القضا
إن كان هذا كذا فالتيس عدل رضا

قال : ومكتوب فى التوراة : لايغرنك طول اللحى فإن التيس له لحية . وسيأتى فى المعز بيان حكمه .

وفى [تاريخ الإسلام] للعلامة الذهبى : أن فى سنة تسع وتسعين ومائتين وردت هدايا مصر على المقتدر فيها خمسمائة ألف دينار ، وتيس له ضرع يحلب لبنا ، وضلع إنسان عرض شبر فى طول أربعة عشر شبرا .

وفى كتاب [الترغيب والترهيب] فى باب ذم الحاسد من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يأتى على أمتى زمان يحسد فيه الفقهاء بعضهم بعضا ، ويغار بعضهم على بعض كتغاير التيوس بعضها على بعض » .

وفى [الحلية] عن مالك بن دينار أنه قال : تجوز شهادة القراء فى كل شىء إلا شهادة بعضهم على بعض ، فإنهم أشد تحاسدا من التيوس فى الزرب اه . قال الجوهرى الزرب والزريبة : حظيرة الغنم من خشب .

وفى [مروج الذهب] للمسعودى وشرح السيرة للحافظ قطب الدين وغيرهما : أن أم الحجاج بن يوسف وهى الفارعة بنت همام كانت تحت الحارث بن كلدة الثقفى حكيم العرب ،

فدخل عليها ليلة فى السحر فوجدها تتخلل فطلقها ، فسألته عن سبب ذلك فقال : دخلت عليك فى السحر فوجدتك تتخللين ، فإن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة ، وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة ، فقالت : كل ذلك لم يكن لكنى تخللت من شظايا السواك ، فتزوجها بعده يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى فأولدها الحجاج ، وكان الحجاج مشوها لادبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل ثدى أمه وغيرها فأعياهم أمره ، فيقال : إن الشيطان تصور لهم فى صورة الحارث بن كلدة فقال : ما خبركم ؟ فقالوا : بنى ولد ليوسف من الفارعة ، وقد أبى أن يقبل ثدى أمه ، فقال : اذبحوا له تيسا أسود وألعقوه دمه ، ثم اذبحوا له أسود سالخا وأولغوه من دمه ، واطلوا به وجهه ثلاثة أيام فإنه يقبل الثدى فى اليوم الرابع ، ففعلوا به كذلك فقبل الثدى ، وكان لايصبر عن سفك الدماء ، وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء ، وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره .

وفى تاريخ ابن خلكان أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج كتابا يتهدده فى آخره بهذه الأبيات :

إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها ... وتطلب رضاى بالذى أنا طالبه
وتخش الذى يخشاه منك هاربا ... إلىّ فها قد ضيع الدر جالبه
فإن ترمنى غفلة قرشية ... فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وإن ترمنى وثبة أموية ... فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تأمنى والحوادث جمة ... فإنك تجزى بالذى أنت كاسبه

فأجابه الحجاج ، وقال فى آخر جوابه : وأما ما أتانى من أمريك فألينهما غرة وأصعبهما محنة ، وقد عبأت للغرة الجلد وللمحنة الصبر . فلما قرأ عبد الملك كتابه قال : خاف أبو محمد صولتى ولن أعود إلى ما يكره . وكان الحجاج كثيراً ما يسأل القراء فدخل عليه يوما رجل فقال له الحجاج : ما قبل قوله تعالى : أمن هو قانت : فقال له الآخر : قوله تعالى — قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار — فما سأل أحدا بعدها . وقال الحجاج لرجل من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث : والله إنى لأبغضك ، فقال الرجل : أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة . وكان أول ما ظهر من كفاءة الحجاج أنه كان فى شرطة روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان ، وكان عسكر عبد الملك لا يرحل برحيله ولا ينزل بنزوله ، فشكا عبد الملك ذلك لروح بن زنباع ، فقال له : يا أمير المؤمنين فى شرطتى رجل يقال له الحجاج ابن يوسف لو ولاه أمير المؤمنين أمر عسكر لأرحل الناس برحيل أمير المؤمنين وأنزلهم بنزوله ، فولاه عبد الملك أمر العسكر فأرحل الناس برحيل عبد الملك وأنزلهم بنزوله ، فرحل ما عبد الملك ورحل الناس وتأخر أصحاب روح بن زنباع عن الرحيل ، فمر عليهم الحجاج

وهم يأكلون فقال لهم : ما بالكم لم ترحلوا مع العسكر ؟ فقالوا له: انزل وتغدّ ودع عنك هذا الكلام يا ابن اللخناء ، فقال : هيهات ذهب ما هناك ، ثم أمر بهم فضربت أعناقهم ، وبخيل روح فعرقبت ، وبالفساطيط فأحرقت، فبلغ ذلك روحا فدخل على عبد الملك وقال : يا أمير المؤمنين انظر ماذا جرى علىّ اليوم من الحجاج ، فقال : وما ذاك ؟ قال : قتل غلماني وعرقب خيلي وأحرق فساطيطي ، فأمر بإحضار الحجاج ، فلما حضر قال له عبد الملك : ويلك ، ماذا فعلت اليوم مع سيدك روح بن زنباع ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين إن يدي يدك وسوطي سوطك ، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الغلام غلامين والفرس فرسين والفسطاط فسطاطين ، ولا يكسرني في العسكر ، فقال له : افعل ، فتم للحجاج ما يريد وقوى من ذلك اليوم أمره وعظم شره، وكان هذا أول ما عرف من كفاءته .

وللحجاج أخبار كثيرة وخطب بليغة . قال المبرد في الكامل : حدثني الثوري بإسناده عن عبد الملك بن عمير الليثي قال: بينما أنا في المسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ ذوحالة حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ قيل: قدم الحجاج أميرا على العراق ، فنظرت فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر ، فمال الناس نحوه ، فصعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، فقال عمير بن ضابئ البرجمي : ألا أحصبه لكم ، فقيل : امهل حتى ننظر ، فلما رأى الحجاج أعين الناس ترمقه حسر اللثام عن وجهه ونهض قائما، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال : يا أهل الكوفة إني لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها : وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى :

هذا أوان الشر فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال :

قد لفها الليل بعصلبي أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابي معاود للطعن بالخطى

ثم قال أيضاً:

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عردّ مثل زراع البكر أو أشد

إنى والله يا أهل العراق مايقعقع لى بالشنان ، ولا يغمز جانبى كتغماز التين ، ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين نثل كنانته فعجم عيدانها عودا فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا وأبعدها مرمى ، فرماكم بى لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة وأضجعتم فى مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرايبب الإبل ، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإنى والله ما أقول إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أحلف إلا برّيت ، وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطاء أعطياتكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة ، وإنى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ، يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين ، سلام عليكم ، فلم يقل أحد شيئا ، فقال الحجاج : اكفف يا غلام ، ثم أقبل على الناس فقال : أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردوا سلامه ؟ هذا أدب ابن سمية ، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن ، اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين ، فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم ، لم يبق فى المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم ، فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال : أيها الأمير : إنى من الضعف على ما ترى ولى ابن هو أقوى منى على الأسفار أفتقبله منى بدلا ؟ فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولى قال له قائل : أتدرى من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا . قال : هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أبوه :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله تعالى عنه يوم الدار وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه ، فقال : ردوه ، فلما ردّ قال له الحجاج : أيها الشيخ : هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان بديلا يوم الدار ؟ إن فى قتلك إصلاحا للمسلمين ، يا حرسى اضرب عنقه .

(تفسير ما فى خطبة الحجاج من الكلام) قوله : أنا ابن جلا إنما أراد المنكشف الأمر ولم يصرف جلا لأنه أراد الفعل فحكى ، والفعل إذا كان فيه فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن إلا حكاية كقولك : قرأت — اقتربت الساعة وانشق القمر — لأنك حكيت ، وكذلك الابتداء والخبر تقول : قرأت : — الحمد لله رب العالمين — قال الشاعر :

• ما ليلى بنام صاحبه •

وهذه الكلمة لسحيم بن وثيل الرياحى ، وإنما قالها الحجاج متمثلا ، وقوله : طلاع الثنايا : هى جمع ثنية والثنية الطريق فى الجبل ، والطريق فى الرمل يقال لها الجلد ، وإنما

أراد أنه جلد يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها، كما قال دريد بن الصمة يرثى أخاه عبدالله:

كميش الإزار خارج نصف ساقه بعيد من السوآت طلاع أنجد

والنجد: ما ارتفع من الأرض، وقوله: إنى لأرى رءوسا قد أينعت يريد أدركت، يقال: أينعت الثمرة إيناعا وينعت ينعاوينعا، ويقرأ — انظروا إلى ثمره — إذا أثمر وينعه وينعه — وكلاهما جائز. قال أبوعبيدة: وهذا الشعر مختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم إلى يزيد بن معاوية، وهو:

ولها بالماطرون إذا أكل النمل الذى جمعا
حرقة حتى إذا ارتفعت سكنت من جلق نبعا
فى قباب عند دسكرة حولها الزيتون قد ينعا

وقوله: هذا أوان الشر فاشتدى زيم: يعنى فرسا أو ناقة، والشعر للحطيم القيسى، وقوله: قد لفها الليل بسواق حطم، الحطم: الذى لا يبقى من الخبز شيئا. يقال: رجل حطم إذا كان يأتى على الزاد لشدة أكله، ويقال للنار التى لا تبقى على شىء حطمة، وقوله: على ظهر وضم، الوضم: كل ما قطع عليه اللحم: قال الشاعر:

وفتيان صدق حسان الوجوه لا يجـدون لشىء ألم
من آل المغيرة لا يشهدو ن عند المجازر لحم الوضم

وقوله: قد لفها الليل بعصلبى: أى شديد. أروع: أى ذكى، وقوله: خراج من الدوى، يقول خراج عن كل غماء وشدة، ويقال للصحراء دوية وهى التى تنسب للدو والدوّ: صحراء ملساء لا علم بها ولا أمارة. قال الحطيئة:

وأنى اهتدت والدوّ بينى وبينها وماخلت سارى الدوبالليل يهتدى

والداوية: الفلاة المتسعة التى يسمع لها دوى بالليل، وإنما ذلك الدوى من أخفاف الإبل تنفسح أصواتها فيها، وجهلة الأعراب تقول: إن ذلك عزيف الجن. وقوله: والقوس فيها وتر عرد: أى شديد، ويقال: عرند، وقوله: إنى والله ما يقعقع لى بالشنان، واحدها شن، وهى الجلد اليابس، فإذا قعقع به نفرت الإبل منه، فضرب ذلك مثلا لنفسه. قال النابغة الذبيانى:

كأنك من جمال بنى أقيش يقعقع بين رجليه بشن

وقوله: ولقد فررت عن ذكاء: يعنى تمام سن، والذكاء على ضربين: أحدهما: تمام السن، والآخر: حدة القلب، فما جاء فى تمام السن قول قيس بن زهير العبسى: جرى المذكيات غلاب وقول زهير:

يفضله إذا اجتهد عليه تمام السن منه والذكاء

وقوله : فعجم عيدانها عودا عودا : أى مضغها لينظر أيها أصلب . يقال : عجمت العود إذا مضغته وعضضته ، والمصدر العجم . يقال : عجمه عجما ، ويقال لنوى كل شئ عجم بفتح الجيم ، ومن سكن فقد أخطأ . قال الأعشى :

• وجذعانها كلقيط العجم •

وقوله : طالما أوضعتم فى الفتنة ، الإيضاع : ضرب من السير ، تركناها كراهية التطويل . قال ابن خلكان : ولما حضرته الوفاة أحضر منجما وقال : هل ترى فى علمك أن ملكا يموت ؟ قال : نعم ، ولست هو . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الملك الذى يموت اسمه كليب ، فقال الحجاج : أنا هو والله ، بذلك الاسم سمتنى أمى ، فأوصى عند ذلك ، وكان ينشد فى مرضه :

يارب قد حلف الأعداء واجتهدوا أيمانهم أننى من ساكنى النار
أيحلفون على عمياء ويحهم ما ظنهم بعظيم العفو غفار

توفى الحجاج سنة خمس وتسعين فى خلافة الوليد بواسط ودفن بها وعفى قبره وأجرى عليه الماء ، ولما مات لم يعلم بموته حتى خرجت جارية من قصره وهى تقول :

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعاً

فعلم بموته .

وقال الحافظ الذهبى وابن خلكان وغيرهما : أحصى من قتله الحجاج صبرا سوى من قتل فى حروبه فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا ، وكذا رواه الترمذى فى جامعه ، ومات فى حبسه خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفا مجردات ، وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ، وعرضت سجونه بعده فوجد فيها ثلاثة وثلاثون ألفا لم يجب على أحد منهم لا قطع ولا صلب . وقال الحافظ ابن عساكر : إن سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المظلومين ، ويقال : إنه أخرج فى يوم واحد ثمانين ألفا ، ويقال : إنه أخرج من سجونه ثلثمائة ألف ، وقال ابن خلكان : ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر فى الشتاء بل كان حوشا مبنيا بالرخام ، وكان له غير ذلك من أنواع العذاب ، وقيل : إنه سأل كاتبه يوما ، فقال : كم عدة من قتلنا فى التهمة ؟ فقال : ثمانون ألفا ، وكانت مدة ولايته على العراق عشرين سنة ، ومات وله ثلاث وخمسون سنة . روى أنه ركب يوم جمعة فسمع ضجة فقال : ما هذا ؟ فقيل : المحبوسون يضجون ويشكون مما هم فيه من الجوع والعذاب ، فالتفت إلى ناحيتهم وقال : اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فما صلى جمعة بعدها ، ورأيت على حاشية تاريخ ابن خلكان بخط بعض المشايخ : أن بعض العلماء كفره بهذا الكلام وغيره مما وقع منه .

وفى الكامل للمبرد : ومما كفر به الفقهاء الحجاج أنه رأى الناس يطوفون حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما تطوفون بأعواد ورمة . قلت : وإنما كفروه بهذا لأن فى هذا الكلام تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من اعتقاد ذلك ، فإنه صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » خرجه أبو داود ، وذكر أبو جعفر الداودى هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين وهى زيادة غريبة . قال السهيلى : الداودى من أهل الفقه والعلم ، لكن روى عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه رأى الحجاج فى المنام بعد موته وهو جيفة منتنة ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة واحدة إلا سعيد بن جبير فانه قتلنى به سبعين قتلة ، فقال له : ما أنت منتظر ؟ فقال : ما ينتظره الموحدون ، فهذا مما ينفى عنه الكفر ويثبت أنه مات على التوحيد ، وعند الله علم حاله وهو أعلم بحقيقة أمره .

(تنبيه) فان قيل : ما الحكمة فى أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتله قتلة واحدة إلا سعيد بن جبير رحمه الله تعالى ، وهو قد قتل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما وهو صحابى ، وسعيد بن جبير تابعى ، والصحابى أفضل من التابعى ؟ فالجواب : أن الحكمة فى ذلك أن الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما كان له نظراء فى العلم كثيرون كابن عمر وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة ، ولما قتل سعيد بن جبير لم يكن له نظير فى العلم فى وقته . وذكر غير واحد من المصنفين : أن الحسن البصرى رحمه الله لما بلغه قتل سعيد بن جبير قال : والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لعلمه ، فمن هذا المعنى ضوعف العذاب على الحجاج بقتله والله أعلم . وسيأتى حديث قتل سعيد بن جبير فى باب اللام فى اللبوة ، وقتل عبد الله بن الزبير تقدم فى باب الهمزة فى الإوز .

(الأمثال) قالوا : أغلم من تيس بنى حمان بكسر الحاء المهملة ؛ وذلك أن بنى حمان تزعم أن تيسهم سفد سبعين عنزا بعدما فريت أوداجه ففخروا بذلك والله أعلم . ويقال للتيس : قفط وسفد : وفى [الأذكياء] لابن الجوزى : أن مزينة أسرت أبا حسان الأنصارى وقالوا : لا نأخذ فداءه إلا تيسا ، فغضب قومه وقالوا : لانفعل هذا ، فأرسل إليهم أعطوهم ما طلبوا فلما جاءوا بالتيس قال : أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم ، فسموا مزينة التيس ، وصار لهم لقبا وعيبا .

(الخواص) جميع بدنه منتن كالإبط ، ولحيته تشد على صاحب حمى الربع وعلى من به صداع فيزولان ، وطحاله يقطعه صاحب الطحال بيده ويعلقه فى بيت هو فيه ، فاذا جف الطحال زال ألم المطحول . ورطوبة كبده حال شقها تقطر فى الأذن الوجيعة يزول وجعها .

وكعبه إذا سحق وشرب هيج الباه . وبوله يغلى حتى يغلظ ويخلط بمثله سكرا ويطلى به الجرب فى الحمام فإنه يذهب . وبعره إذا وضع تحت رأس صبى يبكى كثيرا يزول عنه ، وسيأتى له منافع أخرى فى خواص المعز ، والله أعلم .

باب الثاء المثلثة

﴿ الثاغية ﴾ النعجة . قالوا : ماله ثاغية ولا راغية : أى لا نعجة ولا ناقة : أى ماله شىء ، ومثله : ماله دقيقة ولا جليلة : فالدقيقة : الشاة ، والجليلة : الناقة .

﴿ الثرملة ﴾ : بالضم أنثى الثعالب ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ما فى الثعلب فى هذا الباب.

﴿ الثعبان ﴾ : الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى والجمع الثعابين والثعبة ضرب من الوزغ ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الواو . وقال الجاحظ فى كتاب [الأمصار وتفاضل البلدان] والثعابين بمصر وليست هى فى بلد غيرها ، وإليها حوّل الله عصا موسى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ـ فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ـ يعنى أنه حولها ثعبانا عظيما . ومما يتعلق بخبر الثعبان أن عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء أمره صعلوكا ترب اليدين ، وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف لا يؤويه أبدا فخرج فى شعاب مكة حائرا ثائرا يتمنى الموت أن ينزل به ، فرأى شقا فى جبل فظن أن فيه حية ، فتعرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا ، فدخل فيه فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان يتقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب عنه مستديرا بدارة عند بيت ، ثم خطا خطوة أخرى فصفر به الثعبان فأقبل إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه فوقف ينظر إليه يفكر فى أمره ، فوقع فى نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيديه فاذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان ، فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت ، فاذا جثث طوال على سرر لم ير مثلهم طولا وعظما ، وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم ، وإذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم نوتا الحارث بن مضاض صاحب العذبة الطويلة ، وإذا عليهم ثياب من وشى لا يمس منها شىء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان مكتوب فى اللوح عظات . قال ابن هشام : كان اللوح من رخام ، وكان فيه : أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان ابن نبى الله هود عليه السلام ، عشت من العمر خمسمائة عام ، وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجينى من الموت ، وتحته مكتوب :

قد قطعت البلاد فى طلب الثر وة والمجد قالص الأثواب

وسريت البلاد قفرا لقفر بقناة وقوة واكتساب
فأصاب الردى بنات فؤادى بسهام من المنايا صياب
فانقضت مدتى وأقصر جهلى واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب فى محل الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع رد فى الضرع ماقرى فى الحلاب

وإذا فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد، فأخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة ، وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به منه يسترضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرته كلهم فسادهم ، وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف ، وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبى فغرق ومات .

وفى [غريب الحديث] لابن قتيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى » يعنى فى الهاجرة ، وسميت الهاجرة صكة عمى لخبر ذكره أبو حنيفة فى الأنوار ، وهو أن عميا رجل من عدوان ، وقيل من إياد ، وكان فقيه العرب فى الجاهلية ، فقدم فى قومه معتمرا أو حاجا ، فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى وسط الظهيرة : من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين ، فصكوا الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغداة ، وعمى تصغير أعمى على الترخيم ، فسميت الظهيرة صكة عمى . وعبد الله بن جدعان تيمى يكنى أبا زهير ، وهو ابن عم عائشة رضى الله تعالى عنها ، ولذلك قالت « يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا ، إنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » كذا قاله السهيلى فى الروض الأنف .

وفى كتاب [رى العاطش وأنس الواحش] لأحمد بن عمار : أن ابن جدعان ممن حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان بها مغرى ، وذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه ، فضحك منه جلساؤه ، فأخبر بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا ، فلما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه فى العطاء ، فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشد لطمتك واطلب ديتها ، فإذ فعل ذلك أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان .

ولقد أجاد أبو الفتح على بن محمد البستى صاحب النظم والنثر فى هذه القصيدة ، وهى قصيدة طويلة طنانة تشتمل على مواعظ وحكم ، فلنأت بها بتمامها وبما ذيل عليها أهل الفضل ، ويقال إنها لأمير المؤمنين الراضى بالله وهى هذه :

زيادة المرء فى دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لاثبات له ... فإن معناه فى التحقيق فقدان
يا عامرا لخراب الدهر مجتهدا ... بالله هل لخراب العمر عمران
وبا حريصا على الأموال يجمعها ... أنسيت أن سرور المال أحزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران
وأوع سمعك أمثالا أفصلها ... كما يفصل ياقوت ومرجان
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان
وكن على الدهر معوانا لذى أمل ... يرجو نداك فإن الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... إليه والمال للإنسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له ... عند الحقيقة إخوان وأخدان
لا تخدشن بمطل وجه عارفة ... فالبر يخدشه مطل وليان
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
من يتق الله يحمد فى عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... إذا تحاماه إخوان وخلان
لا تستشر غير ندب حازم فطن ... قد استوت منه إسرار وإعلان
فللتدابير فرسان إذا ركضوا ... فيها أبروا كما للحرب فرسان
وللأمور مواقيت مقدرة ... وكل أمر له حدّ وميزان
من رافق الرفق فى كل الأمور فلم ... يندم عليه ولم يذممه إنسان
ولا تكن عجلا فى الأمر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران
وذو القناعة راض فى معيشته ... وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
كفى من العيش ما قد سد من رمق ... ففيه للحر إن حققت غنيان
هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان
من مدّ طرفا بفرط الجهل نحو هوى ... أغضى عن الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له ... على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نصبا ... لأن طبعهم بغى وعدوان
ومن يفتش على الإخوان مجتهدا ... فجلّ إخوان هذا الدهر خوّان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه ... ندامة ولحصد الزرع إبان
من استنام إلى الأشرار نام وفى ... قميصه منهم صل وثعبان

من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلان
من كان للعقل سلطان عليه غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان
وإن أساء مسيء فليكن لك فى ... عروض زلته صفح وغفران
إذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه فى بسيط الأرض أوطان
لاتحسبن سرورا دائما أبدا ... من سره زمن ساءته أزمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده ... إن كنت فى سنة فالدهر يقظان
يا أيها العالم المرضى سيرته ... أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويا أخا الجهل لو أصبحت فى لجج ... فأنت ما بينها لا شك ظمآن
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
صن حر وجهك لاتهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان
لاتحسب الناس طبعا واحدا فلهم ... غرائز لست تحصيها وألوان
ماكل ماء كصداء لوارده ... نعم ولا كل نبت فهو سعدان
من استعان بغير الله فى طلب ... فإن ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما ... فإنه الركن إن خانتك أركان
لا ظل للمرء يغنى عن تقى ورضا ... وإن أظلته أوراق وأفنان
سحبان من غير مال باقل حصر ... وباقل فى ثراء المال سحبان
والناس إخوان من والته دولته ... وهم عليه إذا عادته أعوان
يا رافلا فى الشباب الرحب منتشيا ... من كأسه هل أصاب الرشد نشوان
لا تغترر بشباب ناعم خضل ... فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم ... يكن لمثلك فى الإسراف إمعان
هب الشبيبة تبدى عذر صاحبها ... ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فإن الله يغفرها ... إن شيع المرء إخلاص وإيمان
وكل كسر فإن الله يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلا يدوم على الإنسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمة ... والحر بالعدل والإحسان يزدان
خذها سرائر أمثال مهذبة ... فيها لمن يبتغى التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها ... إن لم يصغها قريع الشعر حسان

ومن هنا ذيل من ذيل عليها فقال :

وكن لسنة خير الخلق متبعا ... فإنها لنجاة العبد عنوان

فهو الذى شملت للخلق أنعمه وعمهم منه فى الدارين إحسان
جبينه قمر قد زانه خفر وثغره درر غر ومرجان
والبدر يخجل من أنوار طلعته والشمس من حسنه الوضاح تزدان
به توسلنا فى محو زلتنا لربنا إنه ذو الجود منان
ومذ أتى أبصرت عمى القلوب به سبل الهدى ووعت للحق آذان
يارب صل عليه ما همى مطر فأينعت منه أوراق وأغصان
وابعث إليه سلاما زاكيا عطرا والآل والصحب لا تفنيه أزمان

ومن نثره : يعنى أبا القاسم البستى : من أصلح فاسده أرغم حاسده ، ومن أطاع غضبه أضاع أدبه ، عادات السادات سادات العادات ، من سعادة جدك وقوفك عند حدك ، الرشوة رشاء الحاجات ، أجهل الناس من كان للإخوان مذلا ، وعلى السلطان مدلا ، الفهم شعاع العقل ، المنية تضحك من الأمنية ، حد العفاف الرضا بالكفاف . توفى البستى رحمه الله سنة أربعمائة .

﴿ ثعالة ﴾ : كنخالة وزبالة وفضالة ، ثلاثة إخوة يشبه بعضهم بعضا اسم للثعلب ، وهو معرفة ، وأرض مثعلة بالفتح : أى كثيرة الثعالب ، كما قالوا معقرة للأرض الكبيرة العقارب.
(الأمثال) قالوا : أروغ من ثعالة . قال الشاعر :

فاحتلت حين صرمتنى والمرء يعجز لاحماله
والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعاله
والمرء يكسب ماله والشح يورثه الفساله
والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقاله

وقالوا : أعطش من ثعالة . واختلفوا فى تفسيره ، فزعم محمد بن حبيب أنه الثعلب ، وخالفه ابن الأعرابى فزعم أن ثعالة رجل من بنى مجاشع شرب بول رفيق له فى مفازة فمات عطشا .

﴿ الثعبة ﴾ : ضرب من الوزغ ، قاله الجوهرى .

﴿ الثعلب ﴾ : معروف ، والأنثى ثعلبة والجمع ثعالب وأثعل . روى ابن قانع فى معجمه عن وابصة بن معبد قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « شر السباع هذه الأثعل » يعنى الثعالب ، وكنية الثعلب : أبو الحصين ، وأبو النجم ، وأبو نوفل ، وأبو الوثاب ، وأبو الخبص ، والأنثى أم عويل ، والذكر ثعلبان ، وأنشد الكسائى عليه :

أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

هكذا أنشده جماعة وهو وهم ، فقد رواه أبو حاتم الرازى الثعلبان بالفتح على أنه تثنية ثعلب . وذكر أن بنى ثعلب كان لهم صنم يعبدونه، فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدان فرفع كل منهما رجله وبال على الصنم ، وكان للصنم سادن يقال له غاوى بن ظالم فقال البيت المتقدم ، ثم كسر الصنم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ما اسمك؟ قال : غاوى بن ظالم . قال : لابل أنت راشد بن عبد ربه » وفى [نهاية الغريب] أنه كان لرجل صنم ، وكان يأتى بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له : اطعم ، فجاء ثعلبان فأكل الخبز والزبد ثم عصل على رأس الصنم : أى بال . والثعلبان : ذكر الثعالب . وفى كتاب [الهروى] فجاء ثعلبان فأكلا الخبز والزبد أراد تثنية ثعلب . قال الحافظ ابن ناصر : أخطأ الهروى فى تفسيره وصحف فى روايته ، وإنما الحديث : فجاء ثعلبان ، وهو الذكر من الثعالب اسم له معروف لامثنى ، فأكل الخبز والزبد ثم عصل بالعين والصاد على رأس الصنم ، فقام الرجل : فضرب الصنم فكسره، ثم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، وقال فيه شعرا ، وهو :

لقد خاب قوم أملوك لشدة ... أرادوا نزالا أن تكون تحارب
فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ... ولا أنت دفاع إذا حل نائب
أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

والحديث مذكور فى معجم البغوى وابن شاهين وغيرهما، والرجل المذكور راشد بن عبد ربه وحديثه مشروح فى كتاب [دلائل النبوة] لأبى نعيم الأصفهانى، وأهل اللغة يستشهدون بهذا البيت فى أسماء الحيوان ، والفرق فى ذلك بين الذكر والأنثى كما قالوا : الأفعوان ذكر الأفاعى والعقربان ذكر العقارب ، والثعلب سبع جبان مستضعف ذو مكر وخديعة لكنه لفرط الخبث والخديعة يجرى مع كبار السباع . ومن حيلته فى طلب الرزق أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده، وحيلته هذه لاتتم على كلب الصيد . قيل للثعلب . مالك تعدو أكثر من الكلب ؟ فقال : لأنى أعدو لنفسى والكلب يعدو لغيره . قال الجاحظ : ومن أشد سلاح الثعلب عندهم الروغان والتماوت وسلاحه سلحه ، فإن سلاحه أنتن وألزج وأكثر من سلاح الحبارى . قالت العرب : أدهى وأنتن من سلاح الثعلب ، والجاحظ اسمه عمرو بن بحر الكنانى الليثى ، وقيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين ، ويقال له الجدق أيضا لذلك، أصابه الفالج فى آخر عمره فكان يطلى نصفه بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض لما أحس به من خدره وشدة برده ، وكان يقول : أنا من جانبى الأيمن مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت ، ومن جانبى الأيسر منقرس فلو مر به الذباب تألمت ، وقال : اصطلحت على

جسدى الأضداد، فإن أكلت باردا أخذ برجلى ، وإن أكلت حارا أخذ برأسى ، وكان ينشد ويقول :

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

وله التصانيف فى كل فن ، وهو من رءوس المعتزلة ، وإليه تنسب الطائفة الجاحظية من المعتزلة ، ومن أحسن تصانيفه كتاب [الحيوان] توفى سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة. قال : ومن العجب فى قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله ، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله . والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها ، والأفعى تصيد العصفور فتأكله ، والعصفور يصيد الجراد فيأكله ، والجراد يلتمس فراخ الزنابير فيأكلها ، والزنبور يصيد النحلة فيأكلها ، والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها ، والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها . روى صاحب الغيلانيات فى الجزء الأول عن الشعبى عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، فقال رأيت كأنى أجرى مع الثعلب أحسن جرى ، فقال : أجريت مالا يجرى أنت رجل فى لسانك كذب فاتق الله عز وجل . ومن شأن الثعلب إذا دخل برج حمام وكان شبعان قتلها ورمى بها لعلمه أنه إذا جاع عاد إليها وأكلها ، وهو من الحيوان الذى سلاحه سلاحه ، وهو أنتن من سلاح الحبارى كما تقدم ، فاذا تعرض للقنفذ ولقيه كالكرة وتحصن بشوكه سلح عليه فينبسط فعندها يقبض على مراق بطنه . ومن ظريف ما يحكى عنه : أن البراغيث إذا كثرت فى صوفه تناول صوفة منه بفيه ثم يدخل النهر قليلا قليلا والبراغيث تصعد فرارا من الماء حتى تجتمع فى الصوفة التى فى فيه فيلقيها فى الماء ثم يهرب . والذئب يطلب أولاد الثعلب فاذا ولد له ولد وضع أوراق العنصل على باب وجاره ليهرب الذئب منها ، وفروه أفضل الفراء ، ومنه الأبيض والأسود والخلنجى .

وقال القزوينى فى [عجائب المخلوقات] إنه أهدى إلى نوح بن منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الإنسان منه نشرهما وإذا بعد عنه ألصقهما بجانبيه . ثم قال : وكانت الثعالب تطير فى الزمن الأول .

وفى آخر كتاب [الأذكياء] لأبى الفرج بن الجوزى عن المعافى بن زكرياء قال : زعموا أن أسدا وثعلبا وذئبا اصطحبوا فخرجوا يتصيدون ، فصادوا حمارا وظبيا وأرنبا ، فقال الأسد للذئب : اقسم بيننا صيدنا ، فقال : الأمر أبين من ذلك ، الحمار لك والأرنب لأبى معاوية : يعنى الثعلب ، والظبى لى فخبطه الأسد فأطاح رأسه ، ثم أقبل على الثعلب وقال : قاتله الله ما أجهله بالقسمة هات أنت يا أبا معاوية ، فقال الثعلب : يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك ، الحمار لغدائك والظبى لعشائك والأرنب فيما بين ذلك ، فقال له

الأسد : قاتلك الله ما أقضاك ! من علمك هذه الأقضية ؟ قال : رأس الذئب الطائح عن جثته ، وفى رواية عن الشعبى : فقال له الأسد : قاتلك الله ما أبصرك بالقضاء والقسمة من أين تعلمت هذا ؟ قال : مما رأيت من أمر الذئب . ومما يروى من حيل الثعلب ما ذكره الشافعى قال : كنا فى سفر فى أرض اليمن فوضعنا سفرتنا لنتعشى ، وحضرت صلاة المغرب فقمنا نصلى ثم نتعشى فتركنا السفرة كما هى وقمنا إلى الصلاة ، وكان فيها دجاجتان ، فجاء الثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين ، فلما قضينا الصلاة أسفنا عليها وقلنا : حرمنا طعامنا ، فبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفى فمه شىء كأنه الدجاجة فوضعه ، فبادرنا إليه لنأخذه ونحن نحسبه الدجاجة قد ردّها ، فلما قمنا جاء إلى الأخرى وأخذها من السفرة ، وأصبنا الذى قمنا إليه لنأخذه فإذا هو ليف قد هيأه مثل الدجاجة . ومماوقع من فطنة البهائم مما يقارب هذا ما يحكى عن القاسم بن أبى طالب التنوخى الأنبارى قال : كنت ماضيا إلى الأنبار فى رفقة فيها بازدارية السلطان قد خرجوا يرضونها ، فأطلقوا بازيا على دراج فطار الدراج إلى غيضة فدخل فيها وألقى نفسه بين شوك كان فيها ، فأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين فى رجليه ونام على قفاه ورفع رجليه فاستتر بذلك من الباز ، فلما قرب منه البازدارى طار فصاده البازى ، فقالوا : ما رأينا قط دراجا أحذق من هذا .

وقد أورد هذه الحكاية القاضى أبو على الحسن بن على التنوخى أيضا فى كتابه [أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة] بألفاظ مخالفة لما سبق هنا فقال : وحدثنى أبو القاسم بن أبى طالب التنوخى الأنبارى قال : كنت ماضيا إلى الأنبار مع رفقة بازدارية للسلطان ، فأطلقوا بازيا على دراج لاح لهم فطاح الدراج ولحقه الباز ، فأخذوا يهللون ويكبرون ويعجبون ، فلحقتهم وسألتهم فإذا بالدراج قد دخل غيضة فألقى نفسه بين شوك كان فيها ، وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين بين رجليه ونام على قفاه وشال رجليه وفيهما الشوك ليختفى به عن الباز ، والباز قد طلبه طويلا فلم يره وقد خفى عليه أمره بذلك الشوك الذى شاله فى رجليه حتى ستر به نفسه إلى أن جاءه البازدارية فرأوا الدراج فقصدوه وقربوا منه فطار ، وأحس به الباز فاصطاده ، فسمعتهم يقولون : ما رأينا قط دراجا أمكر من هذا ولا أحذق منه بالتوقى ، ولا سمعنا بمثل هذا ، وأسرفوا فى التعجب منه .

وهذه أخبار تقارب ما تقدم فى فطنة الطير وذكائه . وقال القاضى أبو على التنوخى : حدثنى أبو الفتح البصروى قال : حدثنى بعض أهل الموصل ممن كان مغرى بالصيد وطلب الجوارح : أن صيادا من أهل أرمينية وتلك النواحى حدثه قال : خرجت إلى الصحراء يوما فنصبت شبكتى وجعلت فيها طائرا مستأنسا ، ودخلت فى كوخ تحت الأرض يسترنى ، وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى إذا وقع فيها شىء من البزاة أو الصقورة أو الشواهين أو غير

ذلك من الجوارح أخذته، فلما كان قريبا من الظهر، وإذا بزمجة لطيفة قد طارت على الشبكة فلما رأتها نفرت وترجلت قريبا منها ، فجلست على الأرض ساعة فإذا بعقاب جائز ، فلما رآها ترجل معها وجلسا جميعا ، وإذا بطائر يطير فى الجو فنهضت الزمجة قبل العقاب وطارت خلف الطائر فلم تزايله إلى أن صادته ، وجاءت به فنسرته وصار لحما وأقبلت تأكل فجاء العقاب وأكل معها ، فلما فنى اللحم زاف العقاب عليها فضربت وجهه بجناحها ، فزاف ثانية فضربته أشد من الأولى ، فزاف الثالثة فضربته أشد من ذلك ، ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلته وطارت ، فتعجبت من نفورها من الشبكة وقلت : هى كرزة ويجوز أن تعرف الشبكة بالعادة . ومما سوى ذلك من مناهضتها للطائر قبل العقاب حتى صادته، ثم إنها منعت العقاب من سفادها وأنها أطعمته من صيدها ، ثم لم ترض بذلك حتى قتلته لما ألح عليها ، وطمعت فى أن أصيدها لأصيد بها مالا قيمة له ، فبت ليلتى فى ذلك الكوخ ، فلما كان من الغد فإذا هى قد ترجلت قريبا من الشبكة فى مثل ذلك الوقت ، فنزل إليها عقاب فجلس معها وعن لهما صيد ، فجرت صورتها مع العقاب الثانى كما جرت مع العقاب الأول سواء بلا اختلاف ألبتة وطارت ، فزاد تعجبى وحرصى عليها وبت ليلتى الثانية فى الكوخ ، فلما كان فى اليوم الثالث فإذا بها قد ترجلت على الصورة والرسم ، وإذا بعد ساعة بعقاب لطيف الجثة وحشى الريش قد ترجل ، فما مضت ساعة حتى عن لهما صيد فهمت الزمجة بالنهوض فضربها العقاب بجناحه ضربة كاد يقتلها ، ونهض منسرعا إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء به فنسره وطرحه بين يديها ، ولم يذق منه شيئا حتى أكلت الزمجة واستوفت ثم أكل هو بعدها لحم الطائر الباقى وفنى ، فزاف عليها فزافت له ولم تمنعه فزاف الثانية فركبها فمكنته حتى سفدها ثم طارا معا .

(وحكى) القاضى أبو على التنوخى أيضا قال : حدثنى فارس بن مشغف أحد الجند القدماء المولدين ، وقد صار بوابا لأبى محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال : كنت أصحب قائدا من قواد السلطان يعرف بأبى إسحاق بن أبى مسعود الأزدى ، وكانت إليه إمارة المدائن إسبانين والمدينة العتيقة ، وكانت إذ ذاك عامرة آهلة والسلاطين ينزلون بها ، وكنت مقيما فيها معه ، وكان لهجا بالصيد ، فخرج ذات يوم وأنا معه إلى المدينة المعروفة بالرومية المقابلة للمدينة العتيقة وهى إذ ذاك خراب ومعه صقارته وآلة صيده وجنده حتى مل وسلك الطريق راجعا، وكان معه صقر له فاره وقد شبع مما أطعمه من صيده ، فمسح الصقار صدره وحمله على يده وهو يسير إذ اضطرب الصقر اضطرابا شديدا فقال له ابن أبى مسعود : قد شاهد الصقر طريدة وهذا الاضطراب لأجلها فأرسله ، فقال : يا سيدى هو صقر شره واضطرابه ليس لهذا وقد شبع ولا آمن أن أرسله على طريدة وهو شبعان فيتيه ، فزاد اضطراب الصقر ،

فقال : أرسله وليس عليك منه شيء ، فأرسله فطار وتراكضنا خلفه حتى جاء إلى أجمة صغيرة تستره ونحن نراه ، فرفرف عليها وإذا بشيء قد صعد منها مثل النشاب فى مقدار زج النشابة فقط ، فحاص عنه الصقر ثم انحط فى الأجمة فدخلنا خلفه فإذا هو قد ترجل على حبارى واصطادها ، وإذا هو طلع على يد الصقار ، ومن عادة الحبارى أن تذرق على الجارح الذى يصيدها لتجرح جناحه وتعقره بذرقها لحماه وحدته وينسلخ جلده ، والصقر عارف بذلك ، فاحتال عليها الصقر فرفرف عليها كأنه يريد صيدها ، فذرقت الحبارى إلى فوق حتى صعدت ذرقتها ، فلما أخطأت الصقر انحط عليها فى الحال فاصطادها ، وكان الصقارون ومن حضر من الجند والمتصيدين المدنيين يعجبون من ذلك ويعدونه من غرائب ما شاهدوه من أفعال الجوارح .

وذكر القاضى التنوخى عن فارس هذا قال : كنت مع هرون بن غريب الحبال من جملة عسكره ورجاله ونحن قيام بين يدى حلوان والجند سائرون وهو يتصيد فى طريقه إذ عن له غزال فأرسل عليه صقرا كان بحضرته ، ولم يكن الكلابون بالقرب منه فيرسلون معه كلبا لأن العادة أن الصقر لا يصيد غزالا إلا إذا كان معه كلب ، وذلك أن الصقر يطير فيقع على رأسه فيعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه فيمنعه من شدة العدو فيلحقه الكلب فيصيده ، هكذا جرت العادة فى صيد الغزلان بالصقور ، إلا أن ابن الحبال لما لاح له الغزال أطلق الصقر لئلا يفوته الغزال وغرر به لحوق الكلاب فى الحال ، وقد رأى أن يشغله الصقر عن العدو فتلحقه خيلنا ورماحنا ، فطار الصقر وتراكضنا خلفه وأنا ممن ركض ، وجرى الغزال فوافى إلى منحدر فى الصحراء فانحدر فيه ، فلما حصل منحدرا سقط الصقر على خده وعنقه فأنشب مخلبيه فيهما وحمله الغزال ، فرأينا الصقر قد سدل أحد مخلبيه حتى أنه يخط فى الأرض حتى إذا وصل إلى موضع من الصحراء فيه شوك فعلق بأصل شوك عظيم ، ثم جذب عنق الغزال بالمخلب الآخر الذى كان أمسكه به فى خده وأصل عنقه ، وإذا به قد دق عنقه وصرعه فلحقناه وذكيناه ووقعت البشارة ، فقال ابن الحبال ومن معه : ما رأينا قط صقرا أفره من هذا ، وخلع على الصقار خلعة حسنة .

(وحكى) القاضى أبو على التنوخى قال : أخبرنى أبو القاسم البصرى قال : أخبرنى بعض الجمدارية من الجند أنه كان مع قائد من قوادهم فى الصيد ومعه عقاب يتصيد به ، وقد اصطاد واستكفى إذ اضطرب العقاب على يد العقاب اضطرابا شديدا فخاف على نفسه لأن العقاب ربما أتلف عقابه إذا منعه من إرادته وليس يجرى مجرى غيره من الجوارح ، فأرسله العقاب فطار وطرد وراءه فإذا به قد سقط على شيخ ضعيف كان يجر شوكا وهو يمشى على أربعة فنسره ودق عنقه وأتلفه وولغ فى دمه وأكل من لحمه وإذا بالعقاب قد

جاء إلى القائد فقال له : ما الخبر ؟ فقال : ياسيدى اصطاد العقاب شيخا وحشيا بريا ، وكان يسمعنا نقول اصطد لنا غزالا وحشيا وسنورا بريا ، فقد رأى شيخا بريا ووحشيا مثله ، ولم يفكر أن العقاب أتلف رجلا مسلما ، فقال القائد : ويحك ما تقول ، وحرك فحركنا وراءه فوجدنا الشيخ فاغتم لذلك غما شديدا وعجبنا من أمر العقاب .

(وحكى) القاضى التنوخى فى كتابه أيضا قال : حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال : حدثنى بعض المتصيدين وقد تجارينا عجائب ما يجرى فيه فقال : من أحسن وأظرف مارأينا منه أن بازيا كان لفلان وسماه أرسله فاصطاد دراجا وقبض عليه بإحدى يديه ، وترجل كما جرت به العادة ، وأمسكه ينتظر البازدارى فيذبحه ويطعمه منه كما جرت العادة فى مثل ذلك ، وهو على جانبه إذ أبصر دراجا آخر يطير فطار ، والدراج الأول فى إحدى يديه حتى قبض على الدراج الآخر فاصطاده وترجل ، وقد أمسكهما بيديه جميعا فاجتمعنا وشاهدناه على هذه الحالة فاستظرفناه ، ثم أخذناهما من يديه .

وذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب [الأذكياء] والحافظ أبو نعيم فى [حلية الأولياء] عن الشعبى أنه قال : مرض الأسد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب ، فتم عليه الذئب ، فقال الأسد : إذا حضر فأعلمنى ، فلما حضر أعلمه فعاتبه فى ذلك فقال : كنت فى طلب الدواء لك : قال : فأى شىء أصبت ؟ قال : خرزة فى ساق الذئب ينبغى أن تخرج ، فضرب الأسد بمخالبه فى ساق الذئب ، وانسل الثعلب فر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل فقال له الثعلب : يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك . قال الحافظ أبو نعيم : لم يقصد الشعبى من هذا سوى ضرب المثل وتعليم العقلاء وتنبيه الناس ، وتأكيد الوصية فى حفظ اللسان وتهذيب الأخلاق والتأديب بكل طريق ، وفى مثل ذلك قيل :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال « نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة عن ثلاثة : نقرة كنقرة الديك ، وإقعاء كإقعاء الكلب ، والتفات كالتفات الثعلب » وقيل للشعبى : يقال فى المثل إن شريحا أدهى من الثعلب وأحيل فما هذا ؟ فقال : خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف فكان إذا قام يصلى يجىء ثعلب فيقف تجاهه ويحاكيه ويخيل بين يديه ويشغله عن صلاته ، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميه وجعل قلنسوته عليها ، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه وأخذه بغتة ، فلذلك يقال : شريح أدهى من الثعلب وأحيل ؛ ويقال : ضغا الثعلب ، والسنور يضغوا ضغوا وضغاء : أى صاح ، وكذلك صوت كل ذليل مقهور ويقال للإمام العلامة أبى منصور عبد الملك بن محمد النيسابورى : رأس المؤلفين وإمام

المصنفين صاحب التصانيف الفائقة والآداب الرائقة كثمار القلوب وفقه اللغة ويتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، وغير ذلك من التصانيف. الثعالبى منسوب إلى خياطة جلود الثعالب لأنه كان فراء ، ويتيمة الدهر أكبر كتبه وأحسنها ، وفيها يقول أبو الفتح نصر الله ابن قلاقس الإسكندرانى .

أبيات أشعار اليتيمه أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمه

ومن شعر أبى منصور الثعالبى :

ياسيدا بالمكرمات ارتدى وانتعل العيوف والفرقدا
مالك لاتجرى على مقتضى مودة طال عليها المدى
إن غبت لم أطلب وهذا سليمان بن داود نبى الهدى
تفقد الطير على شغله فقال مالى لاأرى الهدهدا

وله فى غلام مسافر :

فديت مسافرا ركب القيافى فأثر فى محاسنه السفار
فمسك ورد خديه السوافى وغبر مسك صدغيه الغبار

توفى سنة تسع وعشرين ، وقيل : سنة ثلاثين وأربعمائة .

(الحكم) نص إمامنا الشافعى رحمه الله على حل أكله . وقال ابن الصلاح : ليس فى حله حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى تحريمه حديثان فى إسنادهما ضعف ، واعتمد الشافعى فى ذلك على عادة العرب فى أكله ، فيندرج فى عموم قوله تعالى — قل أحل لكم الطيبات — وبحله قال طاوس وعطاء وقتادة وغيرهم ، ونقل فى فوائد رحلته عن أبى سعيد عثمان بن سعيد الدارمى الإمام فى الحديث والفقه تلميذ البويطى رحمه الله : أن الثعلب حرام ، وكره أبو حنيفة ومالك أكله ، وأكثر الروايات عن أحمد تحريمه لأنه سبع .

(الأمثال) قالوا : أروغ من ثعلب . قال الشاعر :

كل خليل كنت خاللته لاترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه

وفى [المجالسة] للدينورى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال وهو على المنبر — إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا — ولم يروغوا روغان الثعالب ، وفى رواية : الثعلب . وفى شعب البيهقى وأمثال العسكرى عن الحسن بن سمرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مثل الذى يفر من الموت كالثعلب تطلبه الأرض بدين ، فجعل يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره ، فقالت له الأرض : ياثعلب دينى دينى ، فخرج فلم يزل كذلك

حتى انقطعت عنقه فمات » وقالوا : أذل ممن بالت عليه الثعالب يضرب لمن يستذل كما تقدم ، وأدهى من ثعلب ، وأعطش من ثعالة . قال حميد بن ثور :

ألم تر مابيني وبين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعالب

وأصبح صافي الود بيني وبينه كأن لم يكن والدهر فيه عجائب

(الخواص) رأسه إذا ترك فى برج حمام هربت كلها ، ونابه يشد على الصبى الذى به ريح الصبيان يذهب عنه ولا يفزع فى نومه وتحسن أخلاقه ، ومرارته إذا نفخت فى أنف المصروع لايصرع أبدا ، ولحمه ينفع من اللوقة والجذام ، وشحمه يذاب ويطلى من به النقرس يزول وجعه فى الحال ، وخصيته تشد على الصبى فتنبت أسنانه بغير ألم ، وفروه أنفع شىء للمرطوبين بخورا ولبسا ، ودمه إذا طلى به رأس صبى نبت شعره وإن كان أقرع ، وإذا استصحب دمه إنسان لاتؤثر فيه حيلة محتال ، ورئته إذا سحقت وشربت نفعت من الريح ، وأنيابه إذا علقت على المصروع برئ ، وطحاله إذا شد على ذى الطحال الوجع أبرأه . وقال هرمس : من أمسك كليتى الثعلب بيده لم يخف الكلاب ولم تنبح عليه : وأذنه إذا علقت على الخنازير التى فى العنق أبرأتها ، وشحمه إذا أذيب وقطر فى الأذن الوجعة سكن وجعها ، وذكره ينفع من الصداع إذا علق على الرأس ، ومرارته إذا طلى بها الذهب يصير لونه لون النحاس ، وخصيته تنفع من الورم الكائن عند الأذنين إذا دلك بها ، وكبده إذا سقى منه وزن مثقال بشراب من به وجع الطحال أبرأه من ساعته ، وشحمه إذا طلى به أطراف اليدين والرجلين أمنت مضرة البرد ، ودماغه إذا خلط بورس وطلى به الرأس أذهب القرع والحزاز والبثور وسقوط الشعر ، وقضيبه إذا علق على الصبى الذى يبكى بالليل ويفزع يذهب عنه ذلك ، وكذلك يفعل الناب ، وشحمه تجتمع عليه البراغيث حيث كان ، وخصيته إذا جففت وسقى منها رجل وزن درهم زاد فى الجماع والإنعاظ ، وزبله يسحق بدهن ورد ويطلى به الإحليل وقت الجماع يزيد فيه ماشاء . وفى كتاب [الأبدال] إن طلبت شحم الثعلب فلم تجده فبدله شحم الذئب .

(التعبير) الثعلب فى المنام امرأة ، فمن رأى أنه يلاعب ثعلبا فإن له امرأة يحبها وتحبه ، وقيل : الثعلب رجل ذو مكر وخديعة فمن نازعه فإنه ينازع غريما كذلك ، وأكل لحمه يدل على وجع يصيب الآكل من الرياح ويبرأ . وقيل : إنه عدو من قبل سلطان . وقالت اليهود إنه يدل على الطبيب أو المنجم . وقالت النصارى : من قبل ثعلبا فإنه يصيب امرأة عزيزة : وقيل : من قتل ثعلبا قتل ولد رجل شريف ، ومن شرب لبن ثعلب شفى من مرض ، وقيل : من نازع ثعلبا فى نومه خاصم بعض أهله أو أصدقائه ، والله تعالى أعلم .

﴿ الثفاء ﴾ : بالثاء المثلثة وبالفاء والألف فى آخره : السنور البرى ، وهو قريب من الثعلب على شكل السنور الأهلى ، وسيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى .

﴿ الثقلان ﴾ : الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض . وقيل : لشرفهما ، وكل شريف يقال له ثقيل . وقيل : لأنهما مثقلان بالذنوب .

﴿ الثلج ﴾ : فرخ العقاب قاله ابن سيده .

﴿ الثنى ﴾ : الذى يلقى ثنيته ، ويكون ذلك فى ذوات الظلف والحافر فى السنة الثالثة ، وفى ذى الخف فى السنة السادسة ، والجمع ثنيان وثنايا ، والأنثى ثنية والجمع ثنيات .

﴿ الثور ﴾ : الذكر من البقر ، وكنيته أبو عجل ، والأنثى ثورة والجمع ثورة وثيران وثيرة ، قال سيبويه : قلبوا الواو ياء حيث كانت بعد كسرة . قال : وليس هذا بمطرد . وقال المبرد إنما قلبوا ثيرة ليفرقوا بينه وبين ثورة الأقط وبنوه على فعلة ثم حركوه ، وسمى الثور ثورا لأنه يثير الأرض كما سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها . قال فى الإحياء : نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان فى قرن فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف له الآخر ، فبكى أبو الدرداء رضى الله عنه وقال : هكذا الإخوان فى الله عز وجل يعملان لله تعالى فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر ، وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصا فى إخائه فهو منافق ، والإخلاص استواء الغيب والشهادة والقلب واللسان .

(فائدة) قال وهب بن منبه : كانت الأرض كالسفينة تذهب وتجىء ، فخلق الله تعالى ملكا فى غاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه ففعل ، وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض فأمسكا ، ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقبة يخرج من كل ثقبة بحر لا يعلم عظمه إلا الله عز وجل ، ثم أمر الصخرة فدخلت تحت قدمى الملك ، ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله عز وجل ثورا عظيما له أربعة آلاف عين ومثلها آذان ومثلها أنوف وأفواه وأسنة وقوائم ما بين كل اثنتين منها مسيرة خمسمائة عام ، وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرنه ، واسم هذا الثور كيوثا ، ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر أحد أن ينظر إليه لعظمه وبريق عينيه وكبرهما حتى قيل إنه لو وضعت البحار كلها فى إحدى مناخره لكانت كخردلة فى فلاة ، فأمر الله تعالى ذلك الحوت أن يكون قرارا لقوائم هذا الثور ، واسم هذا الحوت بهموت ، ثم جعل قراره الماء وتحت الماء هواء وتحت الهواء ماء وتحت الماء ظلمات ، ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمات ،

هكذا نقله القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى كتاب [مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار] فى الجزء الثالث والعشرين منه .

(فائدة أخرى) روى مسلم فى كتاب [الظهار] والنسائى فى [عشرة النساء] عن ثوبان « إن أهل الجنة حين يدخلونها ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها ويأكلون من زيادة كبد الحوت » وروى هناد بن السرى وابن إسحق بإسناد حسن « إن الشهداء حين يدخلون الجنة يخرج عليهم حوت وثور من الجنة لغدائهم فيلعبان حتى إذا كثر عجبهم منهما طعن الثور الحوت بقرنه فبقره لهم كما يذبحون ، ثم يروحان عليهم أيضا لعشائهم فيلعبان فيضرب الحوت الثور بذنبه فيبقره كما يذبحون » قال السهيلى : وفى هذا الحديث من باب التفكر والاعتبار أن الحوت لما كان عليه قرار هذه الأرض وهو حيوان سابح استشعر أهل هذه الدار أنهم فى منزل قلعة وبوار وليست بدار قرار ، فإذا نحر لهم قبل أن يدخلوا الجنة فأكلوا من كبده كان فى ذلك إشعار لهم بالراحة من دار الزوال وأنهم قد صاروا إلى دار القرار ، كما يذبح لهم الكبش الأملح على الصراط ليعلموا أنه لاموت ولافناء. وأما الثور فهو آلة الحرث وأهل الدنيا لايخلون من أحد هذين الحرثين حرث لدنياهم وحرث لأخراهم ، ففى نحر الثور هنالك إشعار براحتهم من الكدين وترفيههم من نصب الحرثين .

(فائدة أخرى) روى البخارى فى بدء الخلق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » انفرد به البخارى وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق فقال : حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى . حدثنا يونس بن محمد. حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال : سمعت أبا سلمة ابن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القشيرى فى هذا المسجد مسجد الكوفة ، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الشمس والقمر ثوران فى النار يوم القيامة » فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : وما ذنبهما ؟ ثم قال البزار : ولا يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبى سلمة سوى هذا الحديث ، وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى من طريق درست بن زياد عن يزيد الرقاشى وهما ضعيفان عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار » وقال كعب الأحبار : يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى جهنم ليراهما من عبدهما كما قال تعالى — إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم — الآية ، وخرج أبو داود والطيالسى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار » وفى [نهاية الغريب] قيل : لما وصفهما الله تعالى بالسباحة فى قوله تعالى

— وكل فى فلك يسبحون — ثم أخبر سبحانه وتعالى بجعلهما فى النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحان بها صارا كأنهما ثوران عقيران لا يبرحان كذلك ذكر ذلك أبو موسى وهو كما تراه. وقيل: إنما يجمعان فى جهنم لأنهما عبدا من دون الله عز وجل، ولا يكون لهما عذاب لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة على تبكيت الكافرين وخزيهم، وردا بن عباس قول كعب الأحبار وقال: الله أجل وأكرم من أن يعذب الشمس والقمر، وإنما يخلقهما يوم القيامة أسودين مكورين فإذا كانا حيال العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا لك وسرعتنا فى المضى فى أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة الكافرين إيانا، فيقول الربُ تعالى: صدقتما إنى قضيت على نفسى أنى أبدئ وأعيد، وإنى أعيدكما إلى ما بدأتكما منه، وإنى خلقتكما من نور عرشى فارجعا إليه، فيختلطان بنور العرش، فذلك معنى قوله تعالى — إنه هو يبدئ ويعيد — وروى أبو نعيم فى ترجمة سعيد بن جبير أنه قال: أهبط الله تعالى إلى آدم ثورا أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، وهو الذى قال الله تعالى فيه — فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى — فكان ذلك شقاءه، وكان عليه السلام يقول لحواء: أنت عملت بى هذا، فليس أحد من ولد آدم يعمل على ثور إلا قال: حو. دخلت عليه من قبل آدم، وكانت العرب إذا أوردوا البقرة فلم تشرب إما لكدر الماء أو لقلة العطش ضربوا الثور فيقتحم الماء لأن البقر تتبعه. وقال فى ذلك أنس بن مدركة فى قتله سليك بن سلكة:

إنى وقتلى سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

(الأمثال) قالوا: الثور يحمى أنفه بروقه، والروق القرن. يضرب فى الحث على حفظ الحريم، وفى سنن النسائى وسيرة ابن هشام: «أن الصديق رضى الله تعالى عنه لما قدم المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته الحمى وعامر بن فهيرة وبلالا. قالت عائشة رضى الله تعالى عنها: فدخلت عليهم وهم فى بيت واحد، فقلت: كيف أصبحت يا أبت؟ فقال:

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

فقلت — إنا لله وإنا إليه راجعون — إن أبى ليهذى، ثم قلت لعامر كيف تجدك؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه والمرء يأتى حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى أنفه بروقه

فقلت: والله والله هذا ما يدرى مايقول ثم قلت لبلال: كيف أصبحت؟ فقال:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفخ وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت: ثم إنى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا، اللهم انقل حماها إلى مهيعة

قول عامر بطوقه الطوق الطاقة ، وقول بلال بفخ هو واد بمكة ، ومجنة سوق بأسفل مكة وشامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة ، وقوله صلى الله عليه وسلم « مهيعة » الجحفة : وقالت العرب : أرعى من ثور . وقالوا : إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض . روى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال : إنما مثلى ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كانت فى أجمة أبيض وأسود وأحمر ومعها فيها أسد ، فكان لا يقدر منها على الشيء لاجتماعها عليه ، فقال الأسد للثور الأسود وللثور الأحمر : إنه لا يدل علينا فى أجمتنا إلا الثور الأبيض فإن لونه مشهور ولونى على لونكما ، فلو تركتمانى آكله خلت لكما الأجمة وصفت ، فقالا : دونك وإياه فكله ، فأكله ومضت مدة على ذلك ، ثم إن الأسد قال للثور الأحمر : لونى على لونك فدعنى آكل الثور الأسود فقال له : شأنك به فأكله ، ثم بعد أيام قال للثور الأحمر : إنى آكلك لا محالة ، فقال دعنى أنادى ثلاثة أصوات ، فقال : افعل فنادى : إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض ، قالها ثلاثا ، ثم قال على كرم الله وجهه : إنما هنت يوم قتل عثمان رضى الله عنه يرفع بها صوته .

(ومن خواصه) أنه إذا نزى الثور على البقرة ثم بال بعد نزوله فمن أخذ من ذلك الطين وطلى به إحليله هيج الباه وأنعظ ، ومثانته إذ أخذت وجففت وسحقت وسقيت لمن يبول فى فراشه بخل وماء بارد نفعه وأبرأه ، وإذا وقف الثور عن السير فاربط خصيتيه فإنه يسير بنشاط وينساق سريعا ، وإذا طرح فى أذن الثور زئبق مات مكانه ، وإن طلى منخره بدهن ورد صرع ، وإن كتب ببوله على الحديد أثر فيه حتى يقرأ ، وقد تقدم له خواص فى باب الباء الموحدة فى البقر .

(وأما تعبيره) فإنه يدل على سيد شديد البأس كثير النفع والعون موافق مطواع ، وربما دل على الشاب الجميل لأنه من أسمائه ، وتدل رؤيته أيضا على ثوران الفتنة أو العون على ما يذلل الأمور الصعاب خصوصا لأرباب الحرث والزراعة والانشاء ، وربما دلت رؤيته على البلادة والذهول ، ورؤية الثور الأبلق فرح وسرور ، والأسود سؤدد أو شفاء للمريض وربما دل الثور على الجنون لأنه من أسمائه .

﴿ الثول ﴾ : بفتح الثاء وسكون الواو ذكر النحل ، وقيل جماعة النحل ، وعلى هذا قال الأصمعى : لا واحد له من لفظه ، والثول بالتحريك جنون يصيب الشاة فلا تتبع الغنم وتستدبر مرتعها ، وشاة ثولاء وتيس أثول .

﴿ الثيتل ﴾ : الذكر المسن من الأوعال ، وفى حديث النخعى « فى الثيتل بقرة » : يعنى إذا صاده المحرم أو فى الحرم .

باب الجيم

﴿ الجأب ﴾ : الأسد والحمار الوحشى الغليظ ، والجمع جؤوب

﴿ الجارف ﴾ : ولد الحية .

﴿ الجارحة ﴾ : ما تعلم الاصطياد من كلب أو فهد أو باز أو نحو ذلك ، والجمع الجوارح قال الله تعالى — وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله — سمى جارحة لأنه يكسب لصاحبه الجوارح الكواسب . قال تعالى — ويعلم ما جرحتم بالنهار — أى ما كسبتم .

﴿ الجاموس ﴾ : واحد الجواميس فارسى معرب ، وهو حيوان عنده شجاعة وشدة بأس وهو مع ذلك أجزع خلق الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء ، والأسد يخافه وهو مع شدته وغلظه ذكى ينادى راعيه الإناث يا فلانة يا فلانة فتأتى إليه المناداة ، ومن طبعه كثرة الحنين إلى وطنه ويقال : إنه لا ينام أصلا لكثرة حراسته لنفسه وأولاده ، وإذا اجتمع ضرب دائرة وتجعل رؤوسها خارج الدائرة وأذنابها إلى داخلها والرعاة وأولادها من داخل فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصيها والذكر منها يناطح ذكرا آخر فإذا غلب أحدهما دخل أجمة فيقيم فيها حتى يعلم من نفسه أنه قوى فيخرج ويطلب ذلك الفحل الذى غلبه فيناطحه حتى يغلبه ويطرده ، وهو ينغمس فى الماء غالبا إلى خرطومه .

(وحكمه وخواصه) كالبقر لكن إذا بخر البيت بجلد الجاموس طرد منه البق ، وأكل لحمه يورث القمل وشحمه إذا خلط بملح أندرانى وطلى به الكلف والجرب والبرص أزالها وأبرأها . وقال ابن زهر نقلا عن أرسطاطاليس : فى دماغ الجاموس دود من أخذ منه شيئا وعلقه عليه أو على غيره لم ينم ما دام عليه .

(التعبير) الجاموس فى المنام رجل شجاع جلد لا يخاف أحدا يحتمل أذى الناس فوق طاقته ، فإن رأت امرة أن لها قرن جاموس فإنها تتزوج ملكا ، وإلا كان ذلك قوة ومنعة لقيمها والله أعلم .

﴿ الجان ﴾ : حية بيضاء ، وقيل الحية الصغيرة . قال الله تعالى — فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا — وقال تعالى فى آية أخرى — وما تلك بيمينك يا موسى — إلى قوله — فاذا هى حية تسعى — وقال تعالى — فإذا هى ثعبان مبين — قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس ، وصارت تتورم حتى صارت ثعبانا ، وهو أعظم مايكون من الحيات . قال تعالى — فإذا هى ثعبان مبين — فلما ألقى موسى العصا صارت

جانا فى الابتداء ثم صارت ثعبانا فى الانتهاء ، ويقال : وصف الله العصا بثلاثة أوصاف : بالحية ، والجان ، والثعبان ، لأنها كانت كالحية لعدوها ، وكالثعبان لابتلاعها ، وكالجان لتحركها . قال فرقد السنجى : كان بين لحييها أربعون ذراعا . قال ابن عباس والسدى : إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاغرة فاها ، بين لحييها ثمانون ذراعا ، وارتفعت من الأرض بقدر ميل ، وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر ، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه . وروى أنها أخذت قبة فرعون بين نابيها فوثب فرعون من سريره هاربا ، وأخذته قبل أخذه البطن فى ذلك اليوم أربعمائة مرة ، وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا . ويقال : كانت العصا حية لموسى وثعبانا لفرعون وجانا للسحرة ، وأما قوله : — ولى فيها مآرب أخرى — فكان يحمل عليها زاده وسقاءه وكانت تماشيه وتحادثه ، وكان يضرب بها الأرض فيخرج منها مايأكل يومه ، ويركزها فيخرج الماء ، فاذا رفعها ذهب الماء ، وكان يرد بها غنمه ، وكانت تقيه الهوام بإذن الله تعالى ، وإذا ظهر له عدو حاربته وناضلت عنه ، وإذا أراد الاستقاء من البئر صارت شعبتاها كالدلو يستقى به ، وكان يظهر على شعبتيها نور كالشمعتين تضىء له ويهتدى بها ، وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها فى الأرض فيغصن أغصان تلك الشجرة وتورق ورقها وتثمر ثمرها . قال ابن عباس : والله أعلم ، وقد تقدم فى باب الثاء المثناة أن العصا كانت من آس الجنة أهبطت مع آدم إلى الأرض .

﴿ الجبهة ﴾ : الخيل ، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الزكاة « ليس فى الجبهة ولا فى النخة ولا فى الكسعة صدقة » وقيل للخيل لأنها خيار البهائم ، كما يقال وجه السلعة لخيارها ، ووجه القوم وجيهتهم لسيدهم ، والنخة البقر العوامل مأخوذ من النخ وهو السوق الشديد ، والكسعة الحمير مأخوذ من الكسع وهو ضرب الأدبار قاله الزمخشرى وغيره ، والله تعالى أعلم .

﴿ الجثلة ﴾ : النملة السوداء ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون فى لفظ النملة ما فيه .

﴿ الجحل ﴾ : بتقديم الجيم على الحاء الحبارى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ، وقيل هو الحرباء ، وقيل الجعل ، وقيل هو الضب الكبير المسن ، وقيل هو اليعسوب العظيم كالجراد إذا سقط لا يضم جناحه ، والجمع جحول وجحلان .

﴿ الجحمرش ﴾ : الأرنب المرضع والعجوز الكبيرة والمرأة الثقيلة السمجة ، والجمع جحامر ، والتصغير جحيمر .

﴿ الجحش ﴾ : ولد الحمار الوحشى والأهلى ، قيل وإنما يسمى بذلك قبل أن يعظم ، والجمع

جحاش وجحشان ، والأنثى جحشة ، وربما سمى المهر جحشا تشبيها بولد الحمار ، والجحش ولد الظبية فى لغة هذيل ، ويقال للرجل إذا كان مستبدا برأيه جحيش ، وحده كما قالوا عير ، وحده يشبهونه فى ذلك بالجحش والعير ، وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان عمر أجودنا نسيج وحده ، وقد أعد للأمور أقرانها . وروى الدارقطنى « أن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها كان اسم أبيها برة ، وقيل كان اسمه برة بالضم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو كان أبوك مؤمنا لسميته باسم رجل منا أهل البيت ، ولكنى قد سميته جحشا والجحش أكبر من البرة » .

﴿ الجحدب ﴾ : بضم الجيم وبالحاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، وجمعه جحادب ضرب من الجنادب وهو الأخضر الطويل الرجلين ، وقيل هو دويبة نحو العظاء ، ويقال له أبو جحادب .

﴿ الجدجد ﴾ : بالضم صرار الليل قاله الجوهرى وهو قفاز وفيه شبه بالجراد والجمع الجداجد . وقال الميدانى : الجدجد ضرب من الخنافس يصوت فى الصحارى من أول الليل إلى الصبح فاذا طلبه طالب لم يره ، ولذلك قالوا أكمن من جدجد ، وفى حديث عطاء فى الجدجد يموت فى الوضوء . قال : لابأس به ، والوضوء بفتح الواو اسم للماء الذى يتوضأ به وبالضم اسم للفعل ، وسيأتى ذكر الجدجد فى باب الصاد المهملة فى الكلام على الصرار .

﴿ الجداية ﴾ : بكسر الجيم وفتحها الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة ، وخص بعضهم به الذكر منها . قال الأصمعى : الجداية بمنزلة العناق من الغنم . وفى سنن أبى داود والترمذى عن كلدة بن حنبل الغسانى ، وليس له الكتب الستة سواه قال « بعثنى صفوان بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن وجداية وضغابيس والنبى صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فدخلت ولم أسلم ، فقال : ارجع وقل السلام عليكم ، وذلك بعد ما أسلم صفوان » الضغابيس صغار القثاء ، والجداية الصغير من الظباء ذكرا كان أو أنثى .

﴿ الجدى ﴾ : الذكر من أولاد المعز وثلاثة أجدفاذا كثرت فهى الجداء . روى أبو داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى فذهب جدى يمر بين يديه فجعل يتقيه » وروى الطبرانى والبزار باسناد حسن عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كان جدى فى غنم كثيرة ترضعه أمه فترويه فانفلت يوما فرضع الغنم كلها ثم لم يشبع ، فقيل : إن مثل هذا مثل قوم يأتون من بعدكم يعطى الرجل منهم ما يكفى القبيلة أو الأمة ثم لم يشبع » وفى [صفوة الصفوة] وغيرها عن

مجاهد قال : كان عمر رضى الله عنه يقول : لومات جدى بطف الفرات لخشيت أن يطالب الله به عمر ، الطف اسم موضع بناحية الكوفة وأضيف إلى الفرات لقربه منه .

(الأمثال) قالوا : تغدى بالجدى قبل أن يتعشى بك يضرب للأخذ بالحزم .

(الخواص) لحم الجدى أقل حرارة ورطوبة من الخروف وأسرع المعز هضما ، وأجوده الجدى الأحمر والأزرق ولحمه سريع الانهضام لكنه يضر بأصحاب القولنج ، والعسل يذهب مضرته وهو جيد الغذاء ، ويكره السمين من ذكورها وإناثها لعسر انهضامها ورداءة غذائها ولحوم المعز بالجملة نافعة لمن به الدماميل والبثور ، ولحومها فى الشتاء رديئة وفى الصيف جيدة ، وفى باقى الفصول متوسطة .

(التعبير) الجدى فى المنام ولد ، فمن رأى جديا مذبوحا فهو موت ولد ، وأكل الجدى المشوى يدل على موت ولد ذكر ، فان أكل منه ذراعه نجا من الهلكة ، وإن أكل منه الجنب اليسار فإنه يدل على هم وحزن ، والنصف مما يلى الرأس إلى السرة يعبر بالمرأة والبنات ، والنصف مما يلى السرة إلى الرجلين يعبر بالبنين . والذراع المشوى فى المنام إذا كان ناضجا فهو رزق من امرأة يمكر بها ، وإذا كان غير ناضج فهو غيبة ونميمة ، ويأتى القول فيه فى باب الخروف فإنه مثله .

﴿ الأجدل ﴾ : الصقر صفة غالبة عليه ، وأصله من الجدل الذى هو الشدة ، وهى الأجادل كسروه تكسير الأسماء لغلبة الصفة ، ولذلك جعله سيبويه مما يكون صفة فى بعض الكلام واسما فى بعض اللغات ، وقد يقال للأجدل أجدلى ونظيره أعجم وأعجمى ، وهو ممنوع من الصرف كأخيل عند قليل والأكثر أنهما مصروفان .

(الأمثال) قالوا : بيض القطا يحضنه الأجدل ، يضرب للشريف يؤوى إليه الوضيع .

﴿ الجذع ﴾ : بفتح الجيم والذال المعجمة ، وهو من الضأن ماله سنة تامة هذا هو الأصح عند أصحابنا وهو الأشهر عند أهل اللغة وغيرهم ، وقيل ماله ستة أشهر ، وقيل ماله سبعة ، وقيل ثمانية ، وقيل عشرة حكاه القاضى عياض وهو غريب ، وقيل إن كان متولدا بين شابين فستة أشهر وإن كان بين هرمين فثمانية أشهر ، قال بعض أهل البادية : الإجذاع هو أن تكون الصوفة على الظهر قائمة ، وإذا أجذع نامت ، والجذع من الماعز ماله سنتان على الأصح وقيل سنة . قال الجوهرى : الجذع قبل الثنى والجمع جذعان وجذاع والأنثى جذعة والجمع جذعات ، تقول لولد الشاة فى السنة الثانية ، ولولد المعز والحافر فى السنة الثالثة ، وللابل فى السنة الخامسة : أجذع ، والجذع : اسم له فى زمن وليس السن تثبت ولا تسقط ، روى زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال « كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن

أبي معيط ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقد نفرا من المشركين فقالا : يا غلام هل عندك من لبن تسقينا ؟ فقلت : إني مؤتمن ولست بساقيكما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل ؟ قلت : نعم . قال : فائتني بها ، قال : فأتيتهما بها ، فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح الضرع ودعا فجعل الضرع يحفل ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرب أبو بكر ثم شربت ، ثم قال صلى الله عليه وسلم للضرع : اقلص فقلص : أي اجتمع . قال : فأتيته بعد ذلك فقلت : علمني هذا القول . قال : إنك علم معلم . قال : فأخذت من فيه سبعين سورة لاينازعني فيها أحد » وفي حديث المبعث أن ورقة بن نوفل قال : يا ليتني فيها جذعا . الضمير في فيها للنبوة . أي ليتني كنت شابا عند ظهورها حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها . وجذعا منصوبا على الحال من الضمير في فيها تقديره ليتني مستقر فيها جذعا : أي شابا ، وقيل هو منصوب باضمار كان ، وضعف ذلك لأن كان الناقصة لا تضمر إلا إذا كان في الكلام لفظ ظاهر يقتضيها كقولهم : إن خيرا فخير وإن شرا فشر : أي إن كان خيرا فخير . وروى الحافظ الدمياطي عن علي بن صالح قال : كان ولد عبد المطلب عشرة كل منهم يأكل جذعة : وروى أبو عمر بن عبد البر في التمهيد من طريق صحيح « أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شجرة طوبى ، فقال له : هل أتيت الشام فإن فيها شجرة يقال لها الجوزة ثم وصفها ، ثم إن الأعرابي سأل عن عظم أصلها ، فقال له : لو ركبت جذعة من إبل أهلك ثم طفت بها ، وقال : درت بها ، حتى تندق ترقوتها هرما ما قطعتها » وذكر السهيلي في [التعريف والأعلام] أن أصلها في قصر النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، ثم تنقسم فروعها على منازل أهل الجنة كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا ، وهذه الشجرة من شجر الجوز .

﴿ الجراد ﴾ : معروف ، الواحدة جرادة الذكر والأنثى فيه سواء ، يقال هذا جرادة ذكر وهذه جرادة أنثى كنملة وحمامة . قال أهل اللغة : وهو مشتق من الجرد . قالوا : والاشتقاق في أسماء الأجناس قليل جداً ، يقال ثوب جرد : أي أملس ، وثوب جرد إذا ذهب زبيره وهو بري وبحري والكلام الآن في البري قال الله تعالى — يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر — أي في كل مكان ، وقيل وجه التشبيه أنهم حيارى فزعون لا يهتدون ولا جهة لأحد منهم يقصدها ، والجراد لا جهة له فيكون أبدا بعضه على بعض ، وقد شبههم في آية أخرى بالفراش المبثوث ، وفيهم من كل هذا شبه ، وقيل إنهم أولا كالفراش حين يموج بعضهم في بعض ، ثم كالجراد إذا توجهوا نحو المحشر والداعي ، والجرادة تكنى بأم عوف . قال أبو عطاء السندي :

وبما صفراء تكنى أم عوف كأن رجليها منجلان

والجراد أصناف مختلفة : فبعضه كبير الجثة وبعضه صغيرها وبعضه أحمر وبعضه أصفر وبعضه أبيض، وكان مسلمة بن عبدالملك بن مروان يلقب بالجرادة الصفراء ،وكان موصوفة بالشجاعة والإقدام والرأى والدهاء، ولى أرمينية وأذربيجان غير مرة وإمرة العراقين ،وسار فى مائة وعشرين ألفا وغزا القسطنطينية فى خلافة سليمان أخيه ، وروى عن عمر عبد العزيز ، وهو مذكور فى سنن أبى داود ، وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائه

(ومن الفوائدعنه) أنه لما حضر عمورية حصل له صداع فلم يركب فى الحرب ، فقال أهل عمورية للمسلمين : ما بال أميركم لم يركب اليوم ؟ فقالوا : حصل له صداع ، فأخرجوا لهم برنسا وقالوا : ألبسوه إياه ليزول عنه ما يجد ، فلبسه مسلمة فشفى ، ففتقوه فلم يجدوا فيه شيئا ثم فتقوا أزراره فاذا فيه بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات — بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورحمة — بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا — بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا — بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق — بسم الله الرحمن الرحيم — وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان — بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا — بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم — فقال المسلمون : من أين لكم هذا ؟ وإنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ! قالوا : وجدناه منقوشا فى حجر فى كنيسة قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام .

قال الحافظ بن عساكر : ويكتب للصداع أيضا — بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا — ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا — كهيعص — حم عسق — كم لله من نعمة على كل عبد شاكر وغير شاكر ، وكم لله من نعمة فى كل قلب خاشع وغير خاشع ، وكم لله من نعمة فى كل عرق ساكن وغير ساكن، إذهب أيها الصداع بعزعز الله وبنور وجه الله وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . قال : يكتب ويجعل على الرأس فانه نافع . قلت : وهو عجيب مجرب قال : ومما جرب أيضا للصداع أن تكتب هذه الأحرف الآتية على دف خشب وتدق فيه مسمارا على حرف بعد حرف إلى أن يسكن الصداع وتقرأ وأنت تدق — ولو شاء لجعله ساكنا — وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم — وهى هذه الأحرف ا ع ا ك ك ح ع ح ا م ح وذكر لها خبرا اتفق لهرون الرشيد مع بعض ملوك الروم ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى السوس شىء يتعلق بهذا .

والجراد إذا خرج من بيضه يقال له الدبى ، فاذا طلعت أجنحته وكبرت فهو الغوغاء، الواحدة غوغاة ، وذلك حين يموج بعضه فى بعض ، فإذا بدت فيه الألوان واصفرت الذكور واسودت الإناث سمى جراداً حينئذ ، وهو إذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصلدة والصخور الصلبة التى لاتعمل بها المعاول فيضربها بذنبه فتفرج له فيلقى بيضه فى ذلك الصدع فيكون له كالأفحوص ويكون حاضنا له ومربيا ، وللجرادة ستة أرجل يدان فى صدرها وقائمتان فى وسطها ورجلان فى مؤخرها وطرفا رجليها منشاران ، وهو من الحيوان الذى ينقاد لرئيسه فيجتمع كالعسكر إذا ظعن أوله تتابع جميعه ظاعنا وإذا نزل أوله نزل جميعه ، ولعابه سم ناقع للنبات لايقع على شىء منه إلا أهلكه .

وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بينما أيوب عليه الصلاة والسلام يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثى فى ثوبه فناداه الله تعالى : يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى لى عن بركتك » قال الشافعى : فى هذا الحديث «نعم المال الصالح مع العبد الصالح» .

وروى الطبرانى والبيهقى عن شعبة عن أبى زهير النميرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقتلوا الجراد فإنه جند الله الأعظم » قلت : هذا وإن صح أراد به مالم يتعرض لإفساد الزرع وغيره فإن تعرض لذلك جاز دفعه بالقتل وغيره ، والجند العسكر والجمع أجناد وجنود ، وفى الحديث « الأرواح جنود مجندة » أى مجموعة كما يقال ألوف مؤلفة وقناطير مقنطرة ، ثم أسند عن ابن عمر « أن جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية : نحن جند الله الأكبر ، ولنا تسع وتسعون بيضة ، ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اهلك الجراد اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين ومعايشهم إنك سميع الدعاء ، فجاءه جبريل عليه السلام وقال : إنه قد استجيب لك فى بعضه» وكذلك أسنده الحاكم فى تاريخ نيسابور أيضا ، ثم أسند الطبرانى أيضا عن الحسن بن على قال « كنا على مائدة نأكل أنا وأخى محمد بن الحنفية وبنو عمى عبد الله وقثم والفضل أولاد العباس ، فوقعت جرادة على المائدة فأخذها عبدالله وقال لى : ما مكتوب على هذه؟ فقلت : سألت أبى أمير المؤمنين عن ذلك فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال لى : مكتوب عليها أنا الله لا إله إلا أنا رب الجراد ورازقها إن شئت بعثتها رزقا لقوم وإن شئت بعثتها بلاء على قوم ، فقال عبيد الله : هذا من العلم المكنون » ثم أسند أيضا هو وأبو يعلى الموصلى عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة من سنى خلافته فقد الجراد ، فاهتم لذلك هما شديدا ، فبعث إلى اليمن راكبا وإلى الشام راكبا وإلى العراق راكبا

كل يسأل هل رأوا الجراد ؟ فأتاه الراكب الذى سار إلى اليمن بقبضة منه فنثرها بين يديه ، فلما رأى عمر الجراد كبر وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله عز وجل خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر ، وإن أول هلاك هذه الأمم الجراد ، فاذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل النظام إذا قطع سلكه » ورواه ابن عدى فى ترجمة محمد ابن عيسى العبدى ، وذكره الحكيم الترمذى فى نوادره وقال : إنما صار الجراد أول هذه الأمم هلاكا لأنه خلق من الطينة التى فضلت من خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، وإنما تهلك الأمم بهلاك الآدميين لأنها سخرت لهم ، وهو فى الكامل والميزان فى ترجمة محمد بن عيسى ابن كيسان وفى الحلية فى ترجمة حسان بن عطية .

قال الأوزاعى : حدثنى حسان قال : إنما مثل الشياطين فى كثرتهم كمثل رجل دخل زرعا فيه جراد كثير فكلما وضع رجله تطاير الجراد يمينا وشمالا ، ولولا أن الله عز وجل غض البصر عنهم ما رؤى شىء إلا وعليه شيطان . وفيها فى ترجمة يزيد بن ميسرة قال . كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر ، وكان يقول : من أنعم منك يا يحيى وطعامك الجراد وقلوب الشجر . وفى الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان مع ضعفه ، وجه فرس ، وعينا فيل ، وعنق ثور ، وقرنا إيل ، وصدر أسد ، وبطن عقرب ، وجناحا نسر ؛ وفخذا جمل ، ورجلا نعامة ، وذنب حية ، وقد أحسن القاضى محيى الدين الشرزورى فى وصف الجراد بذلك فى قوله :

لها فخذا بكر وساقا نعامة وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم
حبتها أفاعى الأرض بطنا وأنعمت عليها جياد الخيل بالرأس والفم

ومما يستحسن ويستجاد من شعره قوله يصف نزول الثلج من الغيم :

ولما شاب رأس الدهر غيظا لما قاساه من فقد الكرام
أقام يميط عنه الشيب غيظا وينثر ما أماط على الأنام

توفى الشهرزورى فى سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وليس فى الحيوان أكثر إفسادا لما يقتاته الإنسان من الجراد . قال الأصمعى : أتيت البادية فإذا أعرابى زرع براله فلما قام على سوقه وجاد سنبله أتاه رجل جراد ، فجعل الرجل ينظر إليه ولا يدرى كيف الحيلة فيه فأنشأ يقول :

مز الجراد على زرعى فقلت له لا تأكلن ولا تشغل بإفساد
فقام منهم خطيب فوق سنبلة إنا على سفر لابد من زاد

وقيل لأعربى : ألك زرع ؟ فقال : نعم ، ولكن أتانا رجل من جراد بمثل مناجل الحصاد فسبحان من يهلك القوى الأكول بالضعيف المأكول .

(فائدة) تكتب هذه الكلمات وتجعل فى أنبوبة قصب وتدفن فى الزرع أو فى الكرم فانه لا يؤذيه الجراد بإذن الله تعالى ، وهى : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم اللهم أهلك صغارهم واقتل كبارهم وأفسد بيضهم وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء — إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم — اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم واستجب منايا أرحم الراحمين ، وهو عجيب مجرب . ومما يفعل لطرد الجراد أيضا وقد جرب وفعل فصرفه الله به ، وأخبرنى به الشيخ يحيى بن عبد الله القرشى ، وأنه فعل ذلك غير مرة فصرفه الله سبحانه وتعالى عن البلاد التى هو فيها وكفاهم شره ، وأن بعض العلماء أفاده ذلك وقد سماه لى وذهب عنى اسمه الآن : أنه إذا وقع الجراد بأرض وأردت أن الله سبحانه وتعالى يصرفه فخذ منه أربع جرادات واكتب على أجنحتها أربع آيات من كتاب الله تعالى فى جناح كل جرادة آية ، ثم توجه بها إلى أى بلد تسميها وتقول لهم : انصرفوا إليها ، على الأولى — فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم — وعلى الثانية — وحيل بينهم وبين ما يشتهون — وعلى الثالثة — ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم — وعلى الرابعة — فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين — .

(الحكم) أجمع المسلمون على إباحة أكله ، وقد قال عبد الله بن أبى أوفى « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد » رواه أبو داود والبخارى والحافظ أبو نعيم وفيه « ويأكله رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا » وروى ابن ماجه عن أنس قال « كن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يتهادين الجراد فى الأطباق » وفى الموطأ من حديث ابن عمر « أن عمر سئل عن الجراد فقال : وددت أن عندى قفة آكل منها » وروى البيهقى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها أن يطعمها لحما لادم له فأطعمها الجراد ، فقالت : اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع » قلت : يا أبا الفضل ما الشياع ؟ قال : الصوت ، وتقدم أن يحيى بن زكريا كان يأكل الجراد وقلوب الشجر : يعنى الذى ينبت فى وسطها غضا طريا قبل أن يقوى ويصلب ، واحدها قلب بالضم للفرق وكذلك قلب النخلة ، وقالت الأئمة الأربعة : يحل أكله سواء مات حتف أنفه أو بذكاة أو باصطياد مجوسى أو مسلم قطع منه شىء أم لا ؟ وعن أحمد رحمه الله أنه إذا قتله البرد لم يؤكل ، وملخص مذهب مالك أنه إن قطع رأسه حل وإلا فلا ، والدليل على عموم حله قوله صلى الله عليه وسلم « أحلت لنا ميتتان ودمان الكبد والطحال والسمك والجراد » رواه الإمام الشافعى والإمام أحمد والدارقطنى والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مرفوعا .

قال البيهقى : وروى عن ابن عمر موقوفا وهو الأصح ، واختلف أصحابنا وغيرهم فى الجراد هل هو صيد برى أو بحرى ؟ فقيل : بحرى ، لما روى ابن ماجه عن أنس رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا على الجراد فقال : اللهم أهلك كباره وأفسد صغاره واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء ، فقال رجل : يارسول الله كيف تدعو على جند من أجناد الله تعالى بقطع دابره ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إن الجراد نثرة الحوت من البحر » أى عطسته ، والمراد أن الجراد من صيد البحر يحل للمحرم أن يصيده ، وفيه عن أبى هريرة قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حج أوعمرة فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضربهن بنعالنا وأسواطنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : كلوه فانه من صيد البحر » والصحيح أنه برى لأن المحرم يجب عليه فيه الجزاء إذا أتلفه عندنا وبه قال عمر وعثمان وابن عمر وابن عباس وعطاء .

قال العبدرى : وهو قول أهل العلم كافة إلا أبا سعيد الخدرى فانه قال : لا جزاء فيه ، وحكاه ابن المنذر عن كعب الأحبار وعروة بن الزبير فانهم قالوا : هو من صيد البحر لا جزاء فيه ، واحتج لهم بحديث أبى المهزم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « أصبنا رجلا من جراد فكان الرجل منا يضربه بسوطه وهو محرم فقيل إن هذا لايصلح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنما هو من صيد البحر » رواه أبوداود والترمذى وغيرهما واتفقوا على ضعفه لضعف أبى المهزم ، وهو بضم الميم وكسر الزاى وفتح الهاء بينهما واسمه يزيد بن سفيان ، وسيأتى ذكره فى حكم النعامة .

واحتج الجمهور بما رواه الإمام الشافعى بإسناده الصحيح أو الحسن عن عبد الله بن أبى عمار أنه قال : أقبلت مع معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وكعب الأحبار فى أناس محرمين من بيت المقدس بعمرة حتى إذا كنا ببعض الطريق وكعب على ناريصطلى ، فمرت به رجل من جراد فأخذ جرادتين فقتلهما ، وكان قد نسى إحرامه ثم ذكر إحرامه فألقاهما ، فلما قدمنا المدينة دخل القوم على عمر رضى الله عنه ودخلت معهم فقص كعب قصة الجرادتين على عمر فقال : ما جعلت على نفسك يا كعب ؟ فقال : درهمين . فقال : بخ بخ درهمان خير من مائة جرادة اجعل ما جعلت على نفسك . وباسناد الشافعى والبيهقى الصحيح عن القاسم بن محمد قال : كنت جالسا عند ابن عباس فسأله رجل عن جرادة قتلها وهو محرم ، فقال ابن عباس : فيها قبضة من طعام ولتأخذن بقبضة جرادات . قال الإمام الشافعى رحمه الله أشار بذلك إلى أن فيها القيمة ، فالجراد وبيضه مضمونان بالقيمة على المحرم وفى الحرم ، فلو وطئه عامدا أو جاهلا ضمن ، ولو عم الجراد المسالك ولم يجد بدا من وطئه فالأظهر أنه لا ضمان ، وقيل لا ضمان قطعا ، ويجوز السلم فى الجراد والسمك حيا وميتا عند عموم وجودهما

ويوصف كل جنس بما يليق به . وحكى الرافعى فى باب الربا ثلاثة أوجه : أحدها أنه ليس من جنس اللحوم قال فى الروضة وهو الأصح ، والثانى أنه من اللحوم البريات ، والثالث أنه من اللحوم البحريات . ويظهر أثر الخلاف فى جواز بيعه بلحم بحرى أو برى . وفيما لو حلف لا يأكل لحما . وحكى الموفق بن طاهر قولا غريبا : أنه من صيد البحر لأنه يتولد من روث السمك وهو شاذ .

(الأمثال) قالت العرب : تمرة خير من جرادة ، وأطيب من جرادة ، وجاء القوم كالجراد المنتشر ، أى متفرقين . وأجرد من الجراد ، وأغوى من غوغاء الجراد . وقالوا : كالجراد لايبقى ولا يذر . يضرب فى اشتداد الأمر واستئصال القوم ، وقالوا : أحمى من مجير الجراد . وهو مدلج بن سويد الطائى ، وكان من حديثه فيما ذكر ابن الأعرابى عن الكلبى أنه خلا ذات يوم فى خيمته ، فإذا هو بقوم من طيىء ومعهم أوعيتهم فقال : ماخطبكم ؟ قالوا ، جراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه ، فركب فرسه وأخذ رمحه وقال : والله لايتعرض أحد منكم إلا قتلته أيكون فى جوارى ثم تريدون أخذه ، ولم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس فطار فقال : شأنكم الآن به ، فقد تحول عن جوارى .

(الخواص) إذا تبخر الإنسان بالجراد البرى نفعه من عسر البول . وقال ابن سينا : إذا أخذ منه اثنتا عشرة جرادة ونزعت رءوسها وأطرافها وجعل معها قليل من الآس اليابس وشربه صاحب الاستسقاء نفعه ، والجراد الطويل العنق إذا علق على من به حمى الربع نفعه ، وإذا طلى ببيضه وجوفه الكلف أبرأه .

(التعبير) الجراد فى الرؤيا : جند الله لأنه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام وهو عذاب ، والدبى منه ناس سيئة أخلاقهم قبيحة سيرتهم ، وإذا وقع فى موضع يؤخذ ويؤكل فإنه خير ونعمة ، وإذا رأى أنه جعله فى جرة أو قدر فإنه ينال دراهم ودنانير . وروى أن رجلا جاء إلى ابن سيرين رحمه الله فقال : رأيت كأنى أخذت جرادا فجعلته فى جرة ، فقال ابن سيرين : دراهم توصلها إلى امرأة فكان كذلك . ومن رأى أنه يمطر عليه جراد من ذهب عوضه الله ماذهب منه لقصة أيوب عليه السلام .

﴿ الجراد البحرى ﴾ : قال الشريف : هو حيوان له رأس مربع ، وله مما يلى رأسه صدف خزفى ، ونصفه الثانى لاخزف عليه ، وله فى كلا الجانبين عشرة أيد طوال شبيهة بأيدى العناكب إلا أنها كبار جدا منها ماهو قدر الرغيف ومنها ماهو دون ذلك ، وهو كثير بساحل البحر ببلاد الغرب ، ويأكلونه كثيرا مشويا ومطبوخا ، وله قرنان دقيقان أحمران وعيناه بارزتان متدليتان من رأسه ، وهذا الجراد حار يابس وأجود مايؤكل منه مشويا فى الفرن ، وهو داخل فى عموم أنواع الصدف ، وخاصية لحمه النفع من الجذام .

﴿ الجرارة ﴾ : نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين ، وهى عقارب صغار صفر على مقدار ورق الأنجذان وتكون بعسكر مكرم ، وأكثر ماتوجد فى كهارات السكر وفى الطين الذى هو قوالب السكر قاله فى كامل الصناعة . وقال موسى بن عبدالله الإسرائيلى القرطبى . الجرارة نوع من العقارب صغير الجسم لايقوم ذنبه على جسمه كما تفعل العقارب بل يجره على الأرض ، وكذلك توجد ببلاد المشرق قال الجاحظ : وهى تكون بعسكر مكرم وجند نيسابور إذا لسعت أحدا قتلته وربما تناثر لحمه ، وربما يعفن وينتن حتى لايدنو منه أحد إلا وهو مخمر الوجه مخافة أعدائه ، وهذا النوع يألف الحشوش والمواضع النادية وسمها حار محرق . وقال ابن جميع فى كتابه الإرشاد : والجرارة نوع من العقارب ، وسمها حار يابس يعرض للبدن منه التهاب وكرب ، وليس يجد لموضع لسعها ألما . قال : ومن الأشربة النافعة لها ماء الشعير ، وماء الجبن ، وسويق التفاح بالماء البارد اه .

وقال القزوينى والجاحظ : وهذا النوع يقتل غالبا اه .

﴿ الجرز ﴾ : بضم الجيم وفتح الراء المهملة وبالذال المعجمة ذكر الفيران ، وقيل هو ضرب من الفأر أعظم من اليربوع أكدر فى ذنبه سواد حكاه ابن سيده . قال الجاحظ : والفرق بين الجرذ والفأر كالفرق بين الجواميس والبقر والبخاتى والعراب . قال : وجرذان أنطاكية لاتقوى عليها السنانير لعظمها إلا للواحد بعد الواحد قال : وهى ببلاد خراسان قوية جدا وربما عضت النائم فقطعت أذنه ، وأنا رأيت جرذا قاتل سنورا ففقأ عين السنور وهرب منه . وقال الزمخشرى فى [ربيع الأبرار] . الجرذ إذا خصى أكل جميع الفأر ، والجرذ لايقوم شىء منها . قال : وزعموا أن الخصى من كل جنس أضعف من الفحل إلا الجرذان فإن الخصاء يحدث فيه شجاعة وجراءة ، والجمع جرذان كصرد وصردان ، وأرض جرذة : أى ذات جرذان ، وكنيته : أبو جوال ، وأبو راشد ، وأبو العدرج ، وسيأتى فى باب الفاء إن شاء الله تعالى .

وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن ضباعة بنت الزبير زوج المقداد بن الأسود قالت : « ذهب المقداد بن الأسود لحاجة ببقيع الخبخبة ، وهو بفتح الخاءين المعجمتين وسكون الباء الأولى موضع بنواحى المدينة فدخل خربة ، فإذا الجرذ يخرج من جحر دينارا دينارا حتى أخرج سبعة عشر دينارا ، ثم أخرج طرف خرقة خضراء . قال المقداد : فقمت فمددت طرف الخرقة فوجدت فيها دينارا فكانت ثمانية عشر دينارا . قالت : فذهب بها المقداد فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه أخبره بذلك وقال : خذ

صدقتها يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أهويت بيدك إلى الجحر ؟ قال المقداد : لاوالذى بعثك بالحق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك للمقداد خذها بارك الله لك فيها » . وفى رواية « هذا رزق ساقه الله إليك » وفى صحيح مسلم من حديث سعيد بن أبى عروبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : « إن أناسا من عبدالقيس قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله إنا حى من ربيعة ، فذكر الحديث إلى أن قالوا : يارسول الله فيم نشرب ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى أسقية الأدم ، فقالوا : يارسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان ، ولا تبقى فيها أسقية الأدم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان » .

(وحكى) أن امرأة جاءت إلى قيس بن سعد بن عبادة بن دليم وكان حليما جوادا فقالت له : مشت جرذان بيتى على العصا . قال : لأدعهن يثبن وثب الأسود ، ثم ملأ بيتها طعاما وودكا وإداما . وروى أنه كان له ديون كثيرة فمرض فاستبطأ عواده ، فقيل له : إنهم يستحيون من أجل دينك عليهم ، فأمر مناديا ينادى من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو برىء منه فأتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليها إليه . قال عروة : وكان قيس بن سعد يقول : اللهم ارزقنى مالا فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال . قال : وكان أبوه سعد بن عبادة يقول : اللهم هب لى حمدا وهب مجدا فإنه لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال ، اللهم إن القليل لايصلحنى ولا أصلح عليه . وقال يحيى بن أبى كثير : كان قيس بن سعد إذا انصرف من صلاة مكتوبة قال : اللهم ارزقنى مالا أستعين به على الفعال فإنه لاتصلح الفعال إلا بالمال . قال الجوهرى : الفعل بالفتح مصدر فعل يفعل . وقرأ بعضهم — وأوحينا إليهم فعل الخيرات — والفعل بالكسر الاسم والجمع الفعال مثل قدح وقداح وبئر وبئار ، والفعال بالفتح الكرم قال هدبة :

ضروبا بلحييه على عظم زوره إذ القوم هشوا للفعال تقنعا انتهى

وقال ابن سيده : الفعل بالفتح اسم للفعل الحسن انتهى .

توفى قيس بن سعد سنة ستين ، وقيل سنة تسع وخمسين للهجرة النبوية .

(حكمه خواصه) كالفأر ، وسيأتى فى باب الفاء إن شاء الله تعالى .

(التعبير) الجرذ فى المنام : تدل رؤيته على الفسق والأذى والاجتماع ، وربما دلت رؤيته على الذل والمقت ، وربما دلت نساء جفاة ، ومن أكل لحمه فى المنام نال رزقا من حرام وقال بعض أهل التعبير : يدل على النقلة لمن أخذه أو دخل إلى منزله لقوله تعالى — فأرسلنا عليهم سيل العرم — وكان سببه الجرذ فوقعت النقلة من تلك الأرض . وأكل لحمه يدل على غيبة رجل فاسق والله أعلم .

﴿ الجرجس ﴾ : لغة فى القرقص وهو البعوض الصغار ، وسيأتى فى باب القاف إن شاء الله تعالى .

﴿ الجوارس ﴾ : النحل ، وجرست النحل العرفط تجرس جرسا إذا أكلته ، والجرس فى الأصل الصوت الخفى ، والعرفط بالضم شجرة الطلح ، وله صمغ كريه الرائحة ، فإذا أكلته النحلة حصل فى عسلها شىء من ريحه .

﴿ الجرو ﴾ : بكسر الجيم وفتحها وضمها ثلاث لغات مشهورات : الصغير من أولاد الكلب وسائر السباع ، وفى المثل : لا تقتن من كلب سوء جروا . قال الشاعر :

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلاب

وقال ابن سيده : الجرو الصغير من كل شىء حتى من الحنظل والبطيخ والقثاء والرمان روى مسلم فى صحيحه عن ميمونة رضى الله تعالى عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم أصبح يوما واجما فقالت ميمونة : يارسول الله إنى قد استنكرت هيئتك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جبريل وعدنى أن يلقانى الليلة فلم يلقنى أما والله ما أخلفنى قط . قالت : فظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك على ذلك الحال ، ثم رقع فى نفسه أن جرو كلب تحت فسطاطنا فأمر به فأخرج ، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ماء فنضح مكانه ، فلما أمسى لقيه جبريل ، فقال له صلى الله عليه وسلم : قد كنت وعدتنى أن تلقانى البارحة فقال : أجل ، ولكنا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فأمر بقتل الكلاب حتى إنه أمر بقتل كلب الحائط الصغير ويترك كلب الحائط الكبير » ورواه الطبرانى عن خولة خادم النبى صلى الله عليه وسلم بزيادة على ذلك ، ولفظها « أن جروا دخل البيت ودخل تحت السرير ومات ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحى ، فقال : يا خولة ما حدث فى بيت رسول الله فإن جبريل لا يأتينى فهل حدث فى بيت رسول الله حدث ؟ ثم خرج إلى المسجد . قالت : فقمت فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شىء تحت المكنسة ثقيل ، فلم أزل حتى أخرجته فإذا هو جرو كلب ميت فأخذته بيدى وألقيته خلف الدار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته ، وكان إذا أتاه الوحى أخذته الرعدة فقال : يا خولة دثرينى ، فأنزل الله عز وجل — والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى — » قال ابن عبد البر : وليس إسناد حديثها هذا مما يحتج به ، والصحيح أن هذه السورة نزلت فى أول ما نزل من القرآن لما انقطع عنه الوحى ، فقال المشركون : إن محمداً قد ودعه ربه أى هجره ، فأنزل الله هذه السورة .

وروى البيهقى فى أواخر الباب السابع والأربعين من الشعب عن معاذ بن جبل قال : كان فى بنى إسرائيل رجل عقيم لا يولد له ، وكان يخرج فإذا رأى غلاما من غلمان بنى إسرائيل عليه حلى يخدعه حتى يدخله بيته فيقتله ويلقيه فى مطمورة له ، فبينما هو كذلك ، إذ لقى غلامين أخوين عليهما حلى فأدخلهما بيته وقتلهما وطرحهما فى مطمورته ، وكانت له امرأة مسلمة تنهاه عن ذلك وتقول له : إنى أحذرك النقمة من الله عز وجل ، فيقول : لو أن الله يأخذنى على شىء لأخذنى يوم فعلت كذا وكذا ، فتقول له المرأة : إن صاعك لم يمتلىء ولو امتلأ صاعك لأخذت ، فلما قتل الغلامين خرج أبوهما فى طلبهما فلم يجد أحدا يخبره عنهما ، فأتى نبيا من أنبياء بنى إسرائيل وذكر ذلك له ، فقال له ذلك النبى : هل كان معهما لعبة يلعبان بها؟ فقال أبوهما نعم كان لهما جرو . قال : فائتنى به ، فأتاه به فوضع النبى خاتمه بين عينيه ثم خلى سبيله ، ثم قال : أول دار يدخلها من دور بنى إسرائيل فيها بيان ذلك ، فأقبل الجرو يتخلل الدور حتى دخل دارا من دور بنى إسرائيل ، فدخلوا خلفه فوجدوا الغلامين مقتولين مع غلمان كثيرة قد قتلهم وطرحهم فى المطمورة ، فانطلقوا به إلى ذلك النبى عليه السلام فأمر به أن يصلب ، فلما رفع إلى الخشبة أتته امرأته وقالت : قد كنت أحذرك هذا اليوم وأخبرك أن الله غير تاركك ، وأنت تقول : لو أن الله يأخذنى على شىء لأخذنى يوم فعلت كذا وكذا ، فأخبرك أن صاعك لم يمتلئ بعد ألا وإن صاعك قد امتلأ ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الكاف فى لفظ الكلب الحديث الذى فى مسند الإمام أحمد والطبرانى والبزار فى الكلبة التى عوى جروها فى بطنها .

وروى الحاكم فى المناقب من حديث أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة وكثرت التجار وكثر المال وعظم رب المال بماله ، وكثرت الفاحشة وكثر النساء ، وكانت إمارة الصبيان وجار السلطان ، وطفف فى المكيال والميزان ، ويربى الرجل جرو كلب خير له من أن يربى ولداً ، ولا يوقر كبير ولا يرحم صغير ، ويكثر الزنا حتى إن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق ، فيقول أمثلهم فى ذلك الزمان : لو اعتزلتم عن الطريق ، ويلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب ، أمثلهم فى ذلك الزمان المداهن » وكذلك رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط ، وفيه سيف بن مسكين وهو ضعيف .

﴿ الجريث ﴾ : بكسر الجيم وبالراء المهملة والثاء المثلثة وهو هذا السمك الذى يشبه الثعبان وجمعه جراثى ، ويقال له أيضا الجرى بالكسر والتشديد ، وهو نوع من السمك يشبه الحية ويسمى بالفارسية مارماهى ، وقد تقدم فى باب الهمزة أنه الأنكليس . قال الجاحظ : إنه يأكل الجرذان ، وهو حية الماء .

(وحكمه) الحل. قال البغوى: عند قوله تعالى ـ أحل لكم صيد البحر وطعامه ـ إن الجريث حلال بالاتفاق، وهو قول أبى بكر وعمر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم، وبه قال شريح والحسن وعطاء، وهو مذهب مالك وظاهر مذهب الشافعى، والمراد هذه الثعابين التى لاتعيش إلا فى الماء. وأما الحيات التى تعيش فى البر والبحر فتلك من ذوات السموم وأكلها حرام، وسئل ابن عباس عن الجرى فقال: هو شىء حرمته اليهود ونحن لا نحرمه.

(الخواص) مرارته يسعط بها الفرس المجنون يذهب جنونه، ولحمه يجوّد الصوت، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصاد المهملة فى لفظ الصيد ما ذكره البخارى فى صحيحه فى الجرّى.

﴿ الجزور ﴾: من الإبل يقع على الذكر والأنثى، وهو مؤنث والجمع جزر كذا قاله الجوهرى. وقال ابن سيده: الجزور الناقة التى تجزر والجمع جزائر وجزر وجزرات جمع الجمع كطرق وطرقات. قالت خرنق بنت هفان:

لايبعدن قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

وبها سميت المجزورة وهى الموضع الذى يذبح فيه، وفى كتاب [العين] الجزور من الضأن والمعز خاصة مأخوذ من الجزر وهو القطع.

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة أن عمرو بن العاص قال عند موته: إذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر الجزور، ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى.

قلت: وإنما ضرب المثل بنحر الجزور وتقسيم لحمها أنه كان أول أمره جزاراً بمكة فألف نحر الجزائر وضرب به المثل، وكونه كان جزارا جزم به ابن قتيبة فى المعارف، ونقله ابن دريد فى كتاب [الوشاح] وكذلك ابن الجوزى فى [التلقيح] وأضاف إليه الزبير بن العوام وعامر بن كريز فقال: هؤلاء كانوا جزارين.

وذكر التوحيدى فى كتاب [بصائر القدماء وسرائر الحكماء] صناعة كل من علمت صناعته من قريش. فقال: كان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بزازا، وكذلك عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهم، وكان عمر رضى الله تعالى عنه دلالا يسعى بين البائع والمشترى، وكان سعد بن أبى وقاص يبرى النبل، وكان الوليد بن المغيرة حدادا، وكذلك أبو العاص أخو أبى جهل، وكان عقبة بن أبى معيط خمارا، وكان أبو سفيان

ابن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان عبد الله بن جدعان نخاسا يبيع الجوارى ، وكان النضر ابن الحارث عواداً يضرب بالعود ، وكان الحكم بن أبى العاص خصاء يخصى الغنم ، وكذلك حريث بن عمرو والضحاك بن قيس الفهرى وابن سيرين ، وكان العاص بن وائل السهمى بيطارا يعالج الخيل ، وكان ابنه عمرو بن العاص جزاراً ، وكذلك أبو حنيفة صاحب الرأى والقياس وكان الزبير بن العوام خياطا ، وكذلك عثمان بن طلحة الذى دفع له النبى صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة ، وقيس بن مخرمة ، وكان مالك بن دينار وراقا ، وكان المهلب بن أبى صفرة بستانيا ، وكان قتيبة بن مسلم الذى فتح بلاد العجم إلى ماوراء النهر جمالا ، وكان سفيان بن عيينة معلما ، وكذلك الضحاك بن مزاحم ، وعطاء بن أبى رباح ، والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفى ، وعبد الحميد بن يحيى صاحب الرسائل ، وأبو عبيد الله القاسم ابن سلام ، والكسائى ، هذه صناعة الأشراف .

قال : وما أديان العرب فإن النصرانية كانت فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة ، واليهودية كانت فى حمير وكنانة وكندة وبنى الحارث بن كعب ، والمجوسية فى تميم ومنهم الحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عند كسرى ووفى به حتى ضرب المثل به فقالوا : أوفى من قوس حاجب ، وفكت أيام النبى صلى الله عليه وسلم وأهديت إليه ، والزندقة كانت فى قريش انتهى .

وما ذكره من كون الزبير بن العوام كان خياطا فيه نظر ، والصواب أنه كان جزارا ذكره ابن الجوزى وغيره كما تقدم ، ولأن عمرو بن العاص كان يومئذ كبير مصر وعظيم أهلها فأشبه الجزور بالنسبة إلى غيرها من بهيمة الأنعام ، ونحرها موته ، وتفرقة لحمها قسمة أمواله بعد موته ، وكان من جملة تركته تسعة أرادب ذهبا .

وأما الوضوء من أكل لحم الجزور فقد تقدم فى باب الهمزة فى لفظ الإبل ذكر من ذهب إليه من الأئمة ، وأنه المختار المنصور من جهة الدليل ، ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه « أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من لحوم الغنم ؟ فقال : إن شئت توضأ وإن شئت فلا تتوضأ ، فقال : أنتوضأ من لحوم الإبل ؟ قال : نعم توضأ من لحوم الإبل » وروى أحمد وأبو داود وغيرهما عن عازب قال « سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الوضوء من لحوم الإبل فقال : توضئوا منها وسئل عن لحوم الغنم فقال : لا تتوضئوا منها » قال النووى رحمه الله : هذان حديثان صحيحان ليس عنهما جواب شاف ، وقد اختاره جماعة من محققى أصحابنا المحدثين اهـ .

وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « بينما النبى صلى الله عليه وسلم ساجد إذ جاءه عقبة بن أبى معيط بسلاء جزور فقذفه على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها فأخذته من على ظهره

ودعت على من صنع ذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم عليك بالملإ من قريش ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن معيط وأمية بن خلف أو أبيّ بن خلف . قال : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أمية أو أبيّ فإنه كان ضخما ، فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر » .

﴿ الجساسة ﴾ : بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى . قال ابن سيده : هي دابة في جزائر البحر تجس الأخبار وتأتي بها الدجال ، وكذا قال أبو داود السجستاني سميت لتجسسها الأخبار للدجال ، وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص : إنها دابة الأرض المذكورة في القرآن وهي بجزيرة ببحر القلزم ، وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن فاطمة بنت قيس قالت « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خطيبا فقال : إني لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديث حدثنيه تميم الداري . حدثني أنه ركب سفينة بحرية في ثلاثين رجلا من لخم وجذام ، فألجأهم ريح عاصف إلى جزيرة ، فإذا هم بدابة فقالوا لها : ما أنت قالت : أنا الجساسة . قالوا : أخبرينا الخبر . قالت : إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير ، فإن فيه رجلا بالأشواق إليكم . قال : فأتيناه فذكر الحديث » وتميم الداري هذا هو تميم بن أوس بن خارجة بن سويد أبو رقية أسلم سنة تسع من الهجرة ، وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثا ، روى مسلم منها حديث « الدين النصيحة » ومن مناقبه العظيمة التي لا يشاركه فيها غيره أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه قصة الجساسة ، وروى عنه جماعة من الصحابة كابن عباس وأنس وأبي هريرة وجماعة من التابعين ، وكان بالمدينة ثم انتقل إلى بيت المقدس بعد قتل عثمان ، وكان كثير التهجد ، وهو أول من قص على الناس وأول من أسرج المسجد ، قال الحافظ أبو نعيم : وكذلك رواه أبو داود الطيالسي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال « أول من أسرج المسجد تميم الداري » وتوفي تميم سنة أربعين . وأما تميم الداري المذكور في صحيح البخاري في قصة الجام فذلك نصراني من أهل دارين قاله مقاتل بن حبان وغيره .

﴿ جعار ﴾ : الضبع ، وفي المثل : أعيث من جعار : أي أفسد ، والعيث : الفساد . قال الشاعر :

فقلت لها عيثي جعار وجرّري بلحم امرئ لم يشهد النوم ناظره

﴿ الجعدة ﴾ : الشاة ، وستأتي في كنى الذئب إن شاء الله تعالى في باب الذال المعجمة .

﴿ الجعل ﴾ : كصرد ورطب وجمعه جعلان بكسر الجيم والعين ساكنة ، والناس يسمونه أبا جعران لأنه يجمع الجعر اليابس ويدخره في بيته ، وهو دويبة معروفة تسمى الزعقوق

تعض البهائم فى فروجها فتهرب ، وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد فى بطنه لون حمرة للذكر قرنان ، يوجد كثيرا فى مراح البقر والجواميس ومواضع الروث ، ويتولد غالبا من أخثاء البقر ، ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها كما تقدم ، ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش . قال أبو الطيب يصفه فى شعره :

• كما تضر رياح الورد بالجعل •

وله جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طار ، وله ستة أرجل وسنام مرتفع جداً ، وهو يمشى القهقرى : أى يمشى إلى خلف ، وهو مع هذه المشية يهتدى إلى بيته ويسمى الكبرتل ، وإذا أراد الطيران تنفش فيظهر جناحاه فيطير . ومن عادته أن يحرس النيام ، فمن قام لقضاء حاجته تبعه وذلك من شهوته للغائط لأنه قوته .

روى الطبرانى وابن أبى الدنيا فى كتاب [العقوبات] والبيهقى فى [شعب الإيمان] عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : « إن ذنوب بنى آدم لتقتل الجعل فى جحره » وروى الحاكم عن أبى الأحوص عن ابن مسعود أنه قرأ — ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى — ثم قال : كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب بنى آدم . ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال مجاهد فى قوله تعالى : — ويلعنهم اللاعنون — إنهم دواب الأرض الخنافس والجعلان يمنعون القطر بخطاياهم . وروى أبو داود والترمذى وحسنه وهو آخر حديث فى جامعه قبل العلل ، وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إما مؤمن تقى أو فاجر شقى أنتم بنو آدم وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام ما هم إلا فحم من فحم جهنم أو ليكونن على الله أهون من الجعل الذى يدفع بأنفه النتن » وفى رواية « أهون على الله من الجعل يدفع الخراء بأنفه » وفى مسند أبى داود الطيالسى وشعب الإيمان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تفخروا بآبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية ، فو الذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية » . وروى البزار فى مسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم بنو آدم وآدم من تراب لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » وكان عامر بن مسعود الجمحى الصحابى رضى الله تعالى عنه يلقب دحروجة الجعل لقصره ، وهو راوى حديث « الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة » وروى الرياشى عن الأصمعى قال : مر بنا أعرابى ينشد ابنا له ، فقلنا له : صفه لنا ، فقال : كأنه دنينير ، فقلنا له : لم نره فذهب فلم نلبث أن جاء بصغير أسود كأنه

جعل قد حمله على عنقه ، فقلنا له : لو سألتنا عن هذا لأرشدناك ، فإنه لم يزل عامة يومه بين أيدينا ، ثم أنشد الأصمعى :

زينها لله فى الفؤاد كما زين فى عين والد ولده

(الحكم) يحرم أكله لاستقذاره .

(الأمثال) قالوا : ألصق من جعل لأنه يتبع الإنسان إلى الغائط كما تقدم . قال الشاعر :

إذا أتيت سليمى شب لى جعل إن الشقى الذى يغرى به الجعل

وهو يضرب للرجل يلصق به من يكرهه فلا يزال يهرب منه .

(الخواص) إذا أخذ الجعل غير مطبوخ ولا مملوح وجفف وشرب من غير إضافة إلى غيره نفع من لسع العقرب نفعا عظيما .

(التعبير) الجعل فى المنام : عدو بغيض ثقيل ، وربما دل على رجل مسافر ينقل الأموال من بلد إلى بلد وماله حرام أو فيه شبهة ، والله أعلم .

﴿الجعول﴾ : ولد النعامة لغة يمانية قاله ابن سيده ، وسيأتى لفظ النعامة فى باب النون .

﴿الجفرة﴾ : بفتح الجيم ما بلغت أربعة أشهر من أولاد المعز وفصلت عن أمها والذكر جفر سمى بذلك لأنه جفر جنباه : أى عظما ، والجمع أجفار وجفار .

(فائدة) قال ابن قتيبة فى كتابه [أدب الكاتب] وكتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق لآل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة ، وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم فى مسك جفر

ومرآة المنجم وهى صغرى أرته كل عامرة وقفر

والمسك الجلد ، وقيل إن ابن تومرت المعروف بالمهدى ظفر بكتاب الجفر فرأى فيه مايكون على يد عبد المؤمن صاحب المغرب وقصته وحليته واسمه ، فأقام ابن تومرت مدة يتطلبه حتى وجده وصحبه ، وكان يكرمه ويقدمه على سائر أصحابه وينشد إذا أبصره :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط

السن ضاحكة والكف مانحة والنفس واسعة والوجه منبسط

ولم يصح أن ابن تومرت استخلف عبد المؤمن عند موته ، وإنما راعى أصحابه إشارته فى تقديمه وإكرامه فتم له الأمر ، وعبد المؤمن هو الذى حمل الناس فى المغرب حين تم له الأمر على مذهب مالك رحمه الله فى الفروع ، وعلى مذهب أبى الحسن الأشعرى رحمه الله فى الأصول ، وكان عبد المؤمن ملكا حازما عاقلا سفاكا للدماء يقتل على الذنب الصغير ،

توفى فى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ومدة ولايته ثلاث وثلاثون سنة وأشهر.

(وحكمها) الحل ، ويفدى بها اليربوع إذا قتله المحرم.

(وخواصها) وتعبيرها كالمعز ، والله أعلم.

﴿جلنكى﴾ : كمرطى نوع متولد بين الحية والسمك إذا ذبح لايخرج منه دم ، وعظمه وخو يؤكل مع لحمه ، يسمن النساء إذا أكل ، وهو نعم العلاج بذلك ، والله أعلم .

﴿الجلة﴾ : من الحيوان الذى يأكل الجلة والعذرة. والجلة البعر يوضع موضع العذرة ، يقال جلت الدابة الجلة واجتلتها فهى جالة وجلالة إذا التقطتها . روى أبو داود وغيره من حديث نافع عن ابن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهم « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ركوب الجلالة » وروى الحاكم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحم الجلالة ، وشرب لبنها ، وأن لايحمل عليها ولا يركبها الناس حتى تعلف أربعين ليلة » وروى البيهقى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب من فى السقاء ، وعن ركوب الجلالة ، وعن المجثمة » وهى كل حيوان ينصب ويرمى ليقتل إلا أنها تكثر فى الطيور والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم بالأرض : أى يلزمها ويلتصق بها ، وجثم الطائر جثوما وهو بمنزلة البروك للإبل ، وسيأتى الكلام على الجلالة فى فرع الكلام على السخلة .

﴿الجلم﴾ : اليؤيؤ وهو نوع من الصقور ، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى باب الياء أيضاً .

﴿الجمل﴾ : الذكر من الإبل . قال الفراء : هو زوج الناقة وكذا قال ابن مسعود لما سئل عن الجمل كأنه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعا ، وجمع الجمل جمال وأجمال وجمائل وجمالات . قال الله تعالى — كأنهم جمالات صفر — قال أكثر المفسرين : هى جمع جمال على تصحيح البناء كرجال ورجالات . وقال ابن عباس وابن جبير : الجمالات قلوس السفن ، وهى حبالها العظام إذا جمعت مستديرة بعضها إلى بعض جاء منها أجرام عظام . وقال ابن عباس أيضاً : الجمالات قطع النحاس العظام ، وإنما يسمى البعير جملا إذا أربع .

(فائدة) كان اسم الجمل الذى ركبته عائشة رضى الله تعالى عنها يوم وقعته عسكرا اشتراه لها يعلى بن أمية بأربعمائة درهم ، وقيل بمائتى درهم وهو الصحيح . قال ابن الأثير : مر مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعى ، وكان من الأبطال المشهورة ، وكان من أصحاب على يوم الجمل بعبد الله بن الزبير وكان مع عائشة رضى الله تعالى عنها ، وكان من

الأبطال فتماسكا فصار كل واحد منهما إذا قوى على صاحبه جعله تحته وركب على صدره فعلا ذلك مرارا ، وابن الزبير يصيح بأعلى صوته :

اقتلونى ومالكا واقتلوا مالكا معى

يريد بذلك الأشتر النخعى . قال ابن الزبير : أمسيت يوم الجمل وفى سبع وثلاثون جراحة ما بين طعنة رمح وضربة سيف ورمية سهم . قال : ولا ينهزم من الفريقين أحد ، وما أخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل ، فأخذت الخطام فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : من أنت ؟ قلت : ابن الزبير ، فقالت : واثكل أسماء ، ومربى الأشتر فعرفته فاقتتلنا فو الله ما ضربته ضربة إلا ضربنى بها ستا أو سبعا ، فجعلت أنادى :

اقتلونى ومالكا واقتلوا مالكا معى

وضاع الخطام منى ، ثم أخذ مالك برجلى فرمانى فى الخندق وقال : لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو إلى عضو أبدا . وفى رواية : فجاء أناس منا ومنهم وتقاتلوا حتى تحاجزنا وضاع منى الخطام ، وسمعت عليا رضى الله عنه يقول : اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا ، فضربه رجل فسقط فما سمعت قط أشد من عجيج الجمل ، ثم أمر على بحمل الهودج من بين القتلى ، فاحتمله محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر فأدخل محمد بن أبى بكر يده فى الهودج ، فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : من هذا الذى يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أحرقه الله بالنار ، فقال : ياأختاه قولى بنار الدنيا ، فقالت : بنار الدنيا : وقتل طلحة رضى الله تعالى عنه فى الوقعة ، وكان من حزب عائشة ، ورجع الزبير فقتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ، وعاد بسيفه إلى على فلما رآه قال : إنه لسيف طالما جلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحيط بعائشة ، ودخل على البصرة فبايعه أهلها ، وأطلق عثمان بن حنيف وجهز عائشة وأخرج أخاها محمدا معها وشيعها على بنفسه أميالا وسرح بنيه معها يوما ، وقيل إن عدة المقتولين من أصحاب الجمل ثمانية آلاف ، وقيل سبعة عشر ألفا ومن أصحاب على نحو ألف ، وقطع على خطام الجمل يومئذ نحو ثمانين كفا معظمهم من بنى ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الخطام آخر ، وفى ذلك يقول الضبى .

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل

والموت أحلى عندنا من العسل

وكانوا قد ألبسوه الأدراع إلى أن عقر ونصب «بنى» عند النحويين على المدح والتخصيص وكانت وقعة الجمل يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى أو الآخرة ، وقيل فى خامس عشرة سنة ست وثلاثين من ارتفاع الشمس إلى قريب العصر . ويروى أن عائشة أعطت الذى

بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الأشتر عشرة آلاف درهم . (وذكر) ابن خلكان وغيره أن الأشتر دخل على عائشة رضى الله تعالى عنها بعد وقعة الجمل فقالت له : يا أشتر أنت الذى أردت قتل ابن أختى يوم الجمل ، فأنشدها :

أعائش لولا أننى كنت طاويا ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادى والرماح تنوشه بآخر صوت اقتلونى ومالكا
فنجاه منى أكله وشبابه وخلوة جوف لم يكن متماسكا

ونقل أنه كان فى رأس ابن الزبير رضى الله عنه ضربة عظيمة من الأشتر لو صب فيها قرورة دهن لاستقر . وروى الحاكم من حديث قيس بن أبى حازم وابن أبى شيبة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه « أيتكن صاحبة الجمل الأدبب ، تسير أو تخرج حتى ينبحها كلاب الحوأب » والحوأب : نهر بقرب البصرة ، والأدبب : الأرب : وهو الكثير شعر الوجه . قال ابن دحية : والعجب من ابن العربى كيف أنكر هذا الحديث فى كتاب [الغوامض والعواصم] له ، وذكر أنه لا يوجد له أصل وهو أشهر من فلق الصبح . وروى أن عائشة لما خرجت مرت بماء يقال له الحوأب فنبحتها الكلاب فقالت : ردونى ردونى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب » وهذا الحديث مما أنكر على قيس بن أبى حازم ، وأما قول الشاعر :

شكا إلى جملى طول السرى يا جملى ليس إلىّ المشتكى
صبرا جميلا فكلانا مبتلى

فمعلوم أن الجمل لا ينطق ، وإنما أراد التجوّز ومقابلة الكلام بمثله كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وكقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقول الآخر :

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فإنى مقوم ومن رام تعويجى فإنى معوج

يريد أكافئ الجاهل والمعوج لا أنه امتدح بالجهل والاعوجاج ، وأما قوله تعالى — حتى يلج الجمل فى سم الخياط — فأراد به الحيوان المعروف لأنه أعظم الحيوانات المتداولة للإنسان جثة فلا يلج إلا فى باب واسع كأنه قال : لا يدخلون الجنة أبدا . قال الشاعر :

لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير

وقرأ ابن عباس ومجاهد الجمل بضم الجيم وتشديد الميم ، وفسر بحبل السفينة الغليظ ، وسم الخياط : هو بخش الإبرة : أى ثقبها ، وقد ألغز فيها الشاعر فقال :

سعت ذات سم فى قميصى فغادرت به أثرا والله يشفى من السم
كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا وكسرى وعادت وهى عارية الجسم

وكنية الجمل : أبو أيوب ، وأبو صفوان . وفى حديث أم رزع : «زوجى لحم جمل غث ، على رأس جبل وعر». وفى سنن أبى داود عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : «أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا كان لأبى جهل بن هشام فى أنفه برة من فضة يغيظ بذلك المشركين» . قال الخطابى : وفيه من الفقه أن الذكران فى الهدى جائزة . وقد روى عن ابن عمر أنه كان يكره ذلك فى الإبل ، ويرى أن تهدى الإناث منها ، وفيه دليل أيضا على جواز استعمال اليسير من الفضة فى لجم المراكب من الخيل وغيرها ، وقوله يغيظ بذلك المشركين معناه أن هذا الجمل كان معروفا لأبى جهل فحازه النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان يغيظهم أن يروه فى يده صلى الله عليه وسلم وصاحبه قتيل سليب .

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن العرباض بن سارية قال « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا : يا رسول الله هذه موعظة مودّع فما تعهد إلينا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : قد تركتكم على بيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدى إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وعليكم بالطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد » والأنف : الجمل المخزوم ، والأنف الذى لا يمتنع على قائده ، وقيل الأنف الذلول ، ويروى كالجمل الآنف بالمد وهو بمعناه ، وفيه «إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ » والنواجذ بالذال المعجمة الأشهر أنها أقصى الأسنان : أى تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه ، وفى الحديث « أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه» والمراد بها هاهنا الضواحك ، وهى التى تبدو عند الضحك ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان ضحكه تبسما .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك الجمل وليضع يديه ثم ركبتيه » قال الخطابى : حديث وائل بن حجر أثبت من هذا وهو ما رواه الأربعة عنه أنه قال « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه ، وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه» وروى البخارى ومسلم وأبو داود

والترمذى والنسائى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه « أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم على جمل فأعيا ، فنخسه النبى صلى الله عليه وسلم ودعا له وقال : اركب ، فركب وكان أمام القوم . قال : فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم كيف ترى بعيرك ؟ فقلت : قد أصابته بركتك . قال : أفتبيعنيه ؟ فاستحييت ولم يكن لى ناضح غيره ، فقلت : نعم ، فما زال صلى الله عليه وسلم يزيدنى ويقول : والله يغفر لك حتى بعته بأوقية من ذهب على أن لى ركوبه حتى أبلغ المدينة ، فلما بلغتها قال صلى الله عليه وسلم لبلال : أعطه الثمن وزده ، ثم رد صلى الله عليه وسلم على الجمل » وفى كتاب ابن حبان من حديث حماد بن سلمة عن أبى الزبير عن جابر رضى الله تعالى عنه قال « استغفر لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير خمسا وعشرين مرة » وبهذا استدل على جواز بيع وشرط ، والخلاف فيه مقرر فى كتب الفقه . قال السهيلى : والحكمة فى شرائه الجمل ورده عليه وإعطائه الثمن بزيادة أنه عليه الصلاة والسلام كان أخبره بأن الله تعالى أحيا أباه ورد عليه روحه فاشترى الجمل منه وهو مطيته كما اشترى الله أنفس الشهداء بثمن هو الجنة ، ونفس الإنسان مطيته ، ثم زادهم فقال — للذين أحسنوا الحسنى وزيادة — ثم رد عليهم أنفسهم التى اشترى منهم فقال — ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء — الآية ، فأشار صلى الله عليه وسلم بالشراء ورد الثمن والزيادة ثم رد الجمل إليه إلى تأكيد الخبر الذى أخبر به عن الله عز وجل فتشاكل الفعل والخبر . وفى مسند الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الأنصار فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فمسح النبى صلى الله عليه وسلم سنامه » وفى رواية « فمسح ذفريه فسكن ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : من رب هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها ، فإنه شكا لى أنك تجيعه وتدئبه » وروى الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال « خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع حتى إذا كنا بحرة واقم ، إذ أقبل جمل يرفل حتى دنا من النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يرغو على هامته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الجمل يستعدينى على صاحبه يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين حتى إذا أعجزه وأعجفه وكبر سنه أراد نحره ، اذهب يا جابر إلى صاحبه فأت به . قلت : ما أعرفه . فقال : إنه سيدلك عليه . قال : فخرج الجمل بين يدى معنقا حتى وقف بى فى مجلس بنى خطمة . فقلت : أين رب هذا الجمل ؟ فقالوا : هذا لفلان بن فلان ، فجئته فقلت له : أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معى حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن جملك يزعم أنك حرثت عليه زمانا حتى إذا عجزته وأعجفته وكبر سنه أردت أن

تنحره ، فقال والذى بعثك بالحق إن ذلك لكذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هكذا جزاء المملوك الصالح ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : تبيعه ؟ قال : نعم ، فابتاعه منه ثم أرسله صلى الله عليه وسلم فى الشجر حتى نصب سنامه ، فكان إذا اعتل على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم شيء أعطاه إياه ، فمكث كذلك زمانا » .

(وحكى) القشيرى فى رسالته وابن الجوزى فى مثير الغرام الساكن عن أحمد بن عطاء الروذبارى أنه قال : كنت راكبا جملا ، فغاصت رجلا الجمل فى الرمل فقلت : جل الله ، فقال الجمل : جل الله .

(وحكى) القشيرى عنه أيضا فى باب كرامات الأولياء قال : كلمنى رجل فى طريق مكة فقال : إنى رأيت جمالا والمحامل عليها وقد مدت أعناقها فى الليل ، فقلت : سبحان الله : سبحان من يحمل عنها ما هى فيه فالتفت إلى جمل وقال : قل جل الله ، فقلت جل الله .

(غريبة) رأيت بخط بعض العلماء المتقدمين المبرزين : أنه كان بخراسان رجل عائن فجلس يوماً إلى جماعة ، فمر بهم قطار جمال فقال العائن : من أى جمل تريدون أن أطعمكم من لحمه فأشاروا إلى جمل من أحسنها ، فنظر إليه العائن فوقع الجمل لساعته ، وكان صاحب الجمل حكيما فقال : من ربط جملى فليحله وليقل : بسم الله عظيم الشأن شديد البرهان ما شاء الله كان ، حبس حابس من حجر يابس وشهاب قابس ، اللهم إنى رددت عين العائن عليه وفى أحب الناس إليه وفى كبده وكليتيه ، لحم رقيق وعظم دقيق فيما له يليق — فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير — فوقف الجمل لساعته كأن لم يكن به بأس ، وندرت عين العائن .

(فائدة) العائن إذا اعترف أنه قتل غيره بالعين فلا قود عليه ولا دية ولا كفارة وإن كانت العين حقا لأنه لا يفضى إلى القتل غالبا . ويندب للعائن أن يدعو له بالبركة فيقول : اللهم بارك فيه ولا تضره ، وأن يقول ماشاء الله لاقوة إلا بالله .

(وذكر) القاضى حسين أن نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام استكثر قومه ذات يوم فأمات الله تعالى منهم مائة ألف فى ليلة واحدة ، فلما أصبح شكا إلى الله من ذلك ، فقال الله تعالى له : إنك لما استكثرتهم عنتهم فهلا حصنتهم ؟ فقال : يارب فكيف أحصنهم ؟ قال تقول : حصنتكم بالحى القيوم الذى لا يموت أبدا ، ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛ قال القاضى وهكذا السنة فى الرجل إذا رأى نفسه سليمة وأحواله معتدلة يقول فى نفسه ذلك ، وكان القاضى يحسن تلامذته بذلك إذا استكثرهم . وذكر الإمام فخر الدين الرازى فى بعض كتبه : أن العين لا تؤثر ممن له نفس شريفة لأنها استعظام للشيء ، وما ذكره القاضى حسين يرد ذلك .

(وحكى) القشيرى فى رسالته عن محمد بن سعيد البصرى أنه قال : بينما أنا أمشى فى بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابيا يسوق جملا ، ثم التفت فإذا الجمل قد وقع ميتا ووقع الرجل والقتب ، فمشيت قليلا ثم التفت فإذا الأعرابى يقول : يامسبب كل سبب ويامأمن كل من طلب ردعلى ماذهب يحمل الرحل والقتب، فقام الجمل وعليه الرحل والقتب . وإحياء الموتى كرامة فهو وإن كان عظيما إلا أنه جائز على القول الصحيح المختار عند المحققين المعتمدين من أئمة الأصول إذ ماجاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى بشرط أن لايدعى التحدى كالنبوة ، وإحياء الموتى كرامة للأولياء كثير لاينحصر ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر طرف من ذلك فى أماكنه من هذا الكتاب .

(فائدة) قال شيخنا اليافعى رحمه الله : لايلزم أن يكون من له كرامة من الأولياء أفضل ممن ليس له كرامة منهم بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة ، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها وكمال المعرفة بالله ، ولهذا قال قطب العلوم وتاج العارفين وقرة أعين الصديقين أبو القاسم الجنيد قدس الله سره : وقد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش رجال أفضل منهم . وقال أيضا : اليقين ارتفاع الريب فى مشهد الغيب . وقال أيضا : اليقين هو استقرار العلم الذى لاينقلب ولا يحول ولا يتغير . وقال (يعنى اليافعى) قلت : ولأن الكرامة قد تقع لكثير من المحبين والزهاد ولا تقع لكثير من العارفين ، والمعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين ، وأفضل من الزهد عند الكل اه . قلت : وهذا هو المختار عند المحققين والله أعلم .

وفى كتاب [خير البشر لخير البشر] للإمام العلامة محمد بن ظفر . أنه كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة جمل من نحاس عليه راكب من نحاس فى هيئة العرب متزر مرتد وعليه عمامة وفى رجليه نعلان كل ذلك من نحاس ، وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم : أعطنى حقى قبل أن يخرج هذا فيأخذ بحقى منك شئت أو أبيت ، ولم يزل الصنم على ذلك حتى افتتح عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أرض مصر فغيبوا الصنم ، وفى ذلك إشارة إلى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(وحكمه وخواصه) تقدما فى الإبل .

(الأمثال) قالوا : الجمل من جوفه يجتر ، يضرب لمن يأكل من كسبه أو ينتفع بشىء يعود عليه منه ضرر . وقالوا : أخلف من بول الجمل ، وهو من الخلف لامن الخلاف لأنه يبول إلى خلف . وقالوا : وقع القوم فى سلا جمل ، يضرب لمن بلغ فى الشدة منتهى غاياتها كما قالوا : بلغ السكين العظم ، وذلك أن الجمل لايكون له سلا فأرادوا أنهم وقعوا فى أمر صعب ، والسلا : الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى إن نزعت عن وجه الفصيل

ساعة مايولد وإلا قتلته ، وهذا كقولهم ،أعز من الأبلق العقوق . وقالوا : الثمر فى البئر وعلى ظهر الجمل ، وأصله أن مناديا كان فى الجاهلية يقف على أطم من آطام المدينة حين يدرك التمر ينادى بذلك : أى من سقى ماء البئر على ظهر الجمل بالسانية وجد عاقبة سقيه فى ثمره ، وهذا قريب من قولهم : عند الصباح يحمد القوم السرى ، وقريب من قول الشاعر :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن الزرع

وقول الآخر :

تسألنى أم الوليد جملا يمشى رويداً ويكون أولا

يضرب فى طلب مالا يكون هذا إذا ذكر البيت كله ، وأما قولهم : يمشى رويداً ويكون أولا ، فيضرب للرجل يدرك حاجته فى تؤدة ودعة ، وأما قولهم : لاناقتى فيها ولا جملى ، فسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون فى الكلام على الناقة .

(التعبير) الجمل فى المنام : حج لقول النبى صلى الله عليه وسلم ، والجمل الأعرابى يدل على الحج لقوله تعالى — وتحمل أثقالكم إلى بلد — الآية ، والجمل البختى رجل أعجمى ومن رأى جملا يصول عليه فإنه يخاصم سفيها ، ومن قاد جملا بخطامه فإنه يهدى رجلا ضالا ، ومن أكل رأس جمل اغتاب رجلا رئيسا ، ومن رأى جمالا عرابا ولى على قوم من الأعراب ، ومن رأى جملين يقتتلان فإنهما ملكان ، ومن رأى أنه يجر جملا فإنه يقهر عدوا . وقال أرطاميدورس : رؤية الجمل تدل على مجاديف السفينة وعلى سرعة سيرها ، والجمال تدل على أقوام جهال لامعرفة لهم ولا رأى والغالب عليهم الذلة ، ومن رأى أنه سقط من ظهر جمل خشى عليه الفقر ، ومن رأى أنه رمحه جمل مرض ، والقطار من الجمال إذا كان يتلو بعضها بعضا أمطار لأن المطر يتلو بعضه بعضا وهى تحمل الأثقال كما تحمل السحب الأمطار ، وإذا ذبحت الجمال ولم يكن فى ذلك المكان رجل فتاك فإنها دعوة لكرام ، ومن رأى كأنه صار جملا فإنه يحمل أثقالا من تبعات الناس ، والبخت سفر بعيد لراكبها بلا عناء وربما دل الجمل على المسكن وعلى السفينة لأنه من سفن البر ، وربما دل على الموت لأنه يظعن بالأحباب إلى الأمكنة البعيدة ، وربما دل على الزوجة ، ويدل الجمل على الحقد وأخذ الثأر ولو بعد حين ، وربما دل على الرجل الصبور ، وربما يدل على البطء فى الأحوال لمن يريد الاستعجال ، وربما دل الجمل على الجمال لأنه مشتق من لفظها وللآية ، وتدل رؤيا الجمال على الجان لأنها خلقت من أعين الجان ، وتدل الجمال على الأرزاق والفوائد لامتهانها وملكها . قال ابن المقرى : ورؤية الجمال البخت تدل على الأجلاء من الناس وأرباب الأسفار كالتجار فى البر والبحر ، وربما دلت على الأعجام والغرباء ، وربما تدل رؤيتها على الهموم والأنكاد والسبى وسلب المال ، والله أعلم .

﴿ جمل البحر ﴾ : سمكة طولها ثلاثون ذراعا كذا قاله ابن سيده ، وللعجاج فيها رجز حسن قاله الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ، وفى حديث أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه أنه أذن فى أكل جمل البحر ، وهو سمك شبيه بالجمل .

﴿ جمل الماء ﴾ : البجع وهو الحوصل ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة ؛

﴿ جمل اليهود ﴾ : الحرباء ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة .

﴿ الجمعيلة ﴾ : بفتح الجيم والميم الضبع وسيأتى إن شاء الله فى باب الضاد المعجمة .

﴿ جميل وجميل ﴾ : طائر جاء مصغرا ، والجمع جملان مثل كعيب وكعبان قال سيبويه وهو البلبل .

﴿ الجنبر ﴾ : كمقعد فرخ الحبارى مثل به سيبويه ، وفسره السيرافى كذا قاله ابن سيده .

﴿ الجندب ﴾ : ضرب من الجراد ، وقيل : ذكر الجراد مثلث الدال والجمع جنادب . قال سيبويه : نونه زائدة . وقال الجاحظ : إنه يحفر بذراعيه ويغوص فى الطين وفى الأرض إذا اشتد الحر وربما يطير فى شدة الحر أيضا . وفى الحديث « إن مثل مابعثنى الله تعالى به كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب يقعن فيها » الحديث رواه مسلم والترمذى كلاهما عن قتيبة ابن سعيد عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى حديث ابن مسعود « كان يصلى الظهر والجنادب ينقزن من الرمضاء » أى تثب من شدة حرارة الأرض .

﴿ الجندع ﴾ : كقنفذ جندب أسود له قرنان طويلان وهو أخشن الجنادب ولا يؤكل قاله ابن سيده ، وقال أبو حنيفة : الجندع جندب صغير .

﴿ الجن ﴾ : أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة وهم خلاف الإنس الواحد جنى ، ويقال إنما سميت بذلك لأنها تتقى ولا ترى ، وجن الرجل جنونا وأجنه الله فهو مجنون ولا نقل مجن ، وقولهم فى المجنون ما أجنه شاذ لايقاس عليه ، لأنه لايقال فى المضروب ما أضربه ولا فى المشكوك ماأشكه . روى الطبرانى بإسناد حسن عن أبى ثعلبة الخشنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الجن ثلاثة أصناف : فصنف لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء ، وصنف حيات ، وصنف يحلون ويظعنون » وكذلك رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الخاء المعجمة فى الكلام على الخشاش حديث أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض ، وصنف

كالريح فى الهواء ، وصنف كبنى آدم عليهم الحساب والعقاب. وخلق الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم قال الله عز وجل – إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلا سبيلا – وقال تعالى – لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام، بل هم أضل أولئك هم الغافلون – وصنف أجسادهم كأجساد بنى آدم وأرواحهم كأرواح الشياطين ، وصنف فى ظل الله عز وجل يوم لاظل إلا ظله » قال ابن حبان : رواه يزيد ابن سفيان الرهاوى عن أبى المنيب عن يحيى بن كثير عن أبى سلمة عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، ويزيد بن سفيان ضعفه يحيى بن معين والإمام أحمد بن حنبل وابن المدينى .

(الحكم) أجمع المسلمون قاطبة على أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس قال الله تعالى – وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ – والجن بلغهم القرآن وقال تعالى – وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن – الآية ، وقال تبارك وتعالى : – تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا – وقال عز وجل – وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين – وقال تعالى – وما أرسلناك إلا كافة للناس – قال الجوهرى: الناس قد تكون من الإنس والجن . وقال تعالى: خطابا للفريقين – سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأى آلاء ربكما تكذبان – والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض ، وقيل لأنهما مثقلان بالذنوب ، وقال تعالى – ولمن خاف مقام ربه جنتان – ولذلك قيل : إن من الجن مقربين وأبراراً كما أن من الإنس كذلك ، وبهذه الآية استدل الجمهور على أن الجن المؤمنين يدخلون الجنة ويثابون كما يثاب الإنس ، وخالف أبو حنيفة والليث فى ذلك فقالا ثواب المؤمنين منهم أن يجاروا من النار وخالفهما الأكثرون حتى أبو يوسف ومحمد ، وليس لأبى حنيفة والليث حجة سوى قوله تعالى – ويجركم من عذاب أليم – وقوله تعالى – فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا – قالا : فلم يذكر فى الآيتين ثوابا سوى النجاة من العذاب . والجواب من وجهين : أحدهما أن الثواب مسكوت عنه . والثانى أن ذلك من قول الجن ، ويجوز أن يكونوا لم يطلعوا إلا على ذلك وخفى عليهم ماأعد الله لهم من الثواب ، وقيل إنهم إذا دخلوا الجنة لايكونون مع الإنس بل يكونون فى ربضها ، وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « الخلق كلهم أربعة أصناف : فخلق فى الجنة كلهم وهم الملائكة ، وخلق كلهم فى النار وهم الشياطين ، وخلق فى الجنة والنار وهم الجن والإنس لهم الثواب وعليهم العقاب » وهو موقوف على ابن عباس رضى الله عنهما ، وفيه شىء وهو أن الملائكة لايثابون بنعيم الجنة. ومن المستغربات مارواه أحمد بن مروان المالكى الدينورى فى أوائل الجزء التاسع من المجالسة عن مجاهد أنه سئل عن الجن المؤمنين أيدخلون الجنة ؟ فقال : يدخلونها ولكن لايأكلون فيها ولا يشربون ، بل يلهمون التسبيح والتقديس فيجدون فيه مايجد أهل الجنة من لذيذ الطعام والشراب .

ويدل لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم من السنة أحاديث منها: ماروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت جوامع الكلم ، وأرسلت إلى الناس كافة » وفيه من حديث جابر رضى الله عنه « وبعثت إلى كل أحمر وأسود » .

وفى كتاب [خير البشر بخير البشر] للإمام العلامة محمد بن ظفر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة «من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فلينطلق معى ، فانطلقت معه حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لى خطا ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيه أسودة كثيرة وحالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم انطلقوا يتقطعون كما يتقطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهط ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ، ما فعل الرهط ؟ قلت : هم أولئك يا رسول الله . قال : فأخذ عظما وروثا فأعطاهم إياه ، ونهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث » وفى إسناده ضعف وفيه أيضا عن بلال بن الحارث رضى الله عنه قال « نزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره بالعرج فتوجهت نحوه ، فلما قاربته سمعت لغطا وخصومة رجال لم أسمع لغة أحد من ألسنتهم فوقفت حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فقال : اختصم إلىّ الجن المسلمون والجن المشركون وسألونى أن أسكنهم فأسكنت المسلمين الحلس وأسكنت المشركين الغور ، وكل مرتفع من الأرض جلس ونجد وكل منخفض غور .

وفيه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « انطلق النبى صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وخبر السماء ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب ، فقالوا : ماذاك إلا من شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فالتقى الذين أخذوا نحو تهامة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن أنصتوا له وقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، ورجعوا إلى قومهم فقالوا — إنا سمعنا قرآنا عجبا — الآيتين» وهذا الذى ذكره ابن عباس رضى الله عنهما أول ما كان من أمر الجن مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم رآهم إذ ذاك إنما أوحى إليه بما كان منهم .

وفيه أيضا وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الأودية والشعاب ، فقلنا : استطير أو اغتيل ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء ، فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فقال صلى الله عليه وسلم : أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن . قال : فانطلق بنا فأرانا آثار نيرانهم ، وسألوه الزاد ،

فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تأخذونه فيقع فى أيديكم أوفر ما كان لحما ، وكل بعر علف لدوابكم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم » .

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه سلم يوما صلاة الصبح فى مسجد المدينة ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيكم يتبعنى إلى وفد الجن الليلة ؟ فسكت القوم ولم يتكلم منهم أحد ، قال ذلك ثلاثا ، فمر بى يمشى فأخذ بيدى فجعلت أمشى معه حتى تباعدت عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض براز ، وإذا رجال طوال كأنهم الرماح مستدثرين ثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتنى رعدة شديدة حتى ما تمسكنى رجلاى من الفرق ، فلما دنونا منهم خط لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبهام رجله فى الأرض خطا ، وقال لى : اقعد فى وسطه ، فلما جلست ذهب عنى كل شىء كنت أجده من ريبة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبينهم فتلا قرآنا رفيعا حتى طلع الفجر ، ثم أقبل صلى الله عليه وسلم حتى مر بى فقال الحق بى فجعلت أمشى معه فمضينا غير بعيد ، فقال صلى الله عليه وسلم لى : التفت فانظر هل ترى حيث كان أولئك من أحد؟ فالتفت فقلت : يا رسول الله أرى سوادا كثيرا ، فخفض رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه إلى الأرض فنظر عظما وروثة فرمى بهما إليهم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء وفد جن نصيبين سألونى الزاد فجعلت لهم كل عظم وروثة» . قال الزبير رضى الله عنه : فلا يحل لأحد أن يستنجى بعظم ولا روثة .

وروى أيضا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «استتبعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال : إن نفرا من الجن خمسة عشر بنو إخوة وبنو عم يأتون الليلة فأقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه إلى المكان الذى أراد فجعل لى خطا ثم أجلسنى فيه وقال : لا تخرج من هذا فبت فيه حتى أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السحر وفى يده عظم حائل وروثة وخمسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أتيت الخلاء فلا تستنج بشىء من هذا . قال : فلما أصبحت قلت : لأعلمن حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت فرأيت موضع سبعين بعيرا » .

وروى الشافعى والبيهقى : أن رجلا من الأنصار رضى الله عنهم خرج يصلى العشاء فسبته الجن وفقد أعواما وتزوجت زوجته ، ثم أتى المدينة فسأله عمر رضى الله عنه عن ذلك فقال : اختطفتنى الجن فلبثت فيهم زمانا طويلا فغزاهم جن مؤمنون وقاتلوهم فأظفرهم الله عليهم وسبوا منهم سبايا وسبونى معهم ، فقالوا : نراك رجلا مسلما ولا يحل لنا سباؤك ، فخيرنى بين المقام عندهم والقفول إلى أهلى فاخترت أهلى فأتوا بى إلى المدينة فقال له عمر رضى الله عنه ما كان طعامهم ؟ قال : الفول وكل ما لم يذكر اسم الله عليه . قال : فما كان شرابهم ؟ قال

الجدف وهو الرغوة، لأنها تجدف عن الماء ، وقيل : نبات يقطع ويؤكل ، وقيل: كل إناء كشف عنه غطاؤه .

وأما الإجماع فنقل ابن عطية وغيره الاتفاق على أن الجن متعبدون بهذه الشريعة على الخصوص ، وأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الثقلين . فإن قيل : لو كانت الأحكام فى جملتها لازمة لهم لكانوا يترددون إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتعلموها ، ولم ينقل أنهم أتوه إلا مرتين بمكة وقد تجدد بعد ذلك أكثر الشريعة. قلنا: لا يلزم من عدم النقل عدم اجتماعهم به وحضورهم مجلسه وسماعهم كلامه من غير أن يراهم المؤمنون ويكون هو صلى الله عليه وسلم يراهم ولا يراهم أصحابه، فإنه تعالى يقول عن الجن —إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم — فقد يراهم صلى الله عليه وسلم بقوة يعطيها الله له زائدة على قوة أصحابه ، وقد يراهم بعض الصحابة فى بعض الأحوال كما رأى أبو هريرة رضى الله عنه الشيطان الذى أتاه ليسرق من زكاة رمضان كما رواه البخارى . فإن قيل: ما تقول فيما حكى عن بعض المعتزلة أنه ينكر وجود الجن ؟ قلنا: عجيب أن يثبت ذلك عمن يصدّق بالقرآن وهو ناطق بوجودهم. وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن عفريتا من الجن تفلت علىّ البارحة يريد أن يقطع علىّ صلاتى فذعته » بالذال المعجمة والعين المهملة : أى خنقته « وأردت أن أربطة فى سارية من سوارى المسجد فذكرت قول أخى سليمان » وقال صلى الله عليه وسلم « إن بالمدينة جنا قد أسلموا » وقال « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة » .

وروى مسلم عن سالم بن عبد الله بن أبى الجعد ، وليس له فى الكتب الستة سواه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال: وإياى ، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير» روى فأسلم بفتح الميم وضمها وصحح الخطابى الرفع ورجح القاضى عياض والنووى الفتح وهو المختار ، وأجمعت الأمة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان ،وإنما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا أنه معناه لنحترز منه بحسب الإمكان . وأما عصمته صلى الله عليه وسلم من الكبائر فمجمع عليها وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وفى الصغائر خلاف ليس هذا موضع ذكره ، والصحيح أنهم معصومون من الكبائر والصغائر وكذلك الملائكة عليهم السلام كما قاله القاضى وغيره من المحققين ، فإذا علم هذا فاعلم أن الأحاديث فى وجود الجن والشياطين لا تحصى وكذلك أشعار العرب وأخبارهم ، فالنزاع فى ذلك مكابرة فيما هو معلوم بالتواتر ثم ،إنه أمر لا يحيله العقل ولا يكذبه الحس ولذلك جرت التكاليف عليهم . ومما

اشتهر أن سعد بن عبادة رضى الله عنه لما لم يبايعه الناس وبايعوا أبا بكر رضى الله عنه سار إلى الشام فنزل حوران وأقام بها إلى أن مات فى سنة خمس عشرة ، ولم يختلف أنه وجد ميتا فى مغتسله بحوران ، وأنهم لم يشعروا بموته بالمدينة حتى سمعوا قائلا يقول فى بئر :

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عباده
فرميناه بسهمي ن ولم نخط فؤاده

فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذى مات فيه ، ووقع فى صحيح مسلم أن سعدا شهد بدرا . وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس : والصحيح أنه لم يشهد بدرا. كذا رواه الطبرانى من حديث محمد بن سيرين وقتادة وكلاهما أدرك سعدا، وروى عن حجاج بن خلاط السلمى وهو والد نصر بن حجاج الذى قيل فيه :

هل من سبيل إلى خمر فأشر بها هل من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟

أنه قدم مكة فى ركب فأجنهم الليل بواد مخيف موحش ، فقال له أهل الركب : قم فخذ لنفسك أمانا ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أعيذ نفسى وأعيذ صحبى من كل جنى بهذا النقب
حتى أعود سالما وركبى

فسمع قائلا يقول — يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض — الآية ، فلما قدم مكة أخبر كفار قريش بما سمع فقالوا: صبأت يا أبا كلاب إن هذا الذى قلته يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقال : والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معى، ثم أسلم وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة وابتنى بها مسجدا يعرف به .

وعند ابن سعد والطبرانى والحافظ أبى موسى وغيرهم عمرو بن جابر الجنى فى الصحابة فرووا بأسانيدهم عن صفوان بن المعطل السلمى أنه قال : خرجنا حجاجا فلما كنا بالعرج إذا نحن بحية تضطرب فلم تلبث أن ماتت ، فأخرج لها رجل منا خرقة فلفها فيها ثم حفر لها فى الأرض ، ثم قدمنا مكة فأتينا المسجد الحرام فوقف علينا رجل فقال: أيكم صاحب عمرو ابن جابر ؟ قلنا : ما نعرفه . قال : أيكم صاحب الجان ؟ قالوا : جزاك الله عنا خيرا أما إنه كان آخر التسعة من الجن الذين سمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك فى ترجمة صفوان بن المعطل .

وذكر ابن أبى الدنيا عن رجل من التابعين أن حية دخلت عليه فى خبائه تلهث عطشا فسقاها ثم إنها ماتت فدفنها ، فأتى من الليل فسلم عليه وشكر ، وأخبر أن تلك الحية كان رجلا صالحا من جن نصيبين اسمه ذوبعة ، وقال : وبلغنا من فضائل عمر بن عبد العزيز الأموى أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه : أنه كان يمشى بأرض فلاة فإذا بحية ميتة فكفنها

بفضلة من ردائه ودفنها ، فإذا قائل يقول : يا سرق أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ستموت بأرض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح ، فقال ومن أنت يرحمك الله ؟ فقال من الجن الذين استمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا أنا وسرق هذا الذى قد مات .

وفى كتاب [خير البشر بخير البشر] عن عبيد المكتب عن إبراهيم قال : خرج نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه وأنا معهم يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا حية بيضاء تتثنى على الطريق يفوح منها ريح المسك . قال : فقلت لأصحابى : امضوا فلست ببارح حتى أنظر ماذا يصير إليه أمرها ، فما لبثت أن ماتت فظننت بها الخير لمكان الرائحة الطيبة فكفنتها فى خرقة ثم نحيتها عن الطريق ودفنتها وأدركت أصحابى فى المتعشى . قال : فوالله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب ، فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عمرا ؟ فقلنا : من عمرو ؟ فقالت : أيكم دفن الحية ؟ قال : فقلت أنا . قالت : أما والله لقد دفنت صواما قواما يؤمن بما أنزل الله عز وجل ، ولقد آمن بنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وسمع صفته فى السماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة . قال : فحمدت الله تعالى ثم قضينا حجنا ، ثم مررت بعمر رضى الله تعالى عنه فأخبرته خبر الحية والمرأة ، فقال : صدقت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه هذا .

وفيه أيضا : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت عند أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه إذ جاءه رجل فقال : ألا أحدثك بعجيب يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى . قال : بينا أنا بفلاة من الأرض لقيت عصابتين قد التفتا ثم افترقتا . قال : فجئت معتركهما فإذا من الحيات شىء ما رأيت مثله قط ، وإذا ريح المسك أجده من حية منها صفراء دقيقة فظننت أن تلك الرائحة لخير فيها ، فأخذتها ولففتها فى عمامتى ثم دفنتها ، فبينما أنا أمشى إذا أنا بمناد ينادى : هداك الله إن هذين حيان من الجن كان بينهما قتال فاستشهدت الحية التى دفنتها ، وهو من الذين استمعوا الوحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيه أيضا : أن فاطمة بنت النعمان النجارية قالت : قد كان لى تابع من الجن فكان إذا جاء اقتحم البيت الذى أنا فيه اقتحاما ، فجاءنى يوما فوقف على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع ، فقلت : ما بالك لم تصنع ما كنت تصنع صنيعك قبل ؟ فقال : إنه قد بعث اليوم نبى يحرم الزنا .

وروى البيهقى فى دلائله عن الحسن : أن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن والإنس ، فسئل عن قتال الجن ؟ فقال : أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر أستقى منها فرأيت الشيطان فى صورته فصارعنى فصرعته ، ثم

جعلت أدمى أنفه بفهر كان معى أو حجر ، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه « إن عمارا لقى الشيطان عند البئر فقاتله ، فلما رجعت سألنى فأخبرته الأمر ، فكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : إن عمار بن ياسر أجاره الله من الشيطان على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم » وقد أشار إليه البخارى فيما رواه عن إبراهيم النخعى قال : ذهب علقمة إلى الشأم فلما دخل المسجد قال : اللهم يسر لى جليسا صالحا ، فجلس إلى أبى الدرداء ، فقال أبو الدرداء : ممن أنت ؟ قال : من أهل الكوفة . قال : أوليس فيكم أو منكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره ؟ يعنى حذيفة . قلت : بلى . قال : أو ليس فيكم أو منكم الذى أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؟ يعنى عمارا. قلت : بلى. قال : أو ليس فيكم أو منكم صاحب السواك والوساد ؟ قلت : بلى . قال : كيف كان عبد الله يقرأ - والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى - ؟ قلت : والذكر والأنثى » وذكر الحديث .

وروى أبو بكر فى رباعياته والقاضى أبو يعلى عن عبد الله بن حسين المصيصى قال : دخلت طرسوس ، فقيل لى : هاهنا امرأة يقال لها نهوس رأت الجن الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيتها فإذا هى امرأة مستلقية على قفاها . فقلت : أرأيت أحدا من الجن الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، حدثنى سمحج وسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله قال « قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل خلق السموات والأرض؟ قال : على حوت من نور يتلجلج فى النور » قالت : قال تعنى سمحج ، وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول « ما من مريض يقرأ عنده سورة يس إلا مات ريان ، ودخل قبره ريان ، وحشر يوم القيامة ريان » .

وأغرب من هذا ما فى أسد الغابة تبعا لأبى موسى بإسنادهما عن مالك بن دينار عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من جبال مكة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مشية جنى ونغمته ؟ قال : أجل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من أى الجن ؟ قال : أنا هامة بن الهيم ، أو ابن هيم ، ابن لاقيس بن إبليس ، فقال : لا أرى بينك وبينه إلا أبوين . قال : أجل . قال : كم أتى عليك ؟ قال : أكلت الدنيا إلا أقلها ، كنت ليالى قتل قابيل هابيل غلاما ابن أعوام فكنت أتشوف على الآكام وأوثرش بين الأنام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس العمل ، فقال : يا رسول الله دعنى من العتب ، فإنى ممن آمن بنوح وتبت على يديه ، وإنى عاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى ، وقال : إنى والله لمن النادمين ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، ولقيت هودا وآمنت به ، ولقيت إبراهيم وكنت معه فى النار إذ ألقى فيها ، وكنت مع يوسف إذ ألقى فى الجب فسبقته إلى قعره ، ولقيت شعيبا وموسى ، ولقيت عيسى ابن مريم فقال لى :

إن لقيت محمدا فاقرأه منى السلام ، وقد بلغت رسالته وآمنت بك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم . على عيسى وعليك السلام ، ما حاجتك يا هامة ؟ قال : إن موسى علمنى التوراة وعيسى علمنى الإنجيل فعلمنى القرآن فعلمه » وفى رواية « أنه صلى الله عليه وسلم علمه عشر سور من القرآن وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه إلينا فلا نراه والله أعلم إلا حيا » وفيه أيضا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال ذات يوم لابن عباس : حدثنى بحديث تعجبنى به . قال : حدثنى أبو خزيم بن فاتك الأسدى أنه خرج يوما فى الجاهلية فى طلب إبل له قد ضلت فأصابها فى أبرق العزاف ، وسمى بذلك لأنه يسمع فيه عزيف الجن . قال : فعقلتها وتوسدت ذراع بكرة منها ثم قلت : أعوذ بعظيم هذا المكان ، وفى رواية : بكبير هذا الوادى ، وإذا بهاتف يهتف بى ويقول :

ويحك عذبا لله ذى الجلال منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال ماهول ذا الجنى من الأهوال

فقلت :

يا أيها الداعى فما تخيل أرشد عندك أم تضليل ؟

فقال : هذا رسول الله ذو الخيرات جاء بياسين وحاميمات
وسور بعد مفصلات يدعو إلى الجنة والنجاة
يأمر بالصوم وبالصلاة ويزجر الناس عن الهنات

قال : فقلت من أنت أيها الهاتف يرحمك الله ؟ قال : أنا مالك بن مالك بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جن أهل نجد . قال : فقلت لو كان لى من يكفينى إبلى هذه لأتيته حتى أؤمن به ، فقال : إن أردت الإسلام فأنا أكفيكها حتى أردها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى . قال : فامتطيت راحلتى وقصدت المدينة فقدمتها فى يوم جمعة ، فأتيت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فأنخت راحلتى بباب المسجد وقلت ألبث حتى يفرغ من خطبته ، فإذا أبو ذر قد خرج فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسلنى إليك وهو يقول لك : مرحبا بك قد بلغنى إسلامك فادخل فصل مع الناس . قال : فتطهرت ودخلت فصليت ، ثم دعانى وقال : ما فعل الشيخ الذى ضمن أن يرد إبلك إلى أهلك أما إنه قد ردها إلى أهلك سالمة ؟ فقلت : جزاه الله خيرا رحمه الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل رحمه الله فأسلم وحسن إسلامه .

وفى مسند الدارمى عن الشعبى قال : قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه « لقى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الجن صارعه فصرعه الإنسى : فقال له الإنسى : إنى أراك ضليلا شخيتا كأن ذراعيك ذراعا كلب ، فكذلك أنتم معشر الجن

أم أنت من بينهم كذلك ؟ قال : لا والله إنى من بينهم لضليع ، ولكن عاودنى الثانية فإن صرعتنى علمتك شيئا ينفعك . قال : نعم ، فعاوده فصرعه فقال له أتقرأ : — الله لا إله إلا هو الحى القيوم ؟ — قال : نعم. قال : فإنك لاتقرؤها فى بيت إلا خرج منه الشيطان له حيح كحيح الحمار ثم لايدخله حتى يصبح . قال الدارمى : الضئيل ؛ الدقيق . والشخيت ؛ المهزول . والضليع : جيد الأضلاع . والحيح : الريح . وقال أبو عبيدة : الحيح الضراط ، وسيأتى فى باب الغين المعجمة فى لفظ الغول حديث أبى هريرة وحديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنهما فى ذلك إن شاء الله تعالى .

(مسئلة) يصح انعقاد الجمعة بأربعين مكلفا سواء كانوا من الجن أو من الإنس أو منهما قاله القمولى ، لكن نقل الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبرى فى مناقب الشافعى رضى الله تعالى عنه التى ألفها عن الربيع أنه قال : سمعت الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول : من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن ردت شهادته وعزر لمخالفته لقوله تعالى — إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم — إلا أن يكون الزاعم نبيا . ونظير هذا قول الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى فى [الفتاوى] من منع التفضيل بين الأنبياء يعزر لمخالفته القرآن . ويحمل قول الشافعى رحمه الله على من ادعى رؤيتهم على ما خلقوا عليه ، ويحمل كلام القمولى على ما إذا تصوروا فى صورة بنى آدم كما تقدم قريبا .

واعلم أن المشهور أن جميع الجن من ذرية إبليس ، وبذلك يستدل على أنه ليس من الملائكة لأن الملائكة لا يتناسلون لأنهم ليس فيهم إناث ، وقيل : الجن جنس وإبليس واحد منهم ، ولا شك أن الجن ذريته بنص القرآن ، ومن كفر من الجن يقال له الشيطان ، وفى الحديث « لما أراد الله أن يخلق لإبليس نسلا وزوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته » . ونقل ابن خلكان فى تاريخه فى ترجمة الشعبى واسمه عامر أنه قال : إنى لقاعد يوما إذ أقبل جمال ومعه دن فوضعه ، ثم جاءنى فقال : أنت الشعبى ؟ فقلت : نعم . قال : أخبرنى هل لإبليس زوجة ؟ فقلت : إن ذلك العرس ما شهدته . قال : ثم ذكرت قوله تعالى — أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى — فقلت : إنه لا تكون ذرية إلا من زوجة ؟ فقلت : نعم ، فأخذ دنه وانطلق . قال : فرأيت أنه مجتاز بى . وروى أن الله تعالى قال لإبليس : « لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلها فليس من ولد آدم أحد إلا وله شيطان قد قرن به » وقيل : إن الشياطين فيهم الذكور والإناث فيتوالدون من ذلك . وأما إبليس فإن الله تعالى خلق له فى فخذه اليمنى ذكرا وفى اليسرى فرجا فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة .

وذكر مجاهد : أن من ذرية إبليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة

والهفاف وهو صاحب الصحارى ومرة وبه يكنى ، وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة ، وبثر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب ، والأبيض وهو الذى يوسوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى إحليل الرجل وعجز المرأة ، وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله تعالى دخل معه ووسوس له فألقى الشر بينه وبين أهله ، فإن أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه ، فإذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله ورأى شيئا يكرهه وخاصم أهله فليقل داسم داسم أعوذ بالله منه ، ومطوس وهو صاحب الأخبار يأتى بها فيلقيها فى أفواه الناس ولا يكون لها أصل ولا حقيقة ، والأقنص ، وأمهم طرطبة ، وقال النقاش : بل هى حاضنتهم ، ويقال إنه باض ثلاثين بيضة عشر فى المغرب وعشر فى المشرق وعشر فى وسط الأرض ، وأنه خرج من كل بيضة جنس من الشياطين كالغيلان والعقارب والقطارب والجان وأسماء أخرى مختلفة ، ثم كلهم عدو لبنى آدم لقوله تعالى : — أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو — إلا من آمن منهم . قال النووى رحمه الله : إبليس كنيته أبو مرة .

واختلف العلماء فى أنه هل هو من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن أم ليس من الملائكة وفى اسمه هل هو اسم أعجمى أم عربى ؟ قال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جرير والزجاج وابن الأنبار : كان إبليس من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن وكان اسمه بالعبرانية عزازيل وبالعربية الحارث ، وكان من خزان الجنة ، وكان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فرأى بذلك لنفسه شرفا عظيما وعظمة فذاك الذى دعاه إلى الكبر فعصى وكفر فمسخه الله شيطانا رجيما ملعونا نعوذ بالله من خذلانه ومقته ، ونسأله العافية والسلامة فى الدين والدنيا والآخرة ، ولذلك قيل : إذا كانت خطيئة الإنسان فى كبر فلا ترجه ، وإن كانت خطيئته فى معصية فارجه . قالوا : وقوله تعالى — كان من الجن — أى من طائفة من الملائكة يقال لهم الجن . وقال سعيد بن جبير والحسن البصرى : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . وقال عبد الرحمن ابن زيد وشهر بن حوشب : ما كان من الملائكة قط والاستثناء منقطع . زاد شهر بن حوشب وإنما كان من الجن الذين طفر بهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء . وقال أكثر أهل اللغة والتفسير : إنما سمى إبليس لأنه أبلس من رحمة الله . والصحيح كما قاله الإمام النووى وغيره من الأئمة الأعلام : إنه من الملائكة ، وأن اسمه أعجمى ، وأن الاستثناء متصل لأنه لم ينقل أن غيرهم أمر بالسجود ، والأصل فى الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه

وقال القاضى عياض : الأكثر على أنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر ، والاستثناء من غير الجنس شائع فى كلام العرب قال الله تعالى — مالهم به من علم إلا اتباع الظن — والصحيح المختار ما سبق عن النووى ومن وافقه . وعن محمد بن كعب القرظى أنه قال : الجن مؤمنون والشياطين كفار وأصلهم واحد . وسئل وهب بن منبه عن الجن ماهم وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون ؟ فقال : هم أجناس ، فأما الصميم الخالص من الجن فإنهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون فى الدنيا ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالى والغيلان والقطارب وأشباه ذلك ، وسيأتى فى أبوابها إن شاء الله تعالى.

(فائدة) قال القرافى : اتفق الناس على تكفير إبليس بقصته مع آدم عليه الصلاة والسلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود وإلا لكان كل من أمر بالسجود فامتنع منه كافرا وليس كذلك ، ولا كان كفره لعصيانه وفسوقه وإلا لكان كل عاص وفاسق كافرا ، وقد أشكل ذلك على جماعة من متأخرى الفقهاء فضلا عن غيرهم ، وينبغى أن يعلم أنه إنما كفر لنسبته الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى وظهر فهلك من فحوى قوله — أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين — ومراده على ماقاله الأئمة المحققون من المفسرين وغيرهم أن إلزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم فهذا وجه كفره لعنه الله ، وقد أجمع المسلمون قاطبة على أن من نسب ذلك للحق تعالى كان كافرا . واختلف هل كان قبل إبليس كافر أولا ؟ فقيل : لا ، وإنه أول من كفر . وقيل : كان قبله قوم كفار وهم الجن الذين كانوا فى الأرض انتهى . وقد اختلف أيضا فى كفر إبليس هل كان جهلا أو عنادا على قولين لأهل السنة والجماعة ، ولا خلاف أنه كان عالما بالله تعالى قبل كفره ، فمن قال إنه كفر جهلا قال إنه سلب العلم الذى كان عنده عند كفره ، ومن قال إنه كفر عنادا قال إنه كفر ومعه علمه . قال ابن عطية : والكفر مع بقاء العلم مستبعد إلا أنه عندى جائز لايستحيل مع خذلان الله تعالى لمن يشاء .

وروى البيهقى فى شرح الأسماء الحسنى فى آخر باب قوله تعالى : — وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله — عن عمر بن ذر قال : سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول : لو أراد الله تعالى أن لا يعصى لم يخلق إبليس ، وقد بين ذلك فى آية من كتابه وفصلها علمها من علمها وجهلها من جهلها وهى قوله تعالى : — ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم — ثم روى من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : يا أبا بكر لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس » انتهى . وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد أينام إبليس ؟ فقال : لو نام لوجدنا راحة ، فلا خلاص للمؤمن منه إلا بتقوى الله تعالى . وقال فى [الإحياء] قبيل بيان دواء الصبر : من غفل عن ذكر الله تعالى

ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين إلا الشيطان قال تعالى : — ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين — وقال عليه الصلاة والسلام «إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ» لأن الشاب إذا لم يشغل ظاهره بمباح يستعين به على دينه عشش الشيطان فى قلبه وباض وفرخ ثم تزوج أفراخه أيضا وبيض وفرخ مرة أخرى ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار ، والنار إذا وجدت الحلفاء اليابسة كثر توالدها فلا تزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة ، فالشهوة فى نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار ولذلك قال الحسين الحلاج : هى نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

(فائدة) ذكر بعض العلماء العاملين أن الله تعالى افترض على خلقه فريضتين فى آية واحدة والخلق عنها غافلون ، فقيل له وما هى ؟ فقال : قال الجليل جل جلاله — إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا — فهذا أمر منه سبحانه لنا بأن نتخذه عدوا ، فقيل له كيف نتخذه عدوا ونتخلص منه ؟ فقال : اعلم أن الله تعالى جعل لكل مؤمن سبعة حصون : فالحصن الأول من ذهب وهو معرفة الله تعالى ، وحوله حصن من فضة وهو الإيمان به تعالى ، وحوله حصن من حديد وهو التوكل عليه جل وعلا ، وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضا عنه عز شأنه ، وحوله حصن من فخار وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بهما ، وحوله حصن من زمرد هو الصدق والإخلاص له تعالى ، وحوله حصن من لؤلؤ رطب وهو أدب النفس فالمؤمن من داخل هذه الحصون وإبليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب والمؤمن لا يبالى به لأنه قد تحصن بهذه الحصون ، فينبغى للمؤمن أن لا يترك أدب النفس فى جميع أحواله ويتهاون به فى كل ما يأتى ، فإن من ترك أدب النفس وتهاون به فإنه يأتيه الخذلان لتركه حسن الأدب مع الله تعالى ، ولا يزال إبليس يعالجه ويطمع فيه ويأتيه حتى يأخذ منه جميع الحصون ويرده إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك انتهى .

وما ذكره من الفريضتين فى الآية قد يشكل فيقال ليس فيها إلا فريضة واحدة وهى قوله تعالى — فاتخذوه عدوا — إذ الأمر يقتضى الوجوب عند عدم قرينة تدل على خلافه ، وقد سألت الإمام اليافعى رحمه الله عن الفريضة الثانية أين هى من الآية ؟ فأجاب قدس الله روحه : بأن فيها فريضة علمية فالأولى العلم بكونه عدوا ، والثانية العمل فى اتخاذ العداوة له انتهى .

وأما ما تقدم من ذكر الحصون فهو فى نهاية الحسن والتحقيق ، لكن قد يستولى الشيطان على بعض الحصون المذكورة دون بعض فيرد العبد إلى الفسق دون الكفر فيستحق النار من غير تخليد ، وقد لا يرده إلى الفسق ولكن يرده إلى ضعف الإيمان فلا يستحق النار ولكن يستحق النزول عن رتبة أهل الإيمان الكامل ، وكل هذا التفاوت بسبب تفاوت الحصون المذكورة إذ ليس أخذ حصن المعرفة والإيمان كأخذ بقية الحصون المذكورة ، وبقية الحصون

تتفاوت أيضا فليس أخذ حصن الصدق والإخلاص كأخذ حصن الأمر والنهى ، وكذلك سائر الحصون ، والكلام فى ذلك يطول ، ولكن مهما بقى حصن الإيمان وحصن التوكل كاملين للعبد لم يقدر عليه الشيطان لقوله تعالى – إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون – وهؤلاء المتصفون بالعبودية الكاملة لقوله تعالى – إن عبادى ليس لك عليهم سلطان – وهم المؤمنون حقا لقوله تعالى – إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون – ثم قال فى آخر وصفهم – أولئك هم المؤمنون حقا – وقد يكون أخذ حصن واحد مؤديا إلى الكفر وموجبا للتخليد فى النار كحصن الإيمان بالله نعوذ بالله من ذلك ، ولكن لا يقدر على أخذ حصن الإيمان حتى يأخذ الحصون التى حوله ، نسأل الله الكريم الهدى والسلامة من الزيغ والردى .

واعلم أن أول الواجبات المعرفة ، وقال الأستاذ : النظر ، وقال ابن فورك وإمام الحرمين : القصد إلى النظر ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا [الجوهر الفريد فى علم التوحيد] وما قاله فى ذلك علماء الشريعة ومشايخ الصوفية رحمهم الله تعالى فليراجع ذلك فى الجزء السابع من الكتاب المذكور وبالله التوفيق .

واختلفوا هل بعث الله تعالى من الجن إليهم رسلا قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الضحاك : كان منهم رسل لظاهر قوله تعالى – يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم – وقال المحققون : لم يرسل إليهم منهم رسول ولم يكن ذلك فى الجن قط وإنما الرسل من الإنس خاصة وهذا هو الصحيح المشهور ، وأما الجن ففيهم النذر ، وأما الآية فمعناها من أحد الفريقين كقوله تعالى – يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان – وإنما يخرجان من الملح دون العذب . وقال منذر بن سعيد البلوطى : قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : إن الذين لقوا النبى صلى الله عليه وسلم من الجن كانوا رسلا إلى قومهم . وقال مجاهد : النذر من الجن والرسل من الإنس ، ولا شك أن الجن مكلفون فى الأمم الماضية كما هم مكلفون فى هذه الأمة لقوله تعالى – أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين – وقوله تعالى – وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون – قيل : المراد مؤمنو الفريقين ، فما خلق أهل الطاعة منهم إلا لعبادته وما خلق الأشقياء إلا للشقاوة ، ولا مانع من إطلاق وإرادة الخاص ، وقيل معناه إلا لآمرهم بعبادتى وأدعوهم إليهم : وقيل إلا ليوحدون . فإن قيل : لم اقتصر على الفريقين ولم يذكر الملائكة؟ فالجواب إن ذلك لكثرة من كفر من الفريقين بخلاف الملائكة فإن الله قد عصمهم كما تقدم . فإن قيل : لم قدم الجن على الإنس فى هذه الآية ؟ فالجواب أن لفظ الإنس أخف لكان النون الخفيفة والسين المهموسة ، فكان الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وراحته .

(فرع) كان الشيخ عماد الدين بن يونس رحمه الله يجعل من موانع النكاح اختلاف الجنس. ويقول : لايجوز للإنسى أن يتزوج جنية لقوله تعالى - والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا - وقال تعالى - ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة - فالمودة : الجماع . والرحمة : الولد . ونص على منعه جماعة من أئمة الحنابلة . وفى الفتاوى السراجية لايجوز ذلك لاختلاف الجنس ، وفى القنية : سئل الحسن البصرى عنه فقال يجوز بحضرة شاهدين . وفى مسائل ابن حرب عن الحسن وقتادة أنهما كرها ذلك . ثم روى بسند فيه ابن لهيعة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح الجن . وعن زيد العمى أنه كان يقول : اللهم ارزقنى جنية أتزوج بها تصاحبنى حيثما كنت . وروى ابن عدى فى ترجمة نعيم ابن سالم بن قنبر مولى على بن أبى طالب رضى الله عنه عن الطحاوى قال : حدثنا يونس ابن عبد الأعلى قال : قدم علينا نعيم بن سالم مصر فسمعته يقول : تزوجت امرأة من الجن فلم أرجع إليه . وروى فى ترجمة سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحد أبوى بلقيس كان جنيا » وقال الشيخ نجم الدين القمولى : وفى المنع من التزوج نظر لأن التكليف يعم الفريقين . قال : وقد رأيت شيخا كبيرا صالحاً أخبرنى أنه تزوج جنية انتهى . قلت : وقد رأيت أنا رجلا من أهل القرآن والعلم أخبرنى أنه تزوج أربعا من الجن واحدة بعد واحدة لكن يبقى النظر فى حكم طلاقها ولعانها والإيلاء منها وعدتها ونفقتها وكسوتها والجمع بينها وبين أربع سواها وما يتعلق بذلك ، وكل هذا فيه نظر لايخفى . قال شيخ الإسلام شمس الدين الذهبى رحمه الله تعالى : رأيت بخط الشيخ فتح الدين اليعمرى ، وحدثنى عنه عثمان المقاتلى : سمعت الشيخ أبا الفتح القشيرى يقول : سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول : وقد سئل عن ابن عربى فقال : شيخ سوء كذاب ، فقيل له وكذاب أيضا ، قال نعم . تذاكرنا يوما نكاح الجن فقال : الجن روح لطيف والإنس جسم كثيف فكيف يجتمعان ؟ ثم غاب عنا مدة وجاء فى رأسه شجة ، فقيل له فى ذلك فقال : تزوجت امرأة من الجن فحصل بينى وبينها شىء فشجتنى هذه الشجة . قال الشيخ الذهبى بعد ذلك : وما أظن ابن عربى تعمد هذه الكذبة ، وإنما هى من خرافات الرياضة .

(فرع) روى أبو عبيدة فى كتاب [الأموال] والبيهقى عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبائح الجن . قال : وذبائح الجن أن يشترى الرجل الدار أو يستخرج للعين أو ما أشبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة ، وكانوا فى الجاهلية يقولون : إذا فعل ذلك لم يضر أهلها الجن ، فأبطل صلى الله عليه وسلم ذلك ونهى عنه .

[تتمة] فى كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله سره ، أنه جاءه بعض

أهل بغداد وذكر أن له بنتا اختطفت من سطح داره وهى بكر ، فقال له الشيخ : اذهب هذه الليلة إلى خراب الكرخ واجلس عند التل الخامس وخط عليك دائرة فى الأرض ، وقل وأنت تخطها : بسم الله على نية عبد القادر ، فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف من الجن على صور شتى فلا يروعك منظرهم ، فإذا كان السحر مر بك ملكهم فى جحفل منهم ، فيسألك عن حاجتك ، فقل : قد بعثنى إليك عبد القادر واذكر له شأن ابنتك . قال : فذهبت وفعلت ماأمرنى به الشيخ ، فمر بى صرر مزعجة المنظر ولم يقدر أحد منهم على الدنو من الدائرة التى أنا فيها وما زالوا يمرون زمراً زمراً إلى أن جاء ملكهم راكبا فرسا وبين يديه أمم منهم ، فوقف بإزاء الدائرة وقال : ياإنسى ماحاجتك ؟ قال : قلت قد بعثنى إليك الشيخ عبد القادر ، فنزل عن فرسه وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه ثم قال لى : ماشأنك ؟ فذكرت له قصة ابنتى ، فقال لمن حوله على بمن فعل هذا ، فأتى بمارد ومعه ابنتى فقيل له إن هذا مارد من مردة الصين ، فقال له : ماحملك على أن اختطفت من تحت ركاب القطب؟ فقال : إنها وقعت فى نفسى ، فأمر به فضرب عنقه وأعطانى ابنتى فقلت : مارأيت كالليلة فى امتثالك أمر الشيخ عبد القادر ! قال : نعم ، إنه لينظر من داره إلى مردة الجن وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيبته ، وإن الله تعالى إذا أقام قطبا سكنه من الجن والإنس .

وروى عن أبى القاسم الجنيد أنه قال : سمعت سريا السقطى رحمه الله يقول : كنت يوماً ماراً فى البادية فآوانى الليل إلى جبل لا أنيس فيه ، فبينما أنا فى جوف الليل نادانى منادفقال : لا تدور القلوب فى الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب ، فعجبت وقلت : أجنى ينادى أم إنسى ؟ فقال : بل جنى مؤمن بالله سبحانه ومعى إخوانى ، فقلت : وهل عندهم ما عندك ؟ قال : نعم ، وزيادة . قال : فنادانى الثانى منهم ، فقال : لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الفكرة . قال : فقلت فى نفسى : ما أنفع كلام هؤلاء . فنادانى الثالث فقال : من أنس به فى الظلام نشرت له غدا الأعلام . قال : فصعقت ، فلما أفقت إذا أنا بنرجسة على صدرى فشممتها فذهب عنى ما كان بى من الوحشة واعترانى الأنس ، فقلت : وصية رحمكم الله ، فقالوا أبى الله أن يحيا بذكره ويأنس به إلا قلوب المتقين ، فمن طمع فى غير ذلك فقد طمع فى غير مطمع وفقنا الله وإياك ، ثم ودعونى ومضوا ، وقد أتى على حين وأنا أرى برد كلامهم فى خاطرى .

وفى [كفاية المعتقد ونكاية المنتقد] لشيخنا اليافعى عن السرى أيضا أنه قال : كنت أطلب رجلا صديقا مدة من الأوقات ، فمررت يوما فى بعض الجبال فإذا أنا بجماعة زمنى وعميان ومرضى ، فسألت عن حالهم فقالوا : ههنا رجل يخرج فى السنة مرة فيدعو لهم

فيجدون الشفاء . قال : فمكثت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء ، فقفوت أثره فأدركته وتعلقت به وقلت له : بى علة باطنة فما دواؤها ؟ فقال : ياسرى خل عنى فإنه غيور ، وإياك أن يراك تأنس إلى غيره فتسقط من عينه ، ثم تركنى وذهب .

وفى كتاب [التوحيد] للإمام محمد بن أبى بكر الرازى عن الجنيد أنه قال : كنت أسمع السرى يقول : يبلغ العبد من الهيبة والأنس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به . قال : وكان فى نفسى منه شىء حتى بان لى أن الأمر كذلك انتهى .

قلت : وذلك لأن الهيبة والأنس فوق القبض كالبسط ، والقبض والبسط فوق الخوف والرجاء ، فالهيبة مقتضاها الغيبة والدهش ، فكل هائب غائب حتى لو قطع قطعا لم يحضر من غيبته إلا بزوال الهيبة عنه ، والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة ، ثم إنهم يتفاوتون فى الهيبة والأنس ، فأدنى مرتبة فى الأنس أنه لو ألقى فى لظى ما تكدر أنسه لأنه لا يشهد إلا هو ولا يعرف إلا هو ، ألا ترى إلى قول السرى رحمه الله : يبلغ العبد من الهيبة والأنس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به . وذلك لأن الأنس يتولد من السرور بالله ، ومن صح له الأنس بالله استوحش مما سواه ، فهو باق بالله فان عن السوى لم ير غيره ولم يشهد لسواه فعلا فلم ير فى الكونين إلا إياه فلا يقع نظره إلا عليه ولا بصره إلا على فعله وخلقه ، لأن العارف عرف الصنعة بالصانع ولم يعرف الصانع بالصنعة فلم ير إلا فعله وخلقه ، ولذلك قال الصديق الأكبر أبو بكر رضى الله تعالى عنه : ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله : وهذا هو المقام الشريف من التوحيد . واعلم أن العبد لا يذوق حلاوة الأنس بالله تعالى إلا إذا قطع العلائق ورفض الخلائق وغاص فى الدقائق مطلعا على الحقائق — ولا ينبئك مثل خبير — واعلم أن حالتى الهيبة والأنس وإن جلتا فأهل الحقيقة يعدونهما نقصا لتضمنهما تغير العبد ، فإن أهل التوحيد المتمكنين سمت أحوالهم عن التغير فلهم كمال فى المحو ووجود فى العين ولا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس ، وارتقاؤهم عن هذا المقام بالجود والقبض الإلهى ، فسبحان من خص برحمته من شاء من عباده . وقال السرى رحمه الله : صحبت رجلا يقال له الوالد سنة لم أسأله عن مسئلة ، فقلت له يوما : ما المعرفة التى ليس فوقها معرفة ؟ فقال : أن تجد الله أقرب إليك من كل شىء وأن ينمحى عن سرائرك وظواهرك كل شىء غيره . فقلت له : بأى شىء أصل إلى هذا ؟ فقال : بزهدك فيك ورغبتك فيه سبحانه وتعالى . قال : فكان كلامه سبب انتفاعى بهذا الأمر .

توفى السرى لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وقيل غير ذلك والله أعلم بالصواب .

(الخواص) لاتدخل الجن بيتا فيه الأترج ، روينا عن الإمام أبى الحسن على بن الحسن

ابن الحسن بن محمد الخلعى نسبة إلى بيع الخلع ، وهو من أصحاب الشافعى وقبره معروف بالقرافة والدعاء عنده مستجاب ، وكان يقال له قاضى الجن : أنه أخبر أنهم كانوا يأتون إليه ويقرءون عليه وأنهم أبطئوا عنه جمعة ثم أتوه فسألهم عن ذلك فقالوا : كان فى بيتك شىء من الأترج وإنا لا ندخل بيتا هو فيه . قال الحافظ أبو طاهر السلفى : وكان الخلعى إذا سمع عليه الحديث يختم مجلسه بهذا الدعاء « اللهم ما منحت به فتممه ، وما أنعمت به فلا تسلبه ، وما سترته فلا تهتكه ، وما علمته فاغفره » توفى فى شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

قلت : ولهذا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم المثل للمؤمن الذى يقرأ القرآن بالأترجة لأن الشيطان يهرب عن قلب المؤمن القارئ للقرآن كما يهرب عن مكان فيه الأترج ، فناسب ضرب المثل به بخلاف سائر الفواكه . وفى المستدرك فى تراجم الصحابة من حديث أحمد ابن حنبل عن عبد القدوس بن بكير بإسناده إلى مسلم بن صبيح قال « دخلت على عائشة رضى الله تعالى عنها وعندها رجل مكفوف وهى تقطع له الأترج وتطعمه إياه بالعسل فقالت : هذا ابن أم مكتوم الذى عاتب الله فيه نبيه صلى الله عليه وسلم مازال هذا من آل محمد » .

قلت : وفى تخصيصه بالأترج والعسل مالا يخفى على متأمل ، وفى معجم الطبرانى عن حبيب بن عبد الله عن أبى كبشة عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر والأترج » وسيأتى فى باب الفاء حديث سليمان بن موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الجن لا يدخلون دارا فيها فرس عتيق » .

(التعبير) الجن فى المنام : دهاة الناس أصحاب مكر وحيل لما كانوا يصنعون لسليمان عليه الصلاة والسلام من المحاريب والتماثيل ، فمن عالج أحداً من الجن فى المنام فإنه ينازع قوما أصحاب مكر وحيل ، ومن رأى أنه يعلم الجن القرآن فإنه ينال رياسة وولاية لقوله تعالى : ـ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ـ والجن فى الرؤيا بمنزلة اللصوص فمن دخلت الجن داره فليحذر اللصوص ، والجنون فى المنام على وجوه : فمن رأى أنه قد جن فإنه ينال غنى كما قال الشاعر :

جن له الدهر فنال الغنى يا ويحه إن عقل الدهر

وقيل الجنون دال على أكل الربا لقوله تعالى : ـــ الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ـــ وربما دل على دخول الجنة لقوله عليه الصلاة والسلام « اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البله والمجانين » فأنسب الجنون إلى الرائى بما يليق به ، وإن رأت امرأة أنها قد جنت وعولجت بالرقى فإنها تحمل بولد يكون له دهن فيكون الجنون جنينا تحمل به ، والله تعالى أعلم .

﴿ جنان البيوت ﴾ : بجيم مكسورة ونون مفتوحة مشددة ، وهى الحيات جمع جان وهى الحية الصغيرة ، وقيل الدقيقة الخفيفة ، وقيل الدقيقة البيضاء . روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أبى لبابة رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الجنان التى فى البيوت إلا الأبتر وذا الطفيتين فإنهما اللذان يخطفان البصر ويطرحان أولاد النساء » والطفيتان بضم الطاء : الخطان الأبيضان على ظهر الحية ، والأبتر : قصير الذنب . وقال النضر بن شميل : هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما فى بطنها . وفى كتاب [الحشرات] قال ابن خالويه سمعت ابن عرفة يقول : الجنان حيات إذا مشت رفعت رءوسها عند المشى وأنشد يقول :

رفعن بالليل إذا ما أسدفا أعناق جنان وهاما رجفا

﴿ الجند بادستر ﴾ : حيوان كهيئة الكلب ليس ككلب الماء ويسمى القندر ، وسيأتى فى باب القاف ، ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها ، ويسمى السمور أيضا ، وهو على هيئة الثعلب أحمر اللون ليس له يدان وله رجلان وذنب طويل ورأس كرأس الإنسان ووجه مدور ، وهو يمشى متكفيا على صدره كأنه يمشى على أربع ، وله أربع خصيات اثنتان ظاهرتان واثنتان باطنتان ، ومن شأنه أنه إذا رأى الصيادين له لأخذ الجند بادستر وهو الموجود فى خصيتيه البارزتين هرب فإذا جدوا فى طلبه قطعهما بفيه ورمى بهما إليهم إذ لا حاجة لهم إلا بهما ، فإذا لم يبصرهما الصيادون وداموا فى طلبه استلقى على ظهره حتى يريهم الدم فيعلمون أنه قطعهما فينصرفون عنه وهو إذا قطع الظاهرتين أبرز الباطنتين عوضا عنهما ، وفى باطن الخصية شبه الدم أو العسل زهم الرائحة سريع التفرك إذا جف ، وهذا الحيوان يهرب إلى الماء ويمكث فيه زمانا حابسا نفسه ثم يخرج ، وهو حيوان يصلح أن يحيا فى الماء وخارج الماء ، وأكثر أوقاته فى الماء ويتغذى فيه بالسمك والسرطان ، وخصاه تنفع من نهش الهوام وتصلح لأشياء كثيرة ، وهو دواء محمود يسخن الأعضاء الباردة ويجفف الرطبة وليس له مضرة أصلا فى شىء من الأعضاء ، وله خاصية فى جميع العلل الباردة الرطبة التى تحدث فى الرئة وفى الدماغ ، وينفع من الصمم البارد ولا شىء أنفع للريح فى الأذن منه ، وينفع من لدغ العقرب إذا طلى به موضعها ، وإذا طلى به الرأس مدافا بأحد الأدهان نفع المصروعين ، وينفع من الفالج واسترخاء الأعضاء والنقرس البارد منفعة عظيمة ؛ وإذا شرب كان ترياقا للسموم الباردة كلها حيوانية ونباتية لاسيما الأفيون ، وهو يلطف الأخلاط ويذهب البلغم حيث كان ، وينفع الخفقان المتولد من أسباب باردة ، وجلده غليظ الشعر يصلح لبسه للمشايخ والمبرودين ، ولحمه نافع للمفلوجين وأصحاب الرطوبات ، وإذا شرب الإنسان من الجندبادستر الأسود وزن درهم هلك بعد يوم .

﴿ الجنين ﴾ : هو ما يوجد فى بطن البهيمة بعد ذبحها ، فإن وجده ميتا بعد ذبحها فهو حلال بإجماع الصحابة كما نقله الماوردى فى الحاوى ، وبه قال مالك والأوزاعى والثورى وأبو يوسف ومحمد وإسحاق والإمام أحمد ، وتفرد أبو حنيفة بتحريم أكله محتجابقوله تعالى — حرمت عليكم الميتة والدم — وبقوله صلى الله عليه وسلم « أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » وهذه ميتة ثالثة لم تذكر ،ودليل الجمهور — أحلت لكم بهيمة الأنعام — قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم : بهيمة الأنعام أجنتها توجد ميتة فى بطن الأم يحل أكلها بذكاة الأمهات ، وهو من أحكام هذه السورة ، وفيه بعد لأن الله تعالى قال — إلا ما يتلى عليكم — وليس فى الأجنة ما يستثنى ، وقد تقدم ذلك فى باب الباء الموحدة .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذكاة الجنين ذكاة أمه » فجعل إحدى الذكاتين نائبة عن الأخرى وقائمة مقامها. فإن قيل : إنما أراد التشبيه دون النيابة فيكون المعنى ذكاة الجنين كذكاة أمه لأنه قدم الجنين على الأم فصار تشبيها بالأم ، ولو أراد النيابة لقدم الأم على الجنين فقال ذكاة الأم ذكاة الجنين . فالجواب من ثلاثة أوجه ذكرها الماوردى : أحدها أن اسم الجنين إنما يطلق عليه ما دام مستجنا فى بطن أمه ، فأما إذا انفصل فإن الاسم يزول عنه ويسمى ولدا قال الله تعالى — وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم — وهو فى بطن الأم لا يقدر عليه فوجب حمله على النيابة دون التشبيه . الثانى : أنه لو أراد التشبيه دون النيابة لساوى الأم غيرها ولم يكن لخصوصية التشبيه بالأم فائدة . الثالث : أنه لو أراد التشبيه لنصب ذكاة الأم بحذف كاف التشبيه ، والروايتان إنما هما برفع ذكاة أمه فثبت أنه أراد النيابة دون التشبيه . فإن قيل : فقد روى ذكاة أمه بالنصب ومعناها كذكاة أمه . فالجواب : أن هذه الرواية غير صحيحة ،ولو سلمت كانت محمولة على نصبها بحذف الباء الموحدة دون الكاف ويكون معناه ذكاة الجنين بذكاة أمه ،ولو احتمل الأمرين لكانتا مستعملتين فتستعمل الرواية المرفوعة فى النيابة إذا خرج ميتا والرواية المنصوبة فى التشبيه إذا خرج حيا ، فيكون أولى من استعمال إحدى الروايتين وترك الأخرى ، ويدل عليه أيضاً نص لا يحتمل التأويل وهو ما رواه أبو سعيد الخدرى قال : قلت : « يا رسول الله إنا ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة وفى بطونها الجنين أنلقيه أم نأكله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : كلوه إن شئتم ، فان ذكاة الجنين ذكاة أمه » واستدل الشيخ أبو محمد كما قال الرافعى بأنه لو لم يحل الجنين بذكاة الأم لما جاز ذبح الأم مع ظهور الحمل كما لو لم تقتل الحامل قصاصا ولا حداً فيلزم عليه ذبح رمكة فى بطنها بغلة فمنع ذبحها ، والرمكة : أنثى الخيل كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى وهى مأكولة والبغل لا يؤكل ، إذا ثبت هذا فاعلم أن للجنين ثلاثة أحوال ذكرها الماوردى : أحدها أن يكون كاملا كما سبق . ثانيها : أن يكون علقة فهذا غير

مأكول لأن العلقة دم ، ثالثها : أن يكون مضغة قد انعقد لحمه ولم تبن صورته ولم تتشكل أعضاؤه ، ففى إباحة أكله وجهان من اختلاف قوليه فى وجوب الغرة كونها أم ولد . قال الماوردى: وقال بعض أصحابنا : إذا نفخ فيه الروح لم يؤكل وإلا أكل وهذا مما لا سبيل إلى إدراكه ، ولو خرج الجنين وبه حياة مستقرة اشترط ذبحه، أو غير مستقرة حل بغير ذكاة، ولو خرج رأسه ثم ذكيت الأم ، قال القاضى والبغوى :لم يحل إلا بذكاة لأنه مقدور عليه . وقال القفال : يحل لأن خروج بعض الولد كعدم خروجه فى العدة وغيرها. قال فى الروضة : قول القفال أصح والله أعلم .

وذكر ابن خلكان فى تاريخه: أن الإمام صائن الدين أبا بكر القرطبى كان كثيرا ماينشد هذين البيتين متمثلا:

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق فى غشاوته الجنين

وهما لأبى الخير الكاتب الواسطى رحمة الله عليه .

﴿ جهبر ﴾ كجعفر أنثى الدب ، وهى إذا أرادت الولادة استقبلت بنات نعش الصغرى فتسهل ولادتها ، وإذا ولدت يكون ولدها قطعة لحم تخاف عليه من النمل فتنقله من موضع إلى موضع خوفا من النمل ، وربما تركت أولادها وأرضعت ولدا الضبع ، ولهذا قالت العرب : أحمق من جهبر .

﴿ الجواد ﴾ : الفرس الجيد العدل سمى بذلك لأنه يجود بجريه والأنثى جواد أيضاً .

قال الشاعر :

نمتــه جــواد لا يباع جنينها

والجمع جود وجياد كثوب وثياب . وأجياد جبل بمكة سمى بذلك لموضع خيل تبع ويسمى قعيقعان لموضع سلاحه . وروى جعفر الغريانى فى كتابه [فضل الذكر] عن سهل ابن سعد الساعدى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لأن أصلى الصبح ثم أجلس فى مجلسى فأذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس أحب إلىّ من شد على جياد الخيل فى سبيل الله عز وجل» وروى النسائى والحاكم وابن السنى والبخارى فى تاريخه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال : إن رجلا جاء إلى الصلاة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فقال حين انتهى إلى الصف الأول : اللهم آتنى أفضل ما تؤتى عبادك الصالحين ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال « من المتكلم آنفاً ؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: إذن يعقر جوادك وتستشهد فى سبيل الله تعالى » وفى سنن ابن ماجه من حديث عمرو بن عبسة

رضى الله تعالى عنه قال : «أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أى الجهاد أفضل؟ فقال صلى الله عليه وسلم : من أهريق دمه وعقر جواده» .

وفى كتاب [النصائح لابن ظفر] أن أمة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اسمها زائدة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يازائدة إنك لموفقة ، فأتته يوما فقالت : يا رسول الله إنى عجنت عجينا لأهلى ثم ذهبت أحتطب فاحتطبت وأكثرت ، فرأيت فارساً على جواد لم أر قط أحسن منه وجها وملبسا وجوادا ولا أطيب منه ريحا ، فأتانى وسلم علىّ وقال : كيف أنت يا زائدة ؟ قلت : بخير والحمد لله . قال : وكيف محمد ؟ قلت : بخير وينذر الناس بأمر الله . قال : إذا أتيت محمدا فأقرئيه منى السلام ، وقولى له رضوان خازن الجنة يقرئك السلام ويقول لك : ما فرح أحد بمبعثك ما فرحت به ، فإن الله جعل أمتك ثلاث فرق : فرقة يدخلون الجنة بغير حساب ، وفرقة يحاسبون حسابا يسيرا ويدخلون الجنة وفرقة تشفع لهم فتشفع فيهم فيدخلون الجنة . قلت : نعم ، ثم ولى عنى فأخذت فى رفع حطبى فثقل علىّ فالتفت إلىّ وقال : يا زائدة أثقل عليك حطبك ؟ قلت : نعم بأبى وأمى ، فعطف على وغمز الحزمة بقضيب أحمر فى يده فرفعها ، ونظر فإذا هو بصخرة عظيمة فوضع الحزمة بالقضيب عليها وقال : اذهبى يا صخرة بالحطب معها ، فجعلت الصخرة تدهده بين يدىّ بالحطب حتى أتيت فسجد النبى صلى الله عليه وسلم شكراً وحمد الله تعالى على بشرى رضوان ثم قال لأصحابه : قوموا لننظر ، فقاموا وانطلقوا إلى الصخرة فرأوها وعاينوا آثارها» ويقرب من هذه البشرى ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : إن رجلا من أهل اليمن جاء إلى كعب الأحبار فقال له : إن فلانا الحبر اليهودى أرسلنى إليك برسالة ، فقال له كعب : هاتها ، فقال له رجل : إنه يقول لك ألم تكن فينا سيداً شريفاً مطاعا فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة محمد ؟ فقال له كعب : أتراك راجعا إليه ؟ قال : نعم . قال : فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك وقل له : يقول لك كعب : أسألك بالله الذى فلق البحر لموسى ، وأسألك بالله الذى ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم كل شىء ألست تجد فى كلمات الله تعالى أن أمة محمد ثلاثة أثلاث ؟ فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ، وثلث يدخلون الجنة بشفاعة أحمد فإنه سيقول لك نعم ، فقل له : يقول لك كعب : اجعلنى فى أى هذه الأثلاث شئت .

وفى كتاب [خير البشر بخير البشر] لمحمد بن ظفر أيضا قال : روى أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة ، فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه ، فرفع الحجاب عن الوافدين وأوسعهم عطاء واشتد سروره بهم ، فبينما هو على ذلك إذ نام يوما فرأى رؤيا فى المنام أخافته وأذعرته وأهالته فى حال منامه ، فلما انتبه أنسيها حتى لم يذكر

منها شيئا وثبت ارتياعه فى نفسه بها، فانقلب سروره حزنا واحتجب عن الوجود حتى أساء به الوفود الظن ، ثم إنه حشر الكهان فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول له: أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه ؟ فيجيبه الكاهن بأن لاعلم عنده ، حتى لم يدع كاهنا علمه إلا كان إليه منه ذلك ، فتضاعف قلقه وطال أرقه ، وكانت أمه قد تكهنت فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه لأن أتباع الكواهن من الجان ألطف وأظرف من أتباع الكهان ، فأمر بحشر الكواهن إليه وسألهن كما سأل الكهان فلم يجد عند واحدة منهن علماً مما أراد علمه ، ولما يئس من طلبته سلا عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد فأوغل فى طلب الصيد وانفرد عن أصحابه ، فرفعت له أبيات فى ذرى جبل ،وكان قد ألفحه الهجير فعدل إلى الأبيات وقصد بيتا منها كان منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز فقالت له : انزل بالرحب والسعة والأمن والدعة والجفنة المدعدعة والعلبة المترعة ، فنزل عن جواده ودخل البيت ، فلما احتجب عن الشمس وخفقت عليه الأرواح نام فلم يستيقظ حتى تصرم الهجير ، فجلس يمسح عينيه فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها قواما ولا جمالا فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك الهمام، هل لك فى الطعام ؟ فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفته وتصامم عن كلمتها ، فقالت له : لا حذر فداك البشر فجدك الأكبر وحظنا بك الأوفر ، ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وحيسا ، وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبنا صريفا وضريبا فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فملأت عينيه حسنا وقلبه هوى؛ فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمى عفيراء ، فقال لها : يا عفيراء من الذى دعوته بالملك الهمام ؟ قالت : مرشد العظيم الشان، حاشر الكواهن والكهان لمعضلة بعد عنها الجان فقال : يا عفيراء أتعلمين تلك المعضلة ؟ قالت: أجل أيها الملك إنها رؤيا منام ليست بأضغاث أحلام ؛ قال الملك : أصبت يا عفيراء فما تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاصير زوابع بعضها لبعض تابع فيها لهب لامع ولها دخان ساطع ، يقفوها نهر متدافع ، وسمعت فيما أنت سامع دعاء ذى جرس صادع : هلموا إلى المشارع فروى جارع وغرق كارع ،فقال الملك: أجل هذه رؤياى فما تأويلها يا عفيراء ؟ قالت : الأعاصير الزوابع : ملوك تتابع ، والنهر : علم واسع : والداعى : نبى شافع ، والجارع : ولى تابع ، والكارع : عدو منازع ،فقال الملك : يا عفيراء أسلم هذا النبى أم حرب ، فقالت : أقسم برافع السماء، ومغزل الماء من الغماء إنه لمطل الدماء ومنطق العقائل نطق الإماء ، فقال الملك : إلام يدعو يا عفيراء ؟ قالت : إلى صلاة وصيام وصلة أرحام وكسر أصنام وتعطيل أزلام واجتناب آثام ، فقال الملك : يا عفيراء من قومه ؟ قالت : مضر بن نزار ولهم منه نقع مثار ينجلى عن ذبح وآثار، فقال الملك : ياعفيراء إذا ذبح قومه فمن أعضاده؟ فقالت: غطاريف يمانون طائرهم به ميمون يغزيهم

فيغزون ويدمث بهم الحزون وإلى نصره يعتزون ؛ فأطرق الملك يؤامر نفسه فى خطبتها فقالت: أبيت اللعن أيها الملك، إن تابعى غيور ولأمرى صبور وناكحى مثبور والكلف بى ثبور ، فنهض الملك وجال فى صهوة جواده وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كوماء .

قال محمد بن ظفر : أوغل فى طلب الصيد : أى بالغ فى ذلك وأمعن ، والوغول : الدخول فى الشىء بقوة وذرى جبل : بفتح الذال المعجمة الكن ، والمدعدعة هى التى ملئت بقوة ثم حركت حتى تراص مافيها ثم ملئت بعد ذلك ، والعلبة : بضم العين المهملة وإسكان اللام إناء من جلد ، والأرواح : هى الرياح ، وصريفا : اللبن المحض يحدثان الحلاب يصرف عن الضرع إلى الشارب ، وضريبا : اللبن الرائب ، وبعد عنها الجان : أى جبنوا عنها ولم يطيقوها ، وأعاصير زوابع : هى من الرياح مايثير التراب فيعليه فى الجو ويديره ، وساطع : أى مرتفع ، ودعاء ذى جرس صادع : الجرس : الصوت ، والمشارع : والمداخل إلى النهر ، وجارع : أى من سرب جرعا أمن ، وكارع : أى من أمعن غرق ، وتبابع : جمع تبع ، وهذا لقب لملوك اليمن ، وهو من الأتباع لأن بعضهم كان يتبع فى الملك بعضا ، والغماء : هو الغيم والغمام ، ومنطق العقائل : هن الكرائم من النساء : أى يسبيهن فيشددن النطق على أوساطهن كالإماء للمهنة والخدمة ، ونقع مثار : النقع : الغبار يثيره المتحاربون ، والأعضاد : الأنصار ، والغطاريف : السادة ، والتغطرف : التكبر ، ويدمث : أى يسهل ، ويؤامر نفسه : يراد به تعارض الرأيين المتضادين فى النفس ، وجال فى صهوة جواده : جال : أى وثب ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر فرسه . والكوماء : الناقة العظيمة السنام .

ونظير هذا من الرؤيا المنسية وليست من أخبار الكهان وإنما هو خبر نبوى ، رؤيا بختنصر . وذلك أن بختنصر لما غزا بيت المقدس اختار من سبى بنى إسرائيل مائة ألف صبى فكان منهم دانيال عليه السلام ، فرأى بختنصر رؤيا ارتاع لها وحدث له فى المنام ما أنساه ، فسأل الكهان والسحرة والمنجمين عن ذلك فقالوا له : إن أخبرتنا عن رؤياك أخبرناك عن تأويلها ، فقال : إنى قد أنسيتها ، ولئن لم تخبرونى بها لأنزعن أكتافكم ، فخرجوا من عنده مذعورين ، ثم رجع إليه أحدهم فقال له : أيها الملك إن يكن أحد عنده علم بالرؤيا فهو دانيال الغلام الإسرائيلى ، فأحضره وسأله فقال له دانيال : إن لى ربا عنده علم ذلك فأجلنى ، فأجله ثلاثا ، فخرج دانيال فأقبل على الصلاة والدعاء ، فأوحى الله إليه بالرؤيا وبتأويلها ، فأتى إلى بختنصر وقال له : إنك رأيت صنما قدماه وساقاه من فخار ، وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة ، وصدره من ذهب ، وعنقه ورأسه من حديد . قال : صدقت . قال دانيال : فبينما أنت تنظر إليه وتتعجب منه ، إذ أرسل الله عليه صخرة من السماء فهشمته فصار رفاتا ،

ثم عظمت تلك الصخرة حتى ملأت الدنيا فهى التى أنستك الرؤيا . قال : صدقت فما تأويلها؟ قال دانيال : أما الصنم فهو مثل لملوك الدنيا ، وكان بعضهم ألين ملكا من بعض فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه ، ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد ، ثم كان فوقه الفضة وهى أفضل وأحسن ، ثم كان فوقه الذهب وهو أفضل منها وأحسن من ذلك كله ، ثم كان الحديد من فوقه وهو أشد منه ، وهو ملكك فهو أشد ملك وأعز مما كان قبله. وأما الصخرة التى أرسلها الله عليه من السماء : فنبى يبعثه الله فى آخر الزمان فيدق ذلك كله أجمع ، وتمتلئ الدنيا بدينه ويصير الأمر إليه ، ويقيم له ملكا لا يزول أبداً ما بقى الدهر ، فعجب بختنصر مما سمع وأحسن إلى دانيال وقربه وأعلى منزلته .

وذكر ابن خلكان فى ترجمة ابن القرّية واسمه أيوب بن زيد بن القرية بكسر القاف وتشديد الراء المهملة وكسرها وبالياء المثناة تحت ، وكان أعرابيا مقربا عند الحجاج : أن الحجاج بعثه إلى عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندى لما خرج على عبد الملك بن مروان وخلعه ودعا إلى نفسه ، فقال ابن الأشعث : لتقومن خطيبا ولتخلعن ابن مروان ولتسبن الحجاج أو لأضربن عنقك ، ففعل ابن القرية ذلك وأقام عند ابن الأشعث ، فلما قتل ابن الأشعث بدير الجماجم فى الوقعة التى كانت بينه وبين الحجاج جىء بابن القرية إلى الحجاج فسأله عن أشياء ، فمن كلامه فى جواب الحجاج ملخصا : أهل العراق أعلم الناس بحق وباطل ، أهل الحجاز أسرع الناس إلى فتنة وأعجزهم فيها ، أهل الشام أطوع الناس لخلفائهم ، أهل مصر عبيد من غلب ، أهل اليمن أهل طاعة ولزوم جماعة ، أرض الهند بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر ، اليمن أصل العرب وأصل البيوتات والحسب ، مكة وجالها علماء حفاة ونساؤها كساة عراة ، المدينة رسخ العلم فيها وظهر منها ، البصرة شتاؤها جليد وحرها شديد وماؤها ملح وحربها صلح ، الكوفة ارتفعت عن حر البحر وسفلت عن برد الشأم ، واسط جنة بين حماة وكنة . قال : وما حماتها وكنتها ؟ قال : البصرة والكوفة يحسدانها وما يضرها ، ودجلة والفرات يتجاريان بإفاضة الخير عليها ، الشأم عروس بين نسوة جلوس . ثم قال فى أثناء كلامه : لكل جواد كبوة ، ولكل صارم نبوة ، ولكل حليم هفوة . فقال الحجاج : إن العرب تزعم أن لكل شىء آفة . قال : صدقت العرب أصلح الله الأمير ، آفة الحلم الغضب ، وآفة العقل العجب ، وآفة العلم النسيان ، وآفة السخاء المن عند البذل ، وآفة العبادة الفترة ، وآفة الكرام مجاورة اللئام ، وآفة الشجاعة البغى ، وآفة المال سوء التدبير ، وآفة الكامل من الرجال العدم ، قال : فما آفة الحجاج ؟ قال : لا آفة لمن كرم حسبه وطاب نسبه وزكا فرعه ، فقال الحجاج : امتلأت شقاقا وأظهرت نفاقا اضربوا عنقه . فلما رآه قتيلا ندم على قتله ، وكان قتله فى سنة أربع وثمانين .

وقد ذكرت هذه الحكاية بطولها فى كتاب [غاية الأدب فى كلام حكماء العرب] وهو فى ثلاثة مجلدات ، ومن أمثال العرب المشهورة : إن الجواد عينه فراره : أى يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفر أسنانه .

(وحكى) صاحب [ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار] أنه عرض على أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة جواد لم يرمثله فقال لقواده : لماذا يصلح ، هذا الجواد؟ قالوا : للغزو فى سبيل الله قال : لا . قالوا : فيطلب عليه العدو . قال : لا . قالوا : فلماذا يصلح أصلح الله الأمير ؟ قال : ليركبه الرجل ويفر به من المرأة السوء والجار السوء . ومن أحسن أوصاف الخيل الصافنات قال الله تعالى — إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد — قال أهل التفسير : إنها كانت ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام ، وإنما عقرها لأنها كانت سببا فى فوات الصلاة . قال بعض العلماء : لما ترك الخيل لله عوضه الله عنها ما هو خير له منها ، وهى الريح التى كان غدوها شهرا ورواحها شهراً . وروى الإمام أحمد قال : حدثنا إسماعيل قال : حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبى قتادة وأبى الدهماء ، وكانا يكثران السفر نحو هذا البيت قال : أتينا على رجل من أهل البادية ، فقال البدوى : « أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمنى مما علمه الله عز وجل ، فكان من كلامه : إنك لاتدع شيئا اتقاء لله عز وجل إلا أعطاك الله خيرا منه » . وأخرجه النسائى من حديث ابن المبارك عن سليمان بن الحسين ، وأبو الدهماء اسمه قرفة بن بهيس ، وقيل ابن بيهس ، روى له الجماعة إلا البخارى . وقال الثعلبى : كانت بالناس مجاعة ولحوم الخيل لهم حلال ، وإنما عقرها لتؤكل على وجه القربة بها كالهدى عندنا . ونظير هذا ما فعله أبو طلحة الأنصارى بحائطه ، إذ تصدق به لما دخل عليه الدبسى وهو فى الصلاة فشغله .

والصافن : الذى يرفع إحدى يديه ويقف على طرف سنبكة ، وقد يفعل ذلك برجله ، وهى علامة الفراسة كما قال فى حقه العجاج :

ألف الصفون فلا يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسير

وقال بعضهم : الخير فى الآية الخيل ، والعرب تسمى الخيل خيرا ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل « أنت زيد الخير » وكان رضى الله عنه إذا ركب الخيل خطت رجلاه الأرض ، واسمه زيد بن مهلهل بن زيد الطائى ، وكان كثير الخيل لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس أو الفرسان ، وكان له الخيل الكثيرة منها « الهطال والكميت والورد والكامل ولاحق ودموك ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد طيىء سنة تسع فأسلم ، وقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ما وصف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلا رأيتـــه بدون تلك الصفة إلا أنت : فإنك فوق ما قيل لى ، إن فيك

الخصلتين يحبهما الله ورسوله: الأناة والحلم » وفى رواية « الحياء والحلم » فقال : الحمد لله الذى جبلنى على ما يحب الله ورسوله . مات بعد رجوعه من عند النبى صلى الله عليه وسلم محموما عند قومه ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه نعم الفتى إن لم تدركه أم ملدم » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال له « يا زيد الخير تقتلك أم كلبة » يعنى الحمى ، فلما رجع إلى أهله حم ومات رضى الله تعالى عنه .

وقال ابن عباس والزهرى : مسح سليمان صلى الله عليه وسلم بالسوق والأعناق لم يكن بالسيف بل بيده تكريما لها ومحبة ، ورجحه الطبرى . وقال بعضهم : بل غسلها بالماء . وذكر الثعلبى : أن هذا المسح إنما كان وصما بالتحبيس فى سبيل الله تعالى . وجمهور المفسرين على أنها كانت خيلا موروثة . وقال بعضهم : قتلها حتى لم يبق منها أكثر من مائة فرس ، فمن نسل تلك المائة كل ما يوجد من الخيل ، وهذا بعيد . وقال بعضهم : كانت عشرين فرسا أخرجها الشيطان له من البحر ، وكانت ذوات أجنحة .

وأما قوله — وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى — فقال الجمهور : أراد أن يفرده من بين البشر ليكون خاصة له وكرامة ، وهذا هو الظاهر من خبر العفريت الذى ظهر للنبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته فأخذه وأراد أن يوثقه بسارية من سوارى المسجد كما تقدم ؛ وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة أيضاً .

وروى النسائى وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم إقال « إن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما فرغ من بنيان بيت المقدس سأل الله تعالى حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وأن لا يأتى هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما الاثنتان فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة » انتهى. فقد دعانى ورجانى . وأما صفة كرسيه عليه الصلاة والسلام فقد روى عن ابن عباس أنه قال : كان يوضع لسليمان ستمائة كرسى ثم يجىء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم يجىء أشراف الجن فيجلسون مما يلى الإنس ، ثم يدعو الطير فتظللهم ثم يدعو الريح فتقلهم وتسير مسيرة شهر غدوا ورواحا ، وذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما ملك بعد أبيه أمر باتخاذ كرسى يجلس عليه للقضاء ، وأمر بأن يعمل عملا بديعاً مهولا بحيث إذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت ، فأمر أن يجعل من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد ، وأن يحف بأربع نخلات من ذهب ثمارها الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر على رأس نخلتين منهما طاوسان من ذهب وعلى رأس نخلتين نسران من ذهب بعضها يقابل بعضاً ، وجعل بجانب الكرسى أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزبرجد الأخضر ،

وقد عقد على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر وعناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث تظل عروش الكروم والنخل والكرسى ، وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسى كله بما فيه دوران الرحا المسرعة ، وتنشر تلك الطيور والنسور أجنحتها ، ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما ، فإذا استوى على أعلاه أخذ النسران اللذان فى النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأسه ، ثم يستدير الكرسى بما فيه فيدور معه النسران والطاوسان والأسدان ماثلات برءوسها إلى سليمان ، وينضحن عليه من أجوافهن المسك والعنبر ، ثم تناوله حمامة من ذهب قائمة على عمود من أعمدة الجواهر ، وفوق الكرسى التوراة فيفتحها سليمان ويقرؤها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء ، ويجلس عظماء بنى إسرائيل على كراسى الذهب المرصعة بالجواهر وهى ألف كرسى عن يمينه ، ويجلس عظماء الجن على كراسى الفضة عن يساره وهى ألف كرسى ، ثم تحف بهم الطيور فتظلهم ويتقدم الناس لفصل الخصومات ، فاذا تقدمت الشهود لأداء الشهادات والكرسى بما فيه وعليه دوران الرحا المسرعة ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتها فيفزع الشهود فلا يشهدون إلا بالحق ، فلما توفى سليمان عليه الصلاة والسلام وغزا بختنصر بيت المقدس حمل الكرسى إلى أنطاكية وأراد أن يصعد عليه فلم يقدر ، وضرب الأسدان رجله فكسراها ، ثم لما هلك بختنصر حمل الكرسى إلى بيت المقدس فلم يستطع ملك قط أن يجلس عليه ولم يدر أحد ما آل إليه عاقبة أمره ولعله رفع ، وإنما ذكرت صفته هنا لأنه من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده. وزعم الطبرى أن بختنصر ليس من الملوك الأربعة الذين ملكوا الأقاليم كلها كما قاله العتبى ومن تقدمه إلى هذا القول ، قال : ولكنه كان عاملا على العراق للملك المالك للأقاليم فى ذلك الحين وهو كيلهراسب ، والصحيح ما قاله العتبى وغيره .

وذكر أهل التاريخ وأصحاب السير : أن رجلا من بنى إسرائيل اسمه إسحاق فى زمن عيسى ابن مريم عليهما السلام كان له ابنة عم من أجمل أهل زمانها ، وكان مغرما بها فماتت فلزم قبرها ومكث زمانا لا يفتر عن زيارته ، فمر به عيسى يوما وهو على قبرها يبكى ، فقال له عيسى عليه السلام : مايبكيك ياإسحاق ؟ فقال له : ياروح الله . كانت لى ابنة عم وهى زوجتى ، وكنت أحبها حبا شديدا ، وإنها قد توفيت وهذا قبرها ، وإنى لاأستطيع الصبر عنها وقد قتلنى فراقها ، فقال له عيسى : أتحب أن أحييها لك بإذن الله ؟ قال : نعم ياروح الله ، فوقف عيسى على القبر وقال : قم ياصاحب هذا القبر بإذن الله ، فانشق القبر وخرج منه عبد أسود والنار خارجة من مناخره وعينيه ومنافذ وجهه وهو يقول : لاإله إلا الله عيسى روح الله وكلمته وعبده ورسوله ، فقال إسحاق : ياروح الله وكلمته ماهذا القبر الذى فيه زوجتى وإنما

هو هذا وأشار إلى قبر آخر ، فقال عيسى للأسود : ارجع إلى ماكنت فيه ، فسقط ميتا فواراه فى قبره ، ثم وقف على القبر الآخر وقال : قم ياساكن هذا القبر بإذن الله ، فقامت المرأة وهى تنفض التراب عن وجهها ، فقال عيسى : هذه زوجتك ؟ قال : نعم ياروح الله . قال خذ بيدها وانصرف ، فأخذها ومضى فأدركه النوم فقال لها : إنه قد قتلنى السهر على قبرك وأريد أن آخذ لى راحة . قالت : افعل ، فوضع رأسه على فخذها ونام ، فبينما هو نائم ، إذ مر عليها ابن الملك وكان ذا حسن وجمال وهيئة عظيمة راكبا على جواد حسن ، فلما رأته هويته وقامت إليه مسرعة ، فلما نظرها وقعت فى قلبه فأتت إليه وقالت : خذنى فأردفها على جواده وسار فاستيقظ زوجها ونظر فلم يرها فقام يطلبها وقص أثر الجواد فأدركهما . وقال لابن الملك : أعطنى زوجتى وابنة عمى فأنكرته وقالت : أنا جارية ابن الملك ، فقال : بل أنت زوجتى وابنة عمى ، فقالت ما أعرفك وما أنا إلا جارية ابن الملك ، فقال له ابن الملك : أفتريد أن تفسد جاريتى ، فقال : والله إنها لزوجتى وأن عيسى ابن مريم أحياها لى بإذن الله بعد أن كانت ميتة ، فبينما هم فى المنازعة إذ مر عيسى صلى الله عليه وسلم فقال إسحاق : ياروح الله . أما هذه زوجتى التى أحييتها لى بإذن الله ؟ قال : نعم ، فقالت : ياروح الله إنه يكذب وإنى جارية ابن الملك ، وقال ابن الملك : هذه جاريتى . قال عيسى : ألست التى أحييتك بإذن الله ؟ قالت : لاوالله ياروح الله . قال : فردى علينا ماأعطيناك ، فسقطت ميتة ، فقال عيسى : من أراد أن ينظر إلى رجل أماته الله كافرا ثم أحياه وأماته مسلما فلينظر إلى ذلك الأسود ، ومن أراد أن ينظر إلى امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها وأماتها كافرة فلينظر إلى هذه ، وإن إسحاق الإسرائيلى عاهد الله تعالى أن لايتزوج أبدا ، وهام على وجهه فى البرارى باكيا . وفى هذه الحكاية أعظم عبرة لأولى الألباب ، وهى من أعجب مايسمع فى التوفيق والخذلان ، نسأل الله تعالى السلامة وحسن الخاتمة بجاه محمد وآله .

وقد أحببت أن أذكر هنا ماأخبرنى به بعض العلماء العارفين : وهو أن عيسى صلى الله عليه وسلم اجتاز فى بعض الأيام بجبل فرأى فيه صومعة فدنا منها فرأى فيها متعبدا قد انحنى ظهره ونحل جسمه وبلغ به الاجتهاد أقصى غاياته ، فسلم عليه ، وقال له : منذكم أنت فى هذه الصومعة فقال : منذ سبعين سنة أسأله حاجة واحدة وما قضاها لى بعد فعساك ياروح الله أن تكون شفيعا لى فيها فعساها تقضى ، فقال له عيسى : وما حاجتك ؟ قال : أن يذيقنى مثقال ذرة من خالص محبته ، فقال عيسى : هاأنا أدعو الله لك فى ذلك ، فدعا له عيسى فى تلك الليلة ، فأوحى الله إليه إنى قد قبلت شفاعتك وأوجبت دعوتك ، فعاد عيسى بعد أيام إلى ذلك الموضع فرأى الصومعة قد وقعت والأرض التى تحتها قد شقت ، فنزل عيسى فى ذلك الشق إلى منتهاه فرأى العابد فى مغارة تحت ذلك الجبل واقفا شاخصا ببصره فاتحا فاه ، فسلم

عليه عيسى فلم يرد عليه جوابا ، فعجب عيسى من حاله فهتف به هاتف : ياعيسى إنه سألنا مثقال ذرة من خالص محبتنا ، فعلمنا أنه لايطيق ذلك فوهبناه جزءا من سبعين ألف جزء من ذرة ، فهو فيها حائر كما ترى ، فكيف لو وهبناه أكثر من ذلك اه .

قلت : فمحبة الخواص من هذه المعادن رشحت وبهذه الأوصاف عرفت . واعلم أن المحبة هى أول أودية الفناء والعقبة التى تنحدر منها إلى منازل المحو ، وقد اختلفت إشارات أهل التحقيق فى العبارة عنها فكل نطق بحسب ذوقه وأفصح بمقدار شوقه ليس هذا موضع حكاية أقوالهم واختلاف عباراتهم فيها ، وقد بسطنا الكلام فى ذلك فى كتابنا [الجوهر الفريد] فى أواخر الجزء الثامن ، ولنذكر لمعة يستأنس بها الناظر فى هذا الكتاب. فاعلم أن المحبة على الإجمال موافقة المحبوب فيما شاء سواء فيما حزن أو سر نفع أو ضر ، وقد أشار بعضهم إلى ذلك بقوله :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمنى اللوم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم ... إذا كان حظى منك حظى منهم
فأهبتنى فأهنت نفسى صاغرا ... مامن يهون عليك ممن يكرم

واعلم أن الغيرة من أوصاف المحبة ، والغيرة تأبى الستر والإخفاء ، فكل من بسط لسانه فى العبارة عنها والكشف عن سرها فليس له ذوق ، وإنما حركه وجدان الرائحة ، ولو ذاق منها شيئا لغاب عن الشرح والوصف ، فالمحبة الصادقة لاتظهر على المحب بلفظه وإنما تظهر بشمائله ولحظه ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع امتزاج الأسرار من القلوب ، وقد قيل فى ذلك :

تشير فأدرى ما تقول بطرفها ... وأطرق طرفى عند ذاك فتفهم
تكلم منا فى الوجود عيوننا ... فنحن سكوت والهوى يتكلم

وأما محبة العوام فهى محبة تنبت من مطالعة المنة وتثبت باتباع السنة وتنمو على الإجابة للغاية ، وهى محبة تقطع الوساوس وتلذذ الخدمة وتسلى عن المصائب ، وهى فى طريق العوام عمدة الإيمان ، فعند القوم كل ما كان من العبد فهو علة تليق بعجز العبد وفاقته ، وإنما عين الحقيقة أن يكون العبد قائما بإقامة الحق له محبا بمحبته له ناظرا بنظره إليه من غير أن تبقى فيه بقية تقف على رسم أو تناط باسم أو تتعلق بأثر أو توصف بنعت أو تنسب إلى وقت صم بكم عمى لدينا محضرون .

(وروى) عن إبراهيم الخواص رحمة الله عليه أنه قال : عطشت فى بعض سياحاتى عطشا شديدا حتى سقطت من شدة العطش ، فإذا أنا بماء قد سقط على وجهى ، فأحسست ببرد على فؤادى ففتحت عينى فإذا أنا برجل مارأيت أحسن منه على جواد أشهب عليه ثياب خضر

وعمامة صفراء وبيده قدح فسقانى منه شربة وقال لى : ارتدف خلفى ، فارتدفت فلم يبرح حتى قال لى : مما ترى ؟ قلت : المدينة . قال : انزل واقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام ، وقل له رضوان خازن الجنة يقرأ عليك السلام، وهذه كرامة عظيمة — ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم — قال شيخنا اليافعى : من رأيتموه يزدرى بالأولياء أو ينكر مواهب الأصفياء ، فاعلموا أنه محارب لله مبعد من رحمته مطرود عن حقيقة قربه، والله أعلم .

﴿ الجواف ﴾ : بالضم والتخفيف ضرب من السمك وليس من جيده ، ومنه قول مالك ابن دينار: أكلت رغيفا ورأس جوافة فعلى الدنيا العفاء: أى الدروس وذهاب الأثر ،وقيل العفاء التراب .

﴿ الجؤذر ﴾ : بفتح الذال المعجمة وضمها، والجؤذر بالهمزة أيضا مع الواو ولد البقرة الوحشية . قال الشاعر :

إن من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جآذرا وظباء

ولقد أجاد على بن إسحاق الزاهى حيث يقول :

وبيض بألحاظ العيون كأنما هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لى يوما بمنعرج اللوى فغادرن قلبى بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جآذرا
وأطلعن فى الأجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائرا

ومما يستجاد من شعره :

الريح تعصف والأغصان تعتنق والمزن باكية والزهر مغتبق
كأنما الليل جفن والبروق له عين من الشمس تبدو ثم تنطبق

وله أيضا وأجاد :

تبدت فهذا البدر من خجل بها وحقك مثلى فى دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا جيوبه ألست ترى أوراقه تتناثر

فأجيز على ذلك :

وفاحت فألقى العود فى النار جسمه كذا نقلت عنه الحديث المجامر
وقالت فغار الدر واصفر لونه كذلك ما زالت تغار الضرائر

وله أيضا ، وقيل لغيره :

بادر إذا حاجة فى وقتها عرضت فللحوائج أوقات وساعات

إن أمكنت فرصة فانهض لها عجلا ولا تأخر فللتأخير آفات

وله وأحسن :

أما ترى الغيث كلما ضحكت كمائم الزهر فى الرياض بكى
كالحب يبكى لديه عاشقه وكلما فاض دمعه ضحكا

وله أيضا :

لحى الله امرأ أولاك سرا فبحت به وفض الله فاه
لأنك بالذى استودعت منه أنمّ من الزجاج بما وعاه

وقد قيل فى المعنى وأجاد قائله :

ينم بسره مسترعيه سرا كما نم الظلام بسر نار
أنمّ من النصول على مشيب ومن صافى الزجاج على عقار

توفى الزاهى سنة ستين وثلثمائة ، وهو شاعر ماهر رحمه الله تعالى .

﴿ الجوزل ﴾ : بفتح الجيم فرخ الحمام والقطا وأنواعهما ، وسيأتى ذكره فى لفظ القطا ، والجمع جوازل قال الشاعر :

يا ابنة عمى لا أحب الجوزلا ولا أحب قرصك المفلفلا
وإنما أحب ظبيا أعبلا

وربما سمى الشاب جوزلا .

﴿ جيال ﴾ : كجبال اسم للضبع على فعال ، وهى معرّفة بلا ألف ولام (وحكمها) يأتى فى باب الضاد المعجمة .

(الأمثال) قالوا : أنبش من جيال ، لأنها تنبش القبور وتخرج جيف الموتى من باطن الأرض إلى ظاهرها .

﴿ أبو جرادة ﴾ : هو الطائر الذى يسميه أهل العراق الباذنجان ويسميه أهل الشأم البصير ، يؤخذ لحمه فيذوب ويتمسح به من كانت البواسير به ظاهرة ينفعه نفعا بينا ، والله أعلم .

باب الحاء المهملة

﴿ حائم ﴾ : هو الغراب الأسود لأنه يحوم عندهم بالفراق . قال المرقش :

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحائم
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم

وكذاك لاخير ولا شر على أحد بدائم

وستأتى إن شاء الله تعالى هذه الأبيات فى أول باب الواو ويسمى غراب البين، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة.

﴿ الحارية ﴾ : نوع من الأفعى، وقد تقدم فى باب الهمزة.

﴿ الحباب ﴾ : الحية. قال الجوهرى : وإنما قيل لها ذلك لأن الحباب اسم شيطان، والحية يقال لها شيطان. روى عن سعيد بن المسيب أنه قال: «بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم غير اسم رجل من الأنصار كان اسمه الحباب. وقال الحباب اسم شيطان». وقال أبو داود فى باب تغيير الاسم القبيح: وغير النبى صلى الله عليه وسلم اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وشهاب وحباب، والرجل الذى غير النبى صلى الله عليه وسلم اسمه هو عبد الله ابن عبد الله بن أبى ابن سلول، كان اسمه الحباب فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله، وأبوه كان يكنى أبا الحباب.

﴿ الحبتر ﴾ : الثعلب، وقد تقدم ذكره فى باب الثاء المثلثة.

﴿ الحبث ﴾ : حية بتراء ذات سم قاتل، وسيأتى إن شاء الله تعالى لفظ الحية فى آخر هذا الباب.

﴿ حباحب ﴾ : كهداهد حيوان له جناحان كالذباب يضىء بالليل كأنه نار، وقد ضربت العرب به المثل فقالوا : أضعف من نار الحباحب. وقيل الحباحب اسم رجل من محارب ابن خصفة مشهور بالبخل، كانت له نار ضعيفة يوقدها مخافة الضيفان، فضربوا به المثل لذلك. قال الجوهرى : وربما قيل نار أبى الحباحب وهو ذباب. وقال فى المرصع : يقال للنار القليلة التى لاينتفع بها وللذباب الطائر فى الليل أبو حباحب غير مصروف. قلت: وهذا الطائر يسمى القطرب ذكره ابن البيطار وغيره. وقال فى الصحاح : القطرب طائر.

(وحكمه) تحريم الأكل لأنه من الحشرات.

﴿ الحبارى ﴾ : بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة : طائر معروف، وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى واحده وجمعه سواء، وإن شئت قلت فى الجمع حباريات، قال الجوهرى. وألف حبارى ليست للتأنيث ولا للإلحاق، وإنما بنى الاسم عليها فصارت كأنها من نفس الكلمة لاتنصرف فى معرفة ولا نكرة. أى لاتنون. قلت : وهذا سهو منه بل ألفها للتأنيث كسمانى ولو لم تكن له لانصرفت، وأهل مصر يسمون الحبارى الحبرج، وهى من أشد الطير طيرانا وأبعدها شوطا، وذلك أنها تصاد بالبصرة فيوجد فى حواصلها الحبة

الخضراء التى شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام ، ولذلك قالوا فى المثل : أطلب من الحبارى ، وإذا نتف ريشها أو تحسر وأبطأ نباته ماتت كمدا ، والكمد : الحزن المكتوم وهو طائر طويل العنق رمادى اللون فى منقاره بعض طول . وقال الجاحظ : الحبارى لها خزانة فى دبرها وأمعائها لها أبدا فيها سلح رقيق ، فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه فينتف ريشه كله وفى ذلك هلاكه ، وقد جعل الله تعالى سلحها سلاحا لها . قال الشاعر :

وهم تركوك أسلح من حبارى رأت صقرا وأشرد من نعام

ومن شأنها أنها تصاد ولا تصيد . روى البيهقى فى الشعب من حديث يحيى بن أبى كثير عن سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول : إن الظالم لايضر إلا نفسه . فقال أبو هريرة : كذب والذى نفسى بيده إن الحبارى لتموت هزالا من خطايا بنى آدم . وهو كذلك فى تفسير الثعلبى فى آخر سورة فاطر : يعنى إذا كثرت الخطايا منع الله القطر عن أهل الأرض وإنما يصيب الطير من الحب والثمرة على قدر المطر . قال الشاعر :

يسقط الطير حيث يلتقط الحـ ـب ويغشى منازل الكرماء

وهى من أكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق ، ومع ذلك تموت جوعا لهذا السبب ، فسبحان القادر على مايشاء ، وولدها يقال له نهار وفرخ الكروان يقال له ليل ، ولذلك قال الشاعر :

ونهارا رأيت منتصف الليل وليلا رأيت وسط النهار

(الحكم) يحل أكلها لأنها من الطيبات . روى أبو داود والترمذى عن يزيد بن عمرو ابن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه عن جده أنه قال : أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حبارى . قال الترمذى : غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

(الأمثال) قالوا : أكمد من الحبارى كما تقدم . وقال عثمان : كل شئ يحب ولده حتى الحبارى . وإنما خصها بالذكر لأنها يضرب بها المثل فى الحمق فهى على حمقها تحب ولدها فتطعمه وتعلمه الطيران كغيرها من الحيوان . وقالوا : أسلح من الحبارى حالة الخوف ، وأسلح من الدجاج حالة الأمن . وقالوا : الحبارى خالة الكروان . وقالوا : أقصر من إبهام الحبارى ومن إبهام القطاة .

(الخواص) لحم الحبارى بين لحم الدجاج ولحم البط فى الغلظ ، وهو أخف من لحم البط لأنه برى ، وهو حار رطب جدا وأجوده المخاليف المكدودة قبل الذبح ، هو نافع لتسكين الرياح لكنه يضر بالمفاصل والقولنج ، ويدفع ضرره الدارصينى والزيت والخل ، ويتولد منه دم بلغمى ، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة من الشبان ، لا سيما إذا أكل فى الشتاء وفى البلاد الباردة . وقال صاحب تقويم الصحة : يكره لحم الحبارى لغلظه وعسر انهضامه ،

وأجوده ما طبخ بعد أن يمضى عليه يومان ثم يغرز فى صدره وأفخاذه الثوم الكثير والفلفل ويعمل بالأباريز ، وهو إذا انهضم ولد غذاءا كثيرا ، وما كان منه مخلفاً خير مما كان عتيقا ، ويجب أن يتناول بعده حلواء العسل انتهى .

وقال القزوينى . يوجد فى حوصلته حجر إذا علق على الإنسان لا يحتلم ما دام عليه ، وإن كان به إسهال حبس بطنه ، وإذا علق قلبه على من يكثر النوم قل نومه ، وقال أرسطاطاليس فى النعوت : بيض الحبارى ما كان منه ذكرا يسود الشعر ويبقى صبغه سنة لا ينصل وما كان منه أنثى لا يسوّد الشعر ، ويعرف ما يسود بأن يؤخذ خيط فيدخل فى إبرة ويدخل فى بيضة فإذا اسود الخيط صبغ بها وإلا فلا .

(التعبير) الحبارى فى المنام : رجل سخى صاحب دخل وخرج بلامنفعة ، كثير الأكل والتعب ، لا يفتر ليلا ولا نهارا .

﴿ الحبرج ﴾ : ذكر الحبارى واليحبور ولدها ، وقيل اليحبور من طير الماء .

﴿ الحبركى ﴾ : القرادة . قالت الخنساء :

فلست بمرضع ثدىى حبركى أبوه من بنى جشم بن بكر

والأنثى حبركاة . وقال أبو عمرو الجرمى : قد جعل بعضهم الألف فى حبركى للتأنيث فلم يصرفه ، وربما شبه به الرجل الغليظ الطويل الظهر القصير اليدين .

﴿ حبلق ﴾ : كعملس غنم صغار لا تكبر ، وقيل قصار الغنم ودقاقها .

﴿ حبيش ﴾ : قال الجوهرى : هو طائر جاء مصغرا كالكميت والكعيب . انتهى . والكعيب البلبل كما تقدم .

﴿ الحجر ﴾ : الأنثى من الخيل لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر والجمع أحجار وحجور ، وقيل أحجاو الخيل ما يتخذ منها للنسل وليس بقوى ، وفى كامل ابن عدى فى ترجمة محمد بن عبد الله العرزمى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ليس فى حجرة ولا بغلة زكاة » وهذا يدل على أنه يقال لها حجرة بالهاء ، لكن فى المستدرك من حديث أبى حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمى الأنثى من الخيل فرساً .

(وحكمها وخواصها) كالخيل ، وسيأتى ذكر ذلك فى باب الخاء المعجمة والفاء .

(التعبير) الحجرة فى المنام : امرأة شريفة مباركة لقوله صلى الله عليه وسلم « ظهورها عز وبطونها كنز » فمن ركب حجرة فى منامه بآلة الركوب فإنه ينكح امرأة شريفة مباركة

فى عقد صحيح ، ومن ركب حجرة بلا سرج ولا لجام فإنه ينكح امرأة فى غير عصمة أو يركب امرأة لا يثبت عليه ، وربما دلت الحجرة البيضاء على امرأة ذات حسب ونسب ، والحمراء على امرأة ذات زينة ، والصفراء على امرأة ذات مرض ، والسوداء على امرأة ذات ملك وسودد ، والدهماء كذلك ، وربما دلت الحجرة على السنة فالسمينة خصب والضعيفة جدب ، وقد تكون ضعف الجاه والقوى والحيل ، والله تعالى أعلم .

﴿ الحجروف ﴾ : دويبة طويلة القوائم أعظم من النمل حكاه ابن سيده .

﴿ الحجل ﴾ : بالفتح الذكر من القبج الواحدة حجلة واسم جمعه حجلى ، ولم يأت جمع على فعلى بكسر الفاء إلا حرفا ، وحجلى وظربى جمع ظربان وهو دويبة منتنة الريح ، وستأتى فى باب الظاء المشالة إن شاء الله تعالى .

والحجل : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر ، وهو صنفان : نجدى وتهامى ، فالنجدى أخضر اللون أحمر الرجلين ، والتهامى فيه بياض وخضرة وفراخ هذا الطائر تخرج كاسية ومن شأنها إذا لم تلقح أن تتمرغ فى التراب وتصبه على أصول ريشها فتلقح ، ويقال : إنها تبيض من سماع صوت الذكر أو بريح تهب من قبله ، وإذا باضت ميز الذكر الذكور منها فحضنها وهى تحضن الإناث وهما كذلك فى التربية ، قال التوحيدى : ويعيش الحجل عشر سنين ويضع عشين يجلس الذكر على واحد والأنثى على واحد ، ومن طبع الحجل أنه يأتى أعشاش نظرائه فيأخذ بيضها ويحضنه فإذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التى باضتها ، وفى تركيبه قوة الطيران حتى أن الإنسان إذا لم يره يظنه حجراً خرج من مقلاع ، والذكر شديد الغيرة على الأنثى فلذلك إذا اجتمع ذكران اقتتلا على الأنثى فأيهما غلب ذل الآخر وتبعت الأنثى الغالب منهما ، وفى طبع الذكر أن يخدع أمثاله بقرقرته ولهذا يتخذه الصيادون فى أشراكهم ليكثر القرقرة فيجتمع إليه أبناء جنسه فيقعون معه ، وهو يفعل ذلك كالحاسد لها والمنتقم منها ، والأنثى إذا أصيب بيضها قصدت عش غيرها وغلبتها على بيضها أو تسرقه وتحضنه .

(فائدة) ذكر فى كتاب [النشوان] و[تاريخ ابن النجار] عن أبى نصر محمد بن مروان الجعدى أنه أكل مع بعض مقدمى الأكراد على سماط فيه حجلتان مشويتان ، فأخذ الكردى بيده واحدة وضحك ، فسأله عن ذلك فقال : قطعت الطريق فى عنفوان شبابى على تاجر ، فلما أردت قتله تضرع إلىّ فلم أقبل تضرعه ولم أفلته ، فلما رأى الجد منى التفت إلى حجلتين كانتا فى الجبل وقال : اشهدا لى عليه أنه قاتلى ظلما فقتلته ، فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه فى استشهادهما علىّ فقال ابن مروان لما سمع ذلك منه : قد شهدتا والله عليك عند من يقيدك بالرجل ، ثم أمر بضرب عنقه .

(الحكم) أكلها حلال اتفاقا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى النحام فى باب النون عن كامل ابن عدى : أن الطير المشوى الذى أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم كان حجلا ، وقيل كان نحاما ، وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان بين كتفيه خاتم مثل زر الحجلة. قال الترمذى: المراد بالحجلة هذا الطائر وزرها بيضها ؛ قلت: والصواب أنها حجلة السرير واحدة الحجال وزرها الذى يدخل فى عروتها . وروى البيهقى فى [دلائل النبوة] عن الواقدى عن شيوخه أنهم قالوا : لما شك فى موت النبى صلى الله عليه وسلم قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت ، فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه ثم قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رفع الخاتم من بين كتفيه ، فكان هذا هو الذى عرف به موته صلى الله عليه وسلم وأسماء بنت عميس كانت زوجة جعفر بن أبى طالب . ثم تزوجها الصديق فأولدها محمدا ، ثم تزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة الصديق ، وكان محمد بن أبى بكر صغيرا فرباه على فهو ربيب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

(فائدة أخرى) فى المستدرك عن وهب بن منبه أنه قال: لم يبعث الله نبيا إلا وقد كانت عليه شامة النبوة فى يده اليمنى إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه . وقال على رضى الله تعالى عنه لأهل العراق : يا أشباه الرجال ولا رجال ، يا عقول ربات الحجال .

وقال كثير عزة :

وأنت الذى حببت كل قصيرة إلى فلا تدرك نداك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد فصار الخطا شر النساء البحاتر

وسيأتى الكلام على خاتم النبوة فى باب الكاف فى لفظ الكركى .

(الأمثال) ضرب النبى صلى الله عليه وسلم المثل بالحجل قال « اللهم إنى أدعو قريشاً وقد جعلوا طعامى طعام الحجل » يريد أنه يأكل الحبة بعد الحبة لا يجد فى الأكل . وقال الأزهرى : أراد أنهم غير جادين فى إجابتى فلا يدخل منهم فى دين الله إلا النادر القليل . وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهانى فى كتاب [الترغيب والترهيب] عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة صلاته فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله » قال : وكان يقول « حاذوا المناكب فى الصلاة فإن الشيطان يتخلل الصفوف كما يتخلل الحجل ، والصف الأيمن خير من الصف الأيسر » قال: قوله: حاذوا من الحذاء : وهو أن يجعل المنكب بجنب المنكب .

(الخواص) لحمها معتدل جيدسريع الهضم ، إذا ابتلع من كبدها وهى حارة قدر نصف مثقال نفع من الفزع ، ومرارتها تنفع الغشاوة المظلمة فى العين اكتحالا ، وإذا سعط بمرارتها

إنسان فى كل شهر مرة احتد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره . وقال المختار بن عبدون : بيض الحجل ألطف من بيض الدجاج وهو نافع للمترفهين وضار بأصحاب الكد ، ويولد غذاء معتدلا ، ويوافق أصحاب الأمزجة المعتـــدلة ، وهو أجود هضما من بيض الدجاج ، وأجود ما يعمل أن يلقى فى الماء وهو يغلى وفيه ملح أو خل ويكون الماء متساويا عليه وكذلك كل بيض ، وأما المطجن من كل بيض فردىء جدا يولد حجارة فى المثانة ويحدث غما . وقولنا : والمغلى فى الماء أهضم منه وأنفع من المقلى فى الأدهان أيضاً انتهى .

وقال غيره : بيض الحجل إذا طبخ فى الماء المغلى فى الكمون والملح أو بخل عنصل وأكل : نفع من المغص وسائر أوجاع البطن .

(وأما رؤيته فى المنام) فالحجلة تدل على امرأة غير ألفة ، وربما تدل رؤيتها على محبة الأولاد .

﴿ الحدأة ﴾ : بكسر الحاء المهملة أخس الطير ، وكنيته أبو الخطاف وأبو الصلت ، ولا تقل حدأة بفتح الحاء لأنها الفأس التى لها رأسان ، وقد جاء فى الحديث الحديا على وزن الثريا كذا قيده الأصيلى ، وقد جاء الحدياة بغير همز ، وفى بعض الروايات الحديئة بالهمزة كأنه تصغير ذكره الصاغانى . قال : وصواب تصغيره الحديئة بالهمز ، وإن ألقيت حركة الهمزة على الياء شددتها وقلت الحدية على مثال علية ، وفى الحديث : « لا بأس بقتل الحدو والأفعو » قال الأزهرى : هى لغة فيهما . وقال ابن السراج : بل هى على مذهب الوقف لا على هذه اللغة قلب الألف واوا على لغة من قال حدا وكذا أفعى انتهى .

وقال الأصمعى : جمع الحدأة حدأ كلبأ ، وزاد ابن قتيبة : وحدآن . قال الجوهرى : هى مثل عنبة وعنب ، وقد قال فى ع ن ب الحبـــة من العنب عنبة ، وهو بناء نادر لأن الأغلب على هذا البناء الجمع نحو قرد وقردة وفيل وفيلة وثور وثورة ، إلا أنه قد جاء للواحد وهو قليل نحو العنبة والتولة والطيبة والخيرة والطيرة ولا أعرف غيره انتهى .

وهو قد ذكر ذلك فى حدأة كما تقدم . والطيبة : المغنم الهنىء ، والتولة : ما تحبب به المرأة لزوجها . والخيرة والطيرة معروفتان . قلت : وقد يرد عليه ثومة جمع ثوم ، وذبحة وهو وجع فى الحلق ، ومننة وهو العنكبوت ، ورمخة وهى البلخة ، وضمخة وهى السمينة ، وهننة وهى نوع من القنافذ ، وتيمة وهى شجرة بوادى إبراهيم بالحجاز ، والحدأة تبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وخرج منها ثلاثة أفراخ وتحضن عشرين يوما ، ومن ألوانها السود والرمد ، وهى لا تصيد وإنما تخطف ، ومن طبعها أنها تقف فى الطيران وليس ذلك لغيرها من الكواسر ، وزعم ابن وحشية وابن زهر : أن العقاب والحدأة يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا . وفى نسخة : الغراب بدل العقاب ، فسبحان القادر على ما يشاء ، ويقال

إنها أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير فلو ماتت جوعا لا تعدو على فراخ جارها ، وتزعم رواة الأخبار ونقلة الآثار : أنها كانت من جوارح سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وإنما امتنعت من أن تؤلف أو تملك لأنها من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده .

والسبب فى صياحها عند سفادها أن زوجها قد جحد ولدها منه ، فقالت : يا نبى الله قد سفدنى حتى إذا حضنت بيضى وخرج منه ولدى جحدنى ، فقال سليمان عليه السلام الذكر : ما تقول ؟ فقال : يا نبى الله إنها تحوم البرارى ولا تمتنع من الطير ، فلا أدرى أهو منى أو من غيرى ؟ قال : فأمر سليمان عليه السلام باحضار الولد فوجده شبه والده فألحقه به ، ثم قال لها سليمان عليه السلام : لاتمكنيه أبدا حتى تشهدى عليه ذلك الطير لئلا يجحد بعدها ، فصارت إذا سفدها صاحت وقالت : يا طيور اشهدوا فإنه سفدنى اه .

وتقول فى صياحها : كل شىء هالك إلا وجهه ، وهى طرشاء ، ولو كانت مما يصاد بها لما كان من الكواسر أحسن صيدا منها ولأجل ثمنا ، ومن طبعها أنها لا تخطف إلا من يمين من تخطف منه دون شماله حتى أن بعض الناس ، يقول : إنها عسراء لأنها لا تأخذ من شمال إنسان شيئا . وقال القزوينى : إنها سنة ذكر وسنة أنثى . وفى صحيح البخارى وغيره : أن أعرابية كانت تخدم نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت كثيراً ما تتمثل بهذا البيت :

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا على أنه من ظلمة الكفر نجانى

فقالت لها عائشة رضى الله تعالى عنها : ما هذا البيت الذى أسمعه منك؟ فقالت : شهدت عروساً لنا تجلى إذ دخلت مغتسلا لنا وعليها وشاح فوضعته فجاءت الحديا فأبصرت حمرته فأخذته ، ففقدوا الوشاح فاتهمونى به ففتشونى حتى قبلى ، فدعوت الله أن يبرئنى ، فجاءت الحديا بالوشاح حتى ألقته بينهم : كذا قيده الأصيلى الحديا على وزن الثريا ، وروى من طريق الصاغانى وغيره : الحدياة بغير همز والحديثة بالهمز ، وفى رواية : فرفعت رأسى وقلت : يا غياث المستغيثين ، فما أتممتهن حتى جاء غراب فرمى الوشاح ، أو قالت : فألقى الوشاح بيننا ، فلو رأيتنى يا أم المؤمنين وهن حولى يقلن اجعلينا فى حل ، فنظمت ذلك فى بيت فأنا أنشده لئلا أنسى النعمة فأترك شكرها .

وروى الحافظ النسفى فى كتاب [فضائل الأعمال] باسناده إلى حماد بن سلمة أن عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال : أصابتنى خصاصة فجئت إلى بعض إخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة ، فخرجت من منزله إلى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت وجهى على الأرض وقلت : يا مسبب الأسباب ، يا مفتح الأبواب ، يا سامع الأصوات ، يا مجيب الدعوات ، يا قاضى الحاجات ، اكفنى بحلالك عن حرامك ، وأغننى بفضلك عمن سواك ؟ قال : فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى ، فرفعت رأسى فإذا حدأة

طرحت كيساً أحمر ، فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون ديناراً وجوهرة ملفوفة فى قطنة مندوفة . قال : فبعت الجوهرة بمال عظيم وفضلت الدنانير فاشتريت بها عقاراً وحمدت الله على ذلك انتهى .

وحكى القشيرى فى [الرسالة] فى آخر باب كرامات الأولياء عن شبل المروزى أنه اشترى لحما بنصف درهم فاستلبته منه حدأة ، فدخل شبل مسجدا يصلى فيه فلما رجع إلى منزله قدمت له زوجته لحما فقال لها : من أين لكم هذا ؟ فقالت : تنازع حدأتان فسقط هذا منهما . فقال شبل : الحمد لله الذى لم ينس شبلا وإن كان شبل ينساه . وفى كتاب [المجالسة] للدينورى فى الجزء الثالث عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال : كان سعد بن أبى وقاص بين يديه لحم فجاءت حدأة فأخذته ، فدعا عليها سعد فاعترض عظم فى حلقها فوقعت ميتة إنتهى .

وروينا بالسند الصحيح أن الشيخ عبد القادر الجيلى قدس الله روحه جلس يوما يعظ الناس ، وكانت الريح عاصفة فمرت على مجلسه حدأة طائرة فصاحت فشوشت على الحاضرين ماهم فيه فقال الشيخ : ياريح خذى رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها فى ناحية ورأسها فى ناحية ، فنزل الشيخ عن الكرسى وأخذها بيده وأمر يده الأخرى عليها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك .

(الحكم) يحرم أكلها لأنها من الفواسق الخمس المأمور بقتلها . قال الخطابى المراد بفسقها تحريم أكلها ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفأربيان ذلك . وفى الصحيحين من حديث ابن عمر وعائشة وحفصة رضى الله تعالى عنهم أجمعين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم » وفى رواية « ليس على المحرم فى قتلهن جناح : الحدأة والغراب الأبقع والعقرب والفأرة والكلب العقور » نبه صلى الله عليه وسلم بذكر هذه الخمسة على جواز قتل كل مضر ، فيجوز له أن يقتل القهد والنمر والذئب والصقر والشاهين والباشق والزنبور والبرغوث والبق والبعوض والوزغ والذباب والنمل إذا آذاه ، فقال الرافعى : وفى معنى هذه الخمسة الحية والذئب والأسد والنمر والنسر والعقاب . فهذه الأنواع يستحب قتلها للمحرم وغيره . وقال فى باب أطعمة ما يخالف ذلك ، وهو أن قتلها على سبيل الوجوب ، وسيأتى بيان هذا إن شاء الله تعالى فى باب الصاد فى الكلام على الصيد .

(الأمثال) قالوا : حدأة حدأة وراءك بندقة ، قال أبو عبيدة : يراد بذلك هذه الحدأة التى تطير ، والبندقة ما يرمى به يضرب للتحذير .

(الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى إناء زجاج فمن لسعه شىء من الهوام قطر منه فى الموضع الذى لسع فيه ، واكتحل مخالفا إن لسع فى الجانب الأيمن اكتحل فى العين

اليسرى وإن لسع فى الجانب الأيسر اكتحل فى العين اليمنى ثلاثة أميال فإنه ينجيه ، وإن سحقت وطرحت فى سلة الحاوى ماتت الحيات كلها ، ودمها إذا خلط بقليل مسك وماء ورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس ، وإن علقت وهى حية فى بيت لم يدخله حية ولا عقرب .

(التعبير) الحدأة تدل رؤيتها على الحرب والقتال ، لما قيل : حدأة حدأة وراءك بندقة . قال بعض أهل اللغة : إن حدأة وبندقة كانتا قبيلتين من سعد العشيرة فأغارت حدأة وتغلبت ، وكانت تنزل بالكوفة على بندقة ، وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ، ثم كسرت بندقة حدأة وتغلبت عليهم . وقيل : هى الطائر المعروف ، وبندقة الرامى كما تقدم ، وربما دلت على الرجل المتجرم أو المرأة الزانية ، وجماعة الحدأة تدل على قطاع الطريق . وربما دلت رؤيتها على من يحل قتاله لكفره وشركه ، فإن قتلهم مباح فى الحل والحرم وكذلك الحدأة قاله ابن الدقاق . وقال غيره : الحدأة فى المنام ملك خامل الذكر ظالم وذلك لقوة سلاحه وقربه من الأرض ، ومن أصاب حدأة ولد له غلام وينال قبل البلوغ ملكا ، فإن طارت منه مات الولد . وقال أرطاميدورس : الحدأة فى المنام تدل على اللصوص والخطافين ، وتدل على النساء ، والله أعلم .

﴿ الحذف ﴾ : بفتح الحاء والذال المعجمة غنم سود صغار من غنم الحجاز الواحدة حذفة ، وفى حديث الصلاة « لا يتخللكم الشياطين كأنها حذف » وفى رواية « كأولاد الحذف » قيل : يا رسول الله وما أولاد الحذف؟ قال « ضأن سود جرد صغار تكون باليمن » .

﴿ الحر ﴾ : الفرس العتيق ، وفرخ الحمامة ، وقيل : الذكر منها ولد الظبية وولد الحية والصقر والبازى . وقال ابن سيده : الحر طائر صغير أنمر أصقع قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس ، وقيل : إنه يضرب إلى الخضرة وهو يصيد .

﴿ الحرباء ﴾ : كنيته : أبو جحادب وأبو الزنديق وأبو الشقيق وأبو قادم ، ويقال له جمل اليهود كما تقدم . قال الإمام القزوينى فى كتاب [عجائب المخلوقات] : لما كان الحرباء خلقا بطىء النهضة وكان لابد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى تدرك صيده من غير حركة فى يديه ولا قصد إليه ويبقى كأنه جامد أو كأنه ليس من الحيوان ، ثم أعطى مع السكون خاصية أخرى وهو أنه يتشكل بلون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ، ثم إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق ، ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه

المسافة ، وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتكون على هيئة وشكل يفر منه كل من يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون انتهى . والحرباء أكبر من العظاية وهى تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت ، وتتلون بحر الشمس كما قال الإمام الغزالى ألوانا مختلفة فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت ، وهو ذكر أم حبين والجمع الحرابى والأنثى حرباءة . قال رجل : خاصمت ابن أخى إلى معاوية فجعلت أحجه فقال : أنت كما قال الشاعر :

أنى أتيح له حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

أراد بالساق هنا الغصن من أغصان الشجر ، والمعنى : أنه لا تنقضى له حجة حتى يتمسك بأخرى تشبهها بالحرباء. قال الجوهرى : ويقال حرباء تنضب، كما يقال ذئب غضى والتنضب : شجر يتخذ منه السهام ، والتاء زائدة لأنه ليس فى الكلام فعلل ، وفى الكلام تفعل مثل تقتل وتخرج ، الواحد : تنضبة . ويقال لها أيضا حرباء الظهيرة ، وهى دويبة غبراء مادامت فرخا ثم تصفو ، وهى أبدا تطلب الشمس فحين تبدو تنحو بوجهها إليها حتى إذا استوت الشمس علت رأس شجرة وما يجرى مجراها ، فإذا صار قرص الشمس فوق رأسها بحيث لا تراها أصابها مثل الجنون فلا تزال طالبة لها،ولا تفتر إلى جهة المغرب فترجع بوجهها إليها مستقبلة لها ولا تنحرف عنها إلى أن تغيب الشمس ، فإذا غابت الشمس طلب هذا الحيوان معاشه ليله كله إلى أن يصبح حتى إن طائفة من المتكلمين على طبائع الحيوان يقولون : إنه مجوسى ولسانه طويل جدا مقدار ذراع كما تقدم ، وذلك دليل على أنه يكون مطويا فى حلقه وهو يبلغ به ما بعد عنه من الذباب ، والأنثى من هذا النوع تسمى أم حبين وستأتى فى آخر الباب ، وقد سمى أبو النجم فى بعض شعره الحرباء بالشقى ، وليس الشقى باسم للحرباء وإنما سماه به لاستقباله الشمس كذا ذكره فى المحكم فى العين والنون والباء ، وهذا الحيوان يوصف بالحزم لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك غيره ، وهو يشبه رأس العجل، وعلى هيئة السمكة الصغيرة، وله أربعة أرجل كسام أبرص وذكر الشيخ جمال الدين بن هشام فى شرح [بانت سعاد] أن للحرباء سناما كسنام البعير وأنه يتلون ألوانا ، ويكنى أبا قرة ، وهى تتلون بلون الشجر التى تكون عليها حتى تكاد تختلط بلونها ، فإذا قرب منها الذباب ونحوه اختطفته بلسانها ، وقد تقدم عن القزوينى نظير ذلك.

(الحكم) قال فى الروضة إنها نوع من الوزغ غير مأكولة ، لكن مقتضى ماقاله الجاحظ والجوهرى من أنها ذكر أم حبين أنها تؤكل لأن أم حبين مأكولة كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، لكن قالوا : إن الحرباء من ذوات السموم فيكون هذا علة تحريمها لا أنها نوع من الوزغ .

(الأمثال) قالوا : فلان يتلون تلون الحرباء يضرب لمن لا يثبت على حالة . وقالوا : أجود من عين الحرباء ، وأحزم من الحرباء لما تقدم ، والحزم الاحتراس والنظر فى الأمر قبل الإقدام عليه .

(الخواص) دمها إذا نتف الشعر النابت فى أجفان العين وجعل فى أصوله لم ينبت أبدا ومرارتها إذا اكتحل بها أزالت غشاوة البصر ، وشحمها إذا جعل على حديدة وأحرق بالنار وخلط بالدم مع شىء يسير من الماء وجدد عليه الدم والشحم وطلى به قروح الرأس والأبثار فإنه يبرئها من أول طلية .

(التعبير) الحرباء فى المنام : وزير ملك أو خليفته لا يكاد يفارقه لأنها تدور أبدا مع الشمس ولا تفارقها كما تقدم ، وربما دلت على الخدمة للسلطان ، أو الفتنة فى الدين ، أو المرأة المجوسية ، وربما دلت على الحرب ، والندب على الميت ، والله أعلم .

﴿ الحرذون ﴾ : بكسر الحاء والذال المعجمة دويبة شبيهة بالضب ، وقيل : هو ذكر الضب لأن له ذكرين مثله ، وهو من ذوات السموم يوجد فى العمران المهجورة كثيرا له كف كـكف الإنسان مقسومة الأصابع إلا الأنامل ، وجلده لا برص فيه بخلاف سام أبرص والحق أنه غير الورل خلافا لعبد اللطيف البغدادى .

(وحكمه) تحريم الأكل لأنه من ذوات السموم .

(الخواص) قال أرسطو : من طلى بشحم الحرذون وألقى نفسه على التمساح لم يضره التمساح ، وإذا شم رائحته خدر وانقلب على ظهره ، وإن أحرق جلده وطلى به إنسان لم يحس بألم الضرب والقطع ولو فرق بين رأسه وجسده ، والعيارون يفعلون ذلك فيظهر منهم الثبات على الضرب وغيره ، والحرذون يقتل العقرب ، وإذا علق شحمه على صاحب حمى الربع فى خرقة سوداء أبرأه وأزالها ، وقال مهراريس : إنما يعلق قلبه على الوصف الذى تقدم .

(ورؤيته فى المنام) تدل على الطمع والشره فى الكسب ، واختلاف المزاج والذهول والنسيان والله تعالى أعلم .

﴿ الحرشاف أو الحرشوف ﴾ : الجراد المهزول الكثير الأكل الواحدة حرشافة ، وفى حديث خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت رضى الله تعالى عنهما لما قال لها : أنت كظهر أمى ، جاءت تستفتى له رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشتكى إلى الله ، فأنزل الله عز وعلا فيها — قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله — إلى آخر الآيات . قال لها النبى صلى الله عليه وسلم « مريه أن يعتق رقبة قالت : والله ما يجد رقبة وما له خادم غيرى قال : مريه فليصم شهرين متتابعين . قالت : والله يا رسول الله مايقدر على ذلك إنه ليشرب

فى اليوم كذا كذا مرة قد ذهب بصره مع ضعف بدنه ، وإنما هو كالحرشافة ، شبهته بالجزاد المهزول الكثير الأكل .

﴿ الحرقوص ﴾ : بضم الحاء المهملة وبالقاف المضمومة وبالصاد المهملة فى آخره وبالسين فى لغة عوض الصاد : دويبة كالبرغوث صغيرا أرقط بحمرة أو صفرة ، ولونه الغالب عليه السواد ، وربما نبت له جناحان فطار . قال الراجز :

ما لقى البيض من الحرقوص يدخل تحت الجلق المرصوص
من مارد لص من اللصوص بمهر لا غال ولا رخيص

أراد بلا مهر أصلا ، وقيل : هى دويبة مثل القراد ، وأنشدوا :

• مثل الحراقيص على حمار •

وفى [ربيع الأبرار] للزمخشرى : أنها دويبة أكبر من البرغوث وعضها أشد عضة ، وهى مولعة بفروج النساء تولع النمل بالمذاكير ، وينبت لها جناحان كما ينبت للنملة ، وقيل: الحرقوص البرغوث بعينه ، واحتج له بقول الطرماح :

ولو أن حرقوصاً على ظهر قلة يكر على صنى نميم لولت

ويقال له النهيك ، وقالت أعرابية :

يا أيها الحرقوص مهلا مهلا أن إبلا أعطيتنى أم نجلا
أم أنت شىء لا تبالى الجهلا

وقال ابن سيده : الحرقوص دويبة محرمة لها حمة كحمة الزنبور تلدغ بها كأطراف السياط ، ولذلك يقال لمن ضرب بأطراف السياط : أخذته الحراقيص .

(فائدة) الحرقوص السعدى رجل من الصحابة وهو ذو الخويصرة التميمى الذى بال فى المسجد ، وهو القائل للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقسم اعدل فقال « ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل » وهو الذى خاصم الزبير فى شراج الحرة ، وقيل: أن كان ابن عمتك فأمر النبى صلى الله عليه وسلم الزبير باستيفاء حقه .

وقال ابن الأثير فى [أسد الغابة] : الحرقوص بن زهير السعدى من الصحابة ذكره الطبرانى . وقال : إن الهرمزان الفارسى كفر ومنع ما قبله واستعان بالأكراد وكثر جمعه ، فكتب عتبة بن غزوان إلى عمر رضى الله عنه بذلك ، فكتب إليه عمر يأمره بقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير ، وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بالقتال فاقتتل المسلمون والهرمزان فانهزم الهرمزان ، وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها وله أثر كبير فى قتال الهرمزان ، وبقى حرقوص إلى أيام على رضى الله تعالى عنه وشهد معه صفين

ثم صار مع الخوارج ومن أشدهم على علىّ ، وكان مع الخوارج لما قاتلهم على فقتل حرقوص يومئذ سنة سبع وثلاثين .

(وحكمه) تحريم الأكل لأنه من الحشرات .

﴿ الحريش ﴾ : نوع من الحيات أرقط كذا قاله الجوهرى . وقال بعد هذا : الحريش دابة لها مخالب كمخالب الأسد ولها قرن واحد فى هامتها ، ويسميها الناس الكركدن . وقال أبوحيان التوحيدى : هى دابة صغيرة فى جرم الجدى ساكنة جداً غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القناص ، ولها فى وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح به جميع الحيوان فلا يغلبها شىء ، ويحتال لصيدها بأن تتعرض لها فتاة عذراء أو صبية فإذا رأتها وثبت إلى حجرها كأنها تريد الرضاع ، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة فإذا هى صارت فى حجر الفتاة أرضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان من الخمر ، فيأتيها القناص على تلك الحالة فيشدها وثاقا على سكون منها بهذه الحيلة . وقال القزوينى فى [الأشكال] الحريش حيوان فى حجم الجدى ذو عدو شديد ، وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدن ، وأكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شىء فى عدوه ، ويوجد فى غياض بلغار وسجستان انتهى .

(وحكمه) التحريم ، سواء كان من نوع الحيات أو الحيوان الموصوف لعموم النهى عن أكل كل ذى ناب من السباع .

(الخواص) دمه يشربه من به خناق ينفتح فى الحال ، ولحمه يبرئ صاحب القولنج أكلا ، وكعبه يجعل على العرق المدمى يسكن ألمه .

﴿ الحسبان ﴾ : الجراد ، واحده حسبانة ، وكذلك النملة الصغيرة .

﴿ الحساس ﴾ : جنس من السمك صغار وهو الهف .

﴿ الحسل ﴾ : ولد الضب والجمع أحسال وحسول وحسلان وحسلة ، يقال ذلك لولد الضب حين يخرج من بيضته وكنية الضب أبو حسل .

(وحكمه) كأبيه .

(الأمثال) قالوا : لا آتيك سن الحسل : أى أبدا ، لأن سنها لا تسقط حتى تموت . وأنشد العجاج يقول :

إنك لو عمرت عمر الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل كنت رهين هرم وقتل

الفطحل على وزن الهزبر : زمن لم يخلق فيه الناس ، وكانت الحجارة فيه رطبة .

﴿ الحسيل ﴾ : ولد البقرة الأهلية لا واحد من لفظه والأنثى حسيلة كذا قاله الجوهرى ، وهو وهم ، والصواب الحسيل أولاد البقر واحده حسيلة لأنه سمع له واحد من لفظه ؛ وفى [كفاية المتحفظ] الحسيلة البقرة وجمعها حسائل .

﴿ حسون ﴾ : عصفور ذو ألوان بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة ، يسميه أهل الأندلس أبا الحسن والمصريون أبا زقاية وربما أبدلوا الزاى سينا ، وهو يقبل التعليم فيعلم أخذ الشىء من يد الإنسان المتباعد ويأتى به إلى مالكه ، وهو داخل فى عموم العصافير ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة .

﴿ الحشرات ﴾ : صغار دواب الأرض وصغار هوامها الواحدة حشرة بالتحريك وابن أبى الأشعث يسمى جميع هذا الحيوان الأرضى لأنه لا يفاقها إلى الهواء ولا إلى الماء ، وهو يأوى فى حجرته ويركز فى بطنها ولا يحتاج إلى شرب الماء ولا إلى شم النسيم ، وهو قرين الأفاعى والحيات والجرذان الأهلية والبرية واليربوع والضب . والحرذون والقنفذ والعقرب والخنفساء والوزغ والنمل والحلم وأنواع أخرى سيأتى منها ما لم يتقدم له ذكر .

(فائدة) قوله تعالى — أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون — قال مجاهد : اللاعنون : الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم . رواه ابن ماجه مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فإن قيل : كيف جمع مالا يعقل جمع من يعقل ؟ فالجواب : أنه أسند إليهم فعل من يعقل كما قال — رأيتهم لى ساجدين — ولم يقل ساجدات ، وكقوله تعالى — وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا — وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : اللاعنون كل المخلوقات ما عدا الجن والإنس ، وقيل ما عدا الملائكة فقط .

(الحكم) يحرم أكل الحشرات ولا يصح بيعها لعدم النفع بها ، وبه قال الإمام أحمد وأبو حنيفة وداود ، وقال مالك : إنها حلال لقوله تعالى : — قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة — الآية ، ولحديث الثلب بن ثعلبة بن ربيعة التميمى قال « صحبت النبى صلى الله عليه وسلم فلم أسمع لحشرة الأرض تحريما » رواه أبو داود والثلب بثاء مثناة من فوق مفتوحة ثم لام مكسورة ثم باء ثالثة الحروف . وقال شعبة : الثلب بثاء مثلثة ، وفى سنن أبى داود فى كتاب العتاق عن أحمد أنه قال : كان شعبة ألثغ لم يبين التاء من الثاء ، وكذلك قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر ثم قال . وكان الثلب يكنى أبا الملقام ، روى عنه ابنه ملقام أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : استغفر لى يا رسول الله فقال « اللهم اغفر للثلب وارحمه ثلاثا » واحتج الشافعى والأصحاب بقوله تعالى — ويحرم عليهم الخبائث — وهو ما تستخبثه العرب ، وبقوله صلى الله عليه وسلم « خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن

فى الحل والحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور » رواه البخارى ومسلم من رواية عائشة وحفصة وابن عمر رضى الله عنهم ، وعن أم شريك أنه صلى الله عليه وسلم « أمر بقتل الأوزاغ » رواه الشيخان . وأما قوله تعالى — قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما — الآية ، فقد قال الشافعى وغيره من العلماء : معناه : مما كنتم تأكلونه وتستطيعونه . وقال الغزالى فى الوسيط : لا يؤكل من الحشرات إلا الضب ، وقد استدرك عليه اليربوع وابن عرس وأم حبين والقنفذ والدلدل ، وسيأتى الكلام عليهن فى أماكنهن إن شاء الله تعالى .

﴿ الحشور والحاشية ﴾ : صغار الإبل التى لا كبار فيها ، وكذلك من الناس .

﴿ الحصان ﴾ : بكسر الحاء المهملة الذكر من الخيل . قيل : إنما سمى حصانا لأنه حصن ماءه فلم ينز إلا على كريمة . روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال « كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط فغشيته سحابة فجعلت تدنو وتدنو فجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : تلك السكينة تنزلت للقرآن » والرجل المذكور أسيد بن حضير .

وفى الخبر : أن فرعون هاب دخول البحر وكان على حصان أدهم ولم يكن فى خيل فرعون أنثى ، فجاءه جبريل على فرس وديق : أى تشتهى الفحل على صورة هامان وقال له تقدم ، فخاض البحر فتبعها حصان فرعون وميكائيل يسوقهم لا يشرد منهم أحد ، فلما صار آخرهم فى البحر وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم فأغرقهم أجمعين .

وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفا . وقال عمرو بن ميمون : كانوا ستمائة ألف . وقيل : خرج موسى فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره ، وكانوا يوم دخول مصر مع يعقوب اثنين وسبعين ألفا ما بين رجل وامرأة ، فلما أرادوا المسير ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون ، فدعا موسى مشيخة بنى إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا : إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت أخذ على إخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم ، فلذلك انسد علينا الطريق ، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادى : أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف إلا أخبرنى به ، ومن لم يعلم فصمت أذنه عن قولى ؟ فكان يمر بين الرجلين وهو ينادى فلا يسمعان صوته سمعته عجوز من بنى إسرائيل فقالت : أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطينى كل ما سألتك ؟ فأبى عليها وقال : حتى أسأل ربى عز وجل ، فأمره الله أن يعطيها سؤلها فقالت : إنى عجوز كبيرة لا أستطيع المشى فاحملنى وأخرجنى من مصر هذا فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة

فى الجنة إلا نزلتها معك . قال : نعم . قالت : إنه فى جوف الماء فى النيل فادع الله حتى يحسر عنه الماء ، فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء ، ودعا الله تعالى أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف ، فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه فى صندوق بمرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام ، ففتح لهم الطريق فساروا وموسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم ، ونذر بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لايخرجوا فى طلب بنى إسرائيل حتى تصيح الديكة .

قال عمرو بن ميمون : فوالله ماصاح ديك تلك الليلة ، فخرج فرعون فى طلب بنى إسرائيل وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف ، وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات .

وقال شيخ التفسير محمد بن جرير الطبرى : كان فى عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم ، وكان فرعون فى سبعة آلاف ألف ، وكان فى الدهم ، وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب ، ومائة ألف أصحاب أعمدة ، وكان الماء فى غاية زيادته ، وكان قد أشرف على بنى إسرائيل حين أشرقت الشمس فتحير أصحاب موسى فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه ، فأوحى الله تعالى إليه : أن كنه ، فضربه وقال : افلق ياأبا خالد بإذن الله تعالى ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل ، وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا ، فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط فى طريق ، وعلى جانبهم الماء كالجبل الضخم فصار لايرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل إخواننا ، فأوحى الله تعالى إلى الماء أن يشبك ، فصار الماء شبكات كالطاقات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين . فذلك قوله تعالى — فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون — وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر ورآه متقطعا قال لقومه : انظروا إلى البحر كيف انفلق من هيبتى حتى أدرك عبيدى الذين أبقوا ادخلوا البحر ، فهاب قومه أن يدخلوه وقالوا له : إن كنت ربا فادخل البحر كما دخل يعنون موسى ، وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن فى خيل فرعون فرس أنثى ، فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر ، فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئا وهو لايرى فرس جبريل عليه السلام فاقتحمت الخيول خلفه البحر ، وجاء ميكائيل عليه السلام على فرس خلف القوم يسوقهم حتى لم يبق رجل وهو يقول لهم : الحقوا بأصحابكم ، حتى إذا خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل عليه السلام من البحر وهم أولهم بالخروج أمر الله عز وجل البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم

أجمعين ، وكان بين طرفى البحر أربعة فراسخ ، وذلك بمرأى من بنى إسرائيل ، وذلك قوله تعالى – وأنتم تنظرون – أى إلى مصارعهم ، وقيل إلى هلاكهم ، والبحر هو بحر القلزم طرف من بحر فارس اهـ .

وقال قتادة : هو بحر وراء مصر يقال له إسعاف ، ولا خلاف أن فرعون مات كافرا ولا التفات إلى قول من قال خلاف ذلك ، ولا تعريج عليه ، والنزاع فى أنه مات مسلما مكابرة وخرق للاجماع ، والله أعلم .

وذكر ابن خلكان : أن عبد الملك بن مروان لما عزم على الخروج لمحاربة مصعب ابن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه وأن يستنيب غيره وألحت عليه فى المسألة ، فلما لم يسمع منها بكت وبكى من حولها من حشمها . فقال عبد الملك : قاتل الله كثيرا كأنه رأى موقفنا هذا حين قال :

إذا ما أراد الغزو لم يثن همه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت فبكى مما شجاها فطينها

ثم عزم عليها أن تقصر وخرج . ويضاهى هذه الحكاية فى طرفة اتفاقها وملحة مساقها ما حكى أن المأمون حين بنى على بوان بنت الحسن بن سهل فرش له حصير منسوج بالذهب ثم نثر على قدميه لآلىء كثيرة ، فلما رأى المأمون تساقط اللآلىء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد هذه الحال حين شبه حباب كأسه بقوله :

كأن كبرى وصغرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وقد عيب ذلك على أبى نواس ، وقد اعتذر عنه بأنه جعل من فى البيت زائدة على ما أجازه أبو الحسن الأخفش من زيادتها فى الكلام الموجب ، وأول عليه قوله تعالى – من جبال فيها من برد – وقيل : تقديره فيها برد ، والله أعلم .

﴿ الحصور ﴾ : الناقة الضيقة الإحليل ، والحصور من الرجال الذى لا يقرب النساء .

(فائدة أجنبية) ذكرها الصاغانى فى العباب قال : سألنى والدى تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه بحبوحة جنته بعزته قبل سنة تسعين وخمسمائة ، وأنا إذ ذاك أسحب مطارف الشباب فى رغد العيش اللباب ، وهو يفيدنى غرر الفوائد ويرزقنى درر الفرائد ، وكان رحمه الله ريان من الفضائل ظمآنا عن الرذائل عن معنى قولهم : قد أثر حصير الحصير فى حصير الحصير ، فلم أدر ما أقول فقال : الحصير الأول البارية ، والثانى السجن ، والثالث الجنب ، والرابع الملك اهـ .

﴿ حضاجر ﴾ : اسم للذكر والأنثى من الضباع سميت بذلك لسعة بطنها وعظمه وهو معروف . قال الحطيئة :

هلا غضبت لرحل جا رك إذ تنبذه حضاجر

كذا أنشده ابن سيده ، وأنشده الجوهرى : ٥ هلا غضبت لجار بيتك ٥

قال السيرافى : وإنما جعل اسما لها على لفظ الجمع إرادة للمبالغة. وقال سيبويه : سمعنا العرب تقول : وطب حضجر ، وأوطب حضاجر ، ولذلك لاينصرف فى معرفة ولا نكرة لأنه اسم لواحد على بنية الجمع . وقال ابن الحاجب فى كافيته : وحضاجر اسم علم للضبع غير منصرف لأنه منقول عن الجمع . قلت : وهو الأوجه ، والله أعلم .

﴿ الحضب ﴾ : الذكر الضخم من الحيات ، وقيل حية دقيقة ، وقيل الأبيض من الحيات.

﴿ الحفان ﴾ : فراخ النعام واحدها حفانة الذكر والأنثى فيه سواء ، وربما سموا صغار الإبل حفانا .

﴿ الحفص ﴾ : ولد الأسد ، وبه سمى الرجل حفصا .

﴿ الحقم ﴾ : ضرب من الطير يشبه الحمام ، ويقال إنه الحمام نفسه .

﴿ الحلزون ﴾ : دود فى جوف أنبوبة حجرية يوجد فى سواحل البحار وشطوط الأنهار وهذه الدودة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية ، وتمشى يمنة ويسرة تطلب مادة تغتذى بها فإذا أحست بلين ورطوبة انبسطت إليها ، وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف الأنبوبة الصدفية حذارا من المؤذى لجسمها ، وإذا انسابت جرّت بيتها معها .

(وحكمه) التحريم لاستخباثه ، وقد قال الرافعى فى السرطان : إنه يحرم لما فيه من الضرر ولأنه داخل فى عموم تحريم الصدف ، وسيأتى الكلام عليه فى باب السين المهملة ، وأما المحار الذى يسمى الدنيلس فسيأتى الكلام عليه فى باب الدال .

(الخواص) قال ابن سينا : طلى الجبهة بالحلزون يمنع انصباب المواد إلى العين ، والله أعلم .

﴿ الحلكة والحلكاء والحلكى ﴾ : بفتح الحاء المهملة وضمها وكسرها : دويبة شبيهة بالعظاية تغوص فى الرمل .

﴿ الحلم ﴾ : القراد العظيم الواحدة حلمة . وقال الجوهرى : هو مثل القمل ، وسيأتى أنه القراد المهزول . قال : والحلم أيضا دود يقع فى جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل فإذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقا . يقال : حلم الأديم بكسر اللام يحلم بفتحها حلما إذا أكله . قال الشاعر وهو الوليد بن عقبة بن أبى معيط :

فإنك والكتاب إلى علىّ كدايغة وقد حلم الأديم

قال ابن السكيت : وهذه الدويبة هى التى تأكل الكتب وتمزق الأوراق، وفى الحديث أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان ينهى أن تنزع الحلمة من أذن دابته ، وروى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه يوما فنزع نعليه ووضعهما على يساره ، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم ، فلما انقضت الصلاة قال : مالكم خلعتم نعالكم ؟ قالوا : يانبى الله رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنما نزعتهما لأن جبريل أخبرنى أن فيهما دم حلمة » انتهى . قلت : والمراد به الدم اليسير والمعفوّ عنه ، وإنما فعله النبى صلى الله عليه وسلم تنزها عن النجاسة وإن كان معفوا عنها . وقد أطلق أصحابنا العفو عن اليسير من سائر الدماء إلا المتولى فإنه استثنى من ذلك دم الكلب والخنزير واحتج بغلظ نجاستهما . وأما الدم الباقى على اللحم وعظامه فإنه مما تعم به البلوى وقلّ من أصحابنا من تعرّض له. وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبى المفسر من أئمة أصحابنا عن جماعة كثيرة من التابعين أنه لابأس به ، ونقله عن جماعة من أصحابنا لمشقة الاحتراز، وصرح الإمام أحمد وأصحابه بأن مايبقى من الدم فى اللحم معفو عنه ولو غلبت حمرة الدم فى القدر لعسر الاحتراز عنه ، وحكوه عن عائشة وعكرمة والثورى وبه قال إسحاق لقوله تعالى — إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا — فلم ينه عن كل دم بل نهى عن المسفوح خاصة وهو السائل ، والله تعالى أعلم . قال الأصمعى : ويقال للقراد أول مايكون صغيرا ققامة ثم يصير حمنانة ثم يصير قرادا ثم يصير حلما وأنشد أبو على الفارسى :

وما ذكر فإن يــكبر فأنثى شديد الأزم ليس له ضروس

والأكثر أن يجمع ضرس على أضراس ، والأسنان كلها إناث إلا الأضراس والأنياب .

(وحكمه) تحريم الأكل لاستخبائه ، وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب القاف فى لفظ القراد .

(الأمثال) قالت العرب : القردان فما بال الحلم ، وهو قريب من قولهم : استنت الفصال حتى القرعى ، وسيأتى فى بابه .

﴿ الحمار الأهلى ﴾ : الحمار جمعه حمير وحمر وأحمرة وربما قالوا للأتان حمارة وتصغيره حمير ومنه توبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية الذى تقدم ذكره، وكنية الحمار أبو صابر وأبو زياد قال الشاعر :

زياد لست أدرى من أبوه ولــكن الحمار أبو زياد

ويقال للحمارة أم محمود وأم تولب وأم جحش وأم نافع وأم وهب ، وليس فى الحيوان مايغزو على غير جنسه ويلقح إلا الحمار والفرس ، وهو ينزو إذا تم له ثلاثون شهرا ، ومنه نوع يصلح لحمل الأثقال، ونوع لين الأعطاف سريع العدو يسبق براذين الخيل. ومن عجيب

أمره أنه إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف يريد بذلك الفرار منه . قال حبيب ابن أوس الطائى يخاطب عبد الصمد بن المعذل وقد هجاه :

أقدمت ويحك من هجوى على خطر والعير يقدم من خوف على الأسد

ويوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات التى مشى فيها ولو مرة واحدة وبحدة السمع ، وللناس فى مدحه وذمه أقوال متباينة بحسب الأغراض ؛ فمن ذلك أن خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى كانا يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين ، فأما خالد فلقيه بعض الأشراف بالبصرة على حمار فقال : ماهذا يا ابن صفوان ؟ فقال : عير من نسل الكدار يحمل الرحلة ويبلغنى العقبة ، ويقل داؤه ويخف دواؤه ، ويمنعنى من أن أكون جباراً فى الأرض وأن أكون من المفسدين . وأما الفضل فإنه سئل عن ركوبه الحمار فقال : إنه من أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة ، وأخفضها مهوى وأقربها مرتقى ، فسمع أعرابى كلامه فعارضه بقوله : الحمار شنار والعير عار ، منكر الصوت لا ترقأ به الدماء ، ولا تمهر به النساء ، وصوته أنكر الأصوات . قال الزمخشرى : الحمار مثل فى الذم الشنيع والشتيمة ؛ ومن استيحاشهم لذكر اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنون عن الشىء المستقذر ، وقد عدّ من مساوى الآداب أن يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم ذوى مروءة ، ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا . وإن بلغت به الرحلة الجهد اه . والمروءة بالهمز وتركه . قال الجوهرى : هى الإنسانية . وقال ابن فارس : هى الرجولية . وقيل : إن ذا المروءة من يصون نفسه عن الأدناس ولا يشينها عند الناس . وقيل : من يسير بسيرة أمثاله فى زمانه ومكانه . قال الدارمى : قيل المروءة فى الحرفة . وقيل فى آداب الدين كعدم الأكل والصياح فى الجمع الغفير وانتهار السائل ، وقلة فعل الخير مع القدرة عليه ، وكثرة الاستهزاء والضحك ونحو ذلك اه .

وفى الصحيحين وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله صورته صورة حمار ، أو يحوّل رأسه رأس حمار » ومعنى ذلك والله أعلم : أن يمسخ صورته كلها فيجعل رأسه رأس حمار وبدنه بدن حمار . وفيه دليل على جواز وقوع المسخ أعاذنا الله منه ، وهو لا يكون إلا من شدة الغضب قال الله تعالى — قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت — الآية ، وهذا الحديث صريح فى تحريم مسابقة الإمام بالركوع والسجود وغيرهما من أركان الصلاة ، وبه صرح البغوى والمتولى وصححه النووى فى شرح المهذب وهو ظاهر إيراد الكفاية .

وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

«إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا، وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا» وسيأتى فى باب الدال المهملة إن شاء الله تعالى .

(غريبة) رأيت فى كتاب [النصائح] لابن ظفر قال : دخلت ثغرا من ثغور الأندلس فألفيت به شابا متفقها من أهل قرطبة فآنسنى بحديثه وذاكرنى طرفا من العلم، ثم إنى دعوت فقلت : يا من قال — واسألوا الله من فضله — فقال : ألا أحدثك عن هذه الآية بعجب ؟ قلت : بلى ، فحدثنى عن بعض سلفه، أنه قال : قدم علينا من طليطلة راهبان كانا عظيمى القدر بها ، وكانا يعرفان اللسان العربى ، فأظهرا الإسلام وتعلما القرآن والفقه فظن الناس بهما الظنون . قال : فضممتهما إلىّ وقمت بأمرهما وتجسست عليهما فإذا هما على بصيرة من أمرهما ، وكانا شيخين فقلما لبث أحدهما حتى توفى ، وأقام الآخر أعواما ثم مرض فقلت له يوما : ما سبب إسلامكما ؟ فكره مسألتى فرفقت به ، فقال : إن أسيرا من أهل القرآن كان يخدم كنيسة نحن فى صومعة منها فاختصصنا به لخدمتنا ، وطالت صحبته لنا حتى فقهنا اللسان العربى وحفظنا آيات كثيرة من القرآن لكثرة تلاوته له فقرأ يوما — واسألوا الله من فضله — فقلت لصاحبى وكان أشد منى رأيا وأحسن فهما : أما تسمع دعاوى هذه الآية فزحرنى ، ثم إن الأسير قرأ يوما — وقال ربكم ادعونى أستجب لكم — فقلت لصاحبى : هذه أشد من تلك، فقال : ما أحسب الأمر إلا على ما يقولون وما بشر عيسى إلا بصاحبهم. قال : واتفق يوما أنى غصصت بلقمة والأسير قائم علينا يسقينا الخمر على طعامنا فأخذت الكأس منه فلم أنتفع بها ، فقلت فى نفسى : يا رب إن محمدا قال عنك أنك قلت — واسألوا الله من فضله — وأنك قلت — أدعونى أستجب لكم — فإن كان صادقا فاسقنى فإذا صخرة يتفجر منها الماء فبادرت فشربت منه ، فلما قضيت حاجتى انقطع ورائى ذلك الأسير فشك فى الإسلام ورغبت أنا فيه وأطلعت صاحبى على أمرى فأسلمنا معا ، وغدا علينا الأسير يرغب فى أن نعمده وننصره فانتهرناه وصرفناه عن خدمتنا ، ثم إنه فارق دينه وتنصر ، فحرنا فى أمرنا ولم نهتد لوجه الخلاص ، فقال صاحبى وكان أشد منى رأيا : لم لاندعو بتلك الدعوة ؟ فدعونا بها فى التماس الفرج، ونمنا القائلة فأريت فى المنام أن ثلاثة أشخاص نورانية دخلوا معبدنا فأشاروا إلى صور فيه فانمحت ، وأتوا بكرسى فنصبوه ، ثم أتى جماعة مثلهم فى النور والبهجة وبينهم رجل ما رأيت أحسن خلقا منه فجلس على الكرسى ، فقمت إليه فقلت له : أنت السيد المسيح ؟ فقال : لا بل أنا أخوه أحمد أسلم ، فأسلمت ثم قلت : يا رسول الله كيف لنا بالخروج إلى بلاد أمتك ؟ فقال لشخص قائم بين يديه : اذهب إلى ملكهم وقل له يحملهما مكرمين إلى حيث أحبا من بلاد المسلمين ، وأن يحضر الأسير فلانا ويعرض عليه العود إلى دينه فإن فعل يخلى سبيله وإن لم يفعل فليقتله . قال : فاستيقظت

من منامى وأيقظت صاحبى وأخبرته بما رأيت وقلت له ما الحيلة؟ فقال: قد فرج الله أما ترى الصور ممحوة فنظرت فوجدتها ممحوة فازددت يقينا ، ثم قال لى صاحبى : قم بنا إلى الملك، فأتيناه فجرى فى تعظيمنا على عادته وأنكر قصدنا له ، فقال له صاحبى : افعل ما أمرت فى أمرنا وفى أمر فلان الأسير ، فامتقع لونه وأرعد : ثم دعا بالأسير وقال له : أنت مسلم أو نصرانى ؟ فقال : بل نصرانى ، فقال له ارجع إلى دينك لا حاجة لنا فيمن لا يحفظ دينه ، فقال : لا أرجع إليه أبدا ، فاخترط الملك سيفه وقتله بيده ، ثم قال لنا سرا : إن الذى جاء إلى وإليكما شيطان : ولكن ما الذى تريدان؟ قلنا : الخروج إلى بلاد المسلمين . قال : أنا أفعل ما تريدان لكن أظهرا أنكما تريدان بيت المقدس ، فقلنا له نفعل فجهزنا وأخرجنا مكرمين اه .

وروى النسائى والحاكم عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير فى الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى مالا ترون، وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله يبث فى الليل من خلقه ما شاء » ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط مسلم ، وفى سنن أبى داود وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من قوم يقومون من مجلس لايذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة » وفى تاريخ نيسابور وكامل ابن عدى من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « شر الحمير الأسود القصير » وقال الجوهرى : تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات فى طلق واحد .

قال الشاعر :

لعمرى لئن عشرت من خيفة الردى نهاق حمار إننى لجزوع

وذلك أنهم إذا خافوا من وباء بلد عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوها ، وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعهم .

(غريبة أخرى) قال مسروق : كان رجل بالبادية له حمار وكلب وديك ، وكان الديك يوقظهم للصلاة والكلب يحرسهم والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم ، فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له ، وكان الرجل صالحا فقال : عسى أن يكون خيرا ، ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله ، فقال الرجل : عسى أن يكون خيرا ، ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال : عسى أن يكون خيرا ، ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبى من كان حولهم وبقوا سالمين ، وإنما أخذوا أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة فى هلاك ما كان عندهم من ذلك كما قدر الله سبحانه وتعالى ، فمن عرف خفى لطف الله رضى بفعله .

(فائدة) روى البيهقى فى [دلائل النبوة] بسنده إلى أبى سبرة النخعى قال « أقبل رجل من اليمن فلما كان فى أثناء الطريق نفق حماره ، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إنى جئت مجاهداً فى سبيلك ابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور لا تجعل لأحد على اليوم منة أسألك أن تبعث لى حمارى ، فقام الحمار ينفض أذنيه » قال البيهقى : هذا إسناد صحيح ، ومثل هذا يكون معجزة لصاحب الشريعة حيث يكون فى أمته من يحيى الله له الموتى كما سبق ويأتى . والرجل المذكور اسمه نباتة بن يزيد النخعى . قال الشعبى : أنا رأيت ذلك الحمار يباع بعد ذلك فى السوق ، فقيل للرجل أتبيع حمارا قد أحياه الله لك ؟ قال : فكيف أصنع ؟ فقال رجل من رهطه ثلاثة أبيات حفظت منها هذا البيت :

ومنا الذى أحيا الإله حماره وقد مات منه كل عضو ومفصل

(فائدة أخرى) قوله تعالى — وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى — قال الحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك وابن جريج رحمهم الله تعالى . كان سبب هذا السؤال من إبراهيم صلى الله عليه وسلم أنه مر على دابة ميتة . قال ابن جريج : كانت جيفة حمار بساحل البحر . قال عطاء : بحيرة طبرية . قالوا : فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر ؛ وكان البحر إذا مد جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فما وقع منها يصير فى البحر ، وإذا جزر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها يصير ترابا ، فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعته الرياح فى الهواء ، فلما رأى إبراهيم ذلك تعجب منها وقال : يارب قد علمت لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر ، فأرنى كيف تحييها لأعاين ذلك فأزداد يقينا؟ فعاتبه الله على ذلك فقال — أو لم تؤمن قال بلى — يارب قد علمت وآمنت — ولكن ليطمئن قلبى — : أى يسكن إلى المعاينة والمشاهدة ، فابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يعلم يقينا أن الله يحيى الموتى ، ولكنه أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة ، وما أحسن قول بعضهم :

لئن كلمت بالتفريق قلبى فأنت بخاطرى أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى له سأل المعاينة الكليم

وقيل : كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمروذ فقال : ربى الذى يحيى ويميت . فقال نمروذ : أنا أحيى وأميت فقتل رجلا وأطلق آخر فجعل ترك القتل إحياء ، فقال إبراهيم : إن الله يقصد إلى جسد ميت فيحييه ، فقال له نمروذ : أنت عاينته ؟ فلم يقدر أن يقول نعم ، فانتقل إلى حجة أخرى ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى . قال : أو لم تؤمن؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى بقوة حجتى ، وإذا قيل لى : أنت عاينته ؟ أقول نعم قد عاينته . وقال سعيد بن جبير : لما اتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له

فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له ، فأتى إبراهيم ولم يكن فى الدار فدخل داره وكان إبراهيم من أغير الناس إذا خرج أغلق بابه ، فلما جاء وجد فى داره رجلا فثار عليه إبراهيم ليأخذه فقال له : من أنت ، ومن أذن لك أن تدخل دارى بغير إذنى؟ فقال : أذن لى رب هذه الدار ، فقال له إبراهيم : صدقت ، وعرف أنه ملك ، فقال له : من أنت؟ فقال له : أنا ملك الموت جئت أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلا ، فحمد الله تعالى ثم قال : ما علامة ذلك ؟ قال : إجابة الله دعاءك وإحياء الموتى بسؤالك ، فحينئذ قال إبراهيم : — رب أرنى كيف تحيى الموتى؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى — أنك قد اتخذتنى خليلا وأجبتنى إذا دعوتك .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: — رب أرنى كيف تحيى الموتى؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى — ورحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ، ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » وقد أخرجه عن ابن وهب أيضا . وقوله : نحن أحق بالشك من إبراهيم : قال المزنى : لم يشك النبى ولا إبراهيم صلى الله عليهما وسلم فى أن الله قادر على أن يحيى الموتى ، وإنما شكا فى أنه تعالى هل يجيبهما إلى ما سألاه أم لا ؟ وقال الخطابى : ليس فى قوله «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول : إذا لم أشك أنا فى قدرة الله على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك ، وإنما قال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس ، وكذلك قوله : «ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » وفيه إعلام أن المسئلة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم تعرض من جهة الشك لكن من قبيل زيادة العلم بالعيان فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال ، وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم : شك إبراهيم ولم يشك نبينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول تواضعا منه وتقديما لإبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى الكلام على تمام الآية فى باب الطاء المهملة فى الكلام على لفظ الطير .

(فائدة أخرى) قوله تعالى — أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال : كم لبثت؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم. قال : بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك — الآية ، هذه الآية منسوقة على الآية التى قبلها تقديره — ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه — وإلى الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، وقيل : تقديره هل رأيت كالذى حاج إبراهيم فى ربه ؟ وهل رأيت كالذى مر على قرية ؟ قاله البغوى ، وقد اختلف المفسرون وأهل السير فى ذلك المار ، فقال وهب بن منبه : هو أرمياء بن حلقيا ، وكان من سبط هرون

وهو الخضر . وقال قتادة وعكرمة والضحاك : هو عزير بن شرخيا ، وهو الأصح . وقال مجاهد : هو كافر شك فى البعث . واختلفوا فى تلك القرية ؛ فقال وهب وعكرمة وقتادة : هى بيت المقدس . وقال الضحاك : هى الأرض المقدسة . وقال الكلبى : هى دير سابراباد . وقال السدى : سلماباد . وقيل دير هرقل ، وقيل الأرض التى أهلك الله فيها الذين خرجوا من دياهم وهم ألوف ، وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وهى خاوية ساقطة ، يقال خوى البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصورا إذا سقط ، وخوى البيت بالفتح يخوى خواء ممدودا إذا خلا على عروشها سقوفها واحدها عرش وكل بناء عرش .

وكان السبب فى ذلك على ما ذكره محمد بن إسحاق صاحب السيرة : أن الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أنوص ملك بنى إسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله ، وكان قوام أمر بنى إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم ، فكان الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه عز وجل ، فعظمت الأحداث فى بنى إسرائيل وركبوا المعاصى ، فأوحى الله إلى أرمياء أن ذكر قومك نعمى وعرفهم أحداثهم ، فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه فى الوقت خطبة طويلة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية ، وقال فى آخرها عن الله عز وجل : وإنى أحلف بعزتى لأقيضن لكم فتنة يتحير فيها الحكيم ، ولأسلطن عليكم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم . ثم أوحى الله إلى أرمياء : إنى مهلك بنى إسرائيل بيافث ويافث أهل بابل وهم ولد يافث بن نوح ، فلما سمع ذلك أرمياء صاح وبكى ومزق ثيابه ونبذ التراب على رأسه ، فأوحى الله إليه : يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك ؟ قال نعم يارب ، أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل مالا أسر به ، فأوحى الله إليه : وعزتى لا أهلك بنى إسرائيل حتى يكون الأمر فى ذلك من قبلك ، ففرح بذلك أرمياء وقال : لا والذى بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى إسرائيل أبدا ، ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا ، فاستبشر وفرح وقال : إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن يعف عنا فبرحمته ، ثم إنهم لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم ، فقل الوحى ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا ، فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس ، فلما قصد سائرا أتى الخبر للملك فقال لأرمياء : أين ما زعمت أن الله عز وجل أوحى إليك ؟ فقال أرمياء : إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق ، فلما قرب الأجل بعث الله إلى أرمياء ملكا متمثلا فى صورة رجل من بنى إسرائيل ، فقال له أرمياء : من أنت ؟ فقال : أنا رجل من بنى إسرائيل أتيتك أستفتيك فى أهلى ورحمى ، وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلا حسنا ولم يزدهم إكرامى إياهم إلا سخطا فأفتنى فيهم ، فقال : أحسن فيما بينك وبين

الله وصلهم وأبشر بخير ، فانصرف الملك فمكث أياما ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل فجلس بين يديه ، فقال له أرمياء : من أنت ؟ قال : أنا الذى أتيتك أستفتيك فى أهلى ورحمى ، فقال له أرمياء : أما طهرت أخلافهم لك بعد ؟ قال : يا نبى الله ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحمه إلا أتيتها إليهم وأفضل . قال له أرمياء : ارجع فأحسن إليهم أسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم لك ، فانصرف الملك ومكث أياما ، ونزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد المنتشر ففزع منهم بنو إسرائيل : وقال ملكهم لأرمياء : أين ما وعدك ربك ؟ فقال أرمياء : إنى واثق بوعد ربى ، ثم أقبل الملك على أرمياء وهو جالس على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه فجلس بين يديه ، فقال له أرمياء : من أنت ؟ قال : أنا الذى أتيتك مرتين أستفتيك فى شأن أهلى ورحمى ، فقال له أرمياء : ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه؟ فقال له الملك : يانبى الله كل شىء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى ، فقال أرمياء : على أى عمل رأيتهم ؟ قال : على عمل عظيم من سخط الله عز وجل فغضبت لله وأتيتك ، وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق إلا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم ، فقال أرمياء : ياماللك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم .

فلما خرجت الكلمة من فم أرمياء أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه ، فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه وقال ياماللك السموات والأرض أين ميعادك الذى وعدتنى ؟ فنودى : لم يصبهم ماأصابهم إلا بفتياك ودعائك ، فعلم أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسولا من الله إليه ، فطار أرمياء حتى خالط الوحوش ، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم وطئ الشام وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه فى بيت المقدس ففعلوا حتى ملئوه ، ثم أمرهم أن يجمعوا من كان فى بلدان بيت المقدس ، فاجتمع عنده كبيرهم وصغيرهم من بنى إسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل واحد منهم أربعة أغلمة ، وكان من أولئك الأغلمة دانيال وحنانيا وفرق من بقى من بنى إسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشام ، فكانت هذه الوقعة الأولى التى أنزلها الله تعالى ببنى إسرائيل بظلمهم ، فلما ولى بختنصر راجعا عنهم إلى بابل ومعه سبايا بنى إسرائيل أقبل أرمياء على حمار له معه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى إيلياء ، فلما وقف عليها ورأى خرابها قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم ، فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام

وأمات حماره وعصيره وتينه عنده ، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد ، وذلك ضحى ، ومنع الله السباع والطير عن أكل لحمه ، فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله تعالى ملكا من ملوك فارس يقال له نوشك إلى بيت المقدس ليعمره ، فانتدب فى ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه ، وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ، ونجى الله من بقى من بنى إسرائيل ولم يمت أحد منهم ببابل ، وردهم الله إلى بيت المقدس ونواحيه وعمروه ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ، فلما مضت المائة سنة أحيا الله تعالى من أرمياء عينيه وسائر جسده ميت ، ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح ، فسمع صوتا من السماء : أيتها العظام البالية إن الله تعالى يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض ، ثم نودى إن الله عز وجل يأمرك أن تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ، ثم نودى إن الله عز وجل يأمرك أن تحيى فقام بإذن الله عز وجل ونهق وعمر الله تعالى أرمياء فهو الذى يرى فى الفلوات فذلك قوله تعالى — فأماته الله مائة عام — الآية ، وقوله تعالى — لم يتسنه — أى لم يتغير ، وكان التين كأنه قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته نقله عن وهب بن منبه انتهى . وسيأتى الكلام على الخضر واختلاف العلماء فى اسمه ونبوته فى لفظ الحوت من هذا الباب .

وقال قتادة وعكرمة والضحاك : إن بختنصر لما خرب بيت المقدس وأقدم سبى بنى إسرائيل بابل كان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود عليه الصلاة والسلام ، فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل بدير هرقل على شط دجلة ، فطاف فى القرية فلم ير فيها أحدا ورأى عامة شجرها حاملا فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل الفاكهة فى سلة والعصير فى زق ، فلما رأى خراب القرية قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ! قالها تعجبا لاشكا فى البعث .

وقال السدى : إن الله تعالى أحيا عزيرا ثم قال له : انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهب بها الطير والسباع ، فاجتمعت وركب بعضها فى بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظم ليس فيه لحم ولا دم ، ثم كسيت العظام لحما ودما فصار حمارا لاروح فيه ، ثم أقبل ملك يمشى حتى أخذ منخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بإذن الله تعالى .

وقال قوم : أراد به عظام هذا الرجل ، وذلك أن الله عز وجل لم يمت حماره فأحيا الله عينيه ورأسه وسائر جسده ميت ثم قال : انظر إلى حمارك ، فنظر فإذا حماره قائم كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ، وتقدير الآية : وانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف ننشرها ، هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما أحيا الله عز وجل عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره وقصد بيت المقدس حتى أتى محلية ، فأنكره الناس وأنكروا منزلته فانطلق على وهم حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها من العمر مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم ، وكان عزير قد خرج عنهم وهى ابنة عشرين سنة ، وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير : ياهذه هذا منزل عزير ؟ قالت : نعم هذا منزل عزير ؛ وبكت وقالت : مارأيت أحدا منذ كذا وكذا سنة يذكر عزيرا . قال : فإنى أنا عزير . قالت : سبحان الله ! إن عزيرا فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر . قال : فإنى عزير ، كان الله قد أماتنى مائة سنة ثم بعثنى ، قالت : فإن عزيرا كان مجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله تعالى أن يرد على بصرى حتى أراك ، فإن كنت عزيرا عرفتك ، فدعا ربه سبحانه وتعالى ومسح بيده على عينيها فأبصرت ، ثم أخذ بيدها وقال : قومى بإذن الله تعالى ، فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت إليه وقالت : أشهد أنك عزير ، فانطلقت إلى بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم وفيهم ابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فى المجلس ، فنادت هذا عزير قد أتاكم الله به فكذبوها ، فقالت : أنا فلانة مولاتكم دعا لى عزير ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى ، وزعم أن الله سبحانه كان أماته مائة سنة ثم بعثه قال فأقبل الناس إليه ، فقال ابنه : كان لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه ، فكشف عن كتفيه فإذا هو كما قال انتهى .

وقال السدى والكلبى : لما رجع إلى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة فأتاه ملك بإناء من الله تعالى فيه ماء فشرب منه فمثلت التوراة فى صدره ، فرجع إلى بنى إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال : أنا عزير ، فلم يصدقوه فقال إنى عزيز بعثنى الله تعالى إليكم لأجدد لكم توراتكم . قالوا : فأملها علينا ، فأملاها عليهم عن ظهر قلبه ، فقالوا : ماجعل الله التوراة فى قلب رجل بعد ماذهبت إلا أنه ابنه فقالوا : عزير ابن الله ، تعالى الله وتقدس عن الصاحبة والولد ، وكان الله قد أمات عزيرا وهو ابن أربعين سنة ، وبعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة ، وكان أولاده وأولاد أولاده شيوخا وعجائز ، وهو شاب أسود الرأس واللحية فسبحان من هو على كل شىء قدير .

(فائدة أخرى) ذكر ابن خلكان وغيره من المؤرخين : أن قيصر ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إن رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة تخرج مثل أذن الحمر ، ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد والزبرجد الأخضر ، ثم تحمر فتكون مثل الياقوت الأحمر ، ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج ، ثم تيبس فتكون عصمة المقيم وزاد المسافر ، فإن تكن رسلى صدقتنى فما أرى هذه الشجرة

إلا من شجر الجنة ، فكتب إليه عمر : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم إن رسلك قد صدقتك، هذه الشجرة عندنا وهى الشجرة التى أنبتها الله تعالى على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله — إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين — وذال الزمرذ معجمة ودال الزبرجد مهملة، وقيصر كلمة أفرنجية معناها شق عنه. وسببه على ماقاله المؤرخون : أن أم قيصر ماتت فى المخاض فشق بطنها وأخرج فسمى قيصر ، وكان يفخر بذلك على الملوك ويقول: إنه لم يخرج من الرحم، واسمه أغسطس، وفى زمن ملكه ولد المسيح عليه الصلاة والسلام، ثم وضع هذا اللقب لكل من ملك الروم كما لقبوا ملك الترك خاقان وملك فارس كسرى ، وملك الشام هرقل ، وملك القبط فرعون ، وملك اليمن تبعا ، وملك الحبشة النجاشى ، وملك فرغانة الأخشيد ، وملك مصر فى الإسلام سلطانا .

قال ابن خلكان : وهنا نكتة يسئل عنها وهى أن الروم يقال لهم بنو الأصفر فما السبب فى تسميتهم بذلك ؟ فيقال : إن ملك الروم كان قد احترق فى الزمن الأول فبقيت منه امرأة فتنافسوا فى الملك حتى وقع بينهم ، ثم اصطلحوا على أن يملكوا أول من يشرف عليهم ، فجلسوا مجلسا لذلك، فأقبل رجل من اليمن ومعه عبد له حبشى يريد الروم فأبق العبد منه فأشرف عليهم فقالوا : انظروا فى أى شىء وقعتم فزوجوه تلك المرأة وملكوه عليهم ، فولدت منه غلاما فسموه الأصفر لصفرة لونه لكونه تولد بين الحبشى والمرأة البيضاء ونسب الروم إليه ، ثم إن سيد العبد خاصمهم فيه فقال العبد : صدق أنا عبده فأرضوه ، فأعطوه حتى أرضوه ، وبقى هذا النسب على الروم .

وفى كتاب [النصائح] لابن ظفر أنه لما اشتد مرض الرشيد بطوس أحضر طبيبا طوسيا فارسيا ، وأمر أن يعرض عليه ماؤه هو مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء، فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد، فقال : قولوا لصاحب هذا الماء يوصى فإنه قد انحلت قواه وتداعت بنيته ، فأقيم وأمر بالذهاب فذهب ، ويئس الرشيد من نفسه وتمثل قائلا :

إن الطبيب بطبه ودوائه لايستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى قدكان يبرئ مثله فيما مضى

وبلغه أن الناس قد أرجفوا بموته فاستدعى بحمار وأمر فحمل عليه فاسترخت فخذاه فقال : أنزلونى صدق المرجفون ، ثم استدعى بأكفان فتخير منها ما أعجبه وأمر فشق له قبر أمام فراشه ثم اطلع فيه فقال — ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه — فتوفى فى يومه رحمه الله تعالى .

وفى تاريخ ابن خلكان : أن بعض أصحاب الحلاج ادعى أنه رأى يوم قتله وهو راكب على حمار فى طريق النهروان وأنه قال لهم : لعلكم تظنون أنى المضروب والمقتول . وكان سبب قتله أنه جرى منه كلام فى مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر بالله فأفتى القضاة والعلماء بإباحة دمه ، فرسم المقتدر بتسليمه إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة فتسلمه بعد العشاء خوفا من العامة أن تنزعه من يده ، ثم أخرجه يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلثمائة عند باب الطاق ، واجتمع عليه خلق كثير وأمر به فضربه الجلاد ألف سوط فما استعفى ولا تأوه ، ثم قطع أطرافه الأربعة وهو ساكن لا يضطرب ، ثم حز رأسه وأحرقت جثته وألقى رمادها فى دجلة ونصب الرأس ببغداد ، ثم حمل وطيف به فى النواحى والبلاد وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوما ؛ واتفق أن زادت دجلة تلك السنة زيادة وافرة فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها ، وادعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقى شبهه عند قتله على عدو له ، ولما أخرج ليقتل أنشد قائلا :

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لى بأرض مستقرا
أطعت مطامعى فاستعبدتنى ... ولو أنى قنعت لكنت حرا

ويحكى أن الحلاج أنشد عند قتله :

لم أسلم النفس للأسقام تتلفها ... إلا لعلمى بأن الموت يشفيها
ونظرة منك يا سؤلى ويا أملى ... أشهى إلى من الدنيا وما فيها
نفس المحب على الآلام صابرة ... لعل متلفها يوما يداويها

وكان الحلاج قد صحب الجنيد ووقع بينه وبين الشبلى وغيره من مشايخ الصوفية رحمة الله تعالى عليهم أجمعين انتهى .

وذكر الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام المقدسى فى [مفاتيح الكنوز] أنه لما أتى به ليصلب ورأى الخشب والمسامير ضحك ضحكا كثيرا ، ثم نظر فى الجماعة فرأى الشبلى فقال : يا أبا بكر أما معك سجادة ؟ قال بلى ، قال : افرشها لى ، ففرشها فتقدم وصلى ركعتين فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وبعدها — ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع — الآية ، ثم قرأ فى الثانية فاتحة الكتاب وبعدها — كل نفس ذائقة الموت — الآية ، ثم ذكر كلاما مطولا ، ثم تقدم أبو الحارث السياف ولطمه لطمة هشم وجهه وأنفه فصاح الشبلى ومزق ثيابه وغشى على أبى الحسن الواسطى وعلى جماعة من المشايخ المشهورين ، وكان الحلاج يقول : اعلموا أن الله قد أباح لكم دمى فاقتلونى ليس للمسلمين اليوم شغل أهم من قتلى . وقال : إن قتلى قيام بالحدود ووقوف مع الشريعة ومن تجاوز الحدود أقيمت عليه الحدود . قلت : وقد اضطرب الناس فى أمره اضطرابا كبيرا متباينا فمنهم من يعظمه ومنهم من يكفره

وقد ذكر الإمام قطب الوجود حجة الإسلام فى كتاب [مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار] فصلا مطولا فى أمره واعتذر عن إطلاقاته كقوله : أنا الحق وما فى الجبة إلا الله وحملها كلها على محامل حسنة. وقال : هذا من فرط المحبة وشدة الوجد ، وهو مثل قول القائل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فإذا أبصرته أبصرتنا

وحسبك هذا مدحة وتزكية . وكان ابن شريح إذا سئل عنه يقول : هذا رجل قد خفى على حاله وما أقول فيه ؛ وهذا شبيه بكلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وقد سئل عن على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما فقال : دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نطهر من الخوض فيهم ألسنتنا ، وهكذا ينبغى لمن يخاف الله أن يكفر أحدا من أهل القبلة بكلام يصدر عنه يحتمل التأويل على الحق والباطل ، فإن الإخراج من الإسلام عظيم ولا يسارع به إلا جاهل.

ويحكى عن شيخ العارفين قطب الزمان عبد القادر الكيلانى قدس الله سره أنه قال : عثر الحلاج ولم يكن له من يأخذ بيده ولو أدركت زمانه لأخذت بيده . وهذا وما سبق عن الإمام الغزالى فى أمره كاف لمن له أدنى فهم وبصيرة ، وسمى الحلاج لأنه جلس يوما على حانوت حلاج واستقضاه حاجة ، فقال الحلاج : أنا مشتغل بالحلج ، فقال له : امض فى حاجتى حتى أحلج عنك فمضى الحلاج فى حاجته ، فلما عاد وجد قطنه كله محلوجا وكان لا يحلجه عشرة رجال فى أيام متعددة ، فمن ثم قيل له الحلاج ، وقيل إنه كان يتكلم على الأسرار ويخبر عنها فسمى حلاج الأسرار ، وكان من أهل البيضاء بليدة بفارس واسمه الحسين بن منصور والله أعلم .

وذكر ابن خلكان وغيره : أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ولى محمد بن أبى بكر الصديق مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين ، وأقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام ومعهم معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم فى آخره كذا ضبطه ابن السمعانى فى الأنساب وابن عبد البر وابن قتيبة وغيرهم ووقع فى كثير من نسخ تاريخ ابن خلكان معاوية بن خديج بخاء معجمة ودال مكسورة وآخره جيم وهو غلط والصواب ماتقدم ، وأصحابه : أى أصحاب معاوية بن حديج فاقتتلوا فانهزم محمد ابن أبى بكر واختبأ فى بيت مجنونة ، فمر أصحاب معاوية بن حديج بالمجنونة وهى قاعدة على الطريق وكان لها أخ فى الحبس فقالت : أتريد قتل أخى ؟ قال : لا ما أقتله. قالت : فهذا محمد ابن أبى بكر داخل بيتى فأمر معاوية أصحابه فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأتوا به معاوية فقال له محمد : احفظنى لأبى بكر . فقال له : قتلت من قومى فى قضية عثمان ثمانين رجلا وأتركك وأنت صاحبه لا والله ، فقتله فى صفر سنة ثمان وثلاثين وأمر معاوية أن يجر فى الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لقتله ، وأمر به أن يحرق

بالنار فى جيفه حمار ، وقال غيره : بل وضعه حيا فى جيفة حمار وأحرقه بالنار ، وكان سبب ذلك دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده فى هودجها يوم وقعة الجمل وهى لا تعرفه فظنته أجنبيا فقالت : من هذا الذى يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه سلم ؟ أحرقه الله بالنار فقال : يا أختاه قولى بنار الدنيا ، فقالت : بنار الدنيا ، وقد تقدم هذا فى باب الجيم فى الكلام على لفظ الجمل ، ودفن فى الموضع الذى قتل فيه ، فلما كان بعد سنة من دفنه أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه سوى الرأس فأخرجه ودفنه فى المسجد تحت المنارة ، ويقال إن الرأس فى القبلة. قال : وكانت عائشة رضى الله عنها قد أنفذت أخاها عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص فى شأن محمد فاعتذر بأن الأمر لمعاوية بن حديج ، ولما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه ودخل به داره اجتمع رجال ونساء ، فأمرت أم حبيبة بنت أبى سفيان زوج النبى صلى الله عليه وسلم بكبش فشوى وبعثت به إلى عائشة وقالت : هكذا قد شوى أخوك فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت . وقالت هند بنت شمر الحضرمية : رأيت نائلة امرأة عثمان بن عفان تقبل رجل معاوية بن حديج وتقول : بك أدركت ثأرى ، ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخبت ثدياها دما ، ووجد عليه على ابن أبى طالب رضى الله عنه وجدا عظيما وقال : كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا ولبنى أخا . وذلك لأن عليا كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق ورباه كما تقدم .

وذكر الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردى وغيره : أن سفيان بن سعيد الثورى أكل ليلة زائدا على عادته فقال : إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله ، ثم قام حتى أصبح قال : وكان فتى يجالس الثورى ولا يتكلم فأحب أن يعرف نطقه فقال : يا فتى إن من كان قبلنا مروا على خيول سابقة وبقينا بعدهم على حمر دبرة ، فقال الفتى : يا أبا عبد الله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم . وقال سفيان بن عيينة : دعانا سفيان الثورى ليلة فقدم لنا تمرا ولبنا خاثرا ، فلما توسط الأكل قال : قوموا فلنصل ركعتين شكرا لله تعالى ، فقال ابن وكيع وكان حاضرا : لو قدم لنا شيئا من اللوزينج لقال قوموا فلنصل التراويح ، فتبسم سفيان وقال سفيان الثورى : ما استودعت قلبى شيئا قط فخاننى ، وقال له رجل أوصنى فقال : اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها ، وللآخرة بقدر مقامك فيها والسلام . وقال له رجل إنى أريد الحج فقال : لا تصحب من يتكرم عليك فإنك إن ساويته فى النفقة أضر بك ، وإن تفضل عليك استذلك . ودخل الثورى على المهدى يوما فسلم عليه تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة ، فأقبل عليه المهدى بوجه طلق وقال : يا سفيان تفر منا هاهنا وهاهنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ؟ وقد قدرنا عليك الآن ، أما تخشى أن نحكم فيك الآن بهوانا ؟ فقال سفيان : إن تحكم فى تحكم الآن يحكم فيك ملك عادل قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال الربيع :

يا أمير المؤمنين أهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ائذن لى أن أضرب عنقه، فقال له المهدى: اسكت ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بهم ويسعدوا بنا ؟ اكتبوا عهده على قضاء الكوفة بحيث أن لا يعترض عليه فى حكم، فكتب عهده ودفع إليه فأخذه وخرج ورمى به فى دجلة وهرب ، فطلب فى كل بلد فلم يوجد، وتوفى بالبصرة متواريا سنة إحدى وستين ومائة رحمه الله تعالى ، وهو أحد الأئمة المجتهدين أجمع الناس على دينه وورعه وثقته، ويروى أن أبا القاسم الجنيد رحمه الله كان يفتى على مذهبه وهو غلط ؛ والصواب أن الجنيد كان شافعيا وقد عده شيخ الإسلام تقى الدين السبكى فى الأصحاب، وكذلك عده غيره ، وكان سفيان الثورى كوفيا فإنه سئل عن عثمان وعن على رضى الله تعالى عنهما أيهما أفضل؟ فقال : أهل البصرة يقولون بتفضيل عثمان ، وأهل الكوفة يقولون بتفضيل على، فقيل له فما تقول أنت؟ قال : أنا رجل كوفى يعنى أنه يقول بتفضيل على.

وفى كتاب [ابتلاء الأخيار] أن عيسى عليه الصلاة والسلام لقى إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال ، فسأله عن الأحمال فقال : تجارة أطلب لها مشترين . قال : وماهى التجارة ؟ قال : أحدها الجور . قال : ومن يشتريه ؟ قال : السلاطين . والثانى الكبر . قال : ومن يشتريه ؟ قال : الدهاقين . والثالث الحسد . قال : ومن يشتريه ؟ قال : العلماء . والرابع الخيانة . قال : ومن يشتريها ؟ قال : عمال التجار . والخامس الكيد . قال : ومن يشتريه ؟ قال : النساء .

(ومما يحكى) من كيد النساء ومكرهن ماروى فى بعض التفاسير عن جعفر الصادق ابن محمد الباقر أنه قال : كان فى بنى إسرائيل رجل وكان له مع الله معاملة حسنة ، وكان له زوجة وكان ضنينا بها وكانت من أجمل أهل زمانها مفرطة فى الجمال والحسن ، وكان يقفل عليها الباب فنظرت يوما شابا فهويته وهويها فعمل له مفتاحا على باب دارها ، وكان يدخل ويخرج ليلا ونهارا متى شاء وزوجها لم يشعر بذلك، فبقيا على ذلك زمانا طويلا ، فقال لها زوجها يوما وكان أعبد بنى إسرائيل وأزهدهم : إنك قد تغيرت على ولم أعلم ماسببه وقد توسوس قلبى وقد كان أخذها بكرا ، ثم قال لها : وأشتهى منك أن تحلفى لى إنك لم تعرفى رجلا غيرى ، وكان لبنى إسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون عنده ، وكان الجبل خارج المدينة وكان عنده نهر يجرى وكان لايحلف أحد عنده كاذبا إلا هلك ، فقالت له : ويطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل ؟ قال : نعم . قالت : متى شئت فعلت ، فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب فأخبرته بما جرى لها مع زوجها ، وأنها تريد أن تحلف له عند الجبل وقالت : مايمكننى أن أحلف كاذبة ولا أقول لزوجى ما أحلف ، فبهت الشاب وتحير وقال : فما تصنعين ؟ فقالت له : بكر غدا والبس ثوب مكارى وخذ حمارا واجلس

على باب المدينة ، فإذا خرجنا فأنا آمره يكترى منك الحمار ، فإذا اكتراه منك باكر واحملنى وارفعنى فوق الحمار حتى أحلف له وأنا صادقة إنه مامسنى أحد غيرك وغير هذا المكارى فقال : حبا وكرامة ، فلما جاء زوجها قال لها : قومى بنا إلى الجبل لتحلفى به ، فقالت : مالى طاقة بالمشى ، فقال : اخرجى فإن وجدت مكاريا اكتريت لك ، فقامت ولم تلبس لباسها ، فلما خرج العابد وزوجته رأت الشاب ينتظرها فصاحت به يامكارى أتكرى حمارك إلى الجبل بنصف درهم ؟ قال : نعم ، ثم تقدم ورفعها على الحمار فساروا حتى وصلوا إلى الجبل ، فقالت للشاب : أنزلنى عن الحمار حتى أصعد على الجبل ، فلما تقدم الشاب إليها ألقت بنفسها إلى الأرض فانكشفت عورتها فشتمت الشاب فقال : والله مالى ذنب ، ثم مدت يدها إلى الجبل فأمسكته وحلفت له أنه لم يمسها أحد ولا نظر إنسان مثل نظرك إلى مذ عرفتك غيرك وغير هذا المكارى ، فاضطرب الجبل اضطرابا شديدا وزال عن مكانه وأنكرت بنو إسرائيل ذلك ، فذلك قوله تعالى — وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال —.

ويقرب من هذا ماروى عن وهب بن منبه أنه كان فى زمن بنى إسرائيل فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام رجل اسمه شمشون ، وكان من أهل قرية من قرى الروم ، وكان قد هداه الله لرشده وصار من الحواريين ، وكان أهله أصحاب أوثان يعبدونها ، وكان منزله من القرية على أميال ، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم فى الله حق جهاده فيقتل ويسبى ويصيب المال ، وكان ربما لقيهم بغير زاد فإذا قاتلهم وعطش انفجر له من الحجر الذى فى القرية ماء فيشرب منه حتى يروى ، كان قد أعطى قوة فى البطش ، وكان لايوثقه حديد ولا غيره ، وكانوا لايقدرون منه على شىء فتآمروا فيه ، فقال بعضهم لبعض : إنكم لن تقدروا على أذاه إلا من قبل زوجته ، فدخلوا عليها وجعلوا لها جعلا إن أوثقته فقالت : نعم أنا أوثقه لكم ، فأعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها : إذا نام فأوثقى يديه إلى عنقه ، ثم ذهبوا فجاء شمشون ونام فقامت إليه فأوثقته كتافا وجعلت يديه إلى عنقه ، فلما هب من نومه جذب يديه فوقع الحبل من عنقه فقال لها : لم فعلت هذا ؟ قالت : لأجرب قوتك مارأيت مثلك قط ، ثم أرسلت إليهم إنى قد ربطته بالحبل فلم يغن شيئا ، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد وقالوا لها : إذا نام فاجعليها فى عنقه ، فلما نام جعلتها فى عنقه ، فلما هب من نومه جذبها فتقطعت فقال لها : لم فعلت هذا ؟ قالت : لأجرب قوتك مارأيت مثلك فى الدنيا ياشمشون . أما فى الأرض شىء يغلبك ؟ قال : الله عز وجل يغلبنى ، ثم شىء واحد قالت : ماهو ؟ قال : ما أنا بمخبرك به فلم تزل تخدعه وتمكر به وتتلطف له فى السؤال ، وكان ذا شعر كثير جدا فقال : ويحك إن أمى كانت جعلتنى نذيرا فلا يغلبنى شىء أبدا ولا يوثقنى

إلا شعرى ، فتركته حتى نام ثم قامت إليه فأوثقت يديه إلى عنقه بشعره فأوثقه ذلك ، وبعثت إلى القوم فجاءوا وأخذوه فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه وفقئوا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهرانى المدينة ، وكانت المدينة ذات أساطين ، وأشرف الملك لينظر ماذا يفعل به ، فدعا الله شمشون حين مثلوا به وأوقفوه أن يسلطه عليهم فرد الله عليه بصره وما أصابوا من جسده ، وأمره أن يأخذ بعمود من عمد المدينة الذى عليه الملك والناس ففعل فوقعت المدينة وهلك من فيها ، وأرسل الله على زوجته صاعقة فأحرقتها ونجى الله تعالى شمشون بمنه وفضله انتهى . وحكاياتهن فى المكر والكيد لاتحصى ، وحسبك أن الله تعالى استضعف كيد الشيطان فقال — إن كيد الشيطان كان ضعيفا — واستعظم كيد النساء فقال — إن كيدكن عظيم — .

وفى كتاب [نزهة الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار] وهو كتاب عظيم المقدار ولا أعلم مصنفه : إن بعض الملوك مر بغلام هرب وهو يسوق حمارا غير منبعث ، وقد عنف عليه فى السوق فقال : ياغلام ارفق به ، فقال الغلام : أيها الملك فى الرفق به مضرة عليه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : يطول طريقه ويشتد جوعه ، وفى العنف به إحسان إليه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : يخف حمله ويطول أكله ، فأعجب الملك بكلامه وقال : قد أمرت لك بألف درهم ، فقال : رزق مقدور وواهب مشكور . قال : قال الملك : وقد أمرت بإثبات اسمك فى حشمى . قال : كفيت مؤنة ورزقت مؤنة ، فقال له الملك : عظنى فإنى أراك حكيما ، فقال : أيها الملك إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب ، وإذا هنأتك العافية فحدث نفسك بالبلاء ، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف ، وإذا بلغت نهاية العمل فاذكر الموت ، وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها فى الإساءة نصيبا ، فأعجب الملك بكلامه وقال : لولا أنك حديث السن لاستوزرتك ، فقال : لن يعدم الفضل من رزق العقل . قال . فهل تصلح لذلك ؟ قال : إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها ، فاستوزره فوجده ذا رأى صائب وفهم ثاقب ومشورة تقع موقع التوفيق .

وفى هذا الكتاب دعابات فمنها : أن الرشيد خرج إلى الصيد فانفرد عن عسكره والفضل ابن الربيع خلفه فإذا هو بشيخ كبير راكب على حمار فنظر إليه فإذا هو رطب العينين ، فغمز الفضل عليه فقال له الفضل : أين تريد ؟ قال : حائطا لى . قال : هل لك أن أدلك على شىء تداوى به عينيك فتذهب تلك الرطوبة ؟ فقال : ما أحوجنى إلى ذلك ، فقال له : خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصره فى قشرة جوزة واكتحل به فإنه يذهب رطوبة عينيك ، فاتكأ الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة ثم قال : هذه

أجرة لوصفك ، وإن نفعنا الكحل زدناك ، فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن دابته .
ومنها : أنه حضر خياط لبعض الأمراء ليفصل له قباء ، فأخذ يفصل والأمير ينظر إليه فلم يتهيأ له أن يسرق شيئا فضرط ، فضحك الأمير حتى استلقى ، فأخرج الخياط من القباء ما أراد فجلس الأمير وقال : ياخياط ضرطة أخرى ، فقال الخياط : لالئلا يضيق القباء .

وفى كتاب [نشوان المحاضرة] قال ذو النون بن موسى : كنت غلاما والمعتضد إذ ذاك يكور الأهواز ، فخرجت يوما من قرية يقال لها سانطف أريد عسكر مكرم ومعى حماران واحد راكبه والآخر عليه حمل من البطيخ ، فمررت بعسكر المعتضد وأنا لا أعلم من هو فأسرع إلى جماعة منهم فأخذ واحد منهم من الحمل ثلاث بطيخات أو أربعة فخفت أن ينقص على عدده فأتهم به فبكيت وصحت والحمار يسير على المحجة والعسكر مجتاز على ، وإذا بكبكبة عظيمة يقدمها رجل منفرد فوقف وقال : مالك ياغلام تبكى وتصيح ؟ فعرفته الخبر ، فوقف ثم التفت إلى القوم وقال : إيه على بالرجل الساعة . قال لا فجيء به فى أسرع من طبق البصر حتى كأنه كان وراء ظهره فقال : هو هذا ياغلام ؟ قلت : نعم ، فأمر به فضرب بالمقارع وهو واقف وأنا راكب على حمارى والعسكر واقف ، وجعل يقول له وهو يضرب : ياكلب أما كان معك ثمن هذا البطيخ ؟ أما قدرت أن تمنع نفسك منه ؟ أهو مالك أو مال أبيك ؟ أليس صاحبه أتعب نفسه وأجهدها فى زرعه وسقيه وأداء خراجه ؟ والمقارع تأخذه حتى ضرب مائة مقرعة ، ثم أمر لى بأربعة دنانير وسار ، وأخذ الجيش يشتمونى ويقولون : ضرب القائد الفلانى بسبب هذا مائة مقرعة ، فسألت بعضهم عنه فقال : هذا أمير المؤمنين المعتضد .

وفى كتاب [الأذكياء] لابن الجوزى عن الجاحظ أنه قال : قال ثمامة بن أشرس . دخلت على صديق لى أعوده وتركت حمارى على الباب ولم يكن معى غلام يحفظه ، فلما خرجت إذا فوقه صبى يحفظه فقلت : أركبت حمارى بغير إذنى ؟ فقال : خفت أن يذهب فحفظته لك . قلت : لو ذهب لكان أعجب إلى من بقائه فقال : إن كان هذا رأيك فى الحمار فقدر أنه ذهب وهبه لى واربح شكرى ، فلم أدر ما أقول . وأحسن من هذا الذكاء ما رواه ابن الجوزى أيضا قال : ركب المعتصم إلى خاقان يعوده والفتح بن خاقان صبى يومئذ ، فقال له المعتصم : أيهما أحسن دار أمير المؤمنين أم دار أبيك ؟ قال : إذا كان أمير المؤمنين فى دار أبى فدار أبى أحسن ، فأراه المعتصم فصا فى يده وقال : يا فتح هل رأيت أحسن من هذا الفص ؟ قال : نعم ، اليد التى هو فيها ، ويقرب من هذا وهو من الجواب المسكت ما ذكره الإمام ابن الجوزى قال : دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة أبيه فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكذا ، وكان مرضه رحمه الله يوم كذا خلف رحمه الله كذا ، فانتهره

الربيع وقال : أما تستحيي بين يدى أمير المؤمنين تقول هذا ؟ فقال الشاب : لا ألومك على انتهارى لأنك لم تعرف حلاوة الآباء ، وكان الربيع لقيطا ، فما أعلم المنصور ضحك كضحكه يومئذ اه .

وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة الحاكم العبيدى : إن الحاكم بأمر الله كان له حمار أشهب يدعى بقمر يركبه ، وكان يحب الانفراد والركوب وحده ، فخرج راكباً حماره ليلة الاثنين سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة إلى ظاهر مصر ، وطاف ليلته كلها وأصبح متوجها إلى شرقى حلوان ومعه راكبان فأعاد أحدهما ثم أعاد الآخر ، وبقى الناس يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ، ثم خرج ثانى القعدة جماعة من الموالى والأتراك فأمعنوا فى طلبه وفى الدخول فى الجبل ، فرأوا حماره الأشهب الذى كان راكباً عليه وهو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه ورجلاه بسيف وعليه سرجه ولجامه ، فتبعوا الأثر فإذا أثر حمار وأثر راجل خلفه وراجل قدامه ، فقصوا الأثر إلى البركة التى فى شرقى حلوان ، فنزل فيها رجل فوجد فيها ثيابه وهى سبع جبات ووجدت مزرورة لم تحل أزرارها وفيها آثار السكاكين فحملت إلى القصر ، ولم يشكوا فى قتله غير أن جماعة من المغالين فى حبهم له السخيفى العقل يدعون حياته وأنه سيظهر ويحلفون بغيبة الحاكم ، ويقال إن أخته دست عليه من قتله ، وكان الحاكم جواداً بالمال سفاكا للدماء ، وكانت سيرته عجبا يخترع كل يوم حكما يحمل الناس عليه ، فمن ذلك أنه أمر الناس سنة خمس وتسعين وثلثمائة بكتب سب الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى حيطان المساجد والقياصر والشوارع ، وكتب إلى سائر الديار المصرية يأمرهم بالسب ، ثم أمر بقطع ذلك سنة سبع وتسعين وأمر بضرب من يسب الصحابة وتأديبه وأمر بقتل الكلاب فلم ير كلب فى الأسواق والأزقة إلا قتل ، ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا ، ثم نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره ، وجمع جملة كثيرة وأحرقت وأنفقوا على إحراقها خمسمائة دينار ، ثم نهى عن بيع العنب أصلا ، وألزم اليهود والنصارى أن يتميزوا فى لباسهم عن المسلمين فى الحمامات وخارجها ، ثم أفرد حماما لليهود وحماما للنصارى وألزمهم أن لا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن تكون ركبهم من الخشب ، وأن لا يستخدموا أحداً من المسلمين ، ولا يركبوا حمار المكارى المسلم ولا سفينة نواتيها مسلمون ، وأمر بهدم القيامة فى سنة ثمان وأربعمائة وجميع الكنائس بالديار المصرية ، ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع مالها من الأحباس لجماعة من المسلمين ، وأمر أن لا يتكلم أحد فى صناعة النجوم وأن ينفى المنجمون من البلاد وكذلك أصحاب الغناء ، ومنع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف للنساء ، ولم تزل النساء ممنوعات من الخروج إلى أيام ولده الظاهر مدة سبع سنين ، ثم أمر ببناء

ما كان هدم من الكنائس ورد ما كان قد أخذ من أحباسها ، وحلوان مدينة كثيرة الفواكه فوق مصر بخمسة أميال كان يسكنها عبد العزيز بن مروان ، وبها توفى وبها ولد ولده عمر ابن عبد العزيز اهـ .

قلت : فى قوله ليلة الاثنين سابع عشر ، وقوله إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور نظر ظاهر والله أعلم .

وفى [رسالة القشيرى] فى باب كرامات الأولياء : سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول : سمعت أبا سليمان الخواص يقول : كنت راكباً حماراً يوماً وكان الذباب يؤذيه فيطأطئ رأسه ، وكنت أضرب رأسه بخشبة فى يدى ، فرفع الحمار رأسه إلى وقال : اضرب فإنك هكذا على رأسك تضرب . قال الحسين : فقلت لأبى سليمان : لك وقع هذا ؟ قال : نعم كما تسمعنى .

(تذنيب) روى البيهقى فى [الشعب] عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبون الحمر ويلبسون الصوف ويحلبون الشاة ، وكان للنبى صلى الله عليه وسلم حمار اسمه عفير : يعنى بضم العين المهملة ، وضبطه القاضى عياض بالغين المعجمة ، وقد اتفقوا على تغليطه ، أهداه له المقوقس ، وكان فروة بن عمرو الجذامى أهدى له حمارا يقال له يعفور مأخوذان من العفرة وهو لون التراب ، فنفق يعفور فى منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع . وذكر السهيلى : أن يعفور أطرح نفسه فى بئر يوم موت النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن عساكر فى تاريخه بسنده إلى أبى منصور قال : لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حماراً أسود ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فقال له : ما اسمك ؟ قال : يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدى ستين حماراً لا يركبها إلا نبى ، وقد كنت أتوقعك لتركبنى ، ولم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الأنبياء غيرك ، وقد كنت قبلك عند رجل يهودى ، وكنت أتعثر به عمدا كان يجيع بطنى ويركب ظهرى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : فأنت يعفور ، يا يعفور تشتهى الإناث ؟ قال لا : فكان النبى صلى الله عليه وسلم يركبه فى حاجته ، وكان يبعثه خلف من شاء من أصحابه فيأتى الباب فيقرعه برأسه ، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه فيعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إليه فيأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت قبره : قال الإمام الحافظ أبو موسى : هذا حديث منكر جدا إسنادا ومتنا لا يحل لأحد أن يرويه إلا مع كلامى عليه ، وقد ذكره السهيلى ، وفى التعريف والأعلام فى الكلام على قوله تعالى — والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة — وفى كامل ابن عدى

فى ترجمة أحمد بن بشير ، وفى شعب الإيمان للبيهقى عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعبد رجل فى صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الأرض فرأى حماراً له يرعى فقال : يا رب لوكان لك حمار لرعيته مع حمارى فبلغ ذلك نبيا من أنبياء بنى إسرائيل فأراد أن يدعو عليه ، فأوحى الله إليه إنما أجازى عبادى على قدر عقولهم » وهو كذلك فى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة زيد بن أسلم ، وروى ابن أبى شيبة فى مصنفه والإمام أحمد فى الزهد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : قيل لعيسى ابن مريم عليهما السلام : يا رسول الله لو اتخذت لك حمارا تركبه لحاجتك؟ فقال : أنا أكرم على الله من أن يجعل لى شيئا يشغلنى عنه .

(الحكم) يحرم أكله عند أكثر أهل العلم ، وإنما رويت الرخصة فيه عن ابن عباس رواه عنه أبو داود فى سننه . وقال الإمام أحمد : كره أكله خمسة عشر رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وادعى ابن عبد البر الإجماع الآن على تحريمه . قال : وقد روى عن غالب بن أبجر قال : أصابتنا سنة فشكونا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله لم يكن عندى ما أطعم أهلى إلا سمان حمر وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية ؟ فقال : أطعم أهلك من سمين حمرك فإنما حرمتها من أجل جوال القرية ، ولم يرو عن غالب ابن أبجر سوى هذا الحديث ، ولنا ما روى جابر وغيره « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن فى لحوم الخيل » متفق عليه ، وحديث غالب رواه أبو داود واتفق الحفاظ على تضعيفه ، ولو بلغ ابن عباس أحاديث النهى الصحيحة الصريحة فى تحريمه لم يصر إلى غيره ، ولو صح حديث غالب لحمل على الأكل منها حال الاضطرار ، وأيضا هى قضية عين لا عموم لها ولا حجة فيها ، واختلف أصحابنا فى علة تحريمها هل هو لاستخباث العرب لها أو للنص ؟ على وجهين حكاهما الرويانى وغيره ، وأفاد الحافظ المنذرى أن تحريم لحوم الحمر نسخ مرتين ونسخت القبلة مرتين ونسخ نكاح المتعة مرتين ، واختلف السلف فى لبنها فحرمه أكثر العلماء ، ورخص فيه عطاء وطاوس والزهرى ، والأول أصح لأن حكم اللبن حكم اللحم ، ويحرم ضربه وضرب غيره من الحيوانات المحترمة بالإجماع . روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بحمار قد وسم وجهه فقال « لعن الله من فعل هذا » وفى رواية « لعن الله الذى وسم هذا » .

(الأمثال) قالوا : عشر تعشير الحمار . قال الجوهرى : تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات فى طلق واحد . قال الشاعر :

لعمرى لئن عشرت من خيفة الردى نهاق حمار إننى لجزوع

وذلك أنهم كانوا إذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوه ، وكانوا

يزعمون أن ذلك ينفعه ، وقوله تعالى — مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا — أى يثقله حملها ولا ينفعه عملها وكل من يعلم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ، وفى الحديث « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار فى الرحا فيطيف به أهل النار فيقولون : مالك؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهى عن الشر وآتيه » والأقتاب : الأمعاء واحدها قتب بالكسر . وقالت العرب : هم يتهارجون تهارج الحمر : أى يتسافدون ، والهرج : كثرة النكاح يقال بات يهرجها ليلة جميعا . وروى الحافظ أبو نعيم عن أبى الزاهرية عن كعب الأحبار قال : يمكث الناس بعد يأجوج ومأجوج فى الرخاء والخصب والدعة عشر سنين حتى أن الرجلين يحملان الرمانة الواحدة بينهما ويحملان العنقود الواحد من العنب ، فيمكثون على ذلك عشر سنين ، ثم يبعث الله ريحا طيبة فلا تدع مؤمنا ولا مؤنة إلا قبضت روحه ، ثم يبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر فى المروج حتى يأتى أمر الله والساعة وهم على ذلك؟ وقالوا : بالحمار فاستبال أحمرة : أى حملهن على البول ، يضرب فى تعاون القوم على ما يكره ؟ وقالوا : اتخذ فلان حمار الحاجات ، يضرب للذى يمتهن فى الأمور . وقالوا : تركته جوف حمار : أى لا خير فيه . وقالوا : أصبر من حمار . وقالوا : شر المال مالا يذكى ولا يزكى أشاروا بذلك إليه . وقالوا : ما بقى منه إلا قدر ظمء حمار لأنه أقصر الحيوان ظمأ : قال الجوهرى : فى مادة عشا . قال الشاعر :

غدونا غدوة سحرا بليل عشاء بعد ما انتصف النهار
قصدناها حمارا ذا قرون أكلنا اللحم وانفلت الحمار

وفى معنى هذا البيت وجهان : أحدهما أنا أتعبناه حتى أكلنا لحمه لشدة الأضرار به من العدو ثم انفلت . والثانى أنا ذبحناه فأكلناه أكلا لم يبق منه شىء فكأنه انفلت . وقوله . ذا قرون : أى مسنا قد أتت عليه قرون من الدهر . وقالوا : أذل من حمار مقيد . قال الشاعر :

وما يقيم بدار الذل يعرفها إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له أحد

(الخواص) من ستى من وسخ أذنه فى شراب أو غيره سبت ونام ولم يعقل أصلا ، ومن نزع شعرة من ذنبه عند نزوه وربطها على فخذه أنعظ وهيج الباه ، وإذا ربط حجر فى ذنبه لم ينهق ، وكذا إذا طليت استه بدهن . وقال الإمام الفخر الرازى وصاحب الحاوى : إذا طبخ لحم الحمار الأهلى وقعد فى مائه من به كزاز نفعه ، وإذا اتخذ من حافره خاتم ولبسه المصروع لم يصرع ، وسرجينه وسرجين الخيل إذا أحرقا أو لم يحرقا وخلطا بخل قطعا سيلان

الدم ، وإذا علق جلد جبهته على الصبيان منعهم من الفزع ، وإذا رش على ذبله خل وشم قطع الزعاف . وقال صاحب الفلاحة : إذا ركب الملسوع بالعقرب حمارا وجعل وجهه إلى ذنبه صار الوجع إلى الحمار ويرى الراكب ، وكذا إن تقدم الملدوغ إلى أذن الحمار وقال : إنى لدغت بعقرب فى المكان الفلانى ذهب الوجع ، وإن ركبه مقلوبا كما تقدم كان أقوى فعلا ، ومخه إذا طلى به الرأس مع الزيت طول الشعر ، وكبده إذا أكلت مشوية على الريق منقوعة فى الخل نفعت من الصرع وأمن آكلها من الصرع ، ولبن الحمارة إذا ضمد به الذكر أنعظ ونهيق الحمار يضر بالكلب حتى إنه ربما عوى من كثرة ما يؤلمه .

(التعبير) الحمار فى المنام : جد الإنسان وسعده ، وربما دل على غلام أو ولد أو خير ، وربما دل على السفر أو العلم لقوله تعالى : — كمثل الحمار يحمل أسفارا — وربما دل على المعيشة لقوله تعالى : — وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس — وربما دل الحمار على العالم المحصل أو اليهود لقوله تعالى : — مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها — الآية ، وربما دل الحمار على ما يوطأ فيه كالوطاء والزربول وما أشبه ذلك ، وظهور حمار عزير فى المنام ظهور آية ، وربما دلت رؤيته على الخلاص من الشدائد وعلى الرجوع إلى المناصب السنية أو المنازعة فى الدين .. والحمير والبغال ملكها فى المنام أو ركوبها دليل على الزينة بالمال أو الولد لقوله تعالى : — والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة — وربما دل ركوب الحمار على النجاة من الهم ، وموت الحمار وهزاله فقر صاحبه ، وقيل موته موت صاحبه ، والنزول عن ظهره بلا نية نزول فقر ، وبيعه فقر أيضا ، ومن ذبح حماره ليأكل لحمه نال سعة فى رزقه ، وإن ذبحه لغير الأكل فإنه يفسد معايشه ، ومن رأى ذنب حماره طويلا وافرا دل على بقاء دولته أو زيادة جاهه ، والحمار الذى له سرج يفسر بالولد والعز ، فمن رأى أنه لا يحسن ركوب حماره فإنه يتحلى بما ليس من أهله ، والمهازيل والضعاف من الحمر مال فى زيادة ، والسمان منها مال قد انتهى ، والحمار المصرى وكيل وهو نعم الوكيل ، والحمارة امرأة معينة على المعيشة كثيرة الخير ذات نسل وربح متواتر ، فمن ركب حمارة فى منامه وخلفها جحش فإنه يتزوج امرأة لها ولد ، ومن رأى حمارة لا تمشى إلا بالسوط فإنه لا يطعم إلا بالدعاء ، ولفظ الأتان من الإتيان وربما دل صياحها على الشر والأنكاد لقوله تعالى : — إن أنكر الأصوات لصوت الحمير — أو ظهور عارض من الجان ، فإن نهيق الحمار يدل على رؤية الشيطان لأن السنة وردت بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند سماع صوته ، وقيل سماع صوته دعاء على الظلمة ، ومن رأى حمارا موقورا دخل منزله فإنه خير يسوقه الله إليه على قدر جوهر ذلك الحمل ، ولبن الحمارة خصب فى تلك السنة ، وربما دل الشرب منه على مرض شاربه ثم ينجو منه ، ولحم الحمار مال لمن أكله ، وحمار المرأة زوجها فإن مات طلقها

أو مات زوجها، ومن صار حمارا مات بعض أقاربه ، ومن رأى حماره صار فرسا نال خيرا من السلطان ، وإن صار بغلا نال خيرا من سفر ، ومن حمل حماره فى المنام نال خيرا وقوة فى السعادة حتى يتعجب منه ، ومن رأى له حافرا فذلك قوة فى المال والتصرف وكذلك الخف ، ومن سمع صوت الحوافر من غير أن يرى شيئا من البهائم فإنها أمطار . ويعبر الحمار برجل جاهل ، وربما دلت رؤيتـــه على الولد من الزنا ، ومن رأى حماراً نزل من السماء فدس ذكره فى دبره نال مالا عظيما يستغنى به لاسيما إذا كان الرائى ملـكا ، والحمار أسود أو أدهم ، والله أعلم .

﴿ الحمار الوحشى ﴾ : ويسمى الفراء ويقال حمار وحش وحمار وحشى وهو العير وربما أطلق العير على الأهلى أيضا ، والحمار الوحشى شديد الغيرة فلذلك يحمى عانته الدهر كله . ومن عجيب أمره أن الأنثى من هذا النوع إذا ولدت ذكرا كدم الفحل خصيتيه فالأنثى تعمل الحيلة فى الهرب منه حتى يسلم ، وربما كسرت رجل التولب كى لا يسعى ، ولا تزال ترضعه إلى أن يـكبر فيسلم من أبيه ، وأشار إلى ذلك الحريرى بقوله فى المقامة الثالثة عشرة :

يارازق النعاب فى عشـــه وجابر العظم الـكسير المهيض
أتح لنـا اللهم من عرضه من دنس الذم نقى رحيض

وسيأتى هذا إن شاء الله تعالى فى باب النون فى النعاب ، ويقال إن الحمار الوحشى يعمر مائتى سنة وأكثر .

وذكر ابن خلـكان فى ترجمة يزيد بن زياد : أن بعض الجند حدث أنهم نزلوا على جرود فاصطادوا من حمر الوحش شيئا كثيرا ، وذبحوا منها حمارا وطبخوا لحمه الطبخ المعتاد فلم ينضج فزيد فى الإيقاد عليه يوما كاملا فلم ينضج ، فقام بعض الجند وأخذ رأسه وجعل يقلبه فرأى على أذنه وسما فقرأه فإذا هو بهرام جور ، وموضع الوسم ظاهر أسود وهو بالقلم الـكوفى . قال ابن خلـكان : وأحضروا الأذن عندى فوجدت الاسم ظاهرا ، وبهرام جور كان من ملوك الفرس قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم برمان طويل ، وكان من عادته إذا أخذ الصيد وسمه وأطلقه ، والله تعالى يعلم كم كان عمر الحمار قبل للوسم ، وهذا الحمار لعله عاش أكثر من مائتى سنة . وجرود قرية من قرى دمشق وبأرضها من حمر الوحش شىء كثير يجاوز الحصر وفى أرض جرود الجبل المدخن وإنما سمى هذا الجبل بالمدخن لأنه لايزال عليه مثل الدخان من الضباب وقيل إن الحمار يعيش أكثر من ثمانمائة سنة ، وألوان حمر الوحش مختلفة والأخدرية أطولها عمرا وأحسنها شكلا ، وهى منسوبة إلى أخدر فحل كان لـكسرى أردشير . فتوحش واجتمع بعانات فضرب فيها فالمتولد منها يقال له أخدرى . وقال الجاحظ : أعمار حمر الوحش تزيد على أعمار الحمر الأهلية ، ولا نعرف حماراً أهليا عاش أكثر من حمار أبى سيارة . وهو

عميلة بن خالد العدوانى كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى منى أربعين سنة، وكان يقول :

لاهم مالى فى الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو الحمار الجلعد فق أبا سيارة المحسد
من شر كل حاسد إذا حسد ومن أذاة النافثات فى العقد

اللهم حبب بين نسائنا ، وبغض بين رعائنا ، واجعل المال فى سمحائنا.

وفيه يقول الشاعر :

خلوا الطريق عن أبى سياره وعن مواليه بنى فزاره
حتى يجيز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره
فقد أجار الله من أجاره

ولذلك قيل أصح من حمار أبى سيارة . وروى ابن أبى شيبة وابن عبد البر من طريقه من حديث أبى فاطمة الليثى ويقال الأزدى ويقال الدوسى أنه قال« كنا جالسين عندرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أحب أن يصح فلا يسقم ؟ فابتدرناها فقلنا : نحن يارسول الله فقال : أتحبون أن تكونوا كالحمر الضالة ؟ قالوا : لايارسول الله . قال : ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاء وأصحاب كفارات ؟ فوالذى نفس أبى القاسم بيده إن الله ليبتلى المؤمن بالبلاء فما يبتليه إلا لكرامته عليه ، لأن الله قد أنزل عبده منزلة لم يبلغها بشىء من عمله دون أن ينزل به من البلاء مالا يبلغ تلك المنزلة إلا به » وكذلك رواه البيهقى أيضا فى الشعب وقال سألت عنه بعض أهل الأدب فزعم أنه أراد به حمر الوحش . وقال ابن الأثير فى نهاية الغريب قوله«أتحبون أن تكونوا كالحمر الضالة»؟ قال أبو أحمد العسكرى : هو بالصاد غير المعجمة ورووه أيضا بالضاد المعجمة وهو خطأ، يقال للحمار الوحشى الحاد الصوت صال وصلصال كأنه يريد الصحيحة الأجساد والشديدة الأصوات لقوتها ونشاطها .

(الحكم) يحل أكله بالإجماع وفى الصحيحين وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنا لم نرده عليك إلا أننا حرم » قال الشافعى : ولو توحش الحمار الأهلى حرم أكله ولو استأهل الوحشى لم يحرم ، ولا نعلم فى حل الوحشى خلافا إلا ماروى عن مطرف أنه قال : إذا أنس واعتلف صار كالأهلى ، وأهل العلم قاطبة على خلاف قوله،ولا يحل الحمار المتولد بين الأهلى والوحشى لأن الولد يتبع خير الأبوين فى الأطعمة حتى يفرض أحدهما غير مأكول كما يتبع أخسهما فى النجاسة حتى يجب الغسل من ولوغه وسائر أجزائه سبعا إذا تولد بين كلب وذئب ، وكما يتبع الأخس فى الأنكحة حتى إذا تولد بين كتابى ووثنى لم تحل مناكحته ، وقد خالفوا هذا الأصل فى باب الجزية فقالوا : يعقد للمتولد بين كتابى ووثنى وفى الديات

الحتوه بأكثرها دية وهو الأصح المنصوص ، وقيل يتبع أقلهمادية ، قيل يعتبر بالأب ، وهذه الأقوال حكاها الرافعى فى باب الغرة ، وفى الحج جعلوه تابعا للأغلظ تكليفا حتى لو قتل متولدا بين ظبى وشاة وجب عليه الجزاء ، وعكسوا ذلك فى الزكاة فلم يوجبوها فى المتولد بين الأهلى والوحشى وفى إيجابها فى المتولد بين إنسيين كبقر وجاموس نظر ، وجعلوه تابعا لأشرفهما دينا حتى لو كان أحد الأبوين مسلما عند العلوق أو أسلم قبل بلوغه حكم باسلام الصغير تبعا للأم فى الرق والحرية أعنى مادام حملا إلا فى المستولدة والمغرور بحريتها وجعلوه تابعا للأب فى النسب مطلقا لأن النسب يعتبر بالآباء دون الأمهات ، واستثنوا من ذلك أولاد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم ينسبون إليه دون أولاد بنات غيره وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وجعلوا ولد الزنا مقطوع النسب عن أبيه والمنفى ليس كذلك لأنه لو استلحقه لحقه ، ولم يتعرضوا للتبعية فى بابى الأضحية والعقيقة ، والاحتياط اعتبار أكثر السنين فيه حتى لو تولد بين ضأن ومعز اشترط لإجزائه فى الأضحية طعنه فى السنة الثالثة اعتبارا بأكثر الأبوين سنا وهو المعز ولم يتعرضوا أيضا له فى الربويات . وفائدته أنه هل يجعل جنسا برأسه حتى يباع لحمه بلحم أى الأبوين كان مفاضلة ؟ أو يجعل كالجنس الواحد احتياطا فيحرم التفاضل وهذا هو الأقرب اعتبارا لضيق باب الربا ، ولم يتعرضوا له أيضا فى السلم والقرض حتى لو أقرضه حيوانا متولدا بين حيوانين أو أسلم إليه فى لحمه أو لحم ضأن أو معز فأتاه بلحم متولد بين ضأن ومعز فالمتجه عدم جواز قبوله لأنه نوع آخر . والاستبدال عن النوع بنوع آخر لايجوز على الصحيح ، ولم يتعرضوا له أيضا فى الشركة والوكالة والقراض كل ذلك لندوره ، والمتجه المنع فى الجميع لأن هذه العقود إنما تصح فيما يعم وجوده ، ولو أوصى لرجل بشاة فأعطاه الوارث متولدا بين ضأن ومعز لم يجبر على القبول لأن الوصية إنما تحمل على المتعارف ، والله تعالى أعلم .

(الأمثال) قالوا : فلان أكفر من حمار ، وهو رجل من عاد كان يقال حمار بن مويلع وقيل هو حمار بن مالك بن نصر الأزدى كان مسلما ، وكان له واد طوله مسيرة يوم فى عرض أربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب أخصب منه وفيه من كل الثمار ، فخرج بنوه يوما يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر . وقال : لاأعبد من فعل هذا ببنى ، ودعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله ، فأهلكه الله وأخرب واديه فضربت العرب به المثل فى الكفر . قال الشاعر :

ألم تر أن حارثة بن بدر يصلى وهو أكفر من حمار

(الخواص) قال ابن وحشية وابن السويدى وغيرهما : النظر إلى أعين الحمر الوحشية يديم صحة العين ويمنع نزول الماء إليها بخاصية عجيبة أودعها الله فيها ، والاكتحال بمرارتها

يحد البصر ويزيل ظلمته ويمنع من ابتداء نزول الماء فى العين ، وأكل سمين لحمها ينفع من مرض المفاصل ويزيله ، ولحمها أيضا ينفع من النقرس نفعا بينا ، وشحمها إذا طلى به الكلف أزاله ، ومرارتها تنفع من داء الثعلب طلاء وتنفع من البول على الفراش أكلا ، ومخها يسخن بدهن الزئبق ويدهن به البهق يزول بإذن الله تعالى .

(التعبير) الحمار الوحشى فى المنام : يدل على الزوجة أو الولد من ذى الجفاء والقسوة أو من أرباب البوادى فاعتبر ذلك وأعط الرائى حقه . ومن رأى أنه ركب حماراً وحشيا فانه يدل على معصية ، ومن رأى أنه ركبه وسقط عنه فليحذر من درك يناله فى معصية ، ومن شرب من لبن حمارة وحش نال نسكا فى دينه ، ومن رأى أنه حوى شيئا من لحوم حمر الوحش أو ملكها نال عزا وغنيمة ومالا ، والحمار الأهلى إذا استوحش فى المنام فهو ضر وشر ، والحمار الوحشى فى المنام إذا أنس فهو نفع وخير .

﴿ حمار قبانه ﴾ : قال النووى فى التحرير : هو فعلان من قب لأنه لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة . وقال الجوهرى : هى دويبة ، وقبان فعلان من قب لأن العرب لا تصرفه وهو معرفة عندهم ، ولو كان فعالا لصرفته تقول رأيت قطيعا من حمر قبان غير منصرف . قال الشاعر :

يا عجبا لقد رأيت عجبا حمار قبان يسوق أرنبا
خاطبها يمنعها أن تذهبا فقالت أردفنى فقال مرحبا

وقد ذكر ابن مالك وغيره من الصرفيين : أن كل اسم يكون فى آخره نون بعد ألف بينها وبين فاء الكلمة مشدد فهو محتمل لأصالة النونات وزيادة أحد المثلين وبالعكس ، ومثلوا ذلك بحسان ودكان وتبان وريان ونحوها ، فقالوا : حسان إن أخذ من الحسن فنونه أصلية وإحدى السينين زائدة وإن أخذ من الحس فنونه زائدة مع الألف ووزنه على الأول فعال وعلى الثانى فعلان ويمنع الصرف على الثانى لزيادة الألف والنون دون الأول ، وتبان إن أخذ من التبن فنونه أصلية وإن أخذ من التب وهو الخسران فنونه زائدة مع الألف فيمنع الصرف إذا عرف — هذا . فقبان يجوز أن يكون مأخوذا من القب وهو الضمور والأقب ضامر البطن كما قال الجوهرى ، والخيل : القب الضوامر ، وقد أنشد الجاحظ يصف نسوة :

يمشين مشى قطا البطاح تأودا قب البطون رواجح الأكفال

فحمار قبان يجوز أن يكون مأخوذا من هذا الضمور بطنه ، فإنه دويبة مستديرة بقدر الدينار ضامرة البطن متولدة من الأماكن الندية ، على ظهرها شبه المجن مرتفعة الظهر كأن ظهرها قبة إذا مشت لا يرى منها سوى أطراف رجليها ، ورأسها لا يرى عند المشى إلا أن تقلب على ظهرها لأن أمام وجهها حاجزا مستديراً ، وهى أقل سوادا من الخنفساء وأصغر

منها ، ولها ستة أرجل ، تألف المواضع السبخة فى الغالب ومواضع الزبل، ويجوز أن يكون لفظ قبان مأخوذا من قبن فى الأرض قبونا إذا ذهب قال صاحب المفردات : وهذه الدابة هى التى تسمى هدبة ، وهى كثيرة الأرجل تستدير عند ما تلمس . ومن حمار قبان نوع ضامر البطن غير مستدير والناس يسمونه أبا شحمة ، يألف المواضع الندية والظاهر أنه صغار حمار قبان وأنه بعد يأخذ فى الكبر ، وأهل اليمن يطلقونه على دويبة فوق الجرادة من نوع الفراش ، والاشتقاق لا يساعده ويجوز اشتقاقه من قبن المتاع إذا وزنه فعلى هذا ينصرف لأصالة النون ، والقبان الذى يوزن به. قال الشعبى : معناه العدل بالرومية والاشتقاق الأول أظهر فلذلك التزمت العرب منعه من الصرف .

(الحكم) يحرم أكلها لاستخباثها .

(الأمثال) قالوا : أذل من حمار قبان .

(الخواص) إذا شرب حمار قبان مع شراب نفع من عسر البول ومن اليرقان . وقال بعضهم : إذ لف حمار قبان فى خرقة وعلق على من به حمى مثلثة قلعها أصلا .

(التعبير) رؤية حمار قبان فى النوم : تدل على حقارة الهمة ومخالطة السفل ومكاثرتهم ، والله أعلم .

﴿ الحمام ﴾ : قال الجوهرى : هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ، لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس لا للتأنيث ، وعند العامة أنها الدواجن فقط الواحدة حمامة . وقال حميد ابن ثور الهلالى من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حر ترحة وترنما

والحمامة هنا القمرية . وقال الأصمعى فى قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما زعمت تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد فى مضيق الجبل فقالت : ياليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا فيكمل لنا مائة قطاة فاتبعت وعدت على الماء فإذا هى ست وستون قال أبو عبيدة : رأته من مسيرة ثلاثة أيام وأرادت بالحمام القطا فقالت ذلك اه وقال الأموى : الدواجن التى تستفرخ فى البيوت تسمى حماما أيضا ، وأنشد للعجاج :

إنى ورب البلد المحرم والقاطنات البيت عند زمزم
قواطنا مكة من ورق الحمى

يريد الحمام ، وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات ، وربما قالوا حمـام للمفرد . قال جران العود :

وذكرنى الصبا بعد التنائى حمامة أيكة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب [الطير الكبير] : أن اليمام هو الحمام البرى الواحدة يمامة وهو ضروب ، والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها فيه بياض ، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه انتهى . ونقل النووى فى التحرير عن الأصمعى : أن كل ذات طوق فهى حمام ، والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها ، وكان الكسائى يقول : الحمام هو البرى واليمام الذى يألف البيوت ، والصواب ما قاله الأصمعى . ونقل الأزهرى عن الشافعى أن الحمام كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه ، والعب بالعين المهملة شدة جرع المـاء من غير تنفس . قال ابن سيده : يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب . والهدير : ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له . قال الرافعى : والأشبه أن ما عب هدر . قال : فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم ، ويدل عليه أن الإمام الشافعى قال : فى [عيون المسائل] وما عب من الماء عبا فهو حمام وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام اه . وفيما قاله الرافعى نظر لأنه لا يلزم من العب الهدير : قال الشاعر :

على حويضى نغر مكب إذا فترت فترة يعب

وحمرات شربهن عب

وصف النغر بالعب مع أنه لا يهدر وإلا كان حماما . والنغر : نوع من العصفور ، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى باب النون. إذا علمت ذلك انتظم لك كلام الشافعى وأهل اللغة : أن الحمام يقع على الذى يألف البيوت ويستفرخ فيها ، وعلى اليمام والقمرى وساق حر وهو ذكر القمرى كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين ، والفواخت والدبسى والقطا والوراشين واليعاقيب والشفنين والزاغ والوردانى والطورانى ، وسيأتى بيان ذلك كل واحد فى بابه إن شاء الله تعالى ، والكلام الآن فى الحمام الذى يألف البيوت وهو قسمان : أحدهما البرى وهو الذى يلازم البروج وما أشبه ذلك وهو كثير النفور وسمى بريا لذلك. والثانى الأهلى وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة منها الرواعب والمراعيش والعداد والسداد والمضرب والقلاب والمنسوب ، وهو بالنسبة إلى ما تقدم كالعتاق من الخيل ، وتلك كالبراذين .

قال الجاحظ : الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس وهو الأبيض : روى أبو داود والطبرانى وابن ماجه وابن حبان بإسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن النبى صلى الله وسلم رأى رجلا يتبع حمامة فقال : شيطان يتبع شيطانة » وفى رواية « شيطان يتبعه شيطان »

قال البيهقى : وحمله بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام على إطارته والاشتغال به ، وارتقاء الأسطحة التى يشرف منها على بيوت الجيران وحرمهم لأجله ، وسيأتى الكلام عليه فى الأحكام، وروى البيهقى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال . شهدت عمر بن عبد العزيز رحمه الله يأمر بالحمام الطيار فتذبح وتترك المقصصات ، وروى ابن قانع والطبرانى عن حبيب بن عبد الله بن أبى كبشة عن أبيه عن جده « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر إلى الأترج والحمام الأحمر » وروى الحاكم فى تاريخ نيسابور عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترج وإلى الحمام الأحمر. قال ابن قانع والحافظ أبو موسى : قال هلال بن العلاء : الحمام الأحمر التفاح، قال أبو موسى وهذا التفسير لم أره لغيره ، وكان فى منزله صلى الله عليه وسلم حمام أحمر يقال له وردان .

وفى [عمل اليوم والليلة] لابن السنى عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل « أن عليا رضى الله عنه شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام وأن يذكر الله عند هديره » ورواه الحافظ ابن عساكر وقال : إنه غريب جدا وسنده ضعيف، وروى ابن عدى فى كامله فى ترجمة ميمون بن موسى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه « أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال له، اتخذ زوجا من حمام تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها ، أو اتخذ ديكا يؤنسك ويوقظك للصلاة » وروى أيضا فى ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتخذوا الحمام المقاصيص فى بيوتكم فإنها تلهى الجن عن صبيانكم » وقال عبادة بن الصامت رضى الله عنه « شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اتخذ زوجا من حمام » رواه الطبرانى وفيه الصلت بن الجراح لا يعرف وبقية رجاله رجال الصحيح وفى كامل ابن عدى فى ترجمة سهل بن فرير عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « شكت الكعبة إلى الله تعالى قلة زوارها فأوحى الله إليها لأبعثن إليك أقواما يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى فراخها » وفى سنن أبى داود والنسائى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما باسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة » ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ، ويحمل الأخبار ويأتى بها من البلاد البعيدة فى المدة القريبة، وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ فى يوم واحد ، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ثم هو على ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه إلى وطنه حتى يجد فرصة فيطير إليه . وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره وهو أطير منه ومن سائر الطير

كله لكنه يذعر منه ويعتريه ما يعترى الحمار إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب والفأر إذا رأى الهر .

ومن عجيب الطبيعة فيه ما حكاه ابن قتيبة فى [عيون الأخبار] عن المثنى بن زهير أنه قال : لم أر شيئا قط من رجل وامرأة إلا وقد رأيته فى الحمام رأيت حمامة لاتريد إلا ذكرها وذكرا لا يريد إلا أنثاه إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد ، ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعة يريدها ، وما رأيت حمامة لها زوج وهى تمكن آخر ما تعدوه ، ورأيت حمامة تقمط حمامة ويقال إنها تبيض من ذلك ولكن لا يكون لذلك البيض فراخ ، ورأيت ذكرا يقمط ذكرا ورأيت ذكرا يقمط كل ما لقى ولا يزاوج ، وأنثى يقمطها كل مارآها من الذكور ولا تزاوج ، وليس من الحيوان مايستعمل التقبيل عند السفاد إلا الإنسان والحمام ، وهو عفيف فى السفاد يجر ذنبه ليعفى أثر الأنثى كأنه قد علم ما فعلت فيجتهد فى إخفائه ، وقد يسفد لتمام ستة أشهر ، والأنثى تحمل أربعة عشر يوما وتبيض بيضتين إحداهما ذكر والثانية أنثى وبين الأولى والثانية يوم وليلة ، والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزء من النهار والأنثى بقية النهار وكذلك فى الليل ، وإذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر واضطرها للدخول ، وإذا أراد الذكر أن يسفد الأنثى أخرج فراخه عن الوكر ، وقد ألهم هذ النوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر ترابا مالحا ويطعمها إياه ليسهل به سبيل المطعم ، فسبحان اللطيف الخبير الذى آتى كل نفس هداها . وزعم أرسطو أن الحمام يعيش ثمان سنين . وذكر الثعلبى وغيره عن وهب بن منبه فى قوله تعالى — وربك يخلق ما يشاء ويختار — قال : اختار من النعم الضأن ومن الطير الحمام .

وذكر أهل التاريخ : أن أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بالله لما حبس رأى فى منامه كأن على يده حمامة مطوقة فأتاه آت فقال له خلاصك فى هذا ، فلما أصبح حكى ذلك لابن سكينة الإمام فقال له : ما أولته يا أمير المؤمنين ؟ قال : أولته ببيت أبى تمام :

هى الحمام فإن كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

وخلاصى فى حمامى فقتل بعد أيام يسيرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما .

وروى البيهقى فى [الشعب] عن معمر قال : جاء رجل إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال : رأيت فى النوم كأن حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها أعظم مما دخلت ، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها أصغر مما دخلت ، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها كما دخلت سواء ، فقال له ابن سيرين : أما التى خرجت أعظم مما دخلت فذلك الحسن بن أبى الحسن البصرى يسمع الحديث فيجوده بمنطقه ثم يصل فيه من مواعظه

وأما التى خرجت أصغر مما دخلت فذلك محمد بن سيرين يسمع الحديث فينقص منه ، وأما التى خرجت كما دخلت سواء فهو قتادة وهو أحفظ الناس .

وذكر ابن خلكان فى ترجمته : يعنى ابن سيرين ، أن رجلا أتاه فقال له : رأيت كأنى أخذت حمامة لجارى فكسرت جناحها ، فتغير وجه ابن سيرين وقال : ثم ماذا ؟ قال : ثم جاء غراب أسود فسقط على ظهر بيتى فنقبه ، فقال له محمد بن سيرين : ما أسرع ما أدبك ربك ! أنت رجل تخالف إلى امرأة جارك ، وأسود يخالفك إلى امرأتك . قال : وكان ابن سيرين بزازا ، وكان من موالى أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم وحبس بدين كان عليه ، وكان يقول : إنى لأعرف الذنب الذى حمل به على الدين ، قيل له ما هو ؟ قال : قلت لرجل مفلس منذ أربعين سنة يا مفلس . قال بعضهم : قلت ذنوبهم فعلموا من أين يؤتون وكثرت ذنوبنا فليس ندرى من أين نؤتى. قال : وكان أنس بن مالك رضى الله عنه قد أوصى أن يغسله ويكفنه ويصلى عليه محمد بن سيرين ، وكان محمد بن سيرين محبوسا لما مات أنس فاستأذنوا له الأمير فأذن له فخرج فغسله وكفنه وصلى عليه ثم رجع إلى السجن ولم يذهب إلى أهله، وكان ابن سيرين من أعلام التابعين، وكانت له اليد الطولى فى علم الرؤيا . روى أن امرأة جاءته وهو يتغدى فقالت له : رأيت القمر دخل فى الثريا ونادى مناد من خلفى اتبى ابن سيرين فقصى عليه . قال : فتغير لونه وقام وهو آخذ على بطنه ، فقالت له أخته : ما بالك ؟ قال : زعمت هذه أنى ميت بعد سبعة أيام ، فمات بعد سبعة أيام سنة عشر ومائة بعد الحسن البصرى بمائة يوم رحمهما الله تعالى .

وفى [الشعب] للبيهقى عن سفيان الثورى أنه قال: كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط. وقال إبراهيم النخعى : من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر . وروى البزار فى مسنده « إن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار ، وأن ذلك مما صد المشركين عنه صلى الله عليه وسلم ، وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين » وروى ابن وهب « أن حمام مكة أظلت النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة » وروى الطبرانى بإسناد صحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية — ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه — فجعل يعيدها على حتى نعست عنه ثم قال: يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ قلت : إلى السعة والدعة أنطلق إلى مكة فأكون حمامة من حمام الحرم ، فقال صلى الله عليه وسلم : فكيف تصنع إذا أخرجت من مكة ؟ قلت : إلى السعة والدعة أنطلق إلى الشام والأرض المقدسة . قال : فكيف تصنع إذا أخرجت من الشام ؟ فقلت : والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى . قال صلى الله

عليه وسلم : أو خير من ذلك تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا » وفى الصحيح طرف منه وفى ابن ماجه طرف من أوله .

وذكر أن هارون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به فأهدى له حمام وعنده أبو البخترى وهب القاضى ، فروى له بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا سبق إلا فى خف أو حافر » أو جناح ، فزاد أو جناح وهى لفظة وضعها للرشيد فأعطاه جائزة سنية ، فلما خرج قال الرشيد : تالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالحمام فذبح ، فقيل له : وما ذنب الحمام ؟ قال : من أجله كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترك العلماء حديث أبى البخترى لذلك وغيره من موضوعاته فلم يكتبوا حديثه ، وكان أبو البخترى المذكور قاضى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم بعد بكار بن عبد الله الزبيرى ، ثم ولى قضاء بغداد بعد أبى يوسف صاحب أبى حنيفة رحمه الله ، وتوفى أبو البخترى سنة مائتين فى خلافة المأمون . والبخترى مأخوذ من البخترة التى هى الخيلاء ، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحترى الشاعر المشهور ، والأول بالخاء المعجمة والثانى بالحاء المهملة . قال ابن أبى خيثمة والشيخ تقى الدين القشيرى فى [الاقتراح] : واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم وضعه للمهدى لا للرشيد . وقال ابن قتيبة : وأبو البخترى هو وهب بن وهب بن وهب ثلاثة أسماء على نسق واحد ، ومثله فى ملوك الفرس بهرام ، ابن بهرام بن بهرام ، ومثله فى الطالبين حسن بن حسن بن حسن ، ومثله فى غسان الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر انتهى . قلت : ومثله فى المتأخرين الغزالى محمد بن محمد بن محمد أحد أصحاب الوجوه فى المذهب .

ومما حكى لنا واشتهر رويناه بالسند الصحيح عن الشيخ العارف بالله تعالى أبى الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى أنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد باهى موسى وعيسى صلى الله عليه وسلم بالإمام الغزالى ، فقال لهما : فى أمتكما حبر كهذا ؟ وأشار إلى الغزالى ، فقالا : لا . وقال الشيخ الإمام العارف بالله الأستاذ ركن الشريعة والحقيقة أبو العباس المرسى ، وقد ذكر الغزالى ، فشهد له بالصديقية العظمى ، وحسبك من باهى به النبى صلى الله عليه وسلم موسى وعيسى ، وشهد له الصديقون بالصديقية العظمى ، وقد ذكر له شيخنا جمال الدين الأسنوى فى [المهمات] ترجمة حسنة منها : هو قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود ، وروح خلاصة أهل الإيمان والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن ، يتقرب إلى الله تعالى به كل صديق ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق ، قد انفرد فى ذلك العصر عن أعلام الزمان كما انفرد فى هذا الباب فلا يترجم معه فيه إنسان انتهى . وكان حجة الإسلام زين الدين محمد الغزالى قد ولى تدريس النظامية بمدينة بغداد ، ثم تركها وسلك طريق الزهد

وقصد الحج فلما رجع توجه إلى الشام فأقام بدمشق بزاوية الجامع ، وانتقل إلى القدس ، ثم قصد مصر أقام بالإسكندرية مدة ، ثم عاد إلى وطنه بطوس ، ثم ألزم بالعودة إلى نيسابور والتدريس بها فى النظامية ، ثم تركها وعاد إلى وطنه واتخذ خانقاه للصوفية ، وصرف وقته إلى وظائف الخيرات من تلاوة القرآن ومجالسة الصالحين وكثرة العبادة والتخلى عن الدنيا ، والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة والتبحر فى علوم الحقيقة ، وكتبه نافعة مفيدة لا سيما : [إحياء علوم الدين] فإنه كتاب لايستغنى عنه طالب الآخرة توفى الإمام حجة الإسلام فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بطوس رحمه الله تعالى ورضى الله عنه وأرضاه .

وذكر ابن خلكان : أن شرف الدين بن عنين حضر درس فخر الدين الرازى بخوارزم فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح ، فلما وقعت رجع عنها ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد ، فلما قام الإمام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورقّ لها وأخذها بيده ، فأنشد ابن عنين بديها أبياتا منها :

من نبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حتفها فحبوتها ببقائها المستأنف
لو أنها تحبى بمال لا نثنت من راحتيك بنائل متضاعف

وكان بين شرف الدين بن عنين والملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق مؤانسة ومصاحبة ، وكان يجرى بينهما أمور تدل على حسن إدراك الملك المعظم منها : أن ابن عنين حصل له توعك فكتب إليه :

انظر إلىّ بعين مولى لم يزل يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج مايحتاجه فاغنم ثنائى والثواب الوافى

فجاء إليه بنفسه ومعه ثلثمائة دينار فقال : هذه الصلة وأنا العائد ، وهذه لو وقعت من أكابر النحاة لاستعظمت منه فضلا عن ملك . قوله هذه الصلة وأنا العائد : لأن الذى اسم موصول يحتاج إلى صلة وعائد ؛ فالصلة ما وصله به من المال ، والعائد يحتمل معنيين : أحدهما وأنا العائدلك بالصلة مرة بعد أخرى فطب نفسا . والآخر من عاد يعود عيادة وهى عيادة المريض . وكان الملك المعظم فاضلا حازما شجاعا حنفى المذهب ، وكانت له رغبة فى فن الأدب حتى إنه شرط لكل من حفظ [مفصل الزمخشرى] مائة دينار وخلعة ، فحفظه خلق كثير لهذا السبب . توفى سنة أربع وعشرين وستمائة ، وتوفى الإمام فخر الدين الرازى المتقدم ذكره يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة بهراة رحمهما الله تعالى .

(فائدة) قال بعض الحكماء : كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه . وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان فى عشرة إلا وفى أحدهما وصف من الآخر ، فإن أشكال

الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان منه فى طيران إلا لمناسبة بينهما ؛ فرأى يوما حمامة مع غراب فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد ، فلما مشيا إذا هما أعرجان فقال : من هاهنا اتفقا ، وكل إنسان يأنس إلى شكله، كما أن كل طير يأنس إلى جنسه ، فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة فلا بد أن يتفرقا كما قال بعض الشعراء :

وقائل كيف تفرقتما فقلت قولا فيه إنصاف
لم يك من شكلى ففارقته والناس أشكال وألاف

وسيأتى عنه فى الصعوة شيء من هذا . روى أحمد فى [الزهد] عن يزيد بن ميسرة : أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه : إن استطعتم أن تكونوا بلها فى الله تعالى مثل الحمام فافعلوا . قال : وكان يقال إنه ليس شيء أبله من الحمام ، وذلك أنك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه .

(الحكم) يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنه من الطيبات ، ولأن الشارع أوجب فيه على المحرم إذا قتله شاة . وفى مستند ذلك وجهان : أحدهما أن ذلك لما بينهما من الشبه فإن كلا يألف منهما البيوت ويأنس بالناس . والثانى وهو الأصح أن مستنده توقيف بلغهم فيه. ونقل الرافعى عن الشيخ أبى محمد الخلاف فيما لو قتل طائرا أكبر من الحمام أو مثله هل ينبنى على هذا ؟ إن قلنا المستند التوقيف أوجبنا الشاة ، وإن قلنا المستند المشابهة أوجبنا القيمة. وقد أسقط الإمام النووى رحمه الله هذه المسئلة من الروضة وكأنه ظن أن الخلاف فيها لفظى لا فائدة فيه . وبيض الحمام وكل طائر يحرم على المحرم صيده حرام عليه فإن أتلفه ضمنه بقيمته هذا مذهبنا وبه قال الإمام أحمد وآخرون . وقال المزنى وبعض أصحاب داود: لا جزاء فى البيض. وقال مالك : يضمنه بعشر ثمن أصله . قال ابن المنذر : واختلفوا فى بيض الحمام، فقال على وعطاء : فى كل بيضتين درهم. وقال الزهرى والشافعى وأصحاب الرأى وأبو ثور : فيه قيمته وسيأتى فى بيض النعام حكمه إن شاء الله تعالى . ومن أحكامه فى الصيد أنه إذا اختلطت حمامة مملوكة أو حمامات بحمامات مباحة محصورة لم يجز الاصطياد منها، ولو اختلطت بحمام ناحية جاز الاصطياد فى الناحية، ولو اختلط حمام أبراج مملوكة لا تكاد تحصر بحمام بلدة أخرى مباحة ففى جواز الاصطياد منها وجهان أصحهما الجواز ، وبيع الحمام فى البرج على تفصيل بيع السمك فى البركة، وسيأتى فى باب السين المهملة إن شاء الله تعالى؛ ولو باعها وهى طائرة اعتمادا على عادة عودها فوجهان أصحهما عند الإمام الجواز كالعبد المبعوث فى شغل، وعند الجمهور المنع إذ لا وثوق بعودها لعدم عقلها. ومن أحكامه فى الربا: أنه جنس واحد بجميع أنواعه كذا قاله المراوزة. وقال العراقيون: إن كل نوع منه جنس فالحمام جنس والقمارى جنس والفواخت

جنس . وأما اتخاذه للبيض والفراخ وللأنس وحمل الكتب فجائز بلا كراهة. وأما اللعب به والتطير والمسابقة ، فقيل يجوز لأنه يحتاج إليها فى الحرب لنقل الأخبار، والأصح كراهته لما تقدم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى قال فيه «شيطان يتبع شيطانة» قال ابن حبان بعد رواية هذا الحديث: إنما قال له شيطان لأن اللاعب بالحمام لا يكاد يخلو من لغو وعصيان والعاصى يقال له شيطان قال الله تعالى — شياطين الإنس والجن — وأطلق على الحمامة شيطانة للمجاورة، ولا ترد الشهادة بمجرد اللعب بالحمام خلافا لمالك وأبى حنيفة ، فإن انضم إليه قمار أو نحوه ردت به الشهادة .

وروى أبو محمد الرامهرمزى فى كتابه [المحدث الفاصل بين الراوى والواعى] عن مصعب الزبيرى قال : سمعت مالك بن أنس رضى الله عنه وقد قال لابنى أخته أبى بكر محمد وإسماعيل ابنى أبى أويس : أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه : يعنى الحديث . قالا : نعم. قال : فإن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما فأقلا منه وتفقها . قال : ونزل ابن مالك من فوق سطح ومعه حمام قد غطاه فعلم مالك أنه قد فهمه الناس ، فقال مالك : الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات ، والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات . وروى عنه أيضا أنه قال : كان يحيى بن مالك بن أنس يدخل ويخرج ولا يجلس معنا عند أبيه ، فكان إذا نظر إليه أبوه قال : هاه إن مما تطيب به نفسى أن هذا الشأن لا يورث ، وأن أحدا لم يخلف أباه فى مجلسه إلا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان أفضل أهل زمانه ، وكان أبوه أفضل أهل زمانه . وقال البخارى فى المناسك من صحيحه: حدثنا على بن عبد الله قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول: سمعت عائشة رضى الله عنها تقول «طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى هاتين» الحديث، وأم عبد الرحمن قريبة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، واتفق الناس على جلالته وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه. ولد فى حياة عائشة رضى الله عنها ، وتوفى سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة . وروى أن المنصور أمير المؤمنين قال له يوما : عظنى بما رأيت . قال: مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا فبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى له موضع القبر بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده تسعة عشر درهما . ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا فورث كل واحد منهم ألف ألف درهم ، ثم إنى رأيت رجلا من أولاد عمر بن عبد العزيز حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله تعالى ، ورأيت رجلا من أولاد هشام يسأل أن يتصدق عليه اهـ قلت : وهذا أمر غير عجيب فإن عمر وكلهم إلى ربه فكفاهم وأغناهم ، وهشام وكلهم إلى دنياهم فأفقرهم مولاهم. وأما زرق الحمام وسرجين البهائم المأكولة وغيرها

فباطل وثمنه حرام هذا مذهبنا . وقال أبو حنيفة : يجوز بيع السرجين لاتفاق أهل الأعصار فى جميع الأمصار على بيعه من غير إنكار ، ولأنه يجوز الانتفاع به فجاز بيعه كسائر الأشياء. واحتج أصحابنا بحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى إذا حرم على قوم شيئا حرم عليهم ثمنه » وهو حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح وهو عام إلا ما خرج بدليل كالحمار ، وبأنه نجس العين فلم يجز بيعه كالعذرة فإنهم وافقونا على بطلان بيعها مع أنه ينتفع بها . وأما الجواب عما احتجوا به فهو ما أجاب به الماوردى وغيره : أن بيعه إنما يفعله الجهلة والأراذل فلا يكون ذلك حجة فى دين الإسلام. وأما قولهم : إنه ينتفع به فأشبه غيره فالفرق أن هذا نجس بخلاف غيره .

(الأمثال) قالوا : آمن من حمام الحرم وآلف من حمام مكة ، وقالوا : تقلدها طوق الحمامة ، كناية عن الخصلة القبيحة : أى تقلدها كطوق الحمامة لأنه لا يزايلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ، ومثله قوله تعالى : — وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه — أى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه . وقال الزمخشرى : فان قلت لم ذكر حسيبا ؟ قلت : لأنه بمنزلة الشاهد والقاضى والأمين لأن هذه الأمور الغالب أن يتولاها الرجال ، فكأنه قيل له كفى بنفسك رجلا حسيبا . وكان الحسن البصرى إذا قرأها قال : يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك . وقيل فى قوله تعالى : — سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة — أى يلزمون أعمالهم كما يلزم الطوق العنق ، يقال طوّق فلان عمله طوق الحمامة : أى ألزم جزاء عمله . روى الإمام أحمد فى الزهد عن مطرف أنه قال : إذا أنا متّ فلا تحبسونى لكى يجتمع الناس فأطوقهم طوق الحمامة ، ومن هذا المعنى قول عبد الله ابن جحش لأبى سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعتها تقضى بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامه
اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمامه

أى لزمه عارها . قال الإمام عبد الرحمن السهيلى : هذا المثل منتزع من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غصب شبرا من أرض طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين » وقوله طوق الحمامة لأن طوقها لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبدا كما يفعل من لبس طوقا من الآدميين ، وفى هذا البيت من حلاوة الإشارة وملاحة الاستعاره مالا مزيد عليه ، وفى قوله طوق الحمامة رد على من تأول قوله صلى الله عليه وسلم « طوقه من سبع أرضين » أنه من الطاقة لا من الطوق فى العنق ، وقاله الخطابى فى أحد قوليه مع أن البخارى قد قال فى بعض

رواياته «خسف به إلى سبع أرضين»: وفى مصنف ابن أبى شيبة «من غصب شبرا من أرض جاء به إسطاما فى عنقه» والإسطام: كالحلق من الحديد: وقالوا: أخرق من حمامة لأنها لاتحكم عشها، وذلك لأنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبنى عليه عشها فى الموضع الذى تذهب به الريح فينكسر من بيضها أكثر مما يسلم. قال عبيد بن الأبرص:

عيبوا بأمرهم كما عيبت ببيضتها الحمامه
جعلت لها عودين من بشم وآخر من ثمامه

(الخواص) إذا سكن المخدور بقربها أو فى بيت بجوارها أو فى بيت هى فيه برئ، وفى مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والسبات وهذه خاصية عظيمة بديعة، ودمها إذا اكتحل به حارا نفع من الجراحات العارضة للعين والغشاوة ودمها خاصة يقطع الرعاف الذى من حجب الدماغ، وإذا خلط بالزيت أبرأ من حرق النار، وزبل الحمام حار وأشده حرارة زبل البرى الذى لا يأوى البيوت، وأعجب ما فى زبله: أنه إذا سخن فى الماء وجلس فيه من عسر البول أبرأه. ومما جرب لعسر البول أن يكتب له فى إناء نظيف ثم يذاب بماء ويسقى لمن به ذلك فإنه يبول من وقته وساعته قوله تعالى: — إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء — وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون — رمص نفح وشفوا بفضل الله عز وجل، وإذا طلى بالخل وضمد به من به وجع الاستسقاء نفعه نفعا بينا، وزبل الحمام الأحمر إذا شرب منه قدر درهمين مع ثلاثة دراهم دار صينى نفع من الحصاة، ولحم الحمام جيد للكلى ويزيد فى المنى والدم. وإذا شقت وهى حية ووضعت وهى حارة فى موضع لسع العقرب نفعت نفعا بينا، وزبل الحمام إذا بخر به المطلقة أسرع بنزول الولد والمشيمة.

(التعبير) الحمام فى المنام: رسول أمين أو صديق صدوق أو حبيب أنيس، وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد. قال الشاعر:

صب ينوح إذا الحمام ينوح

وربما دلت الحمامة فى الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لاتبتغى ببعلها بدلا، والحمام على رأس المريض هو حمام الموت. قال الشاعر:

هن الحمام فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهن حمام

وبروجها مجمع النساء وفراخها بنون، فمن رأى أنه يعلف الحمام ويدعوهن إليه فإنه يقود، وإن حشر الحمام والغربان فى مكان واحد فإنه يقود أيضا لأن الغربان فساق، وكل شىء يحشر مع غير جنسه كالنعاج والكلاب وأشباه ذلك فانه قيادة. وهدير الحمام كلام باطل، ومن سمع حمامة تهدر فإنه يدل على امرأة تعاتب زوجها، ومن رأى حمامة قدمت عليه

وتلقاها فإنه يرد عليه كتاب ، ومن نفرت منه حمامته ولم تعد إليه فإنه يطلق زوجته أو تموت ، ومن رأى كأن له حماما فإنه ممن يشترى الجوارى ، ومن قص جناح حمامة فى المنام فقد حلف على زوجته أن لا تخرج من بيته أو تلد أو تحمل لأن النفاس والحمل يمنعان من الخروج . والحمام الذى يهدى إلى الطريق فإنه خبر يأتى الرائى من مكان بعيد ، والحمام فى المنام دليل خير لمن يصادق أو يشارك لاجتماع بعضه مع بعض فى الطيران والمزاوجة . وقال جاماسب : من اصطاد الحمام فى منامه أكل مال أعدائه . ومن رأى بعين حمامته نقصا فهو نقص فى دين زوجته وخلقها . وقال ابن المقرى : رؤية المنسوب من الحمام إلى من دونه شريف القدر أو النسب ، ورؤيته دالة على الإفراج والنصر على الأعداء واللهو واللعب ، وربما دل الحمام على الأزواج الصينات وذوات الحفظ للأسرار والكد على العيال ، وربما دل على الحمام الذى هو الموت ، وربما دل على المرأة ذات الأولاد والرجل الكثير النسل المنعكف على أهل بيته ، والله أعلم .

﴿ الحمر ﴾ : فرخ القطاة . وفى المثل : حمد قطاة يستمى الأرانب أن يصيدها ، يضرب للضعيف الذى يروم أن يكيد قويا . قال الميدانى : ولم أر له ذكرا فى الكتب .

﴿ الحمر ﴾ : بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبالراء المهملة : ضرب من الطير كالعصفور وقال أبو المهوش الأسدى :

قد كنت أحسبكم أسودا حمية فإذا لصاف تبيض فيه الحمر

لصاف : اسم جبل ، والواحدة حمرة . قال الراجز :

وحمرات شربهن عب إذا غفلت غفلة تعب

وقد تخفف فيقال حمرة وحمرات ، وابن لسان الحمرة كان من خطباء العرب وهو أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه . ضرب به المثل فى الفصاحة وطول العمر ، واسمه ورقاء بن الأشعر ويكنى أبا كلاب سأله معاوية يوما عن أشياء فأجابه عنها ، فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول . ثم قال : يا أمير المؤمنين إن للعلم آفة وإضاعة ونكدا واستجاعة ؛ فآفته النسيان . وإضاعته أن تحدث به غير أهل ، ونكده الكذب فيه ، واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع أبدا .

(الحمكم) حل الأكل بالإجماع لأنها من أنواع العصافير . وقال العبادى : منهم من حرم الحمر لأنه نهاش ، وهذا قول شاذ مردود . روى أبو داود الطيالسى والحاكم وقال صحيح الإسناد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال « كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فدخل رجل غيضة فأخرج منها بيض حمرة ، فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أيكم فجع هذه ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله أخذت بيضها » وفى رواية الحاكم « أخذت فرخها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رده رده رحمة لها » وفى الترمذى وابن ماجه عن عامر الدارمى « أن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا غيضة فأخذوا فرخ طائر ، فجاء الطائر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرف ، فقال عليه الصلاة والسلام : أيكم أخذ فرخ هذا ؟ فقال رجل : أنا ، فأمره أن يرده فرده » وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى الكلام على الفرخ الحديث الذى رواه أبو داود فى أول كتاب الجنائز عن عامر الدارمى . والحكمة فى الأمر بالرد أنه يحتمل أنهم كانوا محرمين أو لأنها لما استجارت به أجارها فكان الإرسال فى هذه الحالة واجبا .

(الأمثال) قالوا : أعمر من ابن لسان الحمرة . وقالوا : أنسب من ابن لسان الحمرة ، وكان أنسب العرب وأعظمهم كبرا .

(وخواصه وتعبيره) ستأتى فى باب العين المهملة فى لفظ العصفور .

﴿ الحمس ﴾ : بتحريك الحاء والميم والسين المهملة : دابة من دواب البحر ، وقيل هى السلحفاة ، والجمع حمس حكاه ابن سيده .

﴿ الحماط ﴾ : بكسر الحاء المهملة ، والحمطوط بالضم : دويبة تكون فى العشب .

﴿ الحمك ﴾ : الصغار من كل شىء واحدته حمكة ، وقد غلب على القمل ، والحمك أيضا فراخ القطا والنعام ، والحمك أيضا أراذل الناس . قال الراجز :

* لا تعذلينى برذالات الحمك *

﴿ الحمل ﴾ : الخروف إذا بلغ ستة أشهر ، وقيل هو ولد الضأن الجذع فما دونه ، والجمع حملان وأحمال . روى ابن ماجه من حديث أبى يزيد الأنصارى رضى الله عنه قال « مر النبى صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار فوجد ريح قتار فقال : من الذى ذبح ؟ فخرج إليه رجل منا فقال : أنا يا رسول الله ذبحت قبل أن أصلى لأطعم أهلى ، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يعيد ، فقال : والله الذى لا إله إلا هو ما عندى إلا حمل من الضأن ، فقال صلى الله عليه وسلم : اذبحه ، ولن يجزى على أحد بعدك » .

وفى كتاب [قوت القلوب] لأبى طالب المكى فى أوائل الفصل الخامس والعشرين قال : حدثنى بعض إخوانى عن بعض أهل هذه الطائفة قال : قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا حملا مشويا ودعوناه فى جماعة من أصحابنا ، فلما مد يده ليأكل وأخذ لقمة وجعلها

فى فيه لفظها ، ثم اعتزل وقال : كلوا أنتم فإنه قد عرض لى مانع مغنى من الأكل ، فقلنا له : لا نأكل ما لم تأكل معنا ؟ فقال : أما أنا فغير آكل ، ثم انصرف فكرهنا أن نأكل دونه ، فقلنا : لو دعونا الشوّاء فسألناه عن أصل هذا الحمل فلعل له سببا مكروها ، فدعوناه وسألناه ولم نزل به حتى أقر أنه كان ميتة ، وأن نفسه شرهت إلى بيعه حرصا على ثمنه . قال : فأطعمناه الكلاب ، ثم لقينا الرجل فسألناه عن العارض الذى منعه عن الأكل فقال : ما شرهت نفسى إلى الأكل منذ عشرين سنة ، فلما قدّمتم إلىّ هذا الحمل شرهت نفسى إليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت أن فى الطعام علة فتركت أكله لأجل شره النفس ؛ قال : فانظر كيف اتفقا فى شره النفس عن قصد واحد واختلفا فى التوفيق والخذلان ، فعصم الله العالم بالورع والمحاسبة ، وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة .

(عجيبة) فى معجم ابن قانع والطبرانى فى ترجمة كردم بن السائب الأنصارى قال : خرجت مع أبى إلى المدينة فى أول ماذكر النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ، فآوانا الليل إلى راع ، فلما انتصف الليل جاء الذئب فاحتمل حملا من الغنم فوثب الراعى وقال : ياعامر الوادى أوذى جارك ، فنادى مناد : ياسرحان أرسله ، فجاء الحمل يشتد عدوا حتى دخل فى الغنم وأنزل الله تعالى على رسوله — وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا — وهو فى الميزان فى ترجمة إسحاق بن الحارث الكوفى وهو ضعيف . وفى [الشفاء] للقاضى عياض رحمه الله تعالى : يقال إن سبب ابتلاء يعقوب بيوسف صلى الله عليهما وسلم : أنه اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوى وهما يضحكان ، وكان لهما جار يتيم فشم رائحته واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه بذلك ، فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن ابيضت عيناه من الحزن ، فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادى على سطحه ألا من كان مضطرا فليتغد عند آل يعقوب ، وعوقب يوسف بالمحنة التى نص الله عليها انتهى .

قلت : وهذا الكلام لاأعتقد له صحة ، وقد عجبت من القاضى عياض رحمه الله كيف ذكره فى كتابه والذى يجب تنزيههما عن هذه الرذيلة ، وإنما ذكرته لأنبه على أنه لايعتقد صحته ، وإن كان الطبرانى قد روى فى معجمه الأوسط والصغير من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل شيئا من ذلك ، وأن يعقوب كان بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر مناديا ينادى : ألا من أراد الغداء فليتغد مع يعقوب ، وإذا كان صائما نادى مناد : ألا من كان صائما فليفطر مع يعقوب ، فإنما رواه الطبرانى عن شيخه محمد ابن أحمد الباهلى البصرى وهو ضعيف جدا ، وكذا رواه البيهقى فى الشعب فى الباب الثانى والعشرين . وذكر الواحدى فى تفسير قوله تعالى — إنى لأجد ريح يوسف — أن ريح الصبا استأذنت ربها

عز وجل أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير فأذن لها ، فلذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وهى من ناحية المشرق فيرتاح إلى الأوطان والأحباب ؛ وأنشد :

أيا جبـلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يسرى إلىّ نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ماتنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

﴿ حمنانه ﴾ : بفتح الحاء المهملة : صغار القردان واحدته حمنانة وحمنة ، وهى من القردان دون الحلم .

﴿ الحمولة ﴾ : قال الجوهرى : هى بالفتح الإبل التى تحمل ، وكذلك كل ما احتمل عليه الحى من حمار أو غيره سواء كانت عليه الأحمال أو لم تكن ، وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول بها قال الله تعالى — ومن الأنعام حمولة وفرشاً — وسيأتى له ذكر فى باب الفاء إن شاء الله تعالى .

﴿ الحميمق ﴾ : قال ابن سيده : إنه طائر يصيد القطا والجنادب ونحوها ، وسمعت بعض أهل العلم يقول : إنه الباشق ، ويفسر به قول أبى الوليد الأزرقى فى [تاريخ مكة] وهو : قال ابن جريج : قلت لعطاء إذا كنت محرما فأقتل العقاب ؟ قال اقتل . قلت : الصقر والحميمق فإنهما يأخذان حمام المسلمين ؟ قال : اقتل ، واقتل البعوض والذباب ، واقتل الذئب فإنه عدو ، ذكره فى تعظيم الحرم .

﴿ حميل حر ﴾ : بالضم وقد يكسر : طائر معروف .

﴿ الحنش ﴾ : بفتح الحاء المهملة والنون وبالشين المعجمة الحية ، ويقال الأفعى ، والجمع أحناش ، وقيل : الأحناش جميع دواب الأرض كالضب والقنفذ واليربوع وغيرها ، ثم خصت به الحية . قال ذو الرمة :

وكم حنش ذعف اللعاب كأنه على الشرك العادى نصف عصام

وبه سمى الرجل حنشا ، وقيل الحنش حية بيضاء غليظة مثل الثعبان أو أعظم ، وقيل إنه أسود الحيات ، والحنش أيضا بالتحريك كل مايصاد من الطير والهوام . وفى كتاب [العين] الحنش مارءوسها رءوس الحيات وسام أبرص ونحوها ، وفى الحديث فى قتل الدجال « وترتفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليد يده فى فم الحنش فلا يضره » الحمة هى ماتلسع به الهوام ، وفى سنن ابن ماجه وجامع الترمذى عن خزيمة بن جزء « أنه قال يارسول الله جئتك أسألك عن أحناش الأرض ماتقول فى الثعلب ؟ قال : ومن يأكل الثعلب قلت : فما تقول فى الذئب ؟ قال أو يأكل الذئب أحد فيه خير » وذكر الترمذى الذئب والأرنب فكل هذه من أحناش الأرض .

﴿ الحنظب ﴾ : الذكر من الجراد . وقال الخليل . الحناظب : الحنافس الواحدة حنظب وحنظباء . وقال حمزة الأصفهانى : من المركبات بين الثعلب والهرة الوحشية الحنظب ، وأنشد لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنت ابنـــه فبئس البنى وبئس الأب
وأمك ســـوداء نوبيـة كـأن أناملها الحنظب
يبيت أبوك لها ســـافدا كما سـافد الهـــرة الثعلب

وقال الطماحى يصف كلبا أسود :

أعددت للذئب وليل الحارس مصـــدرا أتلع مثل الفارس
يستقبل الريح بأنف خانس فى مثل جلد الحنظباء اليابس

﴿ الحوار ﴾ : ولد الناقة ، ولا يزال حوارا حتى يفصل عن أمه ، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل وثلاثة أحورة ، والكثير حيران وحوران أيضا قاله الجوهرى . وذكر ابن هشام وغيره فى سرية عبد الله بن أنيس إلى خالد بن نبيح ، وكانت فى المحرم فى السنة الثالثة من الهجرة وكان ينزل عرنة أنه قال فى ذلك :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله نوائح تفرى كل جيب مقدد

الأبيات الخمسة . وسيأتى ذكر القصة إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى العنكبوت .

(الأمثال) قال صاحب يسار الكواعب له : يايسار كل لحم الحوار ، واشرب لبن العشار ، وإياك وبنات الأحرار ، والقصة فى ذلك مشهورة ، وفى ذلك يقول الشاعر :

وإنى لأخشى إن خطبت إليهم عليك الذى لاقى يسار الكواعب

وقالوا : أمسخ من لحم الحوار . قال الشاعر :

وقد علم الغثر والطارقون بأنك للضيف جوع وقر
مسيخ ومليخ كلحم الحوار فلا أنت حلو ولا أنت مر

المسيخ والمليخ : الذى لاطعم له ، وقالوا : كسؤر العبد من لحم الحوار ، يضرب للشىء الذى لايدرك منه شىء . وأصله أن عبدا نحر حوارا وأكله كله ولم يبق لمولاه منه شيئا ، فضرب به المثل لما يفقد ألبتة .

﴿ الحوت ﴾ : السمك ، والجمع أحوات وحوتة وحيتان . قال الله تعالى — إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم — الآية ، وهذا يمكن أن يقع من الحيتان بإرسال من الله تعالى كإرسال السحاب ، أو بوحى إلهام كالوحى إلى النحل ، أو بإشعار فى ذلك اليوم نحو مايشعر الله الدواب

يوم الجمعة بأمر الساعة حسبما يقتضيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة فرقا من قيام الساعة » ويحتمل أن يكون ذلك من الحيتان شعورا بالسلامة فى ذلك اليوم على نحو شعور حمام الحرم بالسلامة . قال أصحاب القصص : كان الحوت يقرب ويكثر حتى يمكن أخذه باليد فإذا كان يوم الأحد غاب بجملته ، وقيل يغيب أكثره ولا يبقى منه إلا القليل ، وستأتى القصة فى ذلك فى باب القاف فى لفظ القرد .

وروينا بالسند الصحيح عن سعيد بن جبير أنه قال « لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض لم يكن فيها غير النسر فى البر والحوت فى البحر ، وكان النسر يأوى إلى الحوت فيبيت عنده ، فلما رأى النسر آدم عليه السلام أتى الحوت وقال : يا حوت لقد أهبط اليوم إلى الأرض من يمشى على رجليه ويبطش بيديه ، فقال الحوت : لئن كنت صادقا فمالى منجا منه فى البحر ، ومالك مخلص منه فى البر » .

(الأمثال) قال الشاعر :

كالحوت لا يلهيه شىء يلهمه يصبح ظمآن وفى البحر فمه

اللهم الابتلاع ، يضرب لمن عاش بخيلا شرها . روى الطبرانى فى معجمه الأوسط عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « علماء هذه الأمة رجلان : رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا قليلا ، فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون ، يقدم على الله سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين . ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا ، فذاك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ، وينادى مناد على رءوس الأشهاد هذا فلان ابن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا ، ثم يعذب حتى يفرغ من الحساب » ويكفى الحوت شرفا أنه كان وعاء ومسكنا لنبى الله يونس بن متى عليه الصلاة والسلام ، وذلك أن الله تعالى أوحى إليه : إنى لم أجعل يونس لك رزقا وإنما جعلت بطنك له حرزا ، وسجنا ، ثم استنقذه الله تعالى من بطنه . واختلف فى مدة لبثه فى بطن الحوت ، فقال مقاتل بن حيان : ثلاثة أيام . وقال عطاء : سبعة أيام . وقال الضحاك : عشرين يوما . وقال السدى والكلبى ومقاتل بن سليمان : أربعين يوما . وقال الشعبى : التقمه ضحى ولفظه عشية ، وأما قوله تعالى — وأنبتنا عليه شجرة من يقطين — فالمراد باليقطين هنا القرع على قول جميع المفسرين ، فكل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين .

(فائدة) سئل إمام الحرمين هل البارى تعالى فى جهة ؟ فقال : هو متعال عن ذلك ، فقيل له : ما الدليل على ذلك ؟ فقال : قوله صلى الله عليه وسلم « لا تفضلونى على يونس بن متى »

فقيل له : ما وجه ذلك ؟ فقال : لا أقوله حتى يأخذ صبغى هذا ألف دينار يقضى بها دينه ، فقام بها رجلان فقال : إن يونس بن متى رمى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت وصار فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث ، ونادى — أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين — ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم حين جلس على الرفرف الأخضر وانتهى إلى أن سمع صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله تعالى من يونس ابن متى فى بطن الحوت فى ظلمة البحر انتهى. وسيأتى فى باب النون إن شاء الله تعالى جواب ابن عباس رضى الله عنهما عن رسالة ملك الروم التى سأل فيها معاوية عن القبر الذى سار بصاحبه . وروى الحاكم فى المستدرك بإسناد فيه يزيد بن يزيد البلوى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فنزلنا منزلا فاذا فى الوادى رجل يقول : اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة . قال : فأشرفت عليه فإذا رجل طوله ثلثمائة ذراع فقال : من أنت ؟ قلت أنا أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : وأين هو؟ قلت: هو ذا يسمع منك كلامك . قال : فأته وأقرئه منى السلام وقل له : أخوك إلياس يقرئك السلام . قال : فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فجاء حتى عانقه وقعدا يتحدثان فقال : يارسول الله إنى إنما آكل فى السنة يوما واحدا وهذا يوم فطرى فآكل أنا وأنت ، فنزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس ، فأكلا وأطعمانى وصليا العصر ثم ودعه ثم رأيته مر فى السحاب نحو السماء » قال الحاكم : صحيح الإسناد. قال شيخ الإسلام العلامة شمس الدين الذهبى رحمه الله فى الميزان : أما استحيا الحاكم من الله تعالى فى تصحيح مثل هذا . وقال فى تلخيص المستدرك بعد قول الحاكم هذا صحيح قلت : بل هو موضوع قبح الله من وضعه وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى تصحيح هذا اهـ

(فائدة) قال القشيرى : يقال إن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ربه سبحانه وتعالى أن يأذن له أن يضيف يوما جميع الحيوانات ، فأذن الله تعالى له فأخذ سليمان فى جمع الطعام مدة طويلة ، فأرسل الله تعالى له حوتا واحدا من البحر فأكل كل ما جمعه سليمان فى تلك المدة الطويلة ثم استزاده فقال سليمان : لم يبق عندى شىء ، ثم قال له : وأنت تأكل كل يوم مثل هذا ؟ فقال : رزقى كل يوم ثلاثة أضعاف هذا ، ولكن الله لم يطعمنى اليوم إلا ما أطعمتنى أنت ، فليتك لم تضيفنى فإنى يقيت اليوم جائعا حيث كنت ضيفك انتهى . وفى هذا إشارة إلى كمال قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه وسعة خزائنه ، إذ مثل سليمان مع سعة ملكه وقوة سلطانه الذى آتاه الله تعالى عجز أن يشبع مخلوقا واحدا من مخلوقات الله تعالى ، فسبحان المتكفل بأرزاق خلقه . وهنا دقيقة يجب أن يتنبه لها وهى أن الشبع والرى ليس هو من فعل الطعام والماء ، وإنما أجرى الله العادة بخلق الشبع عند أكل الطعام وخلق الرى عند شرب

الماء ، فالشبع والرى خلق الله تعالى ؛ هذا مذهب أهل الحق ، ولاالتفات لمن قال غير ذلك.

(وحكمه وخواصه وتعبيره) كالسمك ، وسيأتى فى باب السين المهملة إن شاء الله تعالى .

﴿ حوت الحيض ﴾ : قال ابن زهر : قال لى من رآه : إنه دابة عظيمة فى البحر تمنع المراكب الكبار عن السير ، فإذا أشرف أهل السفينة على العطب رموا له بخرق الحيض فيهرب ولا يقربهم ، فهى معدة معهم لذلك ، وهذا الحوت اسمه الفاطوس ، وسيأتى فى باب الفاء إن شاء الله تعالى .

ومن عجيب أمر هذا الحيوان أنه لا يقرب مركبا فيه امرأة حائض .

(وحكمه) كعموم السمك ، ودم الحوت نجس كسائر الدماء ، وقيل طاهر لأنه إذا يبس ابيض بخلاف سائر الدماء فإنها تسود كذا نقله القرطبى عن بعض الحنفية .

(الخواص) قال الرازى وغيره : إذا سعط المصروع بوزن حبة من مرارته برئ من الصرع بإذن الله تعالى وهو مجرب ، وكبده إذا جففت وسحقت وذر منها على الدم السائل قطعه أو على الجرح ألحمه وأبرأه وإن كان عظيما وهو أيضا مجرب ، ووسط لحم ظهره إذا أخذ منه قطعة ولاكها إنسان هيجت الباه وأنعظت .

(تذنيب) الحيض فى المنام : نكاح حرام ، فمن رأى أنه حائض فإنه يأتى محرما ، والمرأة إذا رأت أنها حائض اختلط عليها أمرها فإن اغتسلت ذهب الهم عنها ، وإن رأت امرأة أنها مستحاضة وهى التى لم ينقطع الدم عنها فانها كثيرة الذنوب لا تثبت على توبة لأن الاسم صار طبعا لها نسأل الله السلامة ، وقيل إن الرجل إذا رأى أنه حائض فإنه يكذب ، وإن رأى امرأته حائضا انغلق علية أمره ، والله تعالى أعلم .

﴿ حوت موسى ويوشع ﴾ : عليهما الصلاة والسلام. قال أبو حامد الأندلسى : رأيت سمكة بقرب مدينة سبتة من نسل الحوت الذى أكل منه موسى وفتاه يوشع عليهما السلام ، فأحيا الله نصفه فاتخذ سبيله فى البحر سربا ، ونسلها فى البحر إلى الآن فى ذلك الموضع ، وهى سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد فى جانبيها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشائها ، ولها عين ونصف رأس ، من رآها من هذا الجانب استقذرها ويحسب أنها ميتة ، ونصفها الآخر صحيح والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الأماكن البعيدة. قال ابن عطية : وأنا رأيتها كذلك قال : ومن غريب ما روى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصص هذه الآية : أن الحوت إنما حيى لأنه مسه ماء عين هنالك تدعى عين الحياة ما مست ميتا قط إلا وحيى . وقد قال الكلبى : توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فنضح على الحوت

المالح وهو فى المكتل من ذلك الماء فعاش الحوت فجعل يضرب بذنبه . ولا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب إلا يبس . قال : ومن غريبه أيضا : أن بعض المفسرين ذكر أن موضع سلوك الحوت عاد طريقا يبسا ، وأن موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى أفضى به ذلك الطريق إلى جزيرة فى البحر ، وفيها وجد الخضر .

(إشارة) كانت هذه القطرة مباركة فأحيا الله تعالى الميت لأنها قطرة من وجه متوضىء ، وللعبادات تأثيرات فحياة القلب من ميراث العمل ، كان موسى ويوشع فى تعب ومشقة فلما حيي الحوت وجدا السبيل إلى مطلبهما ، فكذا الجوارح والأعضاء فى خوف وحيرة حتى تحيا القلوب بذكر الله تعالى ، فإذا حيي القلب بالذكر أمنت الأعضاء وسكنت . واعلم أن موسى عليه السلام جد فى طلب الخضر حتى وجده ، وكذلك يستحب لكل طالب فائدة دينية أو دنيوية أن يكون كرارا غير فرار فإما الظفر والغنيمة وإما القتل والشهادة كما اتفق للحسين الحلاج وغيره ، وقد تقدم ذكر قصته قريبا .

وروى أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتئم ، فدخل موسى على أثر الحوت فإذا هو بالخضر » وقال قتادة : ما سلك الحوت طريقا إلا صار ماء جامدا طريقا يبسا ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد لحقه الجوع فقال لفتاه وهو يوشع — آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا — الآية ، قال ابن عطية : وكان أبو الفضل الجوهرى يقول فى وعظه : مشى موسى عليه السلام لمناجاة ربه تعالى أربعين يوما لم يحتج إلى طعام ، ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع ، والإشارة فى ذلك أنهما كانا متعلمين ، وطالب العلم من حقه أن يحتمل كل مشقة ولا يبالى بصيف ولا شتاء ولا جوع ولا ذل إذ الذى يطلب لا يعرف قيمته إلا صاحبه ، ومن عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن طلب العظيم خاطر بالعظيم ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصاد المهملة فى الصرد عن مقاتل طرف من ذلك مطول .

وكانت حياة الحوت عند مجمع البحرين . قال قتادة : مجمع البحرين هما بحر فارس وبحر الروم مما يلى الشرق ، وقيل هما بحر الأردن وبحر القلزم ، وقيل هما بحر بالمغرب وبحر بالزقاق . والحكمة فى جمع موسى مع الخضر عليهما السلام بمجمع البحرين أنهما بحران فى العلم أحدهما أعلم بالظاهر وأعنى بالظاهر علم الشرع وهو موسى ، والآخر أعلم بالباطن وأعنى بالباطن علم الحقيقة وأسرار الملكوت وهو الخضر ، فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين فحصلت المناسبة .

(إشارة) اعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يجد من هو دونه وهو الخضر عليه السلام حتى تجرد عن كل ما سواه فكذلك العبد لا يجد قرب مولاه وحبه حتى يتجرد عن كل

ما سواه . قال الشبلى : انفرد بالله حتى تكون مجردا عن الأغيار ، وتكون واحدًا للواحد فردا للفرد . وقال الإمام تاج الدين بن عطاء الله السكندرى : من تجرد فى وقته لوقته فاته من وقته ، ومن استقبل الوقت فاز بحظه وأنشد :

لا كنت إن كنت أدرى كيف الطريق إليكا
أفنيتنى عن جميعى فكنت سلم يديكا

وقيل للجنيد : متى يكون العبد منفردا متحيزا ؟ قال : إذا ألزم جوارحه الكف عن جميع المخالفات ، وأفنى حركاته عن كل الإرادات فكان شجا بين يدى الحق لا يتميز ، وما أحسن قول بعضهم :

وعن فنائى فنى فنائى وفى فنائى وجدت أنتا
فى محو اسمى ورسم جسمى سألت عنى فقلت أنتا
أشار سرى إليك حتى فنى فنائى ودمت أنتا
أنت حياتى وسر قلبى فحيثما كنت كنت أنتا

قال الشبلى : اضرب بالدنيا وجه عاشقيها وبالآخرة وجه طالبيها ، وسلم نفسك وقد وصلت ، فإذا قلت الله فهو الله وإذا سكت فهو الله وهذا هو المقام العظيم. واسم الخضر عليه السلام مضطرب فيه اضطرابا متباينا ، فقيل إنه بليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن أرفخشذ ابن نوح عليه السلام قاله وهب بن منبه ، وقيل إيليا بن عاميل ابن شماخين بن أرما بن علقما ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وقيل اسمه أرميا بن حلقيا من سبط هارون قاله الثعلبى . قلت : والأصح الذى نقله أهل السير وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم كما قاله البغوى وغيره أن اسمه بليا بباء موحدة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة من تحت وفى آخره ألف ، ابن ملكان بفتح الميم وباسكان اللام وبالنون فى آخره ، وقيل بليان. قيل كان من بنى إسرائيل ، وقيل كان من أبناء الملوك وكنيته أبو العباس . قال السهيلى : كان أبوه ملكا وأمه اسمها أها ، وإنها ولدته فى مغارة وإنه وجد هناك شاة ترضعه فى كل يوم من غنم رجل من القرية ، ولما وجده الرجل أخذه ورباه ، فلما شب طلب أبوه كاتبا وجمع أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التى أنزلت على إبراهيم وشيث ، فكان فيمن أقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر عليه السلام وهو لا يعرفه ، فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره فعرف أنه ابنه فضمه لنفسه وولاه أمر الناس . ثم إن الخضر فر من الملك لأسباب يطول ذكرها ولم يزل سائحا إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها فهو حى إلى أن يخرج الدجال ، وإنه الرجل الذى يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعالى انتهى . وسيأتى إن شاء الله تعالى عن صاحب ابتلاء الأخيار] فى باب السين المهملة فى لفظ السعلاة أنه ابن خالة ذى القرنين .

واختلف فى سبب تلقيبه بالخضر، فقال الأكثرون : لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من تحته خضراء، والفروة وجه الأرض . وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله والصواب الأول . واختلف حياته، فقال الإمام محيى الدين النووى وجمهور العلماء : هو حى موجود بين أظهرنا . قال : وهذا متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة ، وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجواباته ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر . قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك ، وإنما شذ بانكاره بعض المحدثين انتهى . وقال الحسن : إنه مات . وقال ابن المنادى : لا يثبت حديث فى بقائه . وقال الإمام أبوبكر بن العربى : مات قبل انقضاء المائة . ويقرب من هذا جواب الإمام محمد بن إسماعيل البخارى لما سئل عن الخضر وإلياس عليهما السلام هل هما فى الأحياء ؟ فقال : كيف يكون ذلك ؟ وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » والصحيح الصواب أنه حى . وقال بعضهم : إنه اجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعزى أهل بيته وهم مجتمعون لغسله ، وقد روى ذلك من طرق صحاح . وفى [التمهيد] لابن عبد البر إمام أهل الحديث فى وقته رحمه الله : أن النبى صلى الله عليه وسلم حين غسل وكفن سمعوا قائلا يقول : السلام عليكم أهل البيت . إن فى الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل تالف وعزاء من كل مصيبة ، فعليكم بالصبر واحتسبوا ، ثم دعا لهم ولا يرون شخصه ، فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام : يعنى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته رضى الله تعالى عنهم . قال السهيلى : وقد ذكر أن الخضر عليه السلام هو أرميا ولم يصححه محمد بن جرير الطبرى وأبطله بما يطول ذكره من الحجج ، وذكر أيضا أنه اليسع صاحب إلياس عليهما السلام . وأعجب ما فى ذلك قول من قال : إنه ابن فرعون صاحب موسى عليه السلام ذكره النقاش انتهى . واختلف فى نبوته، فقال القشيرى وكثيرون : هو ولى . وقال بعضهم : هو نبى ، ورجحه النووى . وحكى الماوردى فى تفسيره ثلاثة أقوال : أحدها أنه نبى ، والثانى أنه ولى ، والثالث أنه من الملائكة : وهذا القول غريب باطل لما قدمناه . وقال المازرى : اختلف العلماء فى الخضر هل هو ولى أم نبى ؟ فقال الأكثرون : هو نبى ، واحتجوا بقوله تعالى — وما فعلته عن أمرى — فدل على أنه نبى يوحى إليه وبأنه أعلم من موسى ، ويبعد أن يكون ولى أعلم من نبى . وأجاب الآخرون : بأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد أوحى إلى نبى ذلك الزمان بأن يأمر الخضر بذلك انتهى . ولم ينقل أنه كان مع موسى نبى فكيف يتأتى هذا الجواب والخضر كان فى عصر موسى ؟ فإن نقل أنه كان معه نبى آخر قبل هذا الاحتمال فى الجواب وإلا فلا . فان قيل : إن يوشع بن نون

كان نبيا فى زمن موسى، قيل هذه القضية كانت قبل نبوته . وأيضا فهو كان مصاحبا لموسى ومرافقه حين لقيا الخضر ، وهو الذى أخبر موسى بانسياب الحوت فى البحر . واختلف فى كونه مرسلا، فقال الثعلبى : الخضر نبى بعثه الله بعد شعيب وهو معمر محجوب عن أبصار أكثر الناس ، وقيل إنه لا يموت إلا فى آخر الزمان حين يرفع القرآن، وقصته مع موسى فى السفينة والغلام والقرية طويلة مشهورة تركناها لطولها واشتهارها ، لكن قال السهيلى : إن القرية برقة ، وقيل غير ذلك .

(فائدة) لما حان لموسى والخضر أن يتفرقا قال له الخضر عليه السلام : لو صبرت لأتيت على ألف عجب كل عجب أعجب مما رأيت ، فبكى موسى عليه السلام على فراقه ، ثم قال موسى للخضر عليهما السلام : أوصنى يا نبى الله ، فقال له الخضر : يا موسى اجعل همك فى معادك ولا تخض فيما لا يعنيك، ولا تترك الخوف فى أمنك، ولا تيأس من الأمن فى خوفك ، وتدبر الأمور فى علانيتك، ولا تذر الإحسان فى قدرتك، فقال له موسى : زدنى يا نبى الله، فقال له الخضر : يا موسى إياك واللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ، ولا تضحك من غير عجب ، ولا تعير أحدا من الخطائين بخطاياهم بعد الندم وابك على خطيئتك يا ابن عمران ، فقال له موسى عليه السلام : قد أبلغت فى الوصية . فأتم الله عليك نعمته وعمرك فى طاعته وكلأك من عدوه ، فقال له الخضر عليه السلام : وأوصنى أنت ، فقال له موسى : إياك والغضب إلا فى الله ، ولا ترض عن أحد إلا فى الله ، ولا تحب لدنيا ولا تبغض لدنيا فإن ذلك يخرج من الإيمان ويدخل فى الكفر ، فقال له الخضر : لقد أبلغت فى الوصية فأعانك الله على طاعته، وأراك السرور فى أمرك، وحبيك إلى خلقه وأوسع عليك من فضله ، فقال موسى عليه السلام آمين ، رواه السهيلى . وقال البغوى : روى أن موسى لما أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له : أوصنى . قال له : يا موسى لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به .

(تتمة) فى كتاب [الهواتف] لأبى بكر بن أبى الدنيا : أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لقى الخضر عليه السلام وعلمه هذا الدعاء ، وذكر فيه ثوابا عظيما ورحمة لمن قاله فى دبر كل صلاة وهو : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ويا من لا تغلطه المسائل ، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك . وذكر فى كتابه أيضا عن عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا الدعاء بعينه نحو ما ذكر عن على رضى الله عنه فى سماعه من الخضر عليه السلام .

(عجيبة) روى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى فى كتابه [المتفق والمفترق] فى ترجمة أسامة بن زيد التنوخى : أنه ولى مصر للوليد بن عبد الملك بن مروان ولأخيه سليمان

وهو الذى بنى مقياس النيل العتيق الذى بجزيرة فسطاط مصر ، ذكره ابن يونس فى تاريخه. ثم روى الخطيب فى ترجمة أسامة هذا : أن صنما كان بالإسكندرية يقال له شراحيل على حشفة من حشف البحر مستقبلا بأصبع من أصابع كفه القسطنطينية لا يدرى أكان مما عمله سليمان النبى عليه الصلاة والسلام أو الإسكندر تصاد عنده الحيتان تدور حوله وحول الإسكندرية وكان قدم الصنم طول قامة الرجل إذا انبطح ومديديه، فكتب أسامة بن زيد وهو عامل مصر للوليد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين إن عندنا بالإسكندرية صنما يقال له شراحيل وهو من نحاس وقد غلت علينا الفلوس ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ننزله ونجعله فلوسا فعلنا ، وإن رأى غير ذلك فليكتب إلينا مما نعتمده فى أمره ، فكتب إليه لاتنزله حتى أبعث إليك أمناء يحضرونه ، فبعث إليه رجالا أمناء فأنزلوا الصنم عن الحشفة فوجدت عيناه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة فضربه أسامة بن زيد فلوسا ، فانطلقت الحيتان ولم ترجع إلى ذلك المكان أبدا بعد أن كانت لاتفارقه ليلا ولا نهارا وتصاد بالأيدى .

﴿ الحوشى ﴾ : النعم المتوحشة ، ويقال إن الإبل الوحشية منسوبة إلى الحوش ، وهى فحول جن تزعم العرب أنها ضربت فى نعم بعضها فنسبت إليها .

﴿ الحوصل ﴾ : طائر كبير له حوصلة عظيمة يتخذ منها الفرو جمعه حواصل . قال ابن البيطار : وهذا الطائر يكون بمصر كثيرا ويعرف بالبجع وجمل الماء والكى بضم الكاف وسكون الياء المثناة من تحت، وهو صنفان أبيض وأسود، فالأسود منه كريه الرائحة ولايكاد يستعمل والأجود الأبيض ، وحرارته قليلة ورطوبته كثيرة وهو قليل البقاء ، ولبسه يصلح للشباب وذوى الأمزجة الحارة ومن تغلب عليه الصفراء انتهى .

والمعروف خلاف ما قال وأنه أشد حرارة من فرو الثعلب ، والحوصلة والحواصل من الطائر والظليم بمنزلة المعدة للإنسان .

(وحكمه) الحل كما جزم به الرافعى وغيره عموما. فإن قيل : لم لا أجرى فيه الوجه الذى فى طير الماء ؟ فالجواب : إن ذلك الوجه يجرى فى طير لا يفارقه الماء وهذا يألفه ثم يفارقه فهو كالإوز البلدى ، وقد رأيت منه بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم واحدا أقام بها أعواما يمشى فى أزقتها ، لكن غالب اقتياته فى البر اللحم وفى البحر السمك .

﴿ الحولان ﴾ : بحاء مضمومة بعدها لام ألف مشددة ثم نون : هو الجدى يوجد فى بطن أمه . وقال الأصمعى : الحلان والحلام بالنون والميم صغار الغنم. وقال ابن السكيت : الحلان الذى يصلح أن يذبح للنسك. وفى الحديث «أن عمر رضى الله تعالى عنه قضى فى أم حبين يقتلها المحرم بحلان » وفى حديث آخر « ذبح عثمان كما يذبح الحلان » أى أن دمه أطل كما أطل دم الحلان . وحكمه سيأتى إن شاء الله تعالى .

﴿ مبيرة ﴾ : اسم من أسماء الأسد. روى البخارى ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضى الله تعالى عنه قال « أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم خيبر وهو أرمد فقال : لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله . قال : ويحب الله ورسوله ، قال : فأتيت عليا وجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به النبى صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية » قال : فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال : فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره كليث غابات كريه المنظره
أكيلهم بالسيف كيل السندره

وضرب مرحبا ففلق رأسه وقتله وكان الفتح . قال السهيلى : ذكر قاسم بن ثابت فى تسميته حيدرة ثلاثة أقوال : الأول : أن اسمه فى الكتب القديمة أسد والأسد هو حيدرة . والثانى : أن أمه فاطمة بنت أسد حين ولدته كان أبوه غائبا فسمته باسم أبيها أسدا فقدم أبوه فسماه عليا . والثالث : أنه كان يلقب فى صغره بحيدرة لأن الحيدرة الممتلئ لحما العظيم البطن ، وكذلك كان على رضى الله عنه ، ولذلك قال بعض اللصوص حين فر من سجنه الذى سماه نافعا يافعا وقيل بالياء :

ولو أنى مكثت لهم قليلا لجرونى لحيدرة البطين

وكان مرحب قد رأى فى المنام كأن أسدا افترسه فأراد على رضى الله عنه أن يذكره أنه هو الأسد الذى يقتله فكاشفه بذلك ، فلما سمع مرحب قوله تذكر المنام فأرعد فقتله على رضى الله تعالى عنه ، وبهذا يستدل على جواز المبارزة فى الحرب بشرط أن لا يتضرر المسلمون بقتل المبارز ، فإن طلبها كافرا استحب الخروج إليه . وروى أبو داود بإسناد صحيح عن على رضى الله عنه أنه قال : لما كان يوم بدر تقدم عتبة بن ربيعة بنفسه وتبعه أخوه وابنه فنادى : من يبارز؟ فانتدب إليه شبان من الأنصار ، فقال : من أنتم ؟ فأخبروه ، فقال : لاحاجة لنا فيكم إنما أردنا بنى عمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة قم ياعلى قم ياعبيدة بن الحارث ، فأقبل حمزة على عتبة بن ربيعة ، وأقبلت أنا إلى أخيه شيبة ، وأقبل عبيدة إلى الوليد بن عتبة فاختلف بين عتبة والوليد ضربتان فأثخن كل منهما صاحبه ، ثم ملنا إلى الوليد فقتلناه ، واحتملنا عبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل فقال : أشهيد أنا يارسول الله ؟ قال : نعم . قال : وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله :

نكنفه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشد يقول :

فإن تقطعوا رجلى فإنى مسلم أرجى بها عيشا من الله عاليا

وألبسنى الرحمن من فضل منه لباسا من الإسلام غطى المساويا

قال الشافعى رضى الله عنه : وبارز يوم الخندق عمرو بن عبد ود لأنه خرج ينادى من يبارز ؟ فقام له على رضى الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال : أنا له يا نبى الله ، فقال : إنه عمرو اجلس ، فنادى عمرو ألا رجل يبارز ؟ ثم جعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم يدخلها أفلا يبرز إلىّ رجل منكم؟ فقام على رضى الله عنه وقال : أنا له يا رسول الله ، فقال له : إنه عمرو اجلس، فنادى الثالثة وذكر شعرا، فقام على وقال أنا له يا رسول الله . قال : إنه عمرو . قال : وإن كان عمرا ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه حتى أتاه ، فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، قال : غيرك يا ابن أخى أريد من أعمامك من هو أسن منك فإنى أكره أن أهريق دمك ، فقال علىّ رضى الله عنه : لكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب ونزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو على رضى الله عنه مغضبا ، فاستقبله علىّ بدرقته، فضربه عمرو فى الدرقة فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأس علىّ فشجه ، وضربه على رضى الله عنه على حبل عاتقه فسقط قتيلا ، وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف صلى الله عليه وسلم أن عليا قتله اه .

وجاء فى بعض الروايات : أن عليا رضى الله عنه لما بارز عمرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليوم برز الإيمان كله للشرك كله » وكان سيف على رضى الله عنه يقال له ذو الفقار لأنه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر ، وكان لمنبه بن الحجاج سلبه منه النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأعطاه عليا رضى الله عنه ، وكان من حديدة وجدت عند الكعبة من دفن جرهم أو غيرهم ، وكانت صمصامة عمرو بن معد يكرب من تلك الحديدة أيضا .

(تتمة) ينبغى لمقدم العسكر أن يتشبه بصفات من صفات الحيوان ، فيكون فى قوة القلب كالأسد لا يجبن ولا يفر ، وفى الكبر كالنمر لا يتواضع للعدو ، وفى الشجاعة كالدب يقاتل بجميع جوارحه ، وفى الحملة كالخنزير لا يولى دبره إذا حمل ، وفى الغارة كالذئب إذا يئس من وجه أغار من وجه . وفى حمل السلاح كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها ، وفى الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه ، وفى الوفاء كالكلب لو دخل سيده النار يتبعه ، وفى الصبر كالحمار ، وفى التماس الفرصة كالديك ، وفى الحراسة كالكركى ، وفى التعب كاليعر وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والمشقة .

﴿ الحيرمة ﴾ : البقرة والجمع حيرم ؛ قال ابن أحمر : « تبدل أدما من ظباء وحيرما » كذا أنشده الجوهرى .

﴿ الحية ﴾ : اسم يطلق على الذكر والأنثى ، فإن أردت التمييز قلت هذا حية ذكر وهذه حية أنثى قاله المبرد فى الكامل ، وإنما دخلته الهاء لأنه واحد من جنس كبطة ودجاجة . على أنه قد روى عن بعض العرب : رأيت حيا على حية : أى ذكرا على أنثى ، وفلان حية ذكر والنسبة إلى الحية حيوى والحيوت ذكر الحيات أنشد الأصمعى :

ويأكل الحية والحيوتا ويخنق العجوز أو تموتا

وذكر ابن خالويه لها مائتى اسم . ونقل السهيلى عن المسعودى أن الله تعالى لما أهبط الحية إلى الأرض أنزلها بسجستان ، فهى أكثر أرض الله حيات ، ولولا العربد يأكلها ويفنى كثيرا منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات . وقال كعب الأحبار : أهبط الله تعالى الحية بأصبهان وإبليس بجدة ، وحواء بعرفة ، وآدم بجبل سرنديب ، وهو بأرض الصين فى بحر الهند عال يراه البحريون من مسافة أيام ، وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام مغموسة فى الحجر ، ويرى على هذا الأثر كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ، ولا بدله فى كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه الصلاة والسلام ، ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل فتحدره السيول والأمطار من ذروته إلى الحضيض ، ويوجد به الماس أيضا ، وبه يوجد العود كذا قاله القزوينى . قلت : وهو قريب من جبل يقال له ساتيدما بكسر المثناة من فوق بعدها مثناة من تحت ودال مهملة وميم وألف ، وهو متصل من بحر الروم إلى بحر الهند ، ليس يأتى يوم من الدهر إلا ويسفك عليه دم فسمى ساتيدما لذلك . وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده فاحتال له حتى انصرف عنه فاتبعه كسرى فى جنوده فأدركه بساتيدما فانهزم أصحاب قيصر مرعوبين من غير قتال فقتلهم كسرى قتل الكلاب ونجا قيصر ولم يدركه كذا حكاه البكرى فى معجمه . وذكر الجوهرى نقلا عن سيبويه كذلك ، وأنشدوا على ذلك :

لما رأت ساتيد ما استعبرت لله در اليوم من لامها

والحية أنواع : منها الرقشاء وهى التى فيها نقط سود وبيض ويقال لها الرقطاء أيضا وهى من أخبث الأفاعى . قال النابغة فى وصف السليم :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع
تبادرها الراقون من شر سمها فتطلقه يوما ويوما تراجع
تسهد من ليل التمام سليمها كحلى نساء فى يديه قعاقع

وقال غيره :

هم أيقظوا أرقط الأفاعى ونبهوا عقارب ليل نام عنها حواتها

وهم نقلوا عنى الذى لم أفه به وما آفة الأخبار إلا رواتها

وتزعم الأعراب أن الأفاعى صم وكذلك النعام . قال على بن نصر الجهضمى : دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأكثر فقلت : يا أمير المؤمنين أنشدنى الأصمعى :

لم أر مثل الرفق فى لينه أخرج للعذراء من خدرها

من يستعن بالرفق فى أمره يستخرج الحية من جحرها

فقال : ياغلام الدواة والقرطاس ، فأتى بهما فكتبهما وأمر لى بجائزة سنية . وقال أبو بكر ابن أبى دؤاد : كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن على يشخصه للقضاء فدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك ، فقال : أرجع فأستخير الله ، فرجع إلى بيته فصلى ركعتين وقال : اللهم إن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك ونام فنبهوه فإذا هو ميت ، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين .

ومن أنواعها الأزعر وهو غالب فيها ، ومنها ماهو أزب ذو شعر ، ومنها ذوات القرون وأرسطو ينكر ذلك . قال الراجز :

وذات قرنين طحون الضرس تنهس لو تمكنت من نهس

تدير عينا كشهاب القبس

ومنها الشجاع وسيأتى فى باب الشين المعجمة ، ومنها العربد وهى حية عظيمة تأكل الحيات كما تقدم ، ومنها الأصلة وهو عظيم جدا له وجه كوجه الإنسان ويقال إنه يصير كذلك إذا مرت عليه ألوف من السنين ، ومن خاصة هذا أن يقتل بالنظر أيضا ، ومنها الصل وتسمى المكللة لأنها مكللة الرأس ، وقيل الصل الأول وهذه المكللة ، وهى شديدة الفساد تحرق كل مامرت عليه ، ولا ينبت حول جحرها شىء من الزرع أصلا ، وإذا حاذى مسكنها طائر سقط ، ولا يمر حيوان بقربها إلا هلك ، وتقتل بصفيرها على غلوة سهم ، ومن وقع عليه بصرها ولو من بعد مات ، ومن نهشته مات فى الحال ، وضربها فارس برمحه فمات هو وفرسه وهى كثيرة ببلاد الترك ، ومنها ذو الطفيتين والأبتر ، وفى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اقتلوهما فإنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبالى » قال الزهرى : ونرى ذلك من سمها ، وسيأتى بيان هذا الحديث فى باب الطاء إن شاء الله تعالى ، ومنها الناظر متى وقع نظره على إنسان مات الإنسان من ساعته ، ومنها نوع آخر إذا سمع الإنسان صوته مات .

ومن أسماء الحية : العيم والعين والصم والأزعر والأبتر والناشر والأين والأرقم والأصلة والجان والثعبان والشجاع والأزب والأفعى والأفعوان وهو الذكر من الأفاعى كما تقدم . والأرقش والأرقط والصل وذو الطفيتين والعربد .

قال ابن الأثير : ويقال للحية أبو البخترى وأبو الربيع وأبو عثمان وأبو العاصى وأبو مذعور وأبو وثاب وأبو يقظان وأم طبق وأم عافية وأم عثمان وأم الفتح وأم محبوب وبنات طبق والحية الصماء وهى الشديدة الشر . قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه :

إذا تخازرت وما بى من خزر ثم كسرت الطرف من غير حور
ألفيتنى ألوى بعيد المستمر أحمل ماحملت من خير وشر

كالحية الصماء فى أصل الشجر

والصمة الذكر من الحيات وجمعه صمم وبه سمى والد دريد بن الصمة . وزعم أهل الكلام فى طبائع الحيوان : أن الحية تعيش ألف سنة ، وهى فى كل سنة تسلخ جلدها ، وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل فيفسد غالب بيضها ولا يصلح منه إلا القليل ، وإن لدغها العقرب ماتت ، ومن أنواعها الحريش وقدتقدم ذكره ، وشرها الأفاعى ومسكنها الرمال ، وبيض الحيات مستطيل وهو كدر اللون وأخضر وأسود وأبيض وأرقط وفى بيضه نمش ولمع ، والسبب فى اختلاف ذلك لا يعرف ، وداخله شىء كالصديد وهو فى جوفها منضد طولا ، على خط واحد وليس للحيات سفاد يعرف وإنما هو التواء بعضها على بعض ولسانها مشقوق فيظن بعض الناس أن لها لسانين ، وتوصف بالنهم والشره لأنها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الأسد . ومن شأنها أنها إذا ابتلعت شيئا له عظم أتت شجرة أو نحوها فتلتوى عليها التواء شديدا حتى يتكسر ذلك فى جوفها . ومن عادتها أنها إذا نهشت انقلبت فيتوهم بعض الناس أنها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس كذلك . ومن شأنها أنها إذا لم تجد طعاما عاشت بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع فلا تأكل إلا لحم الشىء الحى ، وهى إذا كبرت صغر جسمها واقتنعت بالنسيم ولم تشته الطعام . ومن غريب أمرها أنها لا تريد الماء ولا ترده إلا أنها لا تضبط نفسها عن الشرب إذا شمته لما فى طبعها من الشوق إليه فهى إذا وجدته شربت منه حتى تسكر وربما كان السكر سبب هلاكها ، والذكر لا يقيم بموضع واحد ، وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب ثم تخرج هى سائرة ، فإن وجدت جحرا انسابت فيه ، وعينها لا تدور فى رأسها كأنها مسمار مضروب فى رأسها ؛ وكذلك عين الجراد ، وإذا قلعت عادت ، وكذلك نابها إذا قلع عاد بعد ثلاثة أيام ، وكذلك ذنبها إذا قطع نبت . ومن عجيب أمرها أنها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتطلبها وتتعجب من أمرها ، وتحب اللبن حبا شديدا ، وإذا ضربت بسوط مسه عرق الخيل ماتت ، وتذبح فتبقى أياما لا تموت ، وقد تقدم أنها إذا عميت وأخرجت من تحت الأرض لا تبصر طلبت الرازيانج الأخضر فتحك به بصرها ، فتبصر فسبحان من قدر فهدى ، قدر عليها العمى وهداها إلى ما يزيله عنها ، وليس شىء فى الأرض مثل الحية إلا وجسم الحية أقوى منه ، ولذلك إذا أدخلت صدرها فى جحر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخراجها منه وربما تقطعت ولا تخرج ، وليس لها قوائم ولا أظفار تتشبث بها وإنما قوى ظهرها هذه القوة لكثرة أضلاعها فان لها ثلاثين ضلعا ، وإذا مشت مشت على بطنها

فتدافع أجزاءها وتسمى بذلك الدفع الشديد . والحيات فى أصل الطبع مائية وتعيش فى البحر بعد أن كانت برية وفى البر بعد أن كانت بحرية . قال الجاحظ : الحيات ثلاثة أنواع : نوع منها لاينفع للسعته ترياق ولا غيره كالثعبان والأفعى والحية الهندية ، ونوع منها ينفع فى لسعته الدرياق ، وما كان سواهما مما يقتل فإنما يقتل بواسطة الفزع ؛ كما حكى أن شخصا نام تحت شجرة فتدلت عليه حية فعضت رأسه فانتبه محمر الوجه وحك رأسه وتلفت فلم ير أحدا فلم يرتب بشى ووضع رأسه ونام ، فلما كان بعد ذلك بمدة قال له بعض من رآها : هل علمت مم كان انتباهك تحت الشجرة ؟ قال : لا والله ما علمت . قال : إنما كان من حية تدلت عليك فعضت رأسك فلما قمت فزعا تقلصت ففزع فزعة فاضت فيها نفسه ، قال : فهم يزعمون أن الفزع هو الذى هيج السم وفتح مسام البدن حتى مشى السم فيه اه .

(فائدة) فى [النصائح] لابن ظفر : أن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم ، ونزل بالنجف وأرسل إليهم أن ابعثوا إلىّ رجلا من عقلائكم فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغسانى وكان من المعمرين ، عمر أكثر من ثلثمائة وخمسين سنة فقاوله المقاولة المشهورة ، وكان فى يد عبد المسيح قارورة يقلبها ؛ فقال له خالد : ما الذى فى هذه القارورة ؟ قال : سم ساعة . قال : ما تصنع به ؟ قال : إن وجدت عندك ما أحبه لقومى وأهل بلدى حمدت الله وقبلته ، وإن لم أجد ذلك شربته وقتلت نفسى به ولم أرجع إلى قومى بما يسوءهم ، فقال خالد رضى الله عنه هاتها ، فناوله القارورة فأفرغها خالد فى راحته وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله وبالله بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثم شربه ، ويقال إنه شرب عليه ماء فضرب بذقنه على صدره وغشيه عرق ثم سرى عنه ، فانصرف عبد المسيح إلى قومه وكانوا نصارى نسطورية إلا أنهم عرب فقال لهم : جئتكم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضيا ، فهؤلاء قوم مصنوع لهم وسيكون لهم شأن عظيم ، فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة انتهى . وقال بعضهم : إن سم ساعة لايكون إلا من الحية الهندية ولاينفع فيها درياق ولا غيره . وفى النصائح أيضا : أن أمة لأبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قالت له : من أى جنس أنت ؟ قال : أنا آدمى مثلك . قالت : كيف تكون آدميا وقد أطعمتك السم أربعين يوما فما ضرك ؟ فقال لها : أما علمت أن الذاكرين الله تعالى لا يضرهم شىء ، وإنى كنت أذكر الله باسمه الأعظم ، قالت : وما هو ؟ قال : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، ثم قال : ما الذى حملك على ذلك ؟ قالت : يغضك . قال : أنت حرة لوجه الله تعالى وأنت فى حل مما صنعت انتهى .

(عجيبة) ذكر القرطبي فى تفسير سورة غافر عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب الأحبار أنه قال : لما خلق الله تعالى العرش قال : لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم منى واهتز تعاظما ، فطوقه الله تعالى بحية لها سبعون ألف جناح ، فى كل جناح سبعون ألف ريشة ، فى كل ريشة سبعون ألف وجه ، فى كل وجه سبعون ألف فم ، فى كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصا والثرى وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين ، فالتوت الحية على العرش فالعرش إلى نصف الحية وهى ملتوية عليه فتواضع عند ذلك انتهى . وروى أن الرشيد نام ليلة فسمع قائلا يقول :

يا راقد الليل انتبه إن الخطوب لها سرى
ثقة الفتى من نفسه ثقة محللة العرى

فاستيقظ فوجد المصابيح قد طفئت فأمر بالشموع فأوقدت ، ونظر فإذا حية بقرب فراشه فقتلها .

(غريبة) ذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى فى [الأذكياء] عن بشر ابن الفضل قال : خرجنا حجاجا فمررنا بماء من مياه العرب فوصف لنا فيه ثلاث جوار أخوات بارعات فى الجمال وإنهن يتطببن ويعالجن ، فأحببنا أن نراهن فعمدنا إلى صاحب لنا فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه ، ثم حملناه وأتينا به إليهن فقلنا : هذا سليم فهل من راق؟ فخرجت إلينا الأخت الصغرى فإذا جارية كالشمس الطالعة فجاءت حتى وقفت عليه ونظرته فقالت : ليس بسليم . قلنا : وكيف ذلك ؟ قالت : إنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر ، والدليل على ذلك أنه إذا طلعت عليه الشمس مات . قال : فلما طلعت الشمس مات فعجبنا من ذلك وانصرفنا . وفيه أيضا فى أواخره : أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بحاو يطارد حية ، فقالت له الحية : ياروح الله قل له لئن لم يلتفت عنى لأضربنه ضربة أقطعه قطعا ، فمر عيسى عليه الصلاة والسلام ثم عاد فإذا الحية فى سلة الحاوى ، فقال لها عيسى عليه السلام : ألست القائلة كذا وكذا فكيف صرت معه ؟ فقالت : يا روح الله إنه قد حلف لى والآن غدر بى فسم غدره أضر عليه من سمى .

وفى [عجائب المخلوقات] للقزوينى : أن الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى أنو شروان وإنما وجد فى زمانه . وسببه أنه كان ذات يوم جالسا للمظالم إذ أقبلت حية عظيمة تنساب تحت سريره فهموا بقتلها فقال كسرى : كفوا عنها فإنى أظنها مظلومة ، فمرت تنساب فأتبعها كسرى بعض أساورته فلم تزل سائرة حتى استدارت على فوهة بئر فنزلت فيها ، ثم أقبلت تتطلع فنظر الرجل فإذا فى قعر البئر حية مقتولة وعلى متنها عقرب أسود فأدلى رمحه إلى العقرب ونخسه به وأتى إلى الملك فأخبره بحال الحية ، فلما كان فى العام القابل أتت تلك الحية فى اليوم

الذى كان كسرى جالسا فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت بين يديه ونفضت من فيها بزوا أسود فأمر به الملك أن يزرع فنبت منه الريحان، وكان الملك كثير الزكام وأوجاع الدماغ فاستعمل منه فنفعه جداً .

(فائدة أخرى) فى [حلية الأولياء] للحافظ العلامة أبى نعيم رحمه الله تعالى فى ترجمة سفيان بن عيينة عن يحيى بن عبد الحميد قال : كنت فى مجلس سفيان بن عيينة وقد اجتمع عنده ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون ، فالتفت فى آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه وقال : قم حدّث الناس بحديث الحية ، فقال الرجل : أسندونى فأسندناه فشال جفونه عن عينيه ثم قال : ألا فاستمعوا وعوا ؛ حدثنى أبى عن جده أن رجلا كان يعرف بابن الحمير ، وكان له ورع ، وكان يصوم النهار ويقوم الليل ، وكان مبتلى بالقنص، فخرج يوما يتصيد فبينما هو سائر إذ عرضت له حية فقالت : يا محمد بن حمير أجرنى أجارك الله ، فقال لها : ممن ؟ قالت : من عدوّ قد ظلمنى . قال لها : وأين عدوك ؟ قالت له : من ورائى . قال لها : من أى أمة أنت؟ قالت : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال : ففتحت لها ردائى وقلت لها ادخلى فيه. قالت : يرانى عدوى. قال : فبسطت لها طمرى وقلت ادخلى بين طمرى وبطنى. قالت : يرانى عدوى . قلت لها : فما الذى أصنع بك ؟ قالت : إن أردت اصطناع المعروف ففتح لى فاك حتى أنساب فيه . قلت : أخشى أن تقتلينى ، فقالت : لا والله ما أقتلك ، والله شاهد علىّ بذلك وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه وسكان سمواته أن لا أقتلك . قال : ففتحت لها فمى فانسابت فيه ، ثم مضيت فعارضنى رجل معه صمصامة فقال : يا محمد : فقلت له : ما تشاء ؟ قال : هل لقيت عدوى ؟ قلت : ومن عدوك ؟ قال : حية . قلت : اللهم لا ، واستغفرت ربى مائة مرة من قولى لا لعلمى أين هى ، ثم مضيت قليلا فإذا بها قد أخرجت رأسها من فمى وقالت : انظر هل مضى هذا العدو ؟ فالتفت فلم أر أحدا فقلت : لم أر أحدا فإن أردت الخروج فاخرجى ، فقالت : الآن يا محمد اخترْ لنفسك واحدة من اثنتين . إما أن أفتت كبدك وإما أن أنفث فى فؤادك فأدعك بلا روح ، فقلت : يا سبحان الله ! أين العهد الذى عهدت إلىّ واليمين الذى حلفت لى، ما أسرع ما نسيته وخنت ؟ فقالت : يا محمد ما رأيت أحمق منك إذ نسيت العداوة التى كانت بينى وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة ، فليت شعرى ما الذى حملك على اصطناع المعروف مع غير أهله ؟ قال : فقلت لها ولا بد لك من قتلى . قالت : لابد من ذلك . قال : فقلت لها أمهلينى حتى أصير تحت هذا الجبل فأمهد لنفسى موضعا . قالت : شأنك وما تريد . قال محمد : فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفى إلى السماء وقلت : يالطيف يالطيف الطف بى بلطفك الخفى ، يا لطيف يا قدير ، أسألك بالقدرة التى استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك

منه، يا حليم يا عليم، يا على ياعظيم، يا حى ياقيوم يا ألله إلا ما كفيتنى شر هذه الحية ، ثم مشيت فعارضنى رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لى: سلام عليك ، فقلت: وعليك السلام يا أخى ، فقال : مالى أراك قد تغير لونك واضطرب كونك ؟ فقلت : من عدو قد ظلمنى . قال لى : وأين عدوك ؟ قلت : فى جوفى . قال : فافتح فاك ، ففتحته فوضع فيه مثل ورقة زيتون خضراء ثم قال امضغ وابلع ، فمضغت وبلعت . قال محمد : فلم ألبث إلا قليلا حتى مغصنى بطنى ودارت الحيـة فى بطنى فرميت بها من أسفل قطعا قطعا وذهب عنى ما كنت أجده من الخوف ، فتعلقت بالرجل فقلت : يا أخى من أنت الذى من الله على بك ؟ فضحك ثم قال: ما تعرفنى ؟ قلت : اللهم لا. قال : يا محمد بن حمير إنه لما كان بينك وبين هذه الحية ما كان ودعوت الله بهذا الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع إلى الله عز وجل ، فقال تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى بعينى كل ما فعلت الحية بعبدى ، وأمرنى سبحانه وتعالى أن انطلق إلى الجنة وخذ ورقة خضراء من شجرة طوبى والحق بها عبدى محمد بن حمير ، وأنا يقال لى المعروف ومستقرى فى السماء الرابعة . ثم قال: يا محمد بن حمير عليك باصطناع المعروف فإنه يقى مصارع السوء ، وإنه وإن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله تعالى .

(فائدة أخرى) روى الحاكم وصححه عن أبى اليسر رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو: اللهم إنى أعوذ بك من الهدم والتردى، وأعوذ بك من الحرق والغرق، وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا ، وأعوذ بك أن أموت لديغا » قال الجاحظ : وتأويل هذا عند العلماء أنه لا يتفق للإنسان أن يكون موته بهذا العدو إلا وهو من أعداء الله تعالى بل من أشدهم عداوة ، فكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ منه لذلك .

(فائدة أخرى) يقال : لسعته الحية والعقرب تلسعه لسعا فهو ملسوع ، قال بعض العلماء المتقدمين : من قال فى أول الليل وأول النهار: عقدت لسان الحية وزبان العقرب ويد السارق بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أمن من الحية والعقرب والسارق .

ومن الفوائد المجربة النافعة ؛ أن يسأل الراقى الملدوغ إلى أين انتهى الوجع فى العضو؟ ثم يضع على أعلاه حديدة ويقرأ العزيمة ويكررها وهو يجرد موضع الألم بالحديدة حتى ينتهى فى جرد السم إلى أسفل الوجع ، فإذا اجتمع فى أسفله جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم ، ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك وهى هذه : سلام على نوح فى العالمين، وعلى محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين ، لا دابة بين السماء والأرض إلا وربى آخذ بناصيتها أجمعين ، كذلك يجرى عباده المحسنين إن ربى على صراط مستقيم نوح نوح نوح . قال لكم

نوح : من ذكرنى فلا تلدغوه إن ربى بكل شىء عليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ورأيت بخط بعض المحققين من العلماء : أن يوقف الملسوع أو رسوله أو المكلوب أو شارب السم قائما ، ثم يخط دور قدميه يبدأ بالخط من إبهام الرجل اليمنى حتى يرجع إليها ، ثم يخط بين قدميه خطا ويكون ذلك بسكين فولاذ ، ثم يأخذ من تحت مشط رجله اليمنى ومن تحت كعبه الأيسر ترابا ويرميه فى إناء نظيف ويسكب عليه ماء ، ثم يأخذ السكين ويوقفها فى وسط إناء آخر ويكون رأس السكين إلى فوق ويسكب الماء الذى فى الإناء على السكين التى فى الإناء الثانى ويرقى بهذه الرقية ويكون فراغ الماء مع فراغ الرقية ، ثم يجعل النصال إلى فوق ويسكب الماء كأول مرة ، ثم يجعل رأسها إلى فوق أيضا ويفعل كأول مرة . ثم يسقى الملسوع أو رسوله أو المكلوب أو شارب السم وهى : سارا سارا فى ساراعاتى نور نور نور أنا وأرميافاه ياطوا كاطوا يرملس أوزنا أوصنانيا كامايو قابانياساتيا كاطوط أصباؤت إيريلس تونى تنا أوس ، فانه يبرأ بإذن الله تعالى كما جرب مرارا ، وما أحسن قول القائل :

قالوا حبيبك ملسوع فقلت لهم ... من عقرب الصدغ أو من حية الشعر
قالوا بلى من أفاعى الأرض قلت لهم ... وكيف تسعى أفاعى الأرض للقمر

ولجمال الملك بن أفلح :

وقال يصير الشعر فى الماء حية ... إذا الشمس حاذته فما خلته صدقا
فلما التوى صدغاه فى ماء وجهه ... وقد لسعا قلبى تيقنته حقا

(غريبة أخرى) ذكر المسعودى عن الزبير بن بكار : أن أخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة بجنب صفاة ، فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته إليهما فقالا : إن هذا لمن كنز هنا فأقاما ثلاثة أيام وهى فى كل يوم تخرج لهما دينارا ، فقال أحدهما للآخر : إلى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه ؟ فنهاه أخوه وقال له : ما تدرى لعلك تعطب ولا تدرك المال ، فأبى عليه وأخذ فأسا ورصد الحية حين خرجت فضربها ضربة جرح رأسها ولم يقتلها ، فبادرت إليه الحية فقتلته ورجعت إلى جحرها ، فدفنه أخوه وأقام حتى إذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها وليس معها شىء فقال : يا هذه والله إنى ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخى عن ذلك فلم يقبل ، فهل لك أن تجعلى الله بيننا على أن لا تضرينى ولا أضرك وترجعين إلى ما كنت عليه أولا ؟ فقالت الحية : لا . قال : ولم ؟ قالت : لأنى أعلم أن نفسك لا تطيب لى أبدا وأنت ترى قبر أخيك ، ونفسى لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة ، ثم أنشد أبيات النابغة الجعدى التى يقول فيها :

وما لقيت ذات الصفا من حليفها ... وكانت تريه المال رعبا وظاهره

(غريبة أخرى) فى رحلة ابن الصلاح وتاريخ ابن النجار فى ترجمة يوسف بن محمد الزنجانى الفقيه الشافعى قال : حدثنا الشيخ أبو إسحاق الشيرازى رحمه الله عن القاضى الإمام أبى الطيب أنه قال : كنا فى حلقة النظر بجامع المنصور ببغداد فجاء شاب خراسانى يسأل عن مسألة المصرّاة ويطالب بالدليل ، فاحتج المستدل بحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الثابت فى الصحيحين وغيرهما ، فقال الشاب وكان حنفيا : أبو هريرة غير مقبول الحديث. قال القاضى : فما استتم كلامه حتى سقطت عليه حية عظيمة من سقف الجامع ، فهرب الناس وتبعت الشاب دون غيره ، فقيل له تب تب فقال : تبت ، فغابت الحية ولم يبق لها أثر .

قال ابن الصلاح : هذا إسناد ثابت فيه ثلاثة من صالحى أئمة المسلمين : القاضى أبو الطيب الطبرى ، وتلميذه أبو إسحاق ، وتلميذه أبو القاسم الزنجانى. ويقرب من هذا ماروّاه أبو اليمن الكندى قال : حدثنا أبو منصور القزاز قال : حدثنا أبو بكر الخطيب قال : حدثنا الأزهرى قال : حدثنا عبيد الله بن محمد بن حمدان قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم النحوى قال : أخبرنا الكريمى قال : حدثنا يزيد بن قرة الدراع يرفعه إلى عمر بن حبيب قال : حضرت مجلس الرشيد فجرت مسئلة المصراة فتنازع الخصوم فيها وعلت أصواتهم ، فاحتج بعضهم بالحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فردبعضهم الحديث وقال : أبو هريره متهم فيما يرويه ، ونحا نحوه الرشيد ونصر قوله ، فقلت : أما الحديث فصحيح وأبو هريرة رضى الله عنه صحيح النقل فيما يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فنظر إلىّ الرشيد نظر مغضب ، فقمت من المجلس إلى منزلى ، فلم يستقر بى الجلوس حتى قيل صاحب الشرطة بالباب ، فدخل إلىّ فقال : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن ، فقلت : اللهم إنك تعلم أنى قد دافعت عن صاحب نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمنى منه . قال : فأدخلت على الرشيد فإذا هو جالس على كرسى من ذهب حاسر عن ذراعيه وبيده السيف وبين يديه النطع ، فلما رآنى قال : يا ابن حبيب ما تلقانى أحد بالرد ودفع قولى مثل ما تلقيتنى به ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن الذى حاولت عليه فيه إزراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به ، فقال : كيف ويحك ؟ قلت : لأنه إذا كان أصحابه كذا بين فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام من الصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق والحدود كلها مردودة غير مقبولة لأنهم رواتها ولا تعرف إلا بواسطتهم ، فرجع الرشيد إلى نفسه وقال : الآن أحييتنى يا ابن حبيب أحياك الله ، ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم .

ويقرب من هذه القصة ما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف فى الكلام على لفظ القرد فى الرجل الذى رد على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وهو على المنبر .

(تتمة) قال طارق بن شهاب الزهرى : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد قضى فى ميراث الجد مع الإخوة فى قضايا مختلفة ، ثم إنه جمع الصحابة رضى الله عنهم وأخذ كتفا ليكتب فيه وهم يرون أنه يجعله أبا ، فخرجت حية فتفرقوا فقال : لو أراد الله تعالى أن يمضيه لأمضاه ، ثم إنه أتى إلى منزل زيد بن ثابت رضى الله عنه فاستأذن عليه ورأسه فى يد جارية له ترجله فنزع رأسه ، فقال له عمر رضى الله عنه : دعها ترجلك ، فقال زيد : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى جئتك ، فقال عمر : إنما الجارية لى ، إنى جئتك فى أمر الجد وأريد أن أجعله أبا ، فقال له زيد : لا أوافقك على أن تجعله أبا ، فخرج عمر رضى الله عنه مغضبا ثم أرسل إليه فى وقت آخر ، فكتب إليه زيد رضى الله عنه مذهبه فيه فى قطعة قتب ، وضرب له مثلا بشجرة نبتت على ساق واحد فخرج منها غصن ثم خرج من الغصن غصن آخر فالساق يسقى الغصن ، فإن قطع الغصن الأول رجع الماء إلى الغصن الثانى وإن قطع الغصن الثانى رجع الماء إلى الغصن الأول ، فلما أتى عمر رضى الله عنه كتاب زيد خطب الناس ثم قرأ قطعة القتب عليهم ثم قال : إن زيدا قد قال فى الجد قولا وقد أمضيته .

(تذنيب) روى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره : أن أبا خراش الهذلى الشاعر واسمه خويلد بن مرة مات فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من نهش حية ، وكان ممن يعدو على قدميه فيسبق الخيل وهو القائل :

رقونى وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

وكان ممن أسلم وحسن إسلامه ، وكان سبب موته أنه أتاه نفر من اليمن قدموا حجاجا فنزلوا به وكان الماء بعيدا عنهم ، فقال لهم : يا بنى ما أمسى عندنا ماء ، ولكن هذه برمة وقربة وشاة فردوا الماء أوكلوا شاتكم ، ثم دعوا قربتنا وبرمتنا عند الماء حتى نأخذهما فقالوا : لا والله ما نحن بسارين ليلتنا هذه ، فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى ، ثم أقبل صادرا فنهشته حية قبل أن يصل إليهم فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء وقال : اطبخوا شاتكم وكلوا ولم يعلمهم بما أصابه ، فباتوا يأكلون حتى أصبحوا وأصبح أبو خراش فى الموت فلم يبرحوا حتى دفنوه ، فلما بلغ عمر رضى الله عنه خبره غضب غضبا شديدا وقال : لولا أن تكون سنة لأمرت أن لا يضاف يمانى أبدا ولكتبت بذلك إلى الآفاق . ثم كتب إلى عامله باليمن أن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبى خراش فيغرمهم ديته ، ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة جزاء لفعلهم .

(غريبة أخرى) ذكر القاضى الإمام شمس الدين أحمد بن خلكان فى [وفيات الأعيان] فى ترجمة عماد الدولة أبى الحسن على بن بويه : وكان أبوه صيادا ليست له معيشة إلا صيد السمك ، وكان له ثلاثة أولاد عماد الدولة أكبرهم ، ثم ركن الدولة الحسن ، ثم معز الدولة

والجميع ملكوا ، وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم ، فإنهم ملكوا العراقين والأهواز وفارس وساسوا أمور الرعية أحسن سياسة . قال : ومن عجيب ما اتفق لعماد الدولة أنه لما ملك شيراز فى أول ملكه اجتمع أصحابه وطالبوه بالأموال ولم يكن عنده ما يرضيهم به فأشرف أمره على الانحلال فاغتم لذلك ، فبينما هو مفكر وقد استلقى على ظهره فى مجلس قد خلا فيه للتفكر والتدبير إذ رأى حية خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت فى موضع آخر منه فخاف أن تسقط عليه فدعا بالفراشين وأمرهم باحضار سلم وأن يخرجوا الحية ، فلما صعدوا وبحثوا عنها وجدوا ذلك السقف يفضى إلى غرفة بين سقفين ، فعرفوه بذلك فأمرهم بفتحها ففتحت فإذا فيها صناديق فيها خمسمائة ألف دينار ، فحمل ذلك بين يديه فقسمه على رجاله فثبت أمره بعد أن كان قد أشرف على الانحلال والانخرام ، ثم إنه جهز ثيابا وسأل عن خياط حاذق فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله ، فأمر باحضاره وكان أطروشا وكان عنده وديعة لصاحب البلد ، فوقع فى نفسه أنه سعى به إليه وأنه طلب بسبب الوديعة ، فلما خاطبه حلف أنه لم يكن عنده سوى اثنى عشر صندوقا لايدرى ما فيها ، فتعجب عماد الدولة من جوابه ووجه معه من يحمل الصناديق فوجد فيها أموالا وثيابا بجمل كثيرة فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته . توفى عماد الدولة سنة ثمان وتلاثين وثلثمائة ولم يعقب .

(الحكم) يحرم أكل الحيات لضررها ، وكذا يحرم أكل الترياق المعمول من لحومها وقال البيهقى : كره أكله ابن سيرين . قال أحمد : ولهذا كرهه الإمام الشافعى فقال : لايجوز أكل الترياق المعمول من لحم الحيات إلا أن يكون بحال الضرورة بحيث يجوز له أكل الميتة . وأما السمك الذى فى البحر على شكلها فحلال كما تقدم ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات أمر ندب . روى البخارى ومسلم والنسائى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى ، وقد أنزلت عليه والمرسلات عرفا فنحن نأخذها من فيه رطبة إذ خرجت علينا حية فقال : اقتلوها ، فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : وقاها الله شركم كما وقاكم شرها » وعداوة الحية للإنسان معروفة قال الله تعالى — اهبطوا بعضكم لبعض عدو — قال الجمهور : الخطاب لآدم وحواء والحية وإبليس .

وروى قتادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماسالمناهن منذ عاديناهن » وقال ابن عمر رضى الله عنهما : من تركهن فليس منا . وقالت عائشة رضى الله عنها : من ترك حية خشية من ثأرها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وفى سنن البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحية فاسقة والعقرب فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق » وفى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا بالله ، ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا » وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : إن الحيات مسخت كما مسخت القردة من بنى إسرائيل ، وكذا رواه الطبرانى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا رواه ابن حبان . وأما الحيات التى فى البيوت فلا تقتل حتى تنذر ثلاثة أيام لقوله صلى الله عليه وسلم ، « إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئا فآذنوه ثلاثة أيام » وحمل بعض العلماء ذلك على المدينة وحدها والصحيح أنه عام فى كل بلد لا تقتل حتى تنذر .

روى مسلم ومالك فى أواخر الموطأ وغيرهما عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة أنه قال دخلت على أبى سعيد الخدرى فى بيته فوجدته يصلى فجلست أنتظر فراغه فسمعت حركة تحت سرير فى ناحية البيت ، فالتفت فإذا حية فوثبت لأقتلها فأشار إلى أن اجلس فجلست ، فلما انصرف من صلاته أشار إلى بيت فى الدار فقال : أترى هذا البيت ؟ قلت : نعم . قال كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انتصاف النهار ويرجع إلى أهله فاستأذنه يوما فقال صلى الله عليه وسلم « خذ عليك سلاحك فإنى أخشى عليك بنى قريظة فأخذ الفتى سلاحه ، ثم رجع إلى أهله فوجد امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به وقد أصابته الغيرة فقالت : اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ماالذى أخرجنى منه ، فدخل فإذا حية عظيمة مطوقة على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ، ثم خرج به فركزه فى الدار فاضطربت عليه وخر الفتى ميتا ، فما ندرى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى قال : فجئنا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بذلك ، وقلنا : ادع الله أن يحييه ، فقال : استغفروا ربكم لصاحبكم ، ثم قال : إن بالمدينة جنا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهن شيئا فآذنوه ثلاثة أيام ، فإذا بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان » وقد اختلف العلماء فى الإنذار هل هو ثلاثة أيام أو ثلاث مرات؟ والأول هو الذى عليه الجمهور ، وكيفيته أن يقول : أنشدكن بالعهد الذى أخذه عليكن نوح وسليمان عليهما الصلاة والسلام أن لا تبدوا لنا ولا تؤذونا .

وفى [أسد الغابة] عن عبد الرحمن بن أبى يعلى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا ظهرت الحية فى المسكن فقولوا لها : إنا نسألك بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام لا تؤذينا ، فإن عادت فاقتلوها » وروى الحافظ أبو عمر بن عبد البر : أن عقبة بن عامر بن نافع بن عبد قيس الفهرى ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خالة عمرو ابن العاص رضى الله تعالى عنه ، لما فتح أفريقية وقف على موضع القيروان وهو واد

كثير الحيات وقال : يا أهل الوادى إنا حالون إن شاء الله تعالى قاطنون ثلاث مرات .. قال فما رأينا حجرا ولاشجرا إلاخرج من تحته حيةحتى هبطن بطن الوادى ثم قال : انزلوا بسم الله فعمروا القيروان ، وكان عقبة مجاب الدعوة . وعند الحنفية ينبغى أن لاتقتل الحية البيضاء لأنها من الجان . وقال الطحاوى . لابأس بقتل الجميع والأولى الإنذار .

ومن الفوائد العجيبة المجربة ما أخبرنى به بعض مشايخى أنه يكتب على أربع ورقات وتوضع كل ورقة فى قرنة من قرن البيت ، فإن الحيات تهرب منه ولا تدخله حية بإذن الله تعالى وهو هذا :

ا ا ٦ ا ا ا ٨ ا ٧ ا بر ح ٥ ٥ ٧ ا ا ٥ ا ا و و ٧

و و ا ٥ بر و ا ا م ا ا ح ا ا ا ح ط ٥ ٨ ٨

وفى [الإحياء] من كتاب آداب السفر : يستحب لمن أراد لبس الخف فى حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة ، واستدل له بحديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه الآتى فى باب الغين المعجمة فى الكلام على لفظ الغراب . وفى فتاوى الإمام النووى : إذا اصطاد الحاوى حية وحبسها معه على عادتهم فلسعته فمات هل يأثم . فأجاب : إن صادها ليرغب الناس فى اعتماد معرفته وهو صادق فى صنعته ويسلم منها فى ظنه ولسعته فمات لم يأثم ، وإن انفلتت وأتلفت شيئا لم يضمنه .

وروى الإمام أحمد فى [الزهد] : أن حاويا معه حيات فى خرج نزل بقوم من أهل اليمن فخرج بالليل بعض الحيات فلسعت بعض أهل المنزل فقتلته ، فكتب بذلك عامل اليمن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فقال : لا شىء عليه لكن مره إذا نزل بقوم أن يخبرهم بما معه .

وفى كتاب [الأربعين على مذهب المحققين] من الصوفية للإمام الحافظ أبى مسعود سليمان ابن إبراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهانى بإسناده إلى عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال « أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بعمامتى من ورائى وقال : يا عمران إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار فأنفق وأطعم ولا تعسر فيعسر عليك الطلب ، وأعلم أن الله يحب البصير الناقد عند هجم الشبهات ، والعقل الكامل عند نزول البليات ، ويحب السماحة ولو على تمرات ، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية » .

(الأمثال) قالوا : فلان أسمع من حية وأعدى من حية وهو من العدو لأنها تسرع إلى حجرها إذا راعها شىء .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » وفى صحيح مسلم عن ابن عمر

رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها » أى مسجدى مكة والمدينة ، ومعنى يأرز : ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض ، ومعناه : أن المؤمن إنما يسوقه إلى المدينة إيمانه ومحبته للنبى صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك عصمة المدينة من الدجال والفتن فيكون الإسلام فيها موقرا ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك رجوع الناس إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها ظهرت ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن الدين يؤخذ من علمائها وأئمتها وكذلك كان ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم فى لفظ المطية حديث الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة » وقالوا : أبغض من ريح السداب إلى الحيات . وقالوا : الحية من الحية . أى الأمر الكبير من الصغير ، وربما قالوا : الحيوت من الحية ، وهذا كقولهم العصامن العصية ، وقد جاء معنى المثلين فى كتاب الله تعالى قال الله تعالى — ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا — كذا ذكره ابن الجوزى وغيره .

(الخواص) قال عيسى بن على . ناب الحية إذا قلع فى حياتها وعلق على صاحب حمى الربع تزول عنه ، وإن علق على من به وجع الأسنان نفعه وسكن وجعها ، ولحمها يحفظ الحواس ، ومرق لحمها يقوى البصر ، ولحوم الحيات من حيث الجملة يسخن ويجفف وينقى البدن ويحلل منه أسقاما ، وسلخها إذا وضع فى ثياب لم تسوس ، وإن أحرق وعجن بزيت طيب وحشى به الضرس المتأكل الوجع أبرأه ، وإن سحق مع رأسها وجعل على داء الثعلب أنبت الشعر . وقال يحيى بن ماسويه : يؤخذ سلخ حية مقلى وقشور أصل الكبر وزراوند طويل وبلادر أجزاء متساوية ويبخر به صاحب البواسير الظاهرة والباطنة المتعلقة فانها تسقط وقال غير : سلخ الحية ومقل أزرق يبخر بهما البواسير الظاهرة والخفية فتبرأ ، وبيض الحية يدق مع بورق وخل ويطلى به البرص الجديد يقطعه ، وسلخ الحية إذا عجن بثلاث تمرات وأطعم لمن به الشآليل ذهبت عنه ، وإن أكله من ليس به شآليل لم تخرج أبدا ، وقلبها يذهب حمى الربع تعليقا .

(فائدة) روى ابن أبى شيبة وغيره : أن فويكا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا فسأله صلى الله عليه وسلم ما أصابه؟ فقال كنت أمرن بجملا فوقفت على بيض حية ولم أشعر فأصبت ببصرى ، فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر ، فكان يدخل الخيط فى الإبرة وهو ابن ثمانين سنة ، وأن عينيه مبيضتان .

(التعبير) الحية فى المنام تعبر بأشياء كثيرة : فهى عدو ودولة وحياة وسيل وولد وامرأة فمن نازع حية وهى تريد أن تنهسه فإنه ينازع عدواً له لقوله تعالى — اهبطوا منها جميعا بعضكم

لبعض عدو – فإن رأى أنه أخذ حيةولم يخف منها وصرفها حيث يشاء فإنه ينال دولة ونصرة لأن موسى عليه الصلاة والسلام نال بها النصرة على فرعون ، ومن رأى أن حية خرجت من فمه وكان مريضا فإنه يموت لأنها حياته وقد خرجت من فمه ، ومن رأى حيات تمشى فى خلال الشجر أو الزرع فإنها سيول لأنهم شبهوا جريان الماء بالحيات ، هذا إذا كان جزيها بلا نفخ ولا إحراق شيء ، ومن قتل حية على فراشه ماتت امرأته ، ومن رأى امرأته حاملا ووضعت حية أتاه ولد عاق ، ومن رأى حية ميتة فإنه عدو قد كفاه الله شره ، ومن عضته حية فورم موضع العضة نال مالا لأن السم مال والورم زيادة فيه. ومن أكل لحم حية مطبوخا نال مال عدوه ، ومن أكله نيئا اغتاب عدوه ، ومن رأى حية نزلت من مكان فإن ذلك موت رئيس ذلك المكان ، ومن رأى حية ابتلعته فإنه ينال سلطانا ، ومن رأى كأنه يتخطى الحيات ولا تنهسه فإنه يأمن أعداءه ، وإن كان مسجونا خرج من سجنه ، ورؤية الحيات الكثيرة فى الطرق وهى تمنع الناس بنفخها ونهسها فإن ذلك ظلم من السلطان ، ومن رأى كأن الحيات قد فقدن من مكان فإن الوباء والموت يكثر فى ذلك المكان لأن الحيات هى الحياة ، ومن رأى كأن حية تكلمه فإنه ينال سروراً ، ومن رأى كأنه ملك حية ملساء وصرفها حيث شاء فإنه ينال غنى وسعادة ، والسود من الحيات أعداء لهم قوة ، فمن ملك حية سوداء نال ملكا وولاية ، والبيض أعداء ضعاف . والثعبان يدل على العداوة فى الأهل والأزواج والأولاد وربما كان جارا شريرا حسودا ، والتنين يدل على سلطان جائر مهاب أو نار محرقة. والأصلة تدل على امرأة ذات نسل وأصل وعمر طويل . والشجاع يدل على امرأة باذلة أو ولد جسور والأفاعى تدل على أقوام أغنياء لكثرة سمها . والناشر يدل على الهم أو على رجل محارب غيور . وحيات البيوت خسران ، وحيات البوادى قطاع الطريق ، وحيات الماء مال ، فمن شد وسطه بحية منها فإنه يشده بهميان ، وحيات البطن أعداء من الأهل والأقارب ، فمن رمى حية فإنه يفارق شخصا من أقاربه خبيثا كان يؤاكله ، والله أعلم .

﴿ الحيوث ﴾ : كسفود : ذكر الحيات .

﴿ الحيدوان ﴾ : الورشان ، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى باب الواو .

﴿ الحيقطان ﴾ : بضم القاف ذكر الدراجة .

﴿ الحيوان ﴾ : جنس الحى ، والحيوان ماء فى الجنة قاله ابن سيده. والحيوان نهر فى السماء الرابعة يدخله ملك كل يوم فينغمس فيه ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يطوفوا بالبيت المعمور فيطوفون به

ثم لايعودون إليه أبدا ، ثم يقفون بين السماء والأرض يسبحون الله تعالى إلى يوم القيامة كذا رواه روح بن جناح مولى الوليد بن عبد الملك الذى روى عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » وحديثه هذا فى كتابى الترمذى وابن ماجه . وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى — وإن الدار الآخرة لهى الحيوان — أى ليس فيها إلا حياة دائمة مستمرة خالدة لاموت فيها فكأنما فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حيى وقياسة حييان فقلبوا الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمى مافيه حياة حيوانا . وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهو مافى بناء فعلان من الحركات ، ومعنى الاضطراب كالنزوان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سيكون فمجيئه على ذلك مبالغة فى معنى الحياه . وقال ابن عطية : الحيوان والحياة بمعنى واحد ، وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه ، والمعنى لاموت فيها قاله مجاهد وهو حسن . ويقال الأصل حييان بياءين فأبدلت إحداهما واوا لاجتماع المثلين .

وقال الجاحظ : الحيوان على أربعة أقسام : شىء يمشى وشىء يطير وشىء يعوم وشىء ينساخ فى الأرض ، إلا أن كل شىء يطير يمشى وليس كل شىء يمشى يطير . فأما النوع الذى يمشى فهو على ثلاثة أقسام : ناس وبهائم ، وسباع ، والطير كله سبع وبهيمة وهمج ، والخشاش ما لطف جرمه وصغر جسمه وكان عديم السلاح ، والهمج ليس من الطيور ، ولكنه يطير وهو فيما يطير كالحشرات فيما يمشى ، والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصا ، والبهيمة ما أكل الحب خالصا ، والمشترك كالعصفور فإنه ليس بذى مخلب ولا منسر وهو يلتقط الحب ، ومع ذلك يصيد النمل ويصيد الجراد ويأكل اللحم ، ولا يزق فراخه كما يزق الحمام فهو مشترك الطبيعة وأشباه العصافير من المشترك كثيرة ، وليس كل ما طار بجناحين من الطير فقد يطير الجعلان والذباب والزنابير والجراد والنمل والفراش والبعوض والأرضة والنحل وغير ذلك ولا تسمى طيورا ، وكذلك الملائكة تطير ولها أجنحة وليست من الطير ، وكذلك جعفر بن أبى طالب ذو جناحين يطير بهما فى الجنة وليس من الطير انتهى .

وفى الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله من مثل بالحيوان » وفى رواية « لعن الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » وفى رواية « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم » قال العلماء : تصبير البهائم هو أن تحبس وهى أحياء لتقتل بالرمى ونحوه ، وهو معنى قوله « لاتتخذوا شيئا فيه الروح غرضا » أى يرمى إليه كالغرض من الجلود وغيرها ، وهذا النهى للتحريم لأن النبى صلى الله عليه وسلم لعن فاعله ، ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماله وتفويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعته إن لم يكن مذكى .

(تتمة) فى كتاب [التنوير فى إسقاط التدبير] قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندرى . وإنما خص الله تعالى الحيوان بالافتقار إلى التغذية دون غيره من الموجودات لأنه تعالى وهب للحيوان من صفاته مالو تركه من غير فاقة لادعى الربوبية أوادعى فيه ذلك فأراد الحق سبحانه وهو الحكيم الخبير أن يحوجه إلى مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك من أسباب الحاجة ليكون تكرار أسباب الحاجة منه سببا لخمود الدعوى منه أو فيه .

(الحكم) يصح السلم فى الحيوان لأنه يثبت فى الذمة ثمنا وصداقا وفى إبل الدية ، وصح « أن النبى صلى الله عليه وسلم استسلف بكرا » ومنع أبو حنيفة رضى الله عنه ذلك لأن ابن مسعود رضى الله عنه كرهه ولأنه لا ينضبط بالصفة . لنا ما روى أبو داود والحاكم على شرط مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال « أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أشترى بعيرا ببعيرين إلى أجل » وروى البيهقى عن على رضى الله عنه أنه باع جملا له يدعى عصفورا بعشرين بعيرا إلى أجل ، واشترى ابن عمر رضى الله عنهما راحلة بأربعة أبعرة يوفيها صاحبها بالربذة رواه مالك فى الموطأ وهو فى البخارى بغير إسناد ، والربذة بالذال المعجمة موضع على ثلاث مراحل من المدينة . وأما الحديث الذى رواه الحسن عن سمرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم « نهى عن بيع الحيوان بالحيوان » فرواه أبو داود والترمذى وابن ماجه . وقال الترمذى : إنه حسن صحيح . وسماع الحسن من سمرة صحيح هكذا قال على بن المدينى وغيره ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم فى منع بيع الحيوان بالحيوان نسيئة ، وهو قول سفيان الثورى وأهل الكوفة ، وبه قال أحمد . وقد رخص بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم فى بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وهو قول الشافعى وإسحاق . وقال الخطابى : النهى فى حديث سمرة محمول على ما إذا كان نسيئة من الطرفين فيكون من باب الكالئ بالكالئ بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المذكور . وقال مالك : إذا اختلفت أجناس الحيوان جاز بيع بعضه ببعض نسيئة وإن تشابهت لم يجز . وقال فى [الإحياء] تكره التجارة فى الحيوان لأن المشترى يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذى هو بصدده لامحالة ، وقيل بع الحيوان واشتر الموتان ، ويضمن سائر الحيوان إذا أتلف بالقيمة لما فى الصحيحين عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق شركا له فى عبد فإن كان معه مايبلغ ثمن العبد قوم عليه وأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد ، وإلا فقد عتق منه ماعتق » فأوجب القيمة فى العبد بالإتلاف بالعتق ، ولأن إيجاب مثله من جهة الخلقة لايمكن لاختلاف الجنس الواحد فى القيمة فكانت القيمة أقرب إلى إيفاء حقه وتضمن أعضاء الحيوان بما نقص من قيمته . وأوجب أبو حنيفة فى عين الإبل والبقر والخيل ربع القيمة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفحل أثر يشهد لذلك من

حديث عروة البارقى ، وأوجب مالك رحمه الله فى قطع ذنب حمار ذى الهيئة وذنب بغلته تمام القيمة ويأخذ المتلف العين .

(الخواص) الخصى من الحيوان أبرد من فحله ، وإذا كان سمينا كان لذيذا مرطبا مليناً للطبيعة بطىء الإنحدار وما كان مهزولا فبالضد إلا أنه سريع الانحدار ، وأجوده حولى المعز ومنفعته سرعة الانهضام . ومضرته أنه يرخى المعدة ، ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة وهو يولد دما معتدلا يوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة من الشبان ، ومن الأزمان زمان الربيع ويجب أن يعلم أن أفضل لحوم الحيوان ما كان معتدلا فى الهزال والسمن ، وأجود اللحوم لحم الضأن المتناهى الشباب والبقر التى لم تبلغ سن الشباب ، والخصى من المعز وأجوده على الإطلاق والضأن .

(التعبير) من كلمه حيوان من الدواب أو الطير وفهم كلامه فإنه كما قال ، وربما دل على وقوع أمر منه يعجب الناس له وإن لم يفهم ماقاله فليحذر على مال يذهب منه ، لأن الحيوان مأكلة وقد تكون هذه الرؤيا باطلة فلا ينبغى أن يفتش عنها ، وجلود سائر الحيوان ميراث ، وقيل الجلود بيوت لمن ملكها لقوله تعالى — وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا — وربما دلت جلود الحيوان كالسمور والسنجاب والوشق والقاقم والفنك والنمس والثعلب والأرنب والفهد للجلوس وأشباه ذلك على النعمة الطائلة والأموال والأرزاق وعلو الشأن لمن لبسها فى المنام أو رآها عنده أو ملكها ، وإذا رأى الإنسان كأن جلده سلخ وكان مريضا فإنه يموت وإلا افتقر وافتضح . وربما دلت الجلود على مايعمل منها فجلود الإبل تدل على الطبول ، وجلود الضأن على الكتابة ، والمعز على النطوع ، وجلود البقر على الأوطئة والدلاء والسيور ، وجلود الخيل والبغال والحمير على الأوعية والأسقية ، وجلود الجاموس على الحصون وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس وأموال موروثة وغير موروثة أو مغتصبة . وأما القرون فتدل رؤيتها على الأعوام والسنين أو السلاح أو مايتجمل به من الأموال والأولاد والعز والجاه . وأما أنياب الفيل وعظمه فإن ذلك دال على تركة من هلك من الملوك والزعماء . وأما أظلاف الحيوان فإنها تدل على الكد والسعى والإجتماع بين المرأة وزوجها والوالدة وولدها ، والظلف فى الصورة هاء مشقوقة . وأما الاخفات فقوت سفر ، وربما دل الخف فى استدارته على العدو أو السقم أو التمهيد للأمور والتوطئة الحسنة . وأما الأذناب فإنها دالة على مادل الحيوان عليه ومن يساعده فى مصالحه ويذب عنه مايخشاه . وأما أصوات الحيوان فنذكرها هنا مفصلة . فأما ثغاء الشاة فلطافة من امرأة وصديق أو بر من رجل كريم . وأما ثغاء الجدى والكبش والحمل فسرور وخصب . وأما صهيل الفرس فهو هيبة من رجل شريف أو جندى شجاع . وأما نهيق الحمار فسفه من رجل سفيه .

وأما شحيج البغل فصعوبة من رجل صعب المرام . وأما خوار العجل والثور والبقر فوقوع فى فتنة . وأما رغاء الإبل فسفر طويل فى حج أو تجارة رابحة أو جهاد . وأما زئير الأسد فخوف وهيبة لمن سمعه من ملك ظلوم . وأما ضغاء الهرة فشهرة من خادم لص أو فاجر . وأما نهيز الفأرة فضرب من رجل نقاب أو فاسق أو سرقة . وأما بغام الظبى ففائدة من امرأة حسناء . وأما عواء الكلب فخجل من سعى فى الظلم . وأما عواء الذئب فجور من لص غشوم وأما صياح الثعلب فكيد من رجل كذاب أو امرأة كذابة . وأما وعوعة ابن آوى فصراخ نساء أو ضجة المحبوسين اليائسين . وأما صياح الخنزير فظفر بأعداء حمق . وأما صوت الفهد فتهدد من رجل مذبذب طامع ويظفر به من سمعه . وأما نقيق الضفدع فدخول فى عمل رجل عالم أو رئيس أو سلطان ، وقيل إنه كلام قبيح . وأما فحيح الحية فكلام من عدو كاتم للعداوة ثم يظفر به من سمعه ، ومن كلمته الحية بكلام لطيف فإنه عدو يخضع له ويتعجب الناس لذلك .

﴿ أم حبين ﴾ : بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة مخففة : دويبة مثل ابن عرس وابن آوى وسام أبرص وابن قترة إلا أنه تعريف جنس ، وربما أدخل عليه الألف واللام ثم لايكون بحذفهما منه نكرة ، وإنما سميت بذلك من الحبن تقول فلان به حبن فهو أحبن : أى مستسق ، فشبهت بذلك لكبر بطنها وهى على خلقة الحرباء غير الصدر ، وقيل هى أنثى الحرابى وهما أما حبين وهن أمهات حبين ، وهى دابة على قدر الكف تشبه الضب غالبا قاله أبو منصور الأزهرى ، وما نقله من كونها أنثى الحرابى هو الذى نقله صاحب [الكفاية] فإنه قال : الحرباء ذكر أم حبين . وقال ابن السكيت : هى أعرض من العظاءة وفى رأسها عرض . وقال أبو زيد : إنها غبراء لها أربع قوائم على قدر الضفدعة التى ليست بضخمة فإذا طردها الصيادون قالوا لها :

أم حبين انشرى برديك إن الأمـير ناظر إليك

وضارب بسوطه جنبيك

فيطردونها حتى يدركها الإعياء فتقف منتصبة على رجليها وتنشر جناحيها وهما أغبران على مثل لونها فإذا زادوا فى طردها نشرت أجنحة من تحت ذينك الجناحين لم ير أحسن منهن مابين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض ، وهى طرائق بعضها فوق بعض مثل أجنحة الفراش فى الرقة فإذا رآها الصيادون قد فعلت ذلك تركوها . وقال على بن حمزة : الصحيح عندى أن هـذه صفة أم عويف ، وستأتى فى باب العين المهملة إن شاء الله تعالى ، وقال ابن قتيبة : أم حبين تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وهذه صفة الحرباء . وقال فى [المرصع]

اختلف فى أم حبين فقيل هى ضرب من العظاء، وقيل هى أعرض منها، وقيل هى أنثى الحرباى يتحاماها الأعراب فلا يأكلونها لنتنها انتهى . وماذكره ابن قتيبة من كون أم حبين ضربا من العظاء فيه نظر فإن العظاء نوع من الوزغ كما ذكره أهل اللغة ، ويقال لها حبينة معرفة بلا ألف ولام تقع على الواحد والجمع ، وقد تجمع على أم حبينات وأمهات حبين وأمات حبين ولم ترد إلا مصغرة فى حديث عقبة رحمه الله « أتموا صلاتكم ولا تصلوا صلاة أم حبين » وفسروه بأنها إذا مشت تطأطىء رأسها كثيرا وترفعه لعظم بطنها فهى تقع على رأسها وتقوم فشبه بها صلاتهم فى السجود ، وفى الحديث « أنه صلى الله عليه وسلم رأى بلالا وقد خرج بطنه فقال أم حبين » تشبيها له بها وهذا من مزحه صلى الله عليه وسلم . قال الجاحظ : قال أبوزيد النحوى : سمعت أعرابيا يقول لأم حبين حبينة وحبينة اسمها وحبين تصغير أحبن وهو الذى استلقى على ظهر وينفخ بطنه .

(وحكمها) الحل لأنها من الطيبات ولأنها تفدى فى الحرم والإحرام إذا قتلت بحلان كما تقدم ، ومن قواعد الشافعى لايفدى إلا المأكول البرى . وحكى الماوردى فيها وجهين وقال : إن الحل مقتضى قول الشافعى ، ومقتضى ماقاله ابن الأثير فى [المرصع] إنها حرام وفى [التمهيد] لابن عبد البر عن جماعة من أهل الأخبار أن مدنيا سأل أعرابيا فقال : أتأكلون الضب ؟ قال : نعم . قال : فاليربوع . قال : نعم . قال : فالقنفذ ؟ قال : نعم . قال : فالورل ؟ قال : نعم . قال : أفتأكلون أم حبين ؟ قال : لا . قال : فليهنى أم حبين العافية انتهى ؟ والجواب : أن هذا راجع لما اعتادوا أكله وترك أكله خاصة لأنها حرام ، على أنه لم يثبت ذلك .

﴿ أم حسان ﴾ : دويبة على قدر كف الإنسان .

﴿ أم حسيس ﴾ : بضم الحاء المهملة دويبة سوداء من دواب الماء لها أرجل كثيرة .

﴿ أم حفصة ﴾ : الدجاجة الأهلية .

﴿ أم حمارس ﴾ : بفتح الحاء المهملة الغزالة قاله ابن الأثير والله الموفق للصواب .

باب الخاء المعجمة

﴿ الخازباز ﴾ : والخزباز لغة فيه قال الجوهرى أنه ذباب ، وهما اسمان جعلا اسما واحدا وبنيا على الكسر لا يتغيران فى الرفع والنصب والجر . قال ابن أحمر :

تفقأ فوقه القلع السوارى وجن الخازباز به جنونا

جوز فيه الجوهرى أن يكون من جن الذباب إذ كثر صوته وأن يكون من جن النبت جنونا إذا طال ، واستعمله المتنبى كذلك فى قوله :

كلما جادت الظنون بوعد عنك جادت يداك بالإنجاز
ملك منشد القريض لديه يضع الثوب فى يدى بزاز
ولنا القول وهو أدرى بفحوا ه وأهدى فيه إلى الإعجاز
ومن الناس من تحوز عليه شعراء كأنها الخازباز
ويرى أنه البصير بهذا وهو فى العمى ضائع العكاز

وقال الأصمعى : الخازباز حكاية لصوت الذباب فسماه به. وقال ابن الأعرابى: إنه نبت وأنشد ابن نصير تقوية لقول ابن الأعرابى :

رعيتها كرم عود عودا الصل والصفصل واليعضيدا
والخازباز السنم النجودا بحيث يدعو عامر مسعودا

وعامر ومسعود راعيان . قال : وهو فى غير هذا داء يأخذ الإبل فى حلوقها والناس . قال الراجز :

يا خازباز أرسلن اللهازما إنى أخاف أن تكون لازما

وقيل : هو السنور حكاه أبو سعيد فإن كان ذبابا أو سنورا فسيأتى حكمه إن شاء الله تعالى .

(الأمثال) قالت العرب : الخازباز أخصب . قال الميدانى : إنه ذباب يطير فى الربيع يدل على خصب السنة ، والله أعلم .

﴿ خاطف ظله ﴾ : طائر من جنس العصافير . قال الكميت بن زيد :

وربطة فتيان كخاطف ظله جعلت لهم منها خباء ممددا

وقال ابن سلمة : هو طائر يقال له الرفراف إذا رأى ظله فى الماء أقبل عليه ليحفظه وهذه صفة ملاعب طله ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم .

﴿ الخاطف ﴾ : الذئب ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الذال المعجمة .

﴿ الخبهقعى ﴾ : بفتح الخاء والباء والعين مقصورة وتمد : ولد الكلب من الذئبة ، وبه سمى أبو الخبهقعى أعرابى من بنى تميم .

﴿ الخنق ﴾ : بفتح الخاء والثاء المثلثة . قال أرسطاطا ليس النعوت : إنه طائر عظيم يكون ببلاد الصين وبابل وأرض الترك ، ولم يره أحد حيا إذ لا يقدر عليه أحد فى حال حياته ، ومن شأنه أنه إذا شم رائحة السم خدر وعرق وذهب حسه . وقال غيره : إن له

فى مشتاه ومصيفه سموما كثيرة فى طريقه فإذا شم رائحة السم خدر وسقط ميتا فتؤخذ جثته ويجعل منها أوان وتنصب للسكاكين فإذا شم العظم رائحة السم رشح عرقا ليعرف به الطعام المسموم ، ومخ عظام هذا الطائر سم لكل حيوان ، والحية تهرب من عظامه فلا تدرك .

﴿ الخدارية ﴾ : بضم الخاء وبالدال المهملة : العقاب سميت بذلك للونها . وبعير خدارى أى شديد السواد ، ومنه لون خدارى . وما أحسن قول الميدانى فى خطبة [كتابه مجمع الأمثال : فإن أنفاس الناس لايأتى عليها الحصر ، ولا تنفد حتى ينفد العصر ، وأنا أعتذر للناظر فى هذا الكتاب من خلل يراه أو لفظ لايرضاه ، فأنا كالمنكر لنفسه المغلوب على حسه وحدسه ، منذ خط البياض بعارضى رحاله وحال الزمان على سوادها فأحاله ، وأطار من وكرها متى خدارية ، وأنحى على عود الشباب فمص ريه وملك يد الضعف زمام قواى ، وأسلمنى من كان يحطب فى حبل هواى فكأنى المعنى بقول الشاعر :

وهب عزماتك عند المشيب وما كان من حقها أن تهى
وأنكرت نفسك لما كبرت فلا هى أنت ولا أنت هى
وإن ذكرت شهوات النفوس فما تشتهى غير أن تشتهى

﴿ الخدرنق ﴾ : العنكبوت ، وفى داله الإهمال والإعجام قاله فى [درة الغواص]

﴿ الخراطين ﴾ : قيل هى الأساريع والصواب أنها شحمة الأرض ، وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب الشين المعجمة ، وقيل إنها العلق الكبار الطوال التى تكون فى المواضع الندية من الأرض ، وهى إذا قليت بالزيت ثم سحقت ناعما وتحمل بها صاحب البواسير نفعته وإذا أخذ منها شىء وجعل فى زيت ودفن سبعة أيام ثم أخرج ورمى من الزيت حتى تذهب رائحته ووضع فى قارورة ووضع فيها مقدار نصفها شقائق النعمان ثم يدفن سبعة أيام ويخرج فمن اختضب به اسود شعره ولم يشب سريعا .

﴿ الخرب ﴾ : بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وبالباء الموحدة : ذكر الحبارى ، والجمع خراب وأخراب وخربان ، ذكر أبو جعفر أحمد بن جعفر البلخى : أن الرشيد جمع بين أبى الحسن الكسائى وأبى محمد اليزيدى ليتناظرا بين يديه ، فسأل اليزيدى الكسائى عن إعراب قول الشاعر :

ما رأينا قط خربا نفر عنه البيض صقر
لا يكون العير مهرا لا يكون المهر مهر

فقال الكسائى : يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان فى البيت على هذا إقواء فقال اليزيدى : الشعر صواب لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون ، ثم استأنف فقال المهر

مهر ، ثم ضرب الأرض بقلنسوته وقال : أنا أبو محمد، فقال يحيى بن خالد: أتكنى بحضرة أمير المؤمنين وتسفه على الشيخ ؟ فقال له الرشيد : والله إن خطأ الكسائى مع حسن أدبه أحب إلى من صوابك مع قلة أدبك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن حلاوة الظفر أذهبت عنى التحفظ فأمر باخراجه . واجتمع الكسائى ومحمد بن الحسن الحنفى يوما فى مجلس الرشيد فقال الكسائى : من تبحر فى علم اهتدى لجميع العلوم فقال له محمد : ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة أخرى ؟ قال : لا . قال : لماذا ؟ قال : لأن النحاة تقول المصغر لا يصغر . قال : فما تقول فى تعليق العتق بالملك ؟ قال : لا يصح . قال : لم ؟ قال : لأن السيل لا يسبق المطر .

وتعلم الكسائى النحو على كبر سنه ، وذلك أنه مشى يوما حتى أعيا فجلس فقال : قد عييت ، فقيل له قد لحنت . قال : كيف؟ قيل إن كنت أردت التعب فقيل أعييت ، وإن وإن كنت أردت انقطاع الحيلة فقل عييت ، فأنف من قولهم لحنت واشتغل بعلم النحو حتى مهر وصار إمام وقته فيه ، وكان مؤدب الأمين والمأمون ، وكان له اليد العظمى والوجاهة التامة عند الرشيد وولديه . توفى الكسائى ومحمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة فى يوم واحد سنة تسع وثمانين ومائة ودفنا فى مكان واحد ، فقال الرشيد : دفن هاهنا العلم والأدب .

(الأمثال) قالوا : مارأينا صقرا يرصده خرب ، يضرب للشريف يقهره الوضيع .

﴿ الخرشة ﴾ : بالتحريك الذبابة قاله الجوهرى ، ومنه سماك بن خرشة الإخبارى سميت أمه باسم تلك الذبانة ، ومنه أبو خراشة السلمى فى عباس بن مرداس :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومى لم تأكلهم الضبع

أى السنة المجدبة ، ومنه خرشة بن الحر الفزارى الكوفى ، مات سنة أربع وسبعين كان كان يتيما فى حجر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وهو الذى روى عنه أن رجلا شهد عنده فقال له : إنى لا أعرفك ولا يضرك أنى لا أعرفك إلى آخر القصة. ووقع فى [المهذب] فى ذلك غلط وتصحيف .

﴿ الخرشقلا ﴾ : السمك البلطى ، وفى الخبر « لولا الخرشة لوجدت أوراق الجنة فى ماء النيل » .

﴿ الخرشنة ﴾ : طائر أكبر من الحمام ، وسيأتى ذكره فى باب الكاف إن شاء الله تعالى

﴿ الخرق ﴾ : بضم الخاء وتشديد الراء المهملة وبالقاف فى آخره نوع من العصافير ذكره الجاحظ .

﴿ الخرنق ﴾ : بكسر الخاء المعجمة ولد الأرنب ، وبه سمي الخرنق الشاعر الذى كان فى زمن التابعين ، وأرض مخرنقة : أى ذات خرانق . وقالوا : ألين من خرنق ، وكان للنبى صلى الله عليه وسلم درع يقال لها الخرنق للينها ، ودرع أخرى يقال لها البتيراء لقصرها ، وأخرى يقال لها ذات الفضول ، سميت به لطولها ، أرسل بها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر ، وهذه هى التى رهنها عند اليهود فافتكها منه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وأخرى يقال لها ذات الوشاح وذات الحواشى ، وأخرى يقال لها فضة والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة . قال الحافظ الدمياطى : وكانت السغدية درع داود عليه الصلاة والسلام التى لبسها حين قتل جالوت وكانت عمله بيده . قال الكلبى وغيره فى قوله تعالى — وعلمه مما يشاء — يعنى صنعة الدروع ، وكان يصنعها ويبيعها وكان عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده ، وقيل منطق الطير وكلام البهائم ، وقيل هو الزبور ، وقيل الصوت الطيب والألحان فلم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يأخذ بأعناقها ، وتظله الطير مصيخة له ، ويركد الماء الجارى ، وتسكن الريح . روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : إن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مسورة بقضبان اللؤلؤ الرطب ، فلا يحدث فى الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ، ولا يمسها ذو عاهة إلا برئ ، وكان بنو إسرائيل يتحاكمون إليها بعد داود فمن تعدى على صاحبه أو أنكر له حقا أتى إلى السلسلة فمن كان صادقا مد يده إلى السلسلة فنالها ، ومن كان كاذبا لم ينلها ، وكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر والخديعة . فروى عن غير واحد أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل أودع عند رجل جوهرة ثمينة ثم طلبها فأنكر الرجل فتحاكما إلى السلسلة فعمد الرجل الذى عنده الجوهرة إلى عكازة فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها ، فلما حضرا إلى السلسلة قال صاحب الجوهرة : رد على وديعتى ، فقال صاحبه : ما أعرف لك عندى من وديعة فإن كنت صادقا فتناول السلسلة فأتاها فتناولها بيده ، فقيل للمنكر : قم أنت وتناولها ، فقال لصاحب الجوهرة : خذ عكازتى هذه فاحفظها لى حتى أتناول السلسلة ، ثم أتاها فتناولها بعد أن قال : اللهم إن كنت تعلم هذه الوديعة التى يدعيها على قد وصلت إليه فقرب منى السلسلة ، ثم مد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها ، فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة . قال الضحاك والكلبى : ملك داود بعد أن قتل جالوت سبعين سنة ، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود ، وجمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يجتمع ذلك لأحد من قبله ، بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط ، وقبضه الله تعالى وهو ابن مائة سنة صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ الدمياطى :

ودرعان أصابهما من بنى قينقاع فهذه تسع أدرع ، وكان صلى الله عليه وسلم قد لبس يوم أحد فضة وذات الفضول ، ويوم حنين ذات الفضول والسغدية ، والله أعلم .

﴿ الخروف ﴾ : المعروف وهو الحمل ، وربما سمى به المهر إذا بلغ ستة أشهر حكاه الأصمعى وفى الميزان للإمام الذهبى فى ترجمة عثمان بن صالح السهمى : أنه روى عن ابن لهيعة عن موسى ابن وردان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : مرت بالنبى صلى الله عليه وسلم نعجة فقال « هذه التى بورك فيها وفى خروفها » قال أبو حاتم : هذا حديث موضوع : أى كذب .

(الأمثال) قالوا : كالخروف يتقلب على الصوف ، يضرب للرجل المكنى المئونة .

(التعبير) الخروف فى الرؤيا : يدل على ولد ذكر طائع لوالديه ، فمن وهب له خروف وله امرأة حامل أتاه ولد ذكر ، وجميع الصغار من الحيوان فى الرؤيا هموم لأنها تحتاج إلى كلفة فى التربية هذا إذا لم ينسبوا إلى الأولاد ، وقيل الخروف دليل خير لمن أراد الموافقة فى أمر يطلبه لأن الخروف سريع الأنس إلى بنى آدم ، ومن ذبح خروفا لغير الأكل مات ولده ، والخروف المشوى السمين مال كثير والهزيل مال قليل ، ومن أكل شواء خروف فإنه يأكل من كد ولده ، والله أعلم .

﴿ الخزز ﴾ : بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى الأولى : ذكر الأرانب والجمع خزان مثل صرد وصردان .

﴿ الخشاش ﴾ : بفتح الخاء المعجمة هوام الأرض وحشراتها ، وقيل صغار الطير . وحكى القاضى عياض : فتح الخاء وضمها وكسرها .

وحكى أبو على الفارسى فيها الضم أيضا . وجعل الزبيدى ضمها من لحن العامة والفتح هو المشهور . وواحد الخشاش خشاشة ، وقيل الخشاش دابة تكون فى جحر الأفاعى والحيات منقطة ببياض وسواد ، وقيل الخشاش الثعبان العظيم ، وقيل حية مثل الأرقم ، وقيل حية خفيفة صغيرة الرأس . وفى الحديث الصحيح « أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها فلم تطعمها شيئا ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » أى هوامها وحشراتها . وقال الحسن ابن عبد الله بن سعد العسكرى فى كتاب [التحريف والتصحيف] : الخشاش بالفتح النذل من كل شىء مثل الرخم من الطير وكل مالا يصيد وأنشد :

خشاش الأرض أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور

والمعروف فى البيت بغاث الطير أكثرها فراخا .

روى ابن أبى الدنيا فى كتاب [مكايد الشيطان] من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض ، وصنف كالريح فى الهواء ، وصنف عليه الحساب والعقاب ، وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها ، وصنف أجسادهم أجساد بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين ؛ وصنف كالملائكة فهم فى ظل الله يوم لاظل إلا ظله » وقال وهيب بن الورد . بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال له : أنصحك ؟ فقال له : لاأريد ذلك ولكن أخبرنى عن بنى آدم ، فقال : هم عندنا ثلاثة أصناف : صنف منهم هم أشد الأصناف عندنا نقبل على أحدهم حتى نفتنه عن دينه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شىء نصيبه منه ثم نعود إليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن معه فى عناء ، وصنف منهم فى أيدينا كالكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا مؤنة أنفسهم ، وصنف منهم مثلك هم معصومون لانقدر منهم على شىء .

﴿ الخشاف ﴾ : لغة فى الخفاش .

﴿ الخشرم ﴾ : الزنابير ، قال الأصمعى : لاواحد له من لفظه .

﴿ الخشف ﴾ : بضم الخاء وفتح الشين المعجمة الذباب الأخضر ، والخشف بكسر الخاء وإسكان الشين المعجمة ولد الظبى بعد أن يكون جداية ، وقيل هو خشف أول مايولد والجمع خشفة قاله ابن سيده . وروى جرير عن ليث قال : صحب رجل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : فقال أكون معك يانبى الله وأصحبك ، فانطلقا حتى أتيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف ، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف ، فقال للرجل : من أخذ الرغيف ؟ فقال : لاأدرى قال : فانطلق ومعه صاحبه ، فرأى ظبية ومعها خشفان لها فدعا أحدهما فأتاه فذبحه وشوى من لحمه وأكل هو والرجل ، ثم قال للخشف : قم بإذن الله ، فقام وذهب ، فقال للرجل : أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ فقال : لاأدرى ، فسارا حتى انتهيا إلى نهر فأخذ عيسى بيد الرجل ومشيا على الماء ، فلما جازا قال عيسى : أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال : لاأدرى ، فسارا حتى انتهيا إلى مفازة فجلسا ، فأخذ عيسى ترابا ورملا وقال : كن ذهبا بإذن الله فكان ذهبا ، فقسمه عيسى ثلاثة أثلاث ثم قال : ثلث لى وثلث لك وثلث للذى أخذ الرغيف ، فقال الرجل : أنا أخذته . قال عيسى : كله لك ، ثم فارقه عيسى وذهب ، ومكث هو عند المال فى المفازة فانتهى إليه رجلان فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه ، فقال : هو بيننا أثلاثا ، ثم قال : فابعثا أحدكما إلى القرية ليشترى

طعاما ، فقال الذى بعث : لأى شيء أقاسمهما المال لأجعلن لهما فى الطعام سما فأقتلهما ففعل وقال صاحباه فى غيبته : لأى شيء نقاسمه المال إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال نصفين ، فلما جاء قاما إليه فقتلاه ثم أكلا الطعام فماتا وبقى المال فى المفازة وأولئك الثلاثة قتلى حوله ، فمر عيسى عليه الصلاة والسلام بهم وهم على تلك الحالة ، فقال لأصحابه : هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها .

﴿ الخضارى ﴾ : طائر يسمى الأخيل قاله الجوهرى وقد تقدم فى باب الهمزة .

﴿ الخضرم ﴾ : كعلبط ولد الضب .

﴿ الخضيراء ﴾ : طائر معروف عند العرب .

﴿ الخطاف ﴾ : بضم الخاء المعجمة جمعه خطاطيف ويسمى زوار الهند ، وهو من الطيور القواطع إلى الناس تقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة فى القرب منهم ، ثم إنها تبنى بيوتها فى أبعد المواضع عن الوصول إليها ، وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة لأنه زهد ما فى أيديهم من الأقوات فأحبوه لأنه إنما يقتوت بالذباب والبعوض . وفى الحديث الحسن الذى رواه ابن ماجه وغيره عن سهل بن سعد الساعدى أنه قال « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ؟ فقال : ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » فأما كون الزهد فى الدنيا سببا لمحبة الله تعالى فلأنه تعالى يحب من أطاعه ويبغض من عصاه ، وطاعة الله لا تجتمع مع محبة الدنيا ، وأما كونه سببا لمحبة الناس فلأنهم يتهافتون على محبة الدنيا وهى جيفة منتنة وهم كلابها ، فمن زاحمهم عليها أبغضوه ومن زهد فيها أحبوه ، كما قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

وما هى إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وقد أحسن القائل فى وصف الخطاف :

كن زاهدا فيما حوته يد الورى تضحى إلى كل الأنام حبيبا
أو ماترى الخطاف حرم زادهم أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

سماه ربيبا لأنه يألف البيوت العامرة دون الخربة وهو قريب من الناس . ومن عجيب أمره أن عينه تقلع ثم ترجع ، ولا يرى واقفا على شيء يأكله أبدا ولا مجتمعا بأنثاه ، والخفاش بعاديه فلذلك إذا فرخ يجعل فى عشه قضبان الكرفس فلا يؤذيه إذا شم رائحته ، ولا يفرخ فى عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ويبنى عشه بناء عجيبا ، وذلك أنه يهيى الطين مع التبن فإذا لم يجد طينا مهيئا ألقى نفسه فى الماء ثم يتمرغ فى التراب حتى يمتلئ جناحاه ويصير شبيها

بالطين فإذا هيأ عشه جعله على القدر الذى يحتاج إليه هو وأفراخه ، ولا يلقى فى عشه زبلا بل يلقيه إلى خارج فإذا كبرت فراخه علمها ذلك ، وأصحاب اليرقان يلطخون فراخ الخطاف بالزعفران ، فإذا رآها صفراء ظن أن اليرقان أصابها من شدة الحر ، فيذهب فيأتى بحجر اليرقان من أرض الهند فيطرحه على فراخه وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد ويعرف بحجر السنونو فيأخذه المحتال فيعلقه عليه أو يحكه ويشرب من مائه يسيرا فإنه يبرأ بإذن الله تعالى ، والخطاف متى سمع صوت الرعد يكاد أن يموت . وقال أرسطو فى كتاب [النعوت] الخطاطيف إذا عميت أكلت من شجرة يقال لها عين شمس فيرد بصرها لما فى تلك الشجرة من المنفعة للعين . وفى رسالة القشيرى فى آخر باب المحبة : أن خطافا راود خطافة على قبة سليمان عليه الصلاة والسلام فامتنعت منه ، فقال لها : أتمتنعين على ولو شئت لقلبت القبة على سليمان ! فسمعه سليمان فدعاه وقال له : ماحملك على ماقلت ؟ فقال : يانبى الله العشاق لايؤاخذون بأقوالهم . قال : صدقت .

(فائدة) ذكر الثعلبى وغيره فى تفسير سورة النمل : أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أخرج من الجنة اشتكى إلى الله تعالى الوحشة فآنسه الله تعالى بالخطاف وألزمها البيوت فهى لاتفارق بنى آدم أنسا لهم . قال : ومعها أربع آيات من كتاب الله عز وجل وهى — لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا — إلى آخر السورة ، وتمد صوتها بقوله — العزيز الحكيم — والخطاطيف أنواع : منها نوع يألف سواحل البحر يحفر بيته هناك ويعشش فيه وهو صغير الجثة دون عصفور الجنة ولونه رمادى ، والناس يسمونه سنونو بضم السين المهملة ونونين ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة ، ومنها نوع أخضر على ظهره بعض حمرة أصغر من الدرة يسميه أهل مصر الخضيرى لخضرته يقتات الفراش والذباب ونحو ذلك ، ومنها نوع طويل الأجنحة رقيقها يألف الجبال ويأكل النمل وهذا النوع يقال له السمائم مفرده سمامة ، ومنهم من يسمى هذا النوع السنونو الواحدة سنونوة وهو كثير فى المسجد الحرام يعشش فى سقفه فى باب إبراهيم وباب بنى شيبة ، وبعض الناس يزعم أن ذلك هو الطير الأبابيل الذى عذب الله تعالى به أصحاب الفيل ، روى نعيم بن حماد عن الحسن رضى الله عنه قال : دخلنا على ابن عبد الله : كأنكم تغبطونى بهم ، فقلنا : والله إن مثل هؤلاء يغبط بهم الرجل المسلم ، فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير قد عشش فيه الخطاف وباض فقال : والذى نفسى بيده لأن أكون قد نفضت يدى من تراب قبورهم أحب إلى من أن يخرج عش هذا الطائر فينكسر بيضه . قال ابن المبارك : إنما قال ذلك خوفا عليهم من العين . قال أبو إسحاق الصابىء يصف الخطاف :

وهنـــدية الأوطان زنجية الخلق مسودة الألوان محمرة الحدق

إذا صرصرت صرت بآخر صوتها حداداً فأذرت من مدامعها العلق
كأن بها حزنا وقد لبست له كما صرملوى العود بالوتر الحزق
تصيف لدينا ثم تشتو بأرضها ففى كل عام نلتقى ثم نفترق

(الحكم) يحرم أكل لحم الخطاطيف لما روى أبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية وهو من التابعين عن النبى صلى الله عليه وسلم «أنه نهى عن قتل الخطاطيف وقال: لاتقتلوا هذه العوذ إنها تعوذبكم من غيركم» ورواه البيهقى وقال: إنه منقطع. قال: ورواه إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق عن أبيه قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الخطاطيف عوذ البيوت» ومن هذه الطريق رواه أبو داود فى مراسيله. قال البيهقى: وهو منقطع أيضا لكن صح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما موقوفا عليه أنه قال «لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح، ولا تقتلوا الخطاف فإنه لما خرب بيت المقدس قال: يارب سلطنى على البحر حتى أغرقها» قال البيهقى: إسناده صحيح، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة. وفى الحديث «أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الجلالة والمجثمة» والخطفة بإسكان الطاء وفيها تأويلان: أحدهما أن الخطفة ما اختطفه السبع من الحيوانات فأكله حرام قاله ابن قتيبة الثانى أن النهى عما يختطف بسرعة ومنها سمى الخطاف لسرعة اختطافه قاله ابن جرير الطبرى ونقله عنه فى الحاوى فعلى هذا يحرم كل ماكان يتقوت بما يختطفه ولأنه يتقوت من الخبائث قال الماوردى: كل ماكان مستخبثا كالخطاطيف والخفافيش فأكله حرام لخبث لحمه. وقال محمد بن الحسن رضى الله عنه: إنه حلال لأنه يتقوت بالحلال غالبا. قال أبو عاصم العبادى وهذا محتمل على أصلنا وإليه مال أكثر أصحابنا، وحكاه فى شرح المهذب قولا عن حكاية البندنيجى.

(الخواص) قال أرسطو: إن أخذت عين الخطاف وجعلت فى خرقة وشدت على سرير فمن صعد على ذلك السرير لم ينم، وإن أخذت وجففت وسحقت بدهن طيب فأى امرأة شربت منه أحبت الساقى، وإن أخذت وسحقت بدهن زنبق ومسحت به سرة امرأة نفساء نفعتها، وقلبه إذا سحق بعد تجفيفه وشرب هيج الباه، ودمه إذا سقيت منه امرأة وهى لا تعلم سكن عنها شهوة الجماع وإن ضمد به اليافوخ سكن الصداع الحادث من الأخلاط، وزبله يسحق ويطلى به على الدبيلة تبرأ، ومرارته تسود الشعر الأبيض شربا وينبغى أن يملأ الشارب فمه حليبا لئلا تسود أسنانه، ولحمه يورث السهر لآكله، وفى رأس الخطاف حصاة فيها منافع شتى وكل خطاف يبلغ تلك الحصاة فمن ظفر بها وحملها معه وقته السوء وكانت له وسيلة إلى من يحب حتى لا يقدر على رده. قال الإسكندر: يوجد عند أول بطن من بطون الخطاطيف فى أعشاشها أول ما يبرزن ويظهرن فى العش حجران أبيضان أو أبيض وأحمر

إن وضع الأبيض على المصروع أفاق وإن وضع على المعقود حله، والأحمر إن علق على من به عسر البول أبرأه وربما وجد هذان الحجران مختلفي الأحوال أحدهما طويل والآخر ململم إن جعلا فى جلد عجل وعلقا على من به وسواس وتخيل أبرأه، ولا يوجدان إلا فى العش الذى يكون فى ناحية المشرق دون غيره وهو عجيب مجرب . وقال ابن الدقاق : إن أخذ الطين من عشه وأديف بالماء وشرب أدر البول مجرب نافع .

(التعبير) الخطاف فى المنام : يؤول برجل أو امرأة ومال وولد قارئ لكتاب الله تعالى ، ويؤول بمال مغصوب ، فمن رأى أنه أخذ خطافا اتخذ مالا حراما وذلك لأن اسمه خطاف هو بمنزلة الخطف ، ومن رأى أن بيته قد امتلأ خطاطيف نال مالا حلالا لأنه إنما خطفه ، وقيل الخطاف رجل أديب أنيس ورع فمن رأى كأنه استعاره من غيره فإنه يأنس إلى شخص ، ومن أخذه فإنه يظلم امرأة . وقالت النصارى: من أكل لحم خطاف فى المنام فإنه يقع فى خصومة ، ومن رأى الخطاطيف تخرج من داره تفرق عنه أقرباؤه من جهة سفر وربما دل الخطاف على الأشغال والأعمال لأنه يظهر فى زمن البطالة، وصوت الخطاطيف تنبيه على عمل الخير لأنه كالتسبيح ، وربما دل على امرأة صاحبه أمانة . وقال جاماسب: من صاد خطافا دخلت اللصوص عليه، والله تعالى أعلم .

﴿ الخطاف ﴾: بفتح الخاء وتشديد الطاء :سمكة ببحر سبتة لها جناحان على ظهرها أسودان تخرج من الماء وتطير فى الهواء ثم تعود إلى البحر قاله أبو حامد الأندلسى .

﴿ الخفاش ﴾ : بضم الخاء وتشديد الفاء : واحد الخفافيش التى تطير فى الليل وهو غريب الشكل والوصف ، والخفش صغر العين وضيق البصر .

(فائدة) الأخفش صغير العين ضعيف البصر ، وقيل هو عكس الأعشى ، وقيل هو من يبصر فى الغيم دون الصحو . وقال الجوهرى : هو نوعان والأعشى من يبصر نهارا لا ليلا والعمش ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات ، والعور معروف .

(تتمة) فى كل عين نصف دية ولو عين أحول وأخفش وأعمش وأعور وأعشى وأجهر ونحوهم ، لأن المنفعة باقية فى أعين هؤلاء ومقدار المنفعة لا ينظر إليه كما لا ينظر إلى قوة البطش والمشى وضعفهما ، وكذا من بعينه بياض لاينقص الضوء فإنه يكون كالتآليل فى اليد سواء كان على بياض الحدقة أو سوادها ، وكذا لو كان على الناظر إلا أنه رقيق لايمنع الأبصار ولا ينقص الضوء هذا ما نص عليه الشافعى رضى الله تعالى عنه وجرى عليه الأئمة ولم يفرقوا بين حصول ذلك بآفة سماوية أو جناية فإن نقص فبقسطه إن أمكن ضبط ذلك النقصان بالصحيحة التى لابياض بها، وإن لم يمكن ضبط النقص الحاصل بالجناية فالواجب فيه

الحكومة ، وفارق الأعمش ونحوه ، فإن البياض نقص الضوء الخلق وعين الأعمش لاينقص ضوءها عما كان فى الأصل ، وهذا الفرق يفهمك أن العمش لو تولد من آفة أو جناية لايجب فى العين كمال الدية ، فإن أسلم قيد به ذلك الإطلاق السابق .

(فرع) ليس فى عين الأمور السليمة إلا نصف الدية عندنا . قال ابن المنذر : وروى عن عمر وعثمان رضى الله عنهما أن فيها الدية وبه قال عبد الملك بن مروان والزهرى وقتادة ومالك والليث والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه انتهى . قال البطليوسى : الخفاش له أربعة أسماء : خفاش وخشاف وخطاف ووطواط ، وتسميته خفاشا يحتمل أن تكون مأخوذة من الخفش فى اللغة نوعان : ضعيف البصر خلقة ، والثانى لعله حدثت وهو الذى يبصر بالليل دون النهار وفى يوم الغيم دون يوم الصحو انتهى . وذكر الجاحظ : أن اسم الخفاش يقع على سائر طير الليل فكأنه راعى العموم وكون الوطواط هو الخفاش هو الذى ذكره ابن قتيبة وأبو حاتم فى كتاب الطير الكبير ، وما ذكره البطليوسى من أن الخفاش هو الخطاف فيه نظر والحق أنهما صنفان وهو الوطواط . وقال قوم : الخفاش الصغير والوطواط الكبير ، وهو لايبصر فى ضوء القمر ولا ضوء النهار غير قوى البصر قليل شعاع العين كما قال الشاعر :

مثل النهار يزيد أبصار الورى نورا ويعمى أعين الخفاش

ولما كان لايبصر نهارا التمس الوقت الذى لايكون فيه ظلمة ولاضوء وهو قريب غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض ، فإن البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان ، والخفاش يخرج طالبا للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم ، والخفاش ليس هو من الطير فى شىء فإنه ذو أذنين وأسنان وخصيتين ومنقار ويحيض ويطهر ، ويضحك كما يضحك الإنسان ، ويبول كما تبول ذوات الأربع ، ويرضع ولده ولا ريش له . قال بعض المفسرين : لما كان الخفاش هو الذى خلقه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بإذن الله تعالى كان مباينا لصنعة الخالق ، ولهذا سائر الطيور تقهره وتبغضه ، فما كان منها يأكل اللحم أكله ومالا يأكل اللحم قتله فلذلك لا يطير إلا ليلا ، وقيل لم يخلق عيسى غيره لأنه أكمل الطير خلقا وهو أبلغ فى القدرة لأن له ثديا وآذانا وأسنانا ويحيض كما تحيض المرأة قال وهب بن منبه : كان يطير مادام الناس ينظرون إليه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق وليعلم أن الكمال لله تعالى ، وقيل إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه من أعجب الطير خلقة إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش وهو شديد الطيران سريع التقلب يقتات البعوض والذباب وبعض الفواكه ، وهو مع ذلك موصوف بطول العمر فيقال إنه أطول عمرا من النسر ومن حمار الوحش ، وتلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة وكثيرا مايسقد

وهو طائر فى الهواء ، وليس فى الحيوان ما يحمل ولده غيره والقرد والإنسان ، ويحمله تحت جناحه وربما قبض عليه بفيه وذلك من حنوه وإشفاقه عليه ، وربما أرضعت الأنثى ولدها وهى طائرة ، وفى طبعه أنه متى أصابه ورق الدلب خدر ولم يطر ، ويوصف بالحمق ، ومن ذلك أنه إذا قيل له : أطرق كرى لصق بالأرض .

(الحكم) يحرم أكله لما رواه أبو الحويرث مرسلا « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتله » وقيل إنه لما خرب بيت المقدس قال : رب سلطنى على البحر حتى أغرقهم ، وسئل عنه الإمام أحمد فقال : ومن يأكله ؟ وقال النخعى : كل الطير حلال إلا الخفاش . قال الرويانى : وقد حكينا فى الحج خلاف هذا فيحتمل قولين ، وعبارة الشرح والروضة يحرم الخفاش قطعا وقد يجرى فيه الخلاف مع أنهما قد جزما فى كتاب الحج بوجوب الجزاء فيه إذا قتله المحرم ، وأن الواجب فيه القيمة مع تصريحهما بأن مالا يؤكل لايفدى على أن الرافعى مسبوق بذلك فأول من ذكره صاحب التقريب ، وأشعر كلامه بأن الشافعى رضى الله تعالى عنه ذكره ، وذكر المحاملى أن اليربوع لا يحل أكله ويجب فيه الجزاء فى أصح القولين وهو غريب ، ولم يزل الناس يستشكلون ماوقع فى الرافعى من ذلك وليس بمشكل فهو يتبين بمراجعة كلام الرويانى فإنه قال : فرع قال فى الأم : الوطواط فوق العصفور ودون الهدهد ، وفيه إن كان مأكولا قيمته ، وذكر عن عطاء أنه قال : فيه ثلاثة دراهم انتهى . فاتضح أن المسئلة منصوصة للشافعى رضى الله تعالى عنه وأنه علق وجوب الجزاء على القول بحل أكله ، ثم تتبعت كلام عطاء المذكور فوجدت الأزهرى قد نقل عنه أنه يجب فيه إذا قتله المحرم ثلثا درهم قال أبو عبيد : قال الأصمعى : الوطواط هو الخفاش . وقال أبو عبيدة : الأشبه عندى أنه الخطاف ، قلت : وأيا كان فهو غير مأكول .

(الخواص) إذا وضع رأسه فى حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها لم ينم ، وإن طبخ رأسه فى إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق ويغمر فيه مرارا حتى يتهرى ويصفى ذلك الدهن عنه ويدهن به صاحب النقرس والفالج القديم والارتعاش والتورم فى الجسد والربوفانه ينفعه ذلك ويبرئه ، وهو عجيب مجرب ، وإن ذبح الخفاش فى بيت وأخذ قلبه وأحرق فيه لم يدخله حيات ولا عقارب ، وإن علق قلبه وقت هيجانه على إنسان هيج الباء ، وعنقه إذا علق على إنسان أمن من العقارب ، ومن مسح بمرارته فرج امرأة قد عسرت ولادتها ولدت لوقتها ، ومن أخذت من النساء من شحمه لرفع الدم ارتفع عنها ، وإن طبخ الخفاش ناعما حتى يتهرى ومسح به الإحليل أمن من تقطير البول ، وإن صب من مرق الخفاش وقعد فيه صاحب الفالج انحل مابه ، وزبله إذا طلى به على القوابى قلعها ، ومن نتف إبطه وطلاه بدمه مع لبن أجزاء متساوية لم ينبت فيه شعر ، وإذا طلى به عانات الصبيان قبل البلوغ منع من نبات الشعر فيها .

(التعبير) الخفاش فى المنام : رجل ناسك. وقال أرطاميدورس : إن رؤيته تدل على البطالة وذهاب الخوف لأنه من طيور الليل ولا يؤكل لحمه ، وهو دليل خير للحبلى بأنها تلد ولادة سهلة ، ولا تحمد رؤيته للمسافر برا وبحرا وتدل رؤيته على خراب منزل من يدخل إليه ، وقيل الخفاشة فى المنام امرأة ساحرة ، والخفاش تدل رؤيته على رجل حيران ذى حرمان ، والله أعلم .

﴿ الخنان ﴾ : كرمان الوزغة ، وفى حديث على كرم الله وجهه أنه قضى قضاء فاعترض عليه بعض الحرورية فقال له : اسكت يا خنان ، ذكره الهروى وغيره .

﴿الخلنبوص﴾ : بفتح الخاء المعجمة واللام وإسكان النون وضم الباء الموحدة : طائر أصغر من العصفور على لونه وشكله .

﴿ الخلد ﴾ : بضم الخاء ونقل فى الكفاية عن الخليل بن أحمد فتح الخاء وكسرها قال الجاحظ : هو دويبة عمياء صماء لا تعرف ما بين يديها إلا بالشم فتخرج من جحرها ، وهى تعلم أن لا سمع لها ولا بصر فتفتح فاها وتقف عند جحرها فيأتى الذباب فيقع على شدقها ويمر بين لحييها فتدخله جوفها بنفسها فهى تتعرض لذلك فى الساعات التى يكون فيها الذباب أكثر . وقال غيره : الخلد فأر أعمى لا يدرك إلا بالشم . قال أرسطو : فى كتاب [النعوت] كل حيوان له عينان إلا الخلد وإنما خلق كذلك لأنه ترابى جعل الله له الأرض كالماء للسمك وغذاؤه من بطنها وليس له فى ظهرها قوة ولا نشاط ، ولما لم يكن له بصر عوضه الله حدة حاسة السمع فيدرك الوطء الخفى من مسافة بعيدة ، فاذا أحس بذلك جعل يحفر فى الأرض ، قال : والحيلة فى صيده أن يجعل له فى جحره مقلة فإذا أحس بها وشم رائحتها خرج إليها ليأخذها ، وقيل إن سمعه بمقدار بصر غيره ، وفى طبعه الهرب من الرائحة الطيبة ، ويهوى رائحة الكراث والبصل وربما صيد بهما فانه إذا شمهما خرج إليهما ، وهو إذا جاع فتح فاه فيرسل الله تعالى له الذباب فيسقط عليه فيأكله ، وذكر بعض المفسرين : أن الخلد هو الذى خرب سد مأرب ، وذلك أن قوم سبأ كانت لهم جنتان : أى بستانان ، عن يمين من يأتيها وشماله قال الله تعالى لهم — كلوا من رزق ربكم واشكروا له — أى على ما أنعم به عليكم ، وكانت بلدتهم طيبة لا يرى فيها بعوض ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا ذباب ، وكان الركب يأتون وفى ثيابهم القمل وغيره فاذا وصلوا إلى بلادهم ماتت ، وكان الإنسان يدخل البستان والمكتل على رأسه فيخرج وقد امتلأ من أنواع الفواكه من غير أن يتناول منها شيئا بيده ، فبعث الله لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فأعرضوا وقالوا : ما نعرف لله علينا من نعمة ، وكان لهم سد بنته بلقيس لما ملكتهم ، وبنت دونه

بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدد أنهارهم فكان الماء يقسم بينهم على ذلك ، فلما كان من شأنها مع سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان مكثوا مدة بعدها ثم طغوا وبغوا وكفروا ، فسلط الله عليهم جرذا أعمى يقال له الخلد فنقب السد من أسفله فهلكت أشجارهم وخربت أرضهم ، وكانوا يزعمون فى علمهم وكهانتهم أن سدهم ذلك تخربه فأرة فلم يتركوا فوجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة ، فلما جاء الوقت الذى أراد الله تعالى أقبلت فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفوجة التى كانت عندها ونقبت وحفرت ، فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم بالرمل .

(وروى) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ووهب وغيرهما أنهم قالوا : كان ذلك السد بنته بلقيس ، وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء أوديتهم فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو بلغة حمير ، فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض ، وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدد أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها ، فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد ، فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يستقون من الباب الأعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الأسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك ، والله أعلم .

(ونقل) الإمام أبو الفرج بن الجوزى عن الضحاك أن الجرذ الذى خرب سد مأرب كان له مخاليب وأنياب من حديد وأن أول من علم بذلك عمرو بن عامر الأزدى وكان سيدهم ، وكان قد رأى فى المنام كأنه انبثق عليه الردم فسال الوادى فأصبح مكروبا ، فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد ، فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل بنيه فنظروا فلما رجعوا قال : هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا : نعم ، قال : فإن هذا الأمر ليس لنا إلى إذهابه من سبيل وقد اضمحلت الحيلة فيه لأن الأمر من الله وقد آذن الله بالهلاك ، ثم إنه عمد إلى هرة فأخذها وأتى إلى الجرذ فصار الجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة فولت الهرة هاربة ، فقال عمرو لأولاده : احتالوا لأنفسكم ، فقالوا : يا أبت كيف نحتال ؟ فقال : إنى محتال لكم بحيلة ، قالوا : افعل ، فدعا أصغر بنيه وقال له : إذا جلست فى المجلس واجتمع الناس على العادة ، وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون برأيه ، فإنى آمرك بأمر فتغافل عنه فاذا شتمتك فقم إلى والطمنى ، ثم قال لأولاده : فاذا فعل ذلك فلا تنكروا عليه ولا يتكلم أحد منكم ، فاذا رأى الجلساء فعلكم لم يجسر أحدمنهم أن ينكر عليه ولا يتكلم ، فأحلف أنا عند ذلك يمينا لا كفارة لها أن لا أقيم بين أظهر قوم

قام إلى أصغر بنى فلطمنى فلم يغيروا ، فقالوا : نفعل ذلك ، فلما جلس واجتمع الناس إليه أمر ابنه الصغير ببعض أمره فلها عنه فشتمه فقام إليه ولطم وجهه فعجب الجماعة من جراءة ابنه عليه وظنوا أن أولاده يغيرون عليه فنكسوا رءوسهم ، فلما لم يغر أحد منهم قام الشيخ وقال : أيلطمنى ولدى وأنتم سكوت ؟ ثم حلف يمينا لا كفارة لها أن يتحول عنهم ولا يقيم بين أظهر قوم لم يغيروا عليه ، فقام القوم يعتذرون إليه وقالوا له : ما كنا نظن أن أولادك لا يغيرون فذاك الذى منعنا ، فقال : قد سبق منى ما ترون وليس إلى غير التحول من سبيل ثم إنه عرض ضياعه للبيع وكان الناس يتنافسون فيها ، واحتمل بثقله وعياله وتحول عنهم فلم يلبث القوم إلا يسيرا حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله فبينما القوم ذات ليلة بعد ما هدأت العيون إذا هم بالسيل فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم فذلك قوله تعالى — فأرسلنا عليهم سيل العرم — وفى العرم أقوال : قيل هو المسناة : أى السد قاله قتادة ، وقيل هو اسم الوادى قاله السهيلى ، وقيل اسم الخلد الذى خرق السد ، وقيل هو السيل الذى لا يطاق . وأما مأرب فبسكون الهمزة اسم لقصر كان لهم ، وقيل هو اسم لكل ملك كان على سبأ ، كما أن تبعا اسم لكل من ولى اليمن والشحر وحضرموت قاله المسعودى ، وقال السهيلى : وكان السد من بناء سبأ بن يشحب ، وكان قد ساق إليه سبعين واديا ومات من قبل أن يتمه فأتمته ملوك حمير ، واسم سبأ عبد شمس بن يشحب بن يعرب بن قحطان قيل إنه أول من سبى فسمى سبأ ، وقيل إنه أول من تتوج من ملوك اليمن . وقال المسعودى : بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا فى فرسخ وجعل له ثلاثين شعبا فأرسل الله عليه سيل العرم وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلا ، فقالوا : تفرقوا أيدى سبأ ، وأيادى سبأ . قال الشعبى : لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد ، فأما غسان فلحقوا بالشأم والأزد إلى عمان ومر خزاعة إلى تهامة وجذيمة إلى العراق والأوس والخزرج إلى يثرب ، وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج .

(روى) أبو سبرة النخعى عن قروة بن مسيك القطيفى قال « قال رجل يارسول الله أخبرنى عن سبأ أكان رجلا أو امرأة أو أرضا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة . فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير ، فقال الرجل : وما أنمار؟ قال : الذين منهم خثعم وبجيلة ، وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان » .

(ومن الفوائد المجربة) أن يكتب للخلد الذى يطلع فى الدواب ويعلق فى أذن الدابة اليسرى : يا خلد سليمان بن داود ذكر عزرائيل على وسطك ، وذكر جبرائيل على رأسك ، وذكر إسرافيل على ظهرك ، وذكر ميكائيل على بطنك لا تدب ولا تسعى إلا أيبس كما يبس

لبن الدجاج وقرن الحمار بقدرة العزيز القهار ، هذا قول عزرائيل وجبرائيل وإسرافيل وميكائيل وملائكة الله المقربين الذين لايأكلون ولايشربون إلا بذكر الله هم يعيشون أصباوتا آل شداى ، أيبس أيها الخلد من دابة فلان ابن فلانة أو من هذه الدابة بقدرة من يرى ولا يرى — ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا — ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا — فماتوا كذلك يموت الخلد من دابة فلان ابن فلانة أو من هذه الدابة .

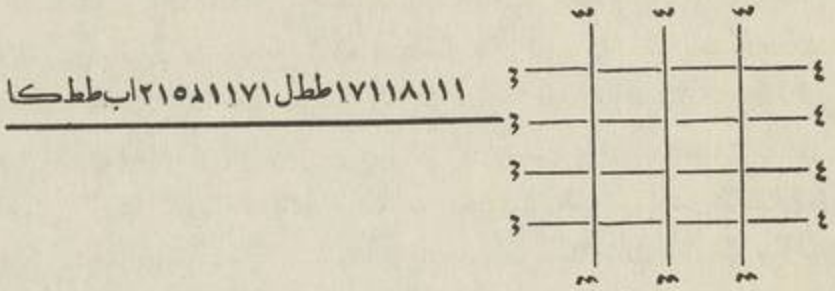

(ومن الفوائد المجربة للخلد أيضا) أن يكتب فى ورقة ويعلق فى عنق الفرس المخلود : طلعوا ستة وستين ملكا إلى جبال القدس لقوا ثلاث شجرات الواحدة قطعت والثانية يبست والثالثة احترقت ، انقطع أيها الخلد ببركة سيهوم ديهوم دهوم بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ج وج وج واوتفع ارتفع اه اه ل ط ا س ل ط ا س ل ط ا س ل ط ا س الله الله الله الله الله الله الله الله حم حم حم حم حم حم حم حم حم توكلت ل اد هى ع ل ا ا على الله اللهم احفظ حامله ودابته بحرمة الرب العظيم والقرآن العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انتهى .

(الحكم) يحرم أكله لأنه نوع من الفأر . وقال مالك : لابأس بأكل الخلد والحيات إذا ذكى ذلك ؛ وهذه أول مسئلة فى كتاب [الذبائح] من المدونة .

(الأمثال) قالوا : أسمع من خلد ، وأفسد من خلد .

(الخواص) دمه إذا اكتحل به أبرأ العين ، والدم الذى فى ذنبه إذا طلى به الخنازير أذهبها ، وشفته العليا إذا علقت على من به حمى الربع أذهبتها ، وإن أكل لحمه قبل طلوع الشمس مشويا تعلم آكله كل شىء ، ودماغه إن جعل فى قارورة مع دهن ورد ودهن به الجرب والقوابى والكلف والحزاز وكل شىء يظهر فى الجسد أبرأه . قال الجاحظ : التراب الذى يخرجه الخلد من جحره يزعمون أنه يصلح لصاحب النقرس إذا بل بالماء وطلى به ذلك المكان . وقال أرسطو : إذا غرق الخلد فى ثلاثة أرطال ماء ثم سقى منه إنسان تكلم بكل علم يسئل عنه على سبيل الهذيان اثنين وأربعين يوما . وقال يحيى بن زكريا : إذا غرق الخلد فى ثلاثة

أرطال ماء وترك فيه حتى ينتفخ ، ثم يصفى من ذلك الماء ويرمى عظمه ويطبخ فى قدر نحاس ويلقى عليه أربعة دراهم لبان ذكر ومثله أفيون ومثله كبريت ومثله نشادر بعد أن تدق هذه الحوائج مع أربعة أرطال عسل ، ويطبخ حتى يصير مثل الطلاء ويجعل فى إناء زجاج ، ثم يلعق على الريق والشمس فى الحمل إلى أن تدخل الأسد ولا يأكل مستعمله شيئا فيه زهومة ويكون طاهرا صائما ، فمن فعل ذلك علمه الله تعالى كل شىء بقدرته .

(التعبير) الخلد تدل رؤيته على العمى والتيه والتبدد والحيرة والاختفاء وضيق المسلك ، وربما دلت رؤيته على حدة السمع لمن يشكو ضررا من سمعه ، وإن رؤى مع ميت فهو فى النار لقوله عزوجل - وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعلمون - وربما كان فى الجنة وسكن جنة الخلد ، والله تعالى أعلم .

﴿ الخلفة ﴾ : الناقة الحامل وجمعها خلفات ، روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان ؟ قلنا : نعم . قال : فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم فى صلاته خير له ثلاث خلفات عظام سمان » وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن ، ولا أحد قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها ، ولا أحد قد اشترى غنما أوخلفات وهو ينتظر أولادها . قال : فغزا فدنا من القرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على فحبست عليه حتى فتح الله عليه » الحديث وهذا النبى هو يوشع بن نون عليه السلام .

(فائدة) حبست الشمس مرتين لنبينا صلى الله عليه وسلم : إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله تعالى عليه كما رواه الطحاوى وغيره . والثانية صبيحة الإسراء حين انتظر العير التى أخبر بوصولها مع شروق الشمس . وفى أواخر المستدرك من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو أخذ سبع خلفات بشحومهن فألقين فى شفير جهنم ما انتهين إلى قعرها سبعين عاما » قال شيخ الإسلام الإمام الذهبى : إسناده صالح ، والحكمة فى التمثيل بالسبع أن ذلك عدد أبواب جهنم ، وروى الشافعى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ألا إن فى قتيل الخطأ قتيل السوط والعصا مائة من الإبل مغلظة منها أربعون خلفة فى بطونها أولادها » وإسناده ضعيف ومنقطع ، وقال أبو حاتم : رواية إرساله أشبه . قال شيخ الاسلام النووى فى تهذيبه : وهذا مما يستشكل لأن الخلفة هى التى فى بطنها ولدها . فإن قيل : فما الحكمة فى قوله صلى الله عليه وسلم فى بطونها أولادها ؟ فجوابه من

أربعة أوجه : أحدها أنه توكيد وإيضاح والثانى أنه تفسير لما لا قيد والثالث أنه نفى لوهم من يتوهم أنه يكفى فى الخلفة أن تكون حملت فى وقت ماولا يشترط حملها حالة دفعها فى الدية والرابع أنه إيضاح لحكمها وأنه يشترط فى نفس الأمر أن تكون حاملا ، ولا يكفى قول أهل الخبرة إنها خلفة إذا تبين أنه لم يكن فى بطنها ولد ، وذكر الرافعى أنه قيل إن الخلفة تطلق أيضا على التى ولدت وولدها يتبعها .

(فائدة أخرى) الخطأ المحض هو أن لا يقصد ضربه بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص عليه بل تجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين ، وتجب الكفارة فى ماله فى الأنواع كلها . وشبه العمد أن يقصد ضربه بما لا يموت مثله من مثل ذلك الضرب غالبا بأن ضربه بعصا خفيفة أو حجر صغير ضربة أو ضربتين فمات فلا قصاص فيه بل تجب دية مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين . والعمد المحض هو أن يقصد قتل إنسان بما يقصد به القتل غالبا كالسيف والسكين وما أشبه ذلك ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أودية مغلظة فى مال القاتل حالة ، وعند أبى حنيفة قتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه كبيرة كسائر الكبائر . ودية الحر المسلم مائة من الإبل فإذا كانت الدية فى العمد المحض أو شبه العمد فهى مغلظة بالسن فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة فى بطونها أولادها وهو قول عمر وزيدبن ثابت رضى الله تعالى عنهما وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعى للحديث المتقدم عن ابن عمر رضى الله عنهما ، وذهب قوم إلى أن الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة ، وهو قول الزهرى وربيعة وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة. وأمادية الخطأ فمخففة وهى أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا فى تقسيمها ، فذهب مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما إلى أنها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة ، وبه قال عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار وربيعة ، وجعل أبوحنيفة وأحمد عوض بنى اللبون بنى المخاض ، ويروى ذلك عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه . والدية فى الخطأ وشبه العمد على العاقلة كما تقدم وهم عصبات القاتل من الذكور ، ولا يجب على الجانى منها شىء لأن النبى صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة ، فان عدمت الإبل فتجب قيمتها من الدراهم والدنانير فى قول ، وفى قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار أو اثنى عشر ألف درهم لما روى أن عمر رضى الله تعالى عنه فرض الدية على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثنى عشر ألف درهم ، وبه قال مالك وعروة بن الزبير والحسن البصرى . وقال أبو حنيفة : إنها مائة من الإبل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم ، وبه قال سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه .

(فرع) ودية المرأة نصف دية الرجل ، ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابيا وإن كان مجوسيا فخمس الثلث ، وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : دية اليهودى والنصرانى أربعة آلاف ودية المجوسى ثمانمائة درهم ، وبه قال ابن المسيب والحسن البصرى رضى الله تعالى عنهما وإليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم ، وهو قول ابن مسعود وسفيان الثورى وأصحاب الرأى ، وقال عمر بن عبد العزيز : دية الذمى نصف دية المسلم ، وهو قول مالك وأحمد . وأما دية الأطراف فمبسوطة فى كتب الفقه .

(تذنيب) قوله تعالى — ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها — الآية ، قال أهل التفسير : إنها نزلت فى مقيس بن حبابة ، وذلك أنه لما قتل أخوه هشام بن حبابة فى بنى النجار ولم يعلموا له قاتلا وأعطوه ديته مائة من الإبل ثم انصرف هو والفهرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين نحو المدينة ، فأتى الشيطان مقيسا ووسوس إليه فقال : تقبل دية أخيك فتكون عليك وصمة ومسبة فاقتل الرجل الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية ، فغفل الفهرى عن نفسه فرماه مقيس بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من إبل الدية وساق باقيها ورجع إلى مكة كافرا ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية ، ومقيس هذا هو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ممن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة . وقد اختلف فى حكم هذه الآية فروى البغوى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : قاتل المؤمن عمدا لا توبة له . وقال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه لما نزلت الآية التى فى الفرقان ، وهى قوله تعالى — والذين لايدعون مع الله لها آخر — عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ، ثم نزلت الغليظة فنسخت الغليظة اللينة ، وأراد بالغليظة هذه الآية وباللينة آية الفرقان ؛ وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : آية الفرقان مكية وآية النساء مدنية لم ينسخها شىء ، والذى عليه جمهور المفسرين وهو مذهب أهل السنة قاطبة أن توبة قاتل المسلم عمدا مقبولة لقوله تعالى — إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء — وما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فهو تشديد ومبالغة فى الزجر عن القتل كما روى عن سفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن المؤمن إذا لم يقتل يقال له لا توبة لك وإن قتل يقال له توبة ، وروى مثله عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وليس فى الآية مستند لمن يقول بالتخليد فى النار بارتكاب الكبائر لأن الآية نزلت فى قاتل كافر هو مقيس ابن حبابة كما تقدم ، وقيل إنه وعيد لمن قتل مؤمنا مستحلا لقتله بسبب إيمانه ، ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافرا مخلدا فى النار . وروى أن عمرو بن عبيد قال لأبى عمرو ابن العلاء : هل يخلف الله وعده ؟ فقال أبو عمرو : لا ، فقال : أليس قال الله عز وجل

— ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها — فقال له أبو عمرو أمن العجم أنت : يا أبا عثمان ألم تعلم أن العرب لا تعد الإخلاف فى الوعيد خلفا وذما وإنما تعد إخلاف الوعد خلفا وذما ؟ وأنشد قائلا :

وإنى وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد فى النار ما روى البخارى عن عبادة ابن الصامت رضى الله تعالى عنه وكان قد شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله أصحابه : بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارته ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه . قال : فبايعناه على ذلك » وما روى أيضا فى الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » والله الموفق .

﴿ الخمل ﴾ : بالتحريك : ضرب من السمك قاله ابن سيده .

﴿ الخنتعة ﴾ : كقنفذة : الأنثى من الثعالب قاله الأزهرى .

﴿ الخندع ﴾ : كجندب زنة ومعنى صغار الجنادب ، وقال فى المحكم : إنه الخفاش فى بعض اللغات .

﴿ الخنزير البرى ﴾ : بكسر الخاء المعجمة جمعه خنازير وهو عند أكثر اللغويين رباعى . وحكى ابن سيده عن بعضهم أنه مشتق من خزر العين لأنه كذلك ينظر فهو على هذا ثلاثى يقال تخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر كقولك تعامى وتجاهل . قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فى يوم صفين :

إذا تخازرت وما بى من خزر ثم كسرت الطرف من غير حور
ألفيتنى ألوى بعيد المستمر كالحية الصماء فى أصل الشجر
أحمل ما حملت من خير وشر

وكنية الخنزير : أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وأبو عتبة وأبو علية وأبو قادم ، وهو يشترك بين البهيمية والسبعية فالذى فيه من السبع الناب وأكل الجيف والذى فيه من البهيمية الظلف وأكل العشب والعلف ، وهذا النوع يوصف بالشبق حتى إن الأنثى منه يركبها الذكر وهى ترتع فربما قطعت أميالا وهو على ظهرها ويرى أثر ستة أرجل فمن لا يعرف ذلك يظن أن فى الدواب ماله ستة أرجل ، والذكر من هذا النوع يطرد الذكور عن الإناث وربما قتل

أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا، وإذا كان زمن هيجان الخنازير طأطأت رءوسها وحركت أذنابها وتغيرت أصواتها وتضع الخنزيرة عشرين خنوصا وتحمل من نزوة واحدة، والذكر ينزو إذا تمت له ثمانية أشهر والأنثى تضع إذا مضى لها ستة أشهر، وفى بعض البلاد ينزو الخنزير إذا تمت له أربعة أشهر والأنثى تحمل جراءها وتربيها إذا تمت لها ستة أشهر أو سبعة، وإذا بلغت الأنثى خمس عشرة سنة لاتلد، وهذا الجنس أنسل الحيوان، والذكر أقوى الفحول على السفاد وأطولها مكثا فيه يقال إنه ليس لشىء من ذوات الأنياب والأذناب ماللخنزير من القوة فى نابه حتى إنه يضرب بنابه صاحب السيف والرمح فيقطع كل مالاقى من جسده من عظم وعصب، وربما طال ناباه فيلتقيان فيموت عند ذلك جوعا لأنهما يمنعانه من الأكل وهو متى عض كلبا سقط شعر الكلب، وهو إذا كان وحشيا ثم تأهل لايقبل التأديب، ويأكل الحيات أكلا ذريعا ولا تؤثر فيه سمومها، وهو أروغ من الثعلب، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن فى يومين، وهكذا تفعل النصارى بالخنازير فى الروم يجيعونها ثلاثة أيام ثم يطعمونها يومين لتسمن، وإذا مرض أكل السرطان فيزول مرضه، وإذا ربط على حمار ربطا محكما ثم بال الحمار مات الخنزير.

(ومن عجيب أمره) أنه إذا قلعت إحدى عينيه مات سريعا، وفيه من الشبه بالإنسان أنه ليس له جلد يسلخ إلا أن يقطع بما تحته من اللحم، وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله أحد» وفى رواية «ويهلك فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الدجال ويمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفاه الله فيصلى عليه المسلمون» وهذا الحديث رواه أبو داود فى آخر سننه فى كتاب الملاحم مطولا. قال الخطابى: وفى قوله «ويقتل الخنزير» دليل على وجوب قتل الخنزير وبيان أن أعيانها نجسة، وذلك أن عيسى عليه السلام إنما ينزل فى آخر الزمان وشريعة الإسلام باقية، وقوله «ويضع الجزية» معناه أنه يضعها عن النصارى واليهود وأهل الكتاب ويحملهم على الإسلام فلا يقبل منهم غير دين الحق فذلك معنى وضعها وفى أواخر الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لقى خنزيرا على الطريق فقال له: اذهب بسلام، فقيل له أتقول هذا لخنزير؟ فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: إنى أخاف أن أعود لسانى النطق بالسوء.

(فائدة) ذكر أهل التفسير وأصحاب السير أن عيسى عليه الصلاة والسلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة وقذفوه وأمه، فلما سمع ذلك عيسى دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله تعالى خنازير، فلما رأى ذلك يهودا وهو رأس اليهود وأميرهم

فزع من ذلك وخاف دعوته ، فجمع اليهود واستشارهم فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام فاجتمعت كلمة اليهود على قتله فطرقوا عيسى عليه الصلاة والسلام فى بعض الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه عليها فأظلمت الأرض وأرسل الله تعالى ملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال : ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعنى بدراهم يسيرة ، ثم إن الحواريين خرجوا من عنده وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى إليهم أحد الحواريين وقال لهم : ماتجعلون لى إن دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت ألقى الله تعالى عليه شبه عيسى ورفع الله عيسى إليه فدخلوا فرأوه فأخذوه ، فقال لهم : أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى ، وقيل إن الذى ألقى عليه شبهه كان من اليهود واسمه ططيانوس ، وقيل إن عيسى عليه الصلاة والسلام قال للحواريين : أيكم يقذف عليه شبهى فيقتل ؟ فقال رجل منهم : أنا يانبى الله ، فقتل ذلك الرجل وصلب ورفع الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام إليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فهو عليه الصلاة والسلام طائر مع الملائكة المقربين حول العرش .

وقال أهل التاريخ : حملت مريم بعيسى عليهما السلام ولها ثلاث عشرة سنة ، وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل ، وأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة من عمره ، ورفع من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وماتت أمه مريم بعد رفعه عليه السلام بست سنين . وذكر ابن أبى الدنيا عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : قيل لأبى أسيد الفزارى من أين تعيش ؟ فحمد الله تعالى وكبره وقال : يرزق الله الكلب والخنزير ولا يرزق أبا أسيد وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والدر والذهب » وفى إسناده كثير بن شنطير وهو مختلف فى توثيقه وتضعيفه . وقال فى الإحياء : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : رأيت أنى أقلد الدر أعناق الخنازير ، فقال : أنت تعلم الحكمة غير أهلها . وفيه أيضا فى الباب السادس من أبواب العلم روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه الصلاة والسلام فجعل يقول : حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام وجعل يسأل عنه فلم يجد له أثراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال ياموسى أتعرف فلانا؟ قال : نعم . قال : هو هذا الخنزير ، فقال موسى عليه السلام : يارب أسألك أن تردهِ إلى حاله الأولى حتى أسأله لم أصابه ذلك فأوحى الله تعالى إليه لو دعتنى بالذى دعا به آدم فمن دونه

ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين، وكذلك رواه الإمام أبو طالب المكى فى قوت القلوب ، والمستدرك عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون وقد مسخوا خنازير ، وليخسفن الله بقبائل منها ودور منها حتى يصبحوا فيقولوا قد خسف الليلة بدار بنى فلان ، وليرسلن عليهم حجارة كما أرسلت على قوم لوط ، وليرسلن عليهم الريح العقيم بشربهم الخمر وآكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم » ثم قال صحيح الإسناد .

(الحكم) لا يجوز بيع الخنزير لما روى أبو داود من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل حرم الخمر وثمنها ، وحرم الميتة وثمنها ، وحرم الخنزير وثمنه ». واختلفوا فى جواز الانتفاع به فكرهت طائفة ذلك ، وممن منع منه ابن سيرين والحكم وحماد والشافعى وأحمد وإسحاق ، ورخص فيه الحسن والأوزاعى وأصحاب الرأى ، وهو نجس العين كالكلب يغسل ما نجس بملاقاة شىء من أجزائه سبعا إحداهن بالتراب ، ويحرم أكله لقوله تعالى — قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس — والرجس النجس . قال الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردى : الضمير فى قوله تعالى — فإنه رجس — عائد على الخنزير لكونه أقرب مذكور ، ونظيره قوله تعالى — واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون — ونازعه الشيخ أبو حيان وقال . إنه عائد على اللحم لأنه إذا كان فى الكلام مضاف ومضاف إليه عاد الضمير على المضاف دون المضاف إليه لأن المضاف هو المحدث عنه ، والمضاف إليه وقع ذكره بطريق العرض وهو تعريف المضاف وتخصيصه وقال شيخنا الأسنوى رحمه الله تعالى : وما ذكره الماوردى أولى من حيث المعنى ، وذلك أن تحريم اللحم قد استفيد من قوله تعالى — أو لحم خنزير — فلو عاد الضمير عليه لزم خلو الكلام من فائدة التأسيس فوجب عوده إلى الخنزير ليفيد تحريم اللحم والكبد والطحال وسائر أجزائه وقال القرطبى فى تفسير سورة البقرة : لا خلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فإنه يجوز الخرازة به . ونقل ابن المنذر الإجماع على نجاسته وفى دعواه الإجماع نظر لأن مالكا يخالف فيه ، نعم هو أسوأ حالا من الكلب فإنه يستحب قتله ولا يجوز الانتفاع به فى حالة بخلاف الكلب . وقال شيخ الإسلام النووى رحمه الله : ليس لنا دليل على نجاسته بل مقتضى المذهب طهارته كالأسد والذئب والفأر. وقد روى « أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الخرازة بشعره فقال لا بأس بذلك » رواه ابن خويز منداد . قال : ولأن الخرازة به كانت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبعده موجودة ظاهرة ولم يعلم أنه

صلى الله عليه وسلم أنكرها ولا أحد من الأئمة بعده . وقال الشيخ نصر المقدسى : لا يجوز المسح على خف خرز بشعره ولا الصلاة فيه وإن غسله سبعا إحداهن بالتراب لأن التراب والماء لايصلان إلى مواضع الخرز المتنجسة : قال الإمام النووى : وهذا الذى ذكره الشيخ أبو الفتح نصر هو المشهور . وقال القفال فى شرح التلخيص : سألت الشيخ أبا زيد عنه فقال : الأمر إذا ضاق اتسع ، ومراده أن بالناس ضرورة إليه فتصح الصلاة فيه لذلك . وفى الشرح والروضة فى أواخر كتاب الأطعمة قريب من ذلك ، ولا يجوز اقتناء الخنزير سواء كان يعدو على الناس أو لم يكن يعدو فإذا كان يعدو وجب قتله قطعا ، وإلا فوجهان : أحدهما يجب قتله ، والثانى يجوز قتله ويجوز إرساله وهو ظاهر نص الشافعى ، فالوجهان فى وجوب قتله . وأما اقتناؤه فلا يجوز بحال كما صرح به فى شرح المهذب وغيره فى سنن أبى داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أحسبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا صلى أحدكم إلى سترة فإنه يقطع صلاته : الكلب والحمار والخنزير واليهودى والمجوسى والمرأة الحائض » . ويجزئ عنه إذا مروا بين يديه قذفه بحجر ، وفيه أيضا من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من باع الخمر فليشقص الخنازير » قال الخطابى : معناه فليستحل أكلها . وقال فى النهاية : معناه فليقطعها ويفصلها أعضاء كما تفصل الشاة إذا بيع لحمها . والمعنى : من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنزير فإنهما فى التحريم سواء ، وهذا لفظ أمر معناه النهى تقديره : من باع الخمر فليكن للخنازير قصابا ، وجعله الزمخشرى من كلام الشعبى .

(الأمثال) قالوا : أطيش من عفر . والعفر ولد الخنزير ، والعفر أيضا الشيطان ، والعفر أيضا العقرب وقالوا : أقبح من خنزير ، وقالوا : أكرهه كراهة الخنازير الماء الموغر ، وأصله أن النصارى تغلى الماء للخنازير فتلقيها فيه فتنضج فذلك هو الإيغار . قال أبو عبيد : ومنه قول الشاعر :

ولقد رأيت مكانهم فكرهتهم ككراهة الخنزير للإيغار

وقال ابن دريد : الإيغار أن يغلى الماء للخنازير فتسمط وهى حية .

(إشارة) ابن دريد هو محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر الأزدى البصرى إمام عصره فى اللغة والأدب والشعر ، ومن جيد شعره المقصورة التى مدح بها الشاه بن ميكال وولده إسماعيل وعارضه فيها جماعة كثيرة من الشعراء ، واعتنى بمقصورته جماعة من العلماء فشرحوها . ومن تصانيفه الجمهرة وهو من الكتب المعتبرة . قال بعض العلماء : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء . وعرض له فى أواخر عمره فالج فكان إذا دخل عليه الداخل ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل إليه ، وسقى الترياق فبرئ منه وصح ورجع إلى إسماع تلاميذته ثم عاوده الفالج بعد حول لغذاء ضار تناوله فكان يحرك يديه حركة ضعيفة وبطل من محزمه إلى قدميه

قال تلميذه أبو على : كنت أقول فى نفسى إن الله تعالى عاقبه بقوله فى المقصورة حين ذكر الدهر بقوله :

مارست من لوهوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا

وعاش بهذه الحالة عامين ، وكان آخر كلامه :

فواحزنى أن لا حياة لذيذة ولا عمل يرضى به الله صالح

ثم قبض. قال ابن دريد : سهرت ليلة فلما كان آخر الليل رأيت رجلا دخل على فى المنام فأخذ بعضادتى الباب وقال : أنشدنى أحسن ما قلت فى الخمر ، فقلت : ما ترك أبو نواس لأحد شيئا ، فقال : أنا أشعر منه . قلت : من أنت ؟ قال : أنا أبو ناجية من أهل الشام ، ثم أنشدنى :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت له : أسأت ، فقال : ولم ؟ قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت بين ثوبى نرجس وشقائق فقدمت الصفرة ، فقال : ما هذا الاستقصاء فى هذا الوقت يابغيض . ويقال إن ابن دريد أنشدهما لنفسه ، وكان ابن دريد يشرب الخمر إلى أن جاوز تسعين سنة ، وكان حين أصابه الفالج صحيح الذهن والعقل يرد فيما يسأل عنه ردا صحيحا ، وتوفى فى شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد ، ودريد تصغير أدرد وهو الذى ليس فى فيه سن قاله ابن خلكان وغيره .

(الخواص) كبده إذا أكلت أو سقيت لإنسان نفعت من نهش الهوام خصوصا الحيات وإن جففت وسقيت لمن به ريح الفالج والقولنج برئ من وقته ، وإذا قطرت مرارته فى أنف رجل مربوط فى كل جانب من أنفه ثلاث قطرات انطاق وبرئ ، وإذا أحرق عظمه وسحق وشربه من به البواسير فإنها تهدأ وتبرأ بإذن الله تعالى ، وقيل إن حشى به موضع الناسور أبرأه ، وعظمه يعلق على من به حمى الربع تذهب عنه . وقال يوحنا : إن مما جربته الحكماء القدماء أن عظم الخنزير يعلك على من به حمى الربع فى خرقة تعقد فيه يبرأ منها ، وإن جففت مرارته ووضعت على البواسير قلعتها من ساعتها ، وزبله إذا أمسكه من به فواق دائم أبرأه وإن شرب فتت الحصاة وأجوده زبل البر ، وإن عجن بخل وطلى به الرأس نفع من سائر الجراحات والجروح التى تظهر به ، وإذا لطخ به أصل شجرة الرمان الحامض أبدله حلوا، وعرقوبه إذا أحرق وسحق وعجن بعسل وسقى لمن به مغص ونفخ فى معدته وأمعائه وزن مثقال فإنه ينفع نفعا عظيما .

(التعبير) الخنزير تدل رؤيته على الشر والنكد والإفلاس وعلى المال الحرام وتدل رؤية

إنائه على كثرة النسل ، فإن حصل له منه ضرر فى المنام ربما تنكد من نصرانى ، وقيل الخنزير فى المنام عدو قوى ملعون خدوع عند النوائب غدار ، فمن رأى أنه ركب خنزيرا نال مالا وقهر عدوا كما وصفت ، ومن أكل لحم الخنزير مطبوخا نال مالا وتجارة من غير حل ، ومن رأى أنه تحول خنزيرا نال مالا مع ذلة ووهن فى الدين ، ومن رأى أنه يمشى كما يمشى الخنزير نال سرورا وقرة عين ، وأولاد الخنازير هموم لمن ملكها ، والخنزير الأهلى خصب لمن رآه بداره ، وكل حيوان يتربى عاجلا ويألف فهو تمام قصد من رآه وقضاء حاجته ، والبرى يدل للمسافر على مطر أو برد ، ومن رعى الخنازير فى المنام فإنه يلى على قوم من اليهود والنصارى ، ومن رأى كأن زوجته صارت خنزيرة فإنه يطلقها لأنها حرمت عليه ، ولحمه خير لجميع الناس لأن الخنزير لا ينفع إلا بعد موته ، وهو مال حرام لقوله تعالى — إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير — ففيه إشارة لذلك ، والله أعلم .

﴿ الخنزير البحرى ﴾ : سئل مالك عنه فقال : أنتم تسمونه خنزيرا يعنى أن العرب لا تسميه بذلك لأنها لا تعرف فى البحر خنزيرا والمشهور أنه الدلفين ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الدال المهملة . قال الربيع : سئل الشافعى رضى الله عنه عن خنزير الماء فقال : يؤكل ، وروى أنه لما دخل العراق قال فيه : حرمه أبو حنيفة وأحله ابن أبى ليلى . وروى هذا القول عن عمر وعثمان وابن عباس وأبى أيوب الأنصارى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم والحسن البصرى والأوزاعى والليث . وأبى مالك أن يقول فيه شيئا وأبقاه مرة أخرى على جهة الورع . وحكى ابن أبى هريرة عن ابن خيران أن أكارا صاد له خنزير ماء وحمله إليه فأكله وقال : كأن طعمه موافق لطعم الحوت سواء . وقال ابن وهب : سألت الليث بن سعد عنه فقال : إن سماه الناس خنزيرا لم يؤكل لأن الله حرم الخنزير .

﴿ الخنفساء ﴾ : معروفة . وكان من حقها أن تكتب قبل هذا لأن نونها زائدة ، وهى بفتح الفاء ممدودة الأنثى خنفساءة . وقال ابن سيده : الخنفساء دويبة سوداء أصغر من الجعل منتنة الريح الأنثى خنفسة وخنفساءة وضم الفاء فى كل ذلك لغة ، والخنفس اسم للكثير من الخنافس . وقال الأصمعى : لا يقال خنفساء بالهاء وكنيتها أم الفسو وأم الأسود وأم مخرج وأم اللجاج وأم النتن تتولد من عفونة الأرض ، وهى طويلة الظهر ، وبينها وبين العقرب صداقة ، ولهذا يسميها أهل المدينة الشريفة جارية العقرب ، وهى أنواع : منها الجعل وحمار قبان وبنات وردان والحنطب وهو ذكر الخنافس ، والخنفساء مخصوصة بكثرة الفسو كالظربان ولذلك تقول العرب فى أمثالها : إذا تحركت الخنفساء فست . قال حنين بن إسحاق : طريق طرد الخنافس أن يطرح فى أماكنها الكرفس فإنها تهرب من ذلك المكان . وروى

ابن عدى فى كامله فى ترجمة أبى معشر واسمه نجيح عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «ليدعن الناس فخرهم فى الجاهلية أو ليكونن أبغض إلى الله تعالى من الخنافس».

(غريبة) حكى القزوينى : أن رجلا رأى خنفساء فقال : ماذا يريد الله تعالى من خلق هذه ألحسن شكلها أو لطيب ريحها ؟ فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها فسمع يوما صوت إطبيب من الطرقيين ينادى فى الدرب فقال : هاتوه حتى ينظر فى أمرى، فقالوا : وما تصنع بطرقى وقد عجز عنك حذاق الأطباء ؟ فقال : لابد لى منه ، فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى بخنفساء فضحك الحاضرون منه، فتذكر العليل القول الذى سبق منه فقال : أحضروا له ما طلب فإن الرجل على بصيرة من أمره، فأحضروها له فأحرقها وذرى رمادها على قرحته فبرئ بإذن الله تعالى ، فقال للحاضرين : إن الله تبارك وتعالى أراد أن يعرفنى أن أخس المخلوقات أعز الأدوية .

(وحكى) ابن خلكان فى ترجمة جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى : أنه كان عنده أبو عبيدة الثقفى فقصدته خنفساء فأمر جعفر بازالتها ، فقال أبو عبيدة : دعوها عسى أن يأتينى بقصدها إلى خير فإنهم يزعمون ذلك فأمر له جعفر بألف دينار فقال: تحقق زعمهم فأمر بتنحيتها فقصدته ثانيا ، فأمر له بألف دينار أخرى .

(الحكم) يحرم أكلها لاستخباثها .وقال الأصحاب: مالا يظهر فيه ضرولا نفع كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة والسلحفاة والذباب وأشباهها يكره قتلها للمحرم وغيره هكذا قطع به الجمهور ، وحكى إمام الحرمين وجها شاذا أنه لا يحرم قتل الطيور والحشرات. ودليل الكراهة أنه عبث بلا حاجة ، وقد ثبت فى صحيح مسلم عن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة » وليس من الإحسان قتلها عبثا ، وروى البيهقى عن قطبة الصحابى رضى الله تعالى عنه أنه كان يكره أن يقتل الرجل مالا يضره .

(الأمثال) يقال أفسى من الخنفساء . وقالوا : الخنفساء إذا مست نتنت : أى جاءت بالنتن الكثير ، يضرب لمن ينطوى على خبث . معناه : لا تفتشوا على ما عنده فإنه يؤذيكم بنتن معايبه : وقال خلف الأحمر النحوى يهجو العتبى :

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير الخطا قليل الصواب
ألجّ لجاجا من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى من غراب

(الخواص) إذا أخذت رءوس الخنافس وجعلت فى برج حمام اجتمع الحمام إليه . والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو غشاوة العين ويزيل البياض وينفع

السبل نفعا عظيما بليغا ، وإذا بخر المكان بورق الدلب هرب منه الخنافس ، وإن أخذت خنفساء وطبخت بعصير السمسم وقطر فى الأذن منه فانه نافع من جميع أوجاع الأذن ، وإن شدخت خنفساء وربطت على لسعة العقرب أبرأتها ، وإن أحرقت وزر رمادها على القرحة أبرأتها ، ومن أكل الخنفساء ولم يشعر بها حتى دخلت إلى جوفه وهى حية قتلته من وقته .

(التعبير) الخنفساء فى المنام تدل رؤيتها على موت النفساء ، ورؤية الذكر تدل على رجل يخدم الأشرار ، وربما دلت رؤيته على عدو قذر بغيض ، والله أعلم .

﴿ الخنوص ﴾ : بكسر الخاء وتشديد النون ولد الخنزير والجمع الخنانيص. قال الأخطل يخاطب بشر بن مروان بقوله :

أكلت الدجاج فأفنيتها فهل فى الخنانيص من مغمز

ويروى أكلت القطاة قاله ابن سيده .

(وحكمه وتعبيره) كالخنزير .

(الخواص) مرارته تحلل الأورام اليابسة ، وإذا خلطت بعسل وطلى بها إحليل الرجل هيج الباه بشهوة عظيمة ، وشحمه المذاب إذا مسح به أصل شجر الرمان الحامض أبدله حلواء

﴿ الخيتعور ﴾ : الذئب لأنه لاعهد له ، وقيل الخيتعور الغول والياء فيه زائدة وفى الحديث « ذاك أزب العقبة ، يقال له الخيتعور » يريد به شيطان العقبة فجعل الخيتعور اسما له ، وقيل الخيتعور كل شىء يضمحل ولا يدوم على حالة واحدة ولا يكون له حقيقة كالسراب قال الشاعر :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب فحبها خيتعور

وقيل الخيتعور دويبة تكون فى وجه الماء لا تثبت فى موضع إلا دبت ، وقيل الخيتعور الذى ينزل فى الهواء أبيض كالخيط ، أو كنسيج العنكبوت ، وقيل الخيتعور الدنيا الذاهبة ، والله أعلم .

﴿ الخيدع ﴾ : والخيطل السنور ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين .

﴿ الأخيل ﴾ : طائر أخضر على جناحيه لمع تخالف لونه ، سمى بذلك للخيلان ، وقيل الأخيل الشقراق وهو مشئوم ولفظه ينصرف فى النكرة إذا سميت به ، ومنهم من لا يصرفه فى معرفة ولا نكرة ويجعله فى الأصل صفة من التخيل ، ويحتج بقول حسان رضى الله تعالى عنه :

ذرينى وعلمى بالأمور وشيمتى فما طائرى فيها عليك بأخيلا

﴿ الخيل ﴾ : جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر ، وقيل مفرده

خائل قاله أبو عبيدة ، وهى مؤنثة والجمع خيول. وقال السجستانى: تصغيرها خيل. وسميت الخيل خيلا لاختيالها فى المشية فهو على هذا اسم للجمع عند سيبويه وجمع عند أبى الحسن ، ويكفى فى شرف الخيل أن الله تعالى أقسم بها فى كتابه فقال — والعاديات ضبحا — وهى خيل الغزو التى تعدو فتضبح: أى تصوت بأجوافها . وفى الصحيح عن جرير بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوى ناصية فرسه بأصبعيه وهو يقول: الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » ومعنى عقد الخير بنواصيها أنه ملازم لها كأنه معقود فيها ، والمراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة ، قاله الخطابى وغيره ، قالوا : وكنى بالناصية عن جميع ذات الفرس كما يقال فلان مبارك الناصية وميمون الغرة : أى الذات . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : بل أنتم أصحابى ، إخواننا الذين لم يأتوا بعد ، فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرانى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم : فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وأنا فرطهم على الحوض » وفى رواية البيهقى « إن أمتى يأتون يوم القيامة غرا من السجود محجلين من الوضوء ، ولا يكون ذلك لأحد من الأمم غيرهم » وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره الشكال من الخيل » والشكال أن يكون الفرس فى رجله اليمنى بياض وفى يده اليسرى بياض أو فى يده اليمنى ورجله اليسرى كذا وقع تفسيره فى صحيح مسلم وهذا أحد الأقوال فى الشكال ، وقال أبو عبيدة وجمهور أهل اللغة والغريب: هو أن يكون منه ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة تشبيها بالشكال الذى يشكل به الخيل فإنه يكون فى ثلاث قوائم غالبا . وقال أبو عبيدة : وقد يكون الشكال ثلاث قوائم مطلقة وواحدة محجلة . قال : ولا تكون المطلقة أو المحجلة إلا فى الرجل . وقال ابن دريد : هو أن يكون محجلا فى شق واحد فى يده ورجله فإن كان مخالفا قيل شكال مخالف . وقيل الشكال بياض اليدين ، وقيل بياض الرجلين . قال العلماء : إنما كرهه صلى الله عليه وسلم لأنه على صورة المشكول ، وقيل يحتمل أن يكون جرب ذلك الجنس فلم يكن فيه نجابة ، وقال بعض العلماء : فإذا كان مع ذلك أغر زالت الكراهة لزوال شبهه بالشكال . وقال ابن رشيق فى عمدته فى باب منافع الشعر ومضاره : إن أبا الطيب المتنبى لما ذهب إلى بلاد فارس ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمى وأجزل جائزته رجع من عنده قاصدا بغداد وكان معه

جماعة فخرج عليهم قطاع الطريق بالقرب من بغداد ، فلما رأى الغلبة فر هاربا ، فقال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبدا وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعا وقاتل حتى قتل فكان سبب قتله هذا البيت ، وذلك فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وما أحسن قول أبى سليمان الخطابى فى مدح العزلة والانفراد وإن لم يكن له تعلق بهذا المعنى :

أنست بوحدتى ولزمت بيتى فدام الأنس لى ودنما السرور
وأدبنى الزمان فلا أبالى هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حيا أسار الخيل أم ركب الأمير

(فائدة) ذكر ابن خلكان فى تاريخه أن شخصا سأل المتنبى عن قوله :

* بادر هواك صبرت أم لم تصبرا *

كيف يثبت الألف فى تصبرا مع وجود لم الجازمة ، ومن حقه أن يقول لم تصبر ؟ فقال أبو الطيب المتنبى : لو كان أبو الفتح بن جنى هاهنا لأجابك ، هذه الألف هى بدل النون الساكنة لأنه كان فى الأصل لم تصبرن ، ونون التأكيد الخفيفة إذا وقف الإنسان عليها أبدل منها ألفا . قال الأعشى :

* ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا *

كان الأصل فاعبدن فلما وقف عليها أتى بالألف بدلا من النون ، ومراده بأبى الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى المشهور ، وكان ابن جنى قد قرأ على أبى على الفارسى وفارقه وقعد للإقراء بالموصل فمر به شيخه أبو على يوما فرآه فى حلقته ، فقال له : تزببت وأنت حصرم فترك حلقته وتبعه ولم يزل ملازما له حتى مهر ، وأبوه جنى مملوك رومى وله أشعار حسنة ، وكان أعور بعين واحدة وفى ذلك يقول :

صدودك عنى ولا ذنب لى يدل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيت خشيت على عينى الواحده
ولولا مخافة أن لا أراك لما كان فى تركها فائده

وله تصانيف مفيدة وشرح ديوان المتنبى ولذلك أشار إليه المتنبى كما تقدم ، وكانت وفاة ابن جنى فى صفر ببغداد سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، وفى سنن النسائى من حديث سلمة ابن نفيل السكونى « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن إذالة الخيل » وهو امتهانها فى الحمل عليها واستعمالها ، وأنشد أبو عمر بن عبد البر فى [التمهيد] لابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

أحبوا الخيل واصطبروا عليها فإن العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها أناس ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

(فائدة) رأيت فى [تاريخ نيسابور] للحاكم أبى عبد الله فى ترجمة أبى جعفر الحسن ابن محمد بن جعفر الزاهد العابد أنه روى بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب : إنى خالق منك خلقا أجعله عزا لأوليائى ومذلة لأعدائى وجمالا لأهل طاعتى ، فقالت الريح : اخلق يارب ، فقبض منها قبضة فخلق منها فرسا وقال جل وعلا : خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بنواصيك والغنائم محتازة على ظهرك وبوأتك سعة من الرزق ، وأيدتك على غيرك من الدواب وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فأنت للطلب وأنت للهرب ، وإنى سأجعل على ظهرك رجالا يسبحونى ويحمدونى ويهللونى ويكبرونى ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : مامن تسبيحة وتهليلة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعه الملائكة إلا تجيبه بمثلها قال : فلما سمعت الملائكة بخلق الفرس قالت : يارب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك ونهللك ونكبرك فماذا لنا ؟ فخلق الله تعالى لها خيلا لها أعناق كأعناق البخت يمد بها من شاء من أنبيائه ورسله . قال : فلما استوت قوائم الفرس فى الأرض قال الله تعالى له : إنى أذل بصهيلك المشركين وأملأ منه آذانهم وأذل به أعناقهم وأرعب به قلوبهم . قال : فلما أن عرض الله تعالى على آدم كل شىء مما خلق قال له : اختر من خلقى ماشئت ؟ فاختار الفرس ، فقيل له : اخترت عزك وعز ولدك خالدا ماخلدوا وباقيا مابقوا أبد الآبدين ودهر الداهرين » .

وهو فى [شفاء الصدور] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بغير هذا اللفظ ، ولفظه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لما أراد الله أن يخلق الخيل أوحى إلى ريح الجنوب إنى خالق منك خلقا فاجتمعى ، فاجتمعت فأتى جبريل عليه السلام فقبض منها قبضة ، ثم قال الله عز وجل له : هذه قبضتى ، ثم خلق منها فرسا كميتا . وقال الله عز وجل : خلقتك فرسا وجعلتك عربيا ، وفضلتك على سائر ماخلقت من البهائم بسعة الرزق ، والغنائم تقاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك ، ثم أرسله فصهل فقال جل وعلا : يا كميت بصهيلك أرهب المشركين وأملأ مسامعهم وأزلزل أقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل ؛ فلما خلق الله تعالى آدم قال : ياآدم اختر أى الدابتين أحببت : يعنى الفرس أو البراق ، وهو على صورة البغل لاذكر ولا أنثى ؟ فقال : ياجبريل اخترت أحسنهما وجها وهو الفرس ، فقال الله تعالى له ياآدم اخترت عزك وعز أولادك باقيا مابقوا وخالدا ماخلدوا » .

وفيه أيضا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن فى الجنة شجرة يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بلجم من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوتها مد بصرها يركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا ، فيقول الذين أسفل منهم درجة : يا ربنا بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها ؟ فيقول : بأنهم كانوا يقومون الليل وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون النهار وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون ، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون ، ثم يجعل الله فى قلوبهم الرضا فيرضون وتقر أعينهم » .

(فائدة أخرى) أول من ركب الخيل إسمعيل عليه السلام ولذلك سميت بالعراب ، وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش ، فلما أذن الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل : إنى معطيكما كنزا ادخرته لكما ، ثم أوحى الله إلى إسماعيل أن اخرج فادع بذلك الكنز فخرج إلى أجياد ، وكان لا يدرى ما الدعاء والكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابته فأمكنته من نواصيها وتذللت له ، ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم « اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل » وروى النسائى عن أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن شىء أحب إليه بعد النساء من الخيل » إسناده جيد ؛ وروى الثعلبى بإسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من فرس إلا ويؤذن له عند كل فجر بدعوة يدعو بها : اللهم من خولتنى من بنى آدم وجعلتنى له فاجعلنى أحب أهله وماله إليه » وقال صلى الله عليه وسلم « الخيل ثلاثة : فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان ، فأما فرس الرحمن فما اتخذ فى سبيل الله تعالى وقوتل عليه أعداؤه ، وفرس الإنسان ما استطرق عليه ، وفرس الشيطان ماروهن عليه » وفى طبقات ابن سعد بسنده عن عريب المليكى « أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى — الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون — من هم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : هم أصحاب الخيل » ثم قال صلى الله عليه وسلم « إن المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها ، وأبوالها وأرواثها يوم القيامة كذكى » وعريب بضم العين المهملة ، وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التى ضمرت وكان أمدها من الحيفاء إلى ثنية الوداع ، وسابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية إلى مسجد بنى زريق » وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فيمن أجرى . وروى شيخ الإسلام الحافظ الذهبى فى آخر [طبقات الحفاظ] عن شيخه الحافظ شرف الدين الدمياطى بإسناده إلى أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه

أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تحضر الملائكة من اللهو شيئا إلا ثلاثة : لهو الرجل مع امرأته ، وإجراء الخيل ، والنضال » وروى الترمذى فى صفة أهل الجنة بإسناد ضعيف عن واصل بن السائب عن أبى سودة عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال « جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أحب الخيل فهل فى الجنة خيل؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة لها جناحان فتحمل عليها فتطير بك فى الجنة حيث شئت» وفى معجم ابن قانع أن هذا الأعرابى اسمه عبدالرحمن بن ساعدة الأنصارى وكذلك ذكره الدينورى فى أوائل المجالسة ، وذكر ابن عدى بهذا الإسناد الضعيف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض كأنهن الياقوت » وليس فى الجنة من البهائم إلا الإبل والطير .

(فائدة أخرى) خيل السباق عشرة ذكرها الرافعى وغيره وحذفها من الروضة وهى مجل ومصل وتال وبارع ومرتاح وحظى وعاطف ومؤمل والسكيت والفسكل ، وإلى ذلك أشرت فى المنظومة بقولى :

مهمة خيل السباق عشرة ... فى الشرح دون الروضة المعتبره
وهى مجل ومصل تالى ... والبارع المرتاح بالتوالى
ثم حظى عاطف مؤمل ... ثم السكيت والأخير الفسكل

(فائدة أخرى) قال السهيلى فى [التعريف والإعلام] : وأما خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسماؤها : السكب وهو من سكب الماء كأنه سيل والسكب أيضا شقائق النعمان والمرتجز سمى بذلك لحسن صهيله ، واللحيف كأنه يلحف الأرض لجريه ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة ذكره البخارى فى جامعه واللزاز ، ومعناه أنه ما سابق شيئا إلا لزه أى أثبته وملاوح ، والضرس ، والورد وهبه لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فحمل عليه عمر فى سبيل الله تعالى ، وهو الذى وجده يبتاع برخص انتهى .

(فائدة أخرى) روى ابن السنى وأبو القاسم الطبرانى عن أبان بن أبى عياش والمستغفرى أيضا عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف أن انظر أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادن مجلسه وأحسن جائزته وأكرمه . قال : فأتيته فقال لى : يا أبا حمزة إنى أريد أن أعرض عليك خيلى فتعلمنى أين هى من الخيل التى كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فعرضها فقلت : شتان ما بينهما ، تلك كانت أرواثها وأبوالها وأعلافها أجرا وهذه هيئت للرياء والسمعة ، فقال الحجاج : لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذى فيه عيناك ، فقلت : ما تقدر على ذلك . قال : ولم ؟ قلت : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء أقوله لا أخاف معه من شيطان

ولا سلطان ولا سبع ، فقال : يا أبا حمزة علمه ابن أخيك ، يعنى ابنه محمد بن الحجاج ، فأبيت عليه فقال لابنه : اثت عمك أنسا فلتسأله أن يعلمك ذلك . قال أبان : فلما حضرته الوفاة دعانى فقال : يا أبا أحمد إن لك إلىّ انقطاعا وقد وجبت حرمتك ، وإنى معلمك الدعاء الذى علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعلمه من لا يخاف الله أو نحو ذلك . وهو هذا الدعاء المبارك : الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسى ودينى ، بسم الله على أهلى ومالى ، بسم الله على كل شىء أعطانيه ربى ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه داء ، بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله الله ربى لا أشرك به شيئا أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذى لايعطيه أحد غيرك عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اجعلنى فى عبادك واحفظنى من شر كل ذى شر خلقته وأحترز بك من الشيطان الرجيم ، اللهم إنى أحترس بك من شر كل ذى شر خلقته وأحترز بك منهم وأقدم بين يدىّ بسم الله الرحمن الرحيم — قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد — ومن خلفى مثل ذلك وعن يمينى مثل ذلك وعن يسارى مثل ذلك ومن فوق مثل ذلك ومن تحتى مثل ذلك .

(مسئلة) قال شيخ الإسلام تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى : ورد مثال كريم ممن هو حقيق بالتبجيل والتعظيم ، يتضمن السؤال عن الخيل : هل كانت قبل آدم عليه السلام أو خلقت بعده ؟ وهل خلق الذكور قبل الإناث أو الإناث قبل الذكور ؟ وهل العربيات قبل البراذين أو البراذين قبل العربيات ؟ وهل ورد فى الحديث أو الأثر أو السير أو الأخبار ما يدل على ذلك ؟

(والجواب) أن نختار أن خلق الخيل كان قبل خلق آدم عليه السلام بيومين أو نحوهما وأن خلق الذكور قبل الإناث وأن العربيات قبل البراذين . أما قولنا إن خلقها كان قبل خلق آدم فلآيات فى القرآن سنذكرها آية آية ونذكر وجه الاستدلال والمعنى فيه ، وهو أن الرجل الكبير يهيأ له مايحتاج إليه قبل قدومه . وقال تعالى — خلق لكم ما فى الأرض جميعا — فالأرض وكل ما فيها مخلوق لآدم وذريته إكراما لهم ، ومن كمال إكرامهم وجودها قبلهم فجميع ذلك مقدم على خلقه . ثم كان خلق آدم بعد ذلك آخر الخلق لأنه وذريته أشرف الخلق ، ألا يرى أن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف من الجميع ولذلك كان آخرا لأن به صلى الله عليه وسلم تم كمال الوجود ، وما سوى آدم مما هيىء له حيوان وجماد ، والحيوان أشرف من الجماد والخيل من أشرف الحيوان غير الآدمى فكيف يؤخر خلقها عنه ؟ فهذه الحكمة تقتضى تقديم خلقها مع غيرها من المنافع . وإنما قلنا بيومين أو نحوهما لحديث ورد فيه يتضمن أن بث الدواب يوم الخميس والحديث فى الصحيح لكن فيه كلام ، ولا شك

أن خلق آدم عليه السلام كان يوم الجمعة والحديث المذكور يتضمن أنه بعد العصر فلذلك قلنا إنه بيومين أو نحوهما على التقريب .

وأما التقدم فلا يتردد فيه والمعنى فيه قد ذكرناه .

وأما الآيات التى تدل له : فمنها قوله تعالى — خلق لكم ما فى الأرض جميعا ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات — ووجه الاستدلال أن الآية الكريمة اقتضت خلق ما فى الأرض جميعا قبل تسوية الرحمن السماء ، ومن جملة ما فى الأرض الخيل ، فالخيل مخلوقة قبل تسوية السماء عملا بالآية ودلالة ثم على الترتيب ، وتسوية السماء قبل خلق آدم عليه السلام لأن تسوية السماء كانت فى جملة الأيام الستة لقوله تعالى — رفع سمكها فسواها — إلى قوله جل وعلا — والأرض بعد ذلك دحاها — ودلالة الحديث الصحيح المجمع عليه على أن خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة بعد كمال المخلوقات . أما آخر الأيام الستة إن قلنا إن ابتداء الخلق يوم الأحد كما يقوله المؤرخون وأهل الكتاب وهو المشهور عند أكثر الناس ؛ وأما فى اليوم السابع فهو خارج عن الأيام الستة كما يقتضيه الحديث الذى أشرنا إليه فيما سبق الذى فى صحيح مسلم الذى صدره « إن الله تعالى خلق التربة يوم السبت » وإن كان فيه كلام .

وأما تأخر خلق آدم عليه السلام فلا كلام فيه فثبت بهذا أن خلق الخيل قبل خلق آدم عليه السلام وهى من جملة المخلوقات فى الأيام الستة لا كما يقوله بعض الجهلة الكفرة ، ويروى فيه أحاديث موضوعة لا تصدر إلا عن أسخف المجانين لاحاجة بنا إلى ذكرها . ومن الآيات قوله تعالى — وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين : قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون — ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الأسماء كلها إما أن يراد بها نفس الأسماء أو صفات المسميات ومنافعها ، وعلى كلا التقديرين المسميات موجودة فى ذلك الوقت للإشارة إليها بقوله هؤلاء ومن جملة المسميات الخيل فلتكن موجودة حينئذ ، والأسماء عام بالألف واللام مؤكدة بقوله تعالى — كلها — فتقوى العموم فيه والمسميات لابد من إرادتها بقوله تعالى — ثم عرضهم — وقوله تعالى — بأسمائهم — فهذا دليل قاطع فى ذلك والعموم شامل للخيل ، فمن رأى دلالة العموم قطعية يقطع بدخولها ومن لايرى ذلك يستدل به فيه كما يستدل بسائر الأدلة الشرعية . ومن الآيات قوله تعالى فى سورة — الم تنزيل — الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش — وجه الاستدلال أقتضاؤها خلق ما بينهما فى الستة ، وقد قلنا إن خلق آدم عليه السلام خارج عن الأيام الستة بعدها أو حاصل فى آخرها بعد خلق غيره كما سبق . ومن الآيات قوله تعالى فى سورة ق — ولقد

خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب – وجه الاستدلال بهذه ما قدمناه فيما قبلها فهذه أربع آيات تدل على ذلك فيها كفاية .

وقد جاء عن وهب بن منبه فى الإسرائيليات أن الخيل خلقت من ريح الجنوب وذلك لا ينافى ما قلناه ولا نلتزم صحته لأنا لا نصحح إلا ما صح لنا عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الخيل كانت وحوشا وأن الله تعالى ذللها لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وذلك لا ينافى ما قلناه فقد تكون مخلوقة من قبل آدم عليه السلام واستمرت على وحشيتها إلى عهد إسماعيل عليه السلام، أو كانت تركب فى وقت ثم توحشت ثم ذللت لإسماعيل عليه السلام ، وليس فى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة دليل ، فالمعتمد ما قلناه من دلالة القرآن . والذى قيل من أن إسماعيل عليه السلام أول من ركبها أمر مشهور ولكن إسناده ليس صحيحا حتى نلتزمه ، وقد قلنا إنا لا نلتزم إلا ما صح عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وفى تفسير القرطبى من رواية الترمذى الحكيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « لما أذن الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام برفع القواعد قال الله تبارك وتعالى : إنى معطيكما كنزا ادخرته لكما . ثم أوحى الله إلى إسماعيل عليه السلام أن اخرج إلى أجياد فادع يأتك الكنز ، فخرج إلى أجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز ، فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها الله تعالى له » ولو ذكرنا ما قال الناس فى ذلك وشرحناه بطوله لطال ؛ فقد تكلم الناس فى ذلك كثيرا وذكروا من خواص الخيل ومنافعها شيئا كثيرا ليس ذلك كله مما نلتزم صحته ، ومطالبة القاصد بسرعة الجواب فى أسرع وقت تقتضى الاقتصار على ما قلناه وفيه كفاية .

وأما قولنا إن خلق الذكور قبل الإناث فلأمرين : أحدهما شرف الذكر على الأنثى والثانى حرارته وإن كان الاثنان من جنس واحد من مزاج واحد فأحدهما أكثر حرارة من الآخر ، فقد جرت عادة القدرة الإلهية بتكوين أقواهما حرارة قبل الآخر ؛ والذكر أقوى حرارة من الأنثى فناسب أن يكون وجوده أسبق ، ولتحصل المنة به أكثر ، ولذلك كان خلق آدم عليه السلام قبل خلق حواء ، ولأن أعظم ما يقصد له الخيل الجهاد والذكر فى الجهاد خير من الأنثى لأن الذكر أجرى وأجرأ : أعنى أشد جريا وأقوى جراءة ويقاتل مع راكبه والأنثى بخلاف ذلك . وقد تقطع بصاحبها أحوج ما يكون إليها إذا كانت وديقا ورأت فحلا ، ولا يرد على ذلك ركوب جبريل عليه السلام أنثى لما جاز البحر بموسى عليه السلام لأن ذلك لركوب فرعون فحلا فقصد طلبه للأنثى وعجز فرعون عن إمساك رأسه .

وأما قولنا إن العربيات قبل البراذين فلما ذكر من حديث إسماعيل عليه السلام ولأن العربيات أشرف وأصل، والبرذون إنما يكون بعارض أو علة إما فيه وإما فى أبيه أو أمه ولم تكن البراذين تذكر فيما خلا من الزمان ، ألا ترى إلى قصة إسماعيل عليه السلام وقصة سليمان عليه السلام ، وإنما البراذين ما انتحس من الخيل حتى اختلف العلماء هل يسهم له كما يسهم للفرس العربى أو لا ؟ وفى حديث من مراسيل مكحول فى بعض ألفاظه «للفرس سهمان وللهجين سهم » فهذه الرواية تقتضى أن الهجين لا يسمى فرسا ، والهجين هو البرذون أو قريب منه ، وبالجملة البراذين حثالة الخيل وما كان الله تعالى ليخلق من الجنس حثالة فى الأول .

وأما الأحاديث النبوية والآثار الصحيحة فإنماجاء منها فى فضيلة الخيل وسباقها وشياتها وفضيلة اتخاذها وبركتها والنفقة عليها وخدمتها ومسح نواصيها والتماس نسلها وثمنها ونمائها ، والنهى عن خصائها وجز نواصيها وأذنابها وإزالتها ، وفيما يقسم لها ولصاحبها من الغنيمة ، واختلاف العلماء فيه وهل يجب فيها زكاة أولا ؟ وغير ذلك أضربنا عنه للعجلة . وهذه نبذة يسيرة كتبتها على سبيل العجلة فى ساعة من النهار لعجلة المطالب بها ، وإن اخترتم كتبت فيها كتابا مستقلا إن شاء الله تعالى .

(الحكم) أكل لحوم الخيل يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفرس ، وذكر الصيمرى فى شرح الكفاية أنه لا يجوز بيعها لأهل الحرب كالسلاح ،ويكره إن تقلد الأوتار لما روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى بشير الأنصارى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهىَ عن ذلك . قال الخطابى : وأمره صلى الله عليه وسلم بقطع قلائد الخيل ، قال مالك : أراه من أجل العين ، وقال غيره : إنما أمر بقطعها لأنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس ، وقال آخرون : لئلا تختنق بها عند شدة الركض ، ويحتمل أن يكون أراد عين الوتر خاصة دون غيره من السيور والخيوط ، وقيل معناه لاتطلبوا عليها الأوتار والدخول ولا تركضوها فى درك الثأر على ماكان من عاداتهم فى الجاهلية . والسبق فيها معتبر بالأعناق وفى الإبل بالأكتاف لأن الإبل ترفع أعناقها فى العدو فلا يمكن اعتبار مدها والخيل تمدها ، والمراد إذا استوت أعناقها فى الطول والقصر والارتفاع لقوله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كفرسى رهان كاد أحدهما أن يسبق الآخر بأذنه » وفى المستدرك وسنن أبى داود وابن ماجه ومسند أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أدخل فرسا بين فرسين ولا يأمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار » والصحيح أن الذى يمنع من ركوبها لقوله تعالى — ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم — فأمر أولياءه بإعدادها لأعدائه ولأن ظهورها عز ، وهم

ضربت عليهم الذلة . وفى وجه أنهم لا يمنعون وينسب لأبى حنيفة مثله. وقال الشيخ أبو محمد الجوينى : يمنعون من الشريفة دون البراذين الخسيسة . وألحق الإمام الغزالى البغال النفيسة بالخيل ، وجزم به الفورانى ولم يقيده بالنفيسة ، ولا زكاة فى الخيل عند الجمهور لقوله صلى الله عليه وسلم « ليس على المسلم فى عبده ولا فرسه صدقة» متفق عليه ، وأوجبها أبو حنيفة فى إناثها المنفردة أو المجتمعة مع الذكور فعند ذلك صاحبها بالخيار إن شاء أعطى عن كل فرس دينارا ، وإن شاء قوّمها وأعطى من كل مائتى درهم خمسة دراهم ، وإن كانت ذكورا منفردة فلا شىء فيها .

(الأمثال) قالوا : الخيل ميامين : أى مباركات ، وقالوا : الخيل أعلم بفرسانها ، يضرب للرجل يظن أن عنده غناء ولا غناء عنده. ومن كلمات النبى صلى الله عليه وسلم التى لم يسبق إليها قوله « ياخيل الله اركبى » قالها يوم حنين فى حديث أخرجه مسلم ، وهو على حذف مضاف أراد صلى الله عليه وسلم يا فرسان خيل الله اركبى ، وهو من أحسن المجازات كقوله تعالى — وأجلب عليهم بخيلك ورجلك — قال الجاحظ فى كتاب [البيان والتبيين] عن يونس بن حبيب أنه قال : لم يبلغنا من بدائع الكلام ما بلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم وغلط فى هذا الحديث ونسب إلى التصحيف ، وإنما قال القائل ما بلغنا عن البتى يريد عثمان البتى فصحف الجاحظ ، قالوا : والنبى صلى الله عليه وسلم أجلّ من أن يخلط مع غيره من الفصحاء حتى يقال ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذى بلغنا عن غيره كلامه أجل من ذلك وأعلى صلى الله عليه وسلم .

(الخواص) الخيل إذا سقيت الزرنيخ الأحمر قتلها ، وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك فى باب الفاء فى لفظ الفرس ويأتى طرف من خواصه .

(التعبير) الخيل فى المنام : قوة وزينة وعز ، وهى أشرف ما ركب من الدواب ، فمن رأى عنده منها شيئا نال قوة وعزا ، وربما دل ذلك على اتساع حاله وإدرار رزقه وانتصاره على أعدائه لقوله تعالى — زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث — وربما ظفر بعدوه لقوله عز وجل — ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم — ومن رأى خيلا تتطاير فى الهواء فانها فتنة ، ولا خير فى ركوب الخيل فى غير محل الركوب كالسطح والحائط ونحوهما ، وخيل البريد فى الرؤيا قرب أجل من ركبها ، وسيأتى إن شاء الله تعالى تتمة الكلام فى باب الفاء فى لفظ الفرس كما وعدنا ، والله أعلم .

(ومما جرب لمغل الخيل والدواب) أن يكتب على الحوافر الأربع — بسم الله الرحمن الرحيم فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت — عجفون عجفون عجفون شاشيك شاشيك شاشيك ،

وأيضا يكتب لحمر الخيل والدواب ويعلق عليها وقد جرب : ولا طلهه هو هو هو رهست هر هر هر هر هر وهو هو هو هو هو ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ أمهاهيا لولوس درر وبر حفرب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿ أم خنور ﴾ : على وزن التنور والسفود الضبع ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة الكلام عليه ، والله الموفق للصواب .

باب الدال المهملة

﴿ الدابة ﴾ : مادب من الحيوان دله ، وقد أخرج بعض الناس منها الطير لقوله تعالى — وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم — وردّ بقوله تعالى — وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين — قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى : وهذه الآية مصرحة بضمان الحق الرزق ، وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين فإن وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الإيمان بالله تعالى والثقة به فهزمتها — بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق — ولأن الطير يدب على الأرض برجليه فى بعض حالاته قال الأعشى :

بنات كغصن البان ترتج إن مشت دبيب قطا البطحاء فى كل منهل

وقال تعالى — وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم — وقال عز وجل — إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون — قال ابن عطية : مقصود الآية أن يبين أن هذه الطائفة العاتية من الكفار هى شر الناس عند الله تعالى وأنها فى أخس المنازل لديه ، وعبر بالدواب ليتأكد ذمهم وليفضل الكلب والخنزير والفواسق الخمس وغيرها عليهم ، والدواب كل مادب فهو يجمع الحيوان بجملته .

وفى الصحيحين عن أبى قتادة رضى الله تعالى عنه قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فقال : مستريح ومستراح منه ، قالوا : يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : العبد المؤمن مستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى ، والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب » .

وفى سنن أبى داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة عن إبراهيم بن محمد عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة » يروى مصيخة ومسيخة بالصاد والسين والأصل الصاد ، ومعناها منصتة مستمعة .

وفى [الحلية] فى ترجمة أبى لبابة الأنصارى رضى الله تعالى عنه وهو من أهل الصفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى مامن ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة أن تقوم الساعة » .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيدى وقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين. وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى المغرب » .

واعلم أنه سبحانه وتعالى يخلق مايشاء بلا كلفة ونصب ، يختار مايشاء بلا زلفة وسبب ، يخلق مايشاء بلا علاج ويختار مايشاء بلا احتياج ، يخلق مايشاء علما بربوبيته ويختار مايشاء دلالة على وحدانيته ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا .

وفى [كامل ابن الأثير] أن كسرى كان له خمسون ألف دابة وثلاثة آلاف امرأة .

(غريبة) فى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة ركن الدولة ابن بويه : أنه حارب عدوا له وضاقت الميرة على الطائفتين حتى ذبحوا دوابهم ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل ، فاستشار وزيره أبا الفضل ابن العميد فى الهرب فقال : لاملجأ لك إلا إلى الله تعالى فانو للمسلمين خيرا وصمم العزم على حسن السيرة والإحسان ، فإن الحيل البشرية كلها تقطعت بنا ، وإن انهزمنا تبعونا وقتلونا وهم أكثر منا، فقال : قد سبقتك إلى هذا ياأبا الفضل . قال أبو الفضل : ثم إن ركن الدولة استدعانى فى تلك الليلة فى الثلث الأخير وقال : رأيت الساعة فى منامى كأنى على دابتى فيروز وقد انهزم عدونا وأنت تسير إلى جانبى وقد جاءنا الفرج من حيث لانحتسب ، فمددت عينى فرأيت على الأرض خاتما فأخذته فإذا فصه فيروزج فجعلته فى أصبعى وتبركت به ، فانتبهت وقد أيقنت بالظفر فإن الفيروزج : الفرج جاء ومعناه الظفر ولذلك لقب الدابة فيروز. قال ابن العميد : فلم أبرح إذ أتانا الخبر والبشارة بأن العدو قد رحل وتركوا خيامهم ، فما صدقنا حتى تواترت الأخبار فركبنا ولا نعرف سبب هزيمتهم وسرنا حذرين من كيدهم ومكرهم وسرت إلى جانبه وهو على دابته فيروز فصاح ركن الدولة بغلام بين يديه ناولنى ذلك الخاتم فأخذ خاتما من الأرض فناوله إياه فإذا هو من فيروزج ، فجعله فى أصبعه وقال : هذا تأويل رؤياى وهذا هو الخاتم الذى رأيته فى منامى بعينه . قال : وهذا من أعجب مايحكى ، واسم ركن الدولة الحسن أبو على ، وكان ملكا جليلا مهابا ، وكان قد ملك أصبهان والرى وهمدان وجميع عراق العجم وقد فتح أكثر البلاد وملكها وقرر قواعدها وضبطها ، توفى فى المحرم

سنة ست وستين وثلثمائة ، وكان عمره تسعا وتسعين سنة ، وكانت مدة ملكه أربعا وأربعين سنة .

وفى [شفاء الصدور] لابن سبع السبتى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لاتضربوا وجوه الدواب فإن كل شىء يسبح بحمده» وقد تقدم عنه حديث فى البهيمة قريب من هذا .

وفى كتاب [الإحياء] فى باب كسر الشهوتين حديث « لايستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا : أولهم ميكائيل الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التى تزجى سحابا ، ثم الشمس والقمر والأفلاك وملوك الهواء ودواب الأرض ، وآخر ذلك الخباز ، وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها » وروى الإمام أحمد والبيهقى فى الشعب عن محمد بن سيرين قال « خرجت دابة تقتل الناس فمن دنا منها قتلته ، فجاء رجل أعور فقال دعونى وإياها فدنا منها فوضعت رأسها له حتى قتلها ، فقالوا : حدثنا بأمرك ، فقال : ماأصبت ذنبا قط إلا ذنبا واحدا بعينى هذه فأخذت سهما وفقأتها به » قال الإمام أحمد : ولعل هذا كان جائزا فى شريعة بنى إسرائيل أو فى شريعة من كان قبلنا ، أما فى شريعتنا فلا يجوز فقء العين التى ينظر بها إلى مالايحل له لكن يستغفر الله تعالى من ذلك ولا يعود إليه .

وذكر ابن خلكان فى ترجمة الربيع الجيزى : أنه مر يوما بسكة من سكك مصر فطرحت عليه إجانة من رماد فنزل عن دابته ونفض ثيابه ، فقيل له ألا تزجرهم ؟ فقال : من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب ، والربيع بن سليمان هذا صاحب الشافعى وهو أحد رواة القول الجديد عن الشافعى ، وتوفى سنة خمس ومائتين والجيزى نسبة إلى الجيزة قبالة مصر والأهرام فى عملها بالقرب منها ، وهى من عجائب أبنية الدنيا ، والأهرام قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم فى حياتهم . قيل إن المأمون لما وصل مصر أمر بنقب أحد الهرمين فنقب بعد جهد شديد وغرامة نفقة عظيمة فوجد داخله مراق ومهاو يعسر سلوكها ، ووجد فى أعلاها بيت مكعب طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع وفى وسطه حوض من صوان مطبق فيه رمة بالية قد أتت عليها العصور فكشف عن نقب ماسواه . ونقل أن هرمس الأول وهو أخنوخ وهو إدريس استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان فأمر ببنيان الأهرام ، ويقال إنه ابتناها فى مدة ستة أشهر وكتب فيها : قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة عام والهدم أيسر من البنيان ، وكسوناها الديباج فليكسها الحصر والحصر أيسر من الديباج . وقال الإمام أبو الفرج الجوزى فى كتاب [سلوة الأحزان] : وفى عجائب الهرمين أن سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع من رخام ومرمر ، وفيها مكتوب : أنا بنيتها بملكى فمن ادعى قوة فليهدمها فإن الهدم أيسر من البناء . قال ابن المنادى : بلغنا أنهم قدروا خراج الدنيا مرارا فإذا هو لايقوم بهدمها ، والله أعلم .

وفى صحيح مسلم وغيره عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له» وفى رواية «ساحر فقال الساحر إنى قد كبرت وأخاف أن أموت فينقطع عنكم علمى ولا يكون فيكم من يعلمه، فانظروا لى غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمى هذا، فنظروا له غلاما على ماوصف وأمروه أن يحضر ذلك الساحر وأن يختلف إليه فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة» قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين «فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به فلم يزل به حتى أخبره فقال: إنما أنا عبد الله، فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطىء على الساحر، فأرسل إلى أهل الغلام أنه لايكاد يحضرنى: فأخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب: إذا خشيت الساحر فقل: حبسنى أهلى، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسنى الساحر، فبينما الغلام على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة وقد حبست الناس فقال: اليوم يبين أمر الراهب من أمر الساحر، فأخذ حجرا وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ثم رمى بالحجر فقتلها، فقال الناس: من قتلها؟ فقالوا الغلام، ففزع الناس وقالوا: لقد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد: قال فسمع به أعمى كان جليسا للملك فقال له: إن رددت إلىّ بصرى فلك كذا وكذا، فقال له: لاأريد منك شيئا ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذى رده؟ قال: نعم، فدعا الله تعالى فرد عليه بصره فآمن الأعمى، وأنه جاء إلى الملك بعد ماشفى فجلس معه كما كان يجلس فقال له من رد عليك بصرك؟ قال: ربى. قال وهل لك رب غيرى؟ قال: الله ربى وربك، فأمر بالمنشار فوضع على رأسه حتى وقع شقاه» وفى رواية الترمذى «أن تلك الدابة كانت أسدا، وأن الغلام لما قتلها أخبر الراهب فقال له: إن لك لشأنا وإنك تبتلى فلا تدل علىّ، وإن الملك بلغه أمرهم فبعث إليهم فأتى بهم إليه فقال: لأقتلنّ كل واحد منكم قتلة لاأقتل بها صاحبه، ثم أمر بالراهب وبالرجل الذى كان أعمى فوضع المنشار على مفرق كل واحد منهما فقتله، ثم قتل المقعد بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلما انتهوا به إلى ذلك المكان الذى أرادوا أن يلقوه منه قال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فجعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون منه حتى لم يبق منهم إلا الغلام. قال: فرجع الغلام يمشى حتى أتى الملك فقال له: مافعل أصحابك؟ قال: كفانيهم ربى بما شاء، فأمر الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه، فانطلقوا به إلى البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فأغرق الله عز وجل الذين كانوا معه وأنجاه فأقبل الغلام يمشى على وجه الماء حتى أتى الملك فتحير الملك فى نفسه، فقال له الغلام: أتريد أن تقتلنى؟ قال نعم. قال: إنك لاتقدر على ذلك حتى تصلبنى وترمينى بسهم من كنانتى

وتقول إذا رميتنى . بسم الله رب هذا الغلام بعد أن تجمع الناس فى صعيد واحد . قال : فجمع الملك الناس فى صعيد واحد وأمر بالغلام أن يصلب فصلب ، وأخذ الملك سهما من كنانة الغلام وقال : بسم الله رب هـذا الغلام ورماه فوقع السهم فى صدغه فقتله ووضع الغلام يده على صدغه ، فقال الناس : آمنا برب هذا الغلام : فقيل للملك : إنك جزعت حين خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك فأمر بالأخدود ، فخد أخدودا ثم ألقى فيه الحطب والنار ، ثم جمع الناس وقال لهم : من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار فجعل يلقيهم فى ذلك الأخدود ، فذلك قوله تعالى — قتل أصحاب الأخدود النارذات الوقود — » زاد مسلم « فأتى بامرأة لتلقى فى النار ومعها صبى رضيع فجزعت ، فقال لها الغلام : ياأماه لاتجزعى فإنك على الحق » وذكر ابن قتيبة أن الغلام الرضيع كان عمره سبعة أشهر . قال الترمذى : وإن الغلام أخرج فى زمان عمر رضى الله تعالى عنه ويده على صدغه كما وضعها حين قتل .

وذكر صاحب السيرة محمد بن إسحاق فيها : أن اسمه عبد الله بن التامر وأن رجلا من أهل نجران حفر خربة فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه فى بعض حاجته فوجده تحت الردم قاعدا واضعا يده على ضربة فى صدغه وفى يده خاتم مكتوب عليه : ربى الله ، فكتبوا بذلك إلى عمر رضى الله تعالى عنه ، فكتب إليهم أن أقروه على حاله ففعلوا . قال السهيلى : ويصدقه قوله عز وجل — ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا — الآية ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » خرجه أبو داود ، وذكر أبو جعفر الداودى هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين . قال : وهى زيادة غريبة لكن الداودى من أهل الثقة والعلم انتهى . قال ابن بشكوال : وكان اسم ذلك الملك يوسف ذانواس وكان بنجران وكان ملك حمير وما حوله ، وقيل اسمه زرعة ذو نواس ، وكان على دين اليهودية قاله السمرقندى ، والوقعة كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة ، وكان اسم ذلك الراهب قيتمون قاله ابن بشكوال .

وفى المثل السائر : فلان أكذب من دب ودرج . قال الجوهرى : معناه أكذب الأحياء والأموات لأنهم يدرجون فى الأكفان . وروى الترمذى الحكيم عن زيد بن أسلم « أن الأشعريين أباموسى وأبا مالك وأباعامر رضى الله تعالى عنهم فى نفر منهم لما هاجروا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أرملوا من الزاد ، فأرسلوا قاصدهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله ، فلما انتهى إليه سمعه يقرأ — ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها — فقال الرجل : ما الأشعريون بأهون على الله من الدواب فرجع ولم يدخل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتى أصحابه وقال لهم : أبشروا فقد جاءكم الغوث ، فظنوا أنه قد أعلم النبى صلى الله عليه وسلم بحالهم . فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان معهما قصعة مملوءة خبزا ولحما ، فأكلوا

ما شاء الله ثم قال بعضهم لبعض : ردوا بقية هذا الطعام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فردوه ، ثم إنهم أتوه فقالوا : يا رسول الله لم نر طعاما أكثر ولا أطيب من طعام أرسلته إلينا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما أرسلت إليكم شيئا ، فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم إليه ، فسأله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع ، فقال صلى الله عليه وسلم : ذلكم شيء رزقكموه الله عز وجل » قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى : هذه آية مصرحة بضمان الحق الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر على قلوب المؤمنين ، فإن وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الإيمان بالله والثقة به وبضمانه فهزمتها — بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق — .

(وذكر) ابن السنى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا ، فإن لله عز وجل فى الأرض حابسا يحبسها » .

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : حكى لى بعض شيوخنا الكبار فى العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة ، وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله تعالى عليه فى الحال . قال : وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منهم بهيمة فعجزوا عنها فقلت هذا الحديث فوقفت فى الحال بغير سبب سوى هذا الكلام. وروى ابن السنى أيضا عن الإمام السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه ونزاهته أبى عبد الله يونس بن عبيد بن دينار المصرى التابعى المشهور رحمه الله تعالى أنه قال : ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى أذنها — أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون — إلا وقفت بإذن الله تعالى . وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من ساء خلقه من الرقيق والدواب والصبيان فاقرءوا فى أذنه — أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون — وقد تقدم فى باب الباء الموحدة فى لفظ البغلة « أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب بغلة فحادت فحبسها . وأمر رجلا أن يقرأ عليها قل أعوذ برب الفلق فسكنت » .

(فرع) فى كتب الحنابلة : يجوز الانتفاع بالدابة فى غير ما خلقت له كالبقر للحمل وللركوب والإبل والحمير للحرث ، وقوله صلى الله عليه وسلم « بينما رجل يسوق بقرة إذ أراد أن يركبها فقالت : إنا لم نخلق لذلك » متفق عليه المراد أنه معظم منافعها ولا يلزم منه منع غير ذلك . وقال الإمام أحمد : من شتم دابة قال الصالحون لا تقبل شهادته لحديث المرأة التى لعنت الناقة ، وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » .

(فرع) يجب على مالك الدبة علفها ورعيها وسقيها لحرمة الروح كما فى الصحيح «عذبت امرأة فى هرة » لأنها ذات روح فأشبهت العبد فإن لم تكن ترعى لزمه أن يعلفها ويسقيها إلى أول شبعها وريهادون غايتهما ، وإن كانت ترعى لزمه إرسالها لذلك حتى تشبع وتروى بشرط فقد السباع العادية ووجود الماء ، فإن اكتفت بكل من الرعى أو العلف خير بينهما فإن لم تكتف إلا بهما لزماه ، وإن احتاجت البهيمة إلى السقى ومعه ماء يحتاج إليه لطهارته سقاها وتيمم ، فإن امتنع من العلف أجبر فى مأكولة على بيع أو علف أو ذبح ، وفى غيرها على بيع أو علف صيانة لها عن الهلاك، فإن لم يفعل فعل الحاكم ماتقتضيه المصلحة فإن كان له مال ظاهر بيع فى النفقة، فإن تعذر جميع ذلك فمن بيت المال .

(فائدة) يستحب أن يقول عند ركوب الدابة ما رواه الحاكم والترمذى وصححاه عن على بن ربيعة قال « شهدت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله فى الركاب قال : بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال : الحمد لله ، ثم — سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون — ثم قال : الحمد لله ثلاث مرات ، ثم قال : الله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال : سبحانك اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك فقيل يا أمير المؤمنين من أى شىء ضحكت ؟ قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ، فقلت : يا رسول الله من أى شىء ضحكت ؟ قال : إن ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال : رب اغفر لى ذنوبى يعلم أنه لايغفر الذنوب غيرى » .

وروى أبو القاسم الطبرانى فى كتاب [الدعوات] عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا ركب العبد الدابة ولم يذكر اسم الله تعالى ردفه الشيطان فقال تغن" فإن كان لا يحسن الغناء قال له تمن ، فلا يزال فى أمنيته حتى ينزل » وفيه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قال إذا ركب دابة : بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء سبحانه ليس له سمى — سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون — الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام قالت الدابة : بارك الله عليك من مؤمن خففت عن ظهرى وأطعت ربك وأحسنت إلى نفسك، بارك الله فى سفرك وأنجح حاجتك».

وروى ابن أبى الدنيا عن محمد بن إدريس عن أبى النضر الدمشقى عن إسماعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الملائى أنه قال : إذا ركب الرجل الدابة قالت : اللهم اجعله بى رفيقا رحيما ، فإذا لعنها قالت : على أعصانا لله لعنة الله .

وفى كامل ابن عدى فى ترجمة عباد بن كثير الثقفى وكان شعبة لايستغفر له أنه روى عن

ابن طاوس عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم «قال اضربو الدواب على النفار ولا تضربوها على العثار» .

(فرع) يجوز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة ولا يجوز إذا لم تطقه ، فى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه «أن النبى صلى الله عليه وسلم أردفه حين دفع من عرفات إلى المزدلفة ، ثم أردف الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما من المزدلفة إلى منى ، وأنه صلى الله عليه وسلم أردف معاذا رضى الله تعالى عنه على الرحل وأردفه على حمار يقال له عفير ، وأمر صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنهما أن يعتمر بأخته عائشة رضى الله تعالى عنها من التنعيم فأردفها وراءه على راحلته ، وأردف صلى الله عليه وسلم صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وراءه حين تزوجها بخيبر» وإذا أردف صاحب الدابة فهو أحق بصدرها ويكون الرديف وراءه إلا أن يرضى صاحبها بتقديمه لجلالته أو غير ذلك . وأفاد الحافظ ابن منده أن الذين أردفهم النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون نفسا ، ولم يذكر فيهم عقبة بن عامر الجهنى رضى الله تعالى عنه ، ولم يذكر أحد من علماء الحديث والسير أن النبى صلى الله عليه وسلم أردفه . وروى الطبرانى عن جابر رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يركب ثلاثة على دابة » .

(فرع) قال أصحابنا : ما ليس مأكولا من الدواب والطيور إن كان فيه مضرة متمحضة استحب قتله للمحرم وغيره كالفواسق الخمس ، والذئب والأسد والنمر والنسر والحدأة والبرغوث والقمل والزنبور والبق والقراد وأشباهها ، فإن كان فيه منفعة ومضرة كالفهد والكلب المعلم والعقاب والبازى والصقر ونحوها فلا يستحب قتله لما فيه من المنفعة ، ولا يكره لما فيه من الضرر وهو الصيال على حمام الناس والعقر ، وإن لم يكن فيه نفع ولا ضرر كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة واللجأ والذباب وأشباهها فيكره قتله ولا يحرم على ما قطع به الجمهور . وحكى الإمام وجها شاذا أنه يحرم قتل الطيور دون الحشرات لأنه عبث بلا حاجة .

(وأما دابة الأرض التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ) فهى الأرضة ، وقيل سوسة الخشب . قال الله تعالى : — فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته — . والسبب فى ذلك أن سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه له ودخله مختفيا ليصفو له يوم واحد من الدهر عن الكدر ، فدخل عليه شاب فقال له : كيف دخلت من غير استئذان ؟ فقال له : إنما دخلت بإذن . قال : ومن أذن لك ؟ قال : رب هذا الصرح ، فعلم سليمان أنه ملك الموت أتى ليقبض روحه ، فقال : سبحان الله هذا اليوم الذى طلبت فيه الصفاء ، فقال له : طلبت ما لم يخلق ، فاستوثق من الاتكاء على العصا ، وقد كان

بيت المقدس بقى من تمام بنائه سنة فسأل الله تعالى تمامها على يد الإنس والجن ، وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة فكانوا يقولون إنه يتحنث أى يعبد ربه فقبض روحه، وكانت الجن تدّعى علم الغيب فلما قبض بقيت الجن تعمل على عادتها ، وقيل إن ملك الموت أعلمه أنه بقى من عمره ساعة فدعا الجن فبنوا له الصرح وقام يصلى متكئا على عصاه فمات وهو متكئ عليها، وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر أحد منهم إليه فى صلاته إلا احترق ، فمر واحد منهم فلم يسمع صوتا ثم رجع فسلم فلم يسمع له كلاما فنظر فاذا هو قد خر ميتا ، فعلمت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين سنة، وكان عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ، والمنسأة العصا وكانت من خروب، وذلك أنه كان يتعبد فى بيت المقدس فينبت له فى محرابه كل سنة شجرة فيسألها ما اسمك؟ فتقول الشجرة : اسمى كذا ، فيقول لها : لأى شىء أنت ؟ فتقول : لكذا وكذا، فيأمر بها فتقلع ، فإن كانت تنبت بغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : أنا الخروبة خرجت لخراب ملكك ، فعرف أنه قد حضر أجله فاستعد واتخذ منها عصا واستدعى بزاد سنة والجن تتوهم أنه يأكل بالليل — وكان أمر الله قدرا مقدورا — وكان الذى ابتدأ فى بناء بيت المقدس داود عليه السلام فرفعه قامة رجل ثم مات ، فلما استخلف ابنه سليمان عليه السلام أحب إتمامه فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحها له ، فأرسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والمها الأبيض وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل فى كل ربض منها سبطا ، فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى عمارة المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافى من البحر وفرقا يقلعون الجواهر والرخام من أماكنها وفرقا يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطيب فأتى من ذلك بشىء لا يحصيه إلا الله تعالى ، ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحا وثقب اليواقيت واللآلئ وصلاح الجواهر فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر ، وعمده بأساطين المها الصافى وسقفه بألواح الجواهر الثمينة ونضد سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقت وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يومئذ فى الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضىء فى الظلماء كالقمر ليلة البدر ، فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بنى إسرائيل فأعلمهم أنه قد بناه لله عز وجل خالصا واتخذ ذلك اليوم عيدا .

(فائدة) قال بعض العلماء: سخر الله عز وجل الجن لسليمان عليه السلام وأمرهم بطاعته، ووكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمره ضربه الملك ضربة أحرقته . قال أهل التفسير : أجرى الله تعالى لسليمان عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء وكان ذلك بأرض اليمن ، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان من النحاس .

وروى الحاكم عن إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كان سليمان نبى الله إذا قام فى مصلاه رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول : ما اسمك ؟ فتقول كذا ، فيقول : لأى شىء أنت ؟ فتقول لكذا وكذا ، فإذا كانت لدواء كتبت ، وإن كانت لغرس غرست ، فبينما هو يصلى يوما إذ رأى شجرة فقال : ما اسمك ؟ قالت : الخروب ، فقال : لأى شىء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ؟ فقال سليمان عند ذلك : اللهم عمّ على الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب . قال : فاتخذ منها عصا وتوكأ عليها فأكلتها الأرضة فسقط فوجدوه ميتا حولا ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين ، وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقرؤها هكذا « مالبثوا حولا فى العذاب المهين » فشكرت الجن الأرضة وكانت تأتيها بالماء والتراب حيث كانت ، ثم قال صحيح الإسناد .

وأما الدابة التى هى أحد أشراط الساعة فقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى - وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم - قال : إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ، قيل إنها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوائم ووبر ، وقيل هى مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات ينصدع لها جبل الصفا فتمرج منه ليلة جمع والناس سائرون إلى منى ، وقيل تخرج من الحجر ، وقيل من أرض الطائف ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا وتكتب فى وجهه مؤمن ، وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر ، كذا رواه الحاكم فى أواخر المستدرك عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه عن أبى الطفيل عن أبى شريحة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون للدابة ثلاث خرجات فى الدهر تخرج أول خرجة بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم يكون زمان طويل ، ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها فى البادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم يكون زمان ، فبينما الناس يوما فى أعظم المساجد عند الله حرمة وأحبها إلى الله تعالى وأكرمها على الله عز وجل يعنى المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى فى ناحية المسجد بين الركن الأسود وباب بنى مخزوم فترفض الناس عنها شتى وتثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله هربا فتنفض عن رءوسهم التراب فتجلو عن وجوههم حتى تظل كأنها الكواكب الدرية ، ثم تذهب فى الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى إن الرجل ليعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : أى فلان الآن تصلى فيلتفت إليها فتسمه فى وجهه ، ثم تذهب فتجاور النار فى ديارهم ويصطحبون فى أسفارهم ويشتركون فى أموالهم يعرف المؤمن من الكافر ، حتى إن الكافر يقول يامؤمن أقضنى ، ويقول المؤمن يا كافر

أقضى . وروى السهيلى أن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أن يريه الدابة التى تكلم الناس ، فأخرجها الله له من الأرض فرأى منظرا أفزعه وهاله . قال : أى رب ردها فردها. قال : والدابة اسمها اقصد كذا ذكره محمد بن الحسن المقرى فى تفسيره انتهى .

روى أنها تخرج حين ينقطع الخير ولا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، ولا يبقى منيب ولا تائب .

وفى الحديث أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول أشراط الساعة ولم يعين الأول منهما وكذلك الدجال ، وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخرها ، والظاهر أن الدابة التى تخرج واحدة . وروى أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها فى الأرض وليست بواحدة فعلى هذا يكون قوله تعالى — دابة — اسم جنس .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها الثعبان الذى كان فى جوف الكعبة واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام ، وأن الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون فالتقمتها الأرض فهى الدابة التى تخرج تكلم الناس ، وتخرج عند الصفا قاله محمد بن الحسن المقرى وهو غريب ، غير أن الرجل من أهل العلم ولذلك حكينا قوله : وقال القرطبى : إنها فصيل ناقة صالح لقوله فى الحديث « تخرج ولها رغاء » والرغاء لا يكون إلا للإبل وهو غريب أيضا .

وفى [الميزان] للذهبى عن جابر الجعفى أنه كان يقول : دابة الأرض على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه . قال : وكان جابر الجعفى شيعيا يرى الرجعة : أى أن عليا رضى الله تعالى عنه يرجع إلى الدنيا . وقال الإمام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه : ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفى ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح . وقال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه : أخبرنى سفيان بن عيينة قال : كنا فى منزل جابر الجعفى فتكلم بشىء فخرجنا مخافة أن يقع علينا السقف . قلت : ومع ذلك روى له أبو داود والترمذى وابن ماجه ، وفاته سنة ست وستين ومائة .

واختلف العلماء فى كيفية خلق الدابة اختلافا كثيرا ، فقيل إنها على خلقة الآدميين ، وقيل جمعت خلق كل حيوان .

(وهنا فائدة) وهى أن المفسرين اختلفوا فى تفسير قوله تعالى — أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم — قيل تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام قاله السدى ، وقيل كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر ، وقيل كلامها ما قاله الله عز وجل — أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون — ويكون كلامها بالعربية .

وروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال : ليست بدابة لهـا ذنب ولكن كالحية ؛ كأنه يشير إلى أنها رجل والأكثرون على أنها دابة .

وروى ابن جريج عن أبى الزبير أنه وصف الدابة فقال : رأسها رأس ثور ، وعيناها عينا خنزير وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمهـا قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا .

وروى الثعلبي عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال « تخرج الدابة من صدع فى الصفا تجرى كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها » .

وروى أيضا عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدابة تخرج من أعظم المساجد حرمة عنـد الله تعالى، بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون فتضطرب الأرض من تحتهم وينشق الصفا ممـا يلى المسعى ، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لايدركها طالب ولايفوتها هارب، تسم الناس مؤمنا وكافرا. أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتترك فى وجهه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر » .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال : إن الدابة لتسمع قرع عصاى هذه .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال . تخرج الدابة من شعب أبى قبيس رأسها فى السحاب ورجلاها فى الأرض .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا . قيل : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لأنه تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين » .

وقيل : إن وجهها وجه رجل وسائر خلقتها كخلقة الطير ، فتكلم من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لايوقنون .

(فرع) أوصى لرجل بدابة حمل على فرس وبغل وحمار لأنها فى اللغة اسم لما دب على وجه الأرض ، ثم قصرها العرف على ذوات الأربع ، والوصية تنزل على العرف وإذا ثبت عرف فى بلد عم جميع البلاد كما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لا يحنث وإن كان الله تعالى قد سماه دابة ، وكما لو حلف لا يأكل خبزا حنث بأكل خبز الأرز فى طبرستان على الأصح هذا هو المنصوص ؟ وقال ابن سريج : إنما ذكر الشافعى هذا على عرف أهل مصر فى ركوبها جميعا واستعمال لفظ الدابة فيها ، إما حيث لايستعمل إلا فى الفرس كالعراق فإنه

لا يعطى سواها ، وقيل إن قاله بمصر لم يعط إلا حمارا قاله فى البحر ، ويدخل فى لفظ الدابة الكبير والصغير والذكر والأنثى والسليم والمعيب . وقال المتولى : لا يعطى إلا ما يمكن ركوبه.

(فرع) يكره دوام الوقوف على الدابة لغير حاجة وترك النزول عنها للحاجة لما فى سنن أبى داود والبيهقى من حديث أبى مريم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فإن الله عز وجل إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وجعل لكم فى الأرض مستقرا فاقضوا عليها حاجاتكم » ويجوز الوقوف على ظهرها للحاجة ريثما تقضى ، لما روى مسلم وأبو داود والنسائى عن أم الحصين الأحمسية رضى الله تعالى عنها قالت « حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا رضى الله تعالى عنهما أحدهما آخذ بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وهكذا » رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححاه . وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فى الفتاوى الموصلية : النهى عن ركوب الدواب وهى واقفة محمول على ما إذا كان لغير غرض صحيح ، وأما الركوب الطويل فى الأغراض الصحيحة فتارة يكون مندوبا كالوقوف بعرفة وتارة يكون واجبا كوقوف الصفوف فى قتال المشركين وقتال كل من يجب قتاله ، وكذلك الحراسة فى الجهاد إذا خيف هجمة العدو وهذا لا خلاف فيه ، وفى حديث أم الحصين رضى الله تعالى عنها دليل على أن للمحرم أن يستظل بالمظال نازلا بالأرض وراكبا على ظهر الدابة ، ورخص فيه أكثر أهل العلم إلا أن مالك بن أنس وأحمد رضى الله تعالى عنهما كانا يكرهان للمحرم أن يستظل راكبا لما روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه رأى رجلا قد جعل على رحله عودا له شعبتان وجعل عليه ثوبا يستظل به وهو محرم ، فقال له ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : أضح للذى أحرمت له : أى ابرز للشمس . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور الدواب منابر » فإنما أراد أن يستوطن ظهورها لغير أرب فى ذلك ولا حاجة . وقال الرياشى : رأيت أحمد بن المعدل فى الموقف فى يوم شديد الحر وقد ضحى للشمس ، فقلت له : يا أبا الفضل إن هذا أمر قد اختلف فيه ، فلو أخذت بالتوسعة فأنشأ يقول :

ضحيت له كى أستظل بظله ... إذا الظل أضحى فى القيامة قالصا

فوا أسفا إن كان سعيك باطلا ... وياحسرتا إن كان حجك ناقصا

وأحمد بن المعدل هذا بصرى مالكى المذهب يعدّ من زهاد البصرة وعلمائها ، وأخوه عبد الصمد بن المعدل شاعر ماهر .

﴿ الدواجن ﴾ : الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم وكذلك الناقة والحمام البيوتى ، والأنثى داجنة والجمع دواجن . وقال أهل اللغة : دواجن البيوت ما ألفها من الطير والشاة وغيرهما وقد دجن فى بيته إذا لزمه . قال ابن السكيت : شاة داجن وراجن إذا ألفت البيوت، واستأنست . قال : ومن العرب من يقولها بالهاء وكذلك غير الشاة ككلاب الصيد ، وقد أنشد عليه الجوهرى بيتا للبيد رضى الله تعالى عنه . قال : وأبو دجانة كنية سماك بن خرشة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكره فى القنفذ .

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن ميمونة أخبرته أن داجنة كانت لبعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم فماتت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخذتم إهابها فاستمتعتم به » .

وفيه وفى السنن الأربعة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا ولقد كانت فى صحيفة تحت سريرى ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها » وفى حديثها أيضا « كانت عندنا داجن فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا قر وثبت وإذا خرج صلى الله عليه وسلم جاء وذهب » وفى الحديث « لعن الله من مثل بدواجنه » .

وعن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال « كانت العضباء داجنا لا تمنع من حوض ولا بيت وهى ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وفى حديث الإفك « فتدخل الداجن فتأكل من عجينها » .

(تتمة) دجين بن ثابت أبو الغصن اليربوعى البصرى روى عن أسلم مولى عمرو بن هشام ابن عروة بن الزبير . قال ابن معين : حديثه ليس بشىء . وقال أبو حاتم وأبو زرعة : ضعيف . وقال النسائى : ليس بثقة . وقال الدارقطنى وغيره : ليس بالقوى . وقال ابن عدى : روى لنا عن ابن معين أنه قال : دجين هو جحا . وقال البخارى : دجين بن ثابت هو أبو الغصن سمع مسلمة وابن المبارك ، وروى عنه وكيع . قال عبد الرحمن بن مهدى . قال لنا مرة دجين وهو جحا . حدثنى مولى لعمر بن عبد العزيز ، فقلنا له : إن مولى لعمر بن عبد العزيز لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما هو أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . قال : قلنا لعمر : ما بالك لا تحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إنما أخشى أن أزيد أو أنقص ، وإنى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال حمزة والميدانى فى الأمثال : جحا رجل من فزارة كنيته أبو الغصن وهو من أحمق الناس ، فمن حمقه أن موسى بن عيسى الهاشمى مر به يوما وهو يحفر بظهر الكوفة موضعا فقال

له : ما بالك يا أبا الغصن لأى شىء تحفر ؟ فقال : إنى دفنت فى هذه الصحراء دراهم ولست أهتدى إلى مكانها ، فقال له موسى : كان ينبغى أن تجعل عليها علامة . قال : لقد فعلت . قال : ماذا ؟ قال : سحابة فى السماء كانت تظلها ولست أدرى موضع العلامة الآن .

ومن حمقه أيضا أنه خرج يوما بغلس فعثر فى دهليز منزله بقتيل فألقاه فى بئر هناك فعلم به أبوه فأخرجه ودفنه ثم خنق كبشا وألقاه فى البئر ، ثم إن أهل القتيل طافوا فى سكك الكوفة يبحثون عنه فتلقاهم جحا وقال : فى دارنا رجل مقتول فانظروا لعله صاحبكم فغدوا إلى منزله فأنزلوه فى البئر ، فلما رأى الكبش ناداهم هل كان لصاحبكم قرون ؟ فضحكوا منه وانصرفوا .

ومن حمقه أيضا أن أبا مسلم الخراسانى صاحب الدعوة لما ورد الكوفة قال لمن حوله : أيكم يعرف جحا فيدعوه إلى ؟ فقال يقطين : أنا ، فخرج ودعاه ، فلما دخل لم يجد فى المجلس غير أبى مسلم ويقطين ، فقال جحا : يايقطين أيكما أبو مسلم ؟ وجحا اسم لا ينصرف لأنه معدول من حاج مثل عمر من عامر يقال جحا يجحو جحوا إذا رمى .

﴿ الدارم ﴾ : القنفذ قاله ابن سيده ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف .

﴿ الدبى ﴾ : بفتح الدال المهملة وتخفيف الباء الموحدة الجراد قبل أن يطير الواحدة دباة قال الراجز :

كأن خوق قرطها المعقوب على دباة أو على يعسوب

وأرض مدبية : أى كثيرة الدبى ، وقالوا فى أمثالهم : أكثر من الدبى ، وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «يا رسول الله كيف الناس بعد ذلك؟ قال صلى الله عليه وسلم دبى يأكل شداده ضعفاءه حتى تقوم الساعة » وقد تقدم الكلام على عموم الجراد .

﴿ الدب ﴾ : من السباع معروف ، والأنثى دبة ، وكنيته : أبو جهينة وأبو الحلاج وأبو سلمة وأبو حميد وأبو قتادة وأبو اللماس ، وأرض مدبة : أى ذات أدباب .

والدب يحب العزلة ، فإذا جاء الشتاء دخل وجاره الذى اتخذه فى الغيران ولا يخرج حتى يطيب الهواء ، وإذا جاع يمتص يديه ورجليه فيندفع عنه بذلك الجوع ويخرج فى الربيع كأسمن ما يكون وهو مختلف الطباع لأنه يأكل ما تأكله السباع وما ترعاه البهائم وما يأكله الناس . ومن طبعه أنه إذا كان أوان السفاد خلا كل ذكر بأنثاه ، والذكر يسافد أنثاه مضطجعة على الأرض .

وتضع الأنثى جروها قطعة لحم غير مميز الجوارح فتهرب به من موضع إلى موضع خوفا عليه من النمل كما تقدم فى جهبر . وهى مع ذلك تلحسه حتى تتميز أعضاؤه وينفس .

وفى ولادتها صعوبة وربما أشرفت على التلف حالة الوضع . وزعم بعضهم أنها تلد من فيها وإنما تلده ناقص الخلق تشوقا للذكر وحرصا على السفاد ، ولشدة شهوتها تدعو الآدمى إلى وطئها ، ومن شأن هذا الجنس أن يسمن فى الشتاء وتقل فيه حركته وتضع الإناث حينئذ .

وإذا جثم فى مكان لا يتحرك منه إلى أن يمضى عليه أربعة عشر يوما ، وبعد ذلك يتدرج فى الحركة .

والأنثى إذا انهزمت دفعت جراءها بين يديها ، فإذا اشتد خوفها عليها صعدت بها الأشجار . وفى طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب لكنه لا يطيع معلمه إلا بعنف وضرب شديد.

(وحكمه) تحريم الأكل لأنه سبع يتقوى بنابه . وقال الإمام أحمد : إن لم يكن له ناب فلا بأس به لأن الأصل الإباحة ولم يتحقق وجود المحرم .

(فائدة) قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى آخر الأذكياء : هرب رجل من أسد فوقع فى بئر فوقع الأسد خلفه فإذا فى البئر دب ، فقال له الأسد : منذ كم لك ها هنا ؟ قال : منذ أيام وقد قتلنى الجوع ، فقال له الأسد : أنا وأنت نأكل هذا الإنسان وقد شبعنا ، فقال له الدب : فإذا عاودنا الجوع ما نصنع وإنما الرأى أن نحلف له أنا لا نؤذيه ليحتال فى خلاصنا وخلاصه فإنه على الحيلة أقدر منا ، فحلفا له فتشبث حتى وجد نقبا فوصل إليه ثم إلى الفضاء فتخلص وخلصهما . ومعنى هذا أن العاقل لا يترك الحزم فى كل أمور ولا يتبع شهوته لاسيما إذا علم أن فيها هلاكه بل ينظر فى عاقبة أمره ويأخذ بالحزم فى ذلك .

وحكى القزوينى فى [عجائب المخلوقات] أن أسدا قصد إنسانا فهرب والتجأ إلى شجرة فإذا على بعض أغصانها دب يقطف ثمراتها ، فلما رأى الأسد أنه فوق الشجرة جاء وافترش تحتها ينتظر نزول الإنسان . قال : فنظرت إلى الدب فإذا هو يشير بأصبعه إلى فيه أن اسكت لئلا يعرف الأسد أنى هنا . قال : فبقيت متحيرا بين الأسد والدب ، وكان معى سكين صغير فأخرجته وقطعت بعض الغصن الذى عليه الدب حتى إذا لم يبق منه إلا اليسير سقط الدب بسبب ثقله ، فوثب الأسد عليه وتصارعا زمانا ثم غلبه الأسد فافترسه ورجع عنى .

(الأمثال) تقدم أنهم قالوا : أحمق من جهير وهى أنثى الدب .

وأما قولهم : ألوط من دب . فهو رجل من العرب كان يتجاهر بعمل ذلك .

وأما قولهم : ألوط من ثفر فإنما قالوه لأن الثفر لا يفارق دبر الدابة ، وقولهم : ألوط من راهب هذا من قول الشاعر :

وألوط - من راهب يدّعى بأن النساء عليه حرام

(الخواص) نابه يلقى فى لبن المرضعة ويستقاه الصبى تنبت أسنانه بسهولة . وشحمه يزيل البرص طلاء .

وإذا شدت عينه اليمنى فى خرقة وعلقت على عضد إنسان لم يخف السباع ، وإن علقت على من به الحمى الدائمة أبرأته .

ومرارته إذا اكتحل بها مع العسل وماء الرازيانج أذهبت ظلمة البصر ، وإذا طلى بذلك موضع داء الثعلب أنبت الشعر فيه .

وإذا شرب من مرارته وزن دانقين بعسل وماء حار نفع الرئة والبواسير وطرد الرياح ، وإذا ربطت مرارته على فخذ الرجل اليمنى جامع ما شاء ولا يضره .

ودمه إذا اكتحل به منع طلوع الشعر فى أجفان العين ، وإن اكتحل بعد نتفه لم ينبت .

وإذا ذلك الولد بشحمه كان له حرزا من كل سوء ، وإذا حشى بشحمه موضع الناسور نفعه ، وإذا طلى بشحمه كلب جن .

وقطعة من جلده إذا علقت على الصبى الذى ساء خلقه يزول عنه ذلك ، وعينه اليمنى إذا جففت وعلقت على الطفل لم يفزع فى نومه .

(التعبير) الدب فى المنام : يدل على الشر والنكد والفتنة ، وربما دلت رؤيته على المكر والخديعة وعلى المرأة الثقيلة البدن الموحشة المنظر ذات اللهو واللعب والطرب ، وربما دلت رؤيته على الأسر والسجن ، وربما دلت رؤيته على عدو أحمق لص محتال مخنث ، فمن رأى أنه ركب دبا نال ولاية دنيئة إن كان لها أهلا وإلا ناله هم وخوف ثم ينجو ، وربما دل على سفر ثم يرجع إلى مكانه ، والله تعالى أعلم .

﴿ الدبدب ﴾ : حمار الوحش قاله فى العباب ، وقد تقدم الكلام عليه فى باب الحاء المهملة .

﴿ الدبر ﴾ : بفتح الدال جماعة النحل . وقال السهيلى : الدبر الزنانير ، وأما الدبر بكسر الدال فصغار الجراد . قال الأصمعى : لا واحد له من لفظه ويقال إن واحده خشرمة ويجمع الدبر على دبور . قال الهذلى فى وصف عسال : « إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها » أى لم يخف لسعها ، وبه فسر قوله تعالى — فمن كان يرجو لقاء ربه — وقوله تعالى — من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت — أى من كان يخاف لقاءه . قال النحاس : أجمع أهل التفسير على أن الرجاء فى الآيتين بمعنى الخوف ، ويقال أيضا للزنابير دبر كما قاله السهيلى ، ومنه قيل لعاصم ابن ثابت الأنصارى رضى الله تعالى عنه حمى الدبر . وذلك أن المشركين لما قتلوه أرادوا أن يمثلوا به فحماه الله تعالى بالدبر فارتدعوا عنه حتى أخذه المسلمون فدفنوه ، وكان رضى الله تعالى عنه قد عاهد الله تعالى أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فحماه الله تعالى منهم بعد وفاته .

وفى أوائل تاريخ نيسابور للحاكم عن ثمامة بن عبد الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه

وهو ممن روى له الجماعة أنه قال : خرجنا مرة من خراسان ومعنا رجل يشتم أو ينال من أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فنهيناه فأبى ، فحضر غداؤنا ذات يوم ثم مضى إلى حاجته فأبطأ علينا فبعثنا فى طلبه فرجع إلينا الرسول وقال : أدركوا صاحبكم ، فذهبنا إليه فإذا هو قد قعد على جحر يقضى حاجته فخرج عليه عنق من الدبر فنثرت مفاصله مفصلا مفصلا . قال : فجمعنا عظامه وإنها لتقع علينا فما تؤذينا وهى تبرى مفاصله ، وجاء فى الحديث « لتسلكن سنن من قبلكم ذراعا بذراع حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه » والخشرم مأوى النحل .

وفى الفائق : أن سكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما جاءت إلى أمها الرباب وهى صغيرة تبكى، فقالت : ما بك؟ قالت: مرت بى دبيرة فلسعتنى بأبيرة . أرادت تصغير دبرة وهى النحلة سميت بذلك لتدبيرها فى عمل العسل .

﴿ الدبسى ﴾ : بفتح الدال المهملة وكسر السين المهملة ، ويقال له أيضا الدبسى بضم الدال : طائر صغير منسوب إلى دبس الرطب لأنهم يغيرون فى النسب كالدهرى والسهيلى والفامى بائع الفوم والقياس فومى ، والأدبس من الطير والخيل الذى فى لونه غبرة بين السواد والحمرة .

وهذا النوع قسم من الحمام البرى وهو أصناف مصرى وحجازى وعراقى ، وهى متقاربة لكن أفخرها المصرى ولونه الدكنة ، وقيل هو ذكر اليمام .

قال الجاحظ : قال صاحب منطق الطير : يقال فى الحمام الوحشى من القمارى والفواخت وما أشبه ذلك دباسى ، ويقال هدل يهدل هديلا إذا صاح ، فإذا طرد قيل غرد يغرد تغريدا ، والتغريد يكون أيضا للإنسان وأصله من الطير ، وبعضهم يزعم أن الهديل من أسماء الحمامة الذكر . قال الراجز :

كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا

وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر الهديل فى باب الهاء .

روى الإمام أحمد والطبرانى ورجال المسند رجال الصحيح عن يحيى بن عمارة عن جده حنش قال : دخلت الأصواف فأخذت دبسيتين وأمهما ترفرف عليهما وأنا أريد أن أذبحهما . قال : فدخل على أبو حنش فأخذ متيخة فضربنى بها وقال : ألم تعلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتى المدينة » المتيخة أصل جريدة النخل وأصل العرجون والأصواف ، سيأتى إن شاء الله تعالى ذكره فى النهاس أيضا فى باب النون .

وفى الموطإ عن عبد الله بن أبى بكر « أن أبا طلحة الأنصارى رضى الله عنه كان يصلى

فى حائط له فطار دبسى فأعجبه وهوطائر فى الشجر يلتمس مخرجا، فأتبعه بصره ساعة وهو فى صلاته فلم يدر كم صلى ، فذكر للنبى صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال : يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت » قال مالك :وعن عبد الله بن أبى بكر« أن رجلا من الأنصار كان يصلى فى حائط له بالقف فى زمن التمر والنخل قد ذللت فهى مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدرى كم صلى فقال : لقد أصابتنى فى مالى هذا فتنة ، فجاء عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك وقال : هو صدقة فاجعله فى سبيل الخير ، فباعه عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بخمسين ألفا فسمى ذلك الحائط الخمسون » والقف واد من أودية المدينة .

وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لايعجبه شئ من ماله إلا خرج عنه لله تعالى ، وكان رقيقه يعرفون منه ذلك فربما لزم أحدهم المسجد فإذا رآه ابن عمر رضى الله تعالى عنهما على تلك الحالة الحسنة أعتقه ، فيقول له أصحابه : إنهم يخدعونك ، فيقول : من خدعنا بالله تعالى انخذعنا له ، وطلب منه خادم بثلاثين ألفا فقال: أخاف أن تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له ، فقال للخادم : اذهب فأنت حر لله تعالى ، ولذلك قال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، ولم يمت إلى أن أعتق ألف نسمة أو أكثر من ذلك، ومناقبه وقضائه رضى الله تعالى عنه لا تحصى. قال حجة الإسلام الغزالى : وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكرة وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة ، وهذا هو الداء القاطع لمادة العلة ولا يغنى غيره .

ومن طبع الدبسى أنه لايرى ساقطا على وجه الأرض، بل فى الشتاء له مشتى وفى الصيف له مصيف ؛ ولا يعرف له وكر .

(وحكمه) الحل بالاتفاق .

وفى سنن البيهقى عن ابن أبى ليلى عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال فى الخضرى والدبسى والقمرى والقطا والحجل إذا قتله المحرم شاة شاة .

(الخواص) قال صاحب المنهاج فى الطب : إنه أفضل الطير البرى وبعده الشحرور والسمانى ثم الحجل والدراج وفراخ الحمام والورشان وهو حمار يابس . والدباساء ممدودا الأنثى من الجراد .

(وهو فى المنام) كالسمانى، وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام عليهما فى باب السين المهملة فلينظر هناك .

﴿ الدجاج ﴾ : مثلث الدال حكاه ابن معن الدمشقى وابن مالك وغيرهما الواحدة دجاجة الذكر والأنثى فيه سواء والهاء فيه كبطة وحمامة . قال ابن سيده : سميت الدجاجة دجاجة

لإقبالها وإدبارها يقال دج القوم يدجون دجا ودجيجا إذا مشوا مشيارويدا فى تقارب خطو وقيل هو أن يقبلوا ويدبروا . وقال الأصمعى : الدجاجة بالفتح الواحدة من الدجاج ، وبالكسر الكبة من الغزل . وقال غيره ، الكبة من الغزل دجاجة بفتح الدال أيضا قاله الإمام ابن بيدار فى شرح الفصيح .

وكنية الدجاجة : أم الوليد وأم حفصة وأم جعفر وأم عقبة وأم إحدى وعشرين وأم قوب وأم نافع ، وإذا هرمت الدجاجة لم يكن لبيضها مخ وإذا كانت كذلك لم يخلق منها فرخ . ومن عجيب أمرها أنه يمر بها سائر السباع فلا تخشاها فإذا مر بها ابن آوى وهى على سطح أو جدار أو شجرة رمت بنفسها إليه .

وتوصف الدجاجة بقلة النوم وسرعة الانتباه. يقال إن نومها واستيقاظها إنما هو بمقدار خروج النفس ورجوعه، ويقال إنها تفعل ذلك من شدة الجبن وأكثر ماعندها من الحيلة أنها لا تنام على الأرض بل ترتفع على رف أو على جذع أو جدار أو ما قارب ذلك ، وإذا غربت الشمس فزعت إلى تلك العادة وبادرت إليها .

والفرخ يخرج من البيضة كاسيا كاسبا ظريفا مقبولا سريع الحركة يدعى فيجيب، ثم هو كلما مرت عليه الأيام حمق ونقص حسنه وكيسه وزاد قبحه ، فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ماكان فيه إلى أن يصير إلى حالة لايصلح فيها إلا للذبح أو الصياح أو البيض .

والدجاج مشترك الطبيعة يأكل اللحوم والذباب وذلك من طباع الجوارح ، ويأكل الخبز ويلتقط الحب وذلك من طباع البهائم والطير .

ويعرف الديك من الدجاجة وهو فى البيضة وذلك أن البيضة إذا كانت مستطيلة محدودة الأطراف فهى مخرج الإناث وإذا كانت مستديرة عريضة الأطراف فهى مخرج الذكور ، والفرخ يخرج من البيضة تارة بالحضن وتارة بأن يدفن فى الزبل ونحوه .

ومن الدجاج ما يبيض مرتين فى اليوم ، والدجاجة تبيض فى جميع السنة إلا فى شهرين منها شتويين ، ويتم خلق البيض فى عشرة أيام ، وتكون البيضة عند خروجها لينة القشر فإذا أصابها الهواء يبست، وهى تشتمل على بياض وصفرة بينهما قشر رقيق يسمى قميصا ويغلوه قشر صلب، فالبياض رطوبة مختلطة لزجة متشابهة الأجزاء وهى بمنزلة المنى ،والصفرة رطوبة سلسة ناعمة أشبه شىء بدم قد جمد وهى للفرخ مادة يتغذى بها من سرته .

والذى يتكون من الرطوبة البيضاء عين الفرخ ثم دماغه ثم رأسه ثم ينحاز البياض فى لفافة واحدة هى جلدة الفرخ وتنحاز الصفرة فى غشاء واحد هى سرته فيتغذى منها كتغذى الجنين من سرته من دم الحيض ، وربما وجد فى البيضة الواحدة فرخان أصفران فإذا حضنت هذه البيضة خرج منها فرخان وقد شوهد ذلك، وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة وأقله غذاء

ما كان من دجاج لاديك لها وهذا النوع من البيض لايتولد منه حيوان ولا مما يباض فى نقصان القمر على الأكثر ، لأن البيض من الاستهلال إلى الإبدار يمتلئ ويرطب فيصلح للكون وبالضد من الإبدار إلى المحاق . ويعرف الفرخ الذكر من الأنثى بعد عشرة أيام بأن يعلق بمنقاره فإن تحرك فذكر وإن سكن فأنثى .

وقد وصف الشعراء البيضة بأوصاف مختلفة منها قول أبى الفرج الأصبهانى من أبيات :

فيها بدائع صنعة ولطائف ألفن بالتقدير والتعليق
خلطان مائيان ما اختلطا على شكل ومختلف المزاج رقيق

روى ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر الأغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال : عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله تعالى بهلاك القرى » وفى إسناده على بن عروة الدمشقى . قال ابن حبان : كان يضع الحديث قال عبد اللطيف البغدادى : إنما أمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج لأنه أمر كل قوم بحسب مقدرتهم وما تصل إليه قوتهم ، والقصد من ذلك كله أن لا يقعد الناس عن الكسب وإنماء المال وعمارة الدنيا وأن لا يدعو التسبب فإن ذلك يوجب التعفف والقناعة وربما أدى إلى الغنى والثروة وترك الكسب ، والإعراض عنه يوجب الحاجة والمسئلة للناس والتكفف منهم وذلك مذموم شرعا ، وأما قوله عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله تعالى بهلاك القرى يعنى أن الأغنياء إذا ضيقوا على الفقراء فى مكاسبهم وخالطوهم فى معايشهم تعطل سببهم وهلكوا ، وفى هلاك الفقراء بوار ، وفى ذلك هلاك القرى وبوارها .

وفى آخر البخارى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تلك الكلمة من الحق يختطفها الجنى فيقرقرها فى أذن وليه كقرقرة الدجاجة » وذكر الإمام العلامة أبو الفرج بن الجوزى فى [الأذكياء] عن أحمد بن طولون صاحب مصر أنه جلس يوما فى منتزه له يأكل مع ندمائه فرأى سائلا وعليه ثوب خلق ، فوضع يده فى رغيف ودجاجة وقطعة لحم وفالوذج وأمر بعض الغلمان بمناولته ، فأخذ ذلك الغلام وذهب به إلى السائل ورجع فذكر أنه ماهش له ولا بش ، فقال ابن طولون للغلام : ائتنى به فأحضره بين يديه فاستنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته ، فقال له : أحضر لى الكتب التى معك وأصدقنى عمن بعث بك فقد صح عندى أنك صاحب خبر ، وأحضر السياط فاعترف له بذلك ، فقال بعض من حضر هذا : والله السحر ، فقال أحمد : ما هو بسحر ولكنه قياس صحيح وفراسة ، وذلك أنى لما رأيت سوء حاله وجهت إليه بطعام يشره إلى أكله الشبعان فما هش ولا بش ولا مد يده إليه ، فأحضرته وخاطبته فتلقانى بقوة جأش وجواب حاضر ، فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جأشه وسرعة جوابه علمت أنه صاحب خبر انتهى .

وقال ابن خلكان فى ترجمته : كان أبو العباس أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ملكا عادلا شجاعا متواضعا حسن السيرة يحب أهل العلم كريما له مائدة يحضرها الخاص والعام كثير الصدقة ، نقل أنه قال له وكيله يوما : إن المرأة تأتينى وعليها الإزار الرفيع وفى يدها الخاتم الذهب فتطلب منى أفأعطيها ؟ فقال له : من مده إليك فأعطه وكان يحفظ القرآن ورزق حسن الصوت فيه وكان مع ذلك طائش السيف سفاك الدماء، قيل إنه أحصى من قتله صبرا ومن مات فى حبسه فكان ثمانية عشر ألفا توفى سنة سبعين ومائتين بزلق الأمعاء ، ويقال إن طولون تبناه ولم يكن ابنه . وروى أن رجلا كان يواظب القراءة على قبره ، فرآه ذات ليلة فى المنام فقال : أحب منك أن لاتقرأ علىّ . قال : ولم ؟ قال لأنه لاتمر بى آية إلا قرعت بها ، ويقال لى أما سمعت هذه أما مرت بك هذه اه .

وروى الإمام الحافظ ابن عساكر فى تاريخه : أن سليمان بن عبدالملك رحمه الله تعالى كان نهما فى الأكل ، وقد نقل عنه فيه أشياء غريبة . فمنها : أنه اصطبح فى بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية وأربعين بيضة وأربعا وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة، ثم أكل مع الناس على السماط العام .

ومنها : أنه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد أمر قيمه أن يجنى ثماره ويستطيب له وكان معه أصحابه فأكل القوم حتى اكتفوا واستمر هو يأكل فأكل أكلا ذريعا ، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها، ثم أقبل على الفاكهة فأكل أكلا ذريعا ، ثم أتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما ثم مال إلى الفاكهة فأكل أكلا ذريعا، ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوء سمنا وسويقا وسكرا فأكله أجمع ، ثم سار إلى دار الخلافة وأتى بالسماط فما نقص من أكله شىء . ومنها : أنه حج فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمانة وخروفا وست دجاجات وأتى بمكوك زبيب طائفى فأكله أجمع .

وقيل : إنه كان له بستان فجاء رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال فاستؤذن فى ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم أذن فى ضمانه ، فلما قيل للضامن احمل المال قال : كان ذلك قبل أن يدخله أمير المؤمنين .

قيل : كان سبب مرضه أنه أكل أربعمائة بيضة وثمانمائة حبة تين وأربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة، فحمّ وفشت الحمى فى عسكره ، وكان موته بالتخمة رحمة الله تعالى عليه فى مرج دابق .

(فائدة) ذكر بعض العلماء : أن من أكل كثيرا وخاف على نفسه من التخمة فليمسح على بطنه بيده وليقل : الليلة ليلة عيدى يا كرشى ورضى الله عن سيدى أبى عبد الله القرشى يفعل ذلك ثلاثا فإنه لا يضره الأكل ، وهو عجيب مجرب .

وقد روينا بأسانيد شتى من طرق مختلفة : أن امرأة جاءت بولدها إلى سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله روحه وقالت : إنى رأيت قلب ابنى هذا شديد التعلق بك وقد خرجت عن حق فيه لله عز وجل ولك فاقبله، فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق فدخلت عليه أمه يوما فوجدته نحيلا مصفرا من آثار الجوع والسهر ووجدته يأكل قرصا من الشعير ، فدخلت إلى الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مصلوقة قد أكلها فقالت : يا سيدى تأكل لحم الدجاج ويأكل ابنى خبز الشعير ، فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال : قومى بإذن الله تعالى الذى يحيى العظام وهى رميم ، فقامت دجاجة سوية وصاحت فقال الشيخ : إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء .

وذكر ابن خلكان أيضا فى ترجمة الهيثم بن عدى: أن رجلا من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائبا ، وكان الرجل مترفا فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوجت امرأته ، فبينما الزوج الثانى يأكل وبين يديه دجاجة مشوية إذا جاءه سائل فقال لامرأته : ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرت زوجها الثانى بالقصة ، فقال الزوج الثانى : وأنا والله ذلك المسكين الأول خولنى الله نعمته وأهله لقلة شكره .

وقال الهيثم : خرجت فى سفر على ناقة فأمسيت عند خيمة أعرابى فنزلت ، فقالت ربة الخباء : من أنت ؟ فقلت : ضيف . قالت: وما يصنع الضيف عندنا إن الصحراء لواسعة ، ثم قامت إلى برّ فطحنته وعجنته وخبزته ثم قعدت تأكل ، فلم ألبث أن جاء زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال : من الرجل ؟ قلت : ضيف . قال : أهلا وسهلا حياك الله ، وملأ قعبا من لبن وسقانى ثم قال : ما أراك أكلت شيئا وما أراها أطعمتك ؟ فقلت : لا والله فدخل عليها مغضبا وقال : ويلك أكلت وتركت الضيف ؟ قالت : وما أصنع به أطعمه طعامى ؟ وزاد بينهما الكلام فضربها حتى شجها، ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتى فنحرها فقلت : ماصنعت عافاك الله ؟ فقال : والله لا يبيت ضيفى جائعا ، ثم جمع حطبا وأجج نارا وأقبل يشوى ويطعمنى ويأكل ويلقى إليها ويقول : كلى لا أطعمك الله حتى إذا أصبح تركنى ومضى ، فقعدت مغموما ، فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير مايسأم الناظر من النظر إليه وقال : هذا مكان ناقتك ، ثم زودنى من ذلك اللحم ومما حضره وخرجت من عنده ، فضمنى الليل إلى خيمة أعرابى فسلمت فردت صاحبة الخباء علىّ السلام وقالت من الرجل؟ قلت : ضيف . فقالت : مرحبا بك حياك الله وعافاك ، فنزلت ثم عمدت إلىّ بر فطحنته وعجنته وخبزته ثم روت ذلك بالزبد واللبن ووضعته بين يدى ومعه دجاجة مشوية وقالت : كل واعذر ، فلم ألبث إذ أقبل أعرابى كريه المنظر فسلم فرددت عليه السلام فقال : من الرجل ؟قلت: ضيف

قال : وما يصنع الضيف عندنا ؟ ثم دخل إلى أهله وقال : أين طعامى ؟قالت : أطعمته للضيف فقال : أتطعمين طعامى للأضياف ؟ ثم تكالما فضربها فشجها فجعلت أضحك فخرج إلى وقال : ما يضحكك ؟ فأخبرته بقصة الرجل والمرأة اللذين نزلت عندهما قبله ، فأقبل على وقال : إن هذه المرأة التى عندى أخت ذلك الرجل وتلك المرأة التى عنده أختى . قال : فنمت ليلتى متعجبا فلما أن أصبحت انصرفت .

(الحكم) يحل أكل الدجاج لأنه من الطيبات لما روى الشيخان والترمذى والنسائى عن زهدم بن مضرب الجرمى قال « كنا عند أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فدعا بمائدة عليها لحم دجاج ، فدخل رجل من بنى تيم الله أحمر شبيه بالموالى فقال له هلم فتلكأ فقال هلم فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منه . وفى لفظ : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يأكل دجاجة » وهذا الرجل إنما تلكأ لأنه رآه يأكل العذرة فقذره ، ويحتمل أن يكون تردد لالتباس الحكم عليه أو لم يكن عنده دليل فتوقف حتى يعلم حكم الله تعالى ، وقد جاء النهى عن لبن الجلالة ولحمها وبيضها . وفى الكامل والميزان فى ترجمة غالب بن عبيد الله الجزرى وهو متروك عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياما ثم يأكلها بعد ذلك » .

وفى فتاوى القاضى حسين : لو قال رجل لامرأته : إن لم تبيعى هذه الدجاجات فأنت طالق فقتلت واحدة منهن طلقت لتعذر البيع ، وإن جرحتها ثم باعتها، فإن كانت بحيث لو ذبحت لم تحل لم يصح البيع ووقع الطلاق وإلا فتنحل اليمين .

(فرع) لا يجوز بيع دجاجة فيها بيض ببيض كما لا يجوز بيع شاة فى ضرعها لبن بلبن ويحرم بيع الحنطة بدقيقها والسمسم بكسبه وما أشبه ، لأنه يحرم بيع مال الربا بأصله المشتمل عليه .

(فرع) البيضة التى فى جوف الطائر الميت فيها ثلاثة أوجه حكاها الماوردى والرويانى والشاشى ، أصحها وهو قول ابن القطان وأبى الفياض وبه قطع الجمهور : إن تصلبت فطاهرة وإلا فنجسة ، والثانى طاهرة مطلقا وبه قال أبو حنيفة لتميزها عنه فصارت بالولد أشبه ، والثالث نجسة مطلقا وبه قال مالك لأنها قبل الانفصال جزء من الطائر ، وحكاه المتولى عن نص الشافعى رضى الله تعالى عنه وهو منقل غريب شاذ ضعيف ، وقال صاحب الحاوى والبحر فلو وضعت هذه البيضة تحت طائر فصارت فرخا كان الفرخ طاهرا على الأوجه كلها كسائر الحيوان ولا خلاف أن ظاهر البيضة نجس . وأما البيضة الخارجة فى حال حياة الدجاجة فهل يحكم بنجاسة ظاهرها ؟ فيه وجهان حكاهما الماوردى والرويانى والبغوى وغيرهم بناء على الوجهين فى نجاسة رطوبة فرج المرأة . قال فى المهذب : إن المنصوص نجاسة رطوبة فرج

المرأة . وقال الماوردى : إن الشافعى رضى الله تعالى عنه قد نص فى بعض كتبه على طهارتها ثم حكى التنجيس عن ابن سريج ، فلخص الخلاف فيها قولان لا وجهان. وقال الإمام النووى رطوبة الفرج طاهرة مطلقا سواء كان الفرج من بهيمة أو امرأة وهو الأصح ، وإذا فرعنا على نجاسة رطوبة الفرج فنقل النووى فى شرح المهذب عن فتاوى ابن الصباغ ولم يخالفه أن المواود لا يجب غسله إجماعا . وقال فى آخر باب الآنية من الشرح المذكور : إن فيه وجهين حكاهما الماوردى والرويانى وقد حكاهما الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه ، ورأيت فى الكافى للخوارزمى أن الماء لا ينجس بوقوعه فيه فيحتمل أن يكون الخلاف مفرعا على القول القديم بعدم وجوب الغسل لكونه نجسا معفوا عنه ، وأما إذا انفصل الولد حيا بعدموتها فعينه طاهرة بلا خلاف ويجب غسل ظاهره بلا خلاف ، وأما البلل الخارج مع الولد أو غيره فنجس كما جزم به الرافعى فى الشرح الصغير والنووى فى شرح المهذب . وقال الإمام : لا شك فيه . وأما الرطوبة الخارجة من باطن الفرج فانها نجسة كما تقدم ، وإنما قلنا بطهارة ذكر المجامع ونحوه على ذلك القول لأنا لا نقطع بخروجها قال فى الكفاية ، والفرق بين رطوبة فرج المرأة ورطوبة باطن الذكر لأنها لزجة لا تنفصل بنفسها ولا تمازج سائر رطوبات البدن فلا حكم لها . قلت : والرطوبة هى ماء أبيض متردد بين المذى والعرق كما قاله فى شرح المهذب وغيره وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على الجلالة من الدجاج وغيره فى باب السين المهملة فى حكم السخلة ، والله الموفق .

(الأمثال) قالوا : أعطف من أم إحدى وعشرين وهى الدجاجة كما تقدم .

(الخواص) لحم الدجاج معتدل الحرارة جيد . وأكل لحم الفتى من الدجاج يزيد فى العقل والمنى ويصفى الصوت لكنه يضر بالمعدة والمرتاضين . ودفع مضرته أن يتناول بعده شراب العسل وهو يولد غذاء معتدلا يوافق من الأمزجة المعتدلة ومن الإنسان الفتيان ومن الأزمان الربيع .

واعلم أن الدجاج المعتدلة الغذاء ليست حارة مستحيلة إلى الصفراء ولا باردة مولدة للبلغم ولا أعلم من أين أجمعت العامة والأطباء الأغمار على مضرتها بالنقرس وتوليدها له والقائلون بذلك لعلهم معتقدون بالخاصية فحسب لا غير ، وهى محسنة للون وأدمغتها تزيد فى الأدمغة والعقل وهى من أغذية المترفهين لاسيما من قبل أن تبيض . وأما بيضها فحار مائل إلى الرطوبة واليبس وقال بياروق : بياضه بارد رطب وصفرته حارة جيدة للكباد والطرى منفعته تزيد فى الباه لكنه إذا أدمن أكله يولد كلفا وهو بطىء الهضم ، ودفع ضرره بالاقتصار على صفرته وهو يولد خلطا محمودا .

واعلم أن أجود البيض للانسان بيض الدجاج والدراج إذا كانا طريين معتدلى النضج ،

فإن الصلب إما أن يتخم أو يورث حمى وهو يلبث طويلا ويغذو إذا انهضم كثيرا ، والنيمرشت يغذو غذاء كثيرا ، والمسلوق بخل يعقل البطن ، والسادج ينفع من حرارة المعدة والمثانة ونفث الدم ويصفى الصوت ، وأنفع السليق ما ألقى على الماء وهو يغلى عدّ ماثة ويرفع .

ومما ينفع لحل المعقود : أن تكتب على جوانب السيف هذه الأحرف بكصم لالا وم ماما لالالا ههه وتقطع به بيضة دجاجة سوداء نظيفة مناصفة فتأكل المرأة النصف والرجل النصف فإنه مجرب ، وهو يحل اثنين وسبعين بابا بإذن الله تعالى .

ومما ينفع لحل المعقود أيضا : أن يكتب ويعلق فى عنق الرجل — ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر — .

ومما جرب أيضا لحل المعقود : أن تكتب وتعلق عليه الفاتحة والإخلاص والمعوذتين — ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون — وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين — فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا — مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان — فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم — وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا — وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما — ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا — وتكتب اسم الرجل والمرأة فى آخر الكتاب وتقول اللهم إنى أسألك أن تجمع بين فلان بن فلانة وبين فلانة بنت فلانة بحق هذه الأسماء والآيات إنك على كل شىء قدير بأهيا شراهيا أصباؤت آ ل شداى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فى فى فى فى تم وكمل . قال ابن وحشية : ودماغ الدجاجة إذا وضع على لسعة الحية خاصة أبرأتها .

وقال القزوينى : إذا طبخت الدجاجة مع عشر بصلات بيض وكف سمسم مقشور حتى تتهرى ويؤكل لحمها ويشرب مرقتها فانه يزيد فى الباه ويقوى الشهوة .

وقال غيره : المداومة على أكل لحم الدجاج تورث البواسير والنقرس وهذا قول جاهل بالطب ، وهو قول أغمار الأطباء كما تقدم .

قال القزوينى : وفى قانصة الدجاجة حجر إذا شد على المصروع أبرأه ، وإذا علق على إنسان زاد فى قوة الباه ويدفع عنه عين السوء ، وإذا ترك تحت رأس الصبى فانه لا يفزع فى نومه .

وذرق الدجاجة السوداء إذا لصق على باب قوم وقع بينهم الخصومة والشر ، وإذا طلى الذكر بمرارة الدجاجة السوداء وجامع من شاء لم ينله أحد بعده .

وإذا دفنت رأس دجاجة سوداء فى كوز جديد تحت فراش رجل قد خاصم زوجته صالحها من وقته .

وإذا احتمل رجل من دهن الدجاجة السوداء قدر أربعة دراهم هيج الباه .

وإذا أخذ عينا دجاجة سوداء شديدة السواد وعينا سنور أسود وجففن وسحقن واكتحل بهن رأى من يفعل ذلك الروحانيين فإن سألهم أخبروه بما يريد ، والله أعلم .

(التعبير) الدجاج فى المنام : نساء ذليلات مهينات فالرقادة ذات نشاط وأصالة وبدالة والدبيبة امرأة دنيئة الأصل أو خائنة وفروخها أولاد زنا ، وربما دلت الدجاجة على المرأة ذات الأولاد ودخولها على المريض عافيته وأذان الدجاجة شر ونكد أو موت وكذلك الفروخ ، وربما دل دخولها على السليم على إنذار بمرض يحتاج فيه إليها ، وربما دل دخولها على زوال الهموم والأنكاد وعلى الأفراح والتظاهر بالرفاهية والنعم ، والفروج ولد أو ملبوس مفرح أو فرج لمن هو فى شدة ، وربما كانت الدجاجة فى المنام تدل رؤيتها على امرأة رعناء حمقاء ذات جمال أو سرية أو خادم ، فمن رأى كأنه ذبح دجاجة افتض جارية ، ومن صادها نال ولاية ومالا هنيئا من العجم ، ومن رأى الدجاج أو الفراريج تساق من مكان إلى مكان فانه سبى ، ومن رأى الدجاج أو الطواويس نهدر فى منزله فانه صاحب فجور ، وريش الدجاج مال ، والبيض فى المنام يعبر بالنساء لقوله تعالى – كأنهن بيض مكنون – والبيضة الواحدة لمن رآها بيده فان كانت زوجته حاملا فانها تضع له بنتا وإن كان أعزب تزوج . ومن رأى البيض يجرف من مكان إلى مكان كما تجرف الزبالة فانه سبى نساء ذلك المكان ، ومن رأى بيضا نيئا وهو يأكله فإنه يأكل مالا حراما ، والمطبوخ رزق حلال بتعب ، وإذا رأت الحامل كأنها أعطيت بيضة مقشرة فانها تلد بنتا ، وفراريج الدجاج أولاد زنا ، ومن قشر بيضة فأكل بياضها ورمى صفارها فانه نباش للقبور ويأخذ أكفان الموتى ، لما روى عن ابن سيرين أنه أتاه رجل فقال : إنى رأيت كأنى أقشر بيضة وأرمى صفارها وآكل بياضها . فقال ابن سيرين : هذا رجل نباش للقبور ، فقيل له : من أين أخذت هذا ؟ فقال : البيضة القبر والصفار الجسد والبياض الكفن فيلقى الميت ويأكل ثمن الكفن وهو البياض . وحكى أن امرأة أتت إلى ابن سيرين فقالت : رأيت كأنى أضع البيض تحت الخشب فتخرج فراريج ، فقال ابن سيرين : ويلك اتقى الله فانك امرأة توفقين بين الرجال والنساء فيما لا يحبه الله عز وجل ، فقال له جلساؤه : قذفت المرأة يا محمد من أين أخذت ذلك ؟ فقال : من قوله تعالى فى النساء يشبهن بالبيض – كأنهن بيض مكنون – وقال جل وعلا يشبه المنافقين

بالخشب - كأنهن خشب مسندة - فالبيض هم النساء والخشب هم المفسدون والفراريج أولاد الزنا ، والله أعلم .

﴿ الدجاجة الحبشية ﴾ هى نوع مما تقدم . قال الشافعى : يحرم على المحرم الدجاجة الحبشية لأنها وحشية تمتنع بالطيران وإن كانت ربما ألفت البيوت . قال القاضى حسين : الدجاجة الحبشية شبيهة بالدراج . قال : ويسمى بالعراق الدجاجة السندية فإن أتلفها لزمه الجزاء . وقال مالك : لا جزاء فى دجاج الحبش على المحرم لاستئناسه ، وكذلك كل ما تأنس من الوحشى عند الشافعى فيه الجزاء خلافا لمالك ، والدجاج الحبشى هو الدجاج البرى وهو فى الشكل واللون قريب من الدجاج يسكن فى الغالب سواحل البحر وهو كثير ببلاد المغرب يأوى مواضع الطرفاء ويبيض فيها قال الجاحظ ويخرج فراخه ، وكذلك فراخ الطاوس والبط السندى كيسة كاسبة تلتقط الحب من ساعتها كفراخ الدجاج الأهلى ويقال له الغرغر ، وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة .

﴿ الدج ﴾ : طائر صغير فى حد اليمام من طير الماء سمين طيب اللحم ، وهو كثير بالاسكندرية ومايشابهها من بلاد السواحل قاله ابن سيده .

﴿ الدمرج ﴾ : بضم الدال المهملة دويبة قاله ابن سيده .

﴿ الدخاس ﴾ : كنحاس دويبة تغيب فى التراب ، والجمع الدخاخيس .

﴿ الدخس ﴾ : بضم الدال المهملة وتشديد الخاء المعجمة : ضرب من السمك وهو الدلفين قاله ابن سيده أيضا . وقال الجوهرى : الدخس مثال الصرد دويبة فى البحر تنجى الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى الدلفين ، وسيأتى قريبا إن شاء الله تعالى فى هذا الباب .

﴿ الدخل ﴾ : بتشديد الخاء المعجمة أيضا طائر صغير والجمع الدخاخيل ، وهو أغبر يسقط على رءوس الشجر ، والدخل واحدته دخلة ، وفى أدب الكاتب لابن قتيبة الدخل ابن تمرة .

﴿ الدراج ﴾ : بضم الدال وفتح الراء المهملتين كنيته أبو الحجاج وأبوخطار وأبوضبة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة الساقطة واحدته دراجة . وهو طائر مبارك كثير النتاج مبشر بالربيع وهو القائل : بالشكر تدوم النعم ، وصوته مقطع على هذه الكلمات وتطيب نفسه على الهواء الصافى وهبوب الشمال ، ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى

إنه لا يقدر على الطيران ، وهو طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلا أنه ألطف .

والدراج اسم يطلق على الذكر والأنثى حتى تقول الحيقطان فيختص بالذكر وأرض مدرجة أى ذات دراج كذا قاله الجوهرى . وقال سيبويه : واحدة الدراج درجوج والديلم ذكر الدراج . وقال ابن سيده : الدراج طائر شبيه بالحيقطان وهو من طير العراق : قال ابن دريد : أحسبه مولدا وهو الدرجة مثل الرطبة . وأما الجاحظ فجعله من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام ، ومن شأنه أنه لايجعل بيضه فى موضع واحد بل ينقله لئلا يعرف أحد مكانه ، ولا يتسافد فى البيوت وإنما يفعل ذلك فى البساتين . قال أبو الطيب المأمونى يصف دراجة :

قد بعثنا بذات حسن بديع كنبات الربيع بل هى أحسن
فى رداء من جلنار وآس وقميص من ياسمين وسوسن

وسيأتى إن شاء الله تعالى فى القبيج زيادة فى نعتها فى باب القاف . قال الجاحظ : وهو من الخلق الذى لايسمن بل يعظم وإذا عظم لم يحمل اللحم .

(وحكمه) الحل لأنه إما من الحمام أو من القطا وهما حلالان .

(الأمثال) قالوا : فلان يطلب الدراج من خيس الأسد ، يضرب لمن يطلب مايتعذر وجوده .

(الخواص) يؤخذ شحمه فيذوب بدهن كاذى ويقطر فى الأذن الوجعة ثلاث قطرات يسكن وجعها بإذن الله تعالى ، قال ابن سينا : لحمه أفضل من لحم الفواخت وأعدل وألطف وأكله يزيد فى الدماغ والفهم والمنى .

(التعبير) الدراج فى المنام مال ، وقيل امرأة أو مملوك ، فمن ملكه أو رآه عنده فإنه يملك مالا أو سرية أو مملوكا أو يتزوج ، والله أعلم .

﴿ الدراج ﴾ : بفتح الدال والراء المهملتين القنفذ صفة غالبة عليه لأنه يدرج ليله كله قاله ابن سيده .

(فائدة أجنبية) استدراج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد الله له نعمة وأنساه الاستغفار ، وأن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته .

روى أحمد فى الزهد عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا على معاصيه مايحب فإنما هو استدراج ، ثم تلا قوله تعالى : ـ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ـ » قال ابن عطية : روى عن بعض العلماء أنه قال :

رحم الله امرأ تدبر هذه الآية — حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون — وقال محمد بن النضر الحارثى : أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة . وقال الحسن : والله ما أحد من الناس بسط الله تعالى له فى الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر به فيها إلا كان قد نقص فى عمله وعجز فى رأيه ، وما أمسكها الله تعالى عن عبد فلم يظن أنه خير له فيها إلا كان قد نقص فى عمله وعجز فى رأيه .

وفى الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : « إذا رأيت الفقر مقبلا إليك فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلا إليك فقل ذنب عجلت عقوبته » .

﴿ الدرباب ﴾ : طائر مركب من الشقراق والغراب وذلك بين فى لونه ، وهو كما قال أرسطاطاليس فى النعوت : إنه طائر يحب الأنس ويقبل التأديب والتربية ، وفى صفيره وقرقرته أعاجيب وذلك أنه ربما أفصح بالأصوات وقرقر كالقمر وربما حمحم كالفرس وربما صفر كالبلبل ، وغذاؤه من النبت والفاكهة واللحم وغير ذلك ، ومألفه الغياض والأشجار الملتفة انتهى . قلت : وهذه صفة الطائر المسمى عند الناس بأبى زريق فإنه على هذا النعت الذى ذكره ويقال له القيق أيضا ؛ وسيأتى إن شاء الله تعالى له مزيد بيان فى باب القاف .

﴿ الدرمرج ﴾ : قال القزوينى : إنها دويبة مبرقشة بحمرة وسواد يقال إنها سم ، من أكلها تقرحت مثانته وسد بوله وأظلم بصره وتورم قضيبه وعانته ويعرض له اختلاط فى عقله . (وحكمها) التحريم لضررها بالبدن والعقل .

﴿ الدرص ﴾ : بكسر الدال : ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة والذئبة ونحوها ، والجمع أدراص ودرصة . قال السهيلى فى [التعريف والأعلام] : العرب تقول للأحمق أبو دراص للعبه بالأدراص ، وهو جمع درص وهو ولد الكلبة وولد الهرة ونحو ذلك ، وكنية اليربوع أم أدراص قاله الأصمعى .

(الأمثال) قالت العرب : ضل دريص نفقه أى جحره ، يضرب لمن لا يعبأ بأمره . قال طفيل :

فما أم أدراص بأرض مضلة بأغدر من قيس إذا الليل أظلما

﴿ الدرة ﴾ : بضم الدال المهملة البيغاء المتقدمة فى باب الموحدة . حكى الشيخ كمال الدين جعفر الأدفوى فى كتابه [الطالع السعيد] فى ترجمة محمد بن محمد النصيبى القوصى الفاضل المحدث الأديب : أنه أخبره أنه حضر مرة عند عز الدين بن البصراوى الحاجب بقوص ، وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والأدباء ، فحضر الشيخ على الحريرى وحكى

أنه رأى درة تقرأ سورة يس ، فقال النصيبى : وكان غراب يقرأ سورة السجدة ، فإذا جاء إلى محل مسجدة سجد ويقول : سجد لك سوادى واطمأن بك فؤادى .

﴿ الدساسة ﴾ : بفتح الدال : حية صماء تندس تحت التراب اندساسا : أى تندفن ، وقيل هى شحمه الأرض ، وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب الشين المعجمة .

﴿ الدعسوقة ﴾ : بفتح الدال : دويبة كالخنفساء ، وربما قيل ذلك للصبية والمرأة القصيرة تشبيها بها قاله فى المحكم . وفى مختصر العين للزبيدى أيضا إلا أنه ضبطه بالقلم بفتح الدال فى نسخة صحيحة .

﴿الدعموص﴾ : بضم الدال : دويبة تغوص فى الماء ، والجمع الدعاميص كبرغوث وبراغيث . وقال السهيلى : الدعموص سمكة صغيرة كحية الماء ، ودعميص اسم رجل كان داهيا سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى الأمثال ، ويقال هذا دعميص هذا الأمر : أى عالم به انتهى .

روى مسلم عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه إنه قد مات لى اثنان من الولد فهل أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم «صغاركم دعاميص الجنة» أى لا يمنعون من بيت «فيلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بيده أو بثوبه كما آخذ أنا ببعض ثوبك هذا فيقول : هذا فلان فلا يتناهى حتى يدخل هو وأبوه الجنة» وفى الحديث «أن رجلا زنى فمسخه الله تعالى دعموصا» .

وبعضهم يقول : الدعموص هو الآذن على الملك المتصرف بين يديه . قال ابن أبى الصلت :

دعموص أبواب الملو ك وحاجب للخلق فاتح

قال الحافظ المنذرى فى [الترغيب والترهيب] فى الكلام على هذا الحديث : الدعاميص بفتح الدال جمع دعموص بضمها وهى دويبة صغيرة يضرب لونها إلى السواد تكون فى الغدران أشبه الطفل بها فى الجنة لصغره وسرعة حركته ، وقيل هو اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم والخروج لا يتوقف على إذن منهم ولا يخاف أين يذهب من ديارهم شبه طفل الجنة به لكثرة ذهابه فى الجنة حيث شاء لا يمتنع من بيت فيها ولا موضع ، وهذا قول ظاهر انتهى . قال الجاحظ : إذا كبر الناموس صار دعاميص وهو يتولد من الماء الراكد وإذا كبر صار فراشا ، ولعل هذا هو عمدة من جعل الجراد بحريا .

والدعموص من الخلق الذى لا يعيش فى ابتداء أمره إلا فى الماء ثم بعد ذلك يستحيل بعوضا وناموسا .

(فائدة) فى فتاوى القاضى حسين : أن دود الماء لو انشق أو ذاب فخرج منه ماء كان

ذلك الماء طهورا يجوز منه التوضؤ، وعلله بأن هذا الدود ليس بحيوان بل هو منعقد من بخار يصعد من الماء فيشبه الدود، وهذا منه صريح فى جواز شرب الدعاميص مع الماء لأنها ماء منعقد. ويحتمل أن يكون منه اختيار لأن دود الخل والفاكهة يعطى حكم ما يتولد منه حتى يجوز أكله منفردا كما هو وجه فى المذهب موجها بأنه يشبهه طعما وطبعا، والظاهر أن هذا لا يوافق عليه والمشهور خلاف ما قاله تفسيرا وحكما ، وأن الدعموص محرم الأكل لاستقذاره لأنه من الحشرات .

(الأمثال) قالوا: أهدى من دعيمص الرمل، وهو عبد أسود كان داهية خريتا لم يكن يدخل فى بلاد وبار غيره ، فقام فى الموسم وقال :

فمن يعطنى تسعا وتسعين بكرة هجانا وأدما أهدها لوبار

فقام رجل من مهرة وأعطاه ما سأل وتحمل معه بأهله وولده ، فلما توسطوا الرمل طمست الجن عين دعيميص فتحير وهلك هو ومن معه فى تلك الرمال ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

كهلاك ملتمس طريق وبار

﴿ الدغفل ﴾ : كجعفر ولد الفيل وذكر الثعالب أيضا، وكان دغفل بن حنظلة النسابة أحد بنى شيبان يسمى بذلك روى عنه الحسن البصرى شيئا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخولف فيه ، ويقال إن له صحبة ولم يصح ولم يعرفه أحمد بن حنبل وروى عنه الحسن أنه قال : كان على النصارى صوم شهر رمضان فولى عليهم ملك فرض فنذر إن شفاه أن يذيد الصوم عشرا ثم كان عليهم ملك بعده يأكل اللحم فرجس فنذر إن شفاه الله أن لا يأكل اللحم ويزيد الصوم ثمانية أيام ، ثم كان ملك بعده فقال : ما ندع هذه الأيام إلا أن نتمها خمسين ونجعلها فى الربيع فصارت خمسين يوما . قال البخارى : لا يتابع دغفل على ذلك ولا يعرف للحسن سماع منه وقال ابن سيرين : كان دغفل رجلا عالما لكنه اغتلمته النساء أرسل إليه معاوية رضى الله تعالى عنه يسأله عن أنساب العرب وعن النجوم وعن العربية وعن أنساب قريش فأخبره فإذا هو رجل عالم ، فقال له : من أين حفظت هذا يادغفل ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول ، فأمره أن يعلم ولده يزيد .

﴿ الدغناش ﴾ : طائر صغير من أنواع العصافير أصغر من الصرد مخطط الظهر بحمرة مطوق بالسواد والبياض ، وهو شرير الطبع شديد المنقار يوجد كثيرا بسواحل البحر الملح وغيره .

(وحكمه) الحل لأنه من أنواع العصافير .

﴿ الدقيش ﴾ : بضم الدال وفتح القاف : طائر صغير أصغر من الصرد ، وتسميه العامة الدقناس .

(وحكمه) كالذى قبله ولعله هو ، ولكن تلاعبوا به فسموه تارة كذا وتارة كذا .
وفى الصحاح : قيل لأبى الدقيش الشاعر ماالدقيش ؟ فقال : لاأدرى إنما هى أسماء نسمعها فنتسمى بها .

﴿ الدلدل ﴾ . عظيم القنافذ ، والدلدل الاضطراب ، وقد تدلدل السحاب : أى تحرك متدليا ، وبه سميت بغلة النبى صلى الله عليه وسلم التى أهداها له المقوقس ، وفى حديث أبى مرثد الآتى إن شاء الله تعالى فى باب العين قالت عناق البغيّ : ياأهل الخيام هذا الدلدل الذى يحمل أسراركم ، وإنما شبهه بالقنفذ لأنه أكثر مايظهر فى الليل ، ولأنه يخفى رأسه فى جسده مااستطاع . وقال الجاحظ : الفرق بين الدلدل والقنفذ كالفرق بين البقر والجواميس والبخاتى والعراب ، والجرذ والفأر ، وهو كثير ببلاد الشأم والعراق وبلاد المغرب فى قدر الثعلب القلطى . وقال الإمام الرافعى : الدلدل على حد السخلة ، ومن شأنه أنه يسفد قائما وظهر الأنثى لاصق بظهر الرجل ، والأنثى تبيض خمس بيضات ، وليس هو بيضا فى الحقيقة إنما هو على صورة البيض يشبه اللحم ، ومن شأنه أنه يجعل لجحره بابين أحدهما فى جهة الجنوب والآخر فى جهة الشمال فإذا هبت ريح سد باب جهتها ، وإذا رأى مايكرهه انقبض فيخرج منه شوك كالمسال يجرح من أصابه ، والشوك الذى على ظهره نحو الذراع ، وزعم بعض المتكلمين على طبائع الحيوان : أن الشوك الذى على ظهره نحو الذراع شعر ، وأنه لما غلظ البخار واشتد غلظه وغلب عليه اليبس عند صعوده من المسام صار شوكا .

(الحكم) نص الشافعى على حله رواه عنه ابن ماجه وغيره . وقال الرافعى : قطع الشيخ أبو محمد بتحريمه . وفى الوسيط أنه كان يعده من الخبائث . وقال ابن الصلاح : هذا غير مرضى وكأنه لم يعرف ماالدلدل ، وأعتقد مابلغنا عن الشيخ أبى أحمد الأشنهى أنه قال : الدلدل كبار السلاحف وهذا غير مرضى ، والمحفوظ أنه ذكر القنافذ ، وقطع بحله الماوردى والرويانى وغيرهما وهو الصواب .

(الأمثال) قالوا : أسمع من دلدل .

(وخواصه وتعبيره) كالقنافذ ، وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف .

﴿ الدلفين ﴾ : الدخس ، وضبطه الجوهرى فى باب السين المهملة بضم الدال فقال : الدخس مثال الصرد دابة فى البحر تنجى الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين به على السباحة ويسمى الدلفين . وقال غيره : إنه خنزير البحر وهو دابة تنجى الغريق ، وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح لأنه يقذف به البحر إلى النيل ؛ وصفته كصفة الزق المنفوخ ، وله رأس صغير جدا . وليس فى دواب البحر ماله رئة سواه فلذلك يسمع منه النفخ والنفس

وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب فى نجاته لأنه لايزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه ، ولا يؤذى أحدا ، ولا يأكل إلا السمك ، وربما ظهر على وجه الماء كأنه ميت ، وهو يلد ويرضع وأولاده تتبعه حيث ذهب ولا يلد إلا فى الصيف ، ومن طبعه الأنس بالناس وخاصة بالصبيان ، وإذا صيد جاءت دلافين كثيرة لقتال صائده ، وإذا لبس فى العمق حينا حبس نفسه وصعد بعد ذلك مسرعا مثل السهم لطلب النفس ، فإن كانت بين يديه سفنة وثب وثبة ارتفع بها عن السفينة ولا يرى منها ذكر إلا مع أنثى .

(الحكم) يحل أكله لعموم حل السمك إلا ماستثنى منه ، وليس هذا من المستثنيات كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

(الخواص) إذا غلى شحمه فى حنظلة فارغة وقطر فى الأذن نفع من الصمم ، ولحمه بارد بطىء الهضم ، وإذا علقت أسنانه على الصبيان لم يفزعوا ، وأكل شحمه ينفع من أوجاع المفاصل ، وشحم كلاه إذا أذيب بالنار ودهن به مع دهن الزئبق وجه امرأة أحبها زوجها وطلب مرضاتها ، وكفاه يعلقان على من يفزع فيذهب فزعه ، وإذا وضع نابه الأيمن فى دهن ورد سبعة أيام ومسح به وجه إنسان كان محبوبا عند عامة الناس ، ونابه الأيسر بالضد من ذلك .

(التعبير) الدلفين تدل رؤيته على مادلت عليه رؤية التمساح وربما دلت رؤيته على المكايد والاختفاء بالأعمال وعلى التلصص واستراق السمع وربما دلت رؤيته على كثرة الدعاء والمطر قاله ابن الدقاق. وقال المقدسى : من رآه فى المنام وكان خائفا أمن ونجا لأنه ينجى الغرقى ، وكل حيوان يرى مما يخشى منه فى اليقظة كالتمساح ونحوه إذا كان خارج الماء فهو عدو عاجز لايقدر على مضرة من رآه فى المنام لأن قوته وبطشه فى الماء فإذا خرج منه زالت قوته ، والله أعلم .

﴿ الدلو ﴾ : بالتحريك فارسى معرب وهو دويبة تقرب من السمور . قال عبد اللطيف البغدادى : إنه يفترس فى بعض الأحايين ويكرع الدم ؛ وذكر ابن فارس فى [المجمل] : أنه التمس وفيه نظر ، قال الرافعى : والدلق يسمى ابن مقرص . وقال القزوينى إنه حيوان وحشى عدو الحمام إذا دخل البرج لايترك فيه واحدا وتنقطع الثعابين عند صوته وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام فى باب الميم على ابن مقرص ، وما وقع فيه للرافعى والنووى .

وفى رحلة ابن الصلاح عن كتاب [لوامع الدلائل فى زوايا المسائل] للكيا الهراسى أنه قال : يجوز أكل الفنك والسنجاب والدلق والطاقم والحواصل والزرافة كالثعلب ، ثم إن ابن الصلاح كتب بخطه الدلق التمس فاستفدنا من هذا حل التمس والزرافة ، وسيأتى إن شاء الله بيانهما فى بابيهما .

(الخواص) عينه اليمنى تعلق على من به حمى الربع تزول عنه بالتدريج ، وإذا علق اليسرى عليه عادت ، وشحمه إذا بخر به برج الحمام هربت كلها ، وهو يزيل الكلال الحاصل للإنسان من أكل الحامض ، ودمه يقطر فى أنف المصروع منه نصف دانق ينفعه وجلده يجلس عليه صاحب القولنج والبواسير ينفعه .

﴿ الدلم ﴾ : نوع من القراد . قالت العرب فى أمثالها : فلان أشد من الدلم .

﴿ الدلهاما ﴾ : قال القزوينى : هو شىء يوجد فى جزائر البحار على هيئة إنسان راكب على نعامة يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر . وذكر بعضهم : أنه عرض لمركب فى البحر فحاربهم وحاربوه فصاح بهم صيحة خروا على وجوههم فأخذهم .

﴿ الدم ﴾ : بكسر الدال : السنور حكاه فى المحكم عن النضر فى كتاب [الوحش] .

﴿ الدنة ﴾ : بتشديد النون : دويبة كالنملة قاله ابن سيده .

﴿ الدنيلس ﴾ : معروف ، وهو نوع من الصدف والحلزون . قال جبريل بن بختيشوع إنه ينفع من رطوبة المعدة والاستسقاء .

(وحكمه) حل الأكل لأنه من طعام البحر ولا يعيش إلا فيه ولم يأت على تحريمه دليل كذا أفتى به الشيخ شمس الدين بن عدلان وعلماء عصره وغيرهم ، وما نقل عن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام من الإفتاء بتحريم أكله لم يصح ، فقد نص الشافعى على أن حيوان البحر الذى لا يعيش إلا فيه يؤكل لعموم الآية ولقوله صلى الله عليه وسلم « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وراء ذلك وجهان ، وقيل قولان : أحدهما يحرم لأنه صلى الله عليه وسلم خص السمك بالحل ، والثانى ما أكل شبهه فى البر كالبقر والشاء حلال ، ومالا كخنزير الماء وكلبه حرام ، وعلى هذا لا يؤكل ما أشبه الحمار ، وإن كان فى البر الحمار الوحشى حلالا . قال فى [كتاب التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان] للشيخ عماد الدين الأقفهسى ، وقد نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنه يفتى بتحريم الدنيلس . قال : وهذا مما لا يرتاب فيه سليم الطبع .

قلت : وقد ذكر أرسطاطاليس فى كتابه [نعوت الحيوان] : أن السرطان لا يخلق بتولد ونتاج وإنما يستحيل فى الصدف : أى يتخلق فيه ثم يخرج ومنه ما يتولد ، ثم ينشق عنه الصدف ويخرج كما أن البعوض يتولد من أوساخ المياه ونتنها ، فقد استفدنا من كلام أرسطاطاليس أن ما فى داخل الدنيلس وغيره من الأصداف يستحيل سرطانات ، وإذا كان الحيوان غير مأكول فأصله كذلك إلا على القول الضعيف ، وسمعت عن بعض الفقهاء أنه

كان يفتى بحل الدنيلس ويأخذه من كلام الأصحاب : ما أكل مثله فى البر أكل مثله فى البحر وقال : إن الدنيلس له نظير فى البر وهو الفستق ، وهذه غباوة منه لأن مراد الأصحاب ما أكل فى البر من حيوان أكل مثله فى البحر ثم هل يجب مع ذلك ذبحه أم لا ؟ فيه وجهان : وليس مرادهم تشبيه حيوان بحرى بجماد برى حتى يصح القياس ، وبالجملة فهذا القائل قد قاس الخبيث بالطيب ويلزمه أن يقول بحل سائر المحار والأصداف لأن الدنيلس محار صغير ، ثم يأخذ بعد ذلك فى الكبر ، والدليل على ذلك أنه يوجد منه صغير وكبير ، فإذا تكامل بقى محارا فينبغى القطع بتحريم الدنيلس لأنه من أنواع الصدف ، والصدف مستخبث كالسلحفاة والحلزون .

قال الجاحظ : والملاحون يأكلون البلبل وهو فى جوف الصدفة ، وهذا يدل على أنه غير مستطاب وإلا لما عده من خواص الملاحين وأهل مصر يعيبون أهل الشام بأكلهم السرطان وأهل الشام يعيبون أهل مصر بأكلهم الدنيلس ، ولم أجد لهم مثلا إلا قول الشاعر :

ومن العجائب والعجائب جمة أن يلهج الأعمى بعيب الأعمش

انتهى كلام الأقفهسى وهو مخالف لما ذكره المؤلف ، والله أعلم .

﴿ الدهانج ﴾ : بضم الدال : الجمل الضخم ذو السنامين ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى الفالج .

﴿ الدويل ﴾ : الحمار الصغير الذى لا يكبر ، وكان الأخطل يلقب به ، ومنه قول جرير :

بكى دويل لا يرقىء الله دمعه ألا إنما يبكى من الذل دويل

﴿ الدود ﴾ : جمع دودة وجمع الدود ديدان والتصغير دويد وقياسه دويدة ، وداد الطعام يداد وأداد ودود إذا وقع فيه السوس ، قال الراجز :

قد أطعمتنى دقلا حوليا مسوسا مدودا حجريا

والدود أيضا صغار الدود ، ودويد بن زيد عاش أربعمائة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام وهو لا يعقل وارتجز وهو محتضر :

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحد كفيته يارب نهب صالح حويته
ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته

وفى تاريخ ابن خلكان : أنه سعى بأبى الحسن الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا إلى المتوكل بأن منزله سلاحا وكتبا من شيعته وأنه يطلب الأمر لنفسه ، فبعث المتوكل إليه جماعة فهجموا عليه فى منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن ، فحملوه

على حاله إلى المتوكل ، والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله . وقال له أنشدنى ، فقال إنى قليل الرواية للشعر ، فقال له المتوكل لابد فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم وأودعوا حفرا يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من بعد ماقبروا أين الأسرة والتيجان والحلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وماشربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل والحاضرون ، ثم قال له المتوكل : يا أبا الحسن هل عليك دين ؟ قال : نعم ، أربعة آلاف درهم فأمر له بها وصرفه مكرما ، فلما كثرت السعاية به عند المتوكل أحضره من المدينة وأقره بسر من رأى ، وتدعى العسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر ، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، ولهذا قيل له العسكرى ، وتوفى فى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية رضى الله تعالى عنه وعن آبائه الكرام .

والدود أنواع كثيرة يدخل فيها الأساريع والحلم والأرضة ودود الخل والزبل ودود الفاكهة ودود القز والدود الأخضر الذى يوجد فى شجر الصنوبر ، وهو فى القوة والفعل كالذراريح ، وكله معروف ومنه ما يتولد فى جوف الإنسان . روى ابن عدى بسند فيه عصمة بن محمد بن فضالة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود » وقالت الحكماء : شرب الوخشيرق يرمى الدود من البطن ، وورق الخوخ إذا ضمدت السرة به قتل ديدان البطن . روى البيهقى فى [الشعب] عن صدقة بن يسار أنه قال : دخل داود عليه الصلاة والسلام محرابه فأبصر دودة صغيرة فتفكر فى خلقها وقال : ما يعبأ الله بخلق هذه الدودة فأنطقها الله فقالت : داود أتعجبك نفسك ؟ لأنا على قدر ما آتانى الله أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك الله . قال الله تعالى —وإن من شىء إلا يسبح بحمده —.

وأما دود الفاكهة فذكر الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى — وإنى مرسلة إليهم بهدية — الآية ، أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن ؛ وخمسمائة جارية على زى الغلمان كلهم على سروج الذهب والخيل المسومة ، وألف لبنة من ذهب وفضة ، وتاجا مكللا بالدر والياقوت والمسك والعنبر وحقا فيه درة يتيمة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب ، وبعثت برجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذى رأى وعقل وقالت : إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ، ثم قالت للمنذر :

إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك أمره وإن رأيت شيئا لطيفا فهو نبي ، فأعلم الله نبيه سليمان بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشت فى ميدان بين يديه طوله سبع فراسخ ، وجعلوا حول الميدان حائطا شرفة من ذهب وشرفة من فضة ، وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن ، وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ، ثم قعد على كرسيه والكراسى عن يمينه ويساره واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والجن صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك ، فلما دنا القوم ونظروا فرأوا الدواب تروث على لبنات الذهب والفضة رموا بما معهم منها ، فلما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق ثم قال : أين الحق الذى فيه كذا وكذا ؟ فقدموه بين يديه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها فى الشجر ، وأخذت دودة بيضاء بفيها الخيط ونفذت فيها فجعل رزقها فى الفواكه ، ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثم تضرب به وجهها ، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ، ثم رد الهدية وقال للمنذر : ارجع إليهم ، فلما رجع وأخبرها الخبر قالت : هو نبي ومالنا به طاقة ، فشخصت إليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت يد كل قيل ألوف .

وأما دود القز فيقال لها الدودة الهندية وهى من أعجب المخلوقات ، وذلك أنه يكون أولا بزرا فى قدر حب التين ثم يخرج من الدودة عند فصل الربيع ويكون عند الخروج أصغر من الذر وفى لونه ، ويخرج فى الأماكن الدفئة من غير حضن إذا كان مصرورا مجعولا فى حق وربما تأخر خروجه فتصره النساء وتجعله تحت ثديهن ، وإذا خرج أطعم ورق التوت الأبيض ولا يزال يكبر ويعظم إلى أن يصير فى قدر الأصبع ، وينتقل من السواد إلى البياض أولا فأولا وذلك فى مدة ستين يوما على الأكثر ، ثم يأخذ فى النسج على نفسه بما يخرجه من فيه إلى أن ينفد ما فى جوفه منه ويكمل عليه ما يبنيه إلى أن يصير كهيئة الجوزة ويبقى فيه محبوسا قريبا من عشرة أيام ، ثم ينقب عن نفسه تلك الجوزة فيخرج منها فراش أبيض له جناحان لا يسكنان من الاضطراب ، وعند خروجه يهيج إلى السفاد فيلصق الذكر ذنبه بذنب الأنثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان ، وتبزر الأنثى البزر الذى تقدم ذكره على خرق بيض تفرش له قصدا إلى أن ينفد ما فيها منه ثم يموتان هذا إن أريد منهما البزر ، وإن أريد الحرير ترك فى الشمس بعد فراغه من النسج بعشرة أيام يوما أو بعض يوم فيموت . وفيه من أسرار الطبيعة أنه يهلك من صوت الرعد وضرب الطست والهاون ، ومن شم الخل والدخان ، ومس الحائض والجنب ، ويخشى عليه من الفأر والعصفور والنمل والوزغ وكثرة الحر والبرد ، وقد ألغز فيه بعض الشعراء فقال :

وبيضة تحضن فى يومين حتى إذا دبت على رجلين
واستبدلت بلونها لونين حاكت لها خيسا بلا نيرين
بلا سماء وبلا بابين ونقبته بعد ليلتين
فخرجت مكحولة العينين قد صبغت بالنقش حاجبين
قصيرة ضئيلة الجنبين كأنها قد قطعت نصفين
لها جناح سابغ البردين مانبتا إلا لقرب الحين
إن الردى كحل لكل عين

قال الإمام أبو طالب المكى فى كتابه [قوت القلوب] : وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم بدود القز لا يزال ينسج على نفسه من جهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره ، وربما قتلوه إذا فرغ من نسجه لأن القز يلتف عليه فيروم الخروج عنه فيشمس ، وربما غمز بالأيدى حتى يموت لئلا يقطع القز ليخرج القز صحيحا ، فهذه صورة المكتسب الجاهل الذى أهلكه أهله وماله وتتنعم ورثته بما شقى هو به ، فإن أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه وإن عصوا به كان شريكهم فى المعصية لأنه أكسبهم إياها به ، فلا يدرى أى الحسرتين عليه أعظم إذهابه عمره لغيره أو نظره إلى ماله فى ميزان غيره انتهى . وقد أشار إلى ذلك أبو الفتح البستى بقوله :

ألم تر أن المرء طول حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

وله أيضا وأجاد :

لا يغرنك أننى لين اللمس فعزمى إذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم ثم فيه لآخرين زكام

وقال آخر فى المعنى :

يفنى الحريص بجمع المال مدته وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ماتبنيه يهلكها وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

لما أخذت دودة القز تنسج أقبل العنكبوت يتشبه بها وقال :لى نسج ولك نسج ، فقالت دودة القز : إن نسجى ملابس الملوك ونسجك ملابس الذباب ، وعند مس الحاجة يتبين الفرق ، ولذلك قيل :

إذا اشتبكت دموع فى خدود تبين من بكى ممن تباكى

(تتمة) شجرة الصنوبر تثمر فى كل ثلاثين سنة مرة ، وشجرة الدبا تصعد فى كل أسبوعين فتقول لشجرة الصنوبر إن الطريق التى قد قطعتيها فى ثلاثين سنة قطعتها فى أسبوعين

ويقال لك شجرة ولى شجرة ، فتقول شجرة الصنوبر لها : مهلا إلى أن تهب رياح الخريف فحينئذ يتبين لك اغترارك بالاسم . وقال المسعودى فى ترجمة الراضى : إن دودة بطبرستان تكون من المثقال إلى ثلاثة مثاقيل تضىء فى الليل كما يضىء الشمع ، وتطير بالنهار فترى لها أجنحة وهى خضراء ملساء لاجناحين لها فى الحقيقة غذاؤها التراب لم تشبع قط منه خوفا أن تفنى تراب الأرض فتهلك جوعا . قال : وفيها منافع كثيرة وخواص واسعة انتهى وسيأتى عن الجاحظ قريب من هذا .

(الحكم) يحرم أكله بجميع أنواعه لأنه مستخبث إلا ماتولد من مأكول ؛ فعندنا فيه ثلاثة أوجه : أصحها جواز أكله معه لامنفردا ، والثانى يجب تميزه ولا يؤكل أصلا ، والثالث يؤكل معه ومنفردا . وعلى الأصح ظاهر إطلاقهم أنه لافرق بين أن يسهل تميزه أو يشق ، ولايجوز بيع الدود إلا القرمز الذى يصبغ به ، وهو دود أحمر يوجد فى شجر البلوط فى بعض البلاد صدفى يشبه الحلزون تجمعه نساء تلك البلاد بأفواههن ، وأما دود القز فيجوز بيعه ويجب إطعامه ورق الفرصاد وهو التوت الأبيض ويجوز تشميسه وإن هلك لتحصيل فائدته . ويجوز بيع الفيلج وفى باطنه الدود الميت لأن بقاءه فيه من مصلحته فيجوز بيعه وزنا وجزافا كما صرح به القاضى حسين . وقال الإمام : إن باعه جزافا جاز وإن باعه وزنا لم يجز . قلت : وهذا هو الصحيح المعتمد لأن الدود الذى فيه يمنع معرفة مقدار مافيه من المقصود وهو القز وقد جزم به الشيخان فى آخر كتاب السلم ، وجزم به ابن الرفعة وغيره ، وفى روثه الخلاف فى روث مالا نفس له سائلة ، وفى بزره الوجهان كما فى بيض مالا يؤكل لحمه والأصح الطهارة . وقال الفورانى والمتولى : إن قلنا دود القز طاهر بعد الموت فبزره طاهر ، وإن قلنا إنه نجس فالبزر كالبيض لأن له نماء مثله . وفى فتاوى القفال : إن بزر القز لامثل له ولايجوز السلم فيه لأن أهل الصنعة لايعرفون أن هذا البزر يكون نسجه أحمر أو أبيض فهو كالسلم فى الجواهر .

(الأمثال) قالوا : أصنع من دود القز ، وربما قالوا : أكثر من الدود وأضعف من الدود . قال ابن رشد فى [جامع البيان والتحصيل] : سأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه عن البحر فقال : خلق قوى يركبه خلق ضعيف دود على عود إن ضاعوا هلكوا وإن بقوا فرقوا ، فقال عمر : لاأحمل فيه أحدا أبدا .

(الخواص) إذا أخذ دود القز وخلط بالزيت ولطخ به بدن إنسان نفع من نهش الهوام وذوات السموم ، ودودة القز إذا أخرجت منه وأكلها الدجاج حصل له سمن كثير ، ودود الزبل الأصفر الذى يخلق منه إذا طبخ فى زيت عتيق حتى ينضج ويدهن بذلك الزيت داء الثعلب فإنه يبرئه ، وهو فى ذلك عجيب مجرب إذا داوم عليه .

(التعبير) الدود فى المنام : عدو من الأهل ، ودود القز زبون للتاجر ورعية للسلطان ، فمن أخذ منه شيئا نال منفعة منهم ، وربما دلت رؤية الدود على مال حرام ، ويعبر أيضا بالضر فمن زال عنه زال ذلك عنه ، وربما عبر الدود بالأولاد القصيرى الأعمار وأصحاب التركات السنية ، وربما دلت رؤيته على قرب الأجل ونهاية العمر ، وربما دلت على الحاكة من الرجال والنساء والمحاكين للصور ، والله أعلم .

﴿ دؤالة ﴾ : كنخالة من أسماء الثعلب سمى بذلك لنشاطه وخفة مشيه ، والدألان مشية النشيط .

﴿ الدودمس ﴾ : ضرب من الحيات محرنفش الغلاصيم ينفخ فيحرق ماأصاب ، والجمع دودمسات ودوامس قاله ابن سيده .

﴿ الدوسر ﴾ : الجمل الضخم ، والأنثى دوسرة وجمل دوسرى كأنه منسوب إليه .

﴿ الديسم ﴾ : بالفتح ولد الدب . قال الجوهرى : قلت لأبى الغوث : يقال إنه ولد الذئب من الكلبة ، فقال : ماهو إلا ولد الدب. وقال فى المحكم : إنه ولد الثعلب ؛ وقال الجاحظ : إنه ولد الذئب من الكلبة ، وهو أغبر اللون وغبرته ممتزجة بسواد .

(وحكمه) تحريم الأكل على كل تقدير .

﴿ الديك ﴾ : ذكر الدجاج وجمعه ديوك وديكة وتصغيره دويك ، وكنيته أبو حسان وأبو حماد وأبو سليمان وأبو عقبة وأبو مدلج وأبو المنذر وأبو نبهان وأبو يقظان وأبو برائل ، والبرائل الذى يرتفع من ريش الطائر فى عنقه وينفشه الديك للقتال ، وقيل إنه للديك خاصة ويسمى الأنيس والمؤانس . ومن شأنه أنه لايحنو على ولده ولا يألف زوجة واحدة ، وهو أبله الطبيعة وذلك أنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله ، وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوى بين دجاجه ولا يؤثر واحدة على واحدة إلانادرا ، وأعظم مافيه من العجائب معرفة الأوقات الليلية فيقسط أصواته عليها تقسيطا لايكاد يغادر منه شيئا سواء طال أو قصر ، ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك ، ولهذا أفتى القاضى حسين والمتولى والرافعى بجواز اعتماد الديك المجرب فى أوقات الصلوات . ومن غريب أمره إذا كانت الديكة بمكان ودخل عليها ديك غريب سفدته كلها ، وقد أجاد أبو بكر الصنوبرى فى مدحه حيث قال :

مغرد الليل مايألوك تغريدا ... مل الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا
لما تطرب هز العطف من طرب ... ومد للصوت لما مده الجيدا

كلابس مطرفا مرخ ذوائبه تضاحك البيض من أطرافه السودا
حالى المقلد لو قيست قلائده بالورد قصر عنها الورد توريدا

وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة محمد بن معن بن محمد بن صمادح المنعوت بالمعتصم من قصيدة مدحه بها أبو القاسم الأسعد بن بليطة فى صفة الديك :

كأن أنو شروان أعطاه تاجه وناط عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسه ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

قال الجاحظ : ويدخل فى الديك الهندى والجلاسى والنبطى والسندى والزنجى ، وزعم أهل التجربة أن الديك الأبيض والأفرق من خواصه أن يحفظ الدار التى هو فيها ، وزعموا أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق لم يزل ينكب فى أهله وماله .

وروى عبد الحق بن قانع بإسناده إلى جابر بن أثوب بسكون الثاء المثلثة وفتح الواو وهو أثوب بن عتبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الديك الأبيض خليلى » وإسناده لا يثبت ، ورواه غيره بلفظ « الديك الأبيض صديقى وعدو الشيطان يحرس صاحبه وسبع دور خلفه» قال : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقتنيه فى البيت والمسجد .

وفى التهذيب فى ترجمة البزى الراوى عن ابن كثير وهو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع أبى بزة المكى وهو ضعيف الحديث عن الحسن عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الديك الأبيض الأفرق حبيبى وحبيب حبيبى جبريل يحرس بيته وستة عشر بيتا من جيرانه » وروى الشيخ محب الدين الطبرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له ديك أبيض » وكان الصحابة رضى الله عنهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلوات .

وفى الصحيحين وسنن أبى داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا » قال القاضى عياض : سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء واستغفارهم وشهادتهم له بالإخلاص والتضرع والابتهال . وفيه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين والتبرك بهم ، وإنما أمرنا بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير لأن الشيطان يخاف من شره عند حضوره فينبغى أن يتعوذ منه انتهى .

وفى معجم الطبرانى وتاريخ أصبهان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن لله سبحانه ديكا أبيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء، يؤذن فى كل سحر فيسمع تلك أهل السموات وأهل الأرض

إلا الثقلين الإنس والجن فعند ذلك تجيبه ديوك الأرض، فإذا دنا يوم القيامة يقول الله تعالى ضم جناحيك وغض صوتك فيعلم أهل السموات وأهل الأرض إلا الثقلين أن الساعة قد اقتربت » .

وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن لله ديكا رجلاه فى التخوم وعنقه تحت العرش منطوية فإذا كان هنة من الليل صاح سبوح قدوس فتصيح الديكة » وهو فى كامل ابن عدى فى ترجمة على بن أبى على اللهبى قال : هو يروى أحاديث منكرة عن جابر رضى الله تعالى عنه .

وفى كتاب [فضل الذكر] للحافظ العلامة جعفر بن محمد بن حسن الغريانى عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله عز وجل ديكا رجلاه فى الأرض السفلى وعنقه مثنية تحت العرش وجناحاه فى الهواء يخفق بهما فى السحر كل ليلة يقول : سبحان الملك القدوس ربنا الملك الرحمن لا إله غيره » .

وروى الثعلبى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة أصوات الديك وصوت قارىء القرآن وصوت المستغفرين بالأسحار » وروى الإمام أحمد وأبوداود وابن ماجه عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة » إسناده جيد وفى لفظ « فإنه يدعو إلى الصلاة » قال الإمام الحليمى فى قوله صلى الله عليه وسلم « فإنه يدعو إلى الصلاة » دليل على أن كل من استفيد منه خير لاينبغى أن يسب ويستهان به بل حقه أن يكرم ويشكر ويتلقى بالإحسان ، وليس معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراخه حقيقة الصلاة أو قد حانت الصلاة ، بل معناه أن العادة قد جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفجر وعند الزوال فطرة الله عليها فيتذكر الناس بصراخه الصلاة ، ولا يجوز لهم أن يصلو بصراخه من غير دلالة سواه إلا من جرب منه مالا يختلف فيصير ذلك له إشارة ، والله أعلم انتهى .

وروى الحاكم فى المستدرك فى أوائل كتاب [الإيمان] والطبرانى ورجاله رجال الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله أذن لى أن أحدث عن ديك رجلاه فى الأرض وعنقه مثنية تحت العرش ، وهو يقول : سبحانك ما أعظم شانك . قال : فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بى كاذبا » . وروى الإمامان أبو طالب المكى وحجة الإسلام الغزالى عن ميمون بن مهران أنه قال : بلغنى أن تحت العرش ملكا فى صورة ديك برائته من لؤلؤة وصيصته من زبرجد أخضر ، فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم القائمون ، فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم المصلون ، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال : ليقم الغافلون وعليهم أو زارهم . ومعنى زقا : صاح .

(نكتة) كان سهل بن هارون بن راهويه فى خدمة المأمون، وكان حكيما فصيحا شاعرا فارسى الأصل شيعى المذهب شديد التعصب على العرب وله مصنفات عديدة فى الأدب وغيره ، وكان الجاحظ يصف براعته وحكمته وشجاعته فى كتبه ، وكان إليه النهاية فى البخل وله فيه حكايات عجيبة ؛ فمن ذلك قال دعبل : كنا عنده يوما فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعا ثم قال : ويحك ياغلام غدّنا فأتاه بقصعة فيها ديك مطبوخ فتأمله ثم قال : أين الرأس يا غلام ؟ قال : رميت به ، فقال : إنى والله لأمقت من يرمى برجله فكيف برأسه ولو لم يكن فيما فعلت إلا الطيرة والفأل لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصرخ الديك ولولا صوته ما أريد ، وفيه عرفه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فى الصفاء فيقال شراب كعين الديك ، ودماغه عجيب لوجع الكليتين ولم ير عظم أهش تحت الأسنان منه ، وهب أنك ظننت أنى لا آكله العيال كانوا يأكلونه ، فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق انظر لى أين هو ؟ فقال : والله ما أدرى أين هو ولا أين رميت به ، فقال : رميته فى بطنك قاتلك الله .

(الحكم) يحل أكله لما تقدم فى الدجاج ، ويكره سبه لما تقدم فى حديث زيد بن خالد الجهنى ، ويجوز اعتماد الديك المجرب فى أوقات الصلوات كما تقدم قريبا، قال أصبغ بن زيد الواسطى : كان لسعيد بن جبير ديك يقوم فى الليل بصياحه فلم يصح ليلة حتى أصبح فلم يصل سعيد تلك الليلة فشق ذلك عليه فقال : ماله قطع الله صوته فلم يسمع له صوت بعد ذلك.

وفى مناقب إمامنا الشافعى رحمه الله تعالى: أن رجلا سأله عن رجل خصى ديكا له فقال: عليه أرشه . وفى الكامل فى ترجمة عبد الله بن نافع مولى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن خصاء الديك والغنم والخيل وقال : إنما النماء فى الخيل » وتحرم المناقرة بالديكة ، وسيأتى ما ورد فى ذلك من النهى فى باب الكاف فى المناطحة بالكباش فى لفظ الكبش إن شاء الله تعالى .

(الأمثال) قالوا : أشجع من ديك ، وأسفد من ديك ؟

(فائدة) روى مسلم وغيره: أن عمر رضى الله عنه خطب الناس يوما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنى رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلى ، وهى أن ديكا نقرنى ثلاث نقرات وفى لفظ : رأيت كأن ديكا أحمر نقرنى نقرة أو نقرتين فحدثتها أسماء بنت عميس رضى الله عنها فحدثتنى بأن يقتلنى رجل من الأعاجم . وكان هذا القول منه يوم الجمعة فطعن يوم الأربعاء رضى الله عنه . وروى الحاكم عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال على المنبر : رأيت فى المنام كأن ديكا نقرنى ثلاث نقرات

فقلت أعجمى يقتلنى ، وإنى جعلت أمرى إلى هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض : عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبى وقاص ، فمن استخلف فهو الخليفة . وذكر ابن خلكان وغيره : أن عمر رضى الله عنه لما طعن اختار من الصحابة ستة نفر وهم المتقدم ذكرهم ، وكان سعد بن أبى وقاص غائبا ، وجعل عبد الله ابنه مشيرا وليس له من الأمر شىء ، وأقام المسور بن مخرمة وثلاثين نفسا من الأنصار وقال : إن اتفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام وإلا فاضربوا رقاب الكل فلا خير للمسلمين فيهم ، وإن افترقوا فرقتين فالفرقة التى فيها عبد الرحمن بن عوف ، وأوصى أن يصلى صهيب بالناس ثلاثة أيام ، فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الشورى واختار عثمان فبايعه الناس .

ونقل أن العباس بن عبد المطلب قال لعلى : يا ابن أخى لا تدخل نفسك فى الشورى مع القوم ، فإنى أخاف أن يخرجوك منها فتبقى وصمة فيك فلم يقبل منه .

وكان عمر قد بويع له بالخلافة يوم مات الصديق بعهد منه له فى ذلك كما سبق فى باب الهمزة فى لفظ الإوز .

وضربه أبو لؤلؤة فيروز الفارسى غلام المغيرة بن شعبة وكان مجوسيا ، وقيل كان نصرانيا ثلاث ضربات إحداهن تحت سرته فقال : قتلنى الكلب ، وخرج من المحراب ودخل عبد الرحمن بن عوف فأتم الصلاة بالناس ، ومر أبو لؤلؤة هاربا وفى يده خنجر يضرب به يمينا وشمالا فطرح عليه رجل من الأنصار رداءه فلما علم أنه مأخوذ نحر نفسه ، وكان بعض الذين فى المسجد لم يشعروا بذلك لشغلهم بالصلاة إلا أنهم فقدوا صوت عمر ولم يعلموا ماسببه ، وأنه لما طعن قيل له ما أحب الأشربة إليك ياأمير المؤمنين ؟ قال : النبيذ فسقوه النبيذ فخرج من جرحه ، فقال قوم نبيذ وقال قوم دم ، فسقوه لبنا فخرج من جرحه ، فقيل له أوص يا أمير المؤمنين فأوصى بالشورى كما تقدم ، وكان قتله فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وبقى ثلاثة أيام ، وتوفى لأربع بقين من ذى الحجة ، وقيل لليلتين وقد تقدم بعض ذلك فى الإوز .

ويقال إن عبد الله بن عمر وثب على الهرمزان فقتله وقتل معه رجلا نصرانيا يعرف بحفنة من أهل نجران كانا قد اتهما بإغراء أبى لؤلؤة بعمر رضى الله عنه ، وقتل بنتا لأبى لؤلؤة طفلة ووداهم عثمان رضى الله عنه ، ولحق عبيد الله بمعاوية فى خلافة على رضى الله عنه .

وكان فى أيام عمر الفتوحات العظام ، وهو الذى سمى الغزوات الشواتى والصوائف ، وهو أول من أرخ التاريخ بعام الهجرة ، وأول من دعى بأمير المؤمنين ، وأول من ختم

الكتب وكان فى يده خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نظر، وأول من ضرب بالدرة وحملها، وأول من قال: أطال الله بقاءك قالها لعلى رضى الله عنهما، وهو الذى أخر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت، وهو أول من جمع الناس على إمام واحد فى التراويح، وحج بالناس عشر سنين متوالية آخرها سنة ثلاث وعشرين ومعه نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهوادج، ورجع إلى المدينة فرأى الرؤيا المتقدم ذكرها وتزوج عمر أم كلثوم بنت على رضى الله عنه وأصدقها أربعين ألف درهم؛ وكان أى عمر رضى الله عنه قد حد ابنه عبيد الله على الشراب فقال له وهو يحده: قتلتنى يا أبتاه، فقال: يا بنى إذا لقيت ربك فأخبره أن أباك يُقيم الحدود، والذى فى السير أن المحدود فى الشرب ابنه الأوسط أبو شحمة واسمه عبد الرحمن وأمه أم ولد يقال لها لهيبة، وقتل عبيد الله الرجلين مشكل وقتله الطفلة أشكل، والله أعلم.

وذكر غير واحد من الثقات أنه كان لرقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من عثمان ولد يقال له عبدالله وبه كان يكنى بلغ سبع سنين نقره ديك فى وجهه فمات بعد أمه فى جمادى سنة أربع ولم يولد له غيره من بنات النبى صلى الله عليه وسلم، ولما هاجرت رقية إلى الحبشة كان فتيان الحبشة يتعرضون لرؤيتها ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا.

وقالوا: ما كلمته إلا كحسو الديك يريدون السرعة.

قال الشاعر:

ويوما كحسو الديك قد بات صحبتى ينالونه فوق القلاص العياهل

يريد قلته وسرعته، وضربوا المثل بصفاء عينه فقالوا: أصفى من عين الديك، ومن المشهور فى ذلك قصيدة عدى بن زيد العبادى التى يقول فيها:

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق
لست أدرى إذ أكثروا العذل فيها أعدوّ يلومنى أم صديق
ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد يك سنى سلافها الراووق

ولهذه الأبيات حكاية حسنة مشهورة مذكورة فى [درة الغواص] وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة حماد الراوية قال: كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يجفونى لذلك فى أيامه، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته فمكثت فى بيتى سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخوانى سرا، فلما لم أسمع أحداً ذكرنى فى السنة أمنت فخرجت يوما

وصليت الجمعة بالرصافة وإذا شرطيان قد وقفا على وقالا : يا حماد أجب الأمير يوسف ابن عمر وكان واليا على العراق ، فقلت فى نفسى : من هذا كنت أخاف ، ثم قلت للشرطيين هل لكما أن تدعانى حتى آتى أهلى فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبدا ثم أسير معكما إليه فقالا : ما إلى ذلك سبيل ، فاستسلمت فى أيديهما ثم صرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان الأحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى إلى كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر الثقفى : أما بعد ، فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه الاثنتى عشرة ليلة إلى دمشق . قال : فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول فجعلت رحلى فى الغرز ، وسرت اثنتى عشرة ليلة حتى وافيت دمشق فنزلت على باب هشام فاستأذنت فأذن لى ، فدخلت عليه فى دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب من ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلمت عليه فرد على السلام واستدنانى فدنوت إليه حتى قبلت رجله ، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط فى أذن كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان فقال لى : كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين ، فقال : أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قلت لا . قال : بعثت إليك لبيت خطر ببالى لم أدر قائله . قلت : وما هو ؟ قال :

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق

فقلت : يقوله عدى بن زيد العبادى فى قصيدة له ، فقال : أنشدنيها ، فأنشدته :

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنه عبد الله والقلب عندكم موهوق
لست أدرى إذ أكثروا العذل فيهما أعدو يلومنى أم صديق

قال حماد : فانتهيت فيها إلى قوله :

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد يك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب لأصرى آجن ولا مطروق

قال فطرب هشام ثم قال لى : أحسنت يا حماد والله يا جارية اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى فقال : أعده ، فأعدته فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلث آخر من عقلى ، ثم قال : سل حاجتك يا حماد ،

فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى هاتين الجاريتين ، فقال : هما لك بما عليهما ، ثم قال للجارية الأولى : اسقيه فسقتنى شربة فسقطت منها فلم أعقل حتى أصبحت والجاريتان عند رأسى ، فإذا عشرة من الخدم ومع كل واحد منهم بدرة فيها عشرة آلاف درهم ، فقال أحدهم : إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه وانتفع بها فى سفرك ، فأخذتها والجاريتين وعدت إلى أهلى انتهى .

هكذا ساقها الحريرى فى كتابه [درة الغواص] وفيه اعتراضان ،أحدهما قوله ياجارية اسقيه فإن هشاما لم يكن يشرب الخمر اللهم إلا إن كان يشرب بحضرته ، والثانى قوله إن هشاما بعث إلى يوسف بن عمر الثقفى فإنه فى هذا التاريخ لم يكن متوليا على العراق وإنما كان واليا عليه فى التاريخ المذكور خالد بن عبد الله القسرى حسبما ذكره أهل التاريخ .

(الخواص) لحم الديوك حار يابس باعتدال أجوده عند اعتدال أصواتها وهو ينفع أصحاب القولنج ويستحب كدها قبل ذبحها ، وأكل لحمها يولد غذاء محمودا ، ويوافق من الأمزجة الباردة ، من الأسنان الشيوخ ، ومن الزمان الشتاء والديوك العتيقة تنحل منها قوة فى الطبخ ، ولحمها يطلق البطن وينفع المفاصل والرعشة والحمى العتيقة ذات الأدوار ولاسيما إذا عمل بملح كثير وماء كرنب ولبان القرطم والاسفاناخ ،وأما الفراخ فغذاؤها موافق لجميع الناس حتى تبتدئ بالصياح ، والدجاج قبل أن يبيض ، وينبغى أن يواصل أكلها دائما ، وأما خواص أجزائه : فدم الديك أو دماغه إذا طلى به على لسع الهوام أبرأه ، والاكتحال بدمه ينفع البياض فى العين وعرف الديك إذا أحرق وسقى منه من يبول فى فراشه أزال عنه ذلك وأبرأه ، وإذا طليت جبهة الديك وعرفه بدهن لم يصح ، وإذا نتف الريش الطويل الذى فى ذنبه عند ركوبه على الدجاجة وهو يسفدها وجعل فى مجرى الحمام فمن اغتسل من ذلك الماء أنعظ ، وفى طرف جناحيه عظمتان إذا علقت اليمنى على من به الحمى الدائمة أبرأته وإذا علقت اليسرى على من به حمى الربع أبرأته ، وهاتان العظمتان يمنعان الإعياء والنعاس إذا علقتا على بهيمة ، وخصيته إذا شويت وأكلتها المرأة التى لا تحبل فى حيضها قبل الطهر بثلاثة أيام وجامعها زوجها حبلت ، وإذا أخذ هذا العضو من يريد الجماع الكثير وصره فى قرطاس وعلقه على عضده الأيسر أنعظ إنعاظا شديدا عجيبا فإذا حله سكن ذلك عنه ، وعرف الديك الأبيض أو الأحمر إذا بخر به المجنون نفعه نفعا عجيبا ، ومرارته تخلط بمرق ضأن وتؤكل على الريق تذهب النسيان وتذكر ما نسى ، ودمه يخلط بعسل ويعرض على النار ويطلى به الذكر يقوى الذكر والباه ، وخصية الديك تعلق على الديك المهارش لا يغلبه ديك .

(التعبير) الديك تدل رؤيته على الخطيب والمؤذن والقارئ المطرب وربما دلت رؤيته

على الرجل الذى يأمر بالمعروف ولا يأتيه لأنه يذكر بالصلاة ولا يصلى ، وربما دلت رؤيته على الرجل الكثير النكاح أو السمسار الكثير العياط أو الزمام الذى يأوى إلى النساء أو الحارس ، وربما دلت رؤيته على الرجل الكريم المؤثر على نفسه بما يحتاج إليه أو القانع بما يجد أو الناقص الحظ والعائل أو الكثير الوقوع فى الشدائد ، وربما تدل رؤيته على رب الدار كما أن الدجاجة ربة البيت ، ويعبر أيضا بمملوك لأنه ضمن المدرج لنوح عليه السلام لما أنفذه يكشف خبر الماء إن كان نقص فغدر ولم يأت فبقى الديك رهينا كالمملوك من ذلك الزمان وامتنع من الطيران . وقيل الديك فى المنام رجل محارب من قبل المماليك ، وقيل الديك إذا كان أبيض أفرق فإنه مؤذن فمن ذبحه فى المنام فإنه لا يجيب المؤذن ، وقيل رؤية الديك تدل على مصاحبة العلماء وأولى الحكمة .

روى أن رجلا أتى ابن سيرين فقال له : رأيت كأن ديكا دخل منزلى فلقط حبات شعير كانت فيه ، فقال له ابن سيرين : إن سرق لك شيء فأعلمنى ، فما كان إلا أيام إذ أتى الرجل إليه فقال : سرق لى بساط من سطح منزل ، فقال ابن سيرين : المؤذن أخذه ، فقال كذلك . وقال آخر لابن سيرين : رأيت كأنى أخنق ديكا فقال ابن سيرين : هذا رجل ينكح بده ، وقال له آخر : رأيت كأن ديكا يصيح بباب بيت إنسان وينشد :

قد كان من رب هذا البيت ما كانا هيوا لصاحبه ياقوم أكفانا

فقال : يموت صاحب الدار بعد أربعة وثلاثين يوما فكان وهى عدد حروف الديك بالجمل . وجاءه آخر فقال : رأيت كأن ديكا يقول : الله الله الله ، فقال له : بقى من أجلك ثلاثة أيام فكان كذلك .

﴿ ديك الجن ﴾ : دويبة توجد فى البساتين إذا ألقيت فى خمر عتق حتى تموت ، وتترك فى محارة وتسد رأسها وتدفن فى وسط الدار فإنه لا يرى فيها شيء من الأرضة أصلا قاله القزوينى .

وديك الجن لقب لأبى محمد عبدالسلام الحمصى الشاعر المشهور من شعراء الدولة العباسية كان يتشيع تشيعا حسنا وله مراث فى الحسين رضى الله عنه ، وكان ماجنا خليعا عاكفا على القصف واللهو متلافا لما ورثه ، مولده سنة إحدى وستين ومائة وعاش بضعا وسبعين سنة وتوفى فى أيام المتوكل سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين ، ولما اجتاز أبو نواس بحمص قاصدا مصر لامتداح الخطيب جاءه إلى بيته فاختفى منه فقال لأمته : قولى له اخرج فقد فتنت أهل العراق بقولك :

موردة من كف ظبى كأنما تناولها من خده فأدارها

فلما سمع ذلك ديك الجن خرج إليه واجتمع به وأضافه . وفى تاريخ ابن خلكان : أن دعبلا الخزاعى لما اجتاز بحمص سمع ديك الجن بوصوله فاختفى منه خوفا أن يظهر لدعبل لأنه كان قاصرا بالنسبة إليه ، فقصده فى داره فطرق الباب واستأذن عليه ، فقالت الجارية : ليس هو هاهنا ، فعرف قصده فقال لها : قولى له اخرج فأنت أشعر الإنس والجن بقولك :

فقام يكاد الكأس تحرق كفه من الشمس أو من وجنتيه استعارها
موردة من كف ظبى كأنما تناولها من خده فأدارها

فلما بلغ ذلك ديك الجن خرج إليه وأضافه .

﴿ الديلم ﴾ : ذكره وحكمه وخواصه وأمثاله وتعبيره كالدراج .

﴿ ابن داية ﴾ : الغراب الأبقع ، سمى بذلك لأنه إذا رأى دبرة فى ظهر بعير أو قرحة فى عنقه نزل عليها ونقرها إلى الديات .

(فائدة) الديات بتشديد الدال وبالياء المثناة تحت والتاء المثناة فوق فى آخره . هى عظام الرقبة وفقار الظهر . قال ابن الأعرابى فى نوادره ، فقار البعير ثمان عشرة فقرة وأكثرها إحدى وعشرون فقرة ، وفقار الإنسان سبع عشرة فقرة . وقال جالينوس : خرز الظهر من لدن منبت النخاع من الدماغ إلى عظم العجز أربع وعشرون خرزة سبع منها فى العنق وسبع عشرة فى الظهر ثنتا عشرة فى الصلب وخمس فى البطن وهو العجز . قال : والأضلاع أربع وعشرون اثنتا عشرة فى كل جانب وجملة العظام التى فى جسم الإنسان مائتان وثمانية وأربعون عظما حاشا العظم الذى فى القلب ، والعظام التى حشى بها خلل المفاصل وتسمى السمسمية وإنما سميت بالسمسمية لصغرها . قال : وجميع الثقب التى فى بدن الإنسان اثنتاعشرة العينان والأذنان والمنخران والفم والثديان والفرجان والسرة حاشا الثقب الصغار التى تسمى المسام وهى التى يخرج منها العرق فإنها لاتكاد تنحصر .

(روى) أن عتبة بن سفيان ولى رجلا من أهله على الطائف فظلم رجلا من الأزد فأتى الأزدى عتبة فمثل بين يديه فقال : أصلح الله الأمير إنك قد أمرت من كان مظلوما أن يأتيك فقد أتاك مظلوم غريب الديار ، ثم ذكر ظلامته بضجة وجفاء ، فقال له عتبة : إنى أراك أعرابيا جافيا والله ماأحسبك تدرى كم فرض الله عليك من ركعة بين يوم وليلة ؟ فقال الأزدى أرأيتك أن أنبأتك بها أتجعل لى عليك مسألة ؟ قال عتبة : نعم . فقال :

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لاتضيع

فقال عتبة : صدقت مامسئلتك ؟ قال : كم فقار ظهرك ؟ قال عتبة : لا أدرى ، فقال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ فقال عتبة : أخرجوه عنى وردوا عليه غنيمته والإبل تعرف من الغراب ذلك فهى تخافه وتحذره وهو الذى تسميه العرب الأعور وتتشاءم به ، وسيأتى الكلام عليه فى باب الغين المعجمة إن شاء الله تعالى .

﴿ الدئل ﴾ : بضم الدال وكسر الهمزة : دابة شبيهة بابن عرس . وكان من حقه أن يكتب فى أول الباب وإنما أخرناه لأنه يكتب فى الرسم بالياء : قال كعب بن مالك الأنصارى رضى الله عنه :

جاءوا بجيش لو قيس معرسه ما كان إلا كمعرس الدئل

أراد موضع نزولهم ليلا كبيت ابن عرس : قال أحمد بن يحيى : ما نعلم اسما جاء على فعل غير هذا . قال الأخفش : وإليه ينسب أبو الأسود الدئلى قاضى البصرة إلا أنهم فتحوا الهمزة على مذهبهم فى النسبة استثقالا لتوالى الكسرتين مع ياء النسب كما نسبوا إلى نمرة نمرى وإلى ملك ملكى ، واسم أبى الأسود ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو وفى اسمه ونسبه اختلاف كثير ، وكان من سادات التابعين وأعيانهم ، يروى عن على وأبى موسى وأبى ذر وعمران ابن حصين رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وصحب عليا رضى الله عنه وشهد معه وقعة صفين وهو بصرى ، وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا ويعد من الشعراء والمحدثين والبخلاء والفرسان والبخر والعرج والمفاليج والنحويين . وهو أول من وضع النحو ، فقيل إن عليا رضى الله تعالى عنه وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف ، ثم دفعه إليه وقال له : تمم على هذا وسمى النحو نحوا ، لأن أبا الأسود قال : استأذنت على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى أن أضع نحو ماوضع فسمى لذلك نحوا ، وهو القائل لبنيه : لاتجاودوا الله عز وجل فإنه أجود وأمجد ، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل فلا تجهدوا أنفسكم فى التوسعة على الناس فتهلكوا هزلا ، وهو صاحب نوادر : فمنها أنه سمع رجلا يقول : من يعشى الجائع ؟ فدعاه وعشاه ، فلما ذهب السائل ليخرج قال له : هيهات إنما أطعمتك على أن لاتؤذى المسلمين الليلة ، ثم وضع رجله فى الأدهم حتى أصبح والأدهم القيد . ومنها أنه قال له رجل : إنك ظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل ، فقال : لاخير فى ظرف لايمسك مافيه . ومنها أنه اشترى حصانا بتسعة دنانير واجتاز به على رجل أعور فقال : بكم اشتريته فقال : قومه ، فقال قيمته أربعة دنانير ونصف ، فقال : معذور أنت لأنك نظرته بعين واحدة فقومته بنصف قيمته ولو نظرته بالعين الأخرى لو كانت صحيحة لقومته ببقية القيمة ومضى إلى داره ونام ، فلما استيقظ سمعه يقضم فقال : ماهذا ؟ قالوا : الفرس يأكل شعيره فقال : لاأترك فى مالى من أنام وهو يمحقه ويتلفه ولا أترك إلا مايزيده وينميه ، فباعه واشترى

بثمنه أرضا للزراعة . ومنها أن جيرانه بالبصرة كانوا يخالفونه فى الاعتقاد ويؤذونه ويرجمونه فى الليل بالحجارة ويقولون له : إنما يرجمك الله تعالى ، فيقول لهم : كذبتم لو رجمنى الله لأصابنى وأنتم ترجمونى فلا يصيبنى ، ثم باع الدار فقيل له بعت دارك؟ فقال : بل بعت جارى ، فأرسلها مثلا .

وهذا عكس ماجرى لأبى الجهم العدوى: فإنه باع داره بمائة ألف درهم ثم قال : بكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟ فقالوا : وهل يشترى جوار قط ؟ قال : ردوا علىّ دارى وخذوا دراهمكم ، والله لاأدع جوار رجل إن فقدت سأل عنى ، وإن رآنى رحب بى ، وإن غبت حفظنى ، وإن شهدت قربنى ، وإن سألته أعطانى ، وإن لم أسأله ابتدأنى ، وإن نابتنى جائحة فرج عنى ، فبلغ ذلك سعيدا فبعث إليه بمائة ألف درهم . ومنها أنه دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه يوما فبينما هو يخاطبه إذ ضرط أبو الأسود فضحك معاوية فقال له : ياأمير المؤمنين لاتخبر بها أحدا ، فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فأخبره معاوية بما كان من أبى الأسود ، فلما رآه عمرو قال له : ياأبا الأسود ضربت بين يدى أمير المؤمنين فلما دخل على معاوية قال له : ألم أسألك أن لاتخبر بها أحد ؟ فقال له معاوية : ماعلم بها إلا عمرو ، فقال : إياه كنت أحذر ولكن فأنت لاتصلح للخلافة . قال : كيف ؟ قال إذا لم تكن لك أمانة على ضرطة فكيف تؤمن على أموال المسلمين ودمائهم ، فضحك معاوية ووصله. ومنها أنه قيل له هل شهد معاوية بدرا ؟ قال : نعم لكن من ذلك الجانب . وكان أبو الأسود يعلم أولاد زياد ابن أبيه والى العراقين ، فخاصمته امرأته إلى زياد فى ولدها وقالت : إنه يريد أن يغلبنى على ولدى وقد كان بطنى له وعاء وثدينى له سقاء وحجرى له وطاء ، فقال أبو الأسود : بهذا تريدين أن تغلبينى على ولدى وقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه ، فقالت : ولا سواء ، إنك حملته خفا وحملته ثقلا ، ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد : إنى أرى امرأة عاقلة فادفع ابنها إليها فأخلق أن تحسن أدبه . توفى أبو الأسود بالبصرة فى طاعون الجارف سنة تسع وستين وعمره خمس وثمانون سنة ، وهذا الطاعون كان بالبصرة مات فيه سراة الناس ، قيل إنه مات فيه لأنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ثلاثون ولدا ، والله تعالى أعلم .

باب الذال المعجمة

﴿ ذُؤَال ﴾ : اسم للذئب كأسامة للأسد وهو معرفة سمى بذلك لأنه يذأل فى مشيته من الذألان وهو المشى الخفيف ، وفى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بجارية سوداء ترقص صبيا لها وتقول :

ذؤال يابن القرم ياذؤال

فقال صلى الله عليه وسلم « لاتقولى ذؤالة فإنه شر السباع »وذؤال ترخيم ذؤالة والقرم السيد .

﴿ الذباب ﴾ : معروف ، واحدته ذبابة ولا تقل ذبانة ، وجمعه فى القلة أذبنة وفى الكثرة ذبان بكسر الذال وتشديد الباء الموحده وبالنون فى آخره كغراب وأغربة وغربان وقراد وأقردة وقردان قال النابغة :

ياواهب الناس بعيرا صلبه ضرابة بالمشفر الأذبه

ولا يقال ذبابات إلا فى الديوان قال الراجز : ٭ أو يقضى الله ذبابات الديوان ٭

وأرض مذبة بفتح الميم والذال : أى ذات ذباب . وقال الفراء: أرض مذبوبة كما يقال أرض موحوشة : أى ذات وحوش ، وسمى ذبابا لكثرة حركته واضطرابه . وقيل لأنه كلما ذب آب . وكنيته أبو حفص وأبو حكيم وأبو الحدرس ،والذباب أجهل الخلق لأنه يلقى نفسه فى الهلكة . قال الجوهرى : يقال : ليس شىء من الطيور يلغ إلا الذباب ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى العنكبوت من قول أفلاطون : أن الذباب أحرص الأشياء، ولم يخلق للذباب أجفان لصغر أحداقها ومن شأن الأجفان أن تصقل مرآة الحدقة من الغبار فجعل الله لها عوضا من الأجفان يدين تصقل بهما مرآة حدقتها فلهذا ترى الذباب أبدا يمسح بيديه عينيه . وهو أصناف كثيرة متولدة من العفونة ، قال الجاحظ : الذباب عند العرب يقع على الزنابير والنحل والبعوض بأنواعه كالبق والبراغيث والقمل والصؤاب والناموس والفراش والنمل ، والذباب المعروف عند الإطلاق العرفى . وهو أصناف : النعر والقمع والخازباز والشعراء وذباب الكلاب وذباب الرياض وذباب الكلأ ، والذباب الذى يخالط الناس يخلق من السفاد وقد يخلق من الأجسام ، ويقال إن الباقلاء إذا عتق فى موضع استحال كله ذبابا وطار من الكوى التى فى ذلك الموضع ولا يبقى فيه غير القشر انتهى .

روى الحاكم عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم » ومعنى تمور تذهب أو تجىء، والجو مابين السماء والأرض . وفى مسند أبى يعلى الموصلى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « عمر الذباب أربعون ليلة والذباب كله فى النار إلا النحل » وهو فى الكامل فى ترجمة عمرو بن شقيق عن مجاهد عن بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذباب كله فى النار إلا النحل »قيل كونه فى النار ليس بعذاب له وإنما ليعذب به أهل النار بوقوعه عليهم .

وروى النسائى والحاكم عن أبى المليح عن أبيه أسامة بن عمير بن عامر الأقيش الهذلى البصرى قال « كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعيرنا فقلت : تعس الشيطان ، فقال

صلى الله عليه وسلم : لاتقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتى ، ولكن قل : بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة » ورواه أبو داود عن أبى المليح عن رجل قال « كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثرت دابته فقلت » الخ ورواه ابن السنى كما رواه النسائى والحاكم ، وصرح فيه بأن أبا المليح رواه عن أبيه أسامة بن مالك وكلتا الروايتين صحيحة ، فإن الرجل المجهول فى رواية أبى داود صحابى والصحابة كلهم عدول لاتضر الجهالة بأعيانهم . وقال الإمام العلامة الذهبى : الرجل المجهول المبهم أبو عزة ، ورواه خالد الحذاء عن أبى تميمة الهجيمى عن أبيه خالد قال « كنت رديفا للنبى صلى الله عليه وسلم فعثرت الناقة » إلى آخره كذا هو فى أسد الغابة فى ذكر المنسوبين إلى القبائل ، وأما قوله : تعس فقيل معناه هلك ، وقيل سقط ، وقيل عثر ، وقيل لزمه الشر ، وتعس بفتح العين وكسرها والفتح أشهر ، ولم يذكر الجوهرى غير الفتح . وروى الطبرانى وابن أبى الدنيا من حديث أبى أمامة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه مالم يقدر عليه ، فمن ذلك سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب فى اليوم الصائف ، ولو بدوا لكم لرأيتموهم على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغر فاه ، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين » والعرب تجعل الذباب والفراش والنحل والدبر ونحوها كلها واحدا كما تقدم . وجالينوس يقول : إنه ألوان ، فللإبل ذباب وللبقر ذباب وأصله دود صغار يخرج من أبدانهن فيصير ذبابا وزنابير ، وذباب الناس يتولد من الزبل ، ويكثر الذباب إذا هاجت ريح الجنوب ويخلق فى تلك الساعة ، وإذا هبت ريح الشمال خف وتلاشى ، وهو من ذوات الخراطيم كالبعوض انتهى . ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض ، ولا يقع على شجرة اليقطين ولذلك أنبتها الله على نبيه يونس عليه الصلاة والسلام ، لأنه حين خرج من بطن الحوت لو وقعت عليه ذبابة لآلمته ، فمنع الله عنه الذباب بذلك ، فلم يزل كذلك حتى تصلب جسمه ولا يظهر كثيرا إلا فى الأماكن العفنة ، ومبدأ خلقه منها ثم من السفاد وربما بقى الذكر على الأنثى عامة اليوم ، وهو من الحيوانات الشمسية لأنه يحيى شتاء ويظهر صيفا ، وبقية أنواعه كالناموس والفراش والنمر والقمع وغيرها ستذكر فى أبوابها إن شاء الله تعالى ، وما أحسن قول أبى العلاء المعرى — ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة — :

ياطالب الرزق المنى بقوة ... هيهات أنت بباطل مشغوف

رعت الأسود بقوة جيف الفلا ... ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ولمحمد الأندلسى فى المعنى :

مثل الرزق الذى تطلبه ... مثل الظل الذى يمشى معك

أنت لاتدركه متبعا وإذا وليت عنه تبعك

وفى المعنى أيضا لأبى الخير الكاتب الواسطى :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق فى غشاوته الجنين

وقد أجاد الأمير سيف الدين على بن فليح الظاهرى فى التحذير من احتقار العدو بقوله :

لاتحقرن عدوا لأن جانبه وإن تراه ضعيف البطش والجلد

فللذبابة فى الجرح الممد يد تنال ماقصرت عنه يد الأسد

وفى تاريخ ابن خلكان : فى ترجمة الإمام يوسف بن أيوب بن زهرة الهمدانى الزاهد صاحب المقامات والكرامات والأحوال الظاهرات : أنه جلس يوما للوعظ فاجتمع إليه العالم فقام من بينهم فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسئلة ، فقال له الإمام يوسف : اجلس فإنى أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام ، فقدم رسول ملك الروم إلى الخليفة فخرج بن السقاء مع الرسول إلى القسطنطينية فتنصر ومات نصرانيا . وكان ابن السقاء قارئا للقرآن محمودا فى تلاوته ، وحكى من رآه بالقسطنطينية قال : رأيته مريضا ملقى على دكة وبيده مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه ، فقلت له : هل القرآن باق على حفظك ؟ فقال : ماأذكر منه إلا آية واحدة وهى - ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين - والباقى أنسيته اه . نعوذ بالله من سخطه وخذلانه ونسأله حسن الخاتمة ، فانظر ياأخى كيف هلك هذا الرجل وخذل بالانتقاد وترك الاعتقاد نسأل الله السلامة ، فعليك ياأخى بالاعتقاد وترك الانتقاد على المشايخ العارفين والعلماء العاملين والمؤمنين الصالحين فإن حرابهم مسمومة فقل من تعرض لهم وسلم ، فسلم تسلم ولا تنتقد تندم ، واقتد بإمام العارفين ورأس الصديقين وعلامة العلماء العاملين فى وقته الشيخ محيى الدين عبد القادر الكيلانى رحمه الله تعالى لما عزم على زيارة قطب الغوث بمكة وقال رفيقاه ماقالا فقال : أما أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك لاعلى قدم الإنكار والامتحان ، فآل أمره إلى أن قال : قدمى هذا على رقبة كل ولى وآل أمر أحد رفيقيه إلى الكفر وترك الإيمان بالانتقاد وترك الاعتقاد كما اتفق فى هذه الحكاية وآل أمر الآخر إلى اشتغاله بالدنيا وتركه خدمة المولى لقلة التوفيق ، فنسأل الله التوفيق والهداية والإماتة على الإيمان به وبرسوله والاعتقاد الحسن فى أوليائه وأصفيائه بمحمد وآله .

حدث يحيى بن معاذ : أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فألح على وجهه ذباب حتى أضجره فقال : انظروا من بالباب ؟ فقالوا : مقاتل بن سليمان ، فقال : على به ، فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق الله الذباب ؟ قال : نعم ، ليذل به الجبابرة ، فسكت المنصور . ومقاتل بن سليمان مشهور بتفسير كتاب الله العزيز وأخذ الحديث عن جماعة . قال

الإمام الشافعى رضى الله عنه : الناس كلهم عيال على ثلاثة : على مقاتل بن سليمان فى التفسير وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر ، وعلى أبى حنيفة فى الفقه . قعد مقاتل بن سليمان يوما فقال : سلونى ، مادون العرش ؟ فقال له رجل : آدم عليه الصلاة والسلام لما حج أول حجة حجها من حلق رأسه ؟ فقال : ليس هذا من علمكم ولكنى ابتليت لما أعجبتنى نفسى ، وقيل إنه قيل له الذرة أو النملة أمعاؤها فى مقدمها أو مؤخرها ؟ فلم يدر مايقول فكانت عقوبة عوقب بها ، وأنشد أبو عمرو بن العلاء فى هذا المعنى :

من تحلى بغير ماهو فيه فضحته شواهد الامتحان

والعلماء مختلفون فيه : فمنهم من وثقه ومنهم من كذبه وترك حديثه ، قيل إنه كان يتكلم فى الصفات بما لا تحل الرواية عنه ، وقيل إنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم وكان مشبها . قال ابن خلكان وغيره : وهذا لا أعتقد صحته . وتوفى مقاتل ابن سليمان فى سنة خمس وخمسين ومائة . وفى مناقب الإمام الشافعى أن المأمون سأله فقال : لأى شىء خلق الله الذباب ؟ فقال : مذلة للملوك . فضحك المأمون وقال : رأيته وقد وقع على جسدى ؟ فقال : نعم ، ولقد سألتنى عنه وما عندى جواب فلما رأيته قد سقط منك بموضع لايناله منك أحد فتح الله لى فيه بالجواب ، فقال : لله درك . وفى [شفاء الصدور] وتاريخ ابن النجار مسندا : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ذباب أصلا .

(الحكم) كل أنواعه يحرم أكلها ، وفيه وجه أنه يحل حكاه الرافعى . وقال الماوردى : ومن الفقهاء من أباح الذباب المتولد من مأكول كالفول ونحوه ، ولعل قائل هذا القول هو الذى يقول بإباحة المتولد من الفواكه .

(فرع) قال فى الإحياء فى أول كتاب [الحلال والحرام] لو وقعت ذبابة أو نملة فى قدر طبيخ وتهرت أجزاؤها لم يحرم أكل ذلك الطبيخ لأن تحريم أكل الذباب والنمل ونحوهما إنما إنما كان للاستقذار ولا يعد هذا مستقذرا . قال : ولو وقع فيه جزء من لحم آدمى ميت لم يحل أكل ذلك الطبيخ حتى لوكان لحم الآدمى وزن دانق حرم الطبيخ لانجاسته فإن الآدمى الميت طاهر على الصحيح خلافا لأبى حنيفة ، ولكن لأن أكل لحم الآدمى حرام لحرمته لالاستقذاره بخلاف الذباب هذا كلام الغزالى رحمه الله تعالى . قال فى شرح المهذب : الصحيح المختار أنه لا يحرم أكل الطبيخ فى مسألة لحم الآدمى لأنه صار مستهلكا فهو كالبول وغيره إذا وقع فى قلتين من الماء فإنه يجوز استعمال جميعه لأن البول صار باستهلاكه كالعدم .

وروى البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليمقله فإن أحد جناحيه داء وفى الآخر دواء

وأنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء » وفى رواية النساء وابن ماجه « إن أحد جناحى الذباب سم والآخر شفاء فإذا وقع فى الطعام فامقلوه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء » قال الخطابى: وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لاخلاق له وقال كيف يكون هذا وكيف يجتمع الداء والشفاء فى جناحى ذبابه ؟ وكيف تعلم ذلك فى نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أداها إلى ذلك قال : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، فإن الذى يجد نفسه ونفس سائر الحيوانات قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهى أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت ، ثم يرى أن الله قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها قوى الحيوان التى منها بقاؤه وصلاحه لجدير أن لاينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزأين من حيوان واحد ، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وتعسل فيه ، وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذى خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا لما أراده من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد والامتحان الذى هو مضمار التكليف ، وله فى كل شىء حكمة وعنوان — وما يذكر إلا أولو الألباب — انتهى .

وقد تأملت الذباب فوجدته يتقى بجناحه الأيسر وهو مناسب للداء كما أن الأيمن مناسب للدواء ، وقد استفيد من الحديث أنه إذا وقع فى المائع لاينجسه لأنه ليس له نفس سائلة هذا هو المشهور ، وفى قول ينجسه كسائر الميتات النجسة ، وفى ثالث مخرج أن ما يعم وقوعه كالذباب والبعوض لا ينجس ، ومالا يعم كالخنافس والعقارب ينجس وهو متجه لا محيد عنه ومحل الخلاف فى ميتة أجنبية أما الناشىء منه كدود الفواكه والجبن والخل فلا ينجس مامات فيه بلا خلاف كذا قاله الشيخان وابن الرفعة . وحكى الدارمى فى المسألة ثلاثة أوجه : ثالثها الفرق بين الكثير والقليل ومحل ذلك مالم يتغير به لكثرته ، فإن كثر وتغير به فالأصح أنه ينجسه ، ومحله أيضا إذا وقع فيه بنفسه فإذا طرح فيه ضر .

(فرع) لو وقع الزنبور أو الفراش أو النحل وأشباه ذلك فى الطعام هل يؤمر بغمسه لعموم قوله صلى الله عليه وسلم « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم » الحديث ، وهذه الأنواع كلها يقع عليها اسم الذباب فى اللغة كما تقدم نقله عن الجاحظ وغيره. وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى العسل إنه مذقة ذبابة. وروى « الذباب كله فى النار إلا النحل » كما سبق فسمى الكل ذبابة ، وإذا كان كذلك فالظاهر وجوب حمل الأمر بالغمس على الجميع إلا النحل فإن الغمس قد يؤدى إلى قتله وهو حرام .

(الأمثال) قال الله تعالى — يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له — الآية . معنى ضرب: أثبت وألزم نحو — ضربت عليهم الذلة — وضربت عليهم الجزية ويحتمل أن يكون من الضريب الذى هو المثل ، وهذا

المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم، والشهادة على أن الشيطان خدعهم حيث وصفوا بالإلهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطه بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل، وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأذل الأقل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا ؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن الأصنام كانت ثلثمائة وستين صنما حول الكعبة وكانوا يضمخونها بأنواع الطيب ويطلون رءوسها بالعسل، وكان الذباب يذهب بذلك وكانوا يتألمون من هذه الجهة فجعلت مثلا وقالوا: أجرأ من ذبابة، وأهون من ذبابة، وأطيش وأخطأ من الذباب لأنه يلقى نفسه فى الشىء الحار والشىء الذى يلتصق به ولا يمكنه التخلص. وقالوا: أوغل من ذباب قال الشاعر:

أوغل فى التطفيل من ذباب على طعام وعلى شراب
لو أبصر الرغفان فى السحاب لطار فى الجو بلا حجاب

قال أبو عبيد: كان رجل من أهل الكوفة يقال له طفيل بن دلال من بنى عبد الله بن ابن غطفان، وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى إليها، وكان يقال له طفيل الأعراس، وكان أول رجل لابس هذا العمل فى الأمصار فصار مثلا ينسب إليه كل من يقتدى به. وقالوا: أزهى من ذبابة. وقالوا: أصابه ذباب لادغ. يضرب لمن نزل به شر عظيم يرق له من سمعه. وقالوا: ما يساوى متك ذباب. يضرب للشىء الحقير، والمتك: العرق الذى فى باطن الذكر وهو كالخيط فى باطنه على خلقه العجان.

وفى كتاب [النصائح] لابن ظفر قال: رأيت فى أخبار بعض الملوك أن وزيره أشار عليه بجمع الأموال وادخارها وقال: إن الرجال وإن تفرقوا عنك اليوم متى احتجتهم عرضت عليهم الأموال فتهافتوا عليك، فقال: هل لهذا من شاهد؟ قال: نعم، هل بحضرتنا الساعة ذباب؟ قال: لا. فأمر الوزير بجفنة فيها عسل فأحضرت فتساقط عليها الذباب، فاستشار الملك بعض خواص أصحابه فنهاه عن ذلك وقال: لا تغير قلوب الرجال فليس كل وقت أردتهم يحضرون، فقال: فهل لذلك من دليل؟ قال: نعم، إذا أمسينا أخبرتك، فلما أظلم الليل قال للملك: أحضر جفنة العسل فأحضرت فلم تحضر ذبابة فرجع الملك عن رأيه الأول.

(الخواص) قال الجاحظ: إذا ضرب اللبن بالكندس ونضح به البيت لم يدخله ذباب وإذا أخذت ذبابة وفصلت رأسها ودلكت بها قرصة الزنبور سكنت، وإذا أحرق الذباب وسحق وخلط بعسل وطلى به داء الثعلب فإنه ينبت فيه الشعر، وإذا ماتت الذبابة فنثر عليها خبث الحديد عاشت من وقتها، وإذا بخر البيت بورق القرع وكندس أو سليخة ذهب منه الذباب، وإذا طبخ ورق القرع ورش به البيت والحيطان لم يقع فيه ذباب انتهى ؛

(صفة طلسم لمنع الذباب) يؤخذ كندس جديد وزرنيخ أصفر أجزاء متساوية يسحقان ويعجنان بماء بصل الفأر ويدهن ويعمل منه تمثال ويوضع على المائدة فلا يقربها ذباب مادام عليها ، وإذا وضع على باب البيت باقة من الحشيشة التى يقال لها سادريون فلا يدخل البيت ذباب مادامت الباقة معلقة على الباب ، وإذا أخذت الذباب الكبير فقطعت رءوسهن وحككت بجسدهن موضع الشعرة التى تنبت فى الجفن حكا شديدا فإنه يذهبها أصلا وهو عجيب مجرب ، وإذا أخذت ذبابة وجعلت فى خرقة كتان وربطت بخيط ووسع الربط عليها وعلقت على من يشتكى عينه سكن ألمه وتعلق فى عنقه أو عضده ، وإن شدخ الذباب وضمد به العين الوارمة أبرأها . وقال محمد بن زكريا القزوينى رأيت فى كتب الطبيعيات الرومية : إذا علقت ذبابة حية على من يشتكى ضرسه برئ ، ومن عضه كلب كلب فليستر وجهه عن الذباب فإن ذلك مما يؤذيه ، والله أعلم .

(التعبير) الذباب فى المنام : خصم ألد وجيش ضعيف ، وربما دل اجتماعه على الرزق الطيب ، وربما دل على الداء والدواء للحديث المتقدم ، وربما دلت رؤيته على الأعمال السيئة والوقوع فيما يوجب التقريع لقوله تعالى — إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له — إلى قوله — ضعف الطالب والمطلوب — .

﴿ الذر ﴾ : النمل الأحمر الصغير واحدته ذرة قال تعالى — إن الله لا يظلم مثقال ذرة — أى لا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة أى وزن ذرة . سئل ثعلب عنها فقال إن مائة نملة وزن حبة والذرة واحدة منها ، وقيل إن الذرة ليس لها وزن ، ويحكى أن رجلا وضع خبزا حتى علاه الذر وستره ثم وزنه فلم يزد شيئا ، وقيل الذر أجزاء الهباء فى الكوة وكل جزء منه ذرة ولا يكون لها وزن ، وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أنس رضى الله تعالى عنه فى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة « ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة » صحفها شعبة بن بسطام وقال مثقال ذرة بضم الذال وتخفيف الراء . وقال العبدرى : إنما قال درة بالدال المهملة وتشديد الراء واحدة الدر وهو تصحيف التصحيف . قال ابن بطه من الحنابلة فى تفسير الآية : مثقال مفعال من الثقل . والذرة : النملة الصغيرة الحمراء وهى أصغرما يكون إذا مر عليها حول لأنها تصغر وتحرى كما تفعل الأفعى . تقول العرب : أفعى حارية ، وهى أشدها سما : قال امرؤ القيس :

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

المحول : الذى أتى عليه حول . والإتب : ثوب تلقيه المرأة فى عنقها بلا كم ولا جيب . وقال حسان :

لو يدب الحول من ولد الذر ر عليها لأندبتها الكلوم

أى لو دبت الحويلة من الذر عليها لأثرت بها الكلوم . وقال السهيلى وغيره : أهلك الله تعالى جرهم بالذر والرعاف حتى كان آخرهم موتا امرأة رؤيت تطوف بالبيت بعدهم بزمان فتعجبوا من طولها وعظم خلقها حتى قال لها قائل : أجنية أنت أم أنسية ؟ فقالت بل إنسية من جرهم ، ثم اكترت من رجلين من جهينة بعيرا إلى أرض خيبر فلما أنزلاها استخبراها عن الماء فأخبرتهما فوليا ، فأتاها الذر فتعلق بها إلى أن انتهى إلى خياشمها ثم نزل إلى حلقها فهلكت .

وعبر عن الذرة يزيد بن هارون بأنها دودة حمراء وهى عبارة فاسدة . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : الذرة رأس النملة . وقال بعض العلماء : لأن تفضل حسناتى سيئاتى بمثقال ذرة أحب إلى من الدنيا وما فيها . قال الله تعالى — فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره — اهـ . وهذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها الجامعة الفاذة : أى المنفردة فى معناها .

وروى البيهقى فى الشعب من حديث صالح المرى عن الحسن عن أنس « أن سائلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه تمرة ، فقال السائل : سبحان الله : نبى من أنبياء الله يتصدق بتمرة ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أو ما علمت أن فيها مثاقيل ذر كثير ؟ ثم أتاه آخر فسأله فأعطاه تمرة فقال تمرة من نبى من الأنبياء لا تفارقنى هذه التمرة ما بقيت ولا أزال أرجو بركتها أبدا فأمر له بمعروف » وفى رواية « قال للجارية : اذهبى إلى أم سلمة فمريها فلتعطه الأربعين درهما التى عندها » قال أنس : فما لبث الرجل أن استغنى .

وروى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد رجاله ثقات عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء ، وحتى الذرة من الذرة » .

وأعطى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه سائلا تمرتين فقبض السائل يده ، فقال له سعد : يا هذا إن الله قد قبل منا مثاقيل الذر ، وفعلت عائشة رضى الله تعالى عنها هذا فى حبة عنب .

وسمع هذه الآية صعصعة بن عقال التميمى عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : حسبى لا أبالى أن لا أسمع آية غيرها . وسمعها رجل عند الحسن البصرى فقال : انتهت الموعظة ، فقال الحسن : فقه الرجل .

وروى الحاكم فى المستدرك عن أبى أسماء الرحبى « أن هذه السورة نزلت وأبو بكر الصديق رضى الله عنه يأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم فترك أبو بكر الأكل وبكى ، فقال

له النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ فقال : يا رسول الله أو نسئل عن مثاقيل الذر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير إلى الآخرة » قال : والذرة نملة صغيرة حمراء لا يرجح بها ميزان .

وروى الإمام أحمد فى الزهد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال على صور الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس : قال : ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار . قيل : يا رسول الله وما نار الأنيار ؟ قال : عصارة أهل النار » ورواه صاحب الترغيب والترهيب .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس يغشاهم الصغار من كل مكان ، ويساقون إلى سجن من النار يقال له بولس ، تعلوهم نار الأنيار ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار » رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

وفى [شعب الإيمان] للبيهقى عن الأصمعى قال : مررت بأعرابية فى البادية فى كوخ فقلت لها : يا أعرابية من يؤنسك هاهنا ؟ قالت : يؤنسنى مؤنس الموتى فى قبورهم ، قلت : ومن أين تأكلين ؟ قالت : يطعمنى مطعم الذرة وهى أصغر منى . وفى [المدهش] للإمام العلامة أبى الفرج بن الجوزى : أن رجلا من العجم طلب الأدب حينا فبينما هو فى بعض الطريق سائر إذ مر بصخرة ملساء فتأملها فإذا ذر يدب عليها وقد أثر عليها من كثرة دبيبه ففكر وقال : مع صلابة هذا الحجر وخفة هذا الذر قد أثر فيه هذا الأثر ، فأنا أحرى على أن أدوم على الطلب فلعلى أظفر ببغيتى فراجع الإثبات على الأدب فلم يلبث أن خرج مبرزا ، وهكذا يجب أن يكون طالب فائدة دينية أو دنيوية لا سيما طالب التوحيد والمعرفة أن يكون كرارا غير فرار فإما الظفر والغنيمة وإما القتل والشهادة .

وسئل أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى عن العارف فقال : هو أن يكون وحدانى التدبير فردانى المعنى صمدانى الرؤية ربانى القوة ، وحدانى العيش نورانى العلم خلدانى العجائب سماوى الحديث وحشى الطلب ملكوتى السر ، عنده مفاتح الغيب وخزائن الحكم وجواهر القدس وسرادقات الأبرار ، فإذا جاوز الحد وارتفع إلى أعلى فهو غير مدرك وحاله غير موصوف .

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، فقال : إن الله جميل يحب الجمال . الكبر : بطر الحق وغمط الناس » ورواه

الترمذى وقال حسن غريب ، وقيل المراد بالكبر هاهنا الكبر عن الإيمان فصاحبه لايدخل الجنة أصلا إذا مات عليه ، وقيل لايكون فى قلبه كبر حين دخول الجنة كما قال الله تعالى – ونزعنا ما فى صدورهم من غل – الآية ؛ وهذان التأويلان فيهما بعد فإن الحديث ورد فى سياق النهى عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ، والظاهر فيه ما اختاره القاضى عياض وغيره من المحققين أنه لايدخلها دون مجازاة أو لايدخلها مع أول الداخلين ، وأما قوله : فقال رجل ، فذلك الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوى قاله القاضى عياض وأشار إليه ابن عبد البر ، وحكى أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال فى اسمه أقوالا أحدها أنه أبو ريحانة واسمه شمعون ، وقيل ربيعة بن عامر ، وقيل سواد بالتخفيف ابن عمرو ، وقيل معاذ بن جبل ذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب الخمول والتواضع ، وقيل عبد الله بن عمرو بن العاص . ومعنى قوله « إن الله جميل » أى إن كل أموره سبحانه حسن وجميل فله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال ، وقيل جميل بمعنى مجمل كريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع . وقال أبو القاسم القشيرى : معناه جليل ، وقيل معناه ذو النور والبهجة أى مالكهما ، وقيل معناه جميل الأفعال بكم والنظر إليكم يكلفكم اليسير ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل سبحانه ما أكرمه . قال شيخ الإسلام يحيى النووى رحمه الله : هذا الاسم ورد فى الحديث الصحيح وورد فى الأسماء الحسنى وفى إسناده مقال ، والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى ، ومن العلماء من منعه . وقال إمام الحرمين أبو المعالى : ما ورد به الشرع جوزنا إطلاقه وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتجويز ولا منع فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد الشرع ولو قضينا بتحريم أو تحليل لكنا مثبتين حكما بغير الشرع ، ثم لايشترط فى جواز الإطلاق ورود ما نقطع به فى الشرع ، ولكن ما يقتضى العمل وإن لم يوجب العمل فإنه كاف إلا أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ولا يجوز التمسك بها فى تسمية الله تعالى وصفته . قال النووى : وقد اختلف أهل السنة فى تسميته تعالى ووصفه من أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به الشرع ولا منعه فأجازه طائفة ومنعه آخرون ، إلا أن يرد به شرع مقطوع به من نص كتاب أو سنة متواترة أو إجماع على إطلاقه ، فإن ورد به خبر واحد فقد اختلفوا فيه فأجازه طائفة وقالوا الدعاء به والثناء من باب العمل وذلك جائز بخبر الواحد ، ومنعه آخرون لكونه راجعا إلى اعتقاد ما يجوز أن يستحيل على الله تعالى وطريق هذا القطع . قال القاضى : والصواب جوازه لاشتماله على العمل ولقوله تعالى – ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها – وهو كما قال ، وأما قوله « وغمط الناس » كذا فى نسخ صحيح مسلم وكذلك ذكره أبو داود فى مصنفه ، وذكر الترمذى وغيره غمص بالصاد المهملة وهما بمعنى واحد وهو احتقارهم .

وأما رؤيته فى المنام فإنها تعبر بالنسل لقوله تعالى – وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم – والذر أيضا يعبر بالضعفاء من الناس ، وقيل الذر جند لأنه من النمل ، والله تعالى أعلم .

﴿ الذراع ﴾ : قال الجوهرى : الذراح والذروح بالضم دويبة حمراء منقطعة بسواد تطير وهى من السموم ، والجمع الذراريح . وقال سيبويه : واحد الذراريح ذر حرح وليس عنده فى الكلام فعول بواحدة ، وكان يقول سبوح قدوس بفتح أوائلهما .

والذراح أنواع فمنه ما يتولد من الحنطة ومنه دود الصنوبر ، ومنه ما فى أجنحته خطوط صفر ولونه مختلف وأجسامها كبار طوال ممتلئة قريبة الشبه من بنات وردان .

(الحكم) يحرم أكلها لاستخباثها .

(الخواص) الذراريح تنفع الجرب والعلة التى ينقشر معها الجلد ويخلط فى الأدوية الموافقة للأورام كالسرطان والقوابى الرديئة . قال الرازى : الاكتحال منها ينفع الطرفة فى العين ، وإذا طلى بها مسحوقة قتلت القمل ، وإذا طبخت فى زيت أبرأ ذلك الذيت داء الثعلب ، وزعم القدماء من الأطباء أنه إذا جعل شىء منها فى خرقة حمراء وعلقت على من به حمى أبرأته بخاصية عجيبة .

﴿ الذرع ﴾ : بالتحريك ولد البقرة الوحشية تقول منه : أزرعت البقرة فهى مذرع .

﴿ الذعلب ﴾ : والذعلبة الناقة السريعة ، وفى حديث سواد بن مطرف : الذعلب الناقة الوجناء .

﴿ الذئب ﴾ : يهمز ولا يهمز وأصله الهمزة والأنثى ذئبة وجمع القلة أذؤب وجمع الكثرة ذئاب وذؤبان ، ويسمى الخاطف والسيد والسرحان وذؤالة والعملس والسلق والأنثى سلقة والسمسام ، وكنيته أبو مذقة لأن لونه كذلك قال الشاعر :

حتى إذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

ومن كناه الشهير : أبو جعدة . قال عبيد بن الأبرص للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة حين أراد قتله :

وقالوا هى الخمر تكنى الطلا كما الذئب يكنى أبا جعدة

ضربه مثلا : أى تظهر لى الإكرام وأنت تريد قتلى كما أن الخمرة وإن سميت طلاء وحسن اسمها فإن فعلها قبيح ، وكذلك الذئب وإن حسنت كنيته فإن فعله قبيح . والجعدة الشاة ، وقيل نبت طيب الريح ينبت فى الربيع ويجف سريعا . وسئل ابن الزبير عن المتعة

فقال : الذئب يكنى أبا جعدة : يعنى أن المتعة حسنة الاسم قبيحة المعنى كما أن الذئب حسن الكنية قبيح الفعل .

ومن كناه : أبو ثمامة وأبو جاعد وأبو رعلة وأبو سلعامة ، وأبو العطلس وأبو كاسب وأبو سبلة .

ومن أسمائه الشهيرة : أويس مصغرا كميت ولجيف . قال الشاعر الهذلى :

ياليت شعرى عنك والأمر عمم مافعل اليوم أويس بالغنم

ومن أوصافه : الغبش ، وهو لون كلون الرماد يقال ذئب أغبش وذئبة غبشاء .

روى الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلى وعبد الباقى بن قانع : أن الأعشى الشاعر المازنى الحرمازى واسمه عبد الله بن الأعور كانت عنده امرأة يقال لها معاذة ، فخرج فى شهر رجب يمير أهله من هجر ، فهربت امرأته ناشزة عليه ، فعاذت برجل منهم يقال له مطرف ابن بهصل بن كعب بن قيس بن دلف بن أهصم بن عبد الله بن الحرماز ، فجعلها خلف ظهره ، فلما قدم لم يجدها فى بيته فأخبر بخبرها فطلبها منه فلم يدفعها إليه ، وكان مطرف أعز منه فى قومه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فعاذ به وأنشأ يقول :

ياسيد الناس وديان العرب أشكو إليك ذربة من الذرب
كالذئبة الغبشاء فى ظل السرب خرجت أبغيها الطعام فى رجب
فخالفتنى بنزاع وهرب وقذفتنى بين عيص مؤتشب
أخلفت العهد ولطت بالذنب وهن شر غالب لمن غلب

فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك « وهن شر غالب لمن غلب » كنى عن فسادها وخيانتها بالذربة وأصله من ذرب المعدة وهو فسادها ، وقيل أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها مأخوذ من قولهم زرب لسانه إذا كان حاد اللسان لايبالى بما يقول : والعيص بالعين والصاد المهملتين أصل الشجر ، والمؤتشب : الملتف ، وقوله لطت بالذنب وهو بالطاء المهملة : أراد به أنها منعته بضعها من لطت الناقة بذنبها إذا سدت فرجها به إذا أرادها الفحل ، وقيل أراد توارت وأخفت شخصها عنه كما تخفى الناقة فرجها بذنبها . وكان الأعشى المذكور شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم امرأته وما صنعت ، وأنها عند رجل منهم يقال له مطرف بن بهصل ، فكتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى مطرف « انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه ، فأتاه بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه عليه فقال لها يامعاذة هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك وأنا دافعك إليه ، فقالت : خذلى العهد والميثاق وذمة النبى صلى الله عليه وسلم أن لايعاقبنى فيما صنعت ، فأخذ لها ذلك ودفعها مطرف إليه فأنشأ يقول :

لعمرك ماحبى معاذة بالذى يغيره الواشى ولا قدم العهد

ولا سوء ما جاءت به إذا أدلها غواة رجال إذ يناجونها بعدى

وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى — إن كيدكن عظيم — استعظم كيد النساء على كيد الشيطان ، لأنه وإن كان فى الرجال كيد إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ، ولهن فى ذلك رفق وبذلك يغلبن الرجال ، ومنه قوله تعالى — ومن شر النفاثات فى العقد — والنفاثات من بينهن : اللاتى لهن ماليس لغيرهن من البوائق . وعن بعض العلماء أنه قال : أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول — إن كيد الشيطان كان ضعيفا — وقال فى النساء — إن كيدكن عظيم — .

وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة عمر بن أبى ربيعة : قال بينما عمر بن أبى ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة تطوف بالبيت فأعجبته فسأل عنها فإذا هى من البصرة ، فكلمها مرارا فلم تلتفت إليه وقالت : إليك عنى فإنك فى حرم الله وفى موضع عظيم الحرمة ، فلما ألح عليها ومنعها من الطواف أتت محرما لها وقالت له تعال معى أرنى المناسك فحضر معها ، فلما رآها عمر بن أبى ربيعة عدل عنها فتمثلت بشعر الزبرقان بن بدر السعدى :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى مربض المستأسد الضارى

فبلغ المنصور خبرهما فقال : وددت أنه لم تبق فتاة فى خدرها إلا سمعته . وكانت ولادة عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى قتل فيها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فكان الحسن البصرى يقول إذا جرى ذكر ولادته : أى حق رفع وأى باطل وضع ! وغزا فى البحر فأحرقوا السفينة فاحترق وذلك فى سنة ثلاث وثمانين .

وللأسد والذئب فى الصبر على الجوع ماليس لغيرهما من الحيوان ، لكن الأسد شديد النهم حريص رغيب شره ، وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما لا يأكل شيئا ، والذئب وإن كان أقفر منزلا وأقل خصبا وأكثر كدا إذا لم يجد شيئا اكتفى بالنسيم فيقتات به ، وجوفه يذيب العظم المصمت ولا يذيب نوى التمر ، ولا يوجد الالتحام عند الفساد إلا فى الكلب والذئب ، ومتى التحم الذئب والذئبة وهجم عليهما هاجم قتلهما كيف شاء إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك لأنهما إذا أراد السفاد توخيا موضعا لا يطؤه الإنس خوفا على أنفسهما ، ويسفد مضطجعا على الأرض ، وهو موصوف بالإنفراد والوحدة . وإذا أراد العدو فإنما هو الوثب والقفز ، ولا يعود إلى فريسة شبع منها أبدا . ومن عجيب أمره أنه ينام بإحدى مقلتيه والأخرى يقظى حتى تكتفى العين النائمة من النوم فيفتحها وينام بالأخرى ليحترس باليقظى ويستريح بالنائمة ، قال حميد بن ثور فى وصفه فى أبيات مشهورة منها :

ونمت كنوم الذئب فى ذى حفيظة أكلت طعاما دونه وهو جائع
ينام بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى الأعادى فهو يقظان هاجع

وهو أكثر الحيوان عواء إذا كان مرسلا فإذا أخذ وضرب بالعصى والسيوف حتى يتقطع أو يهشم لم يسمع له صوت إلى أن يموت . وفيه من قوة حاسة الشم أنه يدرك المشموم من فرسخ وأكثر ما يتعرض للغنم فى الصبح ، وإنما يتوقع فترة الكلب ونومه وكلاله لأنه يظل طول ليله حارسا متيقظا . ومن غريب أمره أنه إذا اجتمع جلده مع جلد شاة تمعط جلد الشاة ، وأنه متى وطئ ورق العنصل مات من ساعته ، والذئب إذا كده الجوع عوى فتجتمع له الذئاب ويقف بعضها إلى بعض ، فمن ولى منها وثب إليه الباقون وأكلوه ، وإذا عرض للإنسان وخاف العجز عنه عوى عواء استغاثة فتسمعه الذئاب فتقبل على الإنسان إقبالا واحدا وهم سواء فى الحرص على أكله ، فإن أدمى الإنسان واحدا منها وثب الباقون على المدمى فمزقوه وتركوا الإنسان ، وقال بعض الشعراء يعاتب صديقا له وكان قد أعان عليه فى أمر نزل به :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما ... بصاحبه يوما أحال على الدم

روى البيهقى فى الشعب عن الأصمعى قال : دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقع فنظرت إليها فقالت : أتدرى ماهذا ؟ قلت : لا . قالت : جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا ، فلما كبر قتل شاتنا ، وقد قلت فى ذلك شعرا . قلت لها : ماهو ؟ فأنشدته :

بقرت شويهتى وفجعت قلبى ... وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا ... فمن أنبـاك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء ... فليس بنافع فيهـا الأديب

وهو إذا خافه إنسان طمع فيه ، وإذا طمع الإنسان فيه خافه ، ويقطع العظم بلسانه ويبريه برى السيف ولا يسمع له صوت ، ويقال عوى الذئب كما يقال عوى الكلب قال الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى ... وصوت إنسان فكدت أطير

وقال آخر :

ليت شعرى كيف الخلاص من النا ... س وقد أصبحوا ذئاب اعتداء
قلت لما بلاهم صـدق خبرى ... رضى الله عـن أبى الدرداء

أشار إلى قول أبى الدرداء : إياكم ومعاشرة الناس فإنهم ماركبوا قلب امرئ إلا غيروه ، ولا جوادا إلا عقروه ، ولا بعيرا إلا أدبروه .

وروى السهيلى فى الكلام على غزوة أحد فى حديث مسند أنه قال « لما ولد عبد الله ابن الزبير نظر إليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : هو هو ورب الكعبة ، فلما سمعت أمه

أسماء ذلك أمسكت عن إرضاعه ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه » .

وروى ابن ماجه والبيهقي عن كعب بن مالك وقال : حديث صحيح حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينه » وقد نص الله تعالى على ذم الحرص بقوله — ولتجدنهم أحرص الناس على حياة — .

وروى ابن عدى عن عمرو بن حنيف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا فقلت : أذئب فى الجنة ؟ فقال : أكلت ابن شرطى » قال ابن عباس : هذا وإنما أكل ابنه فلو أكله رفع فى عليين ، وقد رأيته كذلك فى تاريخ نيسابور للحاكم فى ترجمة شيخه على بن محمد بن إسماعيل الطوسى ، وهو حديث موضوع .

وروى الحاكم فى مستدركه بإسناد على شرط مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « بينما راع يرعى بالحرة إذ عدا الذئب على شاة فحال الراعى بينه وبينها ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال : يا عبد الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلىّ . فقال الرجل : واعجبا ذئب يكلمنى ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب منى ؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يخبر الناس بأنباء ماقد سبق فزوى الراعى شياهه إلى زاوية من زوايا المدينة ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدق والذى نفسى بيده » .

(فائدة) قال ابن عبد البر وغيره : كلم الذئب من الصحابة ثلاثة : رافع بن عميرة ، وسلمة بن الأكوع وأهبان بن أوس الأسلمى رضى الله عنهم . قال : ولذلك تقول العرب هو كذئب أهبان يتعجبون منه ، وذلك « أن أهبان بن أوس المذكور كان فى غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح به أهبان ، فأقعى الذئب وقال : أتنزع منى رزقا رزقنيه الله تعالى ؟ فقال أهبان : ما سمعت ولا رأيت أعجب من هذا ذئب يتكلم ! فقال الذئب : أتعجب من هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين هذه النخلات ، وأومأ بيده إلى المدينة يحدث بما كان وبما يكون ويدعو الناس إلى الله وإلى عبادته وهم لا يجيبونه ؟ قال أهبان ابن أوس : فجئت النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بالقصة وأسلمت ، فقال لى : حدث به الناس » . قال عبد الله بن أبى داود السجستانى الحافظ : فيقال لأهبان مكلم الذئب ولأولاده أولاد مكلم الذئب ، ومحمد بن الأشعث الخزاعى من ولده . واتفق مثل ذلك لرافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع انتهى . وقال البخارى : أنبأنا شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن

أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بينما راع فى غنمه إذ عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه وكلمته فقالت : إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ذئب يتكلم وبقرة تتكلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر » . قال ابن الأعرابى : السبع بسكون الباء : الموضع الذى عنده المحشر يوم القيامة أراد من لها يوم القيامة ، وقيل هذا التفسير يفسد بقول الذئب فى تمام الحديث يوم لا راعى لها غيرى ، والذئب لا يكون لها راعيا يوم القيامة ، وقيل أراد من لها يوم الفتن حين يتركها الناس هملا لا راعى لها نهبة للسباع والذئاب ، فجعل السبع لها راعيا إذ هو منفرد بها ، ويكون حينئذ بضم الباء ، وهذا إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التى تأتى حتى يهمل الناس فيها مواشيهم وتتمكن منها السباع بلا مانع . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : يوم السبع عيد كان لهم فى الجاهليه يشتغلون فيه بلهوهم ولعبهم وأكلهم فيجى الذئب فيأخذها ، وليس هو بالسبع الذى يفترس الناس . قال : وأملاه أبو عامر العبدى الحافظ بضم الباء ، وكان من العلم والإتقان بمكان .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كانت امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت هذه لصاحبتها : إنما ذهب بابنك أنت فتحاكما إلى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان فأخبرتاه بذلك ، فقال سليمان عليه الصلاة والسلام : ائتونى بالسكين أشقه بينكما نصفين فقالت الصغرى : لا ويرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصغرى » قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : والله ما سمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية ، واستدل بهذا الحديث من جوز أن المرأة تستحق اللقيط وأنه يلحقها لأنها أحد الأبوين ، ونقله صاحب التقريب عن ابن سريج ، والأصح أنه لا يلحقها إذا استلحقته لإمكان إقامة البينة على الولادة بطريق المشاهدة بخلاف الرجل ، وفيه وجه ثالث يلحق الخلية دون المزوجة لتعذر الإلحاق بها دونه ، وإذا قلنا يلحقها بالاستلحاق وكان لها زوج ولم يلحقه فى الأصح ، وليس المراد بالزوج من هى فى عصمته بل كونها فراشا لشخص لو ثبت نسب اللقيط منها بالبينة لحق صاحب الفراش سواء كانت فى العصمة أو فى العدة .

وروى الإمام أحمد والطبرانى بإسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية ، إياكم والشعاب ، وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد » .

وفى تاريخ ابن النجار عن وهب بن منبه قال : بينما امرأة من بنى إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابها وصبى لها يدب بين يديها إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبى فجعلت تعدو خلفه وتقول : يا ذئب ابنى يا ذئب ابنى ، فبعث الله ملكا فنزع الصبى من فم الذئب ورمى به إليها وقال : لقمة بلقمة وهو فى الحلية عن مالك بن دينار قال : أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة .

وروى الإمام أحمد فى الزهد عن سالم بن أبى الجعد قال : خرجت امرأة وكان معها صبى لها ، فجاء الذئب فاختلسه منها فخرجت فى أثره ، وكان معها رغيف ، فعرض لها سائل فأعطته الرغيف ، فجاء الذئب بصبيها فرده عليها ؛ وقد تقدم نظير ذلك عنه فى باب الحمزة فى الأسود السالخ .

قال ابن سعد ، كان موسى بن أعين راعيا بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فكانت الذئاب والشاء والوحش ترعى فى موضع واحد ، فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة فقلنا : ما نرى الرجل الصالح إلا قد مات ، فنظرنا فإذا عمر بن عبد العزيز قد مات تلك الليلة ، وذلك لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة كما تقدم فى الإوز ، وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر .

وروى الإمام أحمد فى الزهد أيضا عن مالك بن دينار قال : لما استعمل عمر بن عبد العزيز على الناس قال رعاة الشاء : من هذا العبد الصالح الذى قام على الناس ؟ قيل لهم : وما أعلمكم بذلك ؟ قالوا : إنه إذا ولى على الناس خليفة عدل كفت الذئاب والأسد عن شاهنا .

(الحكم) يحرم أكله لتقويته بنابه .

(الأمثال) وصفته العرب بأوصاف مختلفة فقالوا : أغدر من ذئب ، وأختل وأخبث وأخون وأجول وأعتى وأعوى وأظلم وأجرأ وأكسب وأجوع وأنشط وأوقح وأجسر وأيقظ وأعق وألأم من ذئب ، وقالوا : أخوك أم الذئب ؟ وقالوا : أخف رأسا من الذئب لأنه ينام بإحدى مقلتيه كما تقدم ، وسيأتى له ذكر فى أمثال الغراب . وقالوا فى الدعاء على العدو : رماه الله بداء الذئب : أى الجوع . وقالوا : الذئب يكنى أبا جعدة كما تقدم . وقالوا من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم : أى ظلم الغنم ، ويجوز أن يراد به ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه ، وأول من قال ذلك أكثم بن صيفى ، وقاله عمر رضى الله تعالى عنه فى قصة سارية بن حصن المشهورة ؛ وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة ، فقال فى خطبته ياسارية بن حصن الجبل الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم ، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ولم يفهموا مراده ، فلما قضى صلاته قال له على كرم الله وجهه : ماهذا الذى قلته قال : أسمعته ؟ قال : نعم ، أنا وكل من فى هذا المسجد . قال : وقع فى خلدى أن المشركين

هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا فخرج منى هذا الكلام ، فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر رضى الله تعالى عنه يقول : يا سارية بن حصن الجبل الجبل ، فعدلوا إليه ففتح الله عليهم ؛ كذا نقله فى تهذيب الأسماء واللغات . وفى طبقات ابن سعد وأسد الغابة : أنه سارية بن زنيم بن عمرو ابن عبد الله بن جابر .

وأنشدوا فى معنى هذا المثل هذا البيت :

وراعى الشاء يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

كان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى يقول لعلماء الدنيا فى زمانه : يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية ، وأثوابكم طالوتية ، وأخفافكم جالوتية ، وأوانيكم فرعونية ، ومراكبكم قارونية ، وموائدكم جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين المحمدية ؟

(الخواص) إذا علق رأس الذئب فى برج حمام لم يقربه سنور ولا شىء يؤذى الحمام ، وكعب الذئب الأيمن إذا علق على رأس رمح ثم اجتمع عليه جماعة لم يصلوا إليه ما دام الكعب معلقا على رمحه ، وعينه اليمنى من علقها عليه لم يخف لصا ولا سبعا ، وخصيته إذا شقت وملحت بملح وصعتر وسقى منها وزن مثقال بماء الجرجير من به وجع الخاصرة أبرأه وهو نافع أيضا لذات الجنب إذا شرب منها بماء حار وعسل ، ودمه ينفع من الصمم إذا ديف بدهن الجوز وقطر فى الأذن ، ودماغه يداف بماء السداب والزيت ويدهن به الجسد ينفع من كل علة ظاهرة وباطنة فى البدن من البرد ، وأنيابه وجلده وعينه إذا حملها الإنسان معه غلب خصمه وكان محببا إلى الناس جميعا ، وكبده تنفع من وجع الكبد ، وقضيبه إذا شوى فى الفرن ومضغت منه قطعة هيجت الباه ، وإذا خلطت مرارته بالعسل أو بالماء ولطخ بها الذكر وقت الجماع أحبت المرأة الرجل حبا شديدا ، وإذا علق ذنب الذئب عن معلف بقر لم تقرب إليه مادام معلقا وإن أجهدها الجوع ، وإن بخر موضع بزبله لم يقربه الفأر وقيل يجتمع إليه الفأر ، وإذا اجتمع جلده وجلد شاة فى موضع واحد تجرد جلد الشاة كما تقدم ، ومن أدمن الجلوس على جلده أمن من القولنج ، وإذا علق وتر من ذنبه على شىء من الملاهى وضرب بها تقطعت جميع أوتار الغنم التى تكون على الملاهى ولم يسمع لها صوت وإذا بخر بجلد الذئب حانوت من يعمل الدفوف التى تلعب بها النساء تشققت ، وإن اتخذ طبل من جلده وضرب به بين طبول تشققت الطبول كلها ، وشحمه ينفع من داء الثعلب وشرب مرارته ينفع من استرخاء البطن ، وإذا لطخ بها على الإحليل جامع الرجل ماشاء وإذا طلى بمرارته مع مرارة نسر ودهن الزئبق هيج الباه وأنعظ ، وربما أنزل من لذة ذلك ،

وإذا دبغت مرارته يدهن ورد ودهن بها الرجل حاجبيه أحبته المرأة إذا مشى بين يديها ، وإذا خلطت مرارته بورس وطلى بها الوجه أذهب البهق ، وعين الذئبة إذا علقت على من يصرع تمنع من الصرع ، وإن أخذ عظم من العظام التى توجد فى زبل الذئب وخدش بها الضرس الوجع أبرأه من وقته ، وقال جالينوس : يسعط بمرارة الذئب ودهن البنفسج من به الشقيقة المزمنة فإنه يبرأ ، وإن سعط بذلك المولود أمن من الصرع ما عاش ، وعيناه إذا علقتا على صبى لم يصرع ، وإن أخذ جزء من مرارة الذئب وجزء من عسل لم تصبه النار واكتحل به نفع من ظلمة العين وضعف البصر ، وإن عقد ذنب الذئب باسم امرأة لم يقدر عليها أحد من الرجال حتى تحل العقدة . وإن خلطت مرارة الذئب بعسل وطلى بها الذكر وجامع امرأة فإنها تحب ذلك الرجل حبا شديداً ، ودم الذئب ينضج الجراحات .

(صفة طلسم لجميع الذئاب) يعمل تمثال ذئب من نحاس ، ويجوف داخله ويوضع فيه قضيب ذئب ويصفر به فتجتمع الذئاب التى تسمع صوته إليه .

(صفة طلسم تهرب منه الذئاب) يعمل تمثال ذئب من نحاس ، ويحشى من خرء ذئب ويدفن فى أى موضع أردت فإن الذئاب تهرب من ذلك الموضع .

﴿ التعبير ﴾ تدل رؤيته على الكذب والحيلة والعداوة للأهل والمكر بهم ، وقيل الذئب فى الرؤيا لص غشوم ظلوم : وجروه ولد لص فمن رأى جرو ذئب فإنه يرى لصا لقيطا ، وإن تحول الذئب حيوانا إنسيا كالخروف وشبهه فإنه لص يتوب ، ومن رأى ذئبا دخل داره فليحذر اللصوص ، ومن رأى ذئبا فإنه يتهم إنسانا ويكون المتهم بريئا لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام ، ومن رأى ذئبا وكلبا اتفقا واجتمعا دل على النفاق والمكر والخديعة ، والله أعلم .

﴿ ذؤال ﴾ : اسم للذئب كأسامة للأسد وهو معرفة ، سمى بذلك لأنه يذأل فى مشيته وهى المشية الخفيفة .

وفى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بجارية سوداء ترقص صبيا لها وتقول :

« ذؤل يا ابن القرم ياذؤال » فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لاتقولى ذؤال فإنه شر السباع » وذؤال ترخيم ذؤالة والقرم السيد .

﴿ الذيخ ﴾ : بكسر الذال ذكر الضباع الكثير الشعر والأنثى ذيخة والجمع ذيوخ وأذياخ وذيخة . روى البخارى فى أحاديث الأنبياء وفى التفسير عن إسماعيل بن عبد الله قال : حدثنى أخى عبد الحميد عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يلقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه يوم القيامة وعلى وجه

آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم عليه السلام : ألم أقل لك أن لاتعصنى ؟ فيقول أبوه : فاليوم لاأعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتنى أن لاتخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أن يكون أبى فى النار ؟ فيقول الله تعالى : إنى حرمت الجنة على الكافرين ، فيقال يا إبراهيم ماتحت رجليك ؟ فينظر فإذا بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار » ورواه النسائى والبزار والحاكم فى آخر المستدرك عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ليأخذن رجل ببد أبيه يوم القيامة يريد أن يدخله الجنة لايدخلها مشرك لأن الله حرم الجنة على كل مشرك . قال : فيقول أى رب أبى ، فيحول فى صورة قبيحة وريح منتنة فيتركه . قال : فكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يرون أنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولم يزدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك » ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ثم روى الحاكم عن حماد بن سلمة عن أيوب بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يلقى الرجل أباه يوم القيامة فيقول : يا أبت أى ابن كنت لك ؟ فيقول خير ابن ، فيقول : هل أنت مطيعى اليوم ؟ فيقول : نعم ، فيقول : خذ بأزرتى فيأخذ بأزرته ثم ينطلق حتى يأتى الله وهو يعرض الخلق فيقول : ياعبدى ادخل من أى أبواب الجنة شئت ، فيقول : أى رب وأبى معى فإنك وعدتنى أن لاتخزينى . قال : فيمسخ الله أباه ضبعا ثم يلقى فى النار ، فيأخذ بأنفه ، فيقول الله تعالى : ياعبدى أبوك هو ؟ فيقول لا وعزتك » ثم قال صحيح على شرط مسلم ، وفى حديث خزيمة بن ثابت أو ابن حكيم السلمى البهزى وليس بالأنصارى ، والذيخ محرنجم أى كالح منقبض من شدة الجذب ، وهو حديث طويل شرحه ابن الأثير أوائل كتاب [مثال الطالب] .

والحكمة فى كونه مسخ ضبعا دون غيره من الحيوان أن الضبع أحمق الحيوانات كما سيأتى إن شاء الله فى أمثال الضبع . ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له ، ولذلك قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لأكون كالضبع تسمع اللدم فتخرج حتى تصاد . واللدم الضرب الخفيف ، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق ، لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى فى جحرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ، ويقال لها وهى فى جحرها أطرقى أم طريق خامرى أم عامر أبشرى بجراد عطلى وشاة هزلى ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها ، ولأن آزر لو مسخ كلبا أو خنزيرا لكان فيه تشويه لخلقه فأراد الله تعالى إكرام إبراهيم عليه الصلاة والسلام بجعل أبيه على هيئة متوسطة . قال فى المحكم يقال ذيخته أى ذللته فلما خفض إبراهيم لأبيه جناح الذل من الرحمة فلم يقبل حشر بصفة الذل يوم القيامة ، وهذه الحكمة هى أحد الأسباب الباعثة على تأليف هذا الكتاب كما تقدم فى خطبته ، والله أعلم .

باب الراء المهملة

﴿ الراحلة ﴾ : قال الجوهرى : هى الناقة التى تصلح لأن ترحل وكذلك الرحول ويقال الراحلة المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى انتهى . والهاء فيها للمبالغة كالتى فى داهية وراوية وعلامة ، وإنما سميت راحلة لأنها ترحل : أى يشد عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى — فهو فى عيشة راضية — أى مرضية ، وقد ورد فاعل بمعنى مفعول فى عدة مواضع من القرآن العظيم كقوله تعالى — لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم — أى لامعصوم وكقوله تعالى — ماء دافق — أى مدفوق ، وكقوله تعالى — حرما آمنا — أى مأمونا ، وفيه جاء أيضا مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى — حجابا مستورا — أى ساترا — وكان وعده مأتيا — أى آتيا . قال الحريرى : وقد يكنى عن النعل بالراحلة لأنها مطية القدم ، وإليها أشار الشاعر بقوله ملغزا :

رواحلنا ست ونحن ثلاثة نجبهن الماء فى كل مورد

روى البيهقى فى الشعب فى أواخر الباب الخامس والخمسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من مشى عن راحلته عقبة فكأنما أعتق رقبة » قال أبو أحمد : العقبة ستة أميال . وروى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث الزهرى عن سالم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الناس كإبل مائة لاتجد فيها راحلة » وقال البيهقى فى سننه فى باب إنصاف الخصمين فى الدخول على القاضى والاستماع منهما والإنصات لهما : هذا الحديث يتأول على أن الناس فى أحكام الدين سواء لافضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع كالإبل المائة لايكون فيها راحلة وهى الذلولة التى ترحل وتركب . وذكر قبله عن ابن سيرين أنه قال : كان أبو عبيدة بن حذيفة قاضيا فدخل عليه رجل من الأشراف وهو يستوقد نارا فسأله حاجة ، فقال له أبو عبيدة : أسألك أن تدخل أصبعك فى هذه النار . قال : سبحان الله . قال : أبخلت علىّ بأصبع من أصابعك أن تدخله فى هذه النار وتسألنى إدخال جسمى كله فى نار جهنم .

وقال ابن قتيبة : الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره ، وهى كاملة الأوصاف فإذا كانت فى إبل عرفت . قال : ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل فى النسب بل هم أشباه كالإبل المائة . وقال الأزهرى : الراحلة عند العرب الجمل النجيب والناقة النجيبة . قال : والهاء فيها للمبالغة كما يقال رجل نسابة وداهية . قال : والمعنى الذى ذكره ابن قتيبة غلط ، بل معنى الحديث أن الزاهد فى الدنيا الكامل فى الزهد فيها الراغب فى الآخرة قليل جدا كقلة الراحلة فى الإبل ، وهذا كلام الأزهرى . قال الإمام النووى وهو

أجود من كلام ابن قتيبة وأجود منهما قول آخرين : أن المرضى الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل فيهم جدا كقلة الراحلة فى الإبل ، قالوا : والراحلة البعير الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوى على الأحمال والأسفار . وقال الإمام العلامة الحافظ أبو العباس القرطبى شيخ المفسرين فى زمانه : الذى يقع لى أن الذى يناسب التمثيل بالراحلة إنما هو الرجل الكريم الجواد الذى يتحمل كل الناس وأثقالهم بما يتكلف من القيام بحقوقهم والغرامات عنهم وكشف كربهم فهذا هو القليل الوجود ، بل قد يصدق عليه اسم المفقود . قلت : وهذا أشبه القولين والله أعلم .

﴿ الرأل ﴾ : ولد النعام ، والأنثى رألة والجمع رئال ورئلان ، وسيأتى ذكر النعام فى باب النون إن شاء الله تعالى .

﴿ الراعى ﴾ : بالراء والعين المهملتين طائر متولد بين الورشان والحمام ، وهو شكل عجيب قاله القزوينى ؛ وقال الجاحظ : إنه متولد بين الحمام والورشان ، وهو كثير النسل ويطول عمره ، وله فضل وعظم فى البدن ، والفرخ عليهما ؛ وله فى الهدير قرقرة ليست لأبويه حتى صارت سببا للزيادة فى ثمنه وعلة للحرص على اتخاذه ، وقد ضبطه بعض مصنفى العصر بالزاى والغين المعجمتين وهو وهم .

﴿ الربى ﴾ : على وزن فعلى بالضم الشاة التى وضعت حديثا وإن مات ولدها فهى أيضا ربى ، وقيل ربابها مابينها وبين عشرين يوما ، وقيل هى ربى مابينها وبين شهرين من وضعها وخصها أبو زيد بالمعز وغيره بالضأن ، وقيل الربى من المعز والرعوث من الضأن وجمعها رباب بالضم . قلت : وقد جاء الجمع على فعال فى خمس عشرة كلمة : رباب جمع ربى ، ورخال الآتى فى الباب ، ورذال جمع رذل ، وبساط جمع بسط ، وناقة بسيطة : أى هزيلة ، وتؤام تقول هذا در تؤام : أى من التوأمين ، ونذال جمع نذل ، ورعاء جمع راع ، وقماء جمع قمىء : أى حقير ، وجمال جمع جمل ، وسحاح جمع سح المطر : أى كثرة انصبابه ، وعراق جمع عرق . قال على كرم الله وجهه : الدنيا أهون على الله من عراق خنزير بيد أجذم وظؤار جمع ظئر وهى الدابة ، وثناء جمع ثنى واحد أثناء الشىء ، وعزاز جمع عزيز ، وفوار جمع فرير وهو الظبى .

﴿ الرباح ﴾ : بفتح الراء والباء الموحدة المخففة دويبة كالسنور وهى التى يجلب منها الزباد وهذا هو الصواب فى التعبير ، ووهم الجوهرى فقال فى النسخة التى بخطه : الرباح اسم دويبة يجلب منها الكافور وهو وهم عجيب ، فإن الكافور صمغ شجر بالهند والرباح نوع منه فكأن الجوهرى لما سمع أن الزباد يجلب من الحيوان سرى ذهنه إلى الكافور فذكره ، وسيأتى

ذكره فى باب الزاى المعجمة ، فلما رأى ابن القطاع هذا الوهم أصلحه فقال : والرباح بلد يجلب منه الكافور ، وهو أيضا وهم لأن الكافور صمغ شجر يكون داخل الخشب ويتخشخش فيه إذا حرك فينشره ويستخرج ، وقد أجاد ابن رشيق بقوله :

فكرت ليلة وصلها فى صدها ... فجرت بقايا أدمعى كالعنـدم
فطفقت أمسح مقلتى فى نحرها ... إذ عادة الكافور إمساك الدم

﴿ الرباع ﴾ : بضم الراء المهملة وتشديد الباء الموحدة ذكر القرود ، وسيأتى حكمه . (الأمثال) قالوا : أجبن من رباح .

﴿ الربح ﴾ : بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة الفصيل كأنه فى لغة فى الربيع ، والربح أيضا طائر قاله الجوهرى .

﴿ الربية ﴾ : دويبة بين الفأر وأم حبين قاله ابن سيده ، وقال غيره هى الفأر .

﴿ الرتوت ﴾ : الخنازير قاله الجوهرى بعد أن قال : الرت الرئيس وهؤلاء رتوت البلد . وقال فى المحكم : الرت شىء يشبه الخنزير البرى وجمعه رتوت ، وقيل هى الخنازير الذكور وقد تقدمت فى باب الخاء المعجمة .

﴿ الرئيلى ﴾ : بضم الراء المهملة وفتح الثاء المثلثة جنس من الهوام ويمد أيضا ، وسيأتى ذكرها فى آخر الصيد . وقال الجاحظ : الرئيلى نوع من العناكب وتسمى عقرب الحيات لأنها تقتل الحيات والأفاعى انتهى . وقال أبو عمر وموسى القرطبى الإسرائيلى : الرئيلى اسم يقع على أنواع كثيرة من الحيوان ، وقيل إنها ستة أنواع ، وقيل ثمانية وكلها من أصناف العنكبوت ، وذكر حذاق الأطباء أن أعظم هذه الأنواع شرا المصرية . أما النوعان الموجودان فى البيوت فى أكثر البلاد فهما العنكبوت ونكايتهما قليلة ، وأما بقية الأنواع الأخرى من الرئيلات فإنها توجد غالبا فى الأرياف ؛ ومنها نوع له زغب وأهل مصر يسمونه أبا صوفة ، ونهش هذه الأنواع كلها قريب من لسع العقرب ، وسيأتى ذكرها فى الصاد فى الصيد إن شاء الله تعالى .

ومن خواصها : أن شرب دماغها مع شىء من الفلفل ينفع من سمها .

وهى فى الرؤيا تدل على امرأة مؤذية مفسدة لما يصلحه الناس من نسج ناقضة لما يبرمونه منه ، وقيل هى فى الرؤية عدو قتال حقير المنظر شديد الطعنة ، والله أعلم .

﴿ الرخل ﴾ : الأنثى من ولد الضأن ، والجمع رخال كما تقدم .

﴿ الرخ ﴾ : بالخاء المعجمة فى آخره طائر فى جزائر بحر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع ذكره الجاحظ وأبو حامد الأندلسى . قال : وقد كان وصل إلى أرض المغرب رجل من التجار ممن سافر إلى الصين وأقام بها مدة ، وكان عنده أصل ريشة من جناحه كانت تسع قربة ماء ، وكان يقول : إنه سافر مرة فى بحر الصين فألقتهم الريح إلى جزيرة عظيمة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب ، فرأوا قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع ولها لمعان وبريق فعجبوا منها ، فلما دنوا منها إذا هى بيضة الرخ ، فجعلوا يضربونها بالخشب والفئوس والحجارة حتى انشقت عن فرخ كأنه جبل فتعلقوا بريشة من جناحه فجروه فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة معهم خرج أصلها من جناحه ولم يكمل بعد خلقه فقتلوه وحملوا ماقدروا عليه من لحمه ، وقد كان بعضهم طبخ بالجزيرة قدرا من لحمه وحركها بعود حطب ثم أكلوه ، وكان فيهم مشايخ ، فلما أصبحوا إذا هم قد اسودت لحاهم ، ولم يشب بعد ذلك من أكل من ذلك الطعام ، وكانوا يقولون : إن ذلك العود الذى حركوا به القدر من عود شجرة النشاب قال : فلما طلعت الشمس إذا بالرخ قد أقبل فى الهواء كأنه سحابة عظيمة فى رجله حجر كالبيت العظيم أكبر من السفينة ، فلما حاذى السفينة ألقى ذلك الحجر بسرعة فوقع الحجر فى البحر وسبقت السفينة ، ونجاهم الله تبارك وتعالى بفضله ورحمته .

والرخ : من أدوات الشطرنج ، والجمع رخاخ ورخخة . قال ابن سيده : وقد أجاد سرى الرفاء حيث قال :

وفتية زهر الآداب بينهم أبهى وأنضر من زهر الرياحين
راحوا إلى الراح مشى الرخ وانصرفوا والراح يمشى بهم مشى البراذين

ومن مستحسن شعره قوله :

بنفسى من أجود له بنفسى ويبخل بالتحية والسلام
وحتفى كامن فى مقلتيه كمون الموت فى حد الحسام

(التعبير) الرخ فى المنام : يدل على أخبار غريبة وأسفار بعيدة ، وربما دل على الهذر فى الكلام الصحيح والسقيم ، وكذلك العنقاء والله أعلم ، وسيأتى حكمها فى باب العين المهملة .

﴿ الرخمة ﴾ : بالتحريك طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة وكنيتها : أم جعران وأم رسالة وأم عجيبة وأم قيس وأم كبير ، ويقال لها الأنوق ، والجمع رخم والهاء فيه للجنس . قال الأعشى :

يارخما قاظ على مطلوب يعجل كف الخارئ المطيب

مطلوب اسم جبل ، والمطيب معناه الذى يطلب طيب النفس بالاستنجاء ، ومنه الاستطابة

وتسمى الرخمة بالأنوق كما تقدم ، ويقال لها ذات الاسمين لذلك وهى تحمق مع تحرزها قال الكميت :

وذات اسمين والألوان شتى تحمق وهى كيسة الحويل

أى الحيلة .

وذكر عند الشعبي الروافض فقال : لو كانوا من الدواب لكانوا حمرا ، ولو كانوا من الطير لكانوا رخما ، ومن طبع هذا الطائر أنه لايرضى من الجبال إلا بالموحش منها ، ولا من الأماكن إلا بأسحقها وأبعدها من أماكن أعدائه ، ولا من الهضاب إلا بصخورها ، ولذلك تضرب العرب المثل بالامتناع ببيضه فيقولون : أعز من بيض الأنوق كما تقدم ، والأنثى منه لاتمكن من نفسها غير ذكرها ، وتبيض بيضة واحدة وربما أتأمت وهى من لئام الطير ، وهى ثلاثة البوم والغراب والرخمة .

(وحكمها) تحريم الأكل كما تقدم . روى البيهقى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الرخمة » وإسناده ليس بالقوى وقال الإمام العلامة القرطبى فى تفسير آخر سورة الأحزاب — كالذين آذوا موسى — بقولهم إنه قتل أخاه هارون فتكلمت الملائكة بموته ولم يعرف موضع قبره إلا الرخمة فلذلك جعله الله أصم أبكم ، وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ، وفى كتاب [تواريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام] وقال الزمخشرى : إنها تقول فى صياحها : سبحان ربى الأعلى .

(الأمثال) قالوا : أحمق من رخمة وأموق ، وإنما خصت من بين الطير بذلك لأنها أم الطير وأظهرها حمقا وموقا وأقذرها طعما لأنها تأكل العذرة . وقالوا : انطق يارخم فإنك من طير الله أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة فقيل لها يهزأ بها إنك من طير الله فانطق ، يضرب للرجل الذى لايلتفت إليه ولا يسمع منه .

(الخواص) إذا بخر البيت بريشها طرد الهوام ، وزبلها يداف بخل خمر ويطلى به البرص يغير لونه وينفعه ، وكبدها تشوى وتسحق وتداف ويسقى ذلك لمن به جنون كل يوم ثلاث مرات ثلاثة أيام متوالية يشفى ، وإن علق رأسها على المرأة التى عسرت ولادتها وضعت سريعا والجلد الأصفر الذى على قانصة الرخمة إذا أخذ وسحق بعد تجفيفه وشرب بشراب العسل نفع من كل سم ، وعظم رأس الرخمة ينفع من وجع الرأس تعليقا .

(التعبير) الرخمة فى الرؤيا : إنسان أحمق قذر ، فمن رأى أنه أخذ رخمة فإنه يقع فى حرب يسفك فيه دم كثير ، وقيل من أخذ رخمة مرض مرضا شديدا . وقالت النصارى : الرخم الكثير يدل على عسكر يحل فى ذلك المكان وهم سفل يأكلون الحرام . وقال أرطاميدورس : الرخم دليل خير لمن صنعته خارج البلد كالكلاسين وصناع الآجر لأن الرخم لايدخل البلد

والرخم فى المنام يدل على ناس يغسلون الموتى ويسكنون المقابر لأن الرخم يأكل الجيفة ولا يدخل المدن ، ومن رأى رخمة فى دار وكان فيها مريض فإنه يموت وإن لم يكن فى الدار مريض خشى على صاحب الدار من الموت أو المرض الشديد ، والله أعلم .

﴿ الرشأ ﴾ : بفتح الراء : الظبى إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه ، والجمع أرشاء .

أنشدنا شيخنا الإمام العلامة جمال الدين عبدالرحيم الأسنوى رحمه الله قال : أنشدنا شيخنا الشيخ أثير الدين أبو حيان قال : أنشدنا شيخنا أبو جعفر بن الزبير قال : أنشدنا أبو الخطاب ابن خليل قال : أنشدنا شيخنا أبو حفص عمر بن عمر قاضى أشبيلية لنفسه وقد أهديت إليه جارية فتبين له أنه قد كان وطىء أمها فردها ومعها هذه الأبيات :

يا مهدى الرشأ الذى ألحاظه ... تركت جفونى نصب تلك الأسهم
ريحانة كل المنى فى شمها ... لولا المهيمن واجتناب المحرم
ما عن قلى صرفت إليك وإنما ... صيد الغزالة لم يبح للمحرم
يا ويح عنترة يقول وشفه ... ماشفنى وجدا وإن لم أكتم
يا شاة ما قنص لمن حلت له ... حرمت علىّ وليتها لم تحرم

وقال أبو الفتح البستى وأجاد :

من أين للرشأ الغرير الأحور ... فى الخد مثل عذارك المتحدر
رشأ كأن بعارضيه كليهما ... مسكا تساقط فوق ورد أحمر

﴿ الرشك ﴾ : بضم الراء وإسكان الشين المعجمة ، وهو بالفارسية اسم للعقرب .

ذكر القاضى الإمام أبو الوليد بن الفرضى فى كتاب [الألقاب فى أسماء نقلة الحديث] والخطيب أبو على الغسانى فى كتاب [تقييد المهمل] والقاضى أبو الفضل عياض بن موسى فى كتاب [مشارق الأنوار] والحافظ أبو الفرج بن الجوزى وغيرهم : أن يزيد بن أبى يزيد واسمه سنان الضبعى مولاهم البصرى الدار المعروف بذلك أنه لقب بذلك لكبر لحيته ، قيل إن العقرب دخلت فى لحيته فأقامت ثلاثة أيام وهو لايدرى بها لعظم لحيته وطولها . قال ابن دحية فى كتابه [العلم المنشور] : والعجب كيف لا يحس بها وكيف لا تسقط عند وضوئه للصلاة ، ولعله كان لايخلل لحيته لكبرها أو كانت العقرب صغيرة جدا فاختبأت بين الشعر ، وأما كونها مقدرة بثلاثة أيام فهذا التقدير كيف يصح لأنه لو علم بها فى أول وجودها فى لحيته ما تركها فمن أين تعلم هذه المدة ؟ انتهى . والذى عندى فى ذلك أنه يحتمل أن يكون فى منتزه أو كان فى مكان فيه العقارب كثيرة ، وكانت مدة إقامته فى ذلك المكان ثلاثة أيام فلما أصابها بعد ذلك علم أن مبدأ وجودها كان

من ذلك الوقت ؛ وهذا أولى من تكذيب من رواه من الأئمة الأعلام ، فقد روى الحاكم أبو عبد الله فى كتاب [علوم الحديث] له عن يحيى بن معين أنه قال : كان يزيد يسرح لحيته فخرج منها عقرب فلقب بالرشك انتهى . والمشهور أن الرشك هو القسام بلغة أهل البصرة سمى بذلك لأنه كان يقسم الأرض والدور وغير ذلك ، مات بالبصرة سنة ثلاثين ومائة وروى له الجماعة . قال الترمذى أبو عيسى فى باب ما جاء فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر : حدثنا محمود بن غيلان . حدثنا أبو داود . حدثنا شعبة عن يزيد الرشك قال: سمعت معاذا يقول : «قلت لعائشة رضى الله تعالى عنها: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ؟ قالت : نعم ، قلت : من أيها كان يصوم ؟ قالت: كان لا يبالى من أيها صام » قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، ويزيد الرشك هو يزيد بن أبى يزيد الضبعى وهو يزيد القاسم وهو للقسام والرشك هو القسام بلغة أهل البصرة كما تقدم .

﴿ الرفراف ﴾ : طائر يقال له ملاعب ظله ويقال له خاطف ظله ، وسيأتى الكلام عليه فى باب الميم ؛ والظليم أيضا يقال له رفراف لرفرفته عند عدوه ، والرفرف ضرب من السمك قاله ابن سيده .

﴿ الرق ﴾ : بكسر الراء وبالقاف : ضرب من دواب الماء يشبه التمساح ، والرق أيضا العظيم من السلاحف وجمعه رقوق .

وفى غريب الحديث كان فقهاء المدينة يشترون الرق ويأكلونه ، رواه الجوهرى بفتح الراء والأكثرون بكسرها .

﴿ الركاب ﴾ : بكسر الراء : الإبل ، واحدتها راحلة وجمعها ركائب :

وفى حديث جابر رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت » ويجمع أيضا على ركب ، ومنه قيل زيت ركابى لأنه يحمل على ظهور الإبل ، والركوبة ما يركب يقال ماله ركوبة ولا حلوبة . ولا حمولة : أى ما يركبه ويحلبه ويحمل عليه ، وقرأت عائشة رضى الله تعالى عنها «فمنها ركوبتهم» وجمع الركوبة ركائب اهـ .

وقال السهيلى قبيل الكلام على ما أنزل الله تعالى فى غزوة بدر والركوبة جمعها ركائب اهـ .

ولو أراد الجمع بغير هاء ، لقال عجز كما جاء فى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال « إن الجنة لا يدخلها العجز » قالها ممازحا لعمته صفية رضى الله عنها ، وقيل بل قالها لامرأة من الأنصار ذكر ذلك هناد بن السرى فى كتاب [الرقائق] له .

﴿ الركم ﴾ : الفأر ، ويسمى ركينا على لفظ التصغير قاله ابن سيده .

﴿ الرمكة ﴾ : بالتحريك الأنثى من البراذين ، والجمع رماك ورمكات وأرماك أيضا عن الفراء مثل ثمار وأثمار ، ووقع فى الوسيط فى الباب الثانى من أبواب البيع لو قال بعتك هذه النعجة فإذا هى رمكة ففى قول يعول على الاشارة وفى قول آخر يعول على العبارة . قال ابن الصلاح : هذا تصحيف إنما هو هذه البغلة فإن الرمكة لا تشتبه بالنعجة .

﴿ الرهدون ﴾ : الرهدون والرهدنة بفتح الراء طائر يشبه الحمرة يرهدن فى مشيته كأنه يستدير وجمعه رهادن ، وهو كثير بمكة خصوصا بالمسجد الحرام ، وهو يشبه العصافير إلا أنه أدبس .

﴿ الروبيان ﴾ : هو سمك صغير جدا أحمر .

(الخواص) إن طرحت رجل الروبيان فى شراب من يحب الشراب أبغضه ، ورقبته يبخر بها فيسقط الجنين ، وإذا دق الروبيان وهو طرى وضمد به موضع الشوك أو السهم الغائص فى البدن أخرجه بسهولة ، وإن سلق مع الحمص الأسود وضمد به السرة أخرج حب القرع ، وإن جفف وسحق واكتحل به صاحب الغشاوة نفعه ، وإن سحق مع سكنجبين وشرب أخرج حب القرع من الجوف قاله عبد الملك بن زهر .

﴿ الريم ﴾ : ولد الظبى والجمع آرام . قال الشاعر :

بها العير والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

يقول : إذا ذهب فوج جاء فوج . وقال الأصمعى : الآرام الظباء البيض الخالصة البياض الواحدة ريم . قال : وهى تسكن الرمال ، وهذا النوع من الظباء يقال إنه ضأنها لأنه أكثرها شحما ولحما ، وكان زكى الدين كامل القطيعى أبو الفضل يعرف بقتيل الريم وأسير الهوى ، توفى سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ومن شعره :

لى مهجة كادت بحر كلومها للناس من فرط الجوى تتكلم
لم يبق منها غير أرسم أعظم متحدثات للهوى تتظلم

﴿ أم ربياح ﴾ : بفتح الراء وتخفيف الموحدة وحاء مهملة : طائر أغبر أحمر الجناحين والظهر يأكل العنب قاله فى المرصع .

﴿ أبو رياح ﴾ : بكسر الراء وتخفيف الياء المثناة تحت اليؤيؤ ، وسيأتى فى آخر الكتاب .

﴿ ذو رميح ﴾ : مصغر اليربوع ورمحه ذنبه ، وقيل هو ضرب من اليرابيع طويل الرجلين قاله ابن سيده .

باب الزاى

﴿الزاغ﴾ : من أنواع الغربان يقال له الزرعى وغراب الزرع وهو غراب أسود صغير وقد يكون محمر المنقار والرجلين ، ويقال له غراب الزيتون لأنه يأكله ، وهو لطيف الشكل حسن المنظر لكن وقع فى عجائب المخلوقات أنه الأسود الكبير وأنه يعيش أكثر من ألف سنة وهو وهم والصواب الأول .

(عجيبة) رأيت فى المنتقى من انتخاب الحافظ السلفى ، وفى آخر ورقة من عجائب المخلوقات عن محمد بن إسماعيل السعدى أنه قال : وجه إلى يحيى بن أكثم فتوجهت إليه ، فلما دخلت عليه إذا عن يمينه قمطر فأجلسنى عليه وأمر أن يفتح ، فإذا شىء خرج منه رأسه كرأس إنسان ، ومن أسفله إلى سرته على هيئة زاغ ، وفى صدره وظهره سلعتان ، قال : ففزعت منه ويحيى يضحك ، فقلت له : ما هذا أصلحك الله ؟ فقال لى : سل عنه منه ؟! فقلت له : ما أنت ؟ فنهض وأنشد بلسان فصيح :

أنا الزاغ أبو عجـوه أنا ابن الليت واللبوه
أحب الراح والريحا ن والقهوة والنشوه
فلا عدوى يدى تخشى ولا يحـذر لى سطوه
ولى أشياء تستظ رف يوم العرس والدعوه
فمنهـا سلعة فى الظ بهر لا تسترها الفروه
وأما السلعة الأخـرى فلو كان لها عروه
لما شك جميع النا س فيها أنها ركوه

ثم صاح ومد صوته زاغ زاغ وانطرح فى القمطر ، فقلت : أعز الله القاضى وعاشق أيضا ؟ فقال : هو ما ترى لا علم لى بأمره إلى أنه حمل إلى أمير المؤمنين مع كتاب مختوم فيه ذكر حاله لم أقف عليه انتهى . وهذا الخبر قد رواه الحافظ أبو طاهر السلفى على غير هذه الطريقة ، وهو ما أخبر به موسى الرضا قال : قال أبو الحسن على محمد : دخلت على أحمد بن أبى دواد وعن يمينه قمطر ، فقال لى : اكشف وانظر العجب ، فكشفت فخرج على رجل طوله شبر من وسطه إلى أعلاه رجل ، ومن وسطه إلى أسفله صورة زاغ ذنبا ورجلا ، فقال لى : من أنت ؟ فانتسبت له : ثم سألته عن اسمه ؟ فقال :

أنا الزاغ أبو عجوه حليف الخمر والقهوه
ولى أشياء لا تنكر يوم القصف فى الدعوه
فمنها سلعة فى الظهر لا تسترها الفـروه

ومنها سلعة فى الصد ر لو كان لها عروه
لما شك جميع النا س حقا أنها ركوه

ثم قال : أنشدنى شيئا فى الغزل فأنشدته :

وليل فى جوانبه فضول من الإظلام أطلس غيهبان
كأن نجومه دمع حبيس ترقرق بين أجفان الغوانى

فصاح : وأبى وأمى ، ورجع إلى القمطر وستر نفسه ، فقال ابن أبى دواد : وعاشق أيضا !

قال ابن خلكان فى ترجمة يحيى بن أكثم : إنه لما ولى البصرة كان سنه نحو عشرين سنة فاستصغروه أهل البصرة وقالوا له كم سن القاضى ، فعلم أنهم استصغروه فقال : أنا أكبر من عتاب ابن أسيد الذى وجه به النبى عليه الصلاة والسلام قاضيا على مكة يوم الفتح ، ومن معاذ ابن جبل الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن ، ومن كعب بن سور الذى وجه به عمر رضى الله تعالى عنه قاضيا على البصرة ، فجعل جوابه احتجاجا . قيل : لما أراد المأمون أن يولى رجلا القضاء وصف له يحيى بن أكثم فاستحضره فرآه دميم الخلق فاستحقره فعلم يحيى ذلك فقال : يا أمير المؤمنين سلنى إن كان القصد علمى لا خلقى ، فسأله فأجابه فقلده القضاء . قال : ولم يعلم أحد غلب على سلطانه فى زمانه إلا يحيى بن أكثم وأحمد بن أبى دواد المعتزلى وكان حنفيا ، ولم يكن على الإمام أحمد رحمه الله تعالى فى محنته أشد منه ، وسيأتى ذكر طرف من محنته فى باب الكاف فى لفظ الكلب إن شاء الله تعالى . قال : وكانت كتب يحيى فى الفقه أجل كتب فتركها الناس لطولها وكان ليحيى يوم فى الإسلام لم يكن لأحد مثله ، وهو أن المأمون كان فى طريق الشام فأمر فنودى بتحليل المتعة ، ولم يستطع أحد أن يحتج عليه فى تحريمها غير يحيى فقرر عنده تحريم المتعة . فقال المأمون : أستغفر الله تعالى نادوا بتحريم نكاح المتعة .

وروى أن رجلا قال ليحيى : أيها القاضى كم آكل ؟ فقال : فوق الجوع ودون الشبع قال : فكم أضحك ؟ قال : حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك . قال : فكم أبكى ؟ قال : لا تمل من البكاء من خشية الله . قال : فكم أخفى عملى ؟ قال : ما استطعت . قال فكم أظهر منه ؟ قال : ما يقتدى بك البر و يؤمن عليك قول الناس . فقال الرجل : سبحان الله قول وعمل ظاعن . قال : ولم يكن فى يحيى ما يعاب به سوى ما كان يتهم به مما هو شائع عنه من محبة الصبيان وحب العلو ، وكان إذا رأى فقيها سأله عن الحديث ، أو محدثا سأله عن النحو ، أو نحويا سأله عن الكلام ليخجله ويقطعه ، فدخل عليه يوما رجل من أهل خراسان فناظره فرآه متفننا حافظا فقال له : نظرت فى الحديث ؟ قال : نعم . قال : ما تحفظ من الأصول قال : أحفظ عن شريك عن أبى إسحاق عن الحارث أن عليا رضى الله تعالى عنه رجم لوطيا فأمسك ولم يكلمه ، وتوفى بالربذة ودفن هناك سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين ومائتين . ونقل

أنه رؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى إلا أنه وبخنى وقال لى : يا يحيى خلطت على نفسك فى دار الدنيا ، فقلت : يارب اتكلت على حديث حدثنى به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك قلت إنى لأستحيى أن أعذب ذا شيبة مسلما بالنار » فقال : قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيى إلا أنك خلطت على نفسك فى دار الدنيا .

الذمامة : بالذال المعجمة رداءة الخلق بضم اللام، وبالدال المهملة رداءة الخلق بإسكان اللام ، وأكثم بالثاء المثلثة ، والربذة بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة قرية من قرى المدينة على طريق الحاج ، وهى التى نفى عثمان بن عفان أبا ذر الغفارى رضى الله تعالى عنهما إليها فأقام بها حتى مات وقبره ظاهر هناك يزار كما تقدم .

(الحكم) يحل أكل الزاغ وهو الأصح عند الرافعى ، وبه قال الحكم وحماد ومحمد ابن الحسن . وروى البيهقى فى شعبه قال : سألت الحكم عن أكل الغربان ؟ قال : أما السود الكبار فأكره أكلها ، وأما الصغار التى يقال لها الزاغ فلا بأس بها ، والأمثال تأتى إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة فى لفظ الغراب .

(الخواص) لسان الزاغ يجفف ويأكله العطشان يذهب عطشه ولو فى وسط تموز ، وكذلك قلبه إذا جفف وسحق وشربه إنسان لا يعطش فى سفره فإن هذا الطائر لا يشرب ماء فى تموز ، ومرارته تخلط بمرارة الديك ويكتحل بها تذهب ظلمة العين ، وتسود الشعر إذا طلى بها سوادا عجيبا ، وحوصلته تمنع نزول الماء عند مباديه .

(التعبير) الزاغ الذى فى منقاره حمرة تدل رؤيته على رجل ذى سطوة ولهو وطرب . وقال أرطامدورس : الزاغ فى المنام يدل على ناس يحبون المشاركة ، وربما دل على أناس فقراء ، وقيل إنه يدل على الولد من الزنا ، والرجل المزوج بالخير والشر ، والله أعلم .

﴿ الزاقى ﴾ : الديك ، والجمع الزواقى يقال زقا يزقو إذا صاح وكل صائح زاق ، وفى حديث هشام بن عروة : أنت أثقل من الزواقى . يريد أنها إذا زقت سحرا تفرق السمار والأحباب ، والزقو والزقى مصدر ، وقد زقا الصدى يزقو ويزقى زقا : أى صاح وكل زاق صائح قاله الجوهرى ، وقد تقدم فى البومة قول توبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائح

وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصاد المهملة فى لفظ الصدى .

﴿ الزامور ﴾ : قال التوحيدى : إنه حوت صغير الجسم ألوف لأصوات الناس يستأنس باستماعها ولذلك يصحب السفن متلذذا بأصوات أهلها ، وإذا رأى الحوت الأعظم يريد

الاحتكاك بها وكسرها وثب الزامور ودخل أذنه ولا يزال يزمر فيه حتى يفر الحوت إلى الساحل يطلب جرفا أو صخرة ، فإذا أصاب ذلك فلا يزال يضرب به رأسه حتى يموت ، وركاب السفن يحبونه ويطعمونه ويتفقدونه ليدوم إلفه لهم وصحبته لسفنهم ليسلموا من ضرر السمك العادى ، وإذا ألقوا شباك الصيد فوقع الزامور فيها أطلقوه لكرامته .

﴿ الزبابة ﴾ : بفتح الزاى والباءين الموحدتين بينهما ألف : الفأرة البرية تسرق ماتحتاج إليه وما تستغنى عنه ، وقيل هى فأرة عمياء صماء وجمعها زباب ، ويشبه بها الرجل الجاهل . قال الحارث بن كلدة :

ولقد رأيت معاشرا جمعوا لهم مالا وولدا
وهم زباب حائر لاتسمع الآذان رعدا

أى لايسمعون شيئا يعنى موتى وصف الزباب بالتحير والتحير إنما يحصل للأعمى وأراد بذلك أن الأرزاق لم تقسم على قدر العقول ، والولد بضم الواو للواحد والجمع ، وقوله : لاتسمع الآذان رعدا : أى لاتسمع آذانهم فاكتفى بالألف واللام عن الإضافة كقوله تعالى — فإن الجنة هى المأوى — وبين أن آذانهم لشدة صممهم لايسمعون بها الرعد . قال الإمام الثعالبى فى فقه اللغة : يقال فى آذانه وقر ، فإن زاد فهو صمم ، فإن زاد فهو طرش ، فإن زاد حتى لايسمع الرعد فهو صلخ بالصاد المهملة والخاء المعجمة فى آخره انتهى : واختصت هذه الفأرة بالصمم كما اختص الخلد بالعمى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر حكمها فى باب الفاء فى لفظ الفأر .

(الأمثال) قالوا : أسرق من ذبابة لأنها تسرق ماتحتاج إليه وما تستغنى عنه .

﴿ الزبزب ﴾ : دابة كالسنور قاله فى العباب ، وفى كامل ابن الأثير فى حوادث سنة أربع وثلثمائة قال : وفيها خافت العامة ببغداد من حيوان كانوا يسمونه الزبزب ، ويقولون إنهم يرونه فى الليل على أسطحتهم ، وإنه يأكل أطفالهم ، وربما عض يد الرجل أو يد المرأة فيقطعها ، وكان الناس يتحارسون منه ويتراعون ويضربون بالطسوت والصوانى وغيرها ليفزعوه ، وارتجت بغداد لذلك ، ثم إن أصحاب السلطان صادوا حيوانا فى الليل أبلق بسواد قصير اليدين والرجلين ، فقالوا هذا هو الزبزب وصلبوه على الجسر فسكن الناس انتهى .

﴿ الزخارف ﴾ جمع زخرف ، وهو ذباب صغار ذات قوائم أربع يطير على الماء . قال أوس بن حجر :

تذكر عينا من عمان وماؤها لهجدب تستن فيه الزخارف

﴿ الزرزور ﴾ : الزرزور بضم الزاى : طائر من نوع العصفور سمى بذلك لزرزرته . أى تصويته . قال الجاحظ : كل طائر قصير الجناح كالزرازير والعصافير إذا قطعت رجلاه لم يقدر على الطيران كما إذا قطعت رجل الإنسان فإنه لايقدر على العدو ، وسيأتى حكمه إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى العصفور .

(فائدة) روى الطبرانى وابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أنه قال « أرواح المؤمنين فى أجواف طيور خضر كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة » وما أحسن قول شيخنا الشيخ برهان الدين القيراطى رحمة الله تعالى عليه :

قد قلت لما مر بى معرضا وكفه يحمل زرزورا
ياذا الذى عذبنى مطله إن لم تزر حقا فزر زورا

وفى مناقب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه لعبد المحسن بن عثمان بن غانم . قال الشافعى من عجائب الدنيا طلسم على صفة الزرزور من نحاس فى رومية يصفر فى يوم واحد من السنة فلا يبقى طائر من جنسه إلا أتى رومية وفى منقاره زيتونة ، فإذا اجتمع ذلك عصر وكان منه زيتهم فى ذلك العام ، وسيأتى ذلك إن شاء الله تعالى فى السودانية فى باب السين المهملة .

(وحكمه) الحل لأنه من أنواع العصافير .

(ومن خواصه) أن لحمه يزيد فى الباه ، ودمه إذا وضع على الدماميل نفعها ، وإذا ذر رماد الزرزور على الجرح فإنه يختم بإذن الله تعالى .

(التعبير) الزرزور دال على التردد فى الأسفار فى البر والبحر ، وربما دل على رجل مسافر يسافر كثيرا كالمكارى الذى لايلبث فى مكان ونحوه ، وطعام حلال لأنه حرم على نفسه الطعام والشراب لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يتناول شيئا من ذلك حتى تاب الله تعالى عليه ، وربما دل على التخليط فى الأعمال الصالحة والسيئة ، أو على رجل ليس بغنى ولا فقير ولا شريف ولا وضيع ، وربما دل على المهانة والقناعة بأدنى العيش واللعب ، وربما كان كاتبا ، والله أعلم .

﴿ الزرق ﴾ : طائر يصاد به بين البازى والباشق قاله ابن سيده . وقال الفراء : هو البازى الأبيض . والجمع الزراريق ، وهو صنف من البازى لطيف إلا أنه أحر وأيبس مزاجا ولذلك هو أشد جناحا وأسرع طيرانا وأقوى أقداما ، وفيه ختل وخبث ، وخير ألوانه الأسود الظهر الأبيض الصدر الأحمر العين . قال الحسن بن هانىء فى طريدته يصفه :

قد أغتدى بسفرة معلقة فيها الذى يريده من مرفقه
مبكرا بزرق أو رزقه وصفته بصفة مصدقه

كأن عينه لحسن الحدقة نرجسة نابتة فى ورقه
ذو منسر مختضب بعلقه كم وزة صدنا به ولقلقه
سلاحه فى لحمها مفرقه

(الحكم) تحريم الأكل كما تقديم فى البازى .

﴿ الزرافة ﴾ : كنيتها أم عيسى ، وهى بفتح الزاى المخففة وضمها ، وهى حسنة الخلق طويلة اليدين قصيرة الرجلين مجموع يديها ورجليها نحو عشرة أذرع ، ورأسها كرأس الإبل وقرنها كقرن البقرة ، وجلدها كجلد النمر ، وقوائمها وأظلافها كالبقر ، وذنبها كذنب الظبى ليس لها ركب فى رجليها وإنما ركبتاها فى يديها ، وهى إذا مشت قدمت الرجل اليسرى واليد اليمنى بخلاف ذوات الأربع كلها فإنها تقدم اليد اليمنى والرجل اليسرى ، ومن طبعها التودد والتأنس وتجتر وتبعر ، ولما علم الله تعالى أن قوتها من الشجر جعل يديها أطول من رجليها لتستعين بذلك على الرعى منها بسهولة قاله القزوينى فى عجائب المخلوقات .

وفى تاريخ ابن خلجان فى ترجمة محمد بن عبد الله العتبى البصرى الأخبارى الشاعر المشهور أنه كان يقول : الزرافة بفتح الزاى وضمها الحيوان المعروف ، وهى متولدة بين ثلاث حيوانات بين الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبعان وهو الذكر من الضباع ، فيقع الضبعان على الناقة فتأتى بولد بين الناقة والضبع ، فإن كان الولد ذكرا وقع على البقرة فتأتى بالزرافة وذلك فى بلاد الحبشة ، ولذلك قيل لها الزرافة ، وهى فى الأصل الجماعة ، فلما تولدت من جماعة قيل لها ذلك ، والعجم تسميها اشتراكا ويلنك لأن أشتر الجمل وكاو البقرة ويلنك الضبع .

وقال قوم : إنها متولدة من حيوانات مختلفة ، وسبب ذلك اجتماع الدواب والوحوش فى القيظ عند المياه فتتسافد فيلقح منها مايلقح ويمتنع منها مايمتنع ، وربما سفد الأنثى من الحيوان ذكور كثيرة فتختلط مياهها فيأتى منها خلق مختلف الصور والألوان والأشكال .

والجاحظ لايرضى هذا القول ويقول : إنه جهل شديد لايصدر إلا ممن لاتحصيل لديه لأن الله تعالى يخلق مايشاء ، وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير ، ومما يحقق ذلك أنه يلد مثله ، وقد شوهد ذلك وتحقق .

(وفى حكمها وجهان) أحدهما : التحريم ، وفيه جزم صاحب التنبيه ، وفى شرح المهذب للنووى أنها محرمة بلا خلاف ، وأن بعضهم عدها من المتولد بين المأكول وغيره ، وقال بتحريمها القاضى أبو الخطاب من الحنابلة . والثانى : الحل وبه أفتى الشيخ تقى الدين بن أبى الدم الحموى ، ونقله عن فتاوى القاضى حسين ، وذكر أبو الخطاب مايوافق الحل فإنه حكى فى فروعه قولين فى أن الكركى والبط والزرافة هل تفدى بشاة أو تفدى بالقيمة ؟ والفداء

لايكون إلا للمأكول . قال ابن الرفعة وهو المعتبر كما أفتى به البغوى قال : ومنهم من أول لفظها . وقال : ليست الزرافة بالفاء بل بالقاف . قال الشيخ تقى الدين السبكى : هذا التعليل ليس بشيء لأنه لايعرف واختار فى الحلبيات حلها كما أفتى به ابن أبى الدم ونقله عن القاضى حسين ، وتتمة التتمة قال : وما ادعاه النووى ممنوع ، وما ادعاه أبو الخطاب الحنبلى يجوز حمله على جنس يتقوى بنابه ، وأماهذا الذى شاهدناه فلا وجه للتحريم فيه ، وما برحت أسمع هذا بمصر . وقال ابن أبى الدم فى شرح التنبيه : وما ذكره الشيخ فى التنبيه مذكور فى كتب المذهب . وقد ذكر القاضى حسين أنها تحل ثم قال : قلت هذا مع أنها أقرب شبها بما يحل ، وهو الإبل والبقر ؛ وذلك يدل على حلها . ويمكن أن يقال إنما ذكر الشيخ ذلك اعتمادا على ماذكر أهل اللغة أنها من السباع ، وتسميتهم لها بذلك تقتضى عدم الحل ، وإذا كان كذلك فقد ذكر صاحب كتاب العين أن الزرافة بفتح الزاى وضمها من السباع ، ويقال لها بالفارسية اشتركاويلنك . وقد ذكر فى موضع آخر : أن الزرافة متولدة بين الناقة الوحشية والضبع فيجيء الولد فى خلقة الناقة والضبع ، فإن كان الولد ذكرا عرض للأنثى من بقر الوحش فيلقحها فتأتى بالزرافة وسميت بذلك لأنها جمل وناقة ، ولما كان كذلك وسمع الشيخ أنها من السباع اعتقد أنها من السباع حقيقة ولم يكن رآها فاستدل بذلك على تحريم أكلها انتهى وقد تقدم أن الجاحظ لم يرتض هذا القول وقال : إن هذا القول جهل بين ، وأن الزرافة نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير .

(قلت) وهذا الذى قاله الجاحظ معارض لما نقله ابن أبى الدم عن صاحب كتاب العين من كونها متولدة بين مأكولين ، وما تمسك به ابن أبى الدم من الشبه بالإبل والبقر شبه بعيد لما يشاهد من طول يديها وقصر رجليها ، ولو كان الشبه البعيد كافيا لحل أكل الصررة لشبهها بالجرادة ولجاز أكله(١) لأن خفه يشبه خف الجمل . وقد ذكر فى شرح المهذب أن بعضهم عد الزرافة من المتولد بين مأكول وغير مأكول واستدل به على تحريمها ، وكلام الجاحظ ينفى هذا ويقتضى الحل ، وهو المختار فى الفتاوى الحلبيات كما سبق ، وهو مذهب الإمام أحمد ومقتضى مذهب مالك وقواعد الحنفية تقتضيه ، وإذا تعارضت الأقوال وتساقط اعتبار مدلولها رجعنا إلى الإباحة الأصلية والتحقت هذه بما لانص فيه بالتحريم والتحليل ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر مالا نص فيه بالتحريم والتحليل فى باب الواو فى الورل .

(ومن خواصها) أن لحمها غليظ سوداوى ردىء الكيموس .

(التعبير) الزرافة فى المنام : تدل على الآفة فى المال ، وربما دلت على المرأة الجليلة أو الجميلة ، أو الوقوف على الأخبار الغريبة من الجهة المقبلة منها ، ولا خير فيها إن دخلت البلد

(١) (قوله ولجاز أكله) هكذا فى النسخ ولعل فيه سقطا والأصل ولجاز أكل الفيل مثلا .

من غير فائدة فإنها تدل على الآفة فى المال ، وما تأنس من ذلك كان صديقا أو زوجا أو ولدا لاتؤمن غائلته ، وربما تعبر بالمرأة التى لاتثبت مع الزوج لأنها خالفت المركوبات فى ظهورها والله أعلم .

﴿ الزرياب ﴾ : قال فى كتاب [منطق الطير] إنه زريق . قال : وحكى أن رجلا خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم لايملك غيرها ، فوجد فى طريقه أفراخ زرياب فاشتراها بالمبلغ الذى كان معه ، ثم رجع إلى بغداد ، فلما أصبح فتح دكانه وعلق الأفراخ عليها فهبت ريح باردة فماتت كلها إلا فرخا واحدا وكان أضعفها وأصغرها فأيقن الرجل بالفقر ، ولم يزل يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء ليله كله ويقول : ياغياث المستغيثين أغثنى ، فلما أصبح زال البرد وجعل ذلك الفرخ ينفش ريشه ويصيح بصوت فصيح : ياغياث المستغيثين أغثنى ، فاجتمع الناس عليه يستمعون صوته فاجتازت به أمة لأمير المؤمنين فاشترته بألف درهم انتهى فانظر كيف فعل الصدق مع الله تعالى والإقبال بكنه الهمة فى التضرع بين يديه وحضور القلب ، وعدم الالتفات إلى غيره من الغنى من الجهة الميئوس منها ، فما ظنك بمن ترك الأسباب والوسائط وأقبل على الله تعالى إقبالا لايشغله عنه شاغل ولا يحجبه حاجب ، لأن حجابه نفسه وقد فنى عنها فهناك لذ الخطاب وطاب الشراب ، فسبحان من يختص برحمته من يشاء وهو العزيز الوهاب .

﴿ الزغبة ﴾ : دويبة تشبه الفأرة قاله ابن سيده . قال : وقد سمت العرب زغبة ، وأشار بذلك إلى عيسى بن حماد البصرى زغبة روى عن رشد بن سعد وعبد الله بن وهب والليث بن سعد ، وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه ، ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين .

﴿ الزغلول ﴾ : بضم الزاى فرخ الحمام مادام يزق ، يقال أزغل الطائر فرخه إذا زقه ، والزغلول أيضا اللاهج بالرضاع من الغنم والإبل ، والزغلول أيضا الخفيف من الرجال .

﴿ الزغيم ﴾ : طائر ، وقيل بالراء غير المعجمة قاله ابن سيده .

﴿ الزقة ﴾ : طائر من طير الماء يمكث حتى يكاد يقبض عليه ثم يغوص فى الماء فيخرج بعيدا قاله ابن سيده .

﴿ الزلال ﴾ : بضم الزاى دود يتربى فى الثلج ، وهو منقط بصفرة يقرب من الأصبع يأخذه الناس من أماكنه ليشربوا مافى جوفه لشدة برده ، ولذلك يشبه الناس الماء البارد بالزلال ، لكن فى الصحاح ماء زلال : أى عذب . وقال أبو الفرج العجلى فى شرح الوجيز : الماء الذى فى دود الثلج طهور ، والذى قاله يوافق قول القاضى حسين فيما تقدم فى الدود

والمشهور على الألسنة أن الزلال هو الماء البارد . قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم « إنه يبعث أمة وحده » :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

وما أحسن قول أبى الفوارس ابن حمدان واسمه الحارث :

قد كنت عدتى التى أسطو بها ويدى إذا خان الزمان وساعدى
فرميت منك بضد ماأملته والمرء يشرق بالزلال البارد

وقال الآخر :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

وما أحسن قول وجيه الدولة أبى المطاع بن حمدان ويلقب بذى القرنين وكان شاعرا مجيد ووفاته فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة :

قالت لطيف خيال زارنى ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال أبصرته لو مات من ظمإ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا فى الحب عادته يابرد ذاك الذى قالت على كبدى

ومن محاسن شعره :

ترى الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاصرها والبدر فى كل وقت طالع فيها

وقال آخر :

لاتعجبوا من بلا غلائله قد زر أزراره على القمر

وهذا وما قبله يستشهد بهما على أن نور القمر يبلى ثياب الكتان كما قاله حذاق الحكماء لاسيما إذا طرحت الثياب فى الماء عند اجتماع النيرين الشمس والقمر فإنها تبلى سريعا فى غير وقتها ، واجتماعهما من الخامس والعشرين إلى الثلاثين ، ومن هنا يقال ثوب حام إذا تفصد سريعا وسببه ماذكرناه ، وقد أشار إلى ذلك الرئيس ابن سينا فى أرجوزته بقوله :

لاتغسلن ثيابك الكتانا ولا تصد فيها كذا الحيتانا
عند اجتماع النيرين تبلى وذا صحيح فاتخذه أصلا

فينبغى الاحتراس على ثياب الكتان من نور القمر ، ومن غسلها عند اجتماع النيرين كما ذكرناه .

(الحكم) قال أبو الفرج العجلى فى شرح الوجيز : الماء الذى فى دور الثلج طهور ، والذى قاله يوافق قول القاضى حسين فيما تقدم فى الدود ، والمشهور على الألسنة أن الزلال الماء البارد كما تقدم عن الجوهرى وغيره .

﴿ الزماج ﴾ : كرمان طائر كان يقف بالمدينة فى الجاهلية على أطم ويقول شيئا لايفهم ، وقيل كان يسقط فى مربد لبعض أهل المدينة فيأكل تمره فيرمونه فيقتلونه ، ولم يأكل أحد من لحمه إلا مات .

قال الشاعر :

أعلى العهد أصبحت أم عمرو ليت شعرى أم غالها الزماج

قاله ابن سيده وغيره .

﴿ الزمج ﴾ : مثال الخرد طائر معروف يصيد به الملوك الطير ، وأهل البزدرة يعدونه من خفاف الجوارح ، وذلك مغروف فى عينه وحركته وشدة وثبه ، ويصفونه بالغدر وقلة الوفاء والألفة لكثافة طبعه ، وهو يقبل التعليم لكن بعد بطء ، ومن عادته أنه يصيد على وجه الأرض ، والمحمود من خلقه أن يكون لونه أحمر ، وهو أحد نوعى العقاب ، وسيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى . قال الجواليقى : الزمج جنس من الطير يصاد به . وقال أبو حاتم : إنه ذكر العقاب والجمع الزمامج . وقال الليث : الزمج طائر دون العقاب حمرته غالبة تسميه العجم « دوبرادران » وترجمته أنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه .

(وحكمه) تحريم الأكل كسائر الجوارح .

(الخواص) إدمان أكل لحم الزمج ينفع من خفقان القلب ، ومرارته إذا جعلت فى الأكحال نفعت من الغشاوة وظلمة البصر نفعا بليغا ، وزبله يزيل الكلف والنمش طلاء .

﴿ زمج الماء ﴾ : وهو الطائر الذى يسمى بمصر النورس ، وهو أبيض فى حد الحمام أو أكبر ، يعلو فى الجو ثم يزج نفسه فى الماء ويختلس منه السمك ، ولا يقع على الجيف ولا يأكل غير السمك .

(وحكمه) حل الأكل ، لكن حكى الروياني عن الصيمرى : أن طير الماء الأبيض حرام لخبث لحمه . قال الرافعى : والأصح أن جميع طير الماء حلال إلا اللقلق ، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى باب اللام .

﴿ الزنبور ﴾ : الدبر ، وهى تؤنث والزنابير لغة فيها ، وربما سميت النحلة زنبورا والجمع الزنانير . قال ابن خالويه فى كتاب [ليس] : ليس أحد سمعته يذكر كنية الزنبور إلا أبا عمرو الزاهد فإنه قال : كنيته أبو على ، وهو صنفان : جبلى وسهلى ، فالجبلى : يأوى الجبال ويعشش فى الشجر ولونه إلى السواد وبدء خلقه دود ثم يصير كذلك ، ويتخذ بيوتا من تراب كبيوت النحل ، ويجعل لبيته أربعة أبواب لمهاب الرياح الأربع ، وله حمة يلسع بها ، وغذاؤه من الثمار والأزهار ، ويتميز ذكورها من إناثها بكبر الجثة . والسهيلى :

لونه أحمر ويتخذ عشه تحت الأرض ويخرج منه التراب كما يفعل النمل ، ويختفى فى الشتاء لأنه متى ظهر فيه هلك فهو ينام من البرد طول الشتاء كالميتة ، ولا يدخر القوت للشتاء بخلاف النمل ، فإذا جاء الربيع وقد صارت الزنابير من البرد وعدم القوت كالخشب اليابس نفخ الله تعالى فى تلك الجثة الحياة فتعيش مثل العام الأول وذلك دأبها ، ومن هذا النوع صنف مختلف اللون مستطيل الجسد فى طبعه الحرص والشره ، يطلب المطابخ ويأكل ما فيها من اللحوم ، ويطير منفردا ، ويسكن بطن الأرض والجدران ، وهذا الحيوان بأسره مقسوم من وسطه ولذلك لا يتنفس من جوفه ألبتة ، ومتى غمس فى الدهن سكنت حركته وإنما ذلك لضيق منافذه ، فإذا طرح فى الخل عاش وطار . وقال الزمخشرى فى تفسير سورة الأعراف : قد يجعل المتوقع الذى لابد منه بمنزلة الواقع ، ومنه ما روى أن عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصارى دخل على أبيه وهو يبكى وهو إذ ذاك طفل فقال له : ما يبكيك؟ فقال : لسعنى طائر كأنه ملتف فى بردى حبرة . فقال حسان : يا بنى قلت الشعر ورب الكعبة : أى ستقوله فجعل المتوقع كالواقع ، وما أحسن قول الأول :

وللزنبور والبازى جميعا لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز وما يصطاده الزنبور فرق

وقد أجاد الشيخ ظهير الدين بن عسكر قاضى السلامية بقوله :

فى زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن ذممت فقل قىء الزنابير
مدحا وذما وما غيرت من صفة سحر البيان يرى الظلماء كالنور

وقال شرف الدولة بن منقذ ملغزا فى الزنبور والنحل :

ومغردين ترنما فى مجلس فنفاهما لأذاهما الأقوام
هذا يجود بما يجود بعكسه هذا فيحمد ذا وذاك يلام

روى ابن أبى الدنيا عن أبى المختار التيمى قال : حدثنى رجل قال : خرجنا فى سفر ومعنا رجل يشتم أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فنهيناه فلم ينته ، فخرج يوما لبعض حاجاته فاجتمع عليه الزنابير فاستغاث فأغثناه فحملت علينا فتركناه ، فما أقلعت عنه حتى قطعته قطعا قطعا ؛ وكذلك رواه ابن سبع فى [شفاء الصدور] وزاد : فحفرنا له قبرا فتصلبت الأرض فلم نقدر على حفرها ، فألقيناه على وجه الأرض وألقينا عليه من ورق الشجر والحجارة ، وجلس رجل من أصحابنا يبول فوقع على ذكره زنبور من تلك الزنابير فلم يضره ، فعلمنا أن تلك الزنابير كانت مأمورة .

قال يحيى بن معين : كان يعلى بن منصور الرازى من كبار علماء بغداد ، روى عن

مالك والليث وغيرهما قال : فبينما هو يصلى يوما إذ وقع عليه كوز الزنابير ، فما التفت ولا تحرك حتى أتم صلاته ، فنظروا فإذا رأسه قد صارت هكذا من شدة الانتفاخ .

(الحكم) يحرم أكله لاستخباثه ، ويستحب قتله لما روى ابن عدى فى ترجمة مسلمة ابن على عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قتل زنبورا اكتسب ثلاث حسنات » لكن يكره إحراق بيوتها بالنار قاله الخطابى فى معالم السنن ، وسئل الامام أحمد عن تدخين بيوت الزنابير فقال : إذا خشى أذاها فلا بأس به وهو أحب إلىّ من تحريقها ، ولا يصح بيعها لأنها من الحشرات .

(الخواص) إذا طرح الزنبور فى الزيت مات فإن طرح فى الخل عاش كما تقدم ، وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتغلى فى الزيت ويطرح عليها سداب وكراويا وتؤكل تزيد فى الباه وشهوة الجماع . وقال عبد الملك بن زهر : عصارة الملوخية إذا طليت على لسعة الزنبور أبرأتها .

(التعبير) الزنبور فى المنام : عدو محارب ، وربما دل على البناء والنقاب والمهندس وعلى قاطع الطريق وذى الكسب الحرام وعلى المطرب الخارج الضرب ، وربما دلت رؤيته على أكل السموم أو شربها ، وقيل تدل رؤيته على رجل مخاصم مهيب ثابت فى القتال سفيه خبيث المأكل ، والزنابير إذا دخلت مكانا فإنها جنود لهم هيبة وسرعة وشجاعة يحاربون الناس جهارا ، وقيل الزنبور رجل مجادل بالباطل وهو من الممسوخ . وقالت اليهود : الزنبور والغراب يدل على المقامرين وسفاكى الدماء ، وقيل الزنابير فى المنام قوم لا رحمة لهم ، والله أعلم .

﴿ الزنديل ﴾ : الفيل الكبير ، أنشد يحيى بن معين :

وجاءت قريش قريش البطاح إلينا هم الدول الجاليه
يقودهم الفيل والزنديل وذو الضرس والشفة العاليه

الزنديل : كبير الفيلة ، وقال يحيى : أراد بالفيل والزنديل عبد الملك وأبان ابنى بشر بن مروان قتلا مع ابن هبيرة الأصغر ، وأراد بذى الضرس والشفة العالية خالد بن مسلمة المخزومى المعروف بالفأفاء الكوفى . روى له مسلم والأربعة ، وروى عن الشعبى وطبقته ، وروى عنه شعبة بن الحجاج والسفيانان ، وكان مرجئا يبغض عليا رضى الله تعالى عنه ، أخذ مع ابن هبيرة فقطع أبو جعفر المنصور لسانه ثم قتله .

﴿ الزهدم ﴾ : بزاى مفتوحة ثم هاء ساكنة ثم دال مهملة مفتوحة : الصقر ، ويقال فرخ البازى وبه سمى زهدم بن مضرب الجرمى . روى له البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ،

والزهدمان أخوان من بنى عبس زهدم وكردم وفيهما يقول قيس بن زهير :

جزانى الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامه

﴿ أبو زريق ﴾ : القيق الآتى ذكره فى باب القاف إن شاء الله تعالى ، والزرياب المتقدم قبل بورقة ، وهو ألوف للناس يقبل التعليم سريع الإدراك لما يعلم ، وربما زاد على الببغاء وذلك أنه أنجب ، وإذا تعلم جاء بالحروف مبينة حتى لا يشك سامعه أنه إنسان ، وقد تقدم ذكره فى الزرياب .

(وحكمه) حل الأكل لعدم استخباثه ، لكن قيل إنه متولد من الشقراق والغراب فعلى هذا يتخرج فيه وجه بالتحريم ولم يذكروه .

﴿ أبو زيداه ﴾ : ضرب من الطير ،

﴿ أبو زياد ﴾ : الحمار . قال الشاعر :

زياد لست أدرى من أبوه ولكن الحمار أبو زياد

وأبو زياد أيضا الذكر . قال الشاعر :

تحاول أن تقيم أبا زياد ودون قيامه شيب الغراب

وهو الزهدباج أيضا قاله فى المرصع .

باب السين المهملة

﴿ سابوط ﴾ : دابة من دواب البحر قاله ابن سيده وغيره .

﴿ ساق حر ﴾ : هو بالسين المهملة وبالقاف بينهما ألف ، وحر بالحاء والراء المهملتين : الورشان ، وهو ذكر القمارى لا يختلفون فى ذلك . قال الكميت :

تغريد ساق على ساق يجاوبها من الهواتف ذات الطوق والعطل

عنى بالأول الورشان ، وبالثانى ساق الشجرة ، وقال حميد بن نور الهلالى :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حر نزهة وترنما

مطوقة غراء تسجع كلما دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

محلاة طوق لم تكن من تميمة ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

تغنت على غصن عشاء فلم تدع لنائحة من نوحها متألما

إذا حركته الريح أو مال ميلة تغنت عليه مائلا ومقوما

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحا ولم تثغر بمنطقها فما

فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها ولا عربيا هاجه صوت أعجما

قال ابن سيده : إنما سمى ذكر القمارى ساق حر لحكاية صوته فإنه يقول : ساق حر ساق حر ، ولذلك لم يعرف ولو أعرب لصرف فيقال ساق حر إن كان مضافا وساق حر إن كان مركبا فتصرفه لأنه نكرة ، فترك إعرابه دليل على أنه حكى الصوت بعينه وهو صياحه وقد يضاف أوله إلى آخره ، وذلك كقولهم : خاز باز لأنه فى اللفظ أشبه بباب دار انتهى . والنزهة الشوق . والترنم : الغناء . وهما مصدران واقعان موقع الحال من الضمير الفاعل فى دعت ساق حر الواقع فى موضع الصفة لحمامة ، وسيأتى فى باب القاف إن شاء الله تعالى فى القمرى .

﴿ السالخ ﴾ : الأسود من الحيات ، وقد تقدم ذكره فى الأفعى فى باب الهمزة .

﴿ سام أبرص ﴾ : بتشديد الميم . قال أهل اللغة : وهو من كبار الوزغ ، وهو معرفة إلا أنه تعريف جنس ، وهما اسمان جعلا واحدا ، ويجوز فيه وجهان : : أحدهما أن تبنيهما على الفتح كخمسة عشر . والثانى أن تعرب الأول وتضيفه إلى الثانى مفتوحا لكونه لاينصرف ولا يثنى ولا يجمع على هذا اللفظ ، بل تقول فى التثنية هذان ساما أبرص وفى الجميع هؤلاء سوام أبرص ، وإن شئت قلت هؤلاء السوام ولا تذكر أبرص ، وإن شئت قلت هؤلاء البرصة والأبارص ولا تذكر سام . قال الشاعر :

والله لو كنت لهذا خالصا ماكنت عبدا آكل الأبارصا

ولك على الثانى أن تقول أبرصان وأبارص كما صنع الشاعر فإنه جمع على الثانى ، وإنما سمى هذا النوع بسام أبرص لأنه سم : أى جعل الله فيه السم وجعله أبرص ، وسيأتى فى باب الواو إن شاء الله تعالى فى ذكر الوزغ ، ومن شأن هذا الحيوان أنه إذا تمكن من الملح تمرغ فيه فيصير مادة لتولد البرص .

(وحكمه) تحريم الأكل لاستقذاره وللأمر بقتله وعدم جواز بيعه كسائر الحيوانات التى لا منفعة لها والله أعلم .

(الخواص) دمه إذا طلى به داء الثعلب أنبت الشعر ، وكبده يسكن وجع الضرس ، ولحمه يوضع على لسعة العقرب ينفعها ، وجلده يوضع موضع الفتق يذهبه ، وهو لايدخل بيتا فيه رائحة الزعفران .

(التعبير) سام أبرص والعظاية فى التأويل فاسقان يمشيان بالنميمة . وقال أرطاميدورس سام أبرص يدل على فقر وهم ، والله أعلم .

﴿ السانح ﴾ : ماوالاك ميامنة من ظبى أو طائر أو غيرهما ، تقول سنح الظبى لى سنوحا

إذا مر من مياسرك إلى ميامنك ، والعرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح ، وفى المثل : من لى بالسانح بعد البارح . وقال أبو عبيد : سأل يونس رؤبة عن السانح والبارح فقال : السانح ماوالاك ميامنة ، أوالبارح ماوالاك مياسرة ، وكان ذلك يصد الناس عن مقاصدهم فنفاه النبى صلى الله عليه وسلم بالنهى عن الطيرة ، وأخبر أنه لاتأثير له فى جلب نفع ولا دفع ضر . قال لبيد :

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصا ولا زاجرات الطير ماالله صانع

والطيرة سيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى فى الطير واللقحة فى باب الطاء المهملة واللام .

﴿ السبر ﴾ بضم السين وفتح الباء : طائر لين الريش إذا قطرت عليه قطرة من ماء جرت عليه من لينه ، وجمعه سبدان قال الراجز :

أكل يوم عرشها مقيلى حتى ترى المئزر ذا الفضول
مثل جناح السبد الغسيل

والعرب تشبه الفرس به إذا عرق . قال طفيل العامرى : « كأنه سبد بالماء مغسول » ولم أر لأصحابنا فى حكمه كلاما .

﴿ السبع ﴾ : بضم الباء وإسكانها : الحيوان المفترس والجمع أسبع وسباع ، وأرض مسبعة : أى كثيرة السباع . قرأ الحسن وابن حيوة — وماأكل السبع — بإسكان الباء وهى لغة لأهل نجد . قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه فى عتيبة بن أبى لهب :

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع

وقرأ ابن مسعود — وأكيلة السبع — وقرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما — وأكيل السبع — قيل سمى سبعا لأنه يمكث فى بطن أمه سبعة أشهر ، ولا تلد الأنثى أكثر من سبعة أولاد ، ولا ينزو الذكر على الأنثى إلا بعد سبع سنين من عمره . قال أبو عبد الله ياقوت الحموى فى كتاب المشترك وضعا فى باب الغين المعجمة والباء الموحدة : الغابة موضع بينه وبين المدينة أربعة أميال من ناحية الشام له ذكر فى غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وفدت إليه فيه السباع تسأله أن يفرض لها ماتأكله . وفى طبقات ابن سعد عن عبد الله بن حنطب قال « بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس بالمدينة إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه وعوى ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذا وافد السباع إليكم ، فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئا لايعدوه إلى غيره وإن أحببتم تركتموه وتحرزتم منه فما أخذ فهو رزقه ، فقالوا : يارسول الله ماتطيب أنفسنا له بشىء ، فأومأ إليه بأصابعه الثلاث : أى خالسهم فولى » وقد تقدم فى باب الذال المعجمة فى لفظ الذئب طرف من ذلك ، ووادى السباع بطريق الرقة مر به واثل بن قاسط على أسماء

بنت رويم، فهم بها حين رآها منفردة فى الخباء فقالت : والله لئن هممت بى لأدعونى أسبعى فقال : ما أرى فى الوادى سواك، فصاحت ببنيها ياكلب ياذئب يافهد يادب ياسرحان ياأسد باسبع ياضبع ياتمر، فجاءوا يتعادون بالسيوف فقال: ماهذا إلا وادى السباع .وفى الصحيحين « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفترش المصلى ذراعيه افتراش السبع » وروى الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله يحدثه بما أحدث أهله من بعده » ثم قال : حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث القاسم ابن الفضل وهو ثقة عند أهل الحديث ، وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدى .

(فائدة) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنتوضا بما أفضلت الحمر ؟ قال : وبما أفضلت السباع » خرجه الدارقطنى . قال السهيلى : يريد نعم ، وبما أفضلت السباع . قال : ومثله قوله تعالى — سبعة وثامنهم كلبهم — قالوا إنها واو الثمانية ، وليس كذلك بل تدل على تصديق القائلين بأنهم سبعة لأنها عاطفة على كلام مضمر مصدق تقديره نعم . وثامنهم كلبهم كما إذا قال قائل : زيد شاعر ، فقلت له : وفقيه أيضا : أى نعم ، وفقيه أيضا وفى التنزيل — وارزق أهله من الثمرات — الآية ، قال الزمخشرى : هذه الواو آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا ذلك عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كغيرهم انتهى .

وحكى القشيرى فى أوائل [الرسالة] عن بنان الحمال وكان عظيم الشأن صاحب كرامات أنه ألقى بين يدى سبع فجعل السبع يشمه ولا يضره ، فلما خرج قيل له ماالذى كان فى قلبك حين شمك السبع ؟ قال : كنت أتفكر فى اختلاف العلماء فى سؤر السبع . قيل حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى رضى الله تعالى عنهما فعرض لهما سبع ، فقال سفيان لشيبان : أما ترى هذا السبع ؟ فقال : لا تخف ثم أخذ شيبان أذنه فعركها فبصبص وحرك ذنبه ، فقال سفيان : ما هذه الشهرة ؟ فقال : لولا مخافة الشهرة لوضعت زادى على ظهره حتى آتى مكة . وذكر الحافظ أبو نعيم فى الحلية قال : كان شيبان الراعى إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه فتجىء سحابة فتظله فيغتسل منها ثم تذهب ، وكان إذا ذهب للجمعة خط حول غنمه خطا ، فإذا جاء وجدها على حالها لم تتحرك .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزى وغيره أن الإمام أحمد والشافعى مرا يوما بشيبان الراعى، فقال الإمام أحمد : لأسألن هذا الراعى وأنظر جوابه، فقال له الشافعى : لاتتعرض له، فقال : لابد من ذلك ، فقال له : ياشيبان ماتقول فيمن صلى أربع ركعات فسها فى أربع سجدات ماذا يلزمه ؟ قال له : على مذهبنا أم على مذهبكم ؟ قال : أهما مذهبان ؟ قال : نعم ، أما عندكم فيلزمه أن يصلى ركعتين ويسجد للسهو ، وأما عندنا فهذا رجل مقسم القلب يجب أن

يعاقب قلبه حتى لا يعود . قال : فما تقول فيمن ملك أربعين شاة وحال عليها الحول ماذا يلزمه ؟ قال : يلزمه عندكم شاة ، وأما عندنا فالعبد لا يملك شيئا مع سيده ، فغشى على الإمام أحمد فلما أفاق انصرفا انتهى . قلت : وقد ذهب جماعة من علماء الآخرة إلى أن من سها فسدت صلاته أخذا بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس للمرء من صلاته إلا ما عقله منها فعلا ولفظا » قالوا : ولا تفسد الصلاة إلا بترك واجب وإلا فأى معنى للركوع والسجود والمقصود منهما التعظيم والحضور لا الغفلة والذهول وهو حسن ، وإنما أفتت العلماء رضى الله تعالى عنهم بصحة الصلاة بذلك لعجزهم عن الاطلاع على أسرار القلوب وسلموها إلى أربابها ليستفتوا نفوسهم ، ليدفع الفقهاء كيد الشيطان وشقشقته عمن يقول لا إله إلا الله وليقيموا الصلاة ، ولم يفتوا بأن ذلك نافع لهم فى الآخـــرة ما لم يطابق عليه القلب اللسان مع الإخلاص لله ، والإخلاص لله واجب فى سائر الأعمال ، والإخلاص هو ما صفا عن الكدر وخلص من الشوائب قال الله تعالى — من بين فرث ودم لبنا خالصا — فكما أن خلوص اللبن من الفرث والدم فكذلك إخلاص الأعمال من الرياء وحظوظ النفس جميعا ، وقد تكلمت على ذلك كلاما طويلا فى [الجوهر الفريد] فلينظر هناك وبالله التوفيق .

ورأيت فى بعض المجاميع أن الشافعى رضى الله تعالى عنه كان يجلس إلى شيبان الراعى ويسأله عن مسائل ، فقيل له : مثلك يسأل هذا البدوى ؟ فيقول لهم : هذا وفق لما علمناه ، وكان شيبان أميا ، وإذا كان محل الأمى منهم من العلم هكذا فما ظنك بأئمتهم ؟ وقد كان الأئمة المجتهدون كالشافعى وغيره رضى الله تعالى عنهم يعترفون بوفور فضل علماء الباطن ، وقد قال الإمامان الجليلان الشافعى وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهما : إذا لم يكن العلمـــاء أولياء الله تعالى فليس لله ولى . وقد حكى غير واحد من الحفاظ أن أبا العباس بن شريح كان إذا أعجب الحاضرين ما يبديه لهم من العلوم يقول لهم : أتدرون من أين لى هذا ؟ إنما حصل من بركة مجالستى أبا القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه . وكان من دعاء شيبان : يا ودود يا ودود ياذا العرش المجيد ، يا مبدىء يا معيد يا فعالا لما يريد ، أسألك بعزك الذى لا يرام ، وبملكك الذى لا يزول ، وبنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك ، وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك : أن تكفينى شر الظالمين أجمعين . وقد ذكر بعضهم قصيدة ذكر فيها أسماء جماعة من الأولياء قدس الله أسرارهم فمنها :

شيبان قد كان راعى وسر سره ما اختفى
فاجهد وخل الدعاوى إن كان لك شىء بان

وفى [الرسالة] فى كرامات الأولياء : أن سهل بن عبد الله التسترى كان فى داره بيت تسميه الناس بيت السباع ، كانت السباع تجىء إليه فيدخلهم ذلك البيت ويضيفهم ويطعمهم

اللحم ثم يخلى سبيلهم . وفى [كفاية المعتقد] فى ذكر مازوى لهم من الأرض من غير حركة ، وهو أفضل من الطيران فى الهواء والمشى على الماء عن سهل بن عبدالله التسترى قال : توضأت يوم جمعة ومضيت إلى الجامع وذلك فى أيام البداية فوجدته قد امتلأ بالناس وقد هم الخطيب أن يرقى المنبر ، فأسأت الأدب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست ، وإذا عن يمينى شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه أطمار الصوف ، فلما نظر إلىّ قال : كيف تجدك يا سهل ؟ قلت : بخير أصلحك الله ، وبقيت مفكرا فى معرفته لى وأنا لم أعرفه ، فبينما أنا كذلك إذ أخرنى حرقان بول فأكربنى فبقيت على وجل خوفا أن أتخطى رقاب الناس وإن جلست لم يكن لى صلاة ، فالتفت إلىّ وقال : يا سهل أخذك حرقان بول ؟ فقلت : أجل ، فنزع حرامه عن منكبيه فغشانى به ثم قال : اقض حاجتك وأسرع لتلحق الصلاة . قال : فأغمى علىّ ، فلما فتحت عينى إذا بباب مفتوح فسمعت قائلا يقول : لج الباب يرحمك الله ، فولجت فإذا أنا بقصر مشيد عالى البنيان شامخ الأركان ، وإذا بنخلة قائمة وإلى جانبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد ، ومنزل لإراقة الماء ، ومنشفة معلقة وسواك ، فحللت لباسى وأرقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة ، فسمعت مناديا يا سهل إن كنت قضيت أربك فقل نعم ، فقلت : نعم ، فنزع الحرام عنى فإذا أنا جالس مكانى ولم يشعر بى أحد ، فبقيت مفكرا فى نفسى وأنا مكذب نفسى فيما جرى ، فقامت الصلاة فصليت ولم يكن لى شغل إلا الفتى لأعرفه ، فلما فرغت تتبعت أثره فإذا به قد دخل إلى درب فالتفت إلى وقال : يا سهل كأنك ما أيقنت بما رأيت ؟ قلت : كلا . قال : فلج الباب يرحمك الله ، فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت المطهرة والنخلة والحال بعينه ، فمسحت عينى وفتحتهما فلم أجد الفتى ولا القصر ، وإنما ذكرت هذه الحكاية لأنها من جملة العجائب عند غير هذه الطائفة ، ولا يكاد يؤمن بها كثير من الناس . ولها احتمالات : منها أنه يحتمل أنه نقل من مكانه لما أغمى عليه إلى حيث شاء الله من غير شعور منه ثم أعيد إلى مكانه لطفا من الله تعالى وكرامة لأوليائه .

قال شيخنا اليافعى رحمه الله : ومن المحكى عن سهل رضى الله تعالى عنه أيضا : أن أمير خراسان يعقوب بن الليث أصابته علة أعيت الأطباء ، فقيل له : فى ولايتك رجل صالح يقال له سهل بن عبد الله ولو استحضرته ليدعو لك رجونا لك العافية فأحضره وسأله الدعاء فقال : كيف يستجاب دعائى لك وأنت مقيم على الظلم ؟ فنوى يعقوب التوبة والرجوع عن المظالم وحسن السيرة فى الرعية وأطلق من فى سجنه من المظلومين . فقال سهل : اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه ، فنهض كأنما نشط من عقال وعوفى من ساعته ، فعرض على سهل مالا جزيلا فأبى قبوله ، فلما رجع إلى تستر قيل له بأثناء الطريق : لو قبلت

المال الذى عرض عليك وفرقته على الفقراء ؟ فنظر إلى الحصباء فإذا هى جواهر فقال : خذوا ما أردتم ، ثم قال : من أعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث ؟

ونظير ذلك من قلب الأعيان ما روى عن الشيخ عيسى الهتسار وهو بكسر الهاء وتخفيف التاء المثناة فوق : أنه مر على امرأة بغى ، فقال لها : بعد العشاء آتيك ، ففرحت بذلك وتزينت ، فلما كان بعد العشاء دخل عليها البيت فصلى ركعتين ثم خرج ، فقالت : أراك خرجت ؟ قال : حصل المقصود ، فورد عليها وارد أزعجها عما كانت عليه ، فخرجت بعد الشيخ وتابت على يده ، فزوجها بعض الفقراء وقال : اعملوا الوليمة عصيدة ولا تشتروا لها أدما ، ففعلوا ذلك وأحضروه وحضر الفقراء والشيخ كالمنتظر لشىء يؤتى به ، فوصل الخبر إلى أمير كان رفيقا لتلك المرأة فأخرج قارورتين مملوءتين خمرا وأرسل بهما إلى الشيخ وأراد بذلك الاستهزاء ، وقال للرسول : قل للشيخ قد سرنى ما سمعت وبلغنى أن ما عندكم إدام فخذوا هذا فائتدموا به ، فلما أقبل الرسول قال له الشيخ : أبطأت ، ثم تناول إحداهما فخضها ثم صب منها عسلا مصفى ، ثم فعل كذلك بالأخرى وصب منها سمنا عربيا ، وقال للرسول : اجلس فكل فأكل فطعم سمنا وعسلا لم ير مثلهما طعما ولونا وريحا ، فرجع الرسول وأخبر الأمير بذلك ، فجاء الأمير فأكل وتحير مما رأى وتاب على يد الشيخ .

ويشبه هذا ما حكى عن بعضهم أنه قال : بينما أنا أسير فى فلاة من الأرض إذا برجل يدور بشجرة شوك ويأكل منها رطبا جنيا ، فسلمت عليه فرد على السلام وقال : تقدم فكل قال : فتقدمت إلى الشجرة فصرت كلما أخذت منها رطبا عاد شوكا ، فتبسم الرجل وقال هيهات لو أطعته فى الخلوات أطعمك الرطب فى الفلوات ؛ وحكاياتهم فى مثل هذا كثيرة وإنما نبهت على قطرة من بحار عميقة ، وعلى الجملة فالدنيا تتصور لهم فى صورة عجوز تخدمهم كما سيأتى إن شاء الله تعالى قريبا فى هذا الباب ، والرجوع فى ذلك كله إلى أصل يجب الإيمان به ، وهو أن الله على كل شىء قدير ، وليس الخرق للعوائد بمستحيل فى العقل ، وبالله التوفيق .

(وحكى) عن الشيخ أبى الغيث اليمنى رضى الله تعالى عنه : أنه خرج يوما يحتطب ، فبينما هو يجمع الحطب إذ جاء السبع وافترس حماره فقال له : وعزة المعبود ما أحمل حطبى إلا على ظهرك ، فخضع له السبع فحمل الحطب على ظهره وساقه إلى البلد ثم حط عنه وخلاه ونقل : أن شعوانة رزقت ولداً فربته أحسن تربية ، فلما كبر ونشأ قال لها : يا أماه سألتك بالله إلا ماوهبتنى لله ؟ فقالت له : يابنى إنه لايصلح أن يهدى للملوك إلا أهل الأدب والتقى ؛ وأنت ياولدى غمر لاتعرف مايراد بك ولم يأنلك ذلك فأمسك عنها ، فلما كان ذات يوم خرج إلى الجبل ليحتطب ومعه دابة فنزل عنها وربطها وذهب فجمع الحطب ورجع فوجد السبع

قد افترسها ، فجعل يده فى رقبة السبع وقال له : ياكلب الله تأكل دابتى وحق سيدى لأحملنك الحطب كما تعديت على دابتى ، فحمل على ظهره الحطب وهوطائع لأمره حتى وصل به إلى دار أمه فقرع عليها الباب ، ففتحت له وقالت لما رأت ذلك : يابنى أما الآن فقد صلحت لخدمة الملك اذهب لله عز وجل فودعها وذهب .

وروى صاحب مناقب الأبرار عن شاه الكرمانى : أنه خرج إلى الصيد وهو ملك كرمان فأمعن فى الطلب حتى وقع فى برية مقفرة وحده ، فإذا شاب راكب على سبع وحوله سباع كثيرة ، فلما رأته السباع ابتدرت نحوه فنحاها الشاب عنه ، فبينما هو كذلك إذ أقبلت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه إلى شاه فشرب وقال : ماشربت شيئا ألذ منه ولا أعذب ، ثم غابت العجوز ، فقال الشاب : هذه الدنيا وكلها الله تعالى بخدمتى فما احتجت إلى شىء إلا أحضرته إلى حين يخطر ببالى ، فعجب شاه من ذلك ، فقال له : أبلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها : يادنيا من خدمنى فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه ؟ ثم وعظه وعظا حسنا فكان ذلك سبب توبته .

وفى الإحياء فى عجائب القلب عن إبراهيم الرقى قال : قصدت أبا الخير الديلى التيانى مسلما عليه فصلى صلاة المغرب ولم يقرأ الفاتحة مستويا ، فقلت فى نفسى : ضاعت سفرتى ، فلما أصبح الصباح خرجت إلى الطهارة فقصدنى السبع ؛ فعدت إليه وقلت : إن السبع قد قصدنى ، فخرج وصاح على الأسد وقال : ألم أقل لك لاتتعرض لأضيافى ؟ فتنحى الأسد فتطهرت ، فلما رجعت قال : أنتم اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد ، ونحن اشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد ، وقد أنشدنا شيخنا الإمام العلامة جمال الدين بن عبد الله بن أسد اليافعى لنفسه :

هم الأسد ما الأسد الأسود تهابهم ... وما النمر ما أظفار فهد ونابه
وما الرمى بالنشاب ما الطعن بالقنا ... وما الضرب بالماضى الكمى ماذبابه
لهم همم للقاطعات قواطع ... لهم قلب أعيان المراد انقلابه
لهم كل شىء طائع ومسخر ... فلا قط يعصيهم بل الطوع دأبه
من الله خافوا لاسواه فخافهم ... سواه جمادات الورى ودوابه
لقد شمروا فى نيل كل عزيزة ... ومكرمة مما يطول حسابه
إلى أن جنوا ثمر الهوى بعدماجنى ... عليهم وصار الحب عذبا عذابه

وفى الخبر : قيل أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام . ياداود خفنى كما تخاف السبع الضارى . معناه : خفنى لأوصافى المخوفة من العزة والعظمة والكبرياء والجبروت والقهر وشدة البطش ونفوذ الأمر ، كما تخاف السبع الضارى لشدة بدنه وعبوسة وجهه وشبوك

أنيابه وقوة براثنه وجراءة قلبه وسرعة غضبه وبغتات وثبه وفظيع بطشه ودواعى ضراوته لاأجلب عليه شرا ولا عصيت له أمرا ، فيا أخى خف الله حق خوفه واترك السوى ، فمن خاف الله حق خوفه خافه كل شيء ، ومن أطاع الله حق طاعته أطاعه كل شيء .

(وحكمه) تقدم فى باب الهمزة ، لكن يكره ركوب السباع لما روى ابن عدى فى ترجمة إسماعيل بن عياش عن بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ركوب السباع » ولا يصح بيع السباع التى لاتنفع وقيل يجوز بيعها لأجل جلودها ، وأما التى تنفع كالفهد والفيل والقرد فيجوز بيعه .

﴿ السبنتى والسبندى ﴾ : النمر الجرىء والأنثى سبنداة . قالت عائشة رضى الله عنها : ناحت الجن على عمر رضى الله تعالى عنه قبل أن يموت بثلاثة أيام فقالت :

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت ... له الأرض تهتز العضاه بأسوق
جزى الله خيرا من إمام وباركت ... يد الله فى ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحى نعامة ... ليدرك ماقدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائق فى أكمامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفى سبنتى أزرق العين مطرق

المطرق : الحنق الذى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض ، وقد يمد السبنتى ، ونسب الجوهرى هذه الأبيات إلى الشماخ . وقال فى الاستيعاب : لما مات عمر رضى الله تعالى عنه نحل الناس هذه الأبيات إلى الشماخ بن ضرار ولأخويه ، وكانوا إخوة ثلاثة كلهم شعراء ، وسيأتى ذكر النمر فى باب النون إن شاء الله تعالى .

﴿ السبيطر ﴾ : بفتح السين وفتح الباء الموحدة والطاء المهملة بينهما ياء مثناة من تحت وبالراء المهملة فى آخره مثل العميثل : طائر طويل العنق جدا يرى أبدا فى الماء الضحضاح ، ويكنى بأبى العيزار كذا قاله الجوهرى وابن الأثير ، والظاهر أنهما أرادا به مالكا الحزين . وقال فى المحكم : الكركى يكنى أبا العيزار ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر العميثل فى باب العين المهملة .

﴿ السحلة ﴾ : كالهمزة : الأرنب الصغيرة التى قد ارتفعت عن الخرنق وفارقت أمها .

﴿ السحلية ﴾ : بضم السين : العظاية . قال ابن الصلاح : هى دويبة أكبر من الوزغ . وقد عد فى الروضة العظاية من نوع الوزغ وقال : إنها محرمة . وقال ابن قتيبة وصاحب الكفاية : وذكر العظاية يسمى العضرفوط بفتح العين المهملة وتسكين الضاد المعجمة وبالفاء والواو والطاء فى آخره . وذكر الجاحظ أن العضرفوط بلغة قيس هى العظاية ، وسيأتى إن

شاء الله تعالى فى باب العين المهملة قول الأزهرى : هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا تشبه سام أبرص إلا أنها لا تؤذى ، وهى أحسن منه .

﴿ السحا ﴾ : بفتح السين والحاء المهملتين : الخفاش ، الواحدة سحاة مفتوحتان مقصورتان قاله النضر بن شميل وقد تقدم لفظ الخفاش فى باب الخاء المعجمة .

﴿ سحنونه ﴾ : بفتح السين وضمها : طائر حديد الذهن يكون بالمغرب يسمونه سحنونا لحدة ذهنه وذكائه ، وبه سمى سحنون بن سعيد التنوخى القيروانى ، وهو لقب فرد ، واسمه عبد السلام ، وهو تلميذ ابن القاسم ، وهو مصنف المدونة ، وكان قبل ذلك كتبها أسد بن الفرات عن ابن القاسم غير مرتبة ثم بخل بها ابن الفرات على سحنون ، فدعا عليه ابن القاسم أن لا ينفع الله بها ولا به ، وكذلك كان فهى متروكة ، والعمل على مدونة سحنون ، ووفاته فى شهر رجب سنة أربعين ومائتين ، وولد فى شهر رمضان سنة ستين ومائة رحمة الله عليه .

﴿ السخلة ﴾ : ولد الشاة من الضأن أو المعز ذكرا كان أو أنثى ، والجمع سخل وسخلة وسخال .

قال الشاعر :

فللموت تغذوا الوالدات سخالها كما لخراب الدور تبنى المساكن

وهذه لام العاقبة كقول الآخر :

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

ولم يبنوها للخراب ، ولكن إليها مآلها كقول الآخر :

فإن يكن الموت أفناهم فللموت ما تلد الوالده

وقال تعالى : — فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا — وقال تعالى : — ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا — الآية .

(فائدة) قال أبو زيد : يقال لأولاد الغنم ساعة وضعها من الضأن والمعز جميعا ذكرا كانت أو أنثى سخلة ، ثم هى بهمة بفتح الباء الموحدة الذكر والأنثى جميعا وجمعها بهم ، فإذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها فما كان من أولاد المعز فهو جفار واحدها جفر والأنثى جفرة ، فإذا رعى وقوى فهو عريض وعتود وجمعهما عرضان وعتدان وهو فى ذلك كله جعدى ، والأنثى عناق ما لم يأت عليها الحول وجمعها عنوق ، والذكر تيس إذا أتى عليه الحول ، والأنثى عنز ثم تجذع فى السنة الثانية فالذكر جذع والأنثى جذعة . روى مالك عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال « اعتد عليهم فى الزكاة بالسخلة » وبه استدل الشافعى وغيره على أن ما نتج من النصاب يزكى بحول الأصل ، لأن الحول إنما اعتبر للنماء

والسخال فى نفسها نماء حتى لو نتجت قبل الحول بلحظة تزكى بحول النصاب ، وإن ماتت الأمهات كلها قبل انقضاء حولها على الأصح ، وقيل يشترط بقاء نصاب من الأمهات ، وقيل يشترط بقاء شىء منها ولو واحدة .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بسخلة جرباء قد أخرجها أهلها فقال : والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله تعالى من هذه على أهلها » وروى البزار فى مسنده عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بدمنة قوم فيها سخلة ميتة فقال صلى الله عليه وسلم أما لأهلها فيها حاجة ؟ فقالوا : يا نبى الله لو كان لأهلها فيها حاجة مانبذوها. قال صلى الله عليه وسلم فوالله للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها فلا ألفينها أهلكت أحدكم » وفى سيرة ابن هشام « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأصحابه إلى غزوة بدر لقوا رجلا من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا ، فقال له الناس : سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أوفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، فسلم عليه ثم قال : إن كنت رسول الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه ؟ فقال له سلمة بن سلامة بن وقش وكان غلاما حدثا : لاتسأل رسول الله وأقبل على فأنا أخبرك بذلك . نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه فحشت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة » ورواه الحاكم فى المستدرك من حديث ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بزيادة وهو أنه قال « لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أهل البادية وهو متوجه إلى بدر لقيه بالروحاء فسأله القوم عن خبر الناس فلم يجدوا عنده خبرا ، فقالوا له : سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ، أوفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، فسلم عليه ثم قال : إن كنت رسول الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه فقال له سلمة بن سلامة بن وقش وكان غلاما حدثا : لاتسأل رسول الله وأقبل على فأنا أخبرك عن ذلك ، نزوت عليها ففى بطنها سخلة منك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه فحشت على الرجل ثم أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكلمه كلمة واحدة حتى قفلوا ، واستقبلهم المسلمون بالروحاء يهنئونهم ، فقال سلمة : يا رسول الله ما الذى يهنئونك ؟ والله إن رأينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعتقلة فنحرناها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل قوم فراسة وإنما يعرفها الأشراف » ثم قال : هذا صحيح مرسل .

ويتصل بذكر الفراسة ما رواه الحاكم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين تفرس فى يوسف ، فقال لأمرأته : أكرمى مثواه ؛ والمرأة التى رأت موسى عليه السلام ، فقالت لأبيها : يا أبت استأجره ؛ وأبو بكر حين استخلف

عمر رضى الله تعالى عنهما . قال الحاكم : فرضى الله تعالى عن ابن مسعود لقد أحسن فى الجمع بينهم بهذا الإسناد الصحيح .

(فرع) السخلة المرباة بلبن كلبة لها حكم الجلالة يكره أكلها كراهة تنزيه على الأصح فى الشرح الكبير والروضة والمنهاج ، وبه جزم الرويانى والعراقيون ، وقال أبو إسحاق المروزى والقفال كراهة تحريم ورجحه الإمام والغزالى والبغوى والرافعى فى المحرر، والجلالة هى التى تأكل العذرة والنجاسات سواء كانت من الإبل أو البقر أو الغنم أو الدجاج أو الإوز أو السمك أو غير ذلك من المأكول ، وقد تقدم فى باب الدال المهملة فى الدجاج « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياما ثم يأكلها بعد ذلك » وروى الدار قطنى والحاكم والبيهقى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الجلالة وشرب ألبانها حتى تحبس » قال الحاكم : صحيح الإسناد . وقال البيهقى : ليس بالقوى ، ثم إن لم يظهر بسبب ذلك تغير فى لحمها فلا تحريم ولا كراهة واختلفوا فيما يناط به الحرمة والكراهة ، فنقل الرافعى عن تتمة التتمة أنه إن كان أكثر أكلها الطاهرات فليست بجلالة، والأصح أنه لا اعتبار بالكثرة بل بالرائحة، فإن كان يوجد فى عرقها أو فيها أدنى ريح النجاسة وإن قل فالموضع موضع النهى وإلا فلا . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن موضع النهى ما إذا وجدت رائحة النجاسة بتمامها أو كانت تقرب من الرائحة فأما إذا كانت الرائحة التى توجد يسيرة فلا اعتبار بها، والصحيح الأول إلحاقا لها بالتغير اليسير بالنجاسة فى المياه ، فإن علفت الجلالة علفا طاهرا مدة حتى طاب لحمها وزالت النجاسة زالت الكراهة، ولا تقدر مدة العلف عندنا بزمن بل المعتبر زوال الرائحة بأى وجه كان . قال الرافعى رحمه الله : وعن بعض العلماء تقدير العلف فى الإبل والبقر بأربعين يوما وفى الغنم بسبعة أيام ، وفى الدجاج بثلاثة أيام . قال : وهو محمول عندنا على الغالب انتهى فإن لم تعلف لم يزل المنع بغسل اللحم بعد الذبح ولا بطبخه وشيه وتجفيفه فى الهواء، وإن زالت الرائحة بمرور الزمان عند صاحب التهذيب ، وقيل بخلافه، وكما يمنع لحمها يمنع لبنها وبيضها ويكره الركوب عليها من غير حائل بين الراكب وبينها ، ويطهر جلدها بالدباغ والأصح أنه كاللحم ، ولا يطهر بالذكاة عند القائل بالتنجيس .

وسئل سحنون عن خروف أرضعته خنزيرة فقال : لا بأس بأكله ، قال الطبرى : العلماء مجمعون على أن الجدى إذا اغتذى بلبن كلبة أو خنزيرة لا يكون حراما ؛ ولا خلاف فى أن ألبان الخنازير نجسة كالعذرة . وقال غيره : المعنى فيه أن لبن الخنزيرة لا يدرك فى الخروف إذا ذبح بذوق ولا شم رائحة فقد نقله الله تعالى وأحاله كما يحيل الغذاء ، وإنما حرم الله تعالى أكل أعيان النجاسات المدركات بالحواس كذا قاله أبو الحسن على بن خلف بن بطال القرطبى

فى شرح البخارى ، ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة ،وهو أحد شيوخ أبى عمر بن عبد البر رحمة الله تعالى عليه.

﴿ السرحان ﴾ : بكسر السين : الذئب ، والجمع سراح وسراحين ، والأنثى سرحانة بالهاء والجمع كالجمع ، والسرحان الأسد بلغة هذيل . قال أبو المثلم يرثى ميتا :

هبناط أودية حمال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان

وقال سيبويه: نون سرحان زائدة وهو فعلان والجمع سراحين . قال الكسائى: والأنثى سرحانة . حكى التنوخى عن بعض الرعاة: أنه نزل واديا بغنمه فسلب سرحان شاة من غنمه فقام ورفع صوته ونادى: ياعامر الوادى فسمع صوتا ياسرحان رد عليه شاته ؛ فجاء الذئب بالشاة وتركها وذهب ، وقد تقدم حكمه وخواصه وتعبيره .

(الأمثال) قالوا : سقط العشاء به على سرحان . قال أبو عبيدة : أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء فسقط على ذئب فأكله الذئب . وقال الأصمعى : أصله أن دابة خرجت تطلب العشاء فلقيها ذئب فأكلها . وقال ابن الأعرابى : أصله أن رجلا يقال له سرحان كان بطلا تتقيه الناس ، فقال رجل يوما : والله لأرعين إبلى هذا الوادى ولا أخاف سرحان بن هزلة ؛ فأتى إليه فقتله وأخذ إبله وقال :

أبلغ نصيحة أن راعى إبلها سقط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على متنمر طلق اليدين معاودا لطعان

يضرب فى طلب الحاجة تؤدى صاحبها إلى التلف .

﴿ السرطان ﴾ : بفتح السين والراء المهملتين وبالنون فى آخره : حيوان معروف ؛ ويسمى عقرب الماء ، وكنيته : أبو بحر ، وهو من خلق الماء ، ويعيش فى البر أيضا ، وهو جيد المشى سريع العدو ذو فكين ومخاليب وأظفار حداد كثير الأسنان صلب الظهر ، من رآه رأى حيوانا بلا رأس ولا ذنب ، عيناه فى كتفيه وفمه فى صدره وفكاه مشقوقان من الجانبين وله ثمان أرجل ، وهو يمشى على جانب واحد ، ويستنشق الماء والهواء معا ، ويسلخ جلده فى السنة ست مرات ، ويتخذ لجحره مابين أحدهما شارع فى الماء والآخر إلى اليبس ، فإذا سلخ جلده سد عليه مايلى الماء خوفا على نفسه من سباع السمك ؛ وترك مايلى اليبس مفتوحا ليصل إليه الريح ، فتجف رطوبته ويشتد ، فإذا اشتد فتح مايلى الماء وطلب معاشه . وقال أرسطاطاليس فى النعوت : وزعموا أنه إذا وجد سرطان ميت فى حفرة مستلقيا على ظهره فى قرية أو أرض تأمن تلك البقعة من الآفات السماوية ، وإذا علق على الأشجار يكثر ثمرها وفى وصفه قال الشاعر :

فى سرطان البحر أعجوبة ظاهر للخلق لا تخفى
مستضعف المشية لكنه أبطش من جاراته كفا
يسفر للناظر عن جملة متى مشى قدرها نصفا

ويقال : إن ببحر الصين سرطانات متى خرجت إلى البر استحجرت ، والأطباء يتخذون منها كحلا يجلو البياض ، والسرطان لايتخلق بتوالد ولا نتاج إنما يتخلق فى الصدف ثم يخرج منه ويتولد . وفى الحلية عن أبى الخير الديلمى أنه قال : كنت عند خير النساج فجاءته امرأة وطلبت أن ينسج لها منديلا وقالت له : كم الأجرة ؟ فقال لها : درهمان ، فقالت : مامعى الساعة شىء وعدا آتيك بهما إن شاء الله تعالى ، فقال لها : إذا أتيتنى ولم ترينى فارمى بهما فى الدجلة ؛ فإنى إذا رجعت أخذتهما منها إن شاء الله تعالى ، فقالت : حبا وكرامة قال أبو الخير : فجاءت المرأة من الغد وخير غائب فقعدت ساعة تنتظره ، ثم قامت وألقت خرقة فى الدجلة فيها الدرهمان فإذا سرطان قد تعلق بالخرقة وغاص فى الماء ؛ ثم جاء خير بعد ساعة ففتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ ، وإذا بسرطان خرج من الماء يسعى نحوه والخرقة على ظهره ، فلما قرب من الشط أخذها وذهب السرطان إلى حال سبيله ، فقلت له : أرأيت كذا وكذا ؛ فقال : أحب أن لاتبوح بهذا فى حياتى فأجبته إلى ذلك .

(الحكم) يحرم أكله لاستخباثه كالصدف . قال الرافعى : ولما فيه من الضرر ، وفى قول إنه يحل أكله وهو مذهب مالك رحمة الله تعالى عليه .

(الخواص) أكل السرطان ينفع وجع الظهر ويصلبه . قال فى النعوت : من علق عليه رأس سرطان لم ينم إذا كان القمر محترقا فإن كان غير محترق نام ، وإن أحرق السرطان وحشى به البواسير كيف كانت أبرأها ، وإن علقت رجله على شجرة مثمرة سقط ثمرها من غير علة ، ولحمه نافع للمسلولين جدا ، وإذا وضع السرطان على الجراحات أخرج النصل ، وينفع من لسع الحيات والعقارب .

(التعبير) السرطان فى المنام : تدل رؤيته على رجل كثير الكيد لكثرة سلاحه عظيم الهمة بعيد المأخذ عسر الصحبة ؛ ومن رأى أنه أكل لحم سرطان فى منامه فإنه يصيب خيرا من أرض بعيدة ، وقال جاماسب : لحم السرطان فى الرؤيا مال حرام ، والله أعلم .

﴿ السرعوب ﴾ : بضم السين وسكون الراء وبالعين المهملة : ابن عرس ويقال له النمس قاله فى كفاية المتحفظ .

﴿ السرفوت ﴾ : بفتح السين والراء المهملتين وضم الفاء : دويبة تعشش فى كور الزجاج فى حال اضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ، ولا تعمل بيتها إلا فى موضع النار المستمرة الدائمة

كذا قاله ابن خلكان فى ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقى ، وهذه الدويبة تشارك السمندل فى هذا الوصف كما سيأتى فى موضعه .

﴿ السرفة ﴾ : بضم السين وإسكان الراء المهملتين وبالفاء : الأرضة . قال ابن السكيت : إنها دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناوس ثم تدخل فيه وتموت ، ويقال سرفت السرفة الشجرة تسرفها بالكسر سرفا إذا أكلت ورقها فهى شجرة مسروفة انتهى . وفى الحديث « أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال لرجل : إذا أتيت إلى منى وانتهيت إلى موضع كذا وكذا فإن هناك شجرة لم تعبل ولم تجرد ولم تسرف ولم تسرح قد نزل تحتها سبعون نبيا فأنزل تحتها » ومعنى لم تعبل : لم يسقط ورقها . ولم تجرد : لم يصبها الجراد . ولم تسرف : لم تصبها السرفة . ولم تسرح : لم يصبها السرح : أى الإبل ، والغنم السارحة .

(الحكم) يحرم أكلها لأنها من الحشرات .

(الأمثال) قالوا : أصنع من سرفة ، وقد تقدم الكلام عليها فى باب الهمزة .

﴿ السرمان ﴾ : دويبة كالحجر ، والسرمان أيضا ضرب من الزنابير أصفر وأسود مجزع .

﴿ السروة ﴾ : الجرادة أول ما تكون ، وهى دودة وأصله الهمز والشروة لغة فيها .

﴿ السرماح ﴾ : الجرادة قاله ابن سيده .

﴿ السعدانة ﴾ : الحمامة .

﴿ السعلاة ﴾ : أخبث الغيلان ، وكذلك السعلاء تمد وتقصر ، والجمع السعالى ، واستسعلت المرأة : أى صارت سعلاة . أى صارت صخابة وبذية . قال الشاعر :

لقد رأيت عجبا مذ أمسا عجائزا مثل السعالى خمسا
يأكلن ما أصنع همسا همسا لا ترك الله لهن ضرسا

وأنشد أبو عمر :

يا قبح الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكيات

قلب السين تاء وهى لغة بعض العرب . قال الجاحظ : يقال إن عمرو بن يربوع كان متولدا من السعلاة والإنسان ، قال : وذكروا أن جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم عليه السلام . قال : وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه فى السماء أهبط إلى الأرض

فى صورة رجل كما صنع بهاروت وماروت ، فوقع بعض الملائكة على بعض بنات آدم عليه السلام فولدت جرهما ، ولذلك قال شاعرهم :

لاهم إن جرهما عبادكا الناس طرف وهم تلادكا

قال : ومن هذا الضرب كانت بلقيس ملكة سبأ ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة ، ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينادى رجلا ياذا القرنين قال : أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة انتهى . والحق فى ذلك أن الملائكة معصومون من الصغائر والكبائر كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قاله القاضى عياض وغيره ، وأما ما ذكره من أن جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم وكذلك ذو القرنين وبلقيس فممنوع ، واستدلالهم بقصة هاروت وماروت ليس بشىء فإنها لم تثبت على الوجه الذى أوردوه بل قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : هما رجلان ساحران كانا ببابل ، وقال الحسن : كانا علجين يحكمان بين الناس ويعلمان الناس السحر ، ولم يكونا من الملائكة لأن الملائكة لا يعلمون السحر ، وقرأ ابن عباس والحسن البصرى — وما أنزل على الملكين — بكسر اللام ، وسيأتى ذكرهما إن شاء الله تعالى فى باب الكاف فى الكلب .

وقد اختلف فى ذى القرنين ونسبه واسمه ، فقال صاحب ابتلاء الأخبار : اسم ذى القرنين الإسكندر . قال : وكان أبوه أعلم أهل الأرض بعلم النجوم ولم يراقب أحد الفلك ما راقبه ، وكان قد مد الله تعالى له فى الأجل فقال ذات ليلة لزوجته : قد قتلنى السهر فدعينى أرقد ساعة وانظرى إلى السماء فإذا رأيت قد طلع فى هذا المكان نجم وأشار بيده إلى موضع طاوعه فنبهينى حتى أطأك فتعلق بولد يعيش إلى آخر الدهر ، وكانت أختها تسمع كلامه ، ثم نام أبو الإسكندر فجعلت أخت زوجته تراقب النجم ، فلما طلع النجم أعلمت زوجها بالقصة فوطئها فعلقت منه بالخضر فكان الخضر ابن خالة الإسكندر ووزيره ، فلما استيقظ أبو الإسكندر رأى النجم قد نزل فى غير البرج الذى كان يرقبه ، فقال لزوجته : لم لم تنبهينى ؟ فقالت : استحييت والله ، فقال لها : أما تعلمين أنى أراقب هذا النجم منذ أربعين سنة والله لقد ضيعت عمرى فى غير شىء ، ولكن الساعة يطلع فى أثره نجم فأطؤك فتعلقين بولد يملك قرنى الشمس ، فما لبث أن طلع فواقعها فعلقت بالإسكندر ، وولد الإسكندر وابن خالته الخضر فى ليلة واحدة ، ثم إن الإسكندر فتح الله عليه بتمكينه فى الأرض وفتح البلاد ، وكان من أمره ما كان .

(وروى) عن وهب بن منبه أنه قال : كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الإسكندر وكان عبدا صالحا ، فلما بلغ أشده قال

الله تعالى : ياذا القرنين إنى باعثك إلى أمم الأرض وهم أمم مختلفة ، وهم أصناف منهم أمتان بينهما طول الأرض ، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض ، وأمم فى وسط الأرض ، فقال ذو القرنين : إلهى إنك قد ندبتنى لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت ، فأخبرنى عن هذه الأمم التى ندبتنى إليها بأى قوة أكاثرهم ؟ وبأى صبر أقاسيهم؟ وبأى لسان أناطقهم ؟ وكيف لى أن أفقه لغاتهم ؟ وبأى سمع أسمع قولهم ؟ وبأى بصر أنقدهم ؟ وبأى حجة أخاصمهم ؟ وبأى عقل أعقل عنهم ؟ وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم ؟ وبأى قسط أعدل بينهم ؟ وبأى معرفة أفصل بينهم ؟ وبأى يد أسطو عليهم ؟ وبأى رجل أطؤهم ؟ وبأى طاقة أحصيهم ؟ وبأى جند أقاتلهم ؟ وبأى رفق أتألفهم ؟ وليس عندى يا إلهى شىء مما ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم ويطيقهم وأنت الرءوف الرحيم الذى لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يحملها إلا طاقتها . قال الله عز وجل : إنى سأطوقك وأحملك وأشرح لك صدرك فتسمع كل شىء ، وأقوى لك فهمك فتفقه كل شىء ، وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شىء ، وأفتح لك سمعك فتعى كل شىء ، وأحد بصرك فتنقد كل شىء ، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شىء ، وأقوى لك قلبك فلا يروعك شىء ، وأحفظ لك عقلك فلا يعزب عنك شىء ، وأبسط لك لك مابين يديك فتسطو فوق كل سى ، وأشد لك وطأتك فتهد كل شىء ، وألبسك الهيبة فلا يهولنك شىء ، وأسخر لك النور والظلمة وأجعلها جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك وذلك قوله تعالى — وآتيناه من كل شىء سببا — .

وقال ابن هشام : ذو القرنين هو الصعب بن ذى مرثد الحميرى من ولد واثل بن حمير . وقال ابن إسحق : اسمه مرزبان بن مردويه كذا وقع فى السيرة له ، وذكر أنه الإسكندر ، وقيل إنه رجل من ولد يونان بن يافث واسمه هرمس ويقال له هرديس ، والظاهر من علم الأخبار والسير أنهما اثنان أحدهما كان على عهد إبراهيم ، ويقال إنه الذى قضى لإبراهيم حين خاصم إليه فى بئر السبع بالشأم ، والثانى كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام ، وقيل إنه إفريدون الذى قتل الملك الطاغى الذى كان على عهد إبراهيم أوقبله بزمن . واختلف فى سبب تلقيبه بذى القرنين ، فقال بعضهم : لأنه ملك فارس والروم ، وقيل لأنه كان فى رأسه شبه القرنين ، وقيل : لأنه رأى فى المنام كأنه آخذ بقرنى الشمس ، وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب ، وقيل إنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر ، وقيل إنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه ، وقيل لأنه انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حى ، وقيل لأنه كان إذا حارب قاتل بيديه ركابيه جميعا ، وقيل لأنه دخل النور والظلمة ، وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا . قال الراعى :

فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف لبرد ماء الحشرج

وقيل لأنه أعطى علمى الظاهر والباطن ، وهو رجل من الإسكندرية يقال له إسكندر ابن فيلبش الرومى ، وكان فى الفترة بعد عيسى عليه الصلاة والسلام . قال مجاهد : ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمان وذو القرنين ، والكافران نمروذ وبختنصر ، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدى . واختلف فى نبوته فقال بعضهم : كان نبيا لقوله تعالى — قلنا ياذا القرنين — وقال آخرون : كان ملكا صالحا عادلا ولعله الأصح ، فالقائلون بنبوته قالوا : إن الملك الذى كان ينزل عليه اسمه رقيائيل ، وهو ملك الأرض الذى يطوى الأرض يوم القيامة وينقصها فتقع أقدام الخلائق كلهم بالساهرة قاله ابن أبى خيثمة . قال السهيلى : وهذا يشاكل توكله بذى القرنين الذى قطع الأرض مشارقها ومغاربها ، كما أن قصة خالد بن سنان العبسى وهو نبى بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فى تسخير النار مشاكلة لحال الملك الموكل به وهو مالك خازن النار ، وسيأتى ذكر خالد ونبوته فى باب العين المهملة فى العنقاء إن شاء الله تعالى .

قال الجاحظ : وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس لقوله تعالى — وشاركهم فى الأموال والأولاد — وهذا ظاهر ، وذلك أن الجنيات إنما تتعرض لصرع رجال الإنس على جهة العشق فى طلب السفاد وكذلك رجال الجن لنساء الإنس ، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء . قال تعالى — لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان — ولو كان الجان لايفتض الآدميات ولم يكن ذلك فى تركيبه لما قال الله تعالى هذا القول ، وذكروا أن الواق واق نتاج من بعض النباتات وبعض الحيوانات . وقال السهيلى : السعلاة ما يتراءى للناس بالنهار ، والغول ما يتراءى للناس بالليل . وقال القزوينى : السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول . قال عبيد بن أيوب :

وساحرة عينى لو أن عينها رأت ما ألاقيه من الهول جنت
أبيت وسعلاة وغول بقفرة إذا الليل وارى الجن فيه أرنت

قال : وأكثر ما توجد السعلاة فى الغياض ، وهى إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر . قال : وربما اصطادها الذئب فى الليل فأكلها ، وإذا افترسها ترفع صوتها وتقول : أدركونى فإن الذئب قد أكلنى ، ربما تقول من يخلصنى ومعى ألف دينار يأخذها ، والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة فلا يخلصها أحد فيأكلها الذئب .

﴿ السفنج ﴾ : بضم السين وإسكان الفاء وضم النون وبالجيم فى آخره . قال أبو عمر : وهو الظليم الخفيف ، وهو ملحق بالخماسى بتشديد الحرف الثالث منه كذا قاله الجوهرى ، والسفنج أيضا طائر كثير الاستنان له فى العباب .

﴿ السقب ﴾ : ولد الناقة أو ساعة يولد ، والجمع أسقب وسقاب وسقوب وسقبان ، والأنثى سقبة وأمها مسقب ومسقاب .

(الأمثال) قالوا: أذل من السقبان بين الحلائب ، وأرادوا بالحلائب جمع حلوبة وهى التى تحلب .

﴿ السقر ﴾ : قال القزوينى : إنه من الجوارح فى حجم الشاهين إلا أن رجليه غليظتان جدا ، ولا يعيش إلا فى البلاد الباردة ، ويوجد فى بلاد الترك كثيرا ، وهو إذا أرسل على الطير أشرف عليها ويطير حولها على شكل دائرة ، فإذا رجع إلى المكان الذى ابتدأ منه تبقى الطيور كلها فى وسط الدائرة لايخرج منها واحد ولو كانت ألفا ، وهو يقف عليها وينزل يسيرا يسيرا وتنزل الطيور بنزوله حتى تلتصق بالتراب فيأخذها البزادرة فلا يفلت منها شىء أصلا .

﴿ السقنقور ﴾ : نوعان هندى ومصرى ، ومنه ما يتولد فى بحر القلزم وهو البحر الذى غرق فيه فرعون وهو عنـد عقبة الحاج ، ويتولد أيضا ببلاد الحبشة وهو يتغذى بالسمك فى الماء وبالقطافى البر يسترطه كالحيات ، وأنثاه تبيض عشرين بيضة تدفنها فى الرمل فيكون ذلك حضنا لها ، وللأنثى فرجان وللذكر ذكران كالضب قاله التميمى . وقال أرسطو · السقنقور حيوان بحرى وربما تولد فى البحر فى مواضع الصواعق ، ومن عجب أمره أنه إذا عض إنسانا وسبقه الإنسان إلى الماء واغتسل منه مات السقنقور ، وإن سبق السقنقور إلى الماء مات الإنسان ، وبينه وبين الحية عداوة حتى إذا ظفر أحدهما بصاحبه قتله ، والفرق بينه وبين الورل من وجوه : منها أن الورل برى لا يأوى إلا البرارى ، والسقنقور لا يأوى إلا بالقرب من المـاء أو فيه . ومنها : أن جلد السقنقور ألين وأنعم من جلد الورل . ومنها: أن ظهر الورل أصفر وأغبر وظهر السقنقور مدبج بصفرة وسواد . والمختار من هذا الحيوان الذكر فإنه أفضل وأبلغ فى النفع المنسوب إليه من أمر الباه قياسا وتجربة بل كاد أن يكون هو المخصوص بذلك ، والمختار من أعضائه ما يلى ذنبه من ظهره فهو أبلغ نفعا ، وهـذا الحيوان نحو ذراعين طولا ونصف ذراع عرضا . قال فى المفردات :لا يعرف اليوم فى عصرنا السقنقور فى الديار المصرية إلا ببلاد الفيوم منها يجلب إلى القاهرة لمن عنى بطلبه، وإنما يصاد فى أيام الشتاء لأنه إذا اشتد عليه البرد يخرج إلى البر فحينئذ يصاد .

(الحكم) يحل أكله لأنه سمك، ويحتمل أن يأتى فيه وجه بالحرمة لأن له شبهين فى البر : أحدهما حرام وهو الورل ، والآخر يؤكل وهو الضب تغليبا للتحريم ، وأما الذى تقدم فى باب الهمزة فهو حرام لأنه متولد من التمساح كما تقدم فهو حرام كأصله .

(الخواص) لحم السقنقور الهندى مادام طريا فهو حار رطب فى الدرجة الثانية ، وأما مملوحه المجفف فإنه أشد حرارة وأقل رطوبة لاسيما إذا مضت عليه بعد تعليقه مدة طويلة ، ولذلك صار لا يوافق استعماله أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة بل أرباب الأمزجة الباردة الرطبة ، ولحمه إذا أكل منه اثنان بينهما عداوة زالت وصارا متحابين ، وخاصية لحمه وشحمه إنهاض شهوة الجماع وتقوية الإنعاظ والنفع من الأمراض الباردة التى بالعصب وإذا استعمل بمفرده كان أقوى فعلا من أن يخلط بغيره من الأدوية ، والشربة منه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل بحسب مزاج المستعمل له وسنه ووقته وبلده . وقال أرسطو : لحم السقنقور الهندى إذا طبخ باسفيذاج نفخ اللحم وأسمن ، ولحمه يذهب وجع الصلب ووجع الكليتين ويدر المنى ، وخرزته الوسطى إذا علقت على صلب إنسان هيجت الإحليل وزادت الجماع.

(التعبير) هو فى الرؤيا : يدل على الامام العالم الذى يهتدى به فى الظلمات ، فإن جلده يوقد ولحمه ينعش القوة ويثير حرارتها ، والله أعلم .

﴿ السلحفاة البرية ﴾ : بفتح اللام واحدة السلاحف قاله أبو عبيدة . وحكى الرواسى . سلحفية مثل بلهنية وهى بالهاء عند الكافة . وعند ابن عبدوس : السلحفاة بغير هاء وذكرها يقال له غيلم ، وهذا الحيوان يبيض فى البر فما نزل منه فى البحر كان لجأة وما استمر فى البر كان سلحفاة ، ويعظم الصنفان جداً إلى أن يصير كل واحد منهما حمل جمل ، وإذا أراد الذكر السفاد والأنثى لا تطيعه يأتى الذكر بحشيشة فى فيه من خاصيتها أن صاحبها يكون مقبولا فعند ذلك تطاوعه ، وهذه الحشيشة لا يعرفها إلا القليل من الناس وهى إذا باضت صرفت همتها إلى بيضها بالنظر إليه ، ولا تزال كذلك حتى يخلق الله تعالى الولد منها إذ ليس لها أن تحضنه حتى يكمل بحرارتها لأن أسفلها صلب لا حرارة فيه ، وربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية فتقطع رأسها وتمضغ من ذنبها ، والحية تضرب بنفسها على ظهر السلحفاة وعلى الأرض حتى تموت ، ولها حيلة عجيبة فى التوصل إلى صيدها ، وذلك أنها تصعد من الماء فتتمرغ فى التراب ، وتأتى موضعا قد سقط الطير عليه لشرب الماء فتختفى عليه لكدورة لونها التى اكتسبتها من الماء والتراب ، فتصيد منها ما يكون لها قوتا وتدخل به الماء ليموت فتأكله ، ولذكرها ذكران وللأنثى فرجان والذكر يطيل المكث فى السفاد ، والسلحفاة مولعة بأكل الحيات فإذا أكلتها أكلت بعدها سعترا ، والترس الذى على ظهرها وقاية لها وقد أجاد الشاعر حيث قال فى وصفها :

لحا الله ذات فم أخرس تطيل من السعى وسواسها
تكب على ظهرها ترسها وتظهر من جلدها رأسها

إذا الحـذر أقلق أحشاءها وضيق بالخوف أنفاسها
تضم إلى نحرها كفها وتدخل فى جلدها رأسها

(الحكم) حكى البغوى فى حلها وجهين ، وصحح الرافعى التحريم لاستخباثها لأن غالب أكلها الحيات . وقال ابن حزم : البرية والبحرية حلال وكذلك بيضها لقوله تعالى — كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا — مع قوله — وقد فصل لكم ما حرم عليكم — ولم يفصل لنا تحريم السلحفاة فهى حلال . قال : وكذلك يحل اليربوع والسرطان والجراذين وأم حبين والورل والطير كله . قال : وقد روينا عن عطاء أنه قال بإباحة أكل السلحفاة . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أنه نهى المحرم عن قتل الرخمة وجعل فيها الجزاء . وقد قال أبو زيد المروزى من أصحابنا بعدم تحريم المخاط والبزاق والمنى ونحوها ، وكأنه استغنى بنفرة الطباع عنها فلم يزجر عنها .

(وفى الأمثال) قالوا : أبلد من سلحفاة .

(الخواص) ذكر صاحب الفلاحة والقزوينى : أن البرد إذا كثر وقوعه على الأرض وأضر بذلك المكان تؤخذ سلحفاة وتقلب فيه على ظهرها بحيث تبقى قوائمها شائلة نحو السماء فإن البرد لايضر ذلك المكان ، وإذا لطخت الأيدى والأقدام بدمها نفع من وجع المفاصل وإذا أديم التمسح بدمها نفع من الكزاز والتشنج ، وأكل لحمها يفعل ذلك ، وإذا جفف دمها وسحق وطلى به على مسرجة فمن أسرجها ضرط وهو سر عجيب مجرب ، وأى عضو من الإنسان حصل له وجع يعلق عليه نظيره من أعضائها فإن الوجع يسكن بإذن الله تعالى : وطرف ذنب الذكر منها وقت هيجانه من علقه عليه هيج الباه ، وإذا اتخذ من ظهرها مكبة وغطى بها رأس قدر لم يغل مادامت عليه .

(التعبير) السلحفاة فى المنام : امرأة تتزين وتتعطر وتعرض نفسها على الرجال ، وقيل إنها تعبر بقاضى القضاة لأنها أعلم ما فى البحر ، وقيل السلحفاة رجل عالم فمن رأى سلحفاة تكرم فى مكان فإن العلماء يكرمون هناك ، ومن رأى أنه أكل لحم سلحفاة إستفاد علما ، وقالت النصارى : إنه ينال مالا وعلما ، والله أعلم .

﴿ السلحفاة البحرية ﴾ : اللجأة ، وستأتى فى باب اللام إن شاءالله تعالى ، قال الجوهرى : وزعموا أن ابنة جندى وضعت قلادتها على سلحفاة فانسابت فى البحر فقالت : يا قوم نزاف نزاف لم يبق فى البحر غير غراف : وهو جمع غرفة من الماء ، والسلحفاة البحرية جلدها الذبل الذى يصنع منه الأمشاط ، وخاصية التسريح بمشط الذبل إذهاب الصئبان من الشعر ، وإذا أحرق الذبل وعجن رماده ببياض البيض وطلى به شقاق الكعبين والأصابع نفعه ، وقيل الذبل جلد السلحفاة الهندية .

(فائدة) كان للنبى صلى الله عليه وسلم مشط من العاج ، والعاج : الذبل ، وهو شئ يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية يتخذ منه الأمشاط والأساور ، وفى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر ثوبان رضى الله تعالى عنه أن يشترى لفاطمة رضى الله تعالى عنها سوارين من عاج » أما العاج الذى هو عظم الفيل فنجس عند الشافعى ، وطاهر عند أبى حنيفة ، وعند مالك يطهر بصلقه ، فيجوز التسريح بمشط العاج وهو الذبل ، وعليه يحمل ما وقع للنووى فى شرح المهذب من جواز التسريح به ، فمراده بالعاج الذبل لا العاج الذى هو ناب الفيل .

﴿ السلفان ﴾ : بكسر السين أولاد الحجل الواحدة سلف مثل صرد وصردان . قال أبو عمر : لم يسمع سلفة للأنثى ولو قيل سلفة كما قيل سلكة لواحدة السلكان لكان جيدا.

﴿ السلق ﴾ : بالكسر الذئب والأنثى سلقة ، وربما قيل للمرأة السليطة سلقة ، ومنه قوله تعالى — فإذا جاء الخوف سلقوكم بألسنة حداد — أى بسطوا ألسنتهم فيكم ، والسالقة الرافعة صوتها عند المصيبة .

﴿ السلك ﴾ : فرخ القطا ، وقيل فرخ الحجل ، والأنثى سلكة والجمع سلكان مثل صرد وصردان ، وقيل واحدته سلكانة ، وقد ضربت العرب المثل بسليك بن سلكة فى العدو ، وهو تميمى من بنى سعد وسلكة أمه وكانت سوداء ، وكان يقال له سليك المقانب قال الشاعر :

« إلى الهول أمضى من سليك المقانب »

وهو أحد أغربة العرب الآتى ذكرهم إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة .

﴿ السلكوت ﴾ : طائر قاله فى المحكم فى رباعى السين .

﴿ السلوى ﴾ : قال ابن سيده : إنه طائر أبيض مثل السمانى واحدته سلوة ، والسلوى : العسل . قال خالد بن زهير الهذلى :

وقاسمها بالله جهد الأنتم ألذ من السلوى إذا ما نشورها

قال الزجاج : أخطأ خالد إنما السلوى طائر . وقيل السلوى اللحم . قال الإمام حجة الإسلام الغزالى : وسمى سلوى لأنه يسلى الإنسان عن سائر الإدام . والناس يسمونه قاطع الشهوات . وقال القزوينى وابن البيطار : إنه السمان . وقال غيرهما : إنه طائر قريب من السمانى ؛ وقال الأخفش : لم يسمع له بواحد ويشبه أن يكون واحده سلوى كدفلى للواحد والجمع ، وهو طائر يعيش دهره فى قلب اللجة ، فإذا مرضت البزاة بوجع الكبد طلبته

وأخذته وأكلت كبده فتبرأ ، وهو الذى أنزله الله تعالى على بنى إسرائيل على القول المشهور وغلط الهذلى فظنه العسل فقال :

ألذ من السلوى إذا ما نشورها .

وفى صحيح البخارى فى أحاديث الأنبياء، وفى مسلم فى النكاح من حديث محمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ، وذكر أحاديث منها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ،ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر أبدا» ومعناه: أنه لم يتغير اللحم أبدا ولم ينتن . قال العلماء : معناه أن بنى إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى نهوا عن ادخارهما فادخروا ففسد وأنتن واستمر من ذلك الوقت ، وروى ابن ماجه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم» وعنه رضى الله تعالى عنه « ما أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم لحم إلا قبله ولا دعى إلى لحم إلا أجاب » وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أطيب اللحم لحم الظهر » وما أحسن ما قال شيخنا برهان الدين القيراطى :

لما رأيت سلوى عز مطلبه عنكم وعقد اصطبارى صار محلولا
دخلت بالرغم منى تحت طاعتكم ليقضى الله أمرا كان مفعولا

(الحكم) يحل أكله بالإجماع .

(الخواص) قال ابن زهر : إذا علقت عينه على الأرمد شفى ، وإن اكتحل بها نفع من وجع الكبد ومرارته تخلط بزعفران مداف ويطلى به على البهق الأسود يقطعه ،وزبله يسحق ويذر على القروح المتأكلة ينفعها؛ وإذا دفن رأسه فى برج حمام زال عنه سائر الهوام ،ورأسه إذا بخر به مكان أزال الأرضة منه .

(التعبير) السلوى تدل رؤيته : على رفع النكد والنجاة من العدو ونجاز الوعد والخير والرزق الهنى بلا تعب ولا عناء لمن رآه أو ملكه ، وربما دلت رؤيته على سلوى عن عشيق لأجل اسمه ، وربما دلت رؤيته على كفران النعم وزوال المنصب وضنك العيش لقوله تعالى – أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير – والله أعلم .

﴿ السمانى ﴾ : قال الزبيدى : هو بضم السين وفتح النون على وزن الحبارى : اسم لطائر يلبد بالأرض ولا يكاد يطير إلا أن يطار ، والسمانى طائر معروف ، ولا تقل سمانى بالتشديد والجمع سمانيات ، ويسمى قتيل الرعد من أجل أنه إذا سمع الرعد مات ، ويقال إن فرخه عندما يخرج من البيض يطير من ساعته ؛ ومن عجيب أمره أنه يسكت فى الشتاء فإذا أقبل الربيع يصيح ويغتذى بالبيش والبيشاء وهما سم ناقع قاتل ، وهو من الطيور القواطع لايدرى

من أين يأتى حتى إن بعض الناس يقول : إنه يخرج من البحر المالح فإنه يرى طائرا عليه وأحد جناحيه منغمس فيه والآخر منشور كالقلع ، ولأهل مصر به عناية ويتغالون فى ثمنه .

(الحكم) يحل أكله بالإجماع .

(الخواص) لحمه حار يابس وأجوده المخاليف الطرية ، وأكله ينفع من وجع المفاصل من برد لكنه يضر بالكبد الحار ، ويدفع ضرره الكسبرة والخل ، وهو يولد دما حارا ، وهو موافق لذوى الأمزجة الباردة والمشايخ ، ويكره مشوى السمانى ليبسه وتجفيفه . قاله ابن عبدون وقال غيره : مزاج لحمه بين الدجاج والحجل وهو إلى مزاج الدجاج أميل ، وهو جيد الكيموس ، وأكله يفتت الحصا ويدر البول ، وإذا قطر دمه فى الأذن سكن وجعها ، وإذا أديم أكله ألان القلب القاسى ، ويقال إن هذه الخاصة موجودة فى قلبه فقط .

(التعبير) السمانى تدل رؤيته : على الفوائد والأرزاق من جهة الزرع والفلاحة ، وهو لمن يقصد سماعه دليل على الأرزاق من الشبهات ، وربما دل على اللعب واللهو والتبذير ، وربما دلت رؤيته على الجرم بما يوجب الحبس والصلب ، والله أعلم .

﴿ السمحج ﴾ : الأتان الطويلة الظهر ، والجمع سماحج ، وكذلك الفرس ، ولا يقال للذكر .

﴿ السمع ﴾ : بكسر السين وإسكان الميم وبالعين المهملة فى آخره : ولد الذئب من الضبع وهوسبع مركب فيه شدة الضبع وقوتها وجراءة الذئب وخفته ، ويزعمون أنه كالحية لايعرف العلل ولا يموت حتف أنفه ، وأنه أسرع عدوا من الريح . وقال الجوهرى : السمع الأزل الذئب الأرسح وهو القليل لحم الفخذين ، وكل ذئب أرسح فإن هذه الصفة لازمة له كما يقال للضبع العرجاء انتهى . وقد قال بعض الأعراب فيه :

تراه حديد الطرف أبلج واضحا أغر طويل الباع أسمع من سمع

ويقال إن وثبته تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعا ، وفى كتاب [خبر البشر بخير البشر] لابن ظفر عن ربيعة بن أبى نزار قال : أخبرنى خالى قال : لما أظهر الله علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحنين أشعبنا فى كل شعب لا يلوى حميم على حميم ، فبينما أنا فى بعض الشعاب إذ رأيت ثعلبا قد تحوى عليه أرقم والثعلب يعدو عدوا شديدا فانتحيت إليه بحجر فما أخطأه ، فانتهيت إليه فإذا الثعلب قد سبقنى بنفسه وإذا الأرقم قد تقطع وهو يضطرب ، فقمت أنظر إليه فهتف بى هاتف ما سمعت أفظع من صوته يقول : تعسا لك وبؤسا قد قتلت رئيسا ووترت بئيسا ، ثم قال : يا دائر يا دائر ، فأجابه مجيب من العدوة الأخرى لبيك لبيك ، فقال : بادر بادر إلى بنى الغدافر فأخبرهم بما صنع الكافر ، فناديت : إنى لم أشعر وأنا

عائذ بك فأجرنى ، فقال : كلا والحرم الأمين لا أجير من قاتل المسلمين وعبد غير رب العالمين . قال : فناديت أنى أسلم ، فقال : إن أسلمت سقط عنك القصاص وفزت بالخلاص وإلا فلات حين مناص . قال : فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقال : نجوت وهديت ولولا ذلك لرديت فارجع من حيث جئت . قال : فرجعت أقفو أدراجى ، فإذا هو يقول :

امتط السمع الأزل يعل بك ألل فهناك أبو عامر يتبع بك الفل

قال : فالتفت فإذا سمع كالأسد النهد فركبته فمر ينسل حتى انتهى إلى تل عظيم فتوقل فيه إلى أن تسمنه فأشرفت منه على خيل المسلمين[1] ، فنزلت عنه وصوبت فى الحدود نحوهم ، فلما دنوت منهم خرج إلى فارس كالفالج الهائج فقال ألق سلاحك لأم لك ، فألقيت سلاحى فقال لى : من أنت ؟ قلت : مسلم . قال : فسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقلت : وعليك السلام والرحمة والبركة من أبو عامر ؟ قال : أنا هو ، قلت : الحمد لله ، فقال : لا بأس عليك هؤلاء إخوانك المسلمون ، ثم قال : إنى رأيتك بأعلى التل فارسا فأين فرسك؟ قال : فقصصت عليه القصة فأعجبه ما سمع منى ، وسرت مع القوم أقفو بهم أثر هوازن حتى بلغوا من الله ما أرادوه . قال محمد بن ظفر : قوله تحوى عليه أرقم : أى استدار عليه والأرقم : الحية التى فيها خطوط كالرقم ، وتزعم الأعراب أن الثعالب مطايا الجن ويكرهون اصطيادها ويقولون : إن من صاد ثعلبا أصيب ببعض ماله ، وقوله سبقنى بنفسه : أى هلك قبل أن أصل إليه ، وقوله لولا ذلك ، لرديت ، : أى هلكت ، والردى : الهلاك ، وقوله أقفو أدراجى : أى أتبع طرق التى جئت فيها ، والأدراج : السبل ، وقوله الفل : هم المنهزمون ، وقوله النهد : هو العظيم الخلق ، وقوله ينسل : أى يعدو ، والنسلان : عدو الذئب والكلب ، وكل ما أشبه ذلك فى العدو فهو نسلان ، وقوله كالفالج : هو البعير العظيم ذو السنامين انتهى .

(الحكم) تحريم الأكل ، واختلفوا فى وجوب الجزاء على المحرم بقتله كالمتولد بين الحمار الوحشى والأهلى ، فقال ابن القاص : لاجزاء فى ذلك وغلط فيه ، والمذهب أنه يحرم على المحرم التعرض له ويجب فيه الجزاء .

(الأمثال) قالوا : أسمع من سمع ، ومن السمع الأزل لأن هذه الصفة لازمة له كما يقال للضبع العرجاء .

وهو فى الرؤيا : يدل على ذى الأصل الردىء ، ونقل ما سمعه من كلام جيد وردىء ، وذلك مأخوذ من اسمه ، والله أعلم .

﴿ السمائم ﴾ : بالفتح جمع سمامة وهو ضرب من الطير كالخطاف لا يقدر على بيضه ، وقيل هو السنونر الآتى قريبا إن شاء الله تعالى ، وهو الطير الأبابيل الذى أرسله الله تعالى على أصحاب الفيل .

(الأمثال) قالت العرب : كلفتنى بيض السمائم ، ويروى بيض السماسم وهو جمع سمسمة وهى النملة ، وستأتى إن شاء الله تعالى ، يضرب للشىء العزيز الوجود .

﴿ السمسم ﴾ : بالفتح : الثعلب .

﴿ السمسم ﴾ : بكسر السين : النملة الحمراء وجمعها سماسم . وقال ابن فارس فى مجمله هو النمل الصغار ، وبها فسر الحديث الذى رواه مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الجهنميين ، وأن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها فيخرجون كأنهم عيدان السماسم ، فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس » قال الإمام النووى : قوله كأنهم عيدان السماسم : هو بالسينين المهملتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وهو جمع سمسم ، وهو السمسم المعروف الذى يستخرج منه الشيرج . وقال أبو السعادات بن الأثير : السماسم جمع سمسم ، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت ليؤخذ حبها دقاقا سودا كأنها محترقة . قال : وطالما تطلبت هذه اللفظة وسألت عنها فلم أجد فيها شيئا شافيا ، وما أشبه أن تكون اللفظة محرفة ، وربما كانت عيدان الساسم وهو خشب أسود كالأبنوس . قال القاضى عياض : لا يعرف معنى السماسم ولعل صوابه الساسم وهو عود أسود ، وقيل هو الأبنوس ، وقيل هو نبت صغير ضعيف كالكسبرة . وقال آخرون : لعله الساسم مهموزة وهو الأبنوس شبههم به لسواده .

﴿ السمك ﴾ : من خلق الماء الواحدة سمكة وجمعه أسماك وسموك ، وهو أنواع كثيرة ولكل نوع اسم خاص ، وقد تقدم فى آخر الجراد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل خلق ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر » ومن أنواع السمك ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لكبرها وما لا يدركها الطرف لصغرها ، وكل يأوى الماء ويستنشقه كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنوف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة ، والسمك يستنشق بأصداغه فيقوم له الماء فى تولد الروح الحيوانى فى قلبه مقام الهواء ، وإنما استغنى عن الهواء فى إقامة الحياة ، ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأنه من عالم الماء والأرض دون عالم الهواء ، ونحن من عالم الأرض والماء والهواء . قال الجاحظ : السمك يسبح الله فى غمر الماء ولا يسبح فى أعلاه ، ونسيم البر الذى يعيش به الطير لو دام على السمك ساعة قتله قال الشاعر :

تغمه النشوة والنسيم ولا يزال مغرقا يعوم
فى البحر والبحر له حميم وأمه الوالدة الروم
تلهمه جهرا وما يريم

وقوله وأمه الوالدة فيه : شاهد على أن الأم فى غير الآدميين تسمى أيضا والدة ، وقوله تلهمه : أى تأكله لأن السمك يأكل بعضه بعضا وذلك قوته ، ولذلك قال الغزالى : السمك أكثر خلق الله تعالى . وقوله وما يريم : أى لا يبرح عن ذلك الموضع الذى يؤكل فيه ، وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه ، فإن الغزالى قد استثنى منه نوعا لا يضره النسيم فقال : ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل اه . وقال ابن التلميذ فى تشبيه السمك :

لبسن الجواشن خوف الردى عليهن من فوقهن الحوذ
فلما أتيح لهـا أهلكت ببرد النسيم الذى يستلذ

وهو بجماته شره كثير الأكل لبرد مزاج معدته وقربها من فمه ، وإنه ليس له عنق ولا صوت لا يدخل إلى جوفه هواء ألبتة ، ولذلك يقول بعضهم : إن السمك لارئة له كما أن الفرس لا طحال له والجمل لا مرارة له والنعامة لا مخ لها وصغار السمك تحترس من كباره ولذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذى لا يحمل الكبير ، وهو شديد الحركة لأن قوته المحركة للإرادة تجرى فى مسلك واحد لاينقسم فى عضو خاص وهذا بعينه موجود فى الحيات ، ومن السمك ما يتولد بسفاد ومنه ما يتولد بغيره إما من الطين أو من الرمل وهو الغالب فى أنواعه والغالب يتولد من العفونات ، وبيض السمك ليس له بياض ولاصفرة وإنما هو لون واحد . قال الجاحظ : ومن السمك القواطع والأوابد كما فى الطير فرب سمكة تأتى فى بعض فصول السنة وتنقطع فى بعضها ، ومن جملة أنواعه السقنقور والدلفين والخرشفلا والتمساح وقد تقدم ذكرها فى أبوابها ، ومنها القرش والعنبر وسيأتيان فى بابيهما إن شاء الله تعالى ، ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات وغير ذلك ، ومن أنواعه السمكة الرعادة وهى صغيرة إذا وقعت فى الشبكة والصياد ممسك حبلها ارتعدت يد الصياد ، والصيادون يعرفون ذلك فإذا أحسوا بها شدوا حبل الشبكة فى وتد أو شجرة حتى تموت السمكة فإذا ماتت بطلت خاصيتها ، وما أحسن قول الشيخ شرف الدين محمد بن حماد بن عبد الله البوصيرى صاحب البردة فى الشيخ زين الدين محمد بن الرعاد :

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر ومن عاب أشعارى فلا بد أن يهجى
فشعرى بحر لا يرى فيه ضفدع ولا يقطع الرعاد يوما له لجا

وأطباء الهند يستعملونها فى الأمراض الشديدة الحر ، وأما فى غير بلاد الهند فلا يمكن استعمالها . قال ابن سيده : الرعادة إذاقربت من رأس المصروع وهى حية نفعته ، وإذا علقت المرأة شيئا منها عليها لم يقدر الرجل على فراقها ، وفى البحر من العجائب مالا يستطاع حصره ويكفى فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «حدثوا عن البحر ولاحرج» أى حدثوا عنه حيث لا حرج عليكم فى ذلك ، ومن أنواعه الشيخ اليهودى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الشين المعجمة .

(عجيبة) حكى القزوينى فى [عجائب المخلوقات] عن عبد الرحمن بن هارون المغربى قال : ركبت بحر المغرب فوصلت إلى موضع يقال له البرطون ، وكان معنا غلام صقلى معه صنارة فألقاها فى البحر فصاد بها سمكة نحو الشبر ، فنظرنا فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب : « لا إله إلا الله » وفى قفاها «محمد» وخلف أذنها اليسرى «رسول الله» .

وفى كتاب [تحفة الألباب] لأبى حامد الأندلسى الغرناطى : أن فى بحر الروم سمكا صغيرا كالذراع يسمى التلب إذا أخذ وأمسك ما شاء الله لا يموت بل يتحرك ويضطرب ، وإذا جعل منه قطعة على النار وهب خارج النار وربما أصاب وجوه الناس ، وإن جعلت سمكة منه فى قدر وغطى رأسها بصخرة أوحديدة لئلا تخرج منها فمالم تنضج لم تمت ولو قطعت ألف قطعة .

(فوائد) روى الإمام أحمد فى الزهد عن نوف البكالى قال : انطلق رجل مؤمن ورجل كافر يصيدان السمك فجعل الكافر يلقى شبكته ويذكر آلهته فتمتلئ سمكا ، ويلقى المؤمن شبكته ويذكر اسم الله تعالى فلا يصطاد شيئا . قال : ففعلا ذلك إلى مغيب الشمس ، ثم إن المؤمن اصطاد سمكة فأخذها بيده فاضطربت فوقعت فى الماء ، فرجع المؤمن وليس معه شئ ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته ، فأسف ملك المؤمن وقال : رب عبدك المؤمن الذى يدعوك رجع وليس معه شئ وعبدك الكافر رجع وقد امتلأت سفينته ، فقال الله عزوجل لملك المؤمن : تعال ، فأراه مسكن المؤمن فى الجنة فقال : ما يضر عبدى هذا المؤمن ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا ؟ وأراه مسكن الكافر فى النار فقال : هل يغنى عنه من شئ ما أصابه فى الدنيا ؟ قال : لا والله يارب .

ومنها فى آخر [صفوة الصفوة] عن أبى العباس بن مسروق قال : كنت باليمن فرأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وعلى جانبه ابنة له كلما اصطاد سمكة تركها فى دوخلة معه فتردها الصبية إلى الماء ، فالتفت الرجل فلم ير شيئا فقال : يا بنية أى شئ صنعت بالسمك ؟ فقالت : يا أبت سمعتك تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا تقع سمكة فى شبكة إلا غفلت عن ذكر الله » فلم أحب أن آكل شيئا غفل عن ذكر الله ، فبكى الرجل ورمى بالصنارة .

ومنها فى كتاب [الثواب] عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد حتى وجدت بعد كذا وكذا يوما ، فاشتريت بدرهم ونصف وشويت وحملت له على رغيف ، فقام سائل على الباب ، فقال للغلام : لفها برغيفها وادفعها إليه ، فقال الغلام : أصلحك الله اشتهيتها منذ كذا وكذا يوما فلم نجدها ، فلما وجدناها واشتريناها بدرهم ونصف أمرت أن ندفعها له نحن نعطيه ثمنها ، فقال : لفها وادفعها إليه ، فقال الغلام للسائل : هل لك أن تأخذ درهما وتدع هذه السمكة فأخذ منه درهما وردها ، فعاد الغلام وقال له دفعت له درهما وأخذتها منه ، فقال له : لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه شيئا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له» .

ومنها ما روى الطبرانى بإسناد صحيح عن نافع أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما اشتكى فاشتهى عنبا ، فاشترى له عنقود عنب بدرهم ، فجاء مسكين فقال : أعطوه إياه ، فخالف إنسان فاشتراه بدرهم ، ثم جاء به إليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم فى الرابعة أكله ولو علم ذلك ما ذاقه .

وقال سريج بن يونس : خرجت يوما لصلاة الجمعة فرأيت سمكتين مشويتين فاشتهيتهما بقلبى للصبيان ولم أتكلم ، فلما رجعت لم أستقر إلا قليلا حتى دق الباب رجل وعلى رأسه طبق عليه السمكتان ونقل وخل ورطب كثير فقال : يا أبا الحارث كل هذا مع الصبيان .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل : سمعت سريج بن يونس يقول : رأيت رب العزة فى المنام فقال لى : يا سريج سل حاجتك ؟ فقلت . يارب سر بسر اه ٥ وسر بسر لفظة أعجمية يعنى رأسا برأس ، وفى تاريخ ابن خلكان أن سريجا هذا جد أبى العباس إمام الفقهاء الشافعية .

(الحكم) السمك بجميع أنواعه حلال بغير ذبح سواء مات بسبب ظاهر كضغطة أو صدمة حجر أو انحصار ماء أو ضرب من صياد أو مات حتف أنفه ، لعموم ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « أحلت لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد ، والكبد والطحال » وأجمع المسلمون على طهارة ميتتهما ، وسيأتى فى باب العين إن شاء الله تعالى حديث العنبر الذى وجده أبو عبيدة وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وأكل منه النبى صلى الله عليه وسلم .

(فرع) لو اصطاد مجوسى سمكا فهو طاهر لقول الحسن : رأيت سبعين صحابيا يأكلون صيد المجوسى من الحيتان ولا يتلجلج فى صدورهم من ذلك شئ وهذا فى السمك مجمع عليه وخالف مالك فى الجراد .

(فرع) لا يحل قطع السمكة الحية لما فيه من التعذيب كما لو قلاها قبل الموت فى الزيت المغلى كذا قاله أبو حامد . قال النووى : وهذا تفريع على اختياره تحريم ابتلاعها حية

وذلك مباح اهـ . قلت : وهذا مشكل فلا يلزم من جواز الابتلاع جواز القلى لما فيه من التعذيب بالنار .

(فرع) يكره ذبح السمك إلا أن يكون كبيرا يطول بقاؤه فيستحب ذبحه فى الأصح إراحة له . وقال الرافعى : أكل السمكة الصغيرة إذا شويت ولم يشق جوفها ولم يخرج مافيه فيه وجهان وعلى المسامحة جرى الأولون . قال الرويانى : وبهذا أفتى ورجيعها طاهر عندى وهو مختار القفال .

(فرع) اختلف العلماء فى الحيوان الذى فى البحر سوى الحوت فقال بعضهم : يؤكل جميع ما فى البحر سوى الضفدع ولو كان على صورة إنسان ،وإلى هذا ذهب أبو على الطبى من قدماء أصحابنا . قال فى شرح القنية : قيل له أرأيت لو كان على صورة بنى آدم ؟ قال : وإن تكلم بالعربية وقال : أنا فلان ابن فلان فإنه لا يصدق انتهى . وهذا ضعيف شاذ . وقال آخرون : يؤكل الجميع إلا ما كان على صورة الكلب والخنزير والضفدع ، وقيل كل ما أكل فى البر مذبوحا يؤكل مثله فى البحر مذبوحا وغير مذبوح على الأصح ، وقيل لابد من ذبحه واختاره الصيدلانى ، فعلى هذا لا يحل كلب الماء ولا خنزير ولا حمار البحر ، وإن كان له شبه فى البر حلال وهو الحمار الوحشى لأن له شبها فى البر حراما وهو الحمار الأهلى تغليبا للتحريم كذا قاله فى الروضة وشرح المهذب . قلت : المذهب المفتى به حل الجميع إلا السرطان والضفدع والتمساح سواء كان على صورة كلب أو خنزير أو إنسان أم لا .

(فرع) لو حلف إنسان لا يأكل لحما لم يحنث بأكل لحم السمك لأنه لا يفهم من إطلاق اسم اللحم عليه عرفا وإن سماه الله تعالى لحما طريا ، كما لا يحنث بالجلوس فى الشمس إذا حلف أنه لا يجلس فى ضوء السراج وإن سماها الله تعالى سراجا ، وكما لا يحنث بالجلوس على الأرض إذا حلف لا يجلس على بساط وإن سماها الله تعالى بساطا .

(فرع) قد اختلف فى إطلاق اسم السمك على ما سوى الحوت من هذه الحيوانات ، والذى نص عليه الشافعى فى الأم والمختصر أنه يطلق على الجميع وهو الصحيح فى الروضة . وقال فى اختلاف العراقيين فى قوله تعالى — أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم — الآية . قال أهل التفسير : طعامه كل ما فيه وهو يشبه ما قال والله أعلم هذه عبارته وهى صريحة فى حل الجميع ، وذكر فى المنهاج أن السمك لا يقع إلا على الحوت .

(فرع) يجوز السلم فيه وفى الجراد حيا وميتا عند عموم الوجود ويوصف كل جنس بما يليق به ، ولا يجوز بيع السمك فى الماء لما روى الإمام أحمد عن محمد بن السماك عن يزيد بن أبى زياد عن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تشتروا السمك فى الماء فإنه غرر» قال البيهقى : هكذا روى موقوفا وفيه إرسال بين المسيب وابن مسعود ، والصحيح ما رواه هشيم عن يزيد موقوفا عن عبد الله : أنه كره بيع السمك فى الماء .

(فرع) ما يعيش فى البر والبحر الضفدع والتمساح والحية واللجأة والسرطان والسلحفاة والحلزون والدعاميص والأصداف والنسناس . أما الستة الأولى فمحرمة ، وأما الحلزون فتقدم حكمه فى باب الحاء المهملة ، وأما الدعاميص فعلى قول القاضى إنها ماء منعقد ولا يعيش إلا فى الماء يحل أكلها ، وعلى قول الجاحظ يحرم لأن البعوض حرام ، وقد تقدم بيان حكمه فى باب الدال المهملة ، والصدف حرام كما تقدم فى السرطان ، وفى النسناس خلاف يأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون :

(الخواص) لحمه بارد رطب أجوده البحرى المرقش الظهر ، الصغير المفلس منفعته تخصيب الأبدان المعرفة لكنه يعطش ويولد خلطا بلغميا يوافق أصحاب الأمزجة الحارة والشباب ، وأجود ما أكل فى الصيف وفى البلاد الحارة ، وأنواع السمك كثيرة ويكره من جملتها الأسود والأصفر والآجامى وما اغتذى بالحمأة ، ويكره الإبراميس والبورى لمضرتهما بالمعدة وإطلاقهما البطن وتحريكهما الأوجاع والغضب بعد أكلهما يورث أمراضا رديئة ، وسمك الأنهار كثير الشوك رقيقه كثير الرطوبة والبحرى بالضد ، والسلور وهو الجرى كثير الغذاء ملين للبطن وينقى قصبة الرئة ويصفى الصوت والماراهيج يزيد فى المنى ، وشحم الكلى والعظيم الجثة من السمك كثير الغذاء والفضول . وقال ابن سينا : لحم السمك نافع لماء العين ويحد البصر مع العسل . وقال غيره : يزيد فى الباه . وقال القزوينى : إن أكل الطرى منه مع البصل الرطب يهيج الباه ، ويزيد فيه إذا أكله حارا ، والسمك إذا شمه السكران يرجع إليه عقله ويزول عنه سكره ، ومرارته ومرارة السلحفاة البحرية إذا خلطتا وكتب بهما على كاغد بقلم حديد فإن الكتابة ترى بالليل كأنها ذهب ، ومرارة السمك والكركى والحجل تمنع نزول الماء اكتحالا ، ومرارة السمك إذا شربت نفعت من الخفقان ، وكذلك إذا نفخت فى الخلق مع شىء من السكر .

(التعبير) السمك فى الرؤيا : إذا عرف عدده إلى أربع فهو نساء وإن كان أكثر من أربع فهو مال وغنيمة ، لقوله تعالى — وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا — وهو السمك ، والحوت يعبر بوزير الملك والسمك جنده فمن أخذ سمكا نال من جند الملك مالا ، ومن رأى كأنه يصطاد السمك فى بئر فإنه لوطى أو يبيع خادمه لإنسان . وقالت النصارى : صيد السمك فى الماء الكدر لاخير فيه ومن رأى أنه يصيد السمك فى الماء الصافى فإنه يسمع كلاما يسر به ، والسمك للمريض الملازم للفراش دليل ردىء بسبب الرطوبات ،

وإذا رآه المسافر فى فراشه دل على شدة وربما يخشى على صاحب الرؤيا من الغرق لأنه قد ضاجعه ، ومن رأى كأنه يصيد السمك من الماء الصافى فإنه يرزق ولدا سعيدا ، والسمك المالح هم من قبل سلطان وذلك لكبس بعضه فوق بعض ، وقيل السمك المالح يدل على خير ومال باق لأن الملح يحفظ السمك من التلف ، وقيل إنه هم من قبل المماليك ، والسمك المشوى يدل على سفر فى طلب علم ، ومن رأى سمكة خرجت من فرجه وله امرأة حامل بشر بجارية ، وإن رأى سمكا كثيرا وبينها سمكة عظيمة ويرى أكبر السمك قد صلبت فإن الجائر والباغى يهلك ، والسمك المقلى يدل على إجابة دعوة من رآه لأن عيسى عليه الصلاة والسلام دعا الله فأجيب بالسمك المقلى فى المائدة ، ورؤية الكبار من السمك غنائم وأموال والصغار هموم وأحزان لأن شوك الصغار أكثر من لحمه ويشق على أكله .

(فصل) الحوت تدل رؤيته على اليمين لأن الله تعالى أقسم به فقال — ن والقلم — وربما دلت رؤيته على معبد الصالحين ومسجد المتعبدين ، لأن يونس عليه السلام كان يسبح الله تعالى فى بطنه ، وربما دلت رؤيته على الغم والنكد وزوال المنصب وحلول الغضب لأن الله تعالى حرم على اليهود صيدهم يوم السبت فخالفوا أمره فاستوجبوا بذلك اللعن ، ورؤية حوت يونس عليه السلام أمن للخائف وغنى للفقير وفرج لمن هو فى شدة ، وكذلك رؤية سجن يوسف والكهف والرقيم وتنور نوح عليه السلام .

(فصل) واعتبر من السمك الطرى والحلو والمالح وماله شوك وماله سلاح وما يقدد منه وما يأوى البحر العذب وما يأوى البحر الملح وماله صوت يسمع وما يطفو على وجه الماء من صغاره وكباره وماله شبه فى البر وما يأنس منه فى البيوت وما يمسك منه باليد من غير آلة وأعطى الرائى حقه من ذلك فمن رأى أنه اصطاد من البحر سمكا طريا حلوا بآلة دل على الكسب الحلال والسعى فيه واقتناء الرزق الحلال ، والصيد للرجل دال على احتياله برأيه وجهده فإن كان الرائى أعزب تزوج ، وإن كان متزوجا رزق ولدا على قدر ما صاده فى المنام ، وصيد المرأة يدل على مال تحرزه من زوجها أو أبيها ، وصيد العبد دليل على ما يتناوله من مال سيده ، وصيد الصغير دليل على ما يحفظه من علم أو صناعة أو مال يرثه من أبويه ، فإن كانت آلة صيده شباكا أو خطاطيف أو ما يعمق فى البحر كان ذلك شدة يناله الرائى وخطرا يرتكبه ، فإن كانت آلة صيده خفيفة وطلع فيها ما يطلع فى غيرها من الآلات الثقال دل على بسط الرزق وتسهيل الأمور ، وإن طلع فى الآلات الثقال ما يطلع فى السهلة دل على التعب والنصب وعلى اليسير من الرزق : فإن طلع له سمك كثير فإنه رزق مما دل عليه البحر ، وسيأتى الكلام إن شاء الله تعالى فيما يدل عليه البحر فى باب الفاء فى فرس البحر ، فإن كان البحر مالحا نال فائدة أو علما من أعجمى أو مبتدع ، فإن كان ما صاده له

شوك وقشر كانت فضة محرزة أو ذهبا ، فإن كان ليس له قشر دل على أعمال باطلة لا تتم وذلك لسرعة انصرافه من الأيدى وملوسته ، وإن كان للسمك سلاح كالشال والشلبا دل على انتصاره على أعدائه وربما صادق أهل الشر ، فإن كان مما يقدد فهى بضاعة لأرباب البضائع ، وإن رأى سمك البحر الحلو ينتقل إلى البحر الملح أو سمك الملح ينتقل إلى الحلو دل على النفاق فى الجيش واختلاف العامة فيما جرت به العوائد من حدوث مظلمة أو ظهور بدعة ، فإن رأى السمك طافيا على وجه الماء دل على تسهيل الأمور وقرب البعيد وإظهار الأسرار وإخراج المخبآت أو مال أصله من ميراث ، فإن رأى عنده سمكا صغارا وكبارا دل على الاهتمام بالأفراح والأحزان أو ما يوجب الاجتماع بين الجيد والردىء فإن رأى عنده سمكا مما يشبه خلق الآدمى أو الطير دل على التعرف بالتجار المترددين فى البر والبحر أو التراجمة العارفين بالسنة أو المتخلقين بالأخلاق المرضية ويعتبر ذلك بالشبه ، فإن رأى عنده شيئا مما يأنس للإنسان أو يربى فى البيوت كاللجأة والقرموط وما أشبههما كان دليلا على الإحسان للأيتام والغرباء ، فإن رأى أنه أخذ السمك من قاع البحر فإنه ربما طالت يدة فى صناعته وحصل له رزق طائل أو تعرض لأموال السلاطين أو صار لصا أو جاسوسا ، فإن انكشف البحر وتناول سمكا أو جوهرا اطلع على علم من غيب الله تعالى بإطلاع الله تعالى له واتضح له الدين واهتدى إلى السبيل وكانت عاقبة أمره فى ذلك عقبى حسنة ، فإن عاد السمك منه إلى البحر صحب الأولياء واطلع منهم على ما لم يطلع عليه أحد ، وإن نوى سفرا وجد رفقة يوافقونه ويرتفق بهم ويرجع إلى مكانه سالما غانما ، والله أعلم .

﴿ السمندل ﴾ : بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام فى آخره ، وسماه الجوهرى السندل بغير ميم ، وابن خلكان السمند بغير لام : وهو طائر يأكل البيش وهو نبت بأرض الصين يؤكل وهو أخضر بتلك البلاد فإذا يبس كان قوتا لهم ولم يضرهم فإذا بعد عن الصين ولو مائة ذراع وأكله آكل مات من ساعته ، ومن عجيب أمر السمندل استلذاذه بالنار ومكثه فيها وإذا اتسخ جلده لا يغسل إلا بالنار ، وكثيرا ما يوجد بالهند ، وهى دابة دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل إذا اتسخت ألقيت فى النار فتنصلح ولا تحترق ، وزعم آخرون أن السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ فى النار ، وهو بالخاصية لا تؤثر فيه النار ، ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام ، فإذا اتسخ بعضها طرح فى النار فتأكل النار وسخه الذى عليه ولا يحترق المنديل . قال ابن خلكان : ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة فى طوله وعرضه فجعلوها فى النار فما عملت فيها شيئا ، فغمسوا أحد جوانبها فى الزيت ثم تركوها على فتيلة

السراج فاشتعل وبقى زمانا طويلا مشتعلا ثم أطفأه فإذا هو على حاله ما تغير منه شيء . قال : ورأيت بخط شيخنا العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادى أنه قال : قدم للملك الظاهر ابن الملك الناصر صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع فى طول ذراعين ، فصاروا يغمسونها فى الزيت ويوقدونها حتى يفنى الزيت وترجع بيضاء كما كانت ، ذكره فى ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقى مع زيادة أخرى وأبيات تأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى العنكبوت . وقال القزوينى : السمندل نوع من الفأر يدخل النار وذكر ما تقدم ، والمعروف أنه طائر كما حكاه البكرى فى كتاب المسالك والممالك وغيره أيضا .

(الخواص) : مرارته إذا سقى منها وزن دانق بماء الحمص المغلى المصفى بلبن حليب مرارا كثيرة من به السموم القاتلة أبرأه منها ، ودماغه إذا اكتحل به مع الإثمد صاحب الماء النازل أبرأه ويحفظ الحدقة من سائر الداء ، ودمه إذا طلى به على الوضح : أى البرص غير لونه ، ومن بلع شيئا من قلبه لا يسمع بعد ذلك شيئا إلا حفظه ، ومرارته تنبت الشعر ولو على الراحة .

﴿ السمور ﴾ : وهو بفتح السين وبالميم المشددة المضمومة على وزن السفود والكلوب حيوان برى يشبه السنور ، وزعم بعض الناس أنه النمس ، وإنما البقعة التى هو فيها هى التى أثرت فى تغيير لونه . وقال عبد اللطيف البغدادى : إنه حيوان جرىء ليس فى الحيوان أجرأ منه على الإنسان لا يؤخذ إلا بالحيل وذلك بأن يدفن له جيفة فيغتال بها ، ولحمه حار والترك يأكلونه ، وجلده لا يدبغ كسائر الجلود انتهى . ومن غريب ما وقع للنووى فى [تهذيب الأسماء واللغات] أنه قال : السمور طائر ولعله سبق قلم ، وأعجب منه ماحكاه ابن هشام البستى فى شرح الفصيح أنه ضرب من الجن ، وخص هذا النوع باتخاذ الفراء من جلوده للينها وخفتها ودفأها وحسنها ويلبسه الملوك والأكابر . قال مجاهد ، رأيت على الشعبى قباء سمور .

(وحكمه) حل الأكل إلحاقا له بالثعلب ، ولأنه لا يأكل شيئا من الخبائث .

(التعبير) هو فى الرؤيا : يدل على رجل ظالم لص لا يخالط أحدا ، والله أعلم .

﴿ السميطر ﴾ : على مثال العميثل طائر طويل العنق جدا يرى أبدا فى الماء الضحضاح يكنى بأبى العيزار كذا قاله الجوهرى ، ويقال له الشبيطر ، والظاهر أنه مالك الحزين ، وهو البلشون كما تقدم ، وسيأتى فى باب الميم إن شاء الله تعالى .

﴿ السمندر والسميدر ﴾ : دابة معروفة عند أهل الهند والصين قاله ابن سيده .

﴿ سناد ﴾ : قال القزوينى : إنه حيوان على صفة الفيل إلا أنه أصغر منه جثة وأعظم من الثور ، وقيل إن ولدها يخرج رأسه من فرج أمه ويرعى حتى يقوى ، فإذا قوى خرج وهرب من الأم مخافة أن تلحسه بلسانها لأن لسانها مثل الشوك فإن وجدته لحسته حتى ينحاز لحمه عن عظمه ، وهو كثير ببلاد الهند .

(الحكم) : يحرم أكله كالفيل .

﴿ السنجاب ﴾ : حيوان على حد اليربوع أكبر من الفأر ، وشعره فى غايه النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسه المتنعمون ، وهو شديد الحيل إذا أبصر الإنسان صعد الشجرة العالية وفيها يأوى ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الصقالبة والترك ، ومزاجه حار رطب لسرعة حركته عن حركة الإنسان وأحسن جلوده الأزرق الأملس ، وقد أحسن القائل :

كلما ازرق لون جلدى من البر د تخيلت أنه سنجاب

(وحكمه) حل الأكل لأنه من الطيبات ، وقال بتحريم أكله القاضى من الحنابلة وعلله بأنه ينهش الحيات فأشبه الجرذ ، واستدل الجمهور بأنه يشبه اليربوع ، ومتى تردد بين الإباحة والتحريم غلبت الإباحة لأنها الأصل ، وإذا ذكى السنجاب ذكاة شرعية جاز لبس فرائه ، وإن خنق ثم دبغ جلده لم يطهر شعره على الأصح كسائر جلود الميتة لأن الشعر لا يتأثر بالدباغ ، وقيل يطهر الشعر تبعا للجلد وهى رواية الربيع الجيزى عن الشافعى ، ولم ينقل عنه فى [المهذب] سوى هذه المسئلة ، وهذا الوجه صححه الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايينى والرويانى وابن أبى عصرون واختاره السبكى وغيره لأن الصحابة قسموا فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه الفراء المغنومة من الفرس وهى ذبائح مجوس ، وفى صحيح مسلم من حديث أبى الخير مرثد بن عبد الله اليزنى قال « رأيت على ابن وعلة السبائى فروا فمسسته ، فقال مالك تمسه قد سألت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قلت له ، إنا نكون بالمغرب ومعنا البربر والمجوس فيؤتى بالكبش قد ذبحوه ونحن لا نأكل ذبائحهم ، ويأتون بالسقاء فيجعلون فيه الودك ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما . قد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : دباغه طهوره » .

(الخواص) لحمه يطعم للمجنون يزول جنونه ، ويأكله صاحب الأمراض السوداوية ينفعه . قال فى [المفردات] : إسخان السنجاب قليل لأن الأغلب على مزاج حيوانه كثرة الرطوبة وقلة الحرارة لاغتذائه بالفواكه ، ولذلك يصلح لبسه للمحرورين والشباب لأنه يسخن إسخانا معتدلا .

﴿ السنداوة ﴾ : الذئبة .

﴿ السنة ﴾ : الذئبة أيضا .

﴿ السندل ﴾ : هو السمندل المتقدم ذكره قريبا ، والسندل لقب عمرو بن قيس المكى وهو متروك الحديث وله فى سنن ابن ماجه حديثان ضعيفان .

﴿ السنور ﴾ : بكسر السين المهملة وفتح النون المشددة واحد السنانير حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر ، وكنيته أبو خداش وأبو غزوان وأبو الهيثم وأبو شماخ ، والأنثى أم شماخ ، وله أسماء كثيرة . قيل إن أعرابيا صاد سنورا فلم يعرفه فتلقاه رجل فقال ما هذا السنور ؟ ولقى آخر فقال : ما هذا الهر ؟ ثم لقى آخر فقال : ما هذا القط؟ ثم لقى آخر فقال : ما هذا الضيون ؟ ثم لقى آخر فقال : ما هذا الخيدع ؟ ثم لقى آخر فقال : ما هذا الخيطل ؟ ثم لقى آخر فقال : ما هذا الدم ؟ فقال الأعرابى : أحمله وأبيعه لعل الله تعالى يجعل لى فيه مالا كثيرا ، فلما أتى به إلى السوق قيل له بكم هذا ؟ فقال : بمائة ، فقيل له إنه يساوى نصف درهم ، فرمى به وقال : لعنه الله ما أكثر أسمائه وأقل ثمنه ، وهذه الأسماء للذكر قاله فى [الكفاية] . وقال ابن قتيبة يقال فى الأنثى سنورة كما يقال فى أنثى الضفادع ضفدعة انتهى قلت : ولا يمتنع القياس فى خيطلة وضيونة وقطة وخيدعة وهرة . روى الحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى دار قوم من الأنصار ودونهم دور لا يأتيها ، فشق عليهم ذلك فكلموه فقال : إن فى داركم كلبا . قالوا : فإن فى دارهم سنورا . فقال : السنور سبع » ثم قال : حديث صحيح . وروى نعيم بن حماد فى كتاب [الفتن] عن أبى شريحة الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يحشر رجلان من مزينة هما آخر الناس حشرا يقبلان من جبل قد توارى حتى يأتيا معالم الناس فيجدا الأرض وحوشا حتى يأتيا المدينة ، فإذا بلغا أدنى المدينة قالا : أين الناس ؟ فلا يريان أحدا ، فيقول أحدهما لصاحبه : الناس فى دورهم ، فيدخلان الدور فإذا ليس فيها أحد وإذا على الفرش الثعالب والسنانير ، فيقول أحدهما لصاحبه أين الناس فيقول : أراهم فى الأسواق قد شغلهم البيع ، فيخرجان حتى يأتيا الأسواق فلا يجدا فيها أحدا ، فينطلقان حتى يأتيا باب المدينة فإذا عليها ملكان ، فيأخذان بأرجلهما ويسحبانهما إلى أرض المحشر ، فهما آخر الناس حشرا » .

(غريبة) قيل : كان لركن الدولة سنور يألف مجلسه ، وكان بعض أصحابه إذا أراد الإجتماع به فيعسر عليه ذلك كتب حاجته فى رقعة وعلقها فى عنق السنور ، فيراها ركن الدولة فيأخذ الرقعة ويقرأها ويكتب جوابها عليها ثم يشدها فى عنق السنور فيرجع بها إلى صاحبها ، وقيل : إن أهل سفينة نوح عليه السلام تأذوا من الفأر ، فمسح نوح عليه السلام جبهة الأسد فعطس فرمى بالسنور ، فلذلك هو أشبه شىء بالأسد بحيث لا يمكن أن يصور

الهر إلا جاء أسدا ، وهو ظريف لطيف يمسح بلعابه وجهه وإذا تلطخ شيء من بدنه نظفه ، وهو فى آخر الشتاء تهيج شهوته فيتألم ألما شديدا من لذع مادة النطفة فلا يزال يصيح حتى يلقى تلك المادة ، وإذا جاعت الأنثى أكلت أولادها ، وقيل إنها تفعل ذلك لشدة محبتها لهم ، وأنشد الجاحظ :

جاءت مع الأشقين فى هودج تزجى إلى النصرة أجنادها
كأنها فى فعلها هرة تريد أن تأكل أولادها

معنى تزجى : تسوق. قال الله تعالى — ألم تر أن الله يزجى سحابا — أى يسوق سحابا ، وإذا راث السنور ستر روثه حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب ، فيشمه أولا فإذا وجد رائحته شديدة غطاه بحيث يوارى الرائحة والجرم وإلا اكتفى بأيسر التغطية ، قالوا : والفأرة تعرف رجيع السنور . وذكر الزمخشرى : أن الله تعالى ألهم الهرة بذلك ليتنبه بذلك قاضى الحاجة من الناس فيغطى ما يخرج منه ، وإذا ألف السنور منزلا منع غيره من السنانير الدخول إلى ذلك المنزل وحاربه أشد محاربة وهو من جنسه علما منه بأن أربابه ربما استحسنوه وقدموه عليه أو شاركوا بينه وبينه فى المطعم ، وإن أخذ شيئا مما يخزنه أصحاب المنزل عنه هرب علما منه بما يناله منهم من الضرب ، وإذا طردوه تملقهم وتمسح بهم علما منه بأنه يخلصه التملق ويحصل له العفو والإحسان ، وقد جعل الله تعالى فى قلب الفيل الفرق منه فهو إذا رأى سنورا هرب . وحكى أن جماعة من أهل الهند هزموا بذلك . والسنور ثلاثة أنواع : أهلى ووحشى وسنور الزباد ، وكل من الأهلى والوحشى له نفس غضوبة يفترس ويأكل اللحم الحى ، ويناسب الإنسان فى أمور : منها أنه يعطس ويتثاءب ويتمطى ويتناول الشىء بيده ، وتحمل الأنثى فى السنة مرتين ومدة حملها خمسون يوما ، والوحشى حجمه أكبر من حجم الأهلى ؛ قال الجاحظ : قال العلماء : إتخاذ السنور وتربيته مستحبة ؛ وذكر القزوينى فى [الأشكال] عن ابن الفقيه : أن لبعض السنانير أجنحة كأجنحة الخفافيش من أصل الأذن إلى الذنب ، فإن صح ذلك فالظاهر أنه كالسنور البرى عملا بالمشاكلة . وقال مجاهد : جاء رجل إلى شريح القاضى يخاصم آخر فى سنور ، فقال : بينتك . قال : ما أجد بينة فى سنور ولدته أمه عندنا ، فقال شريح : اذهبا به إلى أمه ، فإن استقرت واستمرت ودرت فهو سنورك ، وإن هى اقشعرت وازبأرت وهربت فليس بسنورك .

(الحكم) الأصح تحريم أكل السنور الأهلى والوحشى لما روى فى الحديث المتقدم أنه سبع ، وروى البيهقى وغيره عن أبى الزبير عن جابر رضى الله تعالى عنه قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الهرة وأكل ثمنها » وفى صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن أبى داود « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع السنور » فقيل محمول على

الوحشى الذى لا نفع فيه ، وقيل نهى تنزيه حتى يعتاد الناس هبته وإعارته كما هو الغالب، فإن كان مما ينفع وباعه صح البيع وكان ثمنه حلالا هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكى ابن المنذر عن أبى هريرة وطاوس ومجاهد وجابر بن زيد : أنه لا يجوز بيعه محتجين بهذا الحديث ، وأجاب الجمهور عن الحديث بأنه محمول على ما ذكرنا وهذا هو المعتمد . وأما ما ذكره الخطابى وأبو عمر بن عبد البر أن الحديث ضعيف فليس كما قالا بل الحديث صحيح كما تقدم ، وقول ابن عبد البر لم يروه عن أبى الزبير غير حماد بن سلمة غلط أيضا ، لأن مسلما رواه فى صحيحه من رواية معقل عن عبيد الله عن أبى الزبير فهذان ثقتان روياه عن أبى الزبير وهو ثقة ، ورواه ابن ماجه عن ابن لهيعة عن أبى الزبير ولا يضره ذلك ، وسيأتى فى باب الهاء إن شاء الله تعالى الإشارة إلى هذا أيضا فى لفظ الهرة . واختلفت الرواية عن الإمام أحمد فى سنور البر وأكثر الروايات على تحريمه كالثعلب ، وبحله قال الحضرمى من أصحابنا وهو مذهب مالك . وأما الأهلى فحرام عند أبى حنيفة ومالك وأحمد ، واختار البوشنجى من أصحابنا الحل والأصح تحريمه كما تقدم .

(الأمثال) قالوا : أثقف من سنور والثقف الأخذ بسرعة ، يقال رجل ثقف لقف : أى سريع الاختطاف . وقالوا : كأنه سنور عبد الله يضرب لمن لا يزيد سنا إلا زاد نقصانا وجهلا ، وفيه قال بشار بن برد الأعمى :

أبا مخلف مازلت نباح غمرة صغيرا فلما شبت خيمت بالشاطى
كسنور عبد الله بيع بدرهم صغيرا فلما شب بيع بقيراط

لكنه مثل مولد ليس من كلام العرب ، وقال ابن خلكان : ولقد كشفت عن سنور عبد الله المظان وسألت عنه أهل المعرفة بهذا الشأن فما عرفت له خبرا ولا عثرت له على أثر ، ثم إنى ظفرت بقول الفرزدق :

رأيت الناس يزدادون يوما فيوما فى الجميل وأنت تنقص
كمثل الهر فى صغر يغالى به حتى إذا ماشب يرخص

ومن هاهنا أخذ بشار قوله ، وليس المراد منه هرا معينا بل كل هر قيمته فى صغره أكثر منها فى كبره انتهى .

(الخواص) السنور الأهلى : من أكل لحم الأسود منه لم يعمل فيه السحر ، وطحاله يشد على المستحاضة ينقطع حيضها ، وعيناه إذا جففتا وتبخر بهما إنسان لم يطلب حاجة إلا قضيت ، ومن استصحب نابه لم يفزع بالليل ، وقلبه يشد فى قطعة من جلده فمن استصحبه لم تظفر به الأعداء ، ومرارته من اكتحل بها يرى فى الليل كما يرى فى النهار ، وتخلط بملح

وكمون كرمانى ويطلى بها على الجروح والقروح الرديئة تبرأ ، ودمه إذا طلى به القضيب عند الجماع فإن المفعول به يحب الفاعل حبا شديدا ، وإن سقى منه صاحب الجذام نفعه ، وإن شرب منه إنسان أحبته النساء ، وزبله يسقط المشيمة بخورا . وقال القزوينى : مرارة الأسود ومرارة الدجاجة السوداء إذا جففتا وسحقتا واكتحل بهما مع الكحل ظهر له الجن وخدموه . قال : وهو مجرب ، ومرارة الأسود إذا أخذ منها وزن نصف درهم وديف بدهن زئبق وسعط به صاحب اللوقة أبرأه ذلك ، وأما البرى : فنحه عجيب لوجع الكلى ولعسر البول إذا أديف بماء الجرجير وسخن بالنار وشرب على الريق فى الحمام ، ودماغه إذا دخن به أخرج المنى من الرحم قاله القزوينى ، ويأتى تعبيره إن شاء الله تعالى فى باب القاف فى لفظ القط .

(وأما سنور الزباد) فهو كالسنور الأهلى لكنه أطول منه ذنبا وأكبر جثة ووبره إلى السواد أميل وربما كان أنمر ، ويجلب من بلاد الهند والسند ، والزباد فيه شبيه بالوسخ الأسود اللزج وهو زفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك يوجد فى إبطيه وفى باطن أفخاذه وباطن ذنبه وحوالى دبره فيؤخذ من هذه الأماكن بملعقة صغيرة أو بدرهم رقيق ، وقد تقدم فى باب الزاى الكلام على شىء من هذا .

(وحكمه) تحريم الأكل على الصحيح كالأهلى والوحشى ، وأما الزباد فهو طاهر لكن قال الماوردى والرويانى فى آخر باب الغرر : إن الزباد لبن سنور فى البحر يجلب كالمسك ريحا ، واللبن بياضا يستعمله أهل البحر طيبا ، وهذا يقتضى كونه حلالا ، فإن قلنا بنجاسة لبن ما لا يؤكل لحمه ففى هذا وجهان : قال النووى : الصواب طهارته وصحة بيعه ، لأن الصحيح أن جميع حيوان البحر طاهر يحل لحمه ولبنه هذا بعد تسليم أنه حيوان بحرى والصواب أنه برى ، فعلى هذا هو طاهر بلا خلاف لكنهم قالوا : إنه يغلب فيه اختلاطه بما تساقط من شعره فينبغى أن يحترز عما فيه شىء من شعره ، لأن الأصح نجاسة شعر مالا يؤكل لحمه إذا انفصل فى حال حياته غير الآدمى .

﴿ السنونو ﴾ : بضم السين والنونين ، الواحدة سنونة : وهو نوع من الخطاطيف ، ولذلك سمى حجر اليرقان حجر السنونو ، ولكن تصحف على صاحب [عجائب المخلوقات] فقال : حجر الصنونو بالصاد ، والصواب أنه بالسين المهملة نسبة إلى هذا النوع من الخطاطيف ، وقد أجاد جمال الدين بن رواحة فى تشبيه السنونو بقوله :

وغريبة حنت إلى وكر لها فأتت إليه فى الزمان المقبل
فرشت جناح الآبنوس وصفقت بالعاج ثم تقهقهت بالصندل

(وحكمه) تقدم فى باب الخاء المعجمة فى الخطاف .

(ومن خواصه) أن من أخذ عينى السنونة وشدهما فى خرقة وعلقها على سرير فمن صعد ذلك السرير لم ينم ، وإذا بخر بعينها العصافير هربت ، وإذا بخر بها صاحب الحمى برأ بإذن الله تعالى .

﴿ السودانية والسوادية ﴾ : طائر يأكل العنب قاله ابن سيده .

(عجيبة) حكى أن بمدينة رومية شجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس فى منقارها زيتونة ، فإذا كان وقت الزيتون صفرت تلك السودانية فلا يبقى فى تلك النواحى سودانية إلا جاء ، ومعها ثلاث زيتونات فى منقارها واحدة وفى رجليها اثنتان حتى تطرحهن على رأس السودانية التى من النحاس ، فيعصر أهل رومية ما يحتاجون إليه من الزيت عامهم كله قلت : الظاهر أن السودانية هى الزرزور ، وقد تقدمت هذه الحكاية عن الشافعى رضى الله عنه فيه ، وهو يأكل العنب كثيرا .

(الخواص) لحم السودانيات بارد يابس ردئ لاسيما الهزيل ، وأجوده صيد الأشراك وهو يزيد فى الإنعاظ لكنه يضر بالدماغ وتدفع مضرته بالأمراق الرطبة ، وهو يولد خلطا حريفا يوافق الأمزجة الباردة والمشايخ ، وأصلح ما أكل فى الربيع ، ويكره أكل لحمها لما تأكله من الحشرات والجراد ولذلك صار فى لحمها حدة وروائح كريهة وهو أردأ من لحم القنابر ، وروفس يرتب الطير ثلاث مراتب ويقول : أفضل الطير البرى الرخ والشحرور والسمانى ، ثم الحجل والدراج والطيهوج والشغنين وفرخ الحمام والفاخت ، ثم السلوى والقنابر على أن القنابر بالدواء أشبه منها بالغذاء ، والله أعلم .

﴿ السنوذنيق ﴾ : الصقر قاله فى [كفاية المتحفظ] .

﴿ السوس ﴾ : دود يقع فى الصوف والطعام قاله الجوهرى وغيره ، يقال طعام مسوس ومدود بكسر الواو فيهما . قال الراجز :

قد أطعمتنى دقلا حوليا مسوسا مدوداً حجريا

وقال قتادة ومجاهد فى قوله تعالى — ويخلق مالا تعلمون — هو سوس الثياب ودود الفاكهة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : عن يمين العرش نهر من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع سبعين مرة ، يدخله جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيه فيزداد نورا إلى نوره وجمالا إلى جماله وعظما إلى عظمه ، ثم ينتفض فيخرج الله تعالى من كل ريشة سبعين ألف قطرة ، فيخلق من كل قطرة سبعين ألف ملك ، يدخل منهم كل يوم إلى البيت المعمور سبعون ألف ملك ، وإلى الكعبة سبعون ألفا لا يعودون إلى يوم القيامة . وقال الطبرى — مالا تعلمون — ما أعد الله تعالى فى الجنة لأهلها مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر .

روينا فى بعض الأخبار عن الحرث بن الحكم قال : أنزل الله تعالى فى بعض الكتب « أنا الله لا إله إلا أنا لولا أنى قضيت بالنتن على الميت لحبسه أهله فى البيوت ، وأنا الله لا إله إلا أنا مرخص الأسعار والبلاد مجدبة ، وأنا الله لا إله إلا أنا مغلى الأسعار والأهراء ملأى ، وأنا الله لا إله إلا أنا لولا أنى قضيت بالسوس على الطعام لخزنته الملوك ، وأنا الله لا إله إلا أنا لولا أنى أسكنت الأمل فى القلوب لأهلكها التفكر » ولما حرم عمرو بن هند على المتلمس حب العراق قال :

آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله فى القرية السوس

روى البيهقى فى شعبه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : من استطاع منكم أن يجعل كنزه فى السماء حيث لا يناله اللصوص ولا يأكله السوس فليفعل ، فان قلب كل امرئ عند كنزه .

(وحكى) عن الشيخ العارف أبى العباس المرسى أن امرأة قالت له : كان عندنا قمح مسوس فطحناه فطحن السوس معه ، وكان عندنا فول مسوس فدششناه فخرج السوس حيا ، فقال لها : صحبة الأكابر تورث السلامة . قلت : ويقرب من هذا ما حكاه ابن عطية فى تفسير سورة الكهف : أن والده حدثه عن أبى الفضل الجوهرى الواعظ بمصر أنه قال فى مجلس وعظه : من صحب أهل الخير عادت عليه بركتهم ، هذا كلب صحب قوما صالحين فكان من بركتهم عليه أن ذكره الله تعالى فى القرآن ولا يزال يتلى على الألسنة أبدا ، ولذلك قيل : من جالس الذاكرين انتبه من غفلته ، ومن خدم الصالحين ارتفع بخدمته .

(ومن الفوائد المستغربة) ما أخبرنى به بعض أهل الخير أن أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة الشريفة إذا كتبت فى رقعة وجعلت فى القمح فإنه لا يسوس ما دامت الرقعة فيه ، وهم مجموعون فى قول القائل :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(وأفادنى بعض أهل التحقيق) أن أسماءهم إذا كتبت وعلقت على الرأس أو ذكرت عليه أزالت الصداع العارض له ، وقد تقدم فى باب الجيم فى الجراد ذكر الآيات التى تنفع للصداع .

(وأفادنى بعض أهل العلم) أن هذه الأسماء إذا كتبت فى رقعة وعلقت على الرأس أذهبت الصداع والشقيقة وهى : بسم الله الرحمن الرحيم اهدأ عليه يا راس بحق من خلق فيك الأسنان والأضراس وكتبه الكتبة بلا قلم ولا قرطاس ، قر بقرار الله اسكن واهدأ بهدء الله بحرمة محمد ابن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم — ألم تر إلى ربك

كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا — اسكن أيها الوجع والصداع والشقيقة والضربان عن حامل هذه الأسماء كما سكن عرش الرحمن — وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم — وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين — وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم .

(ومما جرب) لإذهاب السوس والفراش ما أفادنيه بعض أئمة الإمامية أن يكتب على خشب الغار هذه الأسماء فى الظل بحيث لا تراه الشمس أبدا لا وقت الكتابة ولا وقت الذهاب بها ، ثم تدفن الخشبة فى القمح أو الشعير فإنه لايسوس ولا يفرش وهى : بسم الله الرحمن الرحيم — ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا — فماتوا كذلك يموت الفراش والسوس ويرحل بإذن الله تعالى ، اخرج أيها السوس والفراش بإذن الله تعالى عاجلا وإلا خرجت من ولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ويشهد عليك أنك سرقت لجام بغلة نبى الله سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وهو عجيب مجرب .

(الحكم) يحرم أكله منفرداً لأنه نوع من الدود .

(الأمثال) قالوا : العيال سوس المال . وقالوا : آكل من سوسة . وقيل لخالد بن صفوان ابن الأهيم : كيف ابنك ؟ قال : سيد فتيان قومه ظرفا وأدبا ، فقيل له كم ترزقه كل يوم ؟ فقال : درهما ، فقيل له : وأين يقع منه ثلاثون درهما فى كل شهر وأنت تستغل ثلاثين ألفا؟ فقال : الثلاثون درهما أسرع فى هلاك المال من السوس فى الصوف بالصيف ، فحكى كلامه للحسن البصرى فقال : أشهد أن خالدا تميمى ، وإنما قال الحسن ذلك لأن بنى تميم مشهورون بالبخل والنهم ، وهو فى الرؤيا كالدود فليراجع هناك .

﴿ السير ﴾ : بكسر السين وإسكان الياء المثناة من تحت : من أسماء الذئب ، وبه سمى جد أبى محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى اللغوى النحوى صاحب التصانيف المفيدة والمحاسن العديدة ، مولده سنة أربع وأربعين وأربعمائة بمدينة بطليوس ، وتوفى فى رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمائة .

﴿ السيرة ﴾ : بكسر السين وبالدال المهملتين وإسكان الياء المثناة من تحت وبالهاء فى آخره : الذئبة ، وإليها ينسب الإمام العلامة الحافظ النحوى اللغوى المحقق أبو الحسن على ابن إسماعيل بن سيده المرسى ، وكان إماما فى اللغة وفى القريب حافظا لهما ، وجمع فى ذلك كتابه [المحكم والمخصص] وغير ذلك ، وكان ضريرا وأبوه كذلك ، توفى فى ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وعمره ستون سنة .

﴿ سيفنة ﴾ : كهيمنة . قال ابن السمعانى فى [الأنساب] : إنه طائر بمصر يلقى أوراق الأشجار عنها حتى لا يبقى منها شيئا شبه به أبو إسحق إبراهيم بن حسن بن على الهمدانى سيفنة من أكابر المحدثين لأنه كان إذا ظفر بمحدث سمع جميع ما عنده حتى لايبقى شىء من حديثه.

﴿ أبو سيراس ﴾ : قال القزوينى فى [الأشكال] : إنه حيوان يوجد فى الغياض تكامل فى قصبة أنفه اثنتا عشرة ثقبة إذا تنفس يسمع من أنفه صوت كصوت المزامير ، والحيوانات تجتمع عليه لاستماع ذلك الصوت فإذا دهش بعضها لذلك يصيده فيأكله، فإن لم يتهيأ له صيد شىء منها وضجر صاح صيحة هائلة فتتفرق الحيوانات وتفر عنه ، والله أعلم .

باب الشين المعجمة

﴿ الشادن ﴾ : بكسر الدال المهملة الظبى الذكر الذى طلع قرناه ،وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الظاء المعجمة .

﴿ شادهوار ﴾ : حيوان يوجد بأقصى بلاد الروم . قال القزوينى فى [الأشكال]: له قرن عليه ثنتان وسبعون شعبة مجوفة ، فإذا هبت الريح سمع لها أصوات حسنة فتجتمع بسبب ذلك الحيوانات إليه لسماع صوته .

ذكر أن بعض الملوك أهدى له قرن منه فترك بين يديه عند هبوب الرياح ، فكان يخرج منه صوت عجيب مطرب يكاد يدهش الإنسان من سماعه ، ثم وضع منكوسا فكان يخرج منه صوت محزن حتى يكاد يغلب الإنسان البكاء .

﴿ الشارف ﴾ : المسنة من النوق والجمع شرف مثل بازل وبزل وعائذ وعوذ ، ومنه حديث علىّ رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى شارفا من الخمس يومئذ ، فلما أردت أن أبنى بفاطمة رضى الله تعالى عنها واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع أن يرتحل معى فيأتى بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به فى وليمة عرسى ، فبينما أنا أجمع لشارفى متاعا من الأقتاب والغرائر والحبائل وشارفاى مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، فرجعت حين جمعت ما جمعت فإذا شارفاى قد أجبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك عينى حين رأيت ذلك المنظر منهما فقلت : من فعل هذا ؟ فقالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه ، وهو فى هذا المكان فى هذا البيت فى شرب من الأنصار غنته قينة بين أصحابه فقالت :

ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء

ضع السكين فى اللبات منها وضرجهن حمـزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب طعاما من قديد أو شواء
فأنت أبو عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء

وبقية الحديث مشهورة رواه البخارى ومسلم وأبو داود وهو حجة على إباحة أكل ما ذبحه غير المالك تعديا كالغاصب والسارق ، وهو قول جمهور العلماء ، وخالف فى ذلك سحنون وداود وعكرمة فقالوا : لايؤكل وهو قول شاذ، وحجة الجمهور أن الذكاة وقعت من المتعدى على شروطها الخاصة وتعلق بذمته قيمة الذبيحة فلا موجب للمنع ، وهذا الفعل إنما كان من حمزة رضى الله تعالى عنه قبل تحريم الخمر لأنه قتل يوم أحد وكان تحريمها بعد ذلك فكان معذورا فى قوله غير مؤاخذ به ، وكان شربه الذى دعاه إليه مباحا كالنائم والمغمى عليه فلما حرمت الخمر صار شاربها مؤاخذا بشربها محدودا فيها .

﴿ الشاة ﴾ : الواحدة من الغنم ، تقع على الذكر والأنثى من الضأن والمعز ، وأصلها شاهة لأن تصغيرها شويهة والجمع شياه بالهاء فى أدنى العدد تقول ثلاث شياه إلى العشرة ، فإذا جاوزت العشرة فبالتاء فإذا كثرت قلت هذه شاء كثيرة ، والشاة أيضا الثور الوحشى والنسبة إلى الشاء شاوى قال الشاعر :

لا ينفع الشاوى فيها شاته ولا حماراه ولا غلاته

وفى [الكامل] لابن عدى فى ترجمة خارجة بن عبد الله بن سليمان عن عبد الرحمن ابن عائذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له شاة ولايصيب جاره من لبنها أو مسكين فليذبحها أو ليبعها » ومما يؤثره من حكمه لقمان ، وهو لقمان بن عنقاء بن بيرون وكان نوبيا من أهل أيلة : أن سيده أعطاه شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها، فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها ، ثم أعطاه فى يوم آخر شاة أخرى وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث مافيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها ، فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها إن طابا وأخبث مافيها إن خبثا . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » ويقال إن سيده دخل الخلاء يوما فأطال الجلوس فناداه : لاتطل الجلوس على الخلاء فإنه ينخع الكبد ويورث البواسير ويميت القلب .

(ومن وصيته) لابنه واسمه ثاران وقيل غير ذلك : يا بنى كن على حذر من اللئيم إذا أكرمته ، ومن الكريم إذا أهنته ، ومن العاقل إذا هجوته ، ومن الأحمق إذا مازحته ،

ومن الجاهل إذا صاحبته ، ومن الفاجر إذا خاصمته ، وتمام المعروف تعجيله ، يابنى ثلاثة أشياء تحسن بالإنسان : حسن المحضر ، واحتمال الإخوان ، وقلة الملل للصديق ، وأول الغضب جنون وآخره ندم ، يابنى ثلاثة فيهم الرشد : مشاورة الناصح ، ومداراة العدو والحاسد ، والتحبب لكل أحد ، يا بنى المغرور من وثق بثلاثة أشياء : الذى يصدق مالا يراه ويركن إلى من لا يثق به ويطمع فيما لا يناله ، يا بنى احذر الحسد فإنه يفسد الدين ويضعف النفس ويعقب الندم ، يابنى إذا خدمت واليا فلا تنم إليه بأحد فإنه لا يزيد ذلك منك إلا نفورا ، فإنه إذا سمع منك فى غيرك فإنه لابد أن يسمع من غيرك فيك ، ويكون قلبه خائفا منك أن تنم عليه كما نميت إليه بغيره ولا يزال محترسا منك ، وكن يابنى أقرب الناس إليه عند فرحه وأبعدهم منه عند غضبه ، وإن ائتمنك فلا تخنه ، وإن أنالك يسيرا فخذه واقبله فتبلغ به أن تنال كثيرا ، وأكرم خدمه ، والطف بأصحابه ، وغض طرفك عن محارمه ، وأصم أذنك عن مجاوبته ، واقصر لسانك عن حديثه ، واكتم فى المجالس سره ؛ واتبع باللطف هواه ، وناصح فى خدمته ، واجمع عقلك فى مخاطبته ، ولا تأمن الدهر من غضبه فإنه ليس بينك وبينه نسب والغضب يسرع إليه فى كل وقت ووثبته كوثبة الأسد ، يا بنى كتمان السر صيانة للعرض ، يابنى إن أردت أن تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء فإن المرأة حرب ليس فيها صلح ، وهى إن أحبتك أكلتك وإن أبغضتك أهلكتك .

وفى كتاب [ربيع الأبرار] للزمخشرى ورحلة ابن الصلاح التى بخطه قال الحسن البصرى لو وجدت رغيفا من حلال لأحرقته ثم دققته ثم داويت به المرضى ، ثم قال : اختلطت غنم البادية بغنم أهل الكوفة فسأل أبو حنيفة كم تعيش الشاة ؟ قالوا : سبع سنين ، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين . وأنشد المبرد :

ما إن دعانى الهوى لفاحشة ... إلا عصاه الحياء والكرم
فلا إلى حرمة مددت يدى ... ولا مشت بى لريبة قدم

وفى [تاريخ ابن خلكان] : أن هشام بن عبد الملك بعث إلى الأعمش أن اكتب إلى بمناقب عثمان ومساوى على رضى الله تعالى عنهما ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخله فى فم شاة فلاكته وقال للرسول : قل له هذا جوابه ، فذهب الرسول ثم عاد وقال : إنه آلى أن يقتلنى إن لم آته بالجواب ، وتحيل عليه باخوته فقالوا له : افده من القتل ، فلما ألحوا عليه كتب : أما بعد ، فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك ، ولو كان لعلى مساوى أهل الأرض ما ضرتك ، فعليك بخويصة نفسك والسلام .

والأعمش اسمه سليمان بن مهران من أعلام التابعين رأى أنس بن مالك وأبا بكرة الثقفى وأخذ بركابه ، فقال له يابنى : إنما أكرمت ربك ، وكان لطيف الخلق مزاحا ولم تفته التكبيرة

الأولى سبعين سنة ، وله نوادر منها : أنه كان له زوجة وكانت من أجمل نساء الكوفة ، فجرى بينهما كلام وكان الأعمش قبيح المنظر ، فجاء رجل يقال له أبو البلاد يطلب الحديث منه فقال له : إن امرأتى نشزت علىّ فادخل عليها وأخبرها بمكانى من الناس فدخل عليها وقال : إن الله تبارك وتعالى قد أحسن قسمتك هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا ، فلا يغرنك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه ، فغضب الأعمش وقال له : يا خبيث أعمى الله قلبك قد أخبرتها بعيوبى ثم أخرجه من بيته ، ومنها : أن إبراهيم النخعى أراد أن يماشيه فقال له الأعمش : إن رآنا الناس معا قالوا أعور وأعمش ، فقال النخعى : وما عليك أن يأثموا ونؤجر ، فقال له الأعمش : وما عليك أن يسلموا ونسلم ، ومنها : أنه جلس يوما فى موضع فيه خليج من ماء المطر وعليه فروة خلقة ، فجاءه رجل وقال : قم عدنى هذا الخليج ، وجذب بيده فأقامه وركبه وقال — سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين — فمضى به الأعمش حتى توسط الخليج ورمى به وقال — وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين — ثم خرج وتركه يتخبط فى الماء ، ومنها : أن رجلا جاء إلى الأعمش يطلبه ، فقيل له : خرج مع امرأة إلى المسجد ، فجاءه فوجدهما فى الطريق فقال : أيكما الأعمش ؟ فقال الأعمش : هذه وأشار إلى المرأة ، ومنها : أنه عاده أقوام فى مرضه فأطالوا الجلوس عنده فأخذ وسادته وقام ثم قال : شفى الله مريضكم فانصرفوا ، ومنها : أنه ذكر عنده يوما قوله صلى الله عليه وسلم « من نام عن قيام الليل بال الشيطان فى أذنه » فقال : ما عمشت عيناى إلا من بول الشيطان فى أذنى ، وكتب إلى بعض إخوانه يعزيه :

إنا نعزيك لا أنا على ثقة من البقاء ولكن سنة الدين
فلا المعزى بباق بعد ميته ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

توفى رحمه الله فى سنة سبع ، وقيل ثمان ، وقيل تسع وأربعين ومائة .

وفيه أيضا : أنه لما ولى عبد الله بن الزبير الخلافة بمكة ولى أخاه مصعب بن الزبير المدينة وأخرج منها مروان بن الحكم وابنه فصارا إلى الشام ، ولم يزل يقيم للناس الحج من سنة أربع وستين إلى سنة اثنتين وسبعين . فلما ولى عبد الملك بن مروان منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير ، لأنه كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا ، فضج الناس لما منعوا من الحج فبنى عبد الملك قبة الصخرة فكان الناس يقفون عندها يوم عرفة ، ويقال : إن ذلك كان سبب التعريف فى بيت المقدس ومساجد الأمصار ، وقيل إن أول من سن التعريف بالبصرة عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وبمصر عبد العزيز بن مروان ، وببيت المقدس عبد الملك بن مروان . ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير وأراد الرجوع قام إليه الحجاج فقال : إنى رأيت فى منامى أنى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فولنى قتاله ،

فبعثه فى جيش كثيف من أهل الشام فحصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق ، فلما رمى به أرعدت السماء وأبرقت فخاف أهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وأنا ابنها ثم قام ورمى بنفسه فزاد ذلك ، وجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثنى عشر رجلا، وزاد خوف أهل الشام، فلما أصبحوا صعقت السماء فقتلت بعض أصحاب ابن الزبير ، فقال الحجاج لأصحابه : اثبتوا فإنه مصيبهم ما أصابكم، ولم يزل يرميها بالمنجنيق حتى هدمها، ورموها بكيزان النفط فاحترقت الستائر حتى صارت رمادا . وأن ابن الزبير قال لأمه : إنى لا آمن إن قتلت أن يمثل بى وأصاب ، فقالت له : يا ولدى إن الشاة إذا ذبحت لم تتألم بالسلخ ، فودعها وخرج من عندها فحمل عليهم حتى ردهم على أعقابهم ، فرمى بآجرة فأدمت وجهه ، فلما وجد سخونة الدم على وجهه أنشد قائلا :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وصاحت مولاة لآل الزبير مجنونة وكانت رأته حين هوى : وا أمير المؤمنيناه، وأشارت إليه . وقتل رضى الله تعالى عنه فى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد ، وجاء هو وطارق فوقفا عليه ، فقال طارق : ما ولدت النساء أذكر من هذا ، فقال الحجاج : أتمدح من خالف طاعة أمير المؤمنين ؟ قال : نعم هو أعذر لنا ولولا هذا ما كان لنا عذر ، وإنا لمحاصروه وهو فى غير حصن ولامنعة منذ ثمانية أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا كلما التقينا ، فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب رأى طارق ، ثم بعث الحجاج برأس ابن الزبير وجماعة إلى عبد الملك ، فبعث عبد الملك برأس ابن الزبير إلى عبد الله بن حازم الأسلمى ، وهو وال بخراسان من جهة ابن الزبير ، ودعاه إلى طاعته على أن يجعل له خراسان طعمة سبع سنين ، فقال ابن حازم للرسول : لولا أن الرسل لا تقتل لأمرت بضرب عنقك ولكن كل كتاب صاحبك فأكله ، ثم أخذ الرأس فغسله وطيبه وكفنه ودفنه ، وقيل إنه بعث به إلى آل الزبير بالمدينة فدفنوه مع جثته بالمدينة ، وماتت أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم بالمدينة بعده بخمسة أيام ولها مائة سنة.

وذكر الحافظ ابن عبد البر : أن الكعبة رميت بالمنجنيق مرة أخرى حين حصرها مسلم ابن الوليد بن عقبة بن أبى معيط فى أيام يزيد بن معاوية فى وقعة الحرة ، فمات يزيد ورجع مسلم إلى الشام .

(غريبة) قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمى : دخلت على أمى يوم عيد الأضحى فرأيت عندها امرأة فى أثواب دنسة ، فقالت لى أمى : أتعرف هذه ؟ قلت : لا . قالت : هذه عتابة أم جعفر بن يحيى البرمكى ، فسلمت عليها وقلت لها : حدثينى ببعض أمركم ، فقالت : أذكر لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر لقد هجم على مثل هذا اليوم يوم العيد وعلى رأسى أربعمائة

وصيفة وأنا أزعم أن ابنى جعفر عاق لى ، وقد أتيتكم اليوم أسألكم جلدى شاتين أجعل أحدهما شعارا والآخر دثارا . قال : فدفعت إليها خمسمائة درهم ، ولم تزل تتردد إلينا حتى فرق الموت بيننا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر قتل جعفر فى باب العين المهملة فى العقاب.

وفى سنن ابن ماجه وكامل بن عدى فى ترجمة أبى رزين بن عبد الله من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الشاة من دواب الجنة » .

وفى [الاستيعاب] للحافظ أبى عمر بن عبد البر فى ترجمة أبى رجاء العطاردى : أن العرب كانوا يأتون بالشاة البيضاء فيعبدونها ، فيجىء الذئب فيأخذها فيأخذون أخرى مكانها.

وفى [سنن البيهقى وغيره] : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره من الشاة إذا ذبحت سبعا : الذكر والأنثيين والدم والمرارة والحياء والعذرة والمثانة . قال : وكان أحب الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمها . وقالت أم سلمة رضى الله تعالى عنها : كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت شاة فأخذت قرصا تحت دن لنا فقمت إليها فأخذته من بين لحييها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما كان ينبغى لك أن تعنقيها» : أى تأخذى بعنقها وتعصريها .

وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله تعالى عنه قال « كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الحائط ممر الشاة » .

(قلت) وهذا يدل على استحباب القرب من السترة كما جاء عنه أيضا صلى الله عليه وسلم « إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لئلا يقطع الشيطان عليه صلاته » رواه أبو داود ، ولا يعارض حديث ممر الشاة بحديث صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة بينه وبين الجدار قدر ثلاثة أذرع ، وهو الذى يمكن المصلى أن يدرأ من يمر به إذ حمل بعضهم حديث ممر الشاة على ما إذا كان قائما ، وحديث الثلاثة أذرع على ما إذا ركع أو سجد ، ولم يذكر مالك فى ذلك حدا ، وقدر بعضهم ممر الشاة بقدر شبر ، وقد تقدم فى البهيمة والجدى شىء من هذا .

(فائدة) فى سنن أبى داود وغيرها « أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمتها ، فأكل منها وأكل معه رهط من أصحابه فمات بشر بن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية وقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : قلت إن كان نبيا فلن يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه ، فأمر صلى الله عليه وسلم بها فقتلت» كذا رواه وهو مرسل ، فإن الزهرى لم يسمع من جابر شيئا ، والمحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم قيل له « ألا تقتلها ؟ فقال : لا » وكذا رواه البخارى ومسلم ، وجمع البيهقى بينهما بأنه لم يقتلها فى الابتداء فلما

مات بشر أمر بقتلها وهى زينب بنت الحرث بن سلام، وقال ابن إسحاق: إنها أخت مرحب اليهودى ، وروى معمر بن راشد عن الزهرى أنها أسلمت .

(وروى) الترمذى عن حكيم بن حزام رضى الله تعالى عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه ليشترى لـــه أضحية بدينار ، فاشترى أضحية فأربح فيها دينارا ، فاشترى أخرى مكانها وجاء بالأضحية والدينار إلى رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، فضحى بالشاة وتصدق بالدينار .

وفى [صحيح البخارى وسنن أبى داود والترمذى وابن ماجه] : أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى عروة بن الجعد ، وقيل ابن أبى الجعد البارقى دينارا ليشترى به شاة فاشترى شاتين فباع إحداهما بدينار ، وجاء بشاة ودينار وذكر ما كان من أمره فقال : بارك الله لك فى صفقة يمينك ، فكان يخرج بعد ذلك إلى كناسة البصرة فيربح الربح العظيم حتى صار من أكثر أهل الكوفة مالا . قال شبيب بن غرقدة : رأيت فى دار عروة البارقى سبعين فرسا مربوطا للجهاد فى سبيل الله تعالى ، وروى عروة بن الجعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا ، وهو أول من قضى بالكوفة استعمله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على قضائها قبل شريح .

(عجيبة) روى ابن عدى عن حسن بن واقد القصاب : أن أبا جعفر البصرى وكان من أهل الخير والصلاح قال : أضجعت شاة لأذبحها فمر أيوب السختيانى فألقيت الشفرة وقمت معه أتحدث فوثبت الشاة فحفرت فى أصل الحائط ودحرجت الشفرة فألقتها فى الحفرة وألقت عليها التراب ، فقال لى أيوب : أما ترى ، أما ترى ؟ فجعلت على نفسى أن لا أذبح شيئا بعد ذلك اليوم .

(فائدة أخرى) كان أبو محمد عبد الله بن يحيى بن أبى الهيثم المصعبى من أصحاب الشافعى إماما صالحا عالما من أهل اليمن من أقران صاحب البيان ، ومن تصانيفه احترازات المذهب والتعريف فى الفقه ، روى أن ناسا ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه ، فسئل عن ذلك فقال : كنت أقرأ — ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم . ويرسل عليكم حفظة . إن ربى على كل شىء حفيظ ، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين . له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله . إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . وحفظناها من كل شيطان رجيم . وجعلنا السماء سقفا محفوظا . وحفظا من كل شيطان مارد . وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . وربك على كل شىء حفيظ . الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل . وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون . إن كل نفس لما عليها حافظ . إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد . هل أتاك حديث الجنود فرعون

وثمود بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ — ثم قال : كنت خرجت يوما فى جماعة فرأينا ذئبا يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها شيئا ، فلما دنونا منهما نفرمنا الذئب فتقدمنا إلى الشاة فوجدنا فى عنقها كتابا مربوطا فيه هذه الآيات : توفى المصعبى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . وقال الحافظ أبو زرعة الرازى . وقعت النار بجرجان فاحترق فيها تسعة آلاف بيت وجدوا فيها تسعة آلاف مصحف قد احترقت إلا هذه الآيات لم تحترق فى كل مصحف وهى — ذلك تقدير العزيز العليم. وعلى الله فليتوكل المؤمنون. ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه . تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين. وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون — . قال : فما وضعت هذه الآيات فى متاع أو بيت أو حانوت أو غير ذلك إلا حفظه الله تعالى : قلت . وهى نافعة مجربة .

وروى الثعلبى وابن عطية والقرطبى وغيرهم عن سالم بن أبى الجعد قال : احترق لنا مصحف فلم يبق فيه إلا قوله تعالى — ألا إلى الله تصير الأمور — وغرق لنا مصحف فانمحى كل شىء فيه إلا هذه الآية .

وحدثنا شيخنا الإمام العارف بالله عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله تعالى قال : بلغنى عن سيدنا العارف الإمام أبى عبد الله محمد القرشى عن شيخه أبى الربيع المالقى أنه قال له : ألا أعلمك كنزا تنفق منه ولا ينفد ؟ قلت : بلى قال. قال : قل يا ألله يا أحد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم ياوهاب ياذا الطول ياغنى يامغنى يافتاح يارزاق ياعليم يا حكيم يا حى ياقيوم يارحمن يارحيم يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحنان يامنان أنفحنى منك بنفحة خير تغنينى بها عمن سواك — إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح — إنا فتحنا لك فتحا مبينا. نصر من الله وفتح قريب — اللهم ياغنى يا حميد يا مبدئ يا معيد ياودود ياذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد ، اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك ، واحفظنى بما حفظت به الذكر ، وانصرنى بما نصرت به الرسل إنك على كل شئ قدير. قال : فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة حفظه الله من كل مخوف ونصره على أعدائه وأغناه ورزقه من حيث لا يحتسب ، ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ، ولو كان عليه مثل الجبال دينا أداه الله تعالى عنه بمنه وكرمه .

وروى ابن عدى عن عبد الرحمن القرشى قال : حدثنا محمد بن زياد بن معروف حدثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال : حدثنا ثابت البنانى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سألت الله تعالى الاسم الأعظم فجاءنى جبريل عليه السلام به مخزونا مختوما وهو : اللهم إنى أسألك باسمك الأعظم المكنون الطاهر المطهر المقدس المبارك الحى القيوم . فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : بأبى أنت وأمى يا نبى الله علمنيه ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء » .

(فائدة أخرى) روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : بينما عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضا ، فقال عيسى ليحيى : قل تلك الكلمات : حنة ولدت يحيى ، ومريم ولدت عيسى ، الأرض تدعوك ياولداخرج ياولد . قال حماد بن زيد : فما تكون فى الحى امرأة ماخض فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع بإذن الله تعالى ، ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه ، وكانا ابنى خالة ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ، ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليه السلام .وعن يونس بن عبيد أنه قال : ما قال العبد اللهم أنت عدتى فى كربتى ، وأنت صاحبى فى غربتى ، وأنت حفيظى عند شدتى ، وأنت ولى نعمتى عند النفساء أو البهيمة الماخض إلا يسر الله عليها وضع الولد . قال بعض الحكماء : من خصائص الزبد البحرى أنه إذا علق على ذات طلق سهل الله عليها الولادة ، وكذلك قشر البيض إذا سحق ناعما وشرب بماء فإنه يسهل الولادة ، وقد جرب مرارا عديدة فصح ، وقد ورد فى الحديث « مثل المؤمن كالشاة المأبورة » أى التى أكلت الإبرة فى علفها فنشبت فى جوفها فهى لا تأكل شيئا وإن أكلت لم ينجع فيها ، وفيه أيضا « مثل المنافق كالشاة الرابضة بين غنمين » أراد أنها مذبذبة بين قطيعين من الغنم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، والرابضة أيضا : ملائكة أهبطوا مع آدم عليه الصلاة والسلام يهدون الضال ولعله من الإقامة . وقال الجوهرى : الرابضة حملة الحجة لا تخلو منهم الأرض .

(الحكم) يحل أكلها بالإجماع وإن أوصى بشاة تناول صغيرة الجثة وكبيرتها سليمة ، ومعيبة ضأنا ومعزا لصدق الاسم على الجميع .

(فرع) ومن أحكامها فى الأضحية ، أن الأضحية سنة غير واجبة ولا تصح إلا من النعم ولا يجزئ من الضأن إلا الجذعة وهى مالها سنة تامة ، وشرعت فى الثانية على الأصح عند أصحابنا كما تقدم فى باب الجيم فى الجذعة ، ومن المعز إلا الثنية وهى التى شرعت فى السنة الثالثة ، ويشترط أن تكون سليمة من كل عيب يضر باللحم فلا تجزئ العجفاء ولا العوراء ولا المريضة ولا العرجاء ولا الجرباء ولا مكسورة القرن ولا مقطوعة الأذن ولا التى لم يخلق لها أذن ، وفى مشقوقة الأذن وجهان قاله فى العباب ، وإذا لم تجزئ العوراء فالعمياء أولى ،

وأما العمش وضعف البصر من إحدى العينين أو كلتيهما فلا يمنع الإجزاء ، وقال الروياني: إن غطى على الناظر بياض وأذهب بعضه دون بعض فإن ذهب الأكثر لم تجز التضحية بها وإن ذهب الأقل جازت ، وفى العشواء وهى التى تبصر نهارا لا ليلا وجهان الأصح الإجزاء، وقد ورد النهى عن التولاء وهى المجنونة وهى التى تستدبر المرعى ولا ترعى إلا قليلا فتهزل ، وأما مقطوعة الأذن فينظر فإن لم يبن منها شئ بل بقى طرفها متدليا لم يمنع على الأصح. وقال القفال : إنها لا تجزئ وإن أبين فان كان كثيرا بالإضافة إلى الأذن فإنها لا تجزئ قطعا ، وإن كان يسيرا فلا تجزئ على الأصح لفوات جزء مأكول . قال الإمام : وأقرب ضبط بين القليل والكثير أنه إن لاح النقص من البعد فكثير وإلا فقليل . وقال أبو حنيفة : إن كان المقطوع دون الثلث لا يمنع الإجزاء ولا يضر الكى ، وقيل وجهان ، وتجزئ صغيرة الأذن ، ولا تجزئ التى أخذ الذئب مقدارا بيننا من فخذها ، والمقطوعة الألية لا تجزئ على المذهب ، وتجزئ الشاة التى خلقت بلا ضرع أو بلا ألية على الأصح ، وقطع بعض الألية والضرع كقطع كلهما ، ولا تجزئ مقطوعة اللسان ، والأصح إجزاء المجبوب والخصى ، وشذ ابن كج فحكى فى الخصى قولين وجعل الجديد عدم الإجزاء وتجزئ التى لا قرن لها والمكسورة القرن سواء اندمل أم لا على الأصح ، وجزم المحاملى فى اللباب بعدم الإجزاء كما تقدم . قال القفال : إلا أن يؤثر ألم الانكسار فى اللحم فيكون كالجرب ، وذات القرن أفضل ، وتجزئ التى ذهب بعض أسنانها .

(فائدة) قال الجوهرى : الأضحية فيها أربع لغات : أضحية وإضحية بضم الهمزة وكسرها والجمع أضاحى ، وضحية والجمع ضحايا ، وأضحاة كأرطاة والجمع أضحى كأرطى ، وبها سمى يوم الأضحى .

(فرع) النية شرط فى الأضحية ويجوز تقديمها على الذبح فى الأصح ولو قال : جعلت هذه الشاة أضحية فهل يكفى التعيين والقصد دون نية الذبح؟ وجهان أصحهما لا لأن الأضحية سنة كما تقدم وهى قربة فى نفسها فوجبت النية فيها ، واختار الإمام والغزالى الاكتفاء ، وإذا قلنا بالاكتفاء فالمستحب تجديد النية .

(فرع) يستحب للمضحى أن يذبح بيده ويجوز أن يفوض ذبحها إلى غيره ، وكل من حلت ذبيحته جاز التفويض إليه ، والأولى أن يكون مسلما وأن يكون فقيها ليكون عارفا بوقتها وشرائطها ، ويجوز استنابة الكتابى ، وقال مالك : لا يجوز ويكون ما ذبحه شاة لحم وحكى الموفق بن طاهر الحنبلى عن أحمد مثله ، ويستحب أن يأكل الثلث ويهدى الثلث ويتصدق بالثلث ، وفى قول أن يأكل النصف ويتصدق بالنصف ، فإن أكل الكل معا فالمذهب أنه يضمن القدر الذى يجزئ فيه وهو أدنى جزء ، وقيل لا يضمن ، وقيل يضمن

القدر المستحب وهو الثلث أو النصف ولا يجوز بيع شيء منها ولا أن يعطى الجزار منها شيئا أجرة بل مؤنة الذبح على المضحى كمؤنة الحصاد .

(فرع) اعلم أن العلماء رضى الله تعالى عنهم قالوا : ادخار الأضحية فوق ثلاث منهى عنه . وهل يجوز أكل الجميع ؟ وجهان أحدهما نعم وبه قال ابن سريج والإصطخرى وابن القاص واختاره ابن الوكيل لأنه يجوز أكل أكثرها فيجوز أكل جميعها ، وحيازة الثواب تحصل بإراقة الدم بقصد النية ، ونسب ابن القاص هذا الوجه إلى النص . وحكاه الموفق الحنبلى عن أبى حنيفة ، وأصح الوجهين أنه لابد من التصدق بقدر ماينطلق عليه الاسم .

(فرع) لو قال : جعلت هذه الشاة أضحية أو نذر أن يضحى بشاة بعينها زال ملكه عنها ولا ينفذ تصرفه فيها ببيع ولا هبة ولا إبدال ولو بجزء منها ، وعن الشيخ أبى على وجه أنه لا يزول الملك عنها حتى تذبح ويتصدق بلحمها كما لو قال : لله على أن أعتق هذا العبد لا يزول ملكه عنه إلا بإعتاقه ، وعند أبى حنيفة أنه يزول الملك عنها ولا يجوز بيعها ولا إبدالها ، ولو نذر العتق فى عبد بعينه لايجوز بيعه وإبداله وإن لم يزل الملك عنه . وقال أبو حنيفة رحمه الله : يجوز بيعه وإبداله فلو باعها فإنها تسترد إذا كانت العين باقية ، فإن أتلفها المشترى أو تلفت عنده فعليه القيمة من يوم القبض إلى يوم التلف ، فلو ذبح رجلان كل واحد منهما أضحية الآخر بغير إذنه ضمن كل واحد منهما ما بين القيمتين وأجزأت عن الأضحية .

(فرع) قال المحاملى : وتنحر الإبل وتذبح الغنم فإن نحر كلها أو ذبح كلها جاز ، وموضع النحر فى السنة والاختيار اللبة ، وموضع الذبح أسفل مجامع اللحيين ، وكمال الذبح أن يقطع الحلقوم والمرىء والودجين ، وأقل مايجزىء فى الذكاة أن يبين الحلقوم والمرىء انتهى .

(فرع) لو ولدت الأضحية الواجبة ذبح ولدها معها سواء كانت معينة أو فى الذمة بعد ما عين ، وله أن يشرب من لبنها ما يفضل عن ولدها قاله القاضى أبو سعيد الهروى .

(الأمثال) قالوا : كل شاة برجليها معلقة . أول من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير ابن إياد ، وكان قد ولى أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة يقال لها حزورة وبه سميت الحزورة التى بمكة وجعل فى الصرح سلما ، وكان يزعم أنه يرقاه فيناجى فيه ربه تعالى ، وكان ينطق بكثير من الخير ، وكان علماء العرب يقولون : إنه من الصديقين ، فلما حضرته الوفاة جمع أولاده وقال لهم : اسمعوا وصيتى : من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه وكل شاة برجلها معلقة ، فأرسل مثلا : أى كل أحد يجزى بعمله ولا تزر وازرة وزر أخرى .

(الخواص) جلد الشاة إذا أخذ حين يسلخ وألبس للمضروب بالسياط نفعه وسكن ألمه

﴿ الشامرك ﴾ : الفتى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل قاله فى المرصع ، وكنيته : أبو يعلى وهو معرب الشاة مرغ ، ومعناه : ملك الطير .

﴿ الشاهين ﴾ : جمعه شواهين وشياهين ، وليس بعربى لكن تكلمت به العرب . قال الفرزدق :

حمى لم يحط عنه سريع ولم يخف نويرة يسعى بالشياهين طائره

ويروى بالشواهين ، وقال عبد الله بن المبارك :

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره وقد فتحت لك الحانوت بالدين
بين الأساطين حانوت بلا غلق تبتاع بالدين أموال المساكين
صيرت دينك شاهينا تصيد به وليس يفلح أصحاب الشواهين

وقد تقدمت له أبيات فى باب الباء الموحده فى البازى تشبه هذه . ومن كلامه : تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا . والشاهين ثلاثة أنواع : شاهين وقطامى وأنبق ، والشاهين فى الحقيقة من جنس الصقر إلا أنه أبرد منه وأيبس مزاجا ، ولأجل ذلك تكون حركته من العلو إلى السفل شديدة ، ولهذا ينقض على صيده انقضاضا من غير تحويم ، وعنده جبن وفتور وهو مع ذلك شديد الضراوة على الصيد ، ولأجل ذلك ربما ضرب بنفسه الأرض فمات ، وعظامه أصلب من عظام سائر الجوارح ، وبعضهم يقول : الشاهين كاسمه يعنى الميزان لأنه لا يتحمل أدنى حال من الشبع ولا أيسر حال من الجوع ، والمحمود من صفاته أن يكون عظيم الهامة واسع العينين رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليد الفخذين قصير الساقين قليل الريش رقيق الذنب إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنه منهما شىء فإذا كان كذلك صاد الكركى وغيره ، ويقال إن أول من صاد به قسطنطين ، وكانت الشواهين ريضت له وعلمت أن تحوم على رأسه إذا ركب فتظله من الشمس ، وكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى ، فإذا ركب وقفت حوله إلى أن ركب يوما فثار طائر من الأرض فانقض عليه بعض الشواهين فأخذه فأعجبه ذلك وضراه على الصيد .

(وحكمه) يأتى فى باب الصاد المهملة إن شاء الله تعالى فى الصقر ، ومن الرسائل التى كتبتها قديما للأخ فارس الدين شاهين وأنا بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

سلام كما فاحت بروض أزاهر يضىء كما لاحت بأفق زواهر
إذا عبقت كتبى به قال قائل أفى طيها نشر من المسك عاطر ؟
إلى فارس الدين الذى قد ترجلت لخدمته خدام مصر الأكابر
إذا عد خدام الملوك جميعهم فبينهم ذكر لشاهين طائر
وعندى اشتياق نحوه وتلفت إليه وقلبى بالمودة عامر

تمنيت جهدى أن أراه بحضرة معظمة أقطارها وهو حاضر
وأدعو له فى كل وقت مشرف وكل زمان فضله متواتر
وفى مسجد عال كريم معظم له شرف فى سائر الأرض سائر

يقبل الأرض التى لها بشاهين علو النسرين وجود المرزمين ، قصرت عقاب الجو عن مطارها والعنقاء ذات الحسن عن محاسن أخبارها ، وطائرها الميمون صراح وحامل بطائق سعدها منشور الجناح ، يعترف أبو الصقر لشاهينها والبزاة وإن استقرت على يمين الملوك لتمكينها ، طالما تصيدت الملوك بإحسانها ونشرت جناحا طار إلى أفق المعالى ومكانها ، وينهى أن له إلى مولانا أشواقا غالبة وعينا برؤيته فى تلك البقاع الشريفة مطالبة ، وأدعية له عليها فى كل وقت مواظبة ، ويذكر إحسان مولانا ويصفه فما أولانا بذكر ما أولانا ، وكيف لايحوز صدقا قصب السبق وهى فارسية ويطير حائما على أفق العلا فضله وهو ذو نسبة شاهينية ، والمملوك يتذكر صدقاته وإحسانه فى كل أوقاته على أن المخدوم ما زال يستبق الخيرات ويسارع إلى جبر القلوب بأنواع المسرات ، ويبذل معروفه إلى البعيد والقريب ويرسل جوده الذى ما زال يلبى دعوة الداعى ويجيب ، فأدام الله على مولانا سوابغ نعمه وعمه بإحسانه العميم بمنه وكرمه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصقر ذكر أبى الصقر المشار إليه .

(وتعبيره) يأتى فى الصقر إن شاء الله تعالى أيضا .

﴿ الشبب ﴾ : الثور المسن ، وكذلك الشبوب والمشب .

﴿ الشبث ﴾ : بالتحريك العنكبوت . قال فى المحكم : هى دويبة لها ست قوائم طوال صفراء الظهر وظهور القوائم سوداء الرأس زرقاء العينين ، وقيل دويبة كثيرة الأرجل عظيمة الرأس واسعة الفم مرتفعة المؤخر تحرث الأرض وهى التى تسمى شحمة الأرض ، والجمع أشباث وشبثان . وقال الجوهرى : الشبث بالتحريك دويبة كثيرة الأرجل ؛ ولا تقل شبث بإسكان الباء الموحدة والجمع شبثان مثل خرب وخربان .

(وحكمها) تحريم الأكل لأنها من الحشرات .

﴿ الشبثان ﴾ : بكسر الشين المعجمة وبالباء الموحدة ثم التاء المثلثة ثم نون فى آخره ، ذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب أنها دويبة تكون فى الرمل سميت بذلك لتشبثها بما دبت عليه ؛ قال الشاعر :

« مدارج شبثان لهن لهيم »

(وحكمها) تحريم الأكل لأنها من الحشرات التى لاتؤكل .

﴿ الشبدع ﴾ : العقرب ، والجمع الشبادع بكسر الشين والدال غير المعجمة حكاه أبو عمرو والأصمعى ، وفى الحديث : « من عض على شبدعه سلم من الآثام » أى على لسانه : أى سكت ولم يخض مع الخائضين ولم يلسع به الناس ، لأن العاض على لسانه لا يتكلم فشبه اللسان بالعقرب الضارة .

﴿ الشبربص ﴾ كسفرجل : الجمل الصغير .

﴿ الشبل ﴾ : ولد الأسد إذا أدرك الصيد ، والجمع أشبال وشبول .

﴿ الشبوة ﴾ . العقرب ، والجمع شبوات . قال الراجز :

قد جعلت شبوة تزبئر تكسواستها لحما وتقمطر

﴿ الشبوط ﴾ : كسفود ضرب من السمك . قال الليث : والسبوط بالسين المهملة لغة فيه وهو دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس ، وهذا النوع قليل الإناث كثير الذكور فهو قليل البيض بسبب ذلك .

وذكر بعض الصيادين : أنه ينتهى إلى الشبكة فلا يستطيع الخروج منها فيعلم أنه لا ينجيه إلا الوثوب فيتأخر قدر رمح ثم يهمز فيثب ، فربما كان وثوبه فى الهواء أكثر من عشرة أذرع فيخرق الشبكة ويخرج منها ، ولحمه كثير جدا وهو كثير بدجلة .

﴿ الشجاع ﴾ : بالضم والكسر : الحية العظيمة التى تثب على الفارس والراجل ، وتقوم على ذنبها وربما بلغت رأس الفارس ، وتكون فى الصحارى . روى أن مالك بن أدهم خرج يتصيد ، فلما صار إلى بلد قفر معطش ومعه جماعة من أصحابه طلبوا الماء فلم يقدروا عليه فنزل وضربت له خيمة وأمر أصحابه أن يطلبوا الماء والصيد ، فخرجوا فى طلبهما فأصابوا ضبا فأتوه به فقال : اشووه ولا تنضجوه ومصوه مصا لعلكم تنتفعون به ففعلوا ذلك ، ثم أثاروا شجاعا وأرادوا قتله فدخل على مالك خيمته فقال : قد استجار بى فأجيروه ففعلوا ذلك ، ثم خرج هو وأصحابه فى طلب الماء فإذا هاتف يهتف بهم وهو يقول :

ياقوم ياقوم لاماء لكم أبدا حتى تحثوا المطايا يومها التعبا
وسددوا يمنة فالماء عن كثب ماء غزير وعين تذهب الوصبا
حتى إذا ماأخذتم منه حاجتكم فاسقوا المطاياومنه فاملئوا القربا

فأخذ هو وأصحابه فى الجهة التى نعتها الهاتف لهم فى شعره فإذا هم بعين غزيرة فسقوا منها إبلهم وتزودوا ، فلما فعلوا ذلك لم يروا للعين أثرا وإذا بهاتف يهتف بهم ويقول :

ياامال عنى جزاك الله صالحة هذا وداع لكم منى وتسليم
لاتزهدن فى اصطناع العرف من أحد إن امرأ يحرم المعروف محروم
الخير يبقى وإن طالت مغيبته والشر ماعاش منه المرء مذموم

وفى الصحيحين عن جابر وأبى هريرة وابن مسعود رضى رضى الله تعالى عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مامن رجل لايؤدى زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه فى عنقه » وفى رواية مسلم « يتبعه فاتحا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذى خبأته ، فإذا رأى أنه لابد له سلك يده فى فيه فيقضمها قضمة الفحل ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية — ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرلهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة — والأقرع الذى تمعط رأسه وابيض من السم. والزبيبتان: الريشتان من جانبى فمه من كثرة السم، ويكون مثلهما فى شدق الإنسان عند كثرة الكلام ، وقيل نكستان عينيه ، وما هو بهذه الصفة من الحيات هو أشد أذى ، وقيل هما نابان يخرجان من فيه . ويقضمها بفتح الضاد : أى يأكلها ، والقضم بأطراف الإنسان ، والخضم بالفم كله ، وقيل القضم أكل اليابس ، والخضم أكل الرطب، وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه يعرض له فى البطن حية يسمونها الشجاع والصفر . قال أبو خراش يخاطب امرأته :

أرد شجاع البطن لو تعلمينه ... وأوثر غيرى من عيالك بالطعم
وأغتبق الماء القراح وأنثنى ... إذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعم

أراد بالأول الطعام وبالثانى مايشتهى منه، والغبوق: الشرب بالعشى . والمزلج من الرجال الناقص الذوق الضعيف . وقال الشاعر :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى ... مساغا لناباه الشجاع لصمما

هذه لغة بنى الحارث بن كعب وهى إبقاء ألف التثنية فى حالتى النصب والخفض وهو مذهب الكوفيين ، ومنه قوله تعالى — إن هذان لساحران — وتعبيره فى الرؤيا : يدل على ولد جسور، أو امرأة بازلة .

﴿ الشحرور ﴾ : كسحنون ، طائر أسود فوق العصفور يصوت أصواتا قاله ابن سيده وغيره . وما أحسن ماقال الشيخ العلامة علاء الدين الباجى ، ووفاته سنة أربع عشرة وسبعمائة (دوبيت) :

بالبلبل والهزار والشحرور ... يكسى طرباقلب الشجى المغرور
فانهض عجلا وانهب من اللذة ... ماجادت كرما به يد المقدور

وقد أجاد القائل فى وصفه حيث قال :

وروضة أزهرت أغصانها وشدت ... أطيارها وتولت سقيها السحب
وظل شحرورها الغريد تحسبه ... أسيودا زامرا مزماره ذهب

وما أحسن قوله أسيود وهو تصغير أسود ، وقال آخر وأجاد :

له فى خده الوردى خال يدور به بنفسج عارضيه
كشحرور تخبأ فى سياج مخافة جارح من مقلتيه

(وحكمه) كالعصفور، وسيأتى إن شاء الله تعالى.

(وتعبيره) فى الرؤيا: يدل على رجل من كتاب السلطان نحوى أديب، وربما دل على الولد الذكى الفصيح أو على صبى المكتب، والله أعلم.

﴿شحمة الأرض﴾: دويبة إذا مسها الإنسان تجمعت وصارت مثل الخرزة. وقال القزوينى فى الأشكال: إن شحمة الأرض تسمى بالخراطى، وهى دودة طويلة حمراء توجد فى المواضع الندية. وقال الزمخشرى فى [ربيع الأبرار]: إنها دويبة منقطة بحمرة كأنها سمكة بيضاء يشبه بها كف المرأة. وقال هرمس: إنها دابة صغيرة طيبة الريح لاتحرقها النار، وتدخل فى النار من جانب وتخرج من جانب.

(الخواص) من طلى بشحمها لم تضره النار ولو دخل فيها، وإذا أخذت شحمة الأرض وجففت وسقى منها قدر درهم للمرأة التى تعسرت ولادتها فإنها تلد من ساعتها. وقال القزوينى: إذا شويت وأكلت بالخبز فتت الحصا من المثانة، وتجفف وتطعم لصاحب اليرقان فإنها تذهب صفرته، ورمادها يخلط بدهن ويطلى به رأس الأقرع ينبت الشعر ويزيل القرع.

(وحكمها وتعبيرها) كالدود، وقد تقدم فى باب الدال المهملة أنها غير مأكولة لأنها من الخبائث.

﴿الشذا﴾: بفتح الشين والذال المعجمة: ذباب الكلب وقد يقع على البعير الواحدة شذاة.

﴿الشران﴾: شبيه بالبعوض يغشى وجوه الناس.

﴿الشرشق﴾: الشقراق.

﴿الشرشور﴾: كعصفور، طائر مثل العصفور أغبر على لطافة الحمرة قاله ابن سيده، وقد تقدم فى باب الباء أنه أبو براقش.

(وحكمه) حل الأكل لأنه داخل فى عموم العصافير.

﴿الشرغ﴾: والشرغ الضفدع الصغير، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى لفظ الضفدع فى باب الضاد المعجمة.

﴿الشرنبى﴾: كحبنطى، طائر معروف يعرفه الأعراب.

﴿الشصر﴾: بالتحريك ولد الظبية وكذلك الشاصر قاله أبو عبيدة.

﴿ الشعراء ﴾ : بفتح الشين وكسرها وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق أو أحمر يقع على الإبل والحمير والكلاب فيؤذيها أذى شديدا ، وقيل ذباب كذباب الكلب .

وفى السيرة « أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ، ودعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قبلها قط فاستشاره ، فقال عبد الله بن أبى وأكثر الأنصار : يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخل علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا ، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن دخلوا علينا قاتلهم الرجال فى وجوهم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى . وقال بعض أصحابه : يارسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب لايرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت فى منامى بقرا تذبح فأولتها خيرا ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولتها هزيمة ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فافعلوا وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا فى الأزقة ، فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد : اخرج بنا إلى أعداء الله يا رسول الله فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ولبس لأمته ، فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا : بئسما صنعتم نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه ، فقالوا : اصنع ما رأيت يا رسول الله واعتذروا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل ، وكان قد أقام المشركون بأحد الأربعاء والخميس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعدما صلى بأصحابه الجمعة فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وكان أصحابه سبعمائة رجل فجعل عبد الله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير رضى الله عنهما على الرماة وكانوا خمسين رجلا وقال عليه الصلاة والسلام : أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لايأتونا من خلفنا وإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فإنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ، فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة ابن أبى جهل رضى الله تعالى عنهما ومعهما النساء يضربن بالدفوف ويقلن الأشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال : من يأخذ هذا بحقه ويضرب به العدو حتى ينحنى ، فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة رضى الله تعالى عنه ، فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا فى هذا الموضع ، ففلق به هام المشركين ، وحمل النبى صلى الله عليه وسلم

وأصحابه على المشركين فهزمهم ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة الغنيمة والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهما صرفت وجوههم .

وقال الزبير بن العوام : فلما نظرت الرماة إلى القوم وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب ، فلما رأى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قلة الرماة واشتغال الناس بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله من المشركين ، ثم حمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزمهم ، ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وهشم أنفه وشجه فى وجهه فأثخنه وتفرق عنه أصحابه ، ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة ليعلوها ، وكان صلى الله عليه وسلم قد ظاهر بين درعين فلم يستطع النهوض فجلس تحته طلحة رضى الله تعالى عنه فنهض صلى الله عليه وسلم حتى استوى عليها ، ووقفت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا ، وبقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، وأقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة ، وهو يرى أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال : إنى قتلت محمدا ، وصاح صائح ألا إن محمدا قد قتل ، ويقال إن ذلك الصائح كان إبليس فانكفأ الناس ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ، وأصيبت يد طلحة رضى الله عنه فيبست حين وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصيبت عين قتادة رضى الله عنه يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فكانت أحسن ماكانت ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبى بن خلف الجمحى وهو يقول لانجوت إن نجا محمد ، فقال القوم : يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه حتى إذا دنا منه ، وكان أبى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : عندى رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى ، فلما دنا منه يوم أحد وهو راكب فرسه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، وانتفض بها انتفاضة فتطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ، وطعنه بها فى عنقه طعنة خدشته خدشة غير كبيرة فتدهده بها عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول : قتلنى محمد ، فحمله أصحابه وأتوا به قريشا وقد حقد الدم واحتقن فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم ، أليس قال أنا أقتلك ؟ فوالله لو بصق

على بعد تلك المقالة قتلنى ، فلم يلبث إلا يوما واحدا ومات عدوالله بموضع يقال له سرف . وقال فيه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله تعالى عنه :

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبى حين بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رم عظم وتوعده وأنت به جهول

• وقد قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذابا من قتل نبيا أو قتله نبى » لأنه من المعلوم أن النبى لا يقتل أحدا ولا يتفق ذلك إلا فى شر الخلق .

﴿ الشغواء ﴾ : بفتح الشين وسكون الغين المعجمة وبالمد : العقاب ، سميت بذلك لفضل منقارها الأعلى على الأسفل . قال الشاعر :

• شغواء توطن بين الشيق والنيق •

﴿ الشفدع ﴾ : الضفدع الصغير حكاه ابن سيده .

﴿ الشفنين ﴾ : كالبشنين بكسر الشين المعجمة ، وهو متولد بين نوعين مأكولين ؛ وعده الجاحظ فى أنواع الحمام ، وبعضهم يقول : الشفنين هو الذى تسميه العامة اليمام ؛ وصوته فى الترنم كصوت الرباب وفيه تحزين ، وجمعه شفانين وتحسن أصواتها إذا اختلطت ، ومن طبعه أنه إذا فقد أنثاه لم يزل أعزب إلى أن يموت وكذلك الأنثى إذا فقدت ذكرها ، وإذا سمن سقط ريشه ويمتنع من السفاد ، ومن طبعه إيثار العزلة ، وعنده نفور واحتراس من أعدائه .

(وحكمه) حل الأكل بالإجماع .

(الخواص) لحم الشفنين حار يابس ولذلك ينبغى أن لا يؤكل من هذا النوع إلا الصغار والمخاليف ، والدم المتولد عنه حار يابس والدهن الكثير يعدله ، وأكل بيضه بزيت يزيد فى الباه ، وزبله إذا ديف بدهن ورد وتحملت به المرأة نفع من وجع الأرحام ، ومن طلى إحليله بدمه وجامع امرأته لم يقدر عليها سواه وإن مات لم تتزوج ، ومما ينفع الرمد فى العين والورم أن يقطر فيها دم شفنين حار أو دم حمامة ، ويوضع على العين من خارج قطنة مبلولة ببياض بيض مع شىء من دهن الورد فإنه نافع مجرب .

﴿ الشق ﴾ : بالكسر ، قال القزوينى : هو من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمى ، ويزعمون أن النسناس مركب من الشق ومن الآدمى . ويظهر للإنسان فى أسفاره ، وذكروا أن علقمة بن صفوان بن أمية خرج فى بعض الليالى فانتهى إلى موضع فعرض له شق ، فقال علقمة : يا شق مالى ولك اغمد عنى منصلك أتقتل من لا يقتلك ؟ فقال شق : هيت لك

واصبر لما قد حم لك ، فضرب كل واحد منهما صاحبه فوقع ميتا . وأما شق وسطيح الكاهنان فكان شق إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ، وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان إنما كان يطوى مثل الحصير . ولد شق وسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر ، ودعت بسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه قبل أن تموت فأتيت به فتفلت فى فيه وأخبرت أنه سيخلفها فى علمها وكهانتها ، وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ، ودعت بشق ففعلت به مثل ذلك ثم ماتت وقبرها بالجحفة .

وذكر الحافظ أبو الفرج بن الجوزى : أن خالد بن عبد الله الفهرى كان من ولد شق هذا .

وفى [سيرة ابن هشام] عن ابن إسحاق أن مالك بن نصر اللخمى رأى رؤيا هالته فبعث إلى جميع الكهان والسحرة والمنجمين من رعيته فاجتمعوا إليه فقال : إنى رأيت رؤياها لتنى وفظعت منها ، فقالوا : قصها علينا نخبرك بتأويلها ، فقال لهم : إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم فى تأويلها ، ولست أصدق فى تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الذى يرومه الملك لايجده إلا عند شق وسطيح ، فلما أخبروه بذلك أرسل الملك من أتاه بهما ، فسأل سطيحا فقال : أيها الملك إنك رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فأكلت كل ذات جمجمة ، فقال الملك : ما أخطأت شيئا فما عندك فى تأويلها ؟ فقال سطيح : أحلف بما بين الحرتين من حنش ليهبطن أرضكم الحبش وليملكن ما بين أبين إلى جرش ، فقال الملك : وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى يكون ذلك أفى زمانى أم بعده ؟ فقال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال الملك : ومن الذى يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه ابن ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن . قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بلى ينقطع ؟ قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبى زكى يأتيه الوحى من ربه العلى . قال : وممن هذا النبى ؟ قال : من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ، فقال الملك : وهل للدهر من آخر ياسطيح ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون ، فقال الملك : أحق ما تقول ياسطيح ؟ قال : نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق إن ما أخبرتكم به لحق ، ثم إن الملك أحضر شقا فسأله كما سأل سطيحا ، فقال له شق : إنك رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت كل ذات نسمة . فلما سمع الملك مقالة شق قال له : ما أخطأت شيئا فما عندك فى تأويلها ؟ فقال شق : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ليغزلن أرضكم السودان

وليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين إلى نجران ، فقال الملك : وأبيك يا شق إن ذلك لنا لغائظ مؤلم ، فمتى يكون ذلك أفى زمانى أم بعده ؟ فقال : بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منه عظيم الشأن ويذيقهم أشد الهوان ، فقال الملك : من هو العظيم الشأن ؟ قال : غلام من غلمان اليمن يخرج من بيت ذى يزن ، فقال الملك : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول هو خاتم الرسل يأتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل ، فقال الملك : وما يوم الفصل ؟ فقال شق : يوم يجزى فيه الولاة ويدعى من السماء دعوات يسمعها الأحياء والأموات ويجمع الناس فيه للميقات ، فيفوز فيه الصالحون بالخيرات ، فقال الملك : أحق ما تقول ياشق ؟ قال : إى ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتكم به لحق ماله من نقض ، فوقع ذلك فى نفس الملك لما رأى من تطابق شق وسطيح على ما ذكراه ، فجهز أهل بيته إلى الحيرة فرقا من سلطان الحبشة .

وروى عنه أنه لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس فيها إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرافة ، فجزع كسرى أنو شروان من ذلك وتطير ورأى أن لا يكتمه عن زعماء مملكته ، فأحضر موبذ موبذان وهو رئيس حكمائهم وعنه يأخذون نواميس شرائعهم ، وأحضر الموابذة وهم القضاة ، والهرابذة وهم كالخلفاء للموابذة ، والأصبهد وهو حافظ الجيوش وأمير الأمراء ، وأحضر بزرجمهر مداره وهو الوزير الأعلى ، والمرازبة وهم حفظة الثغور ، وولاة المملكة ، وأخبرهم بما كان من ارتجاس الإيوان وسقوط ما سقط من شرفاته ، فقال رئيس الموابذة : إنى رأيت فى المنام كأن إبلا تقود خيلا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس ، وأخبره فى ذلك الوقت قومه بالنار وخمودها تلك الليلة فهاله ومن حضر مجلسه ذلك واستعظموه ولم يظهر لهم وجهه ، ففزعوا وتفرقوا عن الملك يتروون فيه ووافت البرد إلى كسرى من جميع جهات ممالكه تخبر بخمود النيران تلك الليلة ، ووافاه الخبر بأن بحيرة ساوة قد غاض ماؤها ، فجمع زعماء دينه ورؤساء سلطانه فأطلعهم على ما انتهى إليه من ذلك كله وسألهم عما عندهم فيه ، فقال موبذ موبذان : أما رؤياى فتدل على حدث عظيم يكون من العرب ، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر يأمره أن يبعث إليه أعلم من فى أرضه من العرب ، فبعث إليه عبد المسيح بن عمرو الغسانى وكان معمرا ، فلما قدم على كسرى قال له : هل عندك علم مما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : يخبرنى الملك عما يريد علمه فإن كان عندى علم منه أخبرته ؟ فقال أنو شروان : إنما أريد من يعلم أمرى قبل أن أذكره له فقال عبد المسيح : هذا علم يعلمه خال لى يسكن بمشارف الشام يقال له سطيح . قال كسرى

فاذهب إليه ، فانطلق عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح فوجده قد أشفى على الموت فحياه فلم يجبه فقال عبد المسيح رافعا صوته :

أصم أم يسمع غطريف اليمن ياصاحب الخطة أعيت من ومن

ففتح سطيح عينيه وقال : عبد المسيح على جمل مشيح وافى إلى سطيح وقد أشفى على الضريح بعثك مالك بنى ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس ، يا عبد المسيح إذاظهرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة لم تكن بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما ، وسيملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت ، ثم قضى سطيح مكانه ، فاستوى عبد المسيح على راحلته وعاد إلى كسرى فأخبره بمقالة سطيح ، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور ؛ فملك منهم عشرة فى مدة أربع سنين وملك الباقون إلى أواخر خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه انتهى . وبابل هى بابل العراق وسميت ببابل لتبلبل الألسن بها عند سقوط صرح نمروذ أى تفرقها . قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : بابل أرض الكوفة وقيل جبل دنباوند ، وكسرى أول ميت اقتص من قاتله كما قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب الأذكياء . وذلك أن كسرى قال له منجموه إنك تقتل ، فقال : والله لأقتلن قاتلى ، فعمد إلى سم ناقع فوضعه فى حق وكتب عليه هذا دواء للباه مجرب صحيح إذا استعمل منه وزن كذا وكذا أنعظ وجامع كذا وكذا مرة ، فلما قتله ابنه بادر ففتح خزائنه فوجد ذلك الحق مختوما ، فقرأ ما كتب عليه فقال : بهذا كان كسرى يقوى على مجامعة النساء ، ففتحه واستعمل منه ما ذكر فمات فهو أول ميت اقتص من قاتله ، وقد تقدم فى باب الدال المهملة فى الدابة عن كامل بن الأثير أن كسرى كان له ثلاث آلاف امرأة وخمسون ألف دابة .

﴿ الشقحطب ﴾ : كسفرجل : الكبش الذى له أربعة قرون ، والجمع شقاحط وشقاطب .

﴿ الشقذان ﴾ : الحرباء قاله ابن سيده ، والشقذان أيضا الضب والورل والطحن وسام أبرص والدساسة ، واحدته شقذة .

﴿ الشقراق ﴾ : بفتح الشين وكسرها قاله فى المحكم وابن قتيبة فى أدب الكاتب : قال البطليوسى فى الشرح : الكسر فى شين الشقراق أقيس لأن فعلان بكسر الفاء موجود فى أبنية الأسماء نحو طرماح وشنقار وفعلان بفتح الفاء مفقود فيها . قال : وبكسر الشين قرأناه فى الغريب للمصنف وهكذا حكاه الخليل وذكر أن فيه ثلاث لغات : شقراق بكسر الشين وإسكان القاف ، وشقراق بفتح الشين وإسكان القاف ، وشقراق بضم الشين وإسكان القاف

وربما قالوا شرقراق انتهى ؛ وهو طائر صغير يسمى الأخيل ، وهو أخضر مليح بقدر الحمامة وخضرته حسنة مشبعة وفى أجنحته سواد ، والعرب تتشاءم به وله مشتى ومصيف وهو كثير ببلاد الروم والشام وخراسان ونواحيها ويكون مخططا بحمرة وخضرة وسواد ، وفى طبعه شره وشراسة وسرقة فراخ غيره وهو لا يزال متباعدا من الإنس ويألف الروابى ورءوس الجبال لكنه يحضن بيضه فى العمران العوالى التى لا تنالها الأيدى وعشه شديد النتن وقال شارح الغنية والجاحظ : إنه نوع من الغربان وفى طبعه العفة عن السفاد وهو كثير الاستغاثة إذا ضاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب .

(الحكم) جزم الروياني والبغوى بتحريم أكله لاستخباثه ونقله الرافعى عن الصيمرى وممن قال بالتحريم العجلى شارح غنية ابن سريج ، وجزم بتحريمه وتحريم العقعق الماوردى فى الحاوى وعلل بأنهما مستخبثان عندالعرب وهوقول الأكثرين، وقال بعض الأصحاب بحله.

(الأمثال) قالوا : أشأم من الأخيل وهو الشقراق .

(الخواص) إذا كان الذهب ناقص العيار يذاب ويفرغ عنيه من مرارته فانه يحمر ويزداد عياره ، كما لو أفرغ عليه من مرارة الثعلب فإنه ينقص عياره، وإذا اتخذ من مرارته خضاب سود الشعر ، ولحمه حار ظاهر الحرارة وفيه زهومة قوية إلا أنه يحلل الرياح الغليظة التى تكون فى الأمعاء .

(التعبير) هو فى الرؤيا: امرأة حسناء ذات جمال ، والله أعلم .

﴿ الشمسية ﴾ : قال أبو حيان التوحيدى : إنها حية حمراء براقة إذا كبرت وأصابها وجع العين وعميت التمست حائطا يقابل الشرق فإذا طلعت الشمس أحدت إليها بصرها قدر ساعة فإذا دخل شعاع الشمس عينها كشط عنها العمى والإظلام ولا تزال كذلك سبعة أيام حتى تجد بصرها تاما ، وغيرها من الحيات إذا عمى أيضا طلب شجر الرازيانج الأخضر فيكتحل به فيبرأ كما تقدم .

﴿ الشنقب ﴾ : كقنفذ ضرب من الطير معروف .

﴿ شه ﴾ : قال ابن سيده: هو طائر يشبه الشاهين يأخذ الحمام وليس هوولفظه أعجمى .

﴿ الشهام ﴾ : السعلاة : قاله الجوهرى وغيره ، وقد تقدم لفظ السعلاة فى باب السين المهملة .

﴿ الشهرمان ﴾ : نوع من طير الماء قصير الرجلين أبلق اللون أصغر من اللقلق ، وفى بعض كتب الغريب أنه نوع من الطير ؛

﴿ الشوحة ﴾ : قال ابن الصلاح فى الفتاوى : إنها الحدأة ، وقد تقدم ذكرها فى باب الحاء المهملة .

﴿ الشوف ﴾ : القنفذ ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف .

﴿ الشوشب ﴾ : القمل والعقرب والنمل ، وسيأتى ذكر كل واحد منها فى بابه .

﴿ الشوط ﴾ : ضرب من السمك وليس هو الشبوط قاله الجوهرى

﴿ شوط براح ﴾ : هو ابن آوى قاله الجوهرى . قال : ويقال للهباء الذى يرى فى ضوء الكوة شوط باطل .

﴿ الشول ﴾ : النوق التى جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة وهو جمع على غير قياس ، تقول منه تشولت الناقة بالتشديد : أى صارت شائلة ، وفى المثل : لا يجتمع فحلان فى شول ، وتمثل به عبد الملك بن مروان عند قتله عمرو بن سعيد الأشدق ، والمعنى ينظر إلى قوله تعالى — لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا — وهناك ذكره الزمخشرى فى الكشاف وسيأتى إن شاء الله تعالى للشول ذكر فى باب الفاء عند ذكر الفحل .

﴿ شولة ﴾ : من أسماء العقرب سميت بذلك لما تشوله من ذنبها وهى شوكتها ، وسيأتى لفظها وما فيه إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة .

﴿ الشيخ الشهودى ﴾ : قال أبو حامد والقزوينى فى عجائب المخلوقات : إنه حيوان . وجهه كوجه الإنسان وله لحية بيضاء وبدنه كبدن الضفدع وشعره كشعر البقر وهو فى حجم العجل ، يخرج من البحر ليلة السبت فيستمر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فيثب كما يثب الضفدع ويدخل الماء فلا تلحقه السفن .

(الحكم) هو داخل فى عموم السمك كما تقدم .

(الخواص) ذكروا أن جلده إذا وضع على النقرس أزال وجعه فى الحال .

﴿ الشيذمان ﴾ : بفتح الشين وضم الذال المعجمة : الذئب ، وقد تقدم فى باب الذال المعجمة .

﴿ الشيصبان ﴾ : ذكر النمل .

﴿ الشيع ﴾ : كالبيع : ولد الأسد ، وقد تقدم لفظ الأسد فى باب الهمزة .

﴿ الشيم ﴾ : ضرب من السمك . قال الشاعر :

قل لطغام الأزد لا تبطروا بالشيم والجريث والكعند

﴿ الشيهم ﴾ : كالضيغم : ذكر القنافذ . قال الأعشى :

لئن جد أسباب العداوة بيننا لترتحلن منى على ظهر شيهم

قال الأصمعى : الشيهام الثعلاة .

(فائدة) قال أبو ذؤيب الهذلى الشاعر : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فبت أقاسى طولها حتى إذا كان وقت السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهو يقول :

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبى محمد فعيوننا تذرى الدموع عليه بالأسجام

قال أبو ذؤيب : فوثبت من منامى فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فأولته ذبحا يقع فى العرب وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض أو هو ميت من علته فركبت ناقتى وسرت فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به فعرض لى شيهم قد قبض على صل يعنى حية فهى تلتوى عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت : شيهم شىء هم ، والتواء الصل تلوى الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر ، فحثثت ناقتى حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرنى بوفاته صلى الله عليه وسلم ونعب غراب سانح فنطق بمثل بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ماعن لى فى طريقى ، فقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت : ما الخبر ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت إلى المسجد فوجدته خاليا فأتيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت بابه مرتجا : أى مغلقا ، وقيل هو مسجى وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار ، فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وجماعة من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك فأويت إلى قريش ، وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب وأطالوا الجواب ، وتكلم أبو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه ثم تكلم عمر رضى الله تعالى عنه بدون كلامه ثم قال لأبى بكر : مد يدك أبايعك ، فمد يده فبايعه وبايعه الناس ، ورجع

أبو بكر رضى الله تعالى عنه ورجعت معه . قال أبو ذؤيب : فشهدت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وشهدت دفنه .

﴿ أبو شبقونة ﴾ : بضم الشين وسكون الباء الموحدة وضم القاف وبعدها نون قال فى [المرصع] : إنه طائر يكون مع الحمر والنعم يأكل الذباب ، والله أعلم .

باب الصاد المهملة

﴿ الصؤابة ﴾ : بالهمز بيضة القملة والجمع صؤاب وصئبان ، والعامة تخففه فتقول صيبان والصواب الهمز ، قال ابن السكيت : يقال فى رأسه صؤابة والجمع صئبان بالهمز وقد صيب رأسه بالياء المثناة تحت المخففة ، وقال الجاحظ : قال إياس بن معاوية : الصيبان ذكور القمل وهو من الشىء الذى يكون ذكوره أصغر من إناثه كالزراريق والبزاة فالبزاة هى الإناث والزراريق الذكور ، وليس فيه ذكر شىء من الصؤاب انتهى .

وروى خيثمة بن سليمان فى مسنده فى آخر الجزء الخامس عشر عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات ، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار ، قيل يارسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون » .

(الحكم) قال الشافعى : حكم الصئبان حكم القمل للمحرم إذا قتل منه شيئا يستحب أن يتصدق . ولو بلقمة ، وجزم فى [الروضة] بأنه بيض القمل كما قال الجوهرى وغيره ، وقد تقدم فى السلحفاة البحرية أن التسريح بمشط الذبل يذهب الصئبان لخاصية فيه .

(الأمثال) قالوا : يعد فى مثل الصؤاب وفى عينيه مثل الجزة ، قال الميدانى : يضرب لمن يلوم فى قليل ما كثر فيه من العيوب ، وأنشد الرياضى :

ألا أيهذا اللائمى فى خليقتى ... هل النفس فيما كان منك تلوم
فكيف ترى فى عين صاحبك القذى ... وتنسى قذى عينيك وهو عظيم

﴿ الصارخ ﴾ : الديك ، روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن مسروق قال « سألت عائشة رضى الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان يحب الدائم ، قال قلت أى حين كان صلى الله عليه وسلم يصلى ؟ قالت : كان إذا سمع الصارخ قام يصلى » قال النووى : الصارخ هنا الديك باتفاق العلماء ، وسمى بذلك لكثرة صياحه فى الليل . قال أبو حامد فى [الإحياء] وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه .

﴿ الصافر ﴾ : ويقال أيضا الصفارية طائر معروف من أنواع العصافير ؛ ومن شأنه أنه

إذا أقبل الليل يأخذ بغصن شجرة ويضم عليه رحليه وينكس رأسه ثم لايزال يصيح حتى يطلع الفجر ويظهر النور . قال القزوينى : إنما يصيح خوفا من السماء أن تقع عليه . وقال غيره : الصافر التنوط الذى تقدم فى باب التاء المثناة فوق ، وإنه إن كان له وكر جعله كالخريطة وإن لم يكن له وكر شرع يتعلق بالأغصان كما ذكرنا .

(وحكمه) حل الأكل لأنه من أنواع العصافير .

(الأمثال) قالوا : أجبن وأحير من صافر ، وأما قولهم : مافى الدار صافر ، فقال أبو عبيدة والأصمعى : معناه مفعول به كما قيل : ماء دافق ، وسر كاتم : أى مدفوق ومكتوم وقال غيرهما : مابها أحد يصفر .

(التعبير) الصافر تدل رؤيته على الحيرة والاختفاء والركون إلى ذوى الأقدار خوف العدو ، لأنه يقال فى المثل أحير من صافر كما تقدم .

﴿ الصدف ﴾ : من حيوانات البحر ، وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « إذا أمطرت السماء فتحت الصدف أفواهها » وهو غلاف اللؤلؤ الواحدة صدفة ، والصوادف الإبل التى تأتى والإبل على الحوض فتقف عند أعجازها تنتظر انصراف الشاربة لتدخل هى ومنه قول الراجز :

« الناظرات العقب الصوادف »

ومن خواص اللؤلؤ أنه يذهب الخفقان ، ويزيل داء المرة السوداء ، ويصفى دم القلب والكبد ، ويجلو البصر ، ولهذا يجعل فى الأكحال ، وإذا حل حتى يصير ماء رجراجا وطلى به البهق أذهبه من أول طلية لاغير .

(وأما رؤيته فى المنام) فهو على وجوه كثيرة : فإنه يدل على غلمان وجوار وولدان ومال وكلام حسن ، فمن رأى أنه يثقب لؤلؤا ثقبا مستويا فإنه يفسر القرآن صوابا ، ومن رأى اللؤلؤ بيده منثورا فإنه يبشر بغلام إن كان له امرأة حامل فإنه لم يكن له حامل فإنه يملك غلاما لقوله تعالى — ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون — ومن رأى أنه يقلع لؤلؤا ويبيعه فإنه ينسى القرآن فإن باعه من غير قلع فإنه يثبت عملا فى الناس ، ومن رأى أنه ينثر لؤلؤا فيلقطه الناس فإنه يعظ الناس وينفعهم وعظه ، ومن رأى بيده لؤلؤة يبشر بولد ذكر فإن لم يكن له حامل اشترى جارية وإن كان أعزب تزوج ، ومن رأى أنه استخرج من بحر لؤلؤا كثيرا يكال ويوزن بالقبان فإنه ينال مالا كثيرا من رجل ينسب إلى البحر . وقال جاماسب من رأى أنه يعد لؤلؤا نال مشقة ، ومن أعطى اللؤلؤ نال رياسة ، ومن رأى اللؤلؤ فإنه ينال

سرورا . والعقد من اللؤلؤ يدل على امرأة ذات حسن وجمال ، وقد يكون العقد من اللؤلؤ عقد نكاح .

(الخواص) قال القزوينى : الصدف ينفع وجع النقرس والمفاصل ضمادا ، وإذا سحق بالخل قطع الرعاف ، ولحمه ينفع من عضة الكلب ، ومحرقه يجلو الأسنان استياكا ، وفى الأكحال ينفع من قروح العين ، وإذا طلى به موضع الشعر الزائد فى الجفن بعد نتفه منع نباته وينفع من حرق النار ، وإذا شد منه قطعة صافية على صبى نبتت أسنانه بلا وجع اه . وقال غيره : الصدف الذى يتدور فى جوفه حيوان وله غطاء على رأسه بشبه الحجر إذا سحق وذر على وجه النائم ثبت ولم يتحرك زمانا طويلا وهو أسلم من البنج ، ومما يحبس الرعاف أن يؤخذ الصدف ويسحق مع جاوشير ويعمل منه ضماد ويجعل على الأنف .

(وأما رؤيته فى المنام) فمن رأى بيده صدفا فإنه يصدف عن شىء عزم عليه ويبطله خيرا كان أو شرا .

﴿ الصدى ﴾ : طائر معروف ، تقول العرب : إنه يخلق من رأس المقتول ، يصيح فى هامة المقتول إذا لم يؤخذ بثأره يقول : اسقونى اسقونى حتى يقتل قاتله ، ولذلك قيل له : صادوا لصادى العطشان ، والصدى : ذكر البوم والجمع أصداء ، ويقال له : ابن الجبل وابن طود وبنات رضوى . وقال العديس العبدى : الصدى الطائر الذى يبصر بالليل ويقفز قفزا ويطفر ، والناس يرونه الجندب وإنما هو الصدى . فأما الجندب فإنه أصغر من الصدى ، والصدى صوت يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه ، وقد تقدم فى بابى الباء الموحدة والزاى قول صاحب ليلى الأخيلية :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

والصدى : هو الصوت الذى يجيبك من الجبال وغيرها ، ولأبى المحاسن بن الشواء فى شخص لا يكتم السر وقد أجاد فيه :

لى صديق غدا وإن كان لا ينـ ـطق إلا بغيبـة أو محال
أشبه الناس بالصدى إن تحدثـ ـه حـديثا أعاده فى الحال

يقال : صم صداه وأصم الله صداه : أى أهلكه الله ، لأن الرجل إذا مات لم يسمع الصدى منه شيئا فيجيبه ، ومنه قول الحجاج لأنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : إياك أعنى أصم الله صداك .

روى عن على بن زيد بن جدعان : أن أنسا رضى الله تعالى عنه دخل على الحجاج

ابن يوسف الثقفى الجائر المبير ، فقال له الحجاج : إيه يا خبيث شيخا جوالا فى الفتن مع أبى تراب مرة ومع ابن الزبير أخرى ومع ابن الأشعث مرة ومع ابن الجارود أخرى ، أما والله لأجردنك جرد الضب ولأقلعنك قلع الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة ، العجب من هؤلاء الأشرار أهل البخل والنفاق ، فقال أنس رضى الله تعالى عنه : من يعنى الأمير ، فقال : إياك أعنى أصم الله صداك ، قال على بن زيد : فلما خرج أنس من عنده قال : أما والله لولا ولدى لأجبته ، ثم كتب إلى عبد الملك بن مروان بما كان من الحجاج إليه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتابا وأرسله مع إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم فقدم على الحجاج وبدأ بأنس فقال له : إن أمير المؤمنين قد أكبر ما كان من الحجاج إليك وأعظم ذلك وأنا لك ناصح إن الحجاج لايعدله عند أمير المؤمنين أحد ، وقد كتب إليه أن يأتيك وأنا أرى أن تأتيه فيعتذر إليك فتخرج من عنده وهو لك معظم وبحقك عارف ، ثم أتى الحجاج فأعطاه كتاب عبد الملك فقرأه فتمعر وجهه وأقبل يمسح العرق عن وجهه ويقول : غفر الله لأمير المؤمنين ماكنت أراه يبلغ منى هذا ، قال إسماعيل : ثم رمى بالكتاب إلى وهو يظن أنى قرأته ، ثم قال : اذهب بنا إليه يعنى أنسا ، فقلت : لا بل يأتيك أصلحك الله ، فأتيت أنسا رضى الله عنه فقلت : اذهب بنا إلى الحجاج ، فأتاه فرحب به وقال عجلت باللائمة يا أبا حمزة إن الذى كان منى إليك كان عن غير حقد ، ولكن أهل العراق لا يحبون أن يكون لله عليهم سلطان يقيم حجته ، ومع هذا فأنا أردت أن يعلم منافقو أهل العراق وفساقهم أنى متى أقدمت عليك فهم على أهون وأنا إليهم أسرع ، ولك عندنا العتبى حتى ترضى ، فقال أنس : ما عجلت باللائمة حتى تناولت منى العامة دون الخاصة ، وحتى شمت بنا الأشرار وقد سمانا الله الأنصار ، وزعمت أنا أهل بخل ونحن المؤثرون على أنفسهم ، وزعمت أنا أهل نفاق نحن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، وزعمت أنك اتخذتنى ذريعة لأهل العراق باستحلالك منى ما حرم الله عليك وبيننا وبينك الله حكم هو أرضى للرضا وأسخط للسخط إليه جزاء العباد وثواب أعمالهم ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، فوالله إن النصارى على شركهم وكفرهم لو رأوا رجلا قد خدم عيسى عليه السلام يوما واحدا لأكرموه وعظموه ، فكيف لم تحفظ لى خدمتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فإن يكن منك إحسان شكرنا ذلك منك ، وإن يكن غير ذلك صبرنا إلى أن يأتى الله بالفرج .

قال : وكان كتاب عبد الملك إلى الحجاج : أما بعد ، فإنك عبد طمت بك الأمور حتى عدوت طورك وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب لقد هممت أن أضغمك ضغمة كضغمات الليوث للثعالب وأخبطك خبطة تود أنك زاحمت مخرجك من بطن أمك قد بلغنى ما كان

منك إلى أنس بن مالك ، وأظنك أردت أن تختبر أمير المؤمنين فإن كان عنده غيره ولا أمضيت قدما فلعنة الله عليك وعلى آبائك أخفش العينين ممسوح الحاجبين أحمش الساقين نسيت مكان آبائك بالطائف وما كانوا عليه من الدناءة واللؤم إذ يحفرون الآبار فى المناهل بأيديهم وينقلون الحجارة على ظهورهم ، فإذا أتاك كتابى هذا وقرأته فلا تلقه من يدك حتى تلقى أنسا بمنزله واعتذر إليه ، وإلا بعث إليك أمير المؤمنين من يسحبك ظهرا لبطن حتى يأتى بك أنسا فيحكم فيك ، ولن يخفى على أمير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون فلا تخالف كتاب أمير المؤمنين وأكرم أنسا وولده وإلا بعثت إليك من يهتك سترك ويشمت بك عدوك والسلام ، توفى أنس رضى الله تعالى عنه سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وتسعين بالبصرة ، وهو آخر الصحابة موتا بها رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

﴿ الصراخ ﴾ : ككتاب : الطاوس ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الطاء المهملة :

﴿ صرار الليل ﴾ : الجدجد ، وقد تقدم لفظه فى باب الجيم ، وهو أكبر من الجندب ، وبعض العرب يسميه الصدى .

﴿ الصراخ ﴾ : كرمان : طائر معروف عند العرب يؤكل .

﴿ الصرد ﴾ : كرطب ، قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : هو مهمل الحروف على وزن جعل وكنيته : أبو كثير ، وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير ، والجمع صردان قاله النضر بن شميل ، وهو أبقع ضخم الرأس يكون فى الشجرة نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار له برثن عظيم يعنى أصابعه عظيمة لا يرى إلا فى سعفة أو شجرة لا يقدر عليه أحد ، وهو شرس النفس شديد النفرة غذاؤه من اللحم وله صفير مختلف يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه إلى التقرب منه فإذا اجتمعوا إليه شد على بعضهم ، وله منقار شديد فإذا نقر واحدا قده من ساعته وأكله ولا يزال هذا دأبه ، ومأواه الأشجار ورءوس التلاع وأعالى الحصون .

(فائدة) نقل الإمام العلامة أبو الفرج بن الجوزى فى [المدهش] فى قوله تعالى — وإذ قال موسى لفتاه — الآية ، عن ابن عباس والضحاك ومقاتل رضى الله عنهم قالوا : إن موسى صلى الله عليه وسلم لما أحكم التوراة وعلم ما فيها قال فى نفسه : لم يبق فى الأرض أحد أعلم منى من غير أن يتكلم مع أحد ، فرأى فى منامه كأن الله تعالى أرسل السماء بالماء حتى غرق ما بين المشرق والمغرب ، فرأى قناة على البحر فيها صردة فكانت الصردة تجىء للماء الذى أغرق الأرض فتنقل الماء بمنقارها ثم تدفعه فى البحر ، فلما استيقظ الكليم هاله

ذلك ، فجاء جبريل فقال : مالى أراك ياموسى كئيبا ، فأخبره بالرؤيا ، فقال : إنك زعمت أنك استغرقت العلم كله فلم يبق فى الأرض من هو أعلم منك ، وإن لله تعالى عبدا علمك فى علمه كالماء الذى حملته الصردة بمنقارها فدفعته فى البحر ، فقال : يا جبريل من هذا العبد؟ قال : الخضر بن عاميل من ولد الطيب يعنى إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أين أطلبه ؟ قال : اطلبه من وراء هذا البحر ، فقال : من يدلنى عليه ؟ قال : بعض زادك ، قالوا : فمن حرصه على لقياه يستخلف على قومه ومضى لوجهه ، وقال لفتاه يوشع بن نون : هل أنت موازرى ؟ قال : نعم . قال : اذهب فاحمل لنا زادا ، فانطلق يوشع فاحتمل أرغفة وسمكة مالحة عتيقة ، ثم سارا فى البحر حتى خاضا وحلا وطينا ولقيا تعبا ونصبا حتى انتهيا إلى صخرة ناتئة فى البحر خلف بحر أرمينية يقال لتلك الصخرة قلعة الحرس فأتياها ، فانطلق موسى ليتوضأ فاقتحم مكانا فوجد عينا من عيون الجنة فى البحر فتوضأ منها وانصرف ولحيته تقطر ماء ، وكان عليه الصلاة والسلام حسن اللحية ولم يكن أحد أحسن لحية منه ، فنفض موسى لحيته فوقعت قطرة منها على تلك السمكة المالحة وماء الجنة لايصيب شيئا ميتا إلا عاش فعاشت السمكة ووثبت فى البحر فسارت وصار مجراها فى البحر سربا يبسا ، ونسى يوشع ذكر السمكة — فلما جاوزا قال موسى لفتاه آتنا غداءنا — الآية ، فذكر له أمر السمكة ، فقال له : ذلك الذى نريده ، فرجعا يقصان أثرهما فأوحى الله تعالى إلى الماء فجمد وصار سربا على قامة موسى وفتاه ، فجرى الحوت أمامهما حتى خرج إلى البر وسار فصار مسيره لهما جادة فسلكاها فناداهما مناد من السماء : أن دعا الجادة فإنها طريق الشياطين إلى عرش إبليس وخذا ذات اليمين ، فأخذا ذات اليمين حتى انتهيا إلى صخرة عظيمة وعندها مصلى ، فقال موسى عليه السلام : ما أحسن هذا المكان ينبغى أن يكون للعبد الصالح ، فلم يلبثا أن جاء الخضر عليه السلام حتى انتهى إلى ذلك المكان والبقعة ، فلما قام عليها اهتزت خضراء ، قالوا : وإنما سمى الخضر لأنه لايقوم على بقعة بيضاء إلا صارت خضراء ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : السلام عليك يا خضر . فقال : وعليك السلام يا موسى يا نبى بنى إسرائيل ، فقال : ومن أدراك من أنا ؟ قال : أدرانى الذى دلك على مكانى ، فكان من أمرهما ما كان وما قصه القرآن العظيم انتهى . وقد تقدم ذكرهما أيضا فى باب الحاء المهملة فى الحوت ، ونقلنا الخلاف فى اسم الخضر ونسبه ونبوته . قال القرطبى : ويقال له الصرد الصوام .

روينا فى معجم عبد الغنى بن قانع عن أبى غليظ أمية بن خلف الجمحى قال : رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يدى صرد فقال صلى الله عليه وسلم : « هذا أول طير صام » ويروى إنه أول طير صام يوم عاشوراء ، وكذلك أخرجه الحافظ أبو موسى والحديث مثل

اسمه غليظ ، قال الحاكم : وهو من الأحاديث التى وضعها قتلة الحسين رضى الله عنه رواه عبد الله بن معاوية بن موسى عن أبى غليظ قال : رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يدى صرد فقال : هذا أول طائر صام عاشوراء ، وهو حديث باطل رواته مجهولون .

(فائدة) قيل لما خرج إبراهيم صلى الله عليه وسلم من الشام لبناء البيت كانت السكينة معه والصرد فكان الصرد دليله على الموضع والسكينة بمقداره ، فلما صار إلى موضع البيت وقفت السكينة فى موضع البيت ونادت : ابن إبراهيم على مقدار ظلى . قال جماعة من المفسرين : إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل خلق الأرض بألفى عام ، فكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها ، فلما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض استوحش فشكا إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى له البيت المعمور ، وهو ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زبرجد أخضر باب شرقى وباب غربى ، فوضع على موضع البيت وقال : يا آدم إنى أهبطت إليك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى ، وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى ، وأنزل الحجر الأسود ، وكان بياضه أشد من اللبن فاسود من لمس الحيض فى الجاهلية ، فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيا ، وقيض الله له ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك ، فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا : بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام . وروى أن آدم عليه السلام حج أربعين حجة من الهند إلى مكة ماشيا ، وكان البيت على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام فخبأ الحجر الأسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعد ماولد له إسماعيل عليه الصلاة والسلام ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان شبه الحية ، وقيل الخجوج الريح الشديدة الهفافة البراقة لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنبها ولها جناحان من دروزبرجد وعينان لهما شعاع ، وقال على رضى الله عنه : هى ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان ، وأمر إبراهيم عليه السلام أن يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الحية قاله على والحسن رضى الله عنهما . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم عليه السلام يمشى فى ظلها إلى أن وافت به مكة المشرفة ووقفت عند البيت المعظم فنودى منها إبراهيم عليه السلام ابن على ظلها ولا تزد ولا تنقص ، وقيل أرسل الله جبريل عليه السلام فدله على موضع البيت ، وقيل كان دليله الصرد كما تقدم فكان إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة فبنياه من خمسة أجبل : طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهى جبال بالشام ، والجودى وهو جبل

بالجزيرة ، وبنيا القواعد من حراء وهو جبل بمكة ، فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لابنه إسماعيل : ائتنى بحجر حسن يكون للناس علما ، فأتاه بحجر ، فقال : ائتنى بأحسن من هذا ، فمضى إسماعيل ينظر حجرا فصاح أبو قبيس : يا إبراهيم إن لك عندى وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه ، وقيل أول من بنى الكعبة آدم عليه السلام واندرس زمن الطوفان ثم أظهره الله تعالى لإبراهيم حتى بناه فذلك قوله تعالى — وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت — يعنى أسسه واحدتها قاعدة . وقال الكسائى : يعنى جدره .

(الحكم) الأصح تحريم أكله لما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وصححه عبد الحق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النحلة والنملة والهدهد والصرد » والنهى عن القتل دليل على الحرمة ولأن العرب تتشاءم بصوته وشخصه ، وقيل إنه يؤكل لأن الشافعى أوجب فيه الجزاء على المحرم إذا قتله وبه قال مالك . قال الإمام العلامة القاضى أبو بكر بن العربى : إنما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتله لأن العرب كانت تتشاءم به فنهى عن قتله ليخلع عن قلوبهم ماثبت فيها من اعتقادهم الشؤم فيه لا أنه حرام ، وذكره العبادى فى [الطبقات] أيضا .

(عجيبة) حكى منصور بن الحسين الآبى فى [نثر الدرر] : أن أعرابيا سافر ابنه ثم أتاه فقال له أبوه : ما رأيت فى طريقك ؟ قال : جئت السقاء مرة أشرب ، فصاح الصرد فقال : اتركها وإلا فلست بابنى . قال : فتركتها . قال : ثم أخذنى العطش فأتيت إليها ثانيا فصاح الصرد فقال : اتركها وإلا فلست بابنى . قال : فتركتها ، ثم زاد بى العطش فأتيت إليها ثالثا ، فصاح الصرد فقال : قدها بسيفك وإلا فلست بابنى . قال : كذلك فعلت . قال : هل رأيت الحية داخلها ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر .

قال : وسافر ولد أعرابى ثم أتى إليه ، فقال : أخبرنى ماذا رأيت فى طريقك ؟ قال : رأيت طائرا على أكمة ، فقال الصرد : أطره وإلا لست أباك . قال : فأطرته . قال : ثم ماذا ؟ قال : سقط على شجرة . فقال : أطره وإلا لست أباك . قال : كذلك فعلت . قال : ثم ماذا ؟ قال : سقط على صخرة . قال : اقلبها وإلا لست أباك . قال : كذلك فعلت . قال : أعطنى سهمى مما وجدت تحتها ، وكان تحتها كنز أخذه ولده فأعطاه سهمه منه .

(التعبير) هو فى المنام يدل على رجل مراء يظهر الخشوع نهارا ويفجر ليلا ، وقيل هو من قطاع الطريق يجمع أموالا كثيرة ولا يخالط أحدا .

﴿ الصرصر ﴾ : ويقال له الصرصار أيضا حيوان فيه شبه من الجراد قفاز يصيح صياحا

رقيقا وأكثر صياحه بالليل ولذلك سمى صرار الليل ، وهو نوع من بنات وردان عرى عن الأجنحة ، وقيل إنه الجدجد وقد تقدم أن الجوهرى فسر الجدجد بصرار الليل ولايعرف مكانه إلا بتتبع صوته ، وأمكنته المواضع الندية وألوانه مختلفة فمنه ماهو أسود ومنه ماهو أزرق ومنه ماهو أحمر ، وهو جندب الصحارى والفلوات .

(وحكمه) تحريم الأكل لاستقذاره .

(الخواص) قال ابن سينا : إنه مع القردمانة نافع من البواسير والنافض وسموم الهوام ، ويحرق ويسحق ويضاف إلى الإثمد ويكتحل به يحد البصر ، ومع مرارة البقر ينفع من طرفة العين اكتحالا .

﴿ الصرصران ﴾ : سمك أملس معروف .

﴿ الصعب ﴾ : طائر صغير والجمع صعاب .

﴿ الصعوة ﴾ : طائر من صغار العصافير أحمر الرأس ، وهو بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين والجمع صعو ، وفى كتاب العين والمحكم صغار العصافير . روى أحمد فى كتاب الزهد عن مالك بن دينار أنه كان يقول : الناس أشكال كأجناس الطير الحمام مع الحمام والبط مع البط والصعو مع الصعو والغراب مع الغراب وكل إنسان مع شكله ، ومن شعر القاضى أحمد بن محمد الأرجانى بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة مع خلاف فى تشديدها ، وهو شيخ العماد الأصبهانى الكاتب ، ووفاته فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة :

لو كنت أجهل ماعلمت لسرنى جهلى كما قد ساءنى ما أعلم
كالصعو يرتع فى الرياض وإنما حبس الهزار لأنه يتكلم

ومن شعره أيضا وأجاد :

أحب المرء ظاهره جميل لصاحبه وباطنه سليم
مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

وهذا البيت الأخير يقرأ معكوسا من آخره إلى أوله ولا يتغير شىء من لفظه ولا من معناه ، ومن شعره أيضا رحمه الله :

شاور سواك إذا نابتك نائبة يوماوإن كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا من دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة

ومن شعره أيضا :

بأبى العذار المستدير بخده وكمال بهجة وجهه المنعوت
فكأنما هو صولجان زمرد متلقف كرة من الياقوت

ويقرب من هذا المعنى ماحكاه ابن خلكان قال : كان بين العماد الكاتب تلميذ القاضى الأرجانى وبين القاضى الفاضل محاورات ، فمن ذلك أنه لقيه يوما وهو راكب فرسا فقال له العماد : سر فلا كبا بك الفرس ، فقال له الفاضل : دام على العماد ، وهذا أيضا مما يقرأ من آخره إلى أوله ولا يتغير شيء من لفظه ولا معناه ، وروى أنهما اجتمعا يوما فى موكب السلطان وقد انتشر من الغبار ماسد الفضاء فأنشد العماد الكاتب :

أما الغبار فإنه مما أثارته السنابك
والجو منه مظلم لكن أنار به السنا بك
يا دهر لى عبد الرحيم فلست أخشى مس نابك

وهذا التجنيس فى غاية الحسن . توفى العماد فى مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية ، وتوفى الفاضل فى سابع شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة ودفن بتربة بسفح المقطم .

(وحكمها وخواصها وتعبيرها) كالعصافير .

(الأمثال) قالوا: أضعف من صعوة ، كما قالوا : أضعف من وسعة .

﴿ الصفارية ﴾ : بضم الصاد وتشديد الفاء طائر يقال له التبشر ، وقد تقدم ذكره فى باب التاء المثناة فوق .

﴿ الصفر ﴾ : بفتح الصاد والفاء . قيل : إن الجاهلية كانت تعتقد أن فى الجوف حية على شراسيفه ، والشراسيف أطراف الأضلاع التى تشرف على البطن يقال لها الصفر إذا تحركت جاع الإنسان وتؤذيه إذا جاع وأنها تعدى فأبطل الإسلام ذلك ، روى مسلم عن جابر وأبى هريرة وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول » .

ومعنى لاعدوى : مايتوهم من تعدى مرض من جرب وحكة وغيرهما من الأمراض من شخص به ذلك المرض إلى شخص آخر بسبب مخالطة وغيرها ، وفى الحديث الصحيح « أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنك قلت: لاعدوى، فما بال الإبل تكون سليمة حتى يدخل فيها البعير الأجرب فتصبح جربى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : فمن أعدى الأول ؟» فرد عليه الصلاة والسلام ماتوهمه من تعدى المرض بنفسه ، وأعلمه أن الله تعالى هو المؤثر ، وقد تقدم فى باب الهمزة الأسد فى الكلام على المجذوم قريب من هذا .

ومعنى الطيرة يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الطاء المهملة المشالة .

وأما الصفر فيه تأويلان : أحدهما المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر وهو النسىء الذى كانوا يفعلونه وبهذا قال مالك وأبو حنيفة . والثانى أنه الحية التى كانت العرب تعتقد فيها ماتقدم ، قال الإمام النووى : وهذا التفسير هو الصحيح الذى عليه عامة العلماء . وقد ذكره مسلم عن جابر رضى الله عنه راوى الحديث فتعين اعتماده ، ويجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعا وأن الصفرين جميعا باطلان لا أصل لهما ، والله أعلم .

﴿ الصفرد ﴾ : بكسر أوله وسكون ثانيه كعربد نقل الميدانى عن أبى عبيدة أنه طائر من خساس الطير ، وفى المثل : أجبن من صفرد . قال الشاعر :

تراه كالليث لدى أمنه وفى الوغى أجبن من صفرد

وقال الجوهرى : الصفرد طائر تسميه العامة أبا مليح ، وفى المرصع أن أبا المليح كنية القبج والعندليب وطائر صغير يقال له الصفرد كالعصفور ، وهو داخل فى عموم العصافير .

﴿ الصقر ﴾ : الطائر الذى يصاد به قاله الجوهرى ، وقال ابن سيده : الصقر كل شىء يصيد من البزاة والشواهين ، والجمع أصقر وصقور وصقورة وصقار وصقارة قال سيبويه : إنما جاءوا بالهاء فى مثل هذا الجمع تأكيدا نحو بعولة والأنثى صقرة وصقر هو الأجدل ويقال له القطامى ، وكنيته : أبو شجاع وأبو الأصبع وأبو الحمراء وأبو عمرو وأبو عمران وأبو عوان . قال النووى فى شرح المهذب : قال أبو زيد الأنصارى المروزى : يقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور واحدها صقر والأنثى صقرة وزقر بإبدال الصاد زايا وسقر بإبدالها سينا . وقال الصيدلانى فى شرح المختصر : كل كلمة فيها صاد وقاف ففيها اللغات الثلاث كالبصاق والبزاق والبساق ، وأنكر ابن السكيت بسق وقال : إنما معناه طال قال الله تعالى — والنخل باسقات — أى مرتفعات ، روى أحمد فى مسنده حدثنا قبيصة قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع . قال : فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار ، فقالت لمن فى البيت : من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لنفتضحن ! فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود : من أنت ؟ قال : أنا الذى لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب ، فقال داود : أنت إذن والله ملك الموت مرحبا بأمر الله ثم مكث مكانه حتى قبضت روحه ، فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس . فقال سليمان للطير :

أظلى على داود ، فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض ، فقال سليمان للطير : اقبضى جناحا جناحا . قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يرينا كيف فعلت الطير ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وغلبت عليه يومئذ المضرحية» انفرد بإخراجه الإمام أحمد وإسناده جيد ورجاله ثقات ، ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرحية : أى غلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة واحدها مضرحى . قال الجوهرى : وهو الصقر الطويل الجناح ، ويوضح هذا المعنى ويبينه ماروى عن وهب بن منبه أنه قال : إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا فى الشمس فى يوم صائف ، وكان قد شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس فآذاهم الحر فنادوا سليمان عليه السلام أن يعمل لهم وقاية عليهم لما أصابهم من الحر ، فخرج سليمان فنادى الطير فأجابت فأمرها أن تظل الناس فتراص بعضها إلى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غما ، فصاحوا إلى سليمان عليه السلام من الغم فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلى الناس من ناحية الشمس وتنحى عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس فى ظل وتهب عليهم الرياح فكان ذلك أول مارأوه من ملك سليمان عليه السلام .

(فائدة) قال الضحاك والكلبى : ملك داود عليه السلام بعد قتله جالوت سبعين سنة ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود عليه السلام ، وجمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يجتمع ذلك لأحد قبله بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط فذلك قوله تعالى — وآتاه الله الملك والحكمة — قيل العلم مع العمل وكل من علم وعمل فقد أوتى الحكمة ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان داود أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل فذلك قوله تعالى —وشددنا ملكه— وقال مقاتل : كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان شاكرا لأنعم الله تعالى ، وكان داود أشد تعبدا منه توفى داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ، وكان عمر سليمان عليه السلام لما وصل إليه الملك ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

والصقر أحد أنواع الجوارح الأربعة : وهى الصقر ، والشاهين ، والعقاب ، والبازى وتنعت أيضا بالسباع والضوارى والكواسر ، والصقر ثلاثة أنواع : صقر ، وكونج ، ويؤيؤ والعرب تسمى كل طائر يصيد صقرا ماخلا النسر والعقاب ، وتسميه الأكدر والأجدل والأخيل ، وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنه أصبر عن الشدة وأحمل لغليظ الغذاء والأذى وأحسن إلفا وأشد إقداما على جملة الطير من الكركى وغيره ؛ ومزاجه أبرد من سائر ماتقدم ذكره من الجوارح وأرطب وبهذا السبب يضرى على الغزال والأرنب ولا

يضرى على الطير لأنها تفوته ، وهو أهدأ من البازى نفسا وأسرع أنسا بالناس وأكثرها قنعا يغتذى بلحوم ذوات الأربع ولبرد مزاجه لايشرب ماء ولو أقام دهرا ولذلك يوصف بالبخر ونتن الفم ، ومن شأنه أنه لايأوى إلى الأشجار ولا رءوس الجبال إنما يسكن المغارات والكهوف وصدوع الجبال ، وللصقر كفان فى يديه وللسبع كفان فى يديه لأنه يكف بهما عما أخذ أى يمنع ، وأول من صاد به الحارث بن معاوية بن ثور وذلك أنه وقف يوما على صياد وقد نصب شبكة للعصافير فانقض صقر على عصفور وجعل يأكله والحارث يعجب منه فأمر به فوضع فى بيت ووكل به من يطعمه ويؤدبه ويعلمه الصيد ، فبينما هو معه ذات يوم وهو سائر إذ لاحت أرنب فطار الصقر إليها فأخذها فازداد الحارث به إعجابا واتخذه العرب بعده .

الصنف الثانى من الصقور : الكونج ، ونسبته من الصقور كنسبة الزرق إلى البازى إلا أنه أحر منه ، ولذلك هو أخف منه جناحا وأقل بخرا ، ويصيد أشياء من صيد الماء ويعجز عن الغزال الصغير .

الصنف الثالث من الصقور : اليؤيؤ ، ويسميه أهل مصر والشام الحلم لخفة جناحيه وسرعتهما ، ولأن الحلم هو الذى يجز به وهو المقص ؛ وهو طائر صغير قصير الذنب ومزاجه بالنسبة إلى الباشق بارد رطب لأنه أصبر منه نفسا وأثقل حركة ، ولا يشرب الماء إلا ضرورة كما يشربه الباشق إلا أنه أبخر منه ، ومزاجه بالنسبة إلى الصقر حار يابس ولذلك هو أشجع منه ، ويقال إن أول من ضراه واصطاد به بهرام جور وذلك أنه شاهد يؤيؤا يطارد قنبرة ويراوغها ويرتفع وينخفض معها وما تركها إلى أن صادها فأعجبه وأمر به فأدب وصاد به وقال الناشىء فى وصفه :

ويؤيؤ مهـذب رشيق كأن عينيه لدى التحقيق
فصان مخروطان من عقيق

وقال أبو نواس فى وصفه :

قد أغتدى والصبح فى دجاه كطرة البدر لدى مثناه
بيؤيؤ يعجب من رآه مافى اليآبى يؤيؤ سواه
أزرق لاتكذبه عيناه فلو يرى القانص مايراه
فداه بالأم وقد فداه هو الذى خولناه الله

تبارك الله الذى هده

(فائدة أدبية) ذكر الإمام العلامة الطرطوشى فى [سراج الملوك] عن الفضل بن مروان قال : سألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال : بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان فى يده . قلت

كيف حكمه ؟ قال : يرد المظالم ويردع الظالم ويعطى كل ذى حق حقه فالرعية اثنان مغتبط وراض . قلت : فكيف هيبته فيهم ؟ قال : تصورت فى قلوبهم فتغضى له العيون . فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائى إليه وإقبالى عليه وكانت الرسل تنزل عندى ، فقال لترجمانه ماالذى يقول الرومى ؟ قال : يصف له ملكهم ويذكر سيرته ، فكلم ترجمانه فقال لى الترجمان : إنه يقول إن ملكهم ذو أناة عند القدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الإجرام ، قد كسا رعيته جميل نعمته وقسرهم بعنيف عقوبته ، فهم يتراءونه ترائى الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت نكالا ، قد وسعهم عدله وراعهم قهره ، لا تمتهنه مزحة ولا تواليه غفلة ، إذا أعطى أوسع وإذا عاقب أوجع فالناس اثنان راج وخائف فلا الراجى خائب الأمل ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف كانت هيبتهم له ؟ قال : لا ترجع العيون إليه أجفانها ولا تتبعه الأبصار إنسانها كأن رعيته طيور رفرف عليهم صقور صوائد . قال الفضل : فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال : يا فضل كم قيمتهما عندك ؟ قلت : ألفا درهم ، قال : إن قيمتهما عندى أكثر من الخلافة ، أما علمت حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسن ، أفتعرف أحدا من الخطباء والبلغاء يحسن أن يصف أحدا من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة ؟ قلت : لا . قال : أمرت لهما بعشرين ألف دينار معجلة وأجعل العدة بينى وبينهما على العود فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت إعطاءهما جميع مافى بيت المال دون ما استحقاه اه . وكان الفضل بن مروان قد أخذ البيعة للمعتصم ببغداد والمعتصم بالروم مع المأمون فاعتد المعتصم له بها يدا واستوزره فغلب عليه واستقل بالأمور فكانت الخلافة للمعتصم اسما وللفضل معنى ، قيل إن الفضل جلس يوما لأشغال الناس فرفعت إليه قصص العامة فرأى فيها رقعة مكتوبا فيها هذه الأبيات :

تفرعنت يا فضل بن مروان فاعتبر ... فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم ... أبادتهم الأقياد والحبس والقتل
وإنك قد أصبحت فى الناس ظالما ... ستؤذى كما أوذى الثلاثة من قبل

أراد الفضل بن يحيى البرمكى والفضل بن الربيع والفضل بن سهل ، وكان المعتصم يأمر بإعطاء المغنى والنديم فلا ينفذ الفضل ذلك فحقد المعتصم عليه لذلك ونكبه وأهل بيته ، وجعل مكانه محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان الفضل مذموم الأخلاق ، فلما نكب شمت به الناس حتى قال فيه بعضهم :

لتبك على الفضل بن مروان نفسه ... فليس له باك من الناس يعرف
لقد صحب الدنيا منوعا لخيرها ... وفارقها وهو الظلوم المعنف

إلى النار فليذهب ومن كان مثله على أى شيء فاتنا منه نأسف ؟

ولما نكب المعتصم الفضل بن مروان قال : عصى الله فى طاعتى فسلطنى عليه ، وكان المعتصم قد أخذ ماله ولم يتعرض لنفسه ، وقيل إنه أخذ من داره ألف ألف دينار وأثاثا وآنية بألف ألف دينار وحبسه خمسة أشهر وأطلقه فخدم بعد ذلك جماعة من الخلفاء . وتوفى سنة خمسين ومائتين ، ومن كلامه : لا تتعرض لعدوك وهو مقبل فإن إقباله يعينه عليك ، ولا تتعرض له وهو مدبر فإن إدباره يكفيك أمره .

(فائدة أخرى أدبية أيضا) قد تقدمت الإشارة إليها فى الرسالة التى كتبتها فى اشاهين قول أبى الحسن على بن الرومى فى قصيدته التى يقول فيها :

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم
كأنه الشمس فى البرج المنيف به على البرية لا نار على عـلم

مراده بالبرج قصره العالى لما شبهه بالشمس جعل قصره برجا ، وأراد التلميح على الخنساء فى قولها فى أخيها صخر :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

قال شيخنا شمس الدين محمد بن العماد : وأبو الصقر لم أقف له على ترجمة ولا وفاة ، وأبوه ابن عم معن بن زائدة الشيبانى ، وكان من قواد أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور ، وتولى الأعمال الجليلة والولايات السنية ، وتوفى قبل الثمانين ومائة ، وكان يسكن البادية هو وولده أبو الصقر ، وإليه الإشارة بقول ابن الرومى فى البيت بين الضال والسلم وهما من شجر البادية وتولى أبو الصقر بعض الولايات للواثق هارون بن المعتصم وولده المنتصر من بعده ، وعاش إلى خلافة المعتضد وولده المعتمد ، وسكنى البادية مما يتمدح به العرب ، ومنه قوله :

الموقدين بنجد نار بادية لايحضرون وفقد العز فى الحضر

ولم أر له أكثر من ذلك اه . وتوفى أبو الحسن بن الرومى ببغداد فى جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وفيه خلاف ، وكان سبب موته على ما قاله ابن خلكان وغيره أن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد خاف من هجوه فدس عليه أبو فراس فأطعمه خشكنانة مسمومة ، فلما أحس بالسم قام ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب؟ فقال : إلى الموضع الذى بعثتنى إليه ، فقال : سلم على والدى ، فقال : ما طريقى على النار ، فأقام أياما ومات .

(الحكم) يحرم أكل الصقر لعموم النهى عن أكل كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير . قال الصيدلانى : اختلف فى الجوارح ما هى ؟ فقيل ما يجرح الصيد بناب أو مخلب أو ظفر ، وقيل الجوارح الكواسب . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : الجوارح الصوائد ، وهذا راجع إلى معنى الكسب اه . فجميع الجوارح عندنا محرمة لعموم هذا النهى

المتقدم ذكره قريبا ، وذهب مالك إلى حلها وقال : ما لا نص فيه حلال حتى عدى بعض أصحابه ذلك إلى الكلب والأسد والنمر والدب والقرد وغير ذلك. وقال فى الحمار الأهلى : إنه مكروه ، وفى الفرس والبغل إنهما حرامان احتجاجا بقوله تعالى — قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما — الآية . وأجاب الشافعى عن ذلك فقال : يعنى مما كنتم تأكلون إذ لا معنى لإباحة شىء مما لا يأكلونه ولا يستطيبونه كما لا يصح أن يحمل قوله تعالى — وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما — على ما هو حرام ، قيل وإنما يصح على ما يعتاد صيده .

(الأمثال) قالوا : أخلف من صقر وهو خلوف الفم بفتح الخاء المعجمة وهو تغير رائحته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » ووقع نزاع بين الشيخ أبى عمرو بن الصلاح والشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمهما الله تعالى فى أن هذا الطيب فى الدنيا والآخرة معا أم فى الآخرة خاصة ؟ فقال الشيخ عز الدين : فى الآخرة خاصة لقوله صلى الله عليه وسلم فى رواية لمسلم « والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة » وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : هو عام فى الدنيا والآخرة ، واستدل بأشياء كثيرة فذكرها : منها ما جاء فى مسند ابن حبان بكسر الحاء المهملة ، وهو من أصحابنا الفقهاء المحدثين قال : باب فى كون ذلك يوم القيامة وباب فى كونه فى الدنيا ، وروى فى هذا الباب بإسناده الثابت الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال « لخلوف فم الصائم حين يخلف أطيب عند الله من ريح المسك » وروى الإمام أبو الحسن ابن سفيان بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا . قال: وأما الثانية فإنهم يمسون وخلوف أفواههم عند الله أطيب من ريح المسك » ورواه الإمام الحافظ أبو بكر السمعانى فى أماليه وقال: هو حديث حسن ، وكل واحد من المحدثين مصرح بأنه بمجىء وقت وجود الخلوف فى الدنيا يتحقق وصفه بكونه أطيب عند الله من ريح المسك . قال : وقد قال العلماء شرقاً وغرباً بمعنى ما ذكرته فى تفسيره ، قال الخطابى : طيبه عند الله رضاه به ، وقال ابن عبد البر : معناه أذكى عند الله وأقرب إليه وأرفع عنده من ريح المسك ، وقال البغوى فى شرح السنة : معناه الثناء على الصائم والرضا بفعله ، وكذا قاله الإمام القدورى إمام الحنفية فى كتابه فى الخلاف . معناه أفضل عند الله من الرائحة الطيبة ، وقاله الإمام العلامة البونى صاحب اللمعة وغيرها وهو من قدماء المالكية ، وكذا قاله الإمام أبو عثمان الصابونى وأبو بكر السمعانى وأبو حفص بن الصفار من أكابر الشافعية فى آمالهم ، وأبو بكر بن العربى المالكى وغيرهم ، فهؤلاء أئمة المسلمين شرقاً وغرباً لم يذكروا سوى ما ذكرته ، ولم يذكر أحد منهم وجهاً بتخصيصه بالآخرة مع أن كتبهم جامعة للوجوه المشهورة والغريبة ، ومع أن الرواية التى فيها ذكر يوم القيامة مشهورة

فى الصحيح بل جزموا بأنه عبارة عن الرضا والقبول ونحوهما مما هو ثابت فى الدنيا والآخرة وأما ذكر يوم القيامة فى تلك الرواية فلأنه يوم الجزاء ، وفيه يظهر رجحان الخلوف على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلباً لرضا الله تعالى حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة كما فى المساجد والصلوات وغيرها من العبادات فخص يوم القيامة بالذكر فى رواية لذلك كما خص فى قوله تعالى — إن ربهم بهم يومئذ لخبير — وأطلق فى باقى الروايات أن فضيلته ثابتة فى الدارين اهكلام الشيخ أبى عمرو رحمه الله . والذى ينبغى أن يعلم أن جميع ما وقع فيه الخلاف بينهما فالصواب فيه ما قاله الشيخ عزالدين بن عبد السلام إلا هذه المسألة فإن الصواب فيها ما قاله الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله والله تعالى أعلم ، وقالوا : أبخر من صقر . قال الشاعر :

وله لحيـة تيس وله منقار نسر
ولـه نـكهة ليث خالطت نـكهة صقر

(الخواص) قال ابن زهر : الصقر لامرارة له وإذا أمسكه إنسان مات فرقا ، ودماغه إذا دلك به القضيب هيج الباه . وقال أبو سارى الديلمى فى عين الخواص له : ودماغ الصقر إذا مسح به الـكلف الأسود قلعه ونقاه ، وإذا مسح به الحزاز أذهبه .

(التعبير) قال ابن المقرى : رؤية الصقر تدل على العز والسلطان والنصر على الأعداء وبلوغ الآمال والرتبة والأولاد والأزواج والمماليك والسرارى ونفائس الأموال والصحة وتفريج الهموم والأنـكاد وصحة الأبصار وكثرة الأسفار وعوده بالربح الطائل ، وربما دل على الموت لاقتناصه الأرواح ، وربما دل على السجن والترسيم والتقتير فى المطعم والمشرب والمعلم بالنسبة إلى الغشيم يدل على رجل فصيح ، وكذلك سباع الطير بأسرها لأنها تجوز على الحيوان فتكسر عظمه وتهشم لحمه ، فمن رأى من هـذه الجوارح شيئا من غير منازعة فإنه ينال مغنما ، وكل حيوان يصاد به كالكلب والفهد والصقر يعبر بولد شجاع فمن تبعه صقر فإن رجلا شجاعا يعطف عليه ، وإن كان له حامل فإنه يرزق ولدا شجاعا ، وكل الجوارح المعلمة تدل على الولد الذكر . ومن المنامات المعبرة أتى رجل إلى ابن سيرين فقال : رأيت كأن حمامة نزلت على شرفات السور فأتاها صقر فابتلعها ، فقال ابن سيرين : إن صدقت رؤياك ليتزوج الحجاج بنت الطيار فـكان كذلك ، والله أعلم .

﴿ الصل ﴾ : بكسر الصاد الحية التى لاتنفع فيها الرقية ، ومنه قالوا : فلان صل مطرق ، وبه وصف إمام الحرمين تلميذه أبا المظفر أحمد بن محمد الحوافى ، وكان علامة أهل طوس نظير الغزالى ، وكان عجيبا فى المناظرة رشيق العبارة ، توفى سنة خمسمائة ، وكان هو والـكيا الهراسى والغزالى أكبر تلامذة إمام الحرمين رحمة الله عليهم .

﴿ الصلب ﴾ : كصرد طائر معروف ذكره فى العباب .

﴿ الصلنباج ﴾ : كسقنطار سمك طويل دقيق ذكره فى العباب أيضا .

﴿ الصلصل ﴾ : بالضم الفاختة قاله الجوهرى وغيره ، وسيأتى مافى الفاختة فى باب الفاء إن شاء الله تعالى .

﴿ الصناجة ﴾ : قال القزوينى فى الأشكال : ليس شىء أكبر من هذا الحيوان وهو يكون بأرض التبت ، وهذا الحيوان يتخذ لنفسه بيتا بقدر فرسخ فى الأرض فى فرسخ ؛ وكل حيوان وقع بصره عليه مات فى الحال ، وإذا وقع بصر الصناجة عليها ماتت الصناجة ، والحيوانات تعرفه فتغرض له مغمضة العين ليقع بصر الصناجة عليها فتموت وإذا ماتت تبقى طعمة للحيوان مدة طويلة وهذا من عجائب الوجود . قلت : وقد استعمل الحريرى لفظة الصناجة فى المقامة السادسة والأربعين حيث قال : أحسنت يانغيش ياصناجة الجيش . قال الشراح لكلامه : النغيش : القصير ؛ وفى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى نغاشيا فخر ساجدا » وفسروا صناجة الجيش : بأنها الطبل المعروف . قلت : ووجه الشبه أنه لما كان يطرب بالصنج كطرب الجماعة الحاضرين به سماه بذلك فالهاء فيه للمبالغة ، والصناجة أيضا ذات الصنج وهى آلة لهو تتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر . قال الحافظ ابن عبد البر وغيره : أول مورث فى الإسلام عدى بن نضلة ، وأول وارث نعمان بن عدى كان عدى قد هاجر إلى أرض الحبشة فمات بها فورثه ابنه نعمان هناك ، واستعمله عمر رضى الله تعالى عنه على ميسان ولم يستعمل من قومه غيره ، وراود امرأته على الخروج معه فأبت فكتب إليها :

من مبلغ الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية ... وصناجة تحدو على كل منسم
إذا كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى ... ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه ... تنادمنا بالجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر رضى الله تعالى عنه فكتب إليه : — بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول — الآية ، أما بعد فقد بلغنى قولك :

لعل أمير المؤمنين يسوءه ... تنادمنا بالجوسق المتهدم

وايم الله لقد ساءنى ثم عزله : فلما قدم عليه سأله فقال : ما كان من هذا شىء وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قط ، فقال عمر رضى الله عنه : أظن ولكن لاتعمل لى

عملا أبدا ، فنزل البصرة ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات ، وشعره فصيح يستشهد به أهل اللغة على أن ندمان بمعنى نديم .

﴿ الصوار ﴾ : القطيع من البقر والجمع صيران ، والصوار أيضا وعاء المسك . وقد جمعهما الشاعر فى قوله :

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا نفح الصوار

﴿ الصومعة ﴾ : العقاب لأنها أبدا مرتفعة على أشرف مكان تقدر عليه هكذا قاله كراع فى المجرد .

﴿ الصيبان ﴾ : تقدم بما فيه فى أول الباب .

﴿ الصيد ﴾ : مصدر عومل معاملة الأسماء فأوقع على الحيوان المصيد قال الله تعالى : — يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم — وقال أبو طلحة الأنصارى رضى الله تعالى عنه .

أنا أبو طلحة واسمى زيد وكل يوم فى سلاحى صيد

وبوب البخارى رحمه الله فى أول الربع الرابع من كتابه فقال باب قول الله تعالى — أحل لكم صيد البحر وطعامه — وقال عمر رضى الله عنه : صيده ماصطيد ، وطعامه مارمى به ؛ وقال أبو بكر رضى الله عنه : الطافى حلال ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : طعامه ميتة إلا ماقدرت عليها ، والجرى لاتأكله اليهود ونحن نأكله . وقال أبو شريح صاحب النبى صلى الله عليه وسلم : كل شىء فى البحر مذبوح . وقال عطاء : أما الطير فأرى أن يذبحه . وقال ابن جريج : قلت لعطاء : صيد الأنهار وقلات السيل أصيد بحر هو ؟ قال : نعم ، ثم تلا — وهذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا — وركب الحسن على سرج من جلود كلاب الماء . وقال الشعبى : لو أن أهلى يأكلون الضفادع لأطعمتهم إياها ، ولم ير الحسن بالسلحفاة بأسا ؛ وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كل من صيد نصرانى أو يهودى أو مجوسى . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : فى المرى ذبح الخمر النينان والشمس اه . قوله : قلات السيل : أى ماهلك فيه لقوله المسافر وماله على قلت ، وقوله : فى المرى إلى آخر ماقال أشار بذلك إلى صفة مرى يعمل فى الشأم تؤخذ الخمر فيجعل فيها الملح والسمك وتوضع فى الشمس فتتغير الخمر إلى طعم المر فتستحيل عن هيئتها كما تستحيل إلى الخلية . يقول : كما أن الميتة حرام والمذبوحة حلال كذلك هذه الأشياء ذبحت الخمر فحلت استعار الذبح للتحليل والذبح فى الأصل الشق ، وأبو شريح اسمه هانئ

وعند الأصيلى ابن شريح وهو وهم . وفى [الاستيعاب] للحافظ ابن عبد البر : شريح رجل من الصحابة حجازى روى عنه أبو الزبير وعمرو بن دينار سمعاه يحدث عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال « كل شيء فى البحر مذبوح ذبح الله لكم كل دابة خلقها فى البحر » قال أبو الزبير وعمرو بن دينار : وكان شريح هذا قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو حاتم : له صحبة ، ولفظ الصيد فى الآية الأولى عام ومعناه الخصوص فيما عدا الحيوان الذى أباح النبى صلى الله عليه وسلم قتله فى الحرم ، ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم الغرب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور » فوقف مع ظاهر هذا الحديث سفيان الثورى والشافعى وابن حنبل وابن راهويه فلم يبيحوا للمحرم قتل شيء سوى ذلك ، وقاس مالك على الكلب العقور الأسد والنمر والفهد والذئب وكل السباع العادية . فأما الهر والثعلب والضبع فلا يقتلها المحرم عنده وإن فعل فدى . وقال أصحاب الرأى رحمهم الله : إن بدأ السبع المحرم فله أن يقتله وإن ابتدأه المحرم فعليه قيمته ، وقال مجاهد والنخعى : لايقتل المحرم من السباع إلا ماعدا عليه منها ، وثبت عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه أمر المحرمين بقتل الحيات ، وأجمع الناس على إباحة قتلها وثبت عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، وأيضا إباحة قتل الزنبور لأنه فى حكم العقرب . وقال مالك : يطعم قاتله شيئا ، وكذلك قال مالك فيمن قتل البرغوث والذباب والنمل ونحوها . وقال أصحاب الرأى : لاشيء على قاتل هذه كلها . وأما سباع الطير فقال مالك : لايقتلها المحرم وإن قتلها فدى . وقال ابن عطية : وذوات السموم كلها فى حكم الحية كالأفعى والرتيلاء ونحوهما .

(تذنيب) قال أبو حنيفة : لايقطع سارق ماكان مباح الأصل من صيد البر والبحر ولافى جميع الطيور . وقال الشافعى ومالك وأحمد والجمهور : يقطع سارق ذلك إذا كان محرزا وقيمته ربع دينار لعموم الأدلة . وإذا ذبح المحرم صيدا حرم عليه فى حال الإحرام باتفاق العلماء ، وفى تحريمه على غيره قولان : الجديد الصحيح التحريم كذبيحة المجوسى فعلى هذا يكون ميتة ، والقديم الحل ولو كسر المحرم بيض صيد أو قلاه حرم عليه ، وفى تحريمه على غيره طريقان : أشهرهما أنه على القولين وأشهر القولين التحريم أيضا ، ولو كسره مجوسى أو قلاه حل ، ولو حلب محرم لبن صيد فهو ككسر بيضه .

(فرع) لو صاح محرم على صيد فمات بسبب صياحه أو صاح حلال على صيد فى الحرم فمات به فوجهان : أحدهما يضمنه لأنه تسبب فى إهلاكه فكان كما لو صاح على صبى فهلك . قال الإمام النووى : وهذا هو الظاهر . والثانى لا يضمنه كما لو صاح على بالغ ، ولو أصاب صيد فوقع ذلك الصيد على صيد آخر أو على فراخه أو بيضه فهلك ضمن جميع ذلك .

(فرع) لو مات للمحرم قريب فى ملكه صيد ملكه على المذهب ملكا يتصرف فيه كيف شاء لا بالقتل والإتلاف .

(فرع) قال الرويانى : العمرة التى ليس فيها قتل صيد قيل إنها أفضل من حجة فيها قتل صيد ؛ والأصح أن الحجة أفضل .

(فرع) صيد حرم المدينة حرام لما روى مسلم من حديث جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها » واختلفوا فى أنه هل يضمن صيدها كصيد مكة ؟ فقال الشافعى فى الجديد : إنه لا يضمن لأنه مكان يجوز دخوله بغير إحرام فلا يضمن كصيد وج الطائف فى سنن البيهقى بإسناد فيه ضعف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ألا إن صيد وج الطائف وعضاها حرام محرم » وفى القديم : أنه يسلب القاتل لصيد حرم المدينة والقاطع لشجرها ؛ واختاره النووى من جهة الدليل ، وعلى هذا فظاهر إطلاق الأئمة أن السلب لا يتوقف على إتلافه بل بمجرد الاصطياد ، وسلبه كسلب قتيل الكفار عند الأكثرين ، وقيل ثيابه فقط ، وقيل يترك له ساتر العورة فقط ، وهذا هو الصواب فى الروضة وشرح المهذب ، ثم هو للسالب وقيل لفقراء المدينة كجزاء الصيد ، وقيل لبيت المال ، ويستثنى من تضمين الصيد ما لو صال عليه فقتله دفعا .

(فرع) إذا عم الجراد الطريق ولم يجد بدا من وطئه فلا ضمان عليه فى الأظهر ، ولو دخل كافر الحرم وقتل صيدا ضمنه . وقال الشيخ أبو إسحاق فى المهذب : يحتمل عندى أنه لا يجب الضمان . قال النووى فى شرحه : انفرد الشيخ بهذا الاحتمال عن الأصحاب وأقامه فى البيان وجها اه وهذا نقله ابن كج وجها للأصحاب وهو متقدم على صاحب المهذب بأعوام فإنه توفى سنة أربع وأربعمائة .

(تنبيهات) اعلم أن الصيد إذا مات من سببين مبيح ومحرم فهو حرام تغليبا لجانب التحريم ، ومثال ذلك : أن يموت من سهم وبندقة أو يصيب الصيد طرف من النصل فيجرحه ويؤثر فيه عرض السهم فى مروره فيموت منهما ، وكذلك لو أرسل سهما إلى صيد فجرحه وكان على طرف سطح فسقط منه أو على جبل فتردى منه أو تردى فى بئر أو وقع فى ماء أو على شجرة فانصدم بأغصانها فهو حرام ، لأنه لا يدرى من أيهما مات .

ومنها ما لو وقع صيد على محدد سكين أو غيرها فهو حرام ، ولو أرسل سهما فأصاب الصيد فى الهواء ثم وقع على الأرض ومات فهو حلال سواء مات قبل الوصول إلى الأرض أو بعده أو لم يعلم هل كان موته قبل الوصول أو بعده لأن الوقوع على الأرض لابد منه فيعفى عنه كما يعفى عن الذبح فى غير المذبح عند التعذر ، وكما أن الصيد لو كان قائما فوقع على

جنبه لما أصابه السهم . وقال مالك : إن مات بعد وقوعه على الأرض لم يحل ، والارتجاف قليلا بعد إصابة السهم لا يضر لأنه كالوقوع على الأرض فلو تدحرج من الجبل من جنب إلى جنب لم يضر لأن ذلك مما لا يؤثر مثله فى التلف ، فلو رمى بسهم إلى صيد فى الهواء فكسر جناحه ولم يجرحه فوقع فمات فهو حرام لأنه لم يصبه جرح يحال الموت عليه فلو كان الجرح خفيفا لا يؤثر مثله ولكنه عطل جناحيه فوقع فمات فهو حرام قاله الإمام . ولو وقع الصيد من الهواء بعد ما أصابه السهم وجرحه فى بئر نظر فإن كان فيها ماء فهو حرام وإن لم يكن فالصيد حلال لأن قعر البئر كالأرض ولكن الفرض فيما إذا لم تضادمه جدران البئر .

ومنها لو كان الصيد واقفا على شجرة فأصابه السهم فجرحه فوقع على الأرض فهو حلال وإن وقع على غصن أو أغصان ثم على الأرض لم يحل ، وليس الانصدام بالأغصان أو بأحرف الجبل عند التردى من القلة كالانصدام بالأرض فإن ذلك الانصدام ليس بلازم ولا غالب والانصدام بالأرض لابد منه . وللإمام احتمالان فى الصورتين لكثرة وقوع الطيور على الأشجار والانصدام بأطراف الجبال إذا كان الصيد بالجبل .

ومنها لو رمى إلى طير الماء نظر إن كان على وجه الماء فأصابه السهم فجرحه فمات فهو حلال والماء له كالأرض ، وإن كان خارج الماء ووقع فى الماء بعدما أصابه السهم ففيه وجهان مذكوران فى الحاوى : أحدهما أنه حرام لأن الماء بعد الجرح يعين على التلف . والثانى أنه حلال لأن الماء لا يفرقه لأنه لا يفارق الماء غالبا ووقوعه فى الماء كوقوع غيره على الأرض وهذا هو الراجح ، وذكر فى التهذيب أن الصيد إذا كان فى هواء البحر نظر إن كان الرامى فى البر لم يحل وإن كان فى البحر حل ، فإن كان الطائر خارج الماء ووقع فيه بعد ما أصابه السهم ففى حله وجهان قطع البغوى فى التهذيب والشيخ أبو محمد فى المختصر بالحل ، وجميع ماذكرنا فيما إذا لم ينته الصيد بتلك الجراحة إلى حركة المذبوح فإن انتهى إليها بقطع الحلقوم أو المرىء أو غيره فقد تمت ذكاته ولا أثر لما يعرض بعد ذلك .

ومنها لو جرح الصيد جرحا لم يقتله ثم غاب فوجده بعد ذلك ميتا قيل يحل وقيل لا يحل والأول أصح ، لكن يشترط أن ينتهى الصيد بتلك الجراحة إلى حركة المذبوح ولا أثر لغيبته فإن لم ينته إلى حركة المذبوح فإن وجد فى ماء أو وجد عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى لم يحل . وللأصحاب ثلاث طرق : أحدها فى حله قولان أشهرهما عند صاحب التهذيب الحل ، والعراقيون وغيرهم إلى ترجيح التحريم أميل . والثانى القطع بالحل . والثالث القطع بالتحريم . وقال أبو حنيفة : إن أتبعه عقب الرمى فوجده ميتا حل ، وإن تأخر ساعة عن إتباعه لم يحل وروى عن مالك أنه إن وجده فى بريه حل وإلا فلا وصحح النووى والغزالى الحل للأحاديث الواردة فيه .

ومنها لو رمى وهو لا يرجو صيدا ولا خطر له ولا قصده بأن رمى سهما فى الهواء أو فى فضاء من الأرض أو إلى هدف واعترض صيد فأصابه فقتله ففى حله وجهان أصحهما وهو المنصوص عدم الحل لأنه لم يقصد الصيد لا معينا ولا مبهما، ونظير ذلك ما إذا وقع فى الشبكة صيد فعقر بحديدة فيها ويفرق بينه وبين ما لو ظنه ثوبا بأنه هنا قصد عينا ولو رمى إلى ما ظنه حجرا فكان صيدا فقتله فهو حلال ، وكذا لو ظنه صيدا غير مأكول فكان مأكولا لأنه قصد عينه ، وقيس ذلك بما إذا كان له شاتان فذبح إحداهما ظنا أنها الأخرى ، وفى التهذيب وغيره وجه أنه لا يحل لأنه لم يقصد الصيد وبه قال مالك .

ومنها لو نصب سكينا أو حديدة أو كانت فى يده حديدة فوقعت على حلق شاة فذبحته فهو حرام لأنه لم يذبح ولم يقصد الذبح وإنما حصل ما حصل بفعل الشاة أو من غير فعل مختار وفى التهذيب وغيره أن عند أبى إسحاق تحل الشاة فى صورة وقوع السكين ولا شك أن الصيد فى معناها ، وكذا لو كان فى يده حديدة يحركها والشاة أيضا تحك حلقها بها فحصل انقطاع الحلقوم والمرىء بالحركتين فهو حرام لأن الموت بشركة الذابح والبهيمة . وقال القاضى أبو سعيد الهروى فى الباب : وإن رمى الأعمى صيدا بدلالة بصير فالمذهب أنه لا يحل .

(فرع فى الإزدحام والاشتراك) وله أحوال : منها أن يتعاقب جرحان من رجلين فالأول منهما إما أن يكون مذففا أو مزمنا أو لا مذففا ولا مزمنا ، فإن لم يكن مذففا ولا مزمنا لم يحل على امتناعه ، فإن كانت الجراحة مذففة أو مزمنة فالصيد للثانى ولا شىء على الأول بجراحته ، فإن كان جرح الأول مذففا فالصيد للأول وعلى الثانى أرش ما نقص من لحمه وجلده ، وإن كان جرح الأول مزمنا ملك الصيد به وينظر فى الثانى فإن ذفف بقطع الحلقوم والمرىء فهو حلال وعلى الثانى ما بين قيمته مذبوحا ومزمنا : قال الإمام : وإنما يظهر التفاوت إذا كان فيه حياة مستقرة فإن كان سالما أو كان بحيث لو لم يذبح لهلك فما عندى أنه ينقص بالذبح منه شىء وإن ذفف الثانى ولم يقطع الحلقوم والمرىء أو لم يذفف ومات بالجرحين فهو ميتة ، ويجب على الثانى قيمة الصيد مذبوحا . قال فى كتاب [التهذيب] : قيل هو كما لو جرح عبده وجرحه غيره ومات منهما ؛ وهو بناء على ما إذا جرح أجنبى عبدا قيمته عشرة وجرحه آخر ومات ففيه أوجه : قال المزنى : يجب على كل واحد أرش جراحته وباقى القيمة ينصف بينهما ، وقيل على كل واحد نصف قيمته يوم جرحه . وقال ابن خير : أن توزع القيمة على قيمته يوم الجرح الأول وهى عشرة ، وعلى قيمته يوم الجرح الثانى وهى تسعة فيكون تسعة عشر جزءا عشرة على الأول وتسعة على الثانى . وقال القفال : على كل واحد منهما نصف أرش جراحته وينصف باقى القيمة مجروحا بجرحين . والطريقة الثانية أن الأول إن لم يدركه حيا وجب على الثانى قيمته مزمنا ، وإن أدركه ولم يذبحه وجب على الثانى أرش جراحته على وجه وقيمته مزمنا

على وجه ؛ وإن رماه رجلان فأصاباه معا وقتلاه فهو لهما، فإن أزمن أحدهما وأصاب الآخر المذبح ولم يعرف السابق وادعى كل منهما أنه المزمن أولا تحالفا ويكون بينهما لاحتمال سبق المزمن ، وإن كان أحدهما مجهزا لم يصب المذبح فالصيد حرام انتهى .

(فرع) اعلم أن من اصطاد صيدا عليه أثر ملك فإن كان موسوما أو مقرطا أو مخضوبا أو مقصوص الجناح لم يملكه لأن هذه آثار تدل على أنه كان مملوكا وربما أفلت ، ولا ينظر إلى احتمال أنه اصطاده محرم وفعل به ذلك ثم أرسله فإنه احتمال بعيد .

(فرع) لو قد الصيد نصفين حل الكل ؛ وإن أبان منه عضوا ومات منه بعد ساعة قبل أن يتمكن من ذبحه حل المبان على أحد الوجهين كما لو مات منه فى الحال ، وإن أدركه حيا فذبحه حل الأصل دون المبان، وإن مات الصيد بثقل الجارحة لم يحرم على أحد القولين بخلاف ثقل السهم .

(فرع) ويملك الصيد بأمور : بإثبات اليد أو الاثخان أو إبطال الطيران أو العدو أو التعلق بالشبكة المنصوبة ، فإن وقعت منه الشبكة وتعلق بها صيد فوجهان ؛ وكذلك الشرك والربق المنصوبان والحبالة ونحو ذلك .

(فرع) لو اصطاد سمكة فوجد فى بطنها درة مثقوبة فهى لقطة وإن كانت غير مثقوبة فهى له مع السمكة ، ولو اشترى سمكة فوجد فى بطنها درة غير مثقوبة فهى له وإن كانت مثقوبة فهى للبائع إن ادعاها هكذا أطلقه فى التهذيب ويشبه أن يقال إن الدرة تكون لمن اصطاد السمكة كما فى الكنز الذى يوجد فى الأرض إنه لمحيى الأرض .

(خاتمة) لو أرسل الصيد وخلاه بنفسه فهل يزول ملكه ؟ وجهان : أظهرهما لا يزول ولا يجوز له أن يفعل ذلك لأن ذلك من فعل الجاهلية من تسييب السوائب ومن حقه أن يحترز عنه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على السائبة فى باب النون ؛ وعلى صيد الكلب والجارحة فى باب الكاف ، ولو أفلت الصيد من يده لم يزل ملكه عنه فإن أخذه أحد فعليه رده للأول ولا فرق بين أن يلتحق بالوحوش فى الصحراء أو يبعد عن البنيان أو يدور فى البلد أو حوله وقال مالك : مادام فى البلد أو حوله لم يزل ملكه عنه فإن بعد والتحق بالوحوش زال ملكه ومن أخذ ملكه ويروى عنه أنه إن تباعد به العهد زال ملكه عنه وإن قرب لم يزل ، ويروى عنه زوال ملكه بإفلاته مطلقا ، وعندنا يقاس على إباق العبد وشرود البهيمة .

(تتمة) لو توحل صيد بمزرعة وصار مقدورا عليه ففيه وجهان . أصحهما عدم التملك لأنه لم يقصد بسقى الأرض الاصطياد والقصد مرعى فى التملك ، ولو دخل بستان غيره واصطاد منه طائرا ملكه قطعا ولا يثبت لصاحب البستان حكم المتحجر لأن البستان لا يتضمن حكم الطير والله أعلم وما أحسن قول بعضهم :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم ... ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من فضل حيلته ... لكن حدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد ... يرمى فيحرزه من ليس بالرامى

(فائدة) فى تاريخ ابن خلكان : لما قلد الرشيد الفضل بن يحيى خراسان أقام بها مدة ثم وصل كتاب صاحب البريد ينهى أن الفضل اشتغل بالصيد وإدمان اللذة عن النظر فى أمور الرعية فقال ليحيى : يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه بما يردعه عنه ، فكتب إليه يحيى كتابا وكتب فى أسفله هذه الأبيات :

انصب نهارا فى طلاب العلا ... واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل أتى مقبلا ... واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فبادر الليل بما تشتهى ... فإنما الليل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكا ... يستقبل الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أستاره ... فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو مريب

فلما ورد الكتاب على الفضل بن يحيى لم يفارق فى المسجد نهارا .

قيل : دخل الفضل على أبيه يحيى وهو يبختر فى مشيته فكره يحيى ذلك منه ، وقال : قالت الحكماء : البخل والجهل مع التواضع أزين للرجل من السخاء والعلم مع الكبر ، فيالها من حسنة غطت على سيئتين عظيمتين ، ويالها من سيئة غطت على حسنتين كبيرتين . ولما كان الفضل ويحيى فى محبسهما سمعهما الموكل يوما وهما يضحكان ضحكا مفرطا فأعلم الرشيد بذلك ، فبعث مسرورا يستعلم سبب ذلك فجاءهما فسألهما وقال : يقول لكما أمير المؤمنين ما هذا الاستخفاف بغضبى ؟ فازدادا ضحكا وقال يحيى : اشتهينا سكبا فاحتلنا فى شراء القدر واللحم والخل وغير ذلك فلما فرغنا من طبخها وإحكامها ذهب الفضل ينزلها فسقط قعر القدر فوقع الضحك والتعجب مما كنا فيه وما صرنا إليه ، فلما أعلم مسرور الرشيد بذلك بكى وأمر لهما بمائدة فى كل يوم وأذن لرجل ممن يأنسان به أن يدخل عليهما كل يوم ويتغذى معهما ويحدثهما وينصرف . ونقل أن الفضل كان كثير البر بأبيه وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد فى زمن الشتاء ، فلما كان فى السجن لم يقدرا على تسخين الماء فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيضعه على بطنه زمانا لينكسر برده بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك ، وتوفى يحيى فى السجن سنة ثلاث وتسعين ومائة ، ولما بلغ الرشيد وفاته قال : أمرى قريب من أمره فتوفى بعده بخمسة أشهر .

﴿ الصيدح ﴾ : الفرس الشديد الصوت . وقال الجوهرى : الصيدح ذكر البومة انتهى . وتسميته صيدحا اشتقاقا له من صوته لأن الصيدح الصياح . قال الشاعر :

وقد هاج شوقى أن تغنت حمامة مطوقة ورقاء تصدح بالفجر

أى تصيح . قال الجاحظ : البومة وسائر طيور الليل لا تدع الصياح وقت الأسحار أبدا انتهى . وصيدح اسم ناقة ذى الرمة . قال يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى

رأيت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وقد تقدم ذكر هذا البيت فى باب الهمزة فى الإبل .

﴿ الصيدن ﴾ : الثعلب ، وقد تقدم فى باب الثاء المثلثة ، والصيدن الملك .

﴿ الصيدنانى ﴾ : دويبة تعمل لنفسها بيتا فى جوف الأرض وتعميه عن الخلق .

﴿ الصير ﴾ : سمك صغار يعمل منه الصحناة والمرى ، ومنهم من يطلق على الصير الصحناة وفى سنن البيهقى فى باب ما جاء فى أكل الجراد عن وهب بن عبد الله المغافرى : أنه دخل هو وعبد الله بن عمر على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقربت إليهم جرادا مقلوا بسمن وقالت : كل يا مصرى من هذا لعل الصير أحب إليك منه . قال : قلت : إنا لنحب الصير . وفى الحديث : أن سالم بن عبد الله مر به رجل ومعه صير فذاق منه ثم سأل منه كيف تبيعه ، والمراد به فى الحديث الصحناة . قال جرير يهجو قوما :

كانوا إذا جعلوا فى صيرهم بصلا ثم اشتووا كنعدا من مالح جدفوا

قال الجوهرى : وتفسيره فى الحديث الصحناء تمد وتقصر . وروى أن الحسن سأله رجل عن الصحناة فقال : وهل يأكل المسلمون الصحناة وهى التى يقال لها الصير ، وكلا اللفظين غير عربى .

(الخواص) قال جبريل بن بختيشوع : الصحناة المتخذة من الأبازير تنشف المعدة من البلة والرطوبة وتمنع البخر وتطيب النكهة ، وتنفع من وجع الورك المتولد من البلغم ، ومن لدغ العقارب إذا طلى بها .

باب الضاد المعجمة

﴿ الضأن ﴾ : ذوات الصوف من الغنم وهى جمع ضائن والأنثى ضائنة والجمع ضوائن وقيل هو جمع لا واحد له ، وقيل جمعه ضئين كعبد وعبيد .

(فائدة) قال الله تعالى — ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين — الآية وذلك أن الجاهلية كانوا يقولون — هذه أنعام وحرث حجر — وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا — وحرموا

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فكانوا يحرمون بعضها على النساء ، فلما جاء الإسلام وثبتت أحكامه جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان الذى جادله خطيبهم مالك ابن عوف بن الأحوص الجشمى فقال : يا محمد إنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم قد حرمتم أصنافا من الغنم على غير أصل وإنما خلق الله هذه الأزواج الخمسة للمأكل والانتفاع بها ، فمن أين جاء هذا التحريم أمن قبل الذكر أم من قبل الأنثى ؟ فسكت مالك وتحير ولم يتكلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : مالك لا تتكلم . فقال له مالك : بل تكلم وأسمع منك ، فلو قال جاء التحريم من قبل الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث ، ولو قال باشتمال الرحم عليه لكان ينبغى أن يحرم الكل لأن الرحم يشتمل على الذكوز والإناث ، فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع أو بالبعض دون البعض فمن أين وثمانية أزواج نصبها على البدل من الحمولة والفرش : أى وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج : أى أصناف من الضأن اثنين : أى الذكر والأنثى فالذكر زوج والأنثى زوج والعرب تسمى الواحد زوجا إذا كان لا ينفك عن الآخر ، وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فى باب النون فى النعم ، وقد جعل الله تعالى البركة فى نوع الغنم فهى تلد فى العام مرة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلئ منها وجه الأرض بخلاف السباع فإنها تلد شتاء وصيفا ولا يرى منها إلا واحد واحد فى أطراف الأرض ، ويضرب المثل بلين جلودها لما روى البيهقى والترمذى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب » وفى رواية « وقلوبهم أمر من الصبر يلبسون للناس جلود الضأن من اللين يشترون الدنيا بالدين ، يقول الله تعالى : أبى يغترون وعلى يجترئون فبى حلفت لأقيضن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران » يقال ختله يختله إذا خدعه وختل الذئب الصيد إذا تخفى له ، وبين المعز والضأن تضاد يوجب أن لا يقع بينهما لقاح أصلا

ومن عجيب طبعها وأمرها أنها ترى الفيل والجاموس فلا تهابهما مع عظم أبدانهما وترى الذئب فيعتريها خوف عظيم لمعنى خلق الله فى طباعها . ومن غريب أمرها أن الغنم تلد فى ليلة واحدة عددا كثيرا ثم إن الراعى يسرح بالأمهات من الغد ويأتى بها عند العشاء ويخلى بينهما وبين السخال فتذهب كل واحدة إلى أمها ، ويجلب من الهند نوع من الضأن فى صدره ألية وعلى كتفيه أليتان وعلى فخذيه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما تكبر إلية الضأن حتى تمنعه من المشى ، وإن تسافدت الغنم عند نزول المطر لا تحمل وإن كان السفاد عند هبوب الشمال تكون الأولاد ذكورا وإن كان عند هبوب الجنوب تكون الأولاد إناثا ، وإذا رعت الضأن الزرع رجع وإذا رعته المعز لم ينبت ، وقالت العرب : جذ ضائنه وحلق معزه .

(وحكمها) حل الأكل بالإجماع .

(الأمثال) قالوا : أجهل من راعى ضأن وأحمق من راعى ضأن ثمانين ، وأحمق من طالب ضأن ثمانين : وذلك أن الضأن تنفر من كل شيء فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها فى كل وقت وفى الصحاح أحمق من صاحب ضأن ثمانين ، وذلك أن أعرابيا بشر كسرى ببشرى فسر بها فقال : سلنى ما شئت ؟ فقال : أسألك ضأنا ثمانين . وقال ابن خالويه : إنه رجل قضى للنبى صلى الله عليه وسلم حاجة ، فقال صلى الله عليه وسلم : ائتنى بالمدينة فأتاه فقال عليه الصلاة والسلام له « أيما أحب إليك ثمانون من الضأن أو أدعو الله أن يجعلك معى فى الجنة ؟ فقال : بل ثمانون من الضأن ، فقال عليه الصلاة والسلام : أعطوه إياها ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن صاحبة موسى كانت أعقل منك ، وذلك أن عجوزا دلته على عظام يوسف عليه السلام : فقال لها موسى : أيما أحب إليك أسأل الله أن تكونى معى فى الجنة أو مائة من الغنم ؟ قالت : الجنة » والحديث رواه ابن حبان والحاكم فى المستدرك مع اختلاف فيه ، وقال الحاكم صحيح الإسناد ، وعن أبى موسى الأشعرى قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم غنائم هوازن بحنين ، فوقف عليه رجل من الناس فقال : إن لى عندك موعدا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : صدقت فاحتكم ما شئت . قال : إنى أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال صلى الله عليه وسلم : هى لك ، ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك حين حكمها موسى فقالت : حكمى أن تردنى شابة وأدخل معك الجنة » قال فى الإحياء فى آخر الآفة الثالثة عشرة من آفات اللسان : وكان الناس يضعفون ما احتكم هذا الإنسان به حتى جعلوه مثلا فقالوا : أقنع من صاحب الثمانين والراعى .

(الخواص) لحم الضأن يمنع المرة السوداء ويزيد فى المنى وينفع من السموم وهو حار رطب بالنسبة إلى المعز وأجوده الحولى ، وهو ينفع المعدة المعتدلة ويضر من يعتاده العشا وتدفع مضرته بالإمراق القابضة ، ويكره لحم النعاج لأنه يولد دما رديئا ، ولحم الخرفان يغذو غذاء كثيرا حارا رطبا لكنه يولد البلغم والحولى من الضأن أغذى من صغيرها ، ولحم الضأن فى الربيع أجود وأنفع منه فى سائر الأزمان ، ولحم الخصى منها يزيد فى الباه ودمها إذا أخذ وهو حار ساعة تذبح وطلى به الوضح غير لونه وضيعه ، وكبد التيس إذا أحرقت طرية ودلك بها الأسنان بيضها ، وقرن الكبش إذا دفن تحت شجرة يكثر حملها ، وإذا اكتحل بمرارة الكبش مع العسل يمنع من نزول الماء ، وعظمه يحرق بخشب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطلى به موضع الهشم يصلحه ، وإذا تحممت المرأة بصوف النعجة قطعت الحبل ، وإذا غطى الإناء بصوف الضأن الأبيض وفيه عسل لم يقربه النمل .

﴿ الضؤضؤ ﴾ : الطائر الذى يسمى الأخيل قاله ابن سيده وتوقف فيه ابن دريد .

﴿ الضب ﴾ : بفتح الضاد حيوان برى معروف يشبه الورل . قال أهل اللغة : وهو من الأسماء المشتركة ، فيطلق على ورم فى خف البعير وعلى ضبة الحديد ، والضب اسم للجبل الذى بمسجد الخيف فى أصله ، وضبة الكوفة وضبة البصرة قبيلتان من العرب . والضب أن يجمع الحالب خلفى الناقة فى كفيه جميعا ، أنشد ابن دريد :

جمعت له كفى بالرمح طاعنا كما جمع الخلفين فى الضب حالب

وكنيته : أبو حسل ، والجمع ضباب وأضب مثل كف وأكف والأنثى ضبة . قالت العرب : لا أفعله حتى يرد الضب لأن الضب لا يرد الماء ، قال ابن خالويه فى أوائل كتاب ليس الضب لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ، ويقال إنه يبول فى كل أربعين يوما قطرة ولا تسقط له سن ، ويقال إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة ، ومن كلامهم الذى وضعوه على ألسنة البهائم : قالت السمكة : رد ياضب ، فقال :

أصبح قلبى صردا لا يشتهى أن يردا
إلا عرادا عردا وصليـــانا بردا
وعنكشا ملتبدا

ولما كان بين الحوت والضب هذا التضاد أشار إليه حاتم الأصم رحمه الله بقوله :

وكيف أخاف الفقر والله رازقى ورازق هذا الخلق فى العسر واليسر
تكفل بالأرزاق للخلق كلهم وللضب فى البيدا وللحوت فى البحر

وضبب البلـــد وأضب : كثرت ضبابه ، وأرض ضبية : أى كثيرة الضباب . قال عبد اللطيف البغدادى : الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة فى الخلق ، وللضب ذكران وللأنثى فرجان كالورل والحرذون . وقال عبد القاهر : الضب دويبة على حد فرخ التمساح الصغير وذنبه كذنبه ، وهو يتلون ألوانا بحر الشمس كما تتلون الحرباء انتهى . أسند ابن أبى الدنيا فى كتاب [العقوبات] عن أنس قال : إن الضب ليموت فى جحره هزالا من ظلم بنى آدم . ولما سئل أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه عن ذكر الضب قال ، إنه كلسان الحية أصل واحد له فرعان ، وإذا أردات الضبة أن تخرج بيضها حفرت فى الأرض حفرة ورمت فيها البيض وطمتها بالتراب وتتعاهدها كل يوم حتى يخرج وذلك فى أربعين يوما وهى تبيض سبعين بيضة وأكثر بيضها يشبه بيض الحمام ، والضب يخرج من جحره كليل البصر فيجلوه بالتحدق للشمس ، ويغتذى بالنسيم ويعيش ببرد الهواء وذلك عند الهرم وفناء الرطوبات ونقص الحرارات ، وبينه وبين العقارب مودة فلذلك يؤويها فى جحره لتلسع

المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه، ولا يتخذ جحره إلا فى كدية حجر خوفا من السيل والحافر ولذلك توجد براثنه ناقصة كليلة لحفره بها فى الأماكن الصلبة. وفى طبعه النسيان وعدم الهداية وبه يضرب المثل فى الحيرة، ولذلك لا يحفر جحره إلا عند أكمة أو صخرة لئلا يضل عنه إذا خرج لطلب المطعم، ويوصف بالعقوق لأنه يأكل حسوله فلا ينجو منها إلا ما هرب؛ وأشار إلى ذلك الشاعر بقوله :

أكلت بنيك أكل الضب حتى ... تركت بنيك ليس لهم عديد

وهو طويل العمر ومن هذه الجهات يناسب الحيات والأفاعى. ومن طبعه أنه يرجع فى قيئه كالكلب ويأكل رجيعه وهو طويل الذماء بعد الذبح وهشم الرأس يقال إنه يمكث بعد الذبح ليلة ويلقى فى النار فيتحرك. ومن شأنه فى الشتاء أن لا يخرج من جحره، وقد أشار إلى ذلك أمية بن أبى الصلت لما جاء إلى عبد الله بن جدعان يطلب نائله بقوله :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك إن شيمتك الوفاء
إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء
كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق الجميل ولا مساء
يبارى الريح تكرمة ومجدا ... إذا ما الضب أجحره الشتاء
فأرضك كل مكرمة بناها ... بنو تيم وأنت لها سماء

(فائدة) روى الدارقطنى والبيهقى وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدى عن ابن عمر «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه إذ جاء أعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا وجعله فى كمه ليذهب به إلى رحله؛ فرأى جماعة محتفين بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال : على من هؤلاء الجماعة، فقالوا : على هذا الذى يزعم أنه نبى، فأتاه فقال : يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب منك فلولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك أجمعين، فقال عمر رضى الله تعالى عنه : يارسول الله دعنى أقتله، فقال صلى الله عليه وسلم : لا، أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا، ثم أقبل الأعرابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن هذا الضب، وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن أمن بك آمنت بك، فقال صلى الله عليه وسلم : ياضب، فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربى مبين صريح يفهمه القوم جميعا : لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين، فقال صلى الله عليه وسلم : من تعبد؟ قال : الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه، فقال صلى الله عليه وسلم : فمن أنا ياضب؟ قال : أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك، فقال الأعرابى : أشهد أن لا إله إلا الله

وأنك رسول الله حقا والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلىّ منك، ووالله لأنت الساعة أحب إلىّ من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هداك إلى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ، ولا يقبله الله إلا بصلاة ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن . قال : فعلمنى ، فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم سورة الفاتحة وسورة الإخلاص ، فقال : يارسول الله ما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز أحسن من هذا ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا كلام رب العالمين وليس بشعر ، إذا قرأت — قل هو الله أحد — مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن وإذا قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثى القرآن وإذا قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله . فقال الأعرابى : إن إلهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير ، ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ألك مال ؟ فقال : ما فى بنى سليم قاطبة رجل أفقر منى ، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أعطوه ، فأعطوه حتى أبطروه ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله أنا أعطيه ناقة عشراء تلحق ولاتلحق أهديت إلىّ يوم تبوك ، فقال صلى الله عليه وسلم : قد وصفت ما تعطى وأصف لك ما يعطيك الله جزاء . قال : نعم صف يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : لك ناقة من درة بيضاء جوفاء قوائمها من زبرجد أخضر وعيناها من ياقوت أحمر عليها هودج وعلى الهودج السندس والإستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف ، فخرج الأعرابى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه ألف أعرابى على ألف دابة بألف سيف ، فقال لهم : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا الذى يكذب ويزعم أنه نبى ، فقال الأعرابى : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا له : صبأت ، فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله مرنا بأمرك ، فقال صلى الله عليه وسلم . كونوا تحت راية خالد بن الوليد ، فلم يؤمن فى أيامه صلى الله عليه وسلم من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم » .

(الحكم) يحل أكل الضب بالإجماع . قال فى الوسيط : ولا يؤكل من الحشرات إلا الضب : قال ابن الصلاح فى مشكله: هذا غير مرضى فإن فى الحشرات اليربوع والقنفذ ذكرهما الأزهرى وغيره . وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له أحرام هو ؟ قال :لا ،ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه» وفى سنن أبى داود « لما رأى النبى صلى الله عليه وسلم الضبين المشويين بزق ، فقال خالد : يا رسول الله أراك تقذره » وذكر تمام الحديث ، وفى رواية لمسلم « لا آكله ولا أحرمه » وفى الأخرى « كلوه فإنه حلال ، ولكنه ليس من طعامى » وكل هذه الروايات صريحة فى الإباحة ولأن العرب تستطيبه ، والدليل عليه قول الشاعر :

أكلت الضباب فما عفتها وإنى اشتهيت قديد الغنم
ولحم الخروف حنيذا وقد أتيت به فاترا فى الشبم
وأما البهض وحيتانكم فأصبحت منها كثير السقم
وركبت زبدا على تمرة فنعم الطعام ونعم الأدم
وقد نلت منها كما نلتمو فلم أرفيها كضب هرم
وما فى التيوس كبيض الدجاج وبيض الدجاج شفاء القرم
ومكن الضباب طعام العريب وكاشيه منها رءوس العجم

قوله الحنيذ : أى المشوى ، وماء الشبم بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة : ماء الأسنان ، والبهض بكسر الباء الموحدة وفتح الهاء وبالضاد المعجمة : الأرز باللبن ، والقرم بفتح القاف وكسر الراء : الرجل يشتهى اللحم ، والمكن بفتح الميم وإسكان الكاف وبالنون فى آخره : بيض الضب ، والكشا جمع كشية بضم الكاف وإسكان الشين المعجمة ، ولا يكره أكله عندنا خلافا لبعض أصحاب أبى حنيفة ، وحكى القاضى عياض عن قوم تحريمه. قال الإمام العلامة النووى : وما أظنه يصح عن أحد اه ؛ وأما ماروى عن عبد الرحمن ابن حسنة قال « نزلنا أرضا كثيرة الضباب فأصابتنا مجاعة فطبخنا منها : أى من الضباب ، فإن القدور لتغلى إذ جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماهذا ؟ فقلنا : ضباب أصبناها ، فقال : إن أمة من بنى إسرائيل مسخت دواب فى الأرض ، وإنى أخشى أن يكون هذا منها فلم آكلها ولم أنه عنها » فيحتمل أن ذلك قبل أن يعلم أن الممسوخ لايعقب. وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال صلى الله عليه وسلم : سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فوالذى نفسى بيده لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل . قال ابن عربى فى عارضة الأحوذى : تفكرت برهة فى وجه ضرب المثل بالضب فعرضت لى فى الخاطر معان أشبهها الآن أن الضب عند العرب يضرب به المثل للحاكم من الإنس ، والحاكم تأتى إليه الخلق بأجمعهم فيما يعرض من الأمور لهم فلا يتأخر أحد عنه فكان المعنى مصيرهم لذلك .

(الأمثال) قالوا : أضل من ضب والضلال ضد الهداية ، وكذلك قالوا فى الورل كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، وقالوا : أعق من ضب . قال ابن الأعرابى : إنما يريدون

الأنثى وعقوقها أنها تأكل أولادها ، وأحيا من ضب : أى أطول عمرا ، وأجبن من ضب ، وأبلد من ضب ، وأخدع من ضب . قال الشاعر :

وأخدع من ضب إذا جاء حارش أعد له عند الذبابة عقربا

وقالوا : أعقد من ذنب الضب لأن عقده كثيرة ، وزعموا أن بعض الحاضرة كسا أعرابيا ثوبا فقال : لأكافئنك على فعلك بما أعلمك كم فى ذنب الضب من عقدة ؟ قال : لا أدرى . قال : فيه إحدى وعشرون عقدة .

(الخواص) إذا خرج الضب من بين رجل إنسان لايقدر بعد ذلك على مباشرة النساء ، ومن أكل قلبه أذهب عنه الحزن ، والخفقان ، وشحمه يذاب ويطلى به القضيب يهيج شهوة الجماع ، ومن أكل منه لايعطش زمانا طويلا ، وخصيتاه من استصحبهما معه يحبه الخدم محبة شديدة ، وكعبه يشد على وجه الفرس لايسبقه شىء من الخيل عند المسابقة ، وجلده يجعل منه غلاف للسيف يشجع صاحبه ، وإن اتخذ طرفا للعسل فمن لعق منه هيج شهوة الجماع ويورث إنعاظا شديدا ، وبعره ينفع من البرص والكلف طلاء ، ومن بياض العين اكتحالا ومن نزول الماء فيها .

(التعبير) الضب فى المنام : رجل عربى خداع فى أموال الناس ومال صاحبه ، وقيل إنه رجل مجهول النسب ، وقيل إنه رجل ملعون لأنه من الممسوخ ، وقيل إنه يدل على الشبهة فى الكسب ، وقيل من رأى الضب فى المنام فإنه يمرض .

﴿ الضبع ﴾ : معروفة ، ولا تقل ضبعة لأن الذكر ضبعان والجمع ضباعين مثل سرحان وسراحين ، والأنثى ضبعانة والجمع ضبعانات وضباع وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سبع وسباع كذا قاله الجوهرى : وقال ابن برى : قوله والأنثى ضبعانة لايعرف . وفى مسائل الضبع مسألة لطيفة وهى أن من أصول العربية التى يطرد حكمها ولا ينحل نظمها : أنه متى اجتمع المذكر والمؤنث غلب حكم المذكر على المؤنث لأنه هو الأصل والمؤنث فرع عنه إلا فى موضعين : أحدهما أنك متى أردت تثنية الذكر والأنثى من الضباع قلت ضبعان وأجريت التثنية على لفظ المؤنث الذى هو ضبع لا على لفظ المذكر الذى هو ضبعان ، وإنما فعل ذلك فرارا مما كان يجتمع من الزوائد أن لو ثنى على لفظ المذكر . والموضع الثانى أنهم فى باب التاريخ أرخوا بالليالى وهى مؤنثة دون الأيام التى هى مذكرة ، وإنما فعلوا ذلك مراعاة للأسبق والأسبق من الشهر ليلته هذا كلامه بحروفه . وقال الحريرى فى الدرة : إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر إلا فى التاريخ فإنه بالعكس ، وإلا فى تثنية ضبع وضبعان فيقال ضبعان بفتح الضاد وضم الباء والنون مكسورة ، وعن ابن الأنبارى أن الضبع يطلق على الذكر والأنثى وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوى فى كتابه [الإفصاح فى فوائد الإيضاح]

اللفارسى عن أبى العباس وغيره ، والمعروف فى المحكم وغيره ماتقدم ، وتصغير الضبع أضيبع لما تقدم فى أول باب الهمزة مما رواه مسلم فى باب إعطاء القاتل سلب المقتول من طريق أبى قتادة من حديث الليث فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : كلا لايعطيه لأضيبع من قريش ويدع أسدا من أسد الله ، وشذ الخطابى فقال : الأضيبع نوع من الطيور . ومن أسماء الضبع : جيل وجعار وجفصة ، ومن كناها : أم خنور وأم طريق وأم عامر وأم القبور وأم نوفل ، والذكر أبو عامر وأبو كلدة وأبو الهنبر ، وقد تقدم فى باب الهمزة أن الضبع تحيض كالأرنب . تقول : ضحكت الأرانب ضحكا : أى حاضت . قال الشاعر :

وضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الحرب يوم اللقا

يعنى الحيض فيما زعم بعضهم . وقال ابن الأعرابى فى قول ابن أخت تأبط شرا :

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لهـا يستهل

أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت وقد أضحكها الدم ، قال الشاعر :

وأضحكت الضباع سيوف سعد لقتـلى مادفن ولا ودينا

وكان ابن دريد يرد هذا ويقول : من شاهد الضباع عند حيضها حتى علم أنها تحيض ؟ وإنما أراد الشاعر أنها تكثر لأكل اللحوم وهذا سهو منه فجعل كثرها ضحكا ، وقيل معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا ، وقيل أراد أنها تسر بهم فجعل السرور ضحكا لأن الضحك إنما يكون منه كتسمية العنب خمرا ، وتستهل الذئاب : تصيح وتعوى . قال ابن سيده : ومن عجيب أمرها أنها كالأرانب تكون سنة ذكرا وسنة أنثى فتلقح فى حال الذكورة وتلد فى حال الأنوثة نقله الجاحظ والزمخشرى فى ربيع الأبرار ، والقزوينى فى عجائب المخلوقات وفى كتابه مفيد العلوم ومبيد الهموم ، وابن الصلاح فى رحلته عن أرسطاطاليس وغيرهم . قال القزوينى : وفى العرب قوم يقال لهم الضبعيون لو كان أحدهم فى قفل فيه ألف نفس وجاء الضبع لايقصد أحدا سواه ، والضبع توصف بالعرج وليست بعرجاء وإنما يتخيل ذلك للناظر ، وسبب هذا التخيل لدونة فى مفاصلها وزيادة رطوبة فى الجانب الأيمن على الأيسر منها ، وهى مولعة بنبش القبور لكثرة شهوتها للحوم بنى آدم ، ومتى رأت إنسانا نائما جفرت تحت رأسه وأخذت بحلقه فتقتله وتشرب دمه ، وهى فاسقة لايمر بها حيوان من نوعها إلا علاها ، وتضرب العرب بها المثل فى الفساد فإنها إذا وقعت فى الغنم عاثت ولم تكتف بما يكتفى به الذئب ، فإذا اجتمع الذئب والضبع فى الغنم سلمت لأن كل واحد منهما يمنع

صاحبه ، والعرب تقول فى دعائها : اللهم ضبعا وذئبا : أى اجمعهما فى الغنم لتسلم ، ومنه قول الشاعر :

تفرقت غنمى يوما فقلت لها يارب سلط عليها الذئب والضبعا

قيل للأصمعى : هذا دعاء لها أم عليها ؟ فقال : دعاء لها وذكر ماتقدم ، والضبع إذا وطئت ظل الكلب فى القمر وهو على سطح وقع الكلب فأكلته ، وتوصف بالحمق وذلك أن الصيادين لها يقولون على باب وجارها كلمات يصيدونها بها كما تقدم فى الذيخ ، والجاحظ يرى هذا من خرافات العرب ، وتلد من الذئب جروا ويسمى العسبار ، قال الراجز :

ياليت لى نعلين من جلد الضبع شركا من ثفـرها لاتنقطع

كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

والثفر للسباع وكل ذات مخالب بمنزلة الحياء من الناقة .

(وحكمها) حل الأكل . قال الشافعى رحمه الله تعالى « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذى ناب من السباع » فما قويت أنيابه فعدابها على الحيوان طالبا غير مطلوب يكون عداؤه بأنيابه علة تحريم أكله ، والضبع لايغتذى بالعدوى وقد يعيش بغير أنيابه وقد تقدم ذلك فى باب الهمزة فى لفظ الأسد ، وبحلها قال الإمام أحمد وإسحاق وأبو ثور وأصحاب الحديث ، وقال مالك : يكره أكلها ، والمكروه عنده ما أثم آكله ولا يقطع بتحريمه ، واحتج الشافعى بما روى عن سعد بن أبى وقاص أنه كان يأكل الضبع ، وبه قال ابن عباس وعطاء . وقال أبو حنيفة : الضبع حرام ، وهو قول سعيد بن المسيب والثورى محتجين بأنه ذو ناب ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذى ناب من السباع . ودليلنا ما روى عبد الرحمن بن أبى عمار قال : « سألت جابر بن عبدالله عن الضبع أصيد هى؟ قال : نعم . قلت : أتؤكل ؟ قال : نعم . قلت : أقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم » أخرجه الترمذى وغيره وقال : حسن صحيح . وقال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الضبع صيد وجزاؤه كبش مسن ويؤكل » رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ، وذكره ابن السكن أيضا فى صحاحه . قال الترمذى : سألت البخارى عنه فقال : إنه حديث صحيح . وفى البيهقى عن عبد الله بن مغفل السلمى قال « قلت : يا رسول الله ما تقول فى الضبع ؟ قال : لا آكله ولا أنهى عنه . قال : قلت : مالم تنه عنه فإنى آكله » إسناده ضعيف . قال الشافعى : ومازال لحم الضبع يباع بين الصفا والمروة من غير نكير . وأما ما ذكروه من حديث النهى عن أكل كل ذى ناب من السباع فإنه محمول على ما إذا كان يتقوى بنابه بدليل أن الأرنب حلال وله ناب ولكنه ضعيف لايعدو به .

(الأمثال) قالوا : أحمق من ضبع : ومن الأمثال الشهيرة فى ذلك ما رواه البيهقى فى آخر

[شعب الإيمان] عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أنه سأل يونس بن حبيب عن المثل المشهور : كمجير أم عامر ، فقال : كان من حديثه أن قوما خرجوا إلى الصيد فى يوم حار ، فبينما هم كذلك إذا عرضت لهم أم عامر وهى الضبع فطردوها فاتبعتهم حتى ألجئوها إلى خباء أعرابى فاقتحمته ، فخرج الأعرابى فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صيدنا وطريدتنا. قال : كلا والذى نفسى بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفى بيدى . قال : فرجعوا وتركوه ، فقام إلى لقحة له فحلبها وقرب إليها ذلك وقرب إليها ماء ، فأقبلت مرة تلغ من هذا ومرة تلغ من هذا حتى عاشت واستراحت ، فبينما الأعرابى نائم فى جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وأكلت حشوته وتركته ، فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقال : صاحبتى والله ، وأخذ سيفه وكنانته وأتبعها فلم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله ... يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر
أدام لها حين استجارت بقربه ... قراها من البان اللقاح الغزائر
وأشبعها حتى إذا ما تملأت ... فرته بأنياب لهـا وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من ... غدا يصنع المعروف مع غير شاكر

ومن الأمثال قال الميدانى : قالوا : ما يخفى هذا على الضبع ، يضرب للشىء يتعالمه الناس والضبع أحمق الدواب .

(الخواص) قال صاحب [عين الخواص] : الضبع تجذب الكلاب كما يجذب المغناطيس الحديد ، وذلك أنه إذا كان كلب على سطح فى ليلة مقمرة مضيئة ووطئت الضبع ظله فى الأرض يقع الكلب من السطح فتأكله الضبع ، وشحم الضبع إذا طلى به الجسد أمن من مضرة الكلاب ، ومرارتها إذا يبست وسقيت امرأة منها قدر نصف دانق أبغضت المجامعة وذهبت منها الشهوة ، وإذا اتخذ من جلد الضبع منخل ونخل به البزور وزرعت لايضرها الجراد ذكر ذلك كله محمد بن زكريا الرازى فى كتبه اهـ . وقال عطارد بن محمد : الضبع تهرب من عنب الثعلب فإذا طلى بعصارته الجسد أمن من مضرة الضبع ، وجلد الضبع إذا أمسكه إنسان لم تنبح عليه الكلاب ، ومرارتها يكتحل بها تنفع من ظلمة البصر والماء فى العين وتحد البصر وتقويه ، وعينها اليمنى تقلع وتنقع فى الخل سبعة أيام ثم تخرج منه وتجعل تحت فص خاتم فمن لبسه لم يخف سحرا ولا عينا ما دام لابسه ، ومن كان به سحر فغسل ذلك الخاتم بماء ثم يسقى منه فإن السحر يذهب عنه ، وهو نافع للربط وغيره من أنواع السحر ، ورأس الضبع إذا جعل فى برج حمام كثر فيه الحمام ، ولسانها من أمسكه بيده اليمنى لم تنبح عليه الكلاب ولم تؤذه وحذاق العيارين يفعلون ذلك ، ومن خاف الضباع فليأخذ بيده أصلا من أصول العنصل

فإنها تهرب منه ، وإذا بخر الصبى العليل سبعة أيام بشعر قفا الضبع فإنه يبرأ ، وإذا سقيت المرأة قضيب الضبعان مسحوقا وهى لا تعلم أذهب عنها شهوة الجماع ، ومن علق عليه قطعة من فرجها صار محبوبا للناس ، وأسنان الضبع إذا ربطت على العضد تنفع من النسيان ووجع الأسنان ، وإذا جلد بجلده مكيال وكيل به البذر أمن ذلك الزرع من سائر الآفات ، ومن غريب خواصها أن من أكل دمها ذهب عنه الوسواس ، ومن أمسك بيده حنظلة فرت الضباع منه ، وإذا طلى الجسد بشحم الضباع أمن من عقر الكلاب ، وقال حنين بن إسحق : إذا نتف الشعر الذى فى باطن أجفان العين واكتحل بمرارة الضبع أو بمرارة ببغاء أو بمرارة سبع أو بمرارة عنز فإنه يذهب بإذن الله تعالى ، وقضيبه يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين فإنه يهيج به شهوة الجماع ولا يمل من النساء ، وقال غيره : إذا شرب من مرارة الضبع نصف درهم بمثله عسلا نفع من سائر الأعلال التى تكون فى الرأس والعين ويمنع نزول الماء فى العين ويشد الانتشار ، وإن خلطت المرارة بالعسل واكتحل بها جلا العين وزادها حسناً وكلما عتق هذا الخلط كان أجود وأحسن نفعاً ، وقال ماسرجويه : الاكتحال بمرارة الضبع ينفع من البلة والدموع ، ومن غريب خواصها وهو ما أطبق عليه الأطباء : أن شعر الفخذ اليمنى من ذكر الضباع الذى حول فقحته إذا نتف وأحرق وخلط فى زيت مسحوقا ودهن به من به بغا أبرأه ، وهو يحدث العلة فى السليم إذا كان الشعر من أنثى فافهم ، وهو عجيب مجرب مرارا عديدة .

(التعبير) الضبع تدل رؤيته على كشف الأسرار والدخول فيما لايعنى ، وربما دلت رؤية الذكر على الرجل الخنثى المشكل ، وربما دلت على عدو ظلوم مكايد مخالف ، وقيل الضبع امرأة قبيحة المنظر دنيئة الأصل ساحرة عجوز ، وقال أرطاميدورس : الضبع تدل على الخديعة ، ومن ركبها فى المنام نال سلطانا ، والله أعلم .

﴿ أبوضبة ﴾ : الدراج قاله فى [المرصع] وقد تقدم لفظ الدراج فى باب الدال المهملة .

﴿ الضرغام ﴾ : والضرغامة الأسد ، وما أحسن ما رواه أبو المظفر السمعانى عن والده قال : سمعت سعد بن نصر الواعظ الحيوانى يقول : كنت خائفا من الخليفة لحادث نزل واشتد الطلب لى فاختفيت ، فرأيت فى النوم ليلة من الليالى كأنى فى غرفة جالسا على كرسى وأنا أكتب شيئا فجاء رجل فوقف بإزائى وقال : أكتب ما أملى عليك ، وأنشدنى :

ادفع بصبرك حادث الأيام ... وترج لطف الواحد العلام

لا تيأسن وإن تضايق كربها ... ورماك ريب صروفها بسهام

فله تعالى بين ذلك فرجة ... تخفى على الأبصار والأوهام

كم من نجى بين أطراف القنا وفريسة سلمت من الضرغام

قال : فلما أصبحت أتى الفرج وزال الخوف والحرج وفى [سراج الملوك] للإمام العلامة الطرطوشى عن عبدالله بن حمدون قال : كنت مع المتوكل لما خرج إلى دمشق فركب يوما إلى رصافة هشام بن عبد الملك بن مروان فنظر إلى قصورها ثم خرج فرأى ديرا هناك قديما حسن البناء بين مزارع وأنهار وأشجار فدخله ، فبينما هو يطوف إذ أبصر رقعة قد التصقت فى صدره فأمر بقلعها فإذا فيها هذه الأبيات :

أيا منزلا بالدير أصبح خاليا تلاعب فيه شمأل ودبور
كأنك لم يسكنك بيض أوانس ولم تتبختر فى فنائك حور
وأبناء أملاك غواشم سادة صغيرهم عند الأنام كبير
إذا لبسوا أدراعهم فعوابس وإن لبسوا تيجانهم فبدور
على أنهم يوم اللقاء ضراغم وأيديهم يوم العطاء بحور
ليالى هشام بالرصافة قاطن وفيك ابنه يادير وهو أمير
إذا الدهر غض والخلافة لدنة وعيش بنى مروان فيك نضير

ويروى : روضك مرتاض ونورك مزهر وعيش بنى مروان فيك نضير

بلى فسقاك الله صوب غمامة عليك بها بعد الرواح بكور
تذكرت قومى خاليا فبكيتهم بشجو ومثلى بالبكاء جدير
فعزيت نفسى وهى نفس إذا جرى لها ذكر قومى أنة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم لهم بالذى تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس ويطلق من ضيق الوثاق أسير
رويدك إن اليوم يتبعه غد وإن صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير وقال : أعوذ بالله من شر أقداره ، ثم دعا صاحب الدير وسأله عن الرقعة ومن كتبها فقال : لاعلم لى بهما انتهى . وذكر غيره أنه بعد عوده إلى بغداد لم يلبث إلا أياما قلائل حتى قتله ابنه المنتصر ، وقد تقدم ذكر قتله وكيفيته فى باب الهمزة فى الإوز فى ذكر الخلفاء .

وذكر ابن خلكان فى تاريخه فى ترجمة على بن محمد بن أبى الحسن الشبابشتى : أن الواقعة كانت للرشيد . قال : ولم نعرف نسبة الشبابشتى إلى أى شىء .

﴿ الضريس ﴾ : الطيهوج وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الطاء المهملة ، ومن أمثال العامة السائرة : أكسل من الضريس ، لأنه يلقى رجيعه على أولاده .

﴿ الضغبوس ﴾ : ولد الثرمة ، وقد تقدم فى باب الثاء المثلثة أنها أنثى الثعالب .

﴿ الضفدع ﴾ : بكسر الضاد وسكون الفاء والعين المهملة بينهما دال مهملة مثال الخنصر واحد الضفادع والأنثى ضفدعة ، وناس يقولون ضفدع بفتح الدال . قال الخليل : ليس فى الكلام فعلل إلا أربعة أحرف درهم وهجرع وهو الطويل وهبلع وهو الأكول وبلعم وهو اسم. وقال ابن الصلاح : الأشهر فيه من حيث اللغة كسر الدال وفتحها أشهر فى ألسنة العامة وأشباه العامة من الخاصة وقد أنكره بعض أئمة اللغة. وقال البطليوسى فى شرح [أدب الكاتب] وحكى أيضا ضفدع بضم الضاد وفتح الدال وهو نادر ، وحكاه المطرزى أيضا . قال فى [الكفاية] : وذكر الضفادع يقال له العلجوم بضم العين والجيم وإسكان اللام والواو آخره ميم ، ويقال للضفدع أبو المسيح وأبو هبيرة وأبو معبد وأم هبيرة ، والضفادع أنواع كثيرة وتكون من سفاد ، وتتولد من المياه القائمة الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقب الأمطار الغزيرة حتى يظن أنه يقع من السحاب لكثرة مايرى منه على الأسطحة عقب المطر والريح ، وليس ذلك عن ذكر وأنثى وإنما الله تعالى يخلقه فى تلك الساعة من طباع تلك التربة وهى من الحيوانات التى لاعظام لها ، ومنها ماينق ومالاينق والذى ينق منها يخرج صوته من قرب أذنه وتوصف بحدة السمع إذا تركت النقيق وكانت خارج الماء ، وإذا أرادت أن تنق أدخلت فكها الأسفل فى الماء ومتى دخل الماء فى فيها لاتنق ، وما أظرف قول بعض الشعراء وقد عوتب على قلة كلامه :

قالت الضفدع قولا فسرته الحكماء
فى فمى ماء وهل ينـ طق من فى فيه ماء

قال عبد القاهر : والثعبان يستدل بصياح الضفدع عليه فيأتى على صياحه فيأكله وأنشد فى ذلك يقول :

يجعل فى الأشداق ماء ينصفه حتى ينق والنقيق يتلفه

قوله ينصفه بضم الياء المثناة تحت وإسكان النون وكسر الصاد المهملة وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه الأعلى ؛ وقوله والنقيق يتلفه أراد به الضفادع إذا صاحت يتبعها الثعبان فيجىء فيأكلها ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ضفادع فى ظلماء ليـل تجاوبت فدل عليها صوتها حيـة البحر

وحية البحر الأفعى التى تكون فى البر وهى تعيش فى البر والبحر كما تقدم ، ويعرض لبعض الضفادع مثل مايعرض لبعض الوحوش من رؤية النار حيرة إذا رأتها وتتعجب منها إلا أنها تنق فإذا أبصرت النار سكتت ولا تزال تدمن النظر إليها ، وأول نشئها فى الماء أن تظهر مثل حب الدخن أسود ثم تخرج منه وهى كالدعموص ثم بعد ذلك تنبت لها الأعضاء فسبحان القادر على مايشاء وما يريد سبحانه لاإله إلا هو . وفى [الكامل] لابن عدى فى ترجمة عبد الرحمن بن سعيد بن عثمان بن سعد القرظى مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم عن جابر أن النبى

صلى الله عليه وسلم قال « من قتل ضفدعا فعليه شاة محرما كان أوحلالا » قال سفيان : يقال إنه ليس شيء أكثر ذكرا لله منه . وفيه فى ترجمة حماد بن عبيد أنه روى عن جابر الجعفى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن ضفدعا ألقت نفسها فى النار من مخافة الله فأثابهن الله بها برد الماء وجعل نقيقهن التسبيح . وقال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع والصرد والنحلة . قال : ولا أعلم لحماد بن عبيد غير هذا الحديث . قال البخارى : لايصح حديثه ، وقال أبو حاتم : ليس بصحيح الحديث ، وفى كتاب الزاهر لأبى عبدالله القرطبى : أن داود عليه السلام قال : لأسبحن الله الليلة تسبيحا ماسبحه به أحد من خلقه ، فنادته ضفدعة من ساقية فى داره : ياداود تفتخر على الله بتسبيحك وإن لى لسبعين سنة ماجف لسانى من ذكر الله تعالى ، وإن لى لعشر ليال ماطعمت خضرا ولا شربت ماء اشتغالا بكلمتين ، فقال : ماهما ؟ قالت : يامسبحا بكل لسان ومذكورا بكل مكان ، فقال داود فى نفسه : وما عسى أن أقول أبلغ من هذا .

وروى البيهقى فى شعبه عن أنس بن مالك أنه قال : إن نبى الله داود ظن فى نفسه أن أحدا لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه به ، فأنزل الله عليه ملكا وهو قاعد فى محرابه والبركة إلى جنبه فقال : ياداود افهم ماتصوت به هذه الضفدعة ، فأنصت إليها فإذا هى تقول : سبحانك وبحمدك منتهى علمك ، فقال له الملك : كيف ترى ؟ فقال : والذى جعلنى نبيا إنى لم أمدحه بهذا ؛

وفى كتاب [فضل الذكر] لجعفر بن محمد بن الحسن الغريانى الحافظ العلامة عن عكرمة أنه قال : صوت الضفدع تسبيح ، وفيه أيضا عن الأعمش عن أبى صالح أنه سمع صوت صرير باب فقال : هذا منه تسبيح .

(فائدة) قال الرئيس ابن سينا : إذا كثرت الضفادع فى سنة وزادت عن العادة يقع الوباء عقبها ، وقال القزوينى : الضفادع تبيض فى الرمل مثل السلحفاة ، وهى نوعان : جبلية ومائية . ونقل الزمخشرى فى الفائق عن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه قال : سأل رجل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم ، فرأى فيما يرى النائم رجلا كالبلور يرى داخله من خارجه ، ورأى الشيطان فى صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة قد أدخله فى منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس له فإذا ذكر الله خنس ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر هذا أيضا فى لفظ الكركى من كلام السهيلى .

(الحكم) يحرم أكلها للنهى عن قتلها .

وروى البيهقى فى سننه عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى صلى الله عليه وسلم « نهى قتل خمسة : النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد » وفى مسند أبى داود الطيالسى وسنن أبى داود والنسائى والحاكم عن عبد الله بن عثمان التيمى عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن

طبيبا سأله عن ضفدع يجعلها فى دواء فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها ، فدل على أن الضفدع يحرم أكلها وأنها غير داخلة فيما أبيح من دواب الماء ، وقال بعض الفقهاء : إنما حرم الضفدع لأنه كان جار الله فى الماء الذى كان عليه العرش قبل خلق السموات والأرض ؛ قال تعالى — وكان عرشه على الماء — .

وروى ابن عدى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح » قال السلمى : سألت الدارقطنى عنه فقال : إنه ضعيف ؛ قلت : الصواب أنه موقوف على عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قاله البيهقى وقد تقدم فى الخطاف . قال الزمخشرى : إنها تقول فى نقيقها : سبحان الملك القدوس ؛ وعن أنس : لا تقتلوا الضفادع فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت فى أفواهها الماء وكانت ترشه على النار ؛ وفى [شفاء الصدور] لابن سبع من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقهن تسبيح » .

(ومن أحكامه) أنه ينجس بالموت كغيره من الحيوان الذى لا يؤكل .

ونقل فى [الكفاية] عن الماوردى حكاية وجه أنه لا ينجس بالموت ، وغلطه شيخنا فى النقل عنه وقال : لا ذكر لهذا الوجه فى [الحاوى] ولا فى غيره من كتبه اه : وإذا مات فى ماء قليل قال النووى : إن قلنا لا تؤكل نجسته بلا خلاف ، وحكى الماوردى فى نجاسته قولين : أحدهما ينجس كما ينجس بسائر النجاسات ، والثانى يعفى عنه كدم البراغيث والأصح الأول .

ولما قدم وفد اليمامة على أبى بكر رضى الله تعالى عنه بعد قتل مسيلمة قال لهم : ما كان صاحبكم يقول ؟ فاستعفوه من ذلك ، فقال : لتقولن . قالوا : كان يقول : يا ضفدع ابنة ضفدع كم تنقين ؟ أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين .

(الأمثال) قالوا : أنق من ضفدع . قال الأخطل :

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

وقد تقدم ذكره وهو كقولهم : « على أهلها دلت براقش » .

وهى كلبة سمعت وقع حوافر الدواب فنبحت فاستدلوا بنباحها على القبيلة فاستباحوهم . قال حمزة بن أبيض :

لم يكن عن جناية لحقتنى ... لا يسارى ولا يمينى جنتنى

بل جناها أخ على كريم ... وعلى أهلها براقش تجنى

(الخواص) قال ابن جميع فى كتابه [الإرشاد] : لحوم الضفادع تغنى النفس وتورث

إسهالا دمويا فيتغير منه لون البدن ويورم ويختلط العقل ، وقال صاحب عين الخواص : شحم الضفادع الآجامية إذا وضع على الأسنان قلعها من غير وجع ، وعظم البرى إذا وضع على رأس القدر منعها من الغليان ، وإذا يبس ضفدع فى الظل ودق وطبخ مع خطمى وطلى به بعد طلى النورة والزرنيخ لم ينبت عليه الشعر بعد ذلك ، والضفدع إذا طرح وهو حى فى الشراب الصرف مات فإذا أخرج وألقى فى ماء صاف عاش .

ونقل عن محمد بن زكريا الرازى أن رجل الضفدع إذا علقت على من به النقرس سكن وجعه انتهى ، وإذا أخذت المرأة ضفدع الماء وفتحت فاه وبصقت فيه ثلاث مرات ثم ردته إلى الماء فإنها لا تحبل ، وإذا مسحت القدر من ظاهرها بشحمه وأوقد تحتها ما عسى أن يوقد لم تغل أبدا ، وإذا رضخت الضفدع وجعلت على لسعة الهوام أبرأتها من وقتها ، ومن خواصه العجيبة أنه إذا شق نصفين من رأسه إلى أسفله وامرأة تنظر إليه غلبت شهوتها وكثر ميلها إلى الرجال ، وإذا علق لسانه على امرأة نائمة أخبرت بكل ما عملت فى اليقظة ، وإذا جعل لسانه فى خبز وأطعم لمن اتهم بالسرقة فإنه يقر بها ، ودمه يطلى به الموضع الذى نتف شعره لم ينبت أبدا ، ومن لطخ به وجهه أحبه الناس ؛ وإذا وضع على اللثة أسقط السن بلا تعب ، قال القزوينى : ولقد كنت فى الموصل ولنا صاحب فى بستان بنى مجلسا وبركة فتولدت فيها الضفادع وتأذى سكان المكان بنقيقها ، وعجزوا عن إبطاله حتى جاء رجل فقال : اجعلوا طشتا على وجه الماء مقلوبا ، ففعلوا فلم يسمع لها نقيق بعد ذلك : وقال محمد ابن زكريا الرازى : إذا وضع سراج فى طاس وجعل فوق الماء أو فى قناة فيها أصوات الضفادع سكتت ولا يسمع لها صوت ألبتة .

(التعبير) الضفدع فى المنام : رجل عابد مجتهد فى طاعة الله لأنه صب الماء على نار نمرود ، والضفادع الكثيرة عذاب لأنها من آيات موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى — فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع — الآية ، وقالت النصارى : من رأى أنه مع الضفادع حسنت عشرته مع أقربائه وجيرانه ، ومن أكل لحم ضفدع فى منامه نال مشقة . وقال أرطاميدورس : الضفادع فى المنام تدل على الخداعين والسحرة . وقال جاماسب : من كلم ضفدعا فى المنام نال ملكا ، ومن رأى الضفادع خرجت من مدينة خرج منها العذاب ، والله أعلم .

﴿ الضرع ﴾ : بضاد معجمة مضمومة وواو مخففة مفتوحة وعين مهملة فى آخره . قال النووى : الأشهر أنه من جنس الهوام . وقال الجوهرى : إنه طائر من طير الليل من جنس الهوام . وقال المفضل : هو ذكر البوم وجمعه أضواع وضعيان .

وأصح القولين تحريم أكله كما صرح به فى شرح المهذب . قال الرافعى : هذا يقتضى أن الضوع ذكر البوم ، وذكر ما تقدم ثم قال : فعلى هذا إن كان فى الضوع قول لزم إجراؤه فى اليوم لأن الذكر والأنثى من الجنس الواحد لا يفترقان . قال النووى : قلت : الأشهر أن الضوع من جنس الهوام فلا يلزم اشتراكهما فى الحكم ، وحكمه تحريم الأكل على الأصح كما صرح به فى شرح المهذب .

﴿ الضيب ﴾ : شىء من دواب البحر على هيئة الكلب وخلقته قاله ابن سيده .

﴿ الضئيلة ﴾ : الحية الدقيقة قاله الجوهرى ، وقد تقدم لفظ الحية فى باب الحاء المهملة .

﴿ الضيون ﴾ : بفتح الضاد والواو وإسكان الياء المثناة تحت بينهما وبالنون فى آخره : الهر الذكر ، والجمع ضياون . قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

يريد كأن الشمس فى حجراته نجوم الثريا أو عيون الضياون

وقالت العرب : أدب من الضيون ، وهو من الدبيب . قال الشاعر :

يدب بالليل لجاراته كضيون دب إلى قرنب

القرنب : الفأر . وقالوا : أصيد من ضيون ، وأعلم وأزنى وأنزى من ضيون .

(خاتمة) قال الصقلى : ليس فى الأسماء شىء فيه ياء ساكنة بعدها واو مفتوحة إلا ثلاثة أسماء حيوة وضيون وكيوان وهو زحل ، وقد ذكر أهل الهيئة أن دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق تتم فى تسع وعشرين سنة وثمانية أشهر وستة أيام ، وسماه المنجمون النحس الأكبر لأنه فى النحوسة فوق المريخ وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم ، وزعموا أن النظر إليه يفيد غما وحزنا كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحا وسرورا ، والله أعلم .

باب الطاء المهملة

﴿ طامر بن طامر ﴾ : البرغوث والخسيس من الناس ؛ ويقال للخامل الذى لا يعرف هو طامر بن طامر .

﴿ الطاوس ﴾ : طائر معروف ، وتصغيره طويس بعد حذف الزوائد ، وكنيته : أبو الحسن وأبو الوشى ، وهو فى الطير كالفرس فى الدواب عزا وحسنا ، وفى طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق لاسيما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه ، والأنثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الأوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه ، وتبيض الأنثى مرة واحدة فى السنة اثنتى عشرة بيضة وأقل وأكثر

ولا تبيض متتابعا ويفسد فى أيام الربيع ، ويلقى ريشه فى الخريف كما يلقى الشجر ورقه فإذا بدا طلوع الأوراق فى الشجر طلع ريشه ، وهو كثير العبث بالأنثى إذا حضنت وربما كسر البيض ولهذه العلة يحضن بيضه تحت الدجاج ، ولا تقوى الدجاجة على حضن أكثر من بيضتين منه وينبغى أن تتعاهد الدجاجة بجميع ماتحتاج إليه من الأكل والشرب مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء ، والفرخ الذى يخرج من حضن الدجاجة يكون قليل الحسن ناقص الخلق وناقص الجثة ومدة حضنه ثلاثون يوما ، وفرخه يخرج من البيضة كالفروج كاسيا كاسبا ، وقد أحسن الشاعر فى وصفه حيث قال :

سبحان من خلقه الطاوس طير على أشكاله رئيس
كأنه فى نقشه عروس فى الريش منه ركبت فلوس
تشرق فى داراته شموس فى الراس منه شجر مغروس
كأنه بنفسج يميس أو هو زهر حرم يبيس

وأعجب الأمور أنه مع حسنه يتشاءم به ، وكأن هذا والله أعلم أنه لما كان سببا لدخول إبليس الجنة وخروج آدم منها ، وسببا لخلو تلك الدار من آدم مدة دوام الدنيا كرهت إقامته فى الدور بسبب ذلك .

(حكى) أن آدم لما غرس الكرمة جاء إبليس فذبح عليها طاوسا فشربت دمه ، فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه ، فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه ، فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الأوصاف الأربعة ، وذلك أنه أول مايشربها وتدب فى أعضائه يزهو لونه ويحسن كما يحسن الطاوس ، فإذا جاءت مبادى السكر لعب وصفق ورقص كما يفعل القرد ، فإذا قوى سكره جاءت الصفة الأسدية فيعبث ويعربد ويهذى بما لافائدة فيه ، ثم يتقعص كما يتقعص الخنزير ويطلب النوم وتنحل عرى قوته .

(فائدة) طاوس بن كيسان فتيه اليمن كان اسمه ذكوان فلقب بطاوس لأنه كان طاوس القراء والعلماء ، وقيل اسمه طاوس وكنيته أبو عبد الرحمن كان رأسا فى العلم والعمل من سادات التابعين أدرك خمسين صحابيا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وسمع ابن عباس وأبا هريرة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير وروى عنه مجاهد وعمرو بن دينار وعمرو ابن شعيب ومحمد بن شهاب الزهرى وآخرون . قال ابن الصلاح فى رحلته : روينا عن الزهرى أنه قال : قدمت على عبد الملك بن مروان فقال : من أين قدمت يازهرى ؟ قلت من مكة . قال : فمن خلفت بها يسود أهلها ؟ قال . قلت : عطاء بن أبى رباح . قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى : قال : فبم سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية ،

فقال : إن أهل الديانة والرواية ينبغى أن يسودوا الناس . قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاوس بن كيسان . قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى . قال : فبم سادهم ؟ قلت : بما سادهم به عطاء . قال : من كان كذلك ينبغى أن يسود الناس . قال : فمن يسود أهل مصر ؟ قلت : يزيد بن أبى حبيب . قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى فقال كما قال فى الأولين ؛ ثم قال : فمن يسود أهل الشأم ؟ قلت : مكحول الدمشقى . قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى عبد نوبى أعتقته امرأة من هزيل ، فقال كما قال ، ثم قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران . قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى ، فقال كما قال ؛ ثم قال : فمن يسود أهل خراسان ؟ قلت : الضحاك بن مزاحم . قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى . قال : ويلك ، فمن يسود أهل الكوفة ؟ قلت : إبراهيم النخعى . قال : من العرب أم من الموالى ؟ قلت : من العرب . قال : ويلك يازهرى ، فرجت عنى والله لتسودن الموالى على العرب حتى يخطب لها على المنابر وإن العرب تحتها . قال : قلت : ياأمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس : إن أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير . قال عمر : كفى بها موعظة . وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن طاوس أنه قال : بينا أنا بمكة استدعانى الحجاج فأتيته فأجلسنى إلى جانبه وأتكأنى على وسادة ، فبينما نحن نتحدث إذ سمع صوتا عاليا بالتابية فقال : علىّ بالرجل فأحضر ، فقال له : ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين ، فقال : إنما سألتك عن البلد والقوم . قال : من أهل اليمن ، فقال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يعنى أخاه وكان واليا على اليمن ، فقال : تركته جسيما وسيما لباسا حريرا ركابا خراجا ولاجا ، فقال : إنما سألتك عن سيرته ، فقال : تركته غشوما ظلوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق . قال : أتقول فيه هذا وقد علمت مكانه منى ؟ فقال الرجل : أتراه بمكانه منك أعز من مكانى من ربى وأنا مصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ووافد بيته ؟ فسكت الحجاج وذهب الرجل من غير إذن . قال طاوس : فتبعته فقلت : الصحبة ، فقال : لاحبا ولا كرامة ألست صاحب الوسادة الآن وقد رأيت الناس يستفتونك فى دين الله ؟ قلت : إنه أمير مسلط أرسل إلىّ فأتيته كما فعلت أنت . قال : فما ذاك الإتكاء على الوسادة فى رخاء بال هلا كان لك من واجب نصحه وقضاء حق رعيته بوعظه والحذر من بوائق عسفه وتخلى نفسك من ساعة الأنس به مايكدر عليك تلك الطمأنينة ؟ قلت : أستغفر الله وأتوب إليه ، ثم أسألك الصحبة ، فقال : غفر الله لك إن لى مصحوبا شديد الغيرة علىّ فلو أنست بغيره رفضنى ، ثم تركنى وذهب .

وفى تاريخ ابن خلكان : عن عبد الله الشامى قال : أتيت طاوسا فخرج إلىّ شيخ كبير فقلت : أنت طاوس ؟ فقال : أنا ابنه ، فقلت : إن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف . قال : إن العالم لايخرف ، فدخلت عليه فقال : أتحب أن أجمع لك التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فى مجلسى هذا ؟ قلت : نعم ، فقال : خف الله مخافة لايكون عندك شىء أخوف منه ، وأرجه رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأحب لأخيك ماتحب لنفسك . وقالت امرأة : مابقى أحد إلا فتنته إلا طاوسا فإنى تعرضت له فقال لى : إذا كان وقت كذا فتعالى ، قالت : فجئت ذلك الوقت ، فذهب بى إلى المسجد الحرام وقال : اضطجعى ، فقلت : هاهنا ؟ فقال : الذى يرانا هاهنا يرانا فى غيره ، فتابت المرأة . وقال : لايتم نسك الشاب حتى يتزوج وكان طاوس يقول : مامن شىء يتكلم به ابن آدم إلا أحصى عليه حتى أنينه فى مرضه . وقال : لقى عيسى بن مريم عليه السلام إبليس فقال : أما علمت أنه لايصيبك إلا ماقدر لك . قال : نعم . قال إبليس : فارق إلى ذروة هذا الجبل وترد منها فانظر أتعيش أم لا ، فقال له عيسى عليه السلام : أما علمت أن الله قال : لايختبر نى عبدى فإنى أفعل ماشئت إن العبد لايبتلى ربه ولكن الله يبتلى عبده ؟ قال طاوس : فخصمه . وكان يقول : صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم .

وروى أبو داود الطيالسى عن زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه أنه قال : من لم يدخل فى وصية لم تنله بلية ، ومن لم يتول القضاء بين الناس لم ينله جهد البلاء .

وروى أحمد عنه فى كتاب [الزهد] أنه قال : إن الموتى يفتنون فى قبورهم سبعة أيام فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام . قال : وكان من دعاء طاوس : اللهم ارزقنى الإيمان والعمل ومتعنى بالمال والولد . وروى عنه الحافظ أبو نعيم وغيره أنه قال : كان رجل له أربعة بنين فمرض فقال أحدهم : إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شىء وإما أن أمرضه وليس لى من ميراثه شىء ؟ فقالوا : مرضه وليس لك من ميراثه شىء ، فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئا ، فأتى إليه فى النوم فقال له : ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار ، فقال فى نومه : أفيها بركة ؟ فقال : لا ، فأصبح فذكر ذلك لامرأته فقالت : خذها فإن من بركتها أن تكتسى منها وتعيش فأبى ، فلما أمسى أتى له فى النوم فقال له : ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير ، فقال : أفيها بركة ؟ قال : لا ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الأولى فأبى أن يأخذها ، فأتى له فى الليلة الثالثة فقال له : ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارا . قال : أفيه بركة ؟ قال : نعم ، فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به إلى السوق فإذا هو برجل يحمل حوتين ، فقال له : بكم هما ؟ فقال : بدينار ، فأخذهما منه بالدينار وانطلق بهما إلى منزله فشق بطونهما فوجد فيهما درتين لم ير الناس مثلهما

قال : فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد إلا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهبا ، فلما رآها الملك قال : ماتصلح هذه إلا بأخت اطلبوا أختها وإن أضعفتم ثمنها ، فجاءوا إليه فقالوا له : أعندك أختها ونحن نعطيك ضعف ماأعطيناك ؟ قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم ، فأعطاهم إياها بضعف ماأخذوا به الأولى .

توفى طاوس وهو ابن بضع وسبعين سنة حاجا بمكة قبل يوم التروية بيوم ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين وذلك فى سنة ست ومائة ، وحج أربعين حجة ، وكان مجاب الدعوة .

(الحكم) يحرم أكل لحم الطاوس لخبث لحمه ، وقيل يحل لأنه لايأكل المستقذرات واللحوم ، وعلى الوجهين يصح بيعه إما لحل أكله وإما للتفرج على لونه ، وقد تقدم فى الصيد أن أبا حنيفة قال : لايقطع سارق الطيور لأن أصلها على الإباحة ، وخالفه الشافعى ومالك وأحمد وغيرهم فى ذلك .

(الأمثال) قالوا : أزهى من طاوس ، وأحسن من طاوس . قال الجوهرى : وقولهم أشأم من طويس هو مخنث كان بالمدينة قال : يا أهل المدينة توقعوا خروج الدجال ما دمت حياً بين ظهرانيكم فإذا مت فقد أمنتم لأنى ولدت فى الليلة التى مات فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وفطمت فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر ، وبلغت الحلم فى اليوم الذى قتل فيه عمر ، وتزوجت فى اليوم الذى قتل فيه عثمان ، وولد لى فى اليوم الذى قتل فيه على . وذكر ابن خلكان : أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة أن أحص المخنثين قبلك فوقعت على الحاء نقطة فأمر بالمخنثين فخصوا وخصى طويس من جملتهم ، فلما خصوهم أظهروا الفرح بذلك حتى قال أحدهم : ما كان أغنانا عن سلاح لا نقاتل به . وقال آخر وهو طويس : أف لكم ما سلبتمونى إلاميزاب بول اه . وكان طويس اسمه طاوس فلما تخنث جعلوه طويسا ويسمى بعبد النعيم وقال فى نفسه :

إننى عبد النعيم أنا طاوس الجحيم
وأنا أشأم من يمـ ـشى على ظهر الحطيم
أنا حاء ثم لام ثم قاف حشو ميم

عنى بقوله حشو ميم الياء لأنك إذا قلت ميم وقعت بين الميمين ياء يريد أنه حلقى ، وأراد بالحطيم الأرض فكأنه قال : أنا أشأم الناس . توفى طويس فى سنة اثنتين وتسعين من الهجرة .

(الخواص) لحم الطاوس عسر الهضم ردىء المزاج وأجوده الحديث ينفع المعدة الحارة وسلقه قبل طبخه بالخل يدفع ضرره ، وهو يولد كيموسا غليظا يوافق الأمزجة الحارة ،

وقد كرهت الحكماء لحوم الطواويس وقالوا : إنها أغلظ لحوم جميع الطيور وأعسرها انهضاما ويجب أن يذبح ويبيت مثقلا ويطبخ وينضج ، ويمنع منه أصحاب الترفه والرفاهية فإنه من أغذية أصحاب الرياضة . قال ابن زهر فى خواصه : إن الطاوس إذا رأى طعاماً مسموماً أو شم رائحته فرح ونشر جناحيه ورقص وبان منه السرور ، ومرارته إذا سقى منها المبطون بالسكنجبين والماء الحار أبرأه . ونقل عن هرمس : أن مرارته إذا شربت بخل نفعت من لدغ الهوام ، لكن قال صاحب عين الخواص : قالت الحكماء وأطهورس : إن مرارة الطاوس إن سقى منها إنسان جن . قال : وقد جربته . وقال هرمس : إن خلط دم الطاوس بالأنزروت والملح وطلى به القروح الرديئة الرطبة التى يخاف منها الأكلة أبرأها ، وزبله إن طلى به الثآليل قلعها ، وعظامه إذا أحرقت وسحقت وطلى بها الكلف أبرأته بإذن الله تعالى .

(التعبير) الطاوس تدل رؤيته على التيه والعجب بالحسن والجمال لمن ملكه ، وربما دلت رؤيته على النميمة والغرور والكبر والانقياد إلى الأعداء وزوال النعم والخروج من النعيم إلى الشقاء ومن السعة إلى الضيق ، وربما تدل رؤيته على الحلى والحلل والتاج والأزواج الحسان والأولاد الملاح . وقال المقدسى : الطاوس فى المنام امرأة أعجمية ذات مال وجمال لكنها مشئومة الناصية ، والذكر من الطواويس ملك أعجمى فمن رأى أنه يواخى الطواويس فإنه يواخى ملوك العجم وينال منهم جارية نبطية . وقال أرطاميدورس : الطواويس فى الرؤيا تدل على أقوام صباح الوجوه ضحاك السن ، وقيل الطاوس امرأة أعجمية غير مسلمة ، والله أعلم .

﴿ الطائر ﴾ : واحد الطيور والأنثى طائرة وهى قليلة وجمع الطير أطيار وطيور ، والطير ان حركة ذى الجناحين فى الهواء بجناحيه . قال الله تعالى — وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم — أى فى الخلق والرزق والحياة والموت والحشر والمحاسبة والاقتصاص من بعضها لبعض كما تقدم ، فإذا كان يفعل هذا بالبهائم فنحن أحرى إذ نحن مكلفون عقلاء ، وقيل أمم أمثالكم فى التوحيد والمعرفة قاله عطاء ، وقوله : بجناحيه تأكيد وإزالة للاستعارة المتعاهدة فى هذه اللفظة فقد يقال طائر للنحس والسعد . وقال الزمخشرى : الغرض من ذكر ذلك الدلالة على عظيم قدرة الله ولطف علمه وسعة سلطانه ، وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة والأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لمالها وما عليها ومهيمن على أحوالها لايشغله شأن عن شأن . روى أحمد بإسناد صحيح عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة . قال أبو بكر : يا رسول الله إن هذه الطير لناعمة . قال صلى الله عليه وسلم : آكلها أنعم منها . قالها ثلاثا ، وإنى لأرجو أن تكون

ممن يأكل منها » ورواه الترمذى بنحوهذا اللفظ وقال إنه حسن ، وروى البزار عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا » وفى أفراد مسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير » قال النووى : قيل مثلها فى رقتها وضعفها كالحديث الآخر «أهل اليمن أرق قلوبا وأضعف أفئدة » وقيل فى الخوف والهيبة لأن الطير أكثر الحيوان خوفا وفزعا كما قال تعالى — إنما يخشى الله من عباده العلماء — وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف من شدة خوفهم ، وقيل المراد متوكلون ، وقيل الطائر ما تيامنت به أو تشاءمت به وأصله فى ذى الجناح ، وقالوا : طائر الله لا طائرك ، فرفعوه على إرادة هذا طائر الله وفيه معنى الدعاء ، وطائر الإنسان عمله الذى قلده وقيل رزقه ، والطائر الحظ من الخير والشر وقوله تعالى — وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه — قيل حظه. وقال المفسرون : ما عمل من خير أو شر ألزمناه عنقه فلكل امرئ حظ من الخير والشر قد قضاه الله تعالى فهو ملازم عنقه ؛ وإنما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب : جرى له الطائر بكذا من الشر على طريق الفأل ، وفى سنن أبى داود وغيرها عن أبى رزين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا على جناح طائر مالم تعبر فإذا عبرت وقعت» ؛ قال : وأحسبه قال : «ولا تعبرها إلا على ذى ود أو ذى رأى » .

(وذكر ابن خلكان) أن موسى بن نصير أمير بلاد المغرب وفد على الوليد بن عبد الملك بعد أن فتح الغرب إلى البحر المحيط إلى طليطلة التى تحت بنات نعش ، فأخبره بالفتح وقدم معه بمائدة سليمان بن داود عليهما السلام التى وجدت فى طليطلة وكانت مصوغة من الذهب والفضة وعليها طرق لؤلؤ وطوق يا قوت وطوق زمرد ، وكان قد حملها على بغل قوى فما سار إلا قليلا حتى تفسخت قوائمه لعظمها ، وقدم معه أيضا بتيجان ملوك اليونان مكللة بالجواهر ، وثلاثين ألف رأس من الرقيق . قال : وكان اليونان وهم أهل الحكمة يسكنون بلاد المشرق قبل الإسكندرية ، فلما ظهرت الفرس وزاحمت اليونان على ما بأيديهم من الممالك انتقلوا إلى جزيرة الأندلس لكونها طرفا من آخر العمارة ولم يكن لها ذكر ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولا كانت عامرة كلها وكان أول من عمرها واختلط فيها أندلس بن يافث ابن نوح عليه السلام فسميت باسمه ، ولما عمرت الأرض بعد الطوفان كانت صورة المعمور منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق وذنبه المغرب وجناحاه الشمال والجنوب وبطنه ما بينهما فكانوا يزدرون المغرب لنسبته إلى أخس أجزاء الطائر ، وكان اليونان لا يرون فناء الأمم بالحروب لما فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التى أمرها عندهم أهم الأمور فلذلك انحازوا من بين يدى الفرس إلى الأندلس فعمروها وشقوا أنهارها وبنوا المعاقل

وغرسوا الجنان والكروم وملئوها حرثا ونسلا ، فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها : إن الطائر الذى صورة العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا لأن معظم جماله فى ذنبه ، ولما كملت اليونان عمارة جزيرة الأندلس جعلوا دار الحكمة والملك فيها مدينة طليطلة لأنها وسط البلاد . قيل : إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء على أدمغة اليونان ، وأيدى أهل الصين ، وألسنة العرب . وفى كفاية المعتقد لشيخنا الإمام العارف جمال الدين اليافعى رحمه الله : أن الشيخ العارف بالله تعالى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى دخل فى أيام بدايته مدرسة بديار مصر ، فوجد شيخا بقالا يتوضأ من بركة ماء فيها بغير ترتيب فقال له : يا شيخ أنت فى هذا السن وفى مثل هذا البلد ولا تحسن الوضوء ؟ فقال له : يا عمر مايفتح عليك بمصر ، فجاء إليه وجلس بين يديه وقال : يا سيدى ففى أى مكان يفتح على ؟ قال : بمكة ، فقال له : يا سندى وأين مكة ؟ فقال له : هذه وأشار بيده نحوها فكشف له عنها وأمره الشيخ بالذهاب إليها فى ذلك الوقت ، فوصل إليها فى الحال وأقام بها اثنتى عشرة سنة ففتح عليه ونظم فيها ديوانه المشهور ، ثم بعد مدة سمع الشيخ المذكور يقول : تعال يا عمر احضر موتى فجاء إليه ، فقال : خذ هذا الدينار فجهزنى به ثم احملنى وضعنى فى هذا المكان ، وأشار بيده إلى مكان فى القرافة وهو الموضع الذى دفن فيه ابن الفارض ثم انتظر ما يكون من أمرى . قال : فعانيته ولم أزل معانيا له حتى فرغت من تجهيزه ثم حملته ووضعته فيه ووقفت ، فإذا أنا برجل قد نزل من الهواء فصلينا عليه ثم وقفنا ننتظر ما يكون من أمره ، وإذا الجو قد امتلأ بطيور خضر فجاء طائر كبير فابتلعه ثم طار فتعجبت منه ، فقال لى ذلك الرجل : لا تعجب من هذا فإن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر ترعى فى الجنة وتأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش . قال شيخنا : أولئك شهداء السيوف ، وأما شهداء الصفوة فأجسادهم أرواح ، وقد تكلمت على مقام المحبة فى آخر الجزء الثامن من كتابى [الجوهر الفريد] فى نحو خمس كراريس فلينظر هناك ، وبالله التوفيق .

(فروع منثورة) منها لو ملك الإنسان طائرا أو صيدا وأراد إرساله من يده فوجهان أحدهما أنه يجوز ويزول ملكه عنه كما لو أعتق عبدا ، واختاره ابن أبى هريرة . والثانى لا يجوز ذلك ، واختاره الشيخ أبو إسحاق والقفال والقاضى أبو الطيب وهو الأصح فى الروضة والشرح . ولو فعله عصى ولم يخرج عن ملكه بالإرسال لأنه يشبه سوائب الجاهلية كما تقدم فى باب الصاد المهملة ، وقياسا على ما لو سيب دابة قال القفال : والعوام يسمونه عتقا ويحتسبونه وهو حرام ، وينبغى الإحتراز عن ذلك لأن الطائر المخلى يختلط بالطيور المباحة فيأخذه الآخذ ظنا أنه قد ملكه وهو لا يملكه فيكون سببا لوقوع أخيه المؤمن فى المحظورات واختار صاحب الإيضاح وجها ثالثا : وهو إن قصد بعتقه التقرب إلى الله تعالى زال ملكه

عنه وإلا فلا ، وإن قلنا بالوجه الأول فانه يعود بالإرسال إلى ما كان عليه فى الأصل من حكم الإباحة ؛ وإن قلنا بالوجه الثانى وهو الأصح كما تقدم لم يجز لمن عرف أنه ملك الغير ويعرف كونه ملكا للغير بكونه مخطوما أو مقصوص الجناح أو مقرطا أو فيه جلاجل أو موسوما أو مخضوبا أو غير ذلك مما يدل على الملك ، فإن شك فى كونه مملوكا فالأصل الحل ، فان قال المرسل عند إرساله : أبحته لمن يأخذه جاز اصطياده . وإن قلنا بالوجه الثالث فهل يحل اصطياده ؟ فوجهان : أحدهما نعم ، لأنه قد عاد إلى حكم الإباحة ولأنا لو منعنا اصطياده لأشبه سوائب الجاهلية وهذا هو الأصح فى الروضة ، والثانى المنع كالعبد إذا عتق فانه لا يسترق ، وينبغى أن يختص هذا الوجه بما إذا أعتقه مسلم فإن أعتقه كافر جاز اصطياده قطعا لأن عتقه لا يصح ويسترق عتيقه .

ومنها اعلم أن الإمام الرافعى رحمه الله تعالى قد أطلق القول بمنع الإرسال ولا بد من استثناء صور : الأولى أنه إذا كان الطائر معتاد العدو فانه يجوز إرساله فى المسابقة . الثانية إذا كان للطائر فرخ يخشى عليه الموت بحبس الطائر عنه فينبغى هنا القطع بوجوب الإرسال لأن الفرخ حيوان محترم فيجب السعى فى صيانة روحه ؛ وقد صرح الأصحاب بوجوب تأخير الحامل وإمهالها إذا وجب عليها الرجم أو القصاص لأجل إرضاعها الولد ، وجزم الشيخ أبو محمد الجوينى بتحريم ذبح الحيوان المأكول إذا كان حاملا بغير مأكول وعلله بأن فى ذبحه ما لا يحل ذبحه وهو الحمل ، وقد أطلق صلى الله عليه وسلم ظبية شكت أن لها خشفين : أى ولدين بالغابة ففى إطلاقه صلى الله عليه وسلم إياها دليل على الوجوب لأن ما كان ممنوعا منه ولم ينسخ ثم جوز فى بعض الأحوال فجوازه دليل وجوبه كالنظر إلى العورة فى الختان . ولما كان الإرسال ممنوعا منه لكونه سائبة ثم جوز فى بعض الأحوال كان دليل الوجوب . الثالثة إذا كان معه طائر أو حيوان وليس معه ما يذبحه به ولا ما يطعمه فإرساله واجب ليسعى فى طلب رزقه . الرابعة إذا أراد الاحرام فإنه يجب عليه الإرسال .

(التعبير) الطائر العمل قال الله تعالى — وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه — وربما دل الطائر المجهول على الإنذار والموعظة لقوله تعالى — قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون — فمن حسن طائره فى المنام حسن عمله وأتاه رسول بخير ، ومن رأى معه طائرا متوحشا دميم الخلق ربما كان عمله سيئا أو أتاه رسول بشر ، وأما عش الطائر فانه يدل على الزوجة والحد الذى يقف العارف عنده ورؤية العش للمرأة الحامل ولادة والعش ما يكون فى شجرة فإذا كان فى حائط أو كهف أو جبل فإنه وكر والوكر يدل على دور الزناة أو مساجد المتعبدين والمنقطعين ؛ وأما بيض الطائر فانه دال على الأولاد من الأزواج والاماء ، وربما دل على القبور ، وربما دل البيض على بيض الأسنة أو الخود ، وربما دل على الاجتماع

بالأهل والأقارب والأحباب ، وربما دل على جمع الدراهم والدنانير وادخارها ؛ والريش مال فى التأويل ، وربما دل على شراء قماش ، وربما دل على الجاه لأنه يقال فلان طائر بجناح غيره ، وربما دل على النبت من الزرع ، والمخلب نصرة المخاصم كما أنه للطائر عدة وجنة ، والمنقار عز وجاه عريض لمن ملكه فى المنام : وأما الزبل فزبل الطائر المأكول مال حلال وما لايؤكل مال حرام ؛ والزرق كسوة لاشتباهه فى الثوب ، وربما دل زرق الطائر الكاسر كالنسر والعقاب ونحوهما على الخلع من الملوك والأكابر ، فهذا قول جلى فيما ذكر من الطيور وفيما سيأتى وعلى هذا فقس بفهمك وحذقك تصب إن شاء الله تعالى ، والله الموفق .

(فائدة) وروى ابن بشكوال بسنده إلى أحمد بن محمد العطار عن أبيه قال : كان لناجار فأسر وأقام فى الأسر عشرين سنة وأيس أن يرى أهله . قال : فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيمن خلفت من صبيانى وأبكى إذ أنا بطائر سقط فوق حائط السجن يدعو بهذا الدعاء . قال : فتعلمته من الطائر ثم دعوت الله به ثلاث ليال متتابعات ثم نمت فما استيقظت إلا وأنافى بلدى فوق سطح دارى . قال : فنزلت إلى عيالى فسروا بى بعد أن فزعوا منى لما رأونى ورأوا ما بى من تغير الحال والهيئة ، ثم إنى حججت من عامى فبينما أنا أطوف وأدعو بهذا الدعاء إذ أنا بشيخ قد ضرب يده على يدى وقال لى : من أين لك هذا الدعاء فإن هذا الدعاء لايدعو به إلا طائر ببلاد الروم متعلق بالهواء ، فحدثته بقصتى وبما جرى على وإنى كنت أسيرا ببلاد الروم وتعلمت الدعاء من الطائر ؛ فقال : صدقت ، فسألت الشيخ عن اسمه فقال : أنا الخضر ، وهو هذا الدعاء : اللهم إنى أسألك يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولايصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا الدهور ، يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار ؛ ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا جبل إلا يعلم ما فى وعره وسهله ولا بحر إلا يعلم ما فى قعره وساحله ، اللهم إنى أسألك أن تجعل خير عملى آخره وخير أيامى يوما ألقاك فيه إنك على كل شىء قدير ، اللهم من عادانى فعاده ومن كادنى فكده ومن بغى على بهلكة فاهلكه ومن أرادنى بسوء فخذه ، واطفئ عنى نار من أشب لى ناره وأكفنى من أدخل على همه وأدخلنى فى درعك الحصينة واسترنى بسترك الواقى يامن كفانى كل شىء اكفنى ماأهمنى من أمر الدنيا والآخرة ، وصدق قولى وفعلى بالتحقيق يا شفيق يا رفيق فرج عنى كل ضيق ولا تحملنى مالا أطيق أنت إلهى الحق الحقيق ؛ يامشرق البرهان ياقوى الأركان يامن رحمته فى كل مكان وفى هذا المكان يامن لا يخلو منه مكان احرسنى بعينك التى لاتنام واكنفنى فى كنفك الذى لا يرام إنه قد تيقن قلبى أن لا إله إلا أنت وإنى لا أهلك وأنت معى يارجائى ، فارحمنى بقدرتك على يا عظيما يرجى لكل عظيم يا عليم يا حليم أنت بحاجتى عليم وعلى خلاصى قدير

وهو عليك يسير فامنن على بقضائها يا أكرم الأكرمين ويا أجود الأجودين ويا أسرع الحاسبين يارب العالمين ارحمنى وارحم جميع المذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إنك على كل شىء قدير ، اللهم استجب لنا كما استجبت لهم برحمتك عجل علينا بفرج من عندك بجودك وكرمك وارتفاعك فى علو سمائك يا أرحم الراحمين إنك على ما تشاء قدير ؛ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وهذا الدعاء روى الطبرانى بإسناد صحيح قطعة منه عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بأعرابى وهو يدعو فى صلاته ويقول يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر ، يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر إلا يعلم ما فى قعره ولا جبل إلا يعلم ما فى وعره اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك فيه ، فوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأعرابى رجلا فقال : إذا فرغ من صلاته فأتنى به ، فلما قضى صلاته أتاه به ، وقد كان أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن ، فلما أتى الأعرابى وهب له الذهب وقال : ممن أنت يا أعرابى ؟ قال : من بنى عامر بن صعصعة ، فقال صلى الله عليه وسلم : هل تدرى لم وهبت لك هذا الذهب ؟ قال : للرحم التى بيننا وبينك يا رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم : إن للرحم حقا ، ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل » .

﴿ الطبطاب ﴾ : طائر له أذنان كبيرتان .

﴿ الطبوع ﴾ : القمقامة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف .

﴿ الطرج ﴾ : النمل قاله الجوهرى ، وسيأتى إن شاء تعالى فى باب النون ، وقال غيره : صغار النمل .

﴿ الطحن ﴾ : دويبة قاله الجوهرى وغيره . قال الزمخشرى فى [ربيع الأبرار] : هى دويبة تشبه أم حبين يجتمع إليها الصبيان ويقولون : اطحنى لنا ، فتطحن بنفسها الأرض حتى تغيب فيها .

﴿ الطرسوح ﴾ : حوت بحرى إذا أدمن أكله أورث العين غشاوة

﴿ طرغلودس ﴾ : يعرفه أهل الأندلس ويسمونه الضريس بضاد معجمة مضمومة وراء مهملة مفتوحة وياء ساكنة منقوطة اثنتين من تحتها وسين مهملة قال الرازى : فى كتاب الكافى : هو عصفور صغير أصغر من جميع العصافير لونه رمادى وأحمر وأصفر ،

وفى جناحيه ريشة ذهبية ، ومنقاره رقيق ،وفى ذنبه نقط بيض متواترة ،وهو دائم الصفير ، وأجوده السمين .

(وحكمه) الحل .

(وله خاصية عجيبة) فى تفتيت الحصا المتكون فى المثانة ومنع ما لم يتكون .

﴿ الطرف ﴾ : بكسر الطاء الكريم من الخيل. وقال أبو زيد : هو نعت للذكر خاصة.

﴿ الطغام ﴾ : والطغامة بفتح الطاء والغين المعجمة أرذال الطير والسباع ، وهما أيضا أرذال الناس الواحد والجمع فى ذلك سواء قاله ابن سيده .

﴿ الطفل ﴾ : ولد كل وحشية والمولود من بنى آدم والجمع أطفال وقد يكون الطفل واحدا وجمعا مثل الجنب قال الله تعالى — أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء — والمطفل الظبية معها طفلها وهى قريبة عهد بالنتاج ، وكذلك الناقة والجمع المطافيل . قال أبو ذؤيب :

وإن حديثا منك لو تبذلينه جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل
مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وما أحسن قول الآخر :

فيا عجبا لمن ربيت طفلا ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
أعلمه الفتوة كل وقت فلما طرّ شاربه جفانى
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى

﴿ ذو الطفيتين ﴾ : حية خبيثة ، والطفية خوصة المقل فى الأصل وجمعها طفى فشبه الخطان اللذان على ظهر الحية بخوصتين من خوص المقل ، وقال الزمخشرى : وفى كتاب العين الطفية حية لينة خبيثة ، وأنشد يقول :

وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطفى من رقية الراقى

وكذلك قاله ابن سيده أيضا ، وفى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر وعائشة رضى الله تعالى عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اقتلوا الحيات وذا الطفيتين والأبتر فإنهما يستسقطان الحبالى ويلتمسان البصر » قال شيخ الإسلام النووى : قال العلماء : الطفيتان الخطان الأبيضان على ظهر الحية . والأبتر : قصير الذنب . وقال النضر بن شميل : هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما فى بطنها غالبا .

وذكر مسلم فى روايته عن الزهرى أنه قال : نرى ذلك من سمها . وأما قوله يلتمسان البصر ففيه تأويلان : أصحهما أنهما يخطفانه ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه لخاصية جعلها الله تعالى فى بصرهما إذا وقع على بصر الإنسان ، ويؤيد هذا أن فى رواية مسلم يخطفان البصر . والثانى أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش. قال العلماء : وفى الحيات نوع يسمى الناظر إذا وقع بصره على عين إنسان مات من ساعته . وقال أبو العباس القرطبى : ظاهر هذا أن هذين النوعين من الحيات لهما من الخاصية ما يكون عنه ذلك . ولا يستبعد هذا فقد حكى أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه المسمى [بكشف المشكل] كما فى الصحيحين : أن بغراق العجم أنواعا من الحيات تهلك الرائى لها بنفس رؤيتها ، ومنها ما يهلك بالمرور على طريقها .

﴿ الطلح ﴾ : بالكسر القراد ، وسيأتى إن شاء الله تعالى لفظ القراد فى باب القاف . قال كعب بن زهير :

وجلدها من أطوام لا يؤيسه طلح بضاحية المتنين مهزول

أى لا يؤثر القراد فى جلدها لملامسته قاله فى نهاية الغريب .

﴿ الطلا ﴾ : بكسر الطاء الولد من ذوات الظلف والجمع أطلاء .

(الأمثال) قالوا : كيف الطلا وأمه ، يضرب لمن ذهب همه وحلا لسانه .

﴿ الطلى ﴾ : بالفتح الصغير من أولاد المعز وإنما سمى بذلك لأنه يطلى : أى تشد رجلاه بخيط إلى وتد ، وجمعه طليان مثل رغيف ورغفان .

﴿ الطمروق ﴾ : بفتح الطاء الخفاش حكاه ابن سيده ، وقد تقدم فى حرف الخاء المعجمة .

﴿ الطمل ﴾ : والطملال والأطلس الذئب كما تقدم لفظه فى باب الذال المعجمة .

﴿ الطنبور ﴾ : نوع من الزنابير ذوات الإبر وهو يأكل الخشب ، وقد تقدم لفظ الزنبور فى باب الزاى المعجمة . قال شيخ الإسلام النووى فى شرح المهذب : ويستثنى من ذوات الإبر الجراد فإنه حلال قطعا وكذا القنفذ على الصحيح .

﴿ الطورانى ﴾ : قال الجاحظ : إنه نوع من أنواع الحمام ، وقد تقدم ذكر الحمام فى باب الحاء المهملة .

﴿ الطوبالة ﴾ : النعجة ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكرها فى باب النون قاله ابن سيده .

﴿ الطول ﴾ : بضم الطاء وتشديد الواو طائر قاله ابن سيده وغيره .

﴿ الطواطى ﴾ : قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى أول الباب الثانى فى حكم الكسب : إنه البيغاء ، وقد تقدم لفظ البيغاء فى باب الباء الموحدة .

﴿ الطير ﴾ : جمع طائر مثل صاحب وصحب ، وجمع الطير طيور وأطيار مثل فرخ وفروخ وأفراخ . وقال قطرب : الطير أيضاً قد يقطع على الواحد .

(فائدة) قال الله تعالى لخليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم — فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك — قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أخذ طاوسا ونسرا وغرابا وديكا ، وقيل أخذ حماما وغرابا وديكا وبطة . وقال مجاهد وعطاء وابن جريج : أخذ طاوساً وديكا وحماما وغرابا ، وقيل كانت الطيور بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر . قيل وفائدة حصره بأربعة أن الطبائع أربعة والغالب على كل واحد من هذه الطيور طبع منها فأمر بقتل الجميع وخلط لحومها بعضها ببعض وكذلك خلط دمائها وريشها ثم دعاهن بعد أن فرق أجزاءهن على رؤوس الجبال ، وقيل بل أمسك الرؤوس عنده فاجتمعت الأجزاء وأتين سعيا إلى رؤوسهن وأحياهن الله تعالى كما شاء بقدرته ، وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة الشهوات والزخارف التى هى صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل الموصوف بهما الغراب والترفع والمسارعة للهوى الموصوف بهما الحمام ، وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان ، وجمع بين مأكولى اللحم وضدهما وبين ممقوتين وهما الطاوس والغراب ومحبوبين وهما الديك والحمام ، وبين ما يسرع الطيران كالحمام والغراب وبين مالا يستطيعه إلا قليلا وهما الديك والطاوس ، وبين ما يتميز به الذكر من الأنثى وهما الطاوس والديك ومالا يتميز إلا للعارف كالحمام وما يعسر تمييزه كالغراب ، وما أحسن قول ابن الساعاتى :

والطل فى سلك الغصون كلؤلؤ رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة والريح يكتب والغمام ينقط

وهو تقسيم بديع والطير الذى يأتى فى كل سنة إلى جبل بصعيد مصر يسمى بوقير وقد تقدم فى حرف الباء .

(فائدتان : الأولى) روى الشافعى عن سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى يزيد عن سباع ابن ثابت عن أم كرز قالت « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : أقروا الطير على مكناتها » وفى رواية « فى وكناتها » وهذا بعض حديث رواه أحمد وأصحاب السنن والحاكم وابن حبان قال : فالتفت سفيان إلى الشافعى وقال : يا أبا عبد الله ما معنى هذا؟ فقال الشافعى إن علم العرب كان فى زجر الطير فكان الرجل منهم إذا أراد سفرا خرج من بيته فيمر على

الطير فى مكانه فيطيره فإذا أخذ يمينا مر فى حاجته وإن أخذ يسارا رجع ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أقروا الطير على مكناتها » قال : فكان ابن عيينة يسأل بعد ذلك عن تفسير هذا الحديث فقال مثل ما قال الشافعى : قال : وسألت وكيعا فقال : إنما هو عندنا على صيد الليل ، فذكرت له قول الشافعى فاستحسنه وقال : ما ظننته إلا على صيد الليل . وروى البيهقى فى سننه أن إنساناً سأل يونس بن عبد الأعلى عن معنى « أقروا الطير فى مكناتها » فقال : إن الله تعالى يحب الحق إن الشافعى قال فى تفسيره كذا وذكر ما تقدم عنه . قال : وكان الشافعى رحمه الله نسيج وحده فى هذه المعانى : قوله نسج وحده هو بالإضافة ووحده مكسور الدال . قال ابن قتيبة : وأصله أن الثوب الرقيق النفيس لا ينسج على منواله غيره ، وإن لم يكن نفيساً عمل على منواله عدة أثواب فاستعير ذلك لكل كريم من الرجال انتهى .

قال الصيدلانى فى شرح المختصر : المكنة بكسر الكاف موضع القرار والتمكن . قال وفى معنى هذا الحديث أقوال : أحدها النهى عن الصيد ليلا ، ثانيها ما تقدم عن الشافعى ، ثالثها قال أبو عبيد القاسم بن سلام : أقروها على بيضتها التى احتضنتها ، وأصل المكن بيض الضب ، قال الصيدلانى : فعلى هذا يجب أن يكون المفرد المكنة بتسكين الكاف كتمرة وتمرات انتهى .

(الفائدة الأخرى) الطيرة : بكسر الطاء وفتح الياء المثناة تحت التشاؤم بالشىء قال الله تعالى — وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله — أى شؤمهم جاء من قبل الله تعالى وهو الذى قضى عليهم بذلك وقدره ، ويقال تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما انتهى . وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله بقوله « لا طيرة وخيرها الفأل قيل يا رسول الله وما الفأل ؟ قال صلى الله عليه وسلم الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » وفى رواية قال « يعجبنى الفأل وأحب الفأل الصالح » وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا فى أسفارهم وحوائجهم ، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن ذلك . وفى حديث آخر « الطيرة شرك » أى اعتقاد أنها تنفع أو تضر وإنما اشتقوا الطيرة من الطير لسرعة لحوق البلاء على اعتقادهم كما يسرع الطير فى الطيران : وأما الفأل فمهموز ويجوز ترك همزه وقد فسره النبى صلى الله عليه وسلم بالكلمة الصالحة والحسنة ، والغالب أنه يكون فيما يسر وقد يكون فيما يسوء : وأما الطيرة فإنها لا تكون إلا فيما يسوء . قال العلماء : إنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمن فضل الله تعالى كان على خير وإذا قطع رجاءه من الله تعالى كان على سوء ، والطيرة فيها سوء ظن وتوقع البلاء . وفى الحديث « قالوا يا رسول الله لا يسلم منا أحد من الطيرة والحسد والظن فما نصنع ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إذا تطيرت فامض وإذا حسدت

فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق » رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على الطيرة فى باب اللام فى اللقحة أيضا . قال فى مفتاح دار السعادة : واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف . وأما من لم يبال به ولم يعبأ به فلا يضره ألبتة لا سيما إن قال عند رؤيته ما يتطير به أو سماعه « اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب السيئات إلا أنت ولاحول ولاقوة إلا بك » وأما من كان معتنيا بها فهى أسرع إليه من السيل إلى منحدره وقد فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة ما يفسد عليه دينه وينكد عليه معيشته انتهى . وقال ابن عبد الحكم : لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة قال رجل من لخم : تطيرت فإذا القمر فى الدبران فكرهت أن أقول له فقلت : ألا تنظر إلى القمر ما أحسن استواءه فى هذه الليلة ! فنظر عمر فإذا هو فى الدبران فقال : كأنك أردت أن تعلمنى بأنه فى الدبران إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار . قال ابن خلكان : ومن قبيح ما وقع لأبى نواس أن جعفر بن يحيى البرمكى بنى دارا استفرغ فيها جهده ، فلما كملت وانتقل إليها صنع فيها أبو نواس قصيدة امتدحه بها أولها :

أربع البلا إن الخشوع لبادى عليك وإنى لم أخنك ودادى
سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بنى برمك من رائحين وغادى

فتطير منها بنو برمك وقالوا : نعيت لنا أنفسنا يا أبا نواس ، فما كانت إلا مديدة حتى أوقع بهم الرشيد وصحت الطيرة . وذكر الطبرى والبغدادى وابن خلكان وغيرهم : أن جعفر بن يحيى البرمكى لما بنى قصره وتناهى بنيانه وكمل حسنه وعزم على الانتقال إليه جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه إليه ، فاختاروا له وقتا فى الليل فخرج فى ذلك الوقت والطرق خالية والناس هادئون فرأى رجلا قائما يقول :

تدبر بالنجوم ولست تدرى ورب النجم يفعل مايشاء

فتطير ووقف ودعا بالرجل وقال له : أعد ماقلته فأعاده ، فقال : ماأردت بهذا ؟ قال : ماأردت به معنى من المعانى ولكنه شىء عرض لى وجاء على لسانى ، فأمر له بدينار ومضى لوجهه وقد تنغص سروره وتكدر عيشه فلم يكن إلا قليل حتى أوقع بهم الرشيد ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر قتله فى باب العين المهملة فى العقاب . وفى [التمهيد] لابن عبد البر من حديث المقبرى عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبى عبد الرحمن الجبلى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، قالوا : وما كفارة ذلك يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أن يقول أحدكم اللهم لاطير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ، ثم يمضى لحاجته » .

(تنبيه مهم) جزم الإمام العلامة القاضى أبو بكر بن العربى فى الأحكام فى سورة المائدة بتحريم أخذ الفأل من المصحف ، ونقله القرافى عن الإمام العلامة أبى الوليد الطرطوشى ، وأقره وأباحه ابن بطة من الحنابلة ، ومقتضى مذهبنا كراهته .

(وحكى الماوردى) فى كتاب[أدب الدين والدنيا] أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما فى المصحف فخرج له قوله تعالى — واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد — فمزق المصحف وأنشأ يقول :

أتوعد كل جبار عنيـــد فها أنا ذاك جبار عنيـد
إذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث إلا أياما يسيرة حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور بلده كما تقدم فى باب الهمزة فى لفظ الإوز .

(فائدة أخرى) روى الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححوه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » معناه : تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار ممتلئة البطون من الشبع . قال الإمام أحمد : ليس فى هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه مايدل على طلب الرزق ، وإنما أراد والله أعلم لو توكلوا على الله فى ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ، وعلموا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا ، لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم وهذا خلاف التوكل وفى الإحياء فى أوائل كتاب أحكام الكسب قيل لأحمد : ماتقول فى الذى يجلس فى بيته أو مسجده ويقول : لاأعمل شيئا حتى يأتينى رزقى ؟ فقال أحمد : هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى » وقوله حيث ذكر الطير « تغدو خماصاً وتروح بطانا » وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم .

(مسألة) أوصى للمتوكلين أفتى ابن عباس بأن ذلك يصرف للزراع فإنهم يحرثون ويضيعون البذر فى الأرض فهم متوكلون على الله تعالى ، ويدل له ماورى البيهقى فى [الشعب] والعسكرى فى [الأمثال] أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لقى ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم قالوا : متوكلون . قال : كذبتم إنما المتوكل رجل ألقى حبه فى التراب وتوكل على رب الأرباب وبهذا أفتى بعض فقهاء بيت المقدس قديما . وقال الإمامان الرافعى والنووى فى تفضيل بعض الأكساب على بعض ؛ واحتج من فضل الزراعة بأنها أقرب إلى التوكل . وفى الشعب أيضا عن عمرو بن أمية الضمرى أنه قال : « قلت يارسول الله أرسل ناقتى وأتوكل ؟

قال صلى الله عليه وسلم : أعقلها وتوكل ، وسيأتى إن شاء الله تعالى هذا فى باب النون . وقال الحليمى : يستحب لكل من ألقى فى الأرض بذرا أن يقرأ بعد الإستعاذة — أفرأيتم ماتحرثون — الآية ، ثم يقول : بل الله الزارع والمنبت والمبلغ ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، وقال أبو ثور : سمعت الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول : نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم ورفع قدره فقال — وتوكل على الحى الذى لايموت — وذلك أن الناس فى التوكل على أحوال شتى : متوكل على نفسه أو على ماله أو على جاهه أو على سلطانه أو على صناعته أو على غلته أو على الناس ، وكل مستند إلى حى يموت أو إلى ذاهب يوشك أن ينقطع ، فنزه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمره أن يتوكل على الحى الذى لايموت . وقال الإمام العلامة شيخ الشريعة والحقيقة أبو طالب المكى فى كتابه [قوت القلوب] اعلم أن العلماء بالله تعالى لم يتوكلوا عليه لأجل أن يحفظ عليهم دنياهم ولا لأجل تبليغهم رضاهم ومرادهم ، ولم يشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون ولا ليبدل لهم جريان أحكامه عما يكرهون ولا ليغير لهم سابق مشيئته إلى ما يعقلون ، ولا ليحول عنهم سنته التى قد خلت فى عباده من الابتلاء والامتحان والاختبار بل هو جل وعلا أجل فى قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا ، فلو اعتقد عارف بالله أحد هذه المعانى مع الله فى توكله لكان عليه كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصية وإنما أخذوا أنفسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا كيف أجرى اه .

(فائدة) عن كعب الأحبار قال : إن الطير ترتفع اثنى عشر ميلا ولا ترتفع فوق هذا وفوق الجو السكاك ؛ والجو هو الهواء بين السماء والأرض .

(التعبير) الطائر فى المنام : رزق لمن حواه لقول الشاعر :

وما الرزق إلا طائر أعجب الورى فمدت له من كل فن حبائل

وسعادة ورياسة . وقيل الطيور السود تدل على السيئات والطيور البيض تدل على الحسنات ، ومن رأى طيورا تنزل على مكان وترتفع فإنها ملائكة ، ورؤية مايستأنس بالإنسان من الطيور دليل على الأزواج والأولاد ، ورؤية مالا يأنس بالآدمى من الطير دليل على معاشرة الأضداد والأعجام ، ورؤية الكاسر من الطير فى المنام شر ونكد ومغارم ، ورؤية الجارح المعلم عز وسلطان وفوائد وأرزاق ، ورؤية المأكول لحمه فائدة سهلة ، ورؤية ذى الأصوات قوم صالحون ، ورؤية المذكر رجال والمؤنث نساء ، ورؤية المجهول من الطير قوم غرباء ، ورؤية مافيه خير وشر فرج بعد شدة ويسر بعد عسر ، ورؤية مايظهر بالليل دليل على الجراءة وشدة الطلب والاختفاء ، ورؤية ماليس له قيمة إذا صار له قيمة فى المنام فإنها تدل على الربا وأكل المال بالباطل وبالعكس ، ورؤية مايظهر فى وقت دون

وقت فإن رآه قد ظهر فى غير أوانه كان ذلك دليلا على وضع الأشياء فى غير محلها أو على الأخبار الغريبة والخوض فيما لايعنى ، فهذا قول كلى فى أنواع الطير مما تقدم ذكره وسيأتى فافهم ذلك وقس عليه .

(تتمة) قال المعبرون : كلام الطير كله صالح جيد فمن رأى الطير يكلمه ارتفع شأنه لقوله تعالى — يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين — وكره المعبرون صوت طير الماء والطاوس والدجاج وقالوا : إنه هم وحزن ونعى وزمار الظليم وهو ذكر النعام قتل من خادم شجاع فإن كره صوته فإنه غلبة من خادم ، وهدير الحمام امرأة قارئة لكتاب الله تعالى ، وصوت الخطاف موعظة من رجل واعظ ، والله أعلم .

(خاتمة) قال ابن الجوزى فى كتاب [أنس الفريد وبغية المريد] : قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فى القرآن عشرة أطيار سماها الله تعالى بأسمائها : البعوضة فى البقرة ، والغراب فى المائدة ، والجراد فى الأعراف ، والنحلة فى النحل ، والسلوى فى البقرة وطه ، والنملة فى النمل والهدهد فيها أيضا ، والذباب فى الحج ، والفراش فى القارعة ، والأبابيل فى الفيل فهذه عشر .

﴿ طير العراقيب ﴾ : طير الشؤم عند العرب وكل ماتطيرت به سمته بذلك ، ومن الأحكام المتعلقة بالطير أن من فتح قفصا عن طائر وهيجه فطار ضمنه . قال الماوردى : بإجماع لأنه ألجأه إلى ذلك ، وإن اقتصر على الفتح ففيه ثلاثة أقوال : أحدها يضمنه مطلقا ، والثانى لايضمنه مطلقا ، والثالث وهو الأظهر إن طار فى الحال ضمنه ، وإن وقف ثم طار فلا لأن طيرانه فى الحال دليل على أنه بتنفيره حصل ذلك ، وأما طيرانه بعد الوقوف فهو أمارة ظاهرة على أنه طار باختياره لأن للطائر اختيارا ، فإن كسر الطائر فى خروجه قارورة أو أتلف شيئا أو انكسر القفص بخروجه أو وثبت هرة كانت حاضرة عند الفتح فدخلت فأكلت الطائر لزمه الضمان ، والله أعلم .

﴿ طير الماء ﴾ : كنيته أبو سحل ، ويقال له ابن الماء وبنات الماء ، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكره فى آخر باب الميم .

(الحكم) قال الرافعى : إنه حلال بجميع أنواعه إلا النقلق فإنه يحرم أكله على الصحيح ، وحكى الرويانى فى طير الماء وجهين عن الصيمرى والأصح ماقاله الرافعى ويدخل فيه البط والأوز ومالك الحزين . قال أبو عاصم العبادى : وهى أكثر من مائة نوع ولايدرى لأكثرها

اسم عند العرب فإنها لم تكن ببلادهم ، وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على مالك الحزين فى باب الميم .

(الأمثال) قالوا : كأن على رؤوسهم الطير ، بالنصب لأنه اسم كأن : أى على رأس كل واحد الطير يريد صيده فلا يتحرك ، يضرب للساكن الوادع وهذه كانت صفة مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير يريد أنهم يسكتون فلا يتكلمون والطير لاتسقط إلا على ساكت ، وقال الجوهرى : وقولهم كأنما على رؤوسهم الطير إذا سكتوا من هيبته وأصله أن الغراب إذا وقع على رأس البعير ليلقط منه الحلمة والحمانة فلا يحرك البعير رأسه لئلا ينفر عنه الغراب .

﴿ الطيطوى ﴾ : قال أرسطاطاليس فى كتاب [النعوت] : إنه طائر لايفارق الآجام وكثرة المياه لأن هذا الطائر لايأكل شيئا من النبت ولا من اللحوم وإنما قوته مما يتولد فى شاطىء الغياض والآجام من دود النتن ، وهذا الطائر تطلبه البزاة عند مرضها لأن البازى أكثر مايصيبه من الأمراض بسبب الحرارة فى كبده فإذا عرض له ذلك طلب الطيطوى وأكل كبده فيبرأ ، وقد يطمئن الطيطوى ويصيح ولا ينفر من موضعه إلا إذا طلبه البازى هرب وغير موضعه ، فإذا كان فى الليل هرب وصاح وهو فى النهار إذا هرب لم يصح وكمن فى الحشيش .

وذكر الثعلبى والبغوى وغيرهما فى تفسير سورة النمل عند قوله تعالى — يأيها الناس علمنا منطق الطير — سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم به كما يفهم من كلام الناس وقالوا : قال كعب الأحبار وفرقد السنجى : مر سليمان عليه السلام على بلبل فوق شجرة يحرك ذنبه ورأسه فقال لأصحابه : أتدرون مايقول هذا البلبل ؟ قالوا : لا يارسول الله . قال : يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء : ومر بهدهد فأخبر أنه يقول : إذا نزل القضاء عمى البصر . وفى رواية كعب أنه يقول : من لايرحم لايرحم ، والفاختة تقول : ياليت هذا الخلق ماخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم إذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا ، والصرد يقول : سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه ، والسرطان يقول : استغفروا الله يامذنبين ، وصاحت طيطوى عنده فأخبر أنها تقول : كل حى ميت وكل جديد بال . وقال : إن الخطاف يقول : قدموا خيرا تجدوه عند الله ، والورشان يقول : لدوا للموت وابنوا للخراب ، والطاوس يقول : كما تدين تدان ، والحمامة تقول : سبحان ربى المذكور بكل لسان ، والدراج يقول : الرحمن على العرش استوى ، وإذا صاحت العقاب تقول : البعد عن الناس راحة ، وفى رواية : البعد من الناس أنس ، وإذا صاح الخطاف قرأ الفاتحة إلى آخرها ويمد صوته بقوله ولا الضالين كما يمد القارىء ، والبازى

يقول : سبحان ربى العظيم وبحمده ، والقمرى يقول : سبحان ربى الأعلى ، وقيل إنه يقول : ياكريم ، والغراب يلعن العشار ويدعو عليه ، والحدأة تقول : كل شيء هالك إلا الله ، والقطاة تقول : من سكت سلم ، والببغاء يقول : ويل لمن كانت الدنيا أكبر همه ، والزرزور يقول : اللهم إنى أسألك رزق يوم بيوم يارزاق ، والقنبرة تقول : اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد ، والديك يقول : أذكروا الله ياغافلين ، والنسر يقول : يا ابن آدم عش ماشئت فإنك ميت ، وفى رواية : أن الفرس تقول إذا التقى الجمعان : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، والحمار يلعن المكاس وكسبه ، والضفدع يقول : سبحان ربى الأعلى .

(التعبير) الطيطوى فى المنام : امرأة ، قاله ابن سيرين .

(ومز خواصه) أن لحمه يعقل البطن ويزيد فى الباه .

﴿ الطيهوج ﴾ : بفتح الطاء طائر شبيه بالحجل الصغير غير أن عنقه أحمر ومنقاره ورجلاه حمر مثل الحجل وما تحت جناحيه أسود وأبيض ، وهو خفيف مثل الدراج .

(وحكمه) الحل .

(الخواص) لحم الطيهوج كثير الحرارة والرطوبة قاله يوحنا ، وقيل معتدل : قلت : وهو الصواب ، وقيل إنه فى الدرجة الثالثة فى الهضم وأجوده السمين الرطب الخريفى ، ينفع للزيادة فى الباه ويعقل البطن لكنه يضر بمن يعالج الأثقال ويدفع ضرره طبخه فى الهرائس ، وهو يولد دما معتدلا ويوافق الأمزجة المعتدلة من الصبيان ، وأجوده ما أكل فى زمن الربيع لاسيما فى البلاد الشرقية ، والطيهوج والدراج والحجل متقاربة فى ترتيب الأغذية فى الاعتدال واللطافة ، والطيهوج أولا ثم الدراج ثم الحجل ، وتقدم فى الضاد أنه الضريس ، والله أعلم .

﴿ بنت طبق وأم طبق ﴾ : السلحفاة ، وقد تقدم ذكرها فى باب السين ، وقيل هى حية عظيمة من شأنها أن تنام ستة أيام ثم تستيقظ فى اليوم السابع فلا تنفخ فى شيء إلا أهلكته ، وقد تقدم فى ذكر النوعين فى بابيهما ، ومنه قيل للداهية : إحدى بنات طبق ، ومنه قولهم : قد طرقت بنكدها أم طبق .

(الأمثال) قالوا : جاء فلان بإحدى بنات طبق ، يضرب للرجل يأتى بالأمر العظيم .

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى

وأوله باب الظاء المعجمة

فهرس

(الجزء الأول من كتاب « حياة الحيوان الكبرى » للدميري)

صحيفة		صحيفة		صحيفة	
٣	ترجمة المؤلف	٤٠	الأطيش	٧٥	خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه
٥	خطبة الكتاب	٤١	الأغثر	٧٨	خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه
٦	(باب الهمزة) . الأسد		الإفال والأفائل الأفعى	٨٢	خلافة أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله تعالى عنه
٢٢	الإبل	٤٨	الأقهبان الأملول الأنس	٨٤	خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه
٣٧	الأبابيل الأتان	٤٩	الإنسان	٨٥	خلافة يزيد بن معاوية
٢٩	الأخطب الأخيضر الأخيل الأربد	٦٣	إنسان الماء الأنقد	٨٨	خلافة معاوية بن يزيد ابن معاوية بن أبى سفيان
٣٠	الأرخ الأرضة	٦٤	الأنكليس الأنن الأنيس	٨٩	خلافة مروان بن الحكم
٣١	الأرقم الأرنب	٦٥	الأنوق	٩٠	خلافة عبد الملك ابن مروان
٣٥	الأرنب البحرى الأروية	٦٦	الإوز	٩٣	خلافة عبد الله ابن الزبير
٣٦	الأساريع	٦٨	فائدة أجنبية تتضمن أن كل سادس قائم بأمر الأمة مخلوع . أول قائم بأمر الأمة النبى صلى الله عليه وسلم	٩٤	خلافة الوليد بن عبد الملك
٣٧	الأسفع الأستنقور الأسود السالخ	٦٩	خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه .		
٣٩	الأصرمان الأصلة	٧١	خلافة عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه		
٤٠	الأطلس الأطوم				

صحيفة
٩٥ خلافة سليمان بن عبد الملك
٩٧ خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
١٠١ خلافة يزيد بن عبد الملك
١٠٢ خلافة هشام بن عبد الملك
خلافة الوليد بن يزيد ابن عبد الملك
١٠٤ خلافة يزيد بن الوليد ابن عبد الملك بن مروان
خلافة إبراهيم بن الوليد
خلافة مروان بن محمد
١٠٥ (الدولة العباسية)
خلافة أبى العباس السفاح
١٠٦ خلافة أبى جعفر المنصور
خلافة محمد المهدى
١٠٧ خلافة موسى الهادى
خلافة هارون الرشيد
١٠٨ خلافة محمد الأمين

صحيفة
١١١ خلافة عبد الله المأمون
١١٢ خلافة أبى إسحاق إبراهيم المعتصم
١١٦ خلافة هارون الواثق بالله
١١٩ خلافة جعفر المتوكل
١٢٠ خلافة محمد المنتصر بالله
خلافة أحمد المستعين بالله
١٢٢ خلافة أبى عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل
خلافة جعفر المهتدى بالله بن هارون
١٢٥ خلافة أبى القاسم أحمد المعتمد على الله ابن المتوكل
١٢٦ خلافة أبى العباس أحمد المعتضد بالله ابن الموفق
خلافة أبى محمد على ابن المعتضد
خلافة أبى الفضل جعفر المقتدر بالله
١٢٧ خلافة عبد الله بن المعتز المرتضى بالله

صحيفة
١٢٩ خلافة محمد القاهر بالله
خلافة أبى العباس أحمد الراضى بالله ابن المقتدر
١٣٠ خلافة إبراهيم المتقى بالله
خلافة عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى
١٣١ خلافة أبى الفضل المطيع لله بن المقتدر
خلافة أبى بكر عبد الكريم الطائع لله
١٣٣ خلافة أبى العباس أحمد القادر بالله ابن إسحاق
١٣٤ خلافة أبى جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر بالله
خلافة أبى القاسم المقتدى بأمر الله ابن محمد بن القائم
١٣٥ خلافة المستظهر بالله أبى العباس أحمد
خلافة أبى منصور الفضل : المسترشد بالله بن المستظهر

صحيفة
١٣٥ خلافة أبى منصور جعفر الراشد بالله
١٣٦ خلافة أبى عبد الله محمد المقتفى لأمر الله
خلافة أبى المظفر يوسف المستنجد بالله
ابن المتقى
١٣٧ خلافة المستضىء بنور الله بن المستنجد
خلافة أبى العباس أحمد الناصر لدين الله
خلافة الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله
١٣٩ خلافة المستعصم بالله
١٤٠ خلافة المستنصر بالله أحمد ابن الخليفة الظاهر بالله
خلافة الحاكم بأمر الله
خلافة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله
خلافة الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفى بالله

صحيفة
١٤١ خلافة المعتضد بالله
خلافة المتوكل على الله
خلافة المستعين بالله
١٤٢ فصل فيما يجب على من يصحب الخلفاء الراشدين وأمراء المؤمنين والملوك والسلاطين
١٤٤ خلافة المعتضد بالله أبى الفتح داود
خلافة المستكفى بالله
١٤٨ الألفة
الإلق
الأودع
الأورق
الأوس
١٤٩ إيلس
الأيم والأين
١٥٠ الأيل
١٥٢ ابن آوى
(باب الباء الموحدة)
البابوس
البازى
١٥٧ البازل
الباقعة
بالام
١٥٩ البال
الببر

صحيفة
١٥٩ الببغاء
١٦١ الببج
البجع
١٦٢ البحزج
البخاق
البخت
البدنة
١٦٤ البذخ
١٦٥ البراق
١٦٨ البرذون
١٧٢ البرغش
البرعن
البرغوث
١٧٥ البرا
البرقانة
البرقش
البركة
البشر
البط
١٧٩ البطس
البعوض
١٨٧ البعير
١٩٤ البغاث
١٩٥ البغل
٢٠٨ البغيبغ
البقر الأهلى
٢١٥ البقر الوحشى
٢١٦ بقر الماء
٢١٧ بقرة بنى إسرائيل

صحيفة
٢١٧ البق
٢١٨ البكر
٢٢٠ البلبل
٢٢١ البلح
٢٢٢ البلشون
البلصوص
بنات الماء
بنات وردان
البهار
البهثة
البهرمان
البهمة
٢٢٣ البهيمة
٢٢٦ البوم والبومة
٢٢٨ البوه
٢٢٩ بوقير
البينيب
البياح
أبو براقش
أوبرا
أبو بربص
(باب التاء المثناة)
التالب
٢٣٠ التبيع
التبشر
التثفل
التدرج
التخس
التفلق
التفه

صحيفة
٢٣١ التم
التمساح
٢٣٣ التميلة
التنوط
التنين
٢٣٥ التورم
التولب
التيس
٢٤٣ (باب الثاء المثلثة)
الثاغية
الثرملة
الثعبان
٢٤٧ ثعالة
الثعبة
الثعلب
٢٥٦ الثفاء
الثقلان
الثلج
الثنى
الثور
٢٥٩ الثول
الثيتل
٢٦٠ (باب الجيم)
الجأب
الجارف
الجارحة
الجاموس
الجان
٢٦١ الجبهة

صحيفة
٢٦١ الجثلة
الجحل
الجحمرش
الجحش
٢٦٢ الجخدب
الجدجد
الجداية
الجدى
٢٦٣ الأجدل
الجذع
٢٦٤ الجراد
٢٧٠ الجراد البحرى
٢٧١ الجرارة
الجرذ
٢٧٣ الجرجس
الجوارس
الجرو
٢٧٤ الجريث
٢٧٥ الجزور
٢٧٧ الجساسة
جعار
الجعدة
الجعل
٢٧٩ الجعول
الجفرة
٢٨٠ جلكى
الجلالة
الجلم
الجمل

صحيفة
٢٨٨ جمل البحر
جمل الماء
جمل اليهود
الجمعايلة
جميل وجميل
الجنبر
الجندب
الجندع
الجن
٣٠٦ جنان البيوت
الجندبادستر
٣٠٧ الجنين
٣٠٨ جهبر
الجواد
٣١٨ الجواف
الجؤذر
٣١٩ الجوزل
جيال
أبو جرادة
(باب الحاء المهملة)
حائم
٣٢٠ الحارية
الحباب
الحبتر
الحبث
حباحب
الحبارى
٣٢٢ الحبرج
الحبركى

صحيفة
٣٢٢ حبلق
حبيش
الحجر
٣٢٣ الحجروف
الحجل
٣٢٥ الحدأة
٣٢٨ الحذف
الحر
الحرباء
٣٣٠ الحرذون
الحرشاف أو الحرشوف
٣٣١ الحرقوص
٣٣٢ الحريش
الحسبان
الحساس
الحسل
٣٣٣ الحسيل
حسون
الحشرات
٣٣٤ الحشور والحاشية
الحصان
٣٣٦ الحصور
حضاجر
٣٣٧ الحضب
الحفان
الحفص
الحقم

صحيفة
٣٣٧ الحلزوم
الحلكة والحكاء
والحلكى
الحلم
٣٣٨ الحمار الأهلى
٣٦١ الحمار الوحشى
٣٦٤ حمار قبان
٣٦٥ الحمام
٣٧٦ الحمد
الحمر
٣٧٧ الحمسة
الحماط
الحمك
الحمل
٣٧٩ حمنان
الحمولة
الحميمق
حميل حر
الحنش
٣٨٠ الحنظب
الحوار
الحوت
٣٨٣ حوت الحيض
حوت موسى ويوشع
٣٨٨ الحوشى
الحوصلى
الحلان

صحيفة
٣٨٩ حيدرة
٣٩١ الحيرمة
الحية
٤٠٥ الحيوث
الحيدوان
الحيقطان
الحيوان
٤٠٩ أم حبين
٤١٠ أم حسان
أم حسيس
أم حفصة
أم حمارس
(باب الخاء المعجمة)
الخازباز
٤١١ خاطف ظله
الخاطف
الخبهقعى
الخثق
٤١٢ الخدارية
الخدرنق
الخراطين
الخرب
٤١٣ الخرشة
الخرشقلا
الخرشنة
الخرق
٤١٤ الخرنق
٤١٥ الخروف
الخزز

صحيفة
٤١٥ الخشاش
٤١٦ الخشاف
الخشرم
الخشف
٤١٧ الخضارى
الخضرم
الخضيراء
الخطاف
٤٢٠ الخفاش
٤٢٣ الخنان
الخلنبوص
الخلد
٤٢٧ الخلفة
٤٣٠ الخمل
الخنتعة
الخندع
الخنزير البرى
٤٣٦ الخنزير البحرى
الخنفساء
٤٣٨ الخنوّص
الخيتعور
الخيدع
الأخيل
الخيل
٤٤٩ أم خنور
(باب الدال المهملة)
الدابة
٤٦٢ الدواجن

صحيفة
٤٦٣ الدارم
الدبى
الدب
٤٦٥ الدببب
الدبر
٤٦٦ الدبسى
٤٦٧ الدجاجة
٤٧٦ الدجاج الحبشية
الدج
الدحرج
الدخاس
الدخس
الدخل
الدراج
٤٧٨ الدرباب
الدرمرج
الدرص
الدرة
٤٧٩ الدساسة
الدعسوقة
الدعموص
٤٨٠ الدغفل
الدغناش
الدقيش
٤٨١ الدلدل
الدلفين
٤٨٢ الدلق

صحيفة

٤٨٣ الدلم
الدلهاما
الدم
الدنة
الدنيلس
٤٨٤ الدهانج
الدوبل
الدود
٤٨٩ دؤالة
الدودمس
الدوسر
الديسم
الديك
٤٩٧ ديك الجن
٤٩٨ الديلم
ابن دأية
٤٩٩ الدئل
٥٠٠ (باب الذال المعجمة)
ذؤالة
٥٠١ الذباب
٥٠٧ الذر
٥١١ الذراح
الذرع
الذعلب
الذئب
٥١٩ ذؤالة (وقد تقدم فى أول الباب نظرا لهمزه وكرر هنا نظرا لرسمه بالواو)

صحيفة

٥١٩ الذيخ
٥٢١ (باب الراء المهملة)
الراحلة
٥٢٢ الرأل
الراعى
الربى
الرباح
٥٢٣ الرباح
الربح
الربية
الرتوت
الرثيلى
الرخل
٥٢٤ الرخ
الرخمة
٥٢٦ الرشأ
الرشك
٥٢٧ الرفراف
الرق
الركاب
٥٢٨ الركن
الرمكة
الرهدون
الروبيان
الريم
أم رباح
أبو رياح

صحيفة

٥٢٨ ذو رميح
٥٢٩ (باب الزاى)
الزاغ
٥٣١ الزاق
الزامور
٥٣٢ الزبابة
الزبزب
الزخارف
٥٣٣ الزرزور
الزرق
٥٣٤ الزرافة
٥٣٦ الزرياب
الزغبة
الزغلول
الزغيم
الزقة
الزلال
٥٣٨ الزماج
الزمج
زمج الماء
الزنبور
٥٤٠ الزندبيل
الزهدم
٥٤١ أبو زريق
أبو زيدان
أبو زياد
(باب السين المهملة)
سابوط

صحيفة

٥٤١ ساق حر
٥٤٢ السالخ
سام أبرص
السانح
٥٤٣ السبد
السبع
٥٤٩ السبنى والسبندى
السبيطر
السحلة
السحلية
٥٥٠ السحا
سحنون
السخلة
٥٥٣ السرحان
السرطان
٥٥٤ السرعوب
السرفوت
٥٥٥ السرفة
السرمان
السروة
السرماح
السعدانة
السعلاة
٥٥٨ السفنج
٥٥٩ السقب
السقر
السقنقور

صحيفة

٥٦٠ السلحفاة البرية
٥٦١ السلحفاة البحرية
٥٦٢ السلفان
السلق
السلك
السلكوت
السلوى
٥٦٣ السمانى
٥٦٤ السمحج
السمع
٥٦٦ السمائم
السمسم
السمسمة
السمك
٥٧٣ السمندل
٥٧٤ السمور
السميطر
السمندر والسميدر
٥٧٥ سناد
السنجاب
السنداوة
٥٧٦ السنة
السندل
السنور
٥٧٩ السنونو
٥٨٠ السودانية والسوادية
السنوذنيق

صحيفة

٥٨٠ السوس
٥٨٢ السيد
السيدة
٥٨٣ سيفنة
أبو سيراس
(باب الشين المعجمة)
الشادن
شادهوار
الشارف
٥٨٤ الشاة
٥٩٤ الشامرك
الشاهين
٥٩٥ الشبب
الشبث
الشبثان
٥٩٦ الشبدع
الشبربص
الشبل
الشبوة
الشبوط
الشجاع
٥٩٧ الشحرور
٥٩٨ شحمة الأرض
الشذا
الشران
الشرشق
الشرشور
الشرغ

صحيفة
٥٩٨ الشرنبى
الشصر
٥٩٩ الشعراء
٦٠١ الشغواء
الشفدع
الشفنين
الشق
٦٠٤ الشقحطب
الشقذان
الشقراق
٦٠٥ الشمسية
الشنقب
شه
الشهام
الشهرمان
٦٠٦ الشوحة
الشوف
الشوشب
الشوط
شوط براح
الشول
شولة
الشيخ الشهودى
الشيذمان

صحيفة
٦٠٦ الشيصبان
٦٠٧ الشيع
الشيم
الشيهم
٦٠٨ أبو شبقونة
(باب الصاد المهملة)
الصؤابة
الصارخ
الصافر
٦٠٩ الصدف
٦١٠ الصدى
٦١٢ الصراخ
صرار الليل
الصراح
الصرد
٦١٥ الصرصر
٦١٦ الصرصران
الصعب
الصعوة
٦١٧ الصفارية
الصفر
٦١٨ الصفرد
الصقر
٦٢٤ الصل
٦٢٥ الصلب

صحيفة
٦٢٥ الصلنباج
الصلصل
الصناجة
٦٢٦ الصوار
الصومعة
الصيبان
الصيد
٦٣٢ الصيدح
٦٣٣ الصيدن
الصيدنانى
الصير
(باب الضاد المعجمة)
الضأن
٦٣٦ الضؤضؤ
الضب
٦٤٠ الضبع
٦٤٤ أبو ضبة
الضرغام
٦٤٥ الضريس
الضغبوص
٦٤٦ الضفدع
٦٤٩ الضوع
٦٥٠ الضيب
الضئيلة
الضيون

صحيفة		صحيفة		صحيفة	
٦٥٠	(باب الطاء المهملة)	٦٦١	الطرف	٦٦٢	الطورانى
	طامر بن طامر		الطغام		الطوبالة
	الطاوس		الطفل		الطول
٦٥٥	الطائر		ذو الطفيتين	٦٦٣	الطواطى
٦٦٠	الطبطاب	٦٦٢	الطلح		الطير
	الطبوع		الطلا	٦٦٨	طير العراقيب
	الطثرج		الطلى		طير الماء
	الطحن		الطمروق	٦٦٩	الطيطوى
	الطرسوح		الطمل	٦٧٠	الطيهوج
	طرغلودس		الطنبور		بنت طبق وأم طبق

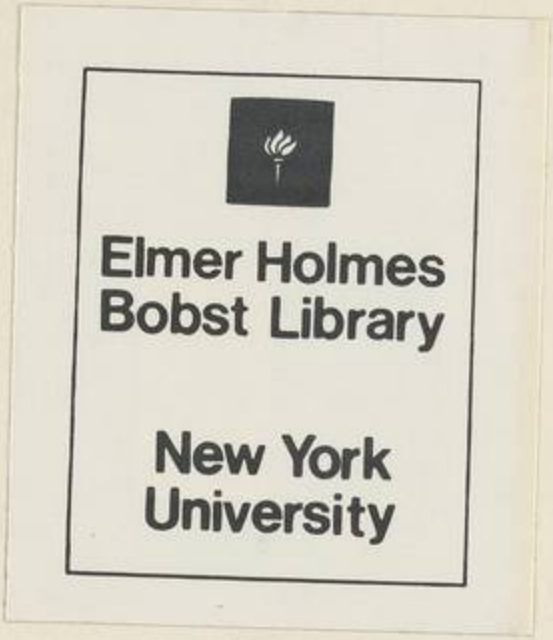
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University